

الجزء الثاني من تاريخ مصر

— ❦ —

المشهور ببداية الزهور في وقائع الدهور

— ❦ —

أليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن إياس
الحنفى المصرى رحمه الله تعالى
آمين

﴿ طبع على نفقة الكتبخانه الخديويه ﴾

(الطبعة الاولى)

المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١١

هجريه

فهرست
الجزء الثاني
من تاريخ مصر لابن اياس

(فهرست الجزء الثانى من تاريخ مصر لابن اياس)

صفحة	
٢	ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى النصر شيخ بن عبد الله المحمدي الظاهري
٣	سنة ٨١٦
٤	سنة ٨١٧
٥	سنة ٨١٨
٥	سنة ٨١٩
٦	سنة ٨٢٠
٦	سنة ٨٢١
٦	سنة ٨٢٢
٧	سنة ٨٢٣
٨	سنة ٨٢٤
١٠	ذكر سلطنة الملك المتوفى أبى السعادات أحمد بن الملك المؤيد شيخ المحمدي الظاهري
١٣	ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد ططر الظاهري الجركسى
١٤	ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الملك الظاهر ططر
١٥	ذكر سلطنة الملك الأشرف أبى النصر برسبى النقاقي الظاهري
١٥	سنة ٨٢٥
١٧	سنة ٨٢٦
١٧	سنة ٨٢٧
١٧	سنة ٨٢٨
١٧	سنة ٨٢٩
١٨	سنة ٨٣٠
١٨	سنة ٨٣١
١٨	سنة ٨٣٢
١٨	سنة ٨٣٣
١٩	سنة ٨٣٤
١٩	سنة ٨٣٥
١٩	سنة ٨٣٦

صيفه

٢٠ سنة ٨٣٧

٢٠ سنة ٨٣٨

٢٠ سنة ٨٣٩

٢١ » ٨٤٠

٢١ » ٨٤١

٢٣ ذكر سلطنة الملك العزيز أبي المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الاشرف برسباي
الدقاق الطاهري

٢٣ سنة ٨٤٢

٢٤ ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد جقمق العلاقي الطاهري

٢٧ سنة ٨٤٣

٢٧ » ٨٤٤

٢٨ » ٨٤٥

٢٨ » ٨٤٦

٢٩ » ٨٤٧

٢٩ » ٨٤٨

٢٩ » ٨٤٩

٣٠ » ٨٥٠

٣٠ » ٨٥١

٣٠ » ٨٥٢

٣٠ » ٨٥٣

٣٢ » ٨٥٤

٣٣ » ٨٥٥

٣٣ » ٨٥٦

٣٤ » ٨٥٧

٣٧ ذكر سلطنة الملك المنصور أبي السعادات نضر الدين عثمان ابن الملك الظاهر
جقمق العلاقي

٣٩ ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر سيف الدين اينال العلاقي الطاهري

٤٥ سنة ٨٥٨

صفحة	
٤٧	سنة ٨٥٩
٥٢	ذكر خلافة المستجد بالله أبي المحاسن يوسف بن محمد المتوكل على الله
٥٤	سنة ٨٦٠
٥٧	» ٨٦١
٦٠	» ٨٦٢
٦٣	» ٨٦٣
٦٤	» ٨٦٤
٦٤	» ٨٦٥
٦٥	ذكر سلطنة الملك المؤيد أبي الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الأشرف إينال العلاقى الناصرى
٧٠	ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين خشددم الناصرى المؤيدى
٧٣	سنة ٨٦٦
٧٥	» ٨٦٧
٧٦	» ٨٦٨
٧٧	» ٨٦٩
٧٩	» ٨٧٠
٨٠	» ٨٧١
٨١	» ٨٧٢
٨٤	ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي النصر سيف الدين بلباى المؤيدى
٨٧	ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد تغريبغا الظاهرى
٩٠	ذكر سلطنة الأشرف أبي النصر سيف الدين قايتباى الممولى الظاهرى
٩٩	سنة ٨٧٣
١١٢	» ٨٧٤
١١٨	» ٨٧٥
١٢٨	» ٨٧٦
١٣٥	» ٨٧٧
١٤٦	» ٨٧٨
١٥٠	» ٨٧٩

١٥٧ سنة ٨٨٠

١٦٥ » ٨٨١

١٧١ » ٨٨٢

١٨١ » ٨٨٣

١٨٥ » ٨٨٤

١٨٦ ذكر خلافة المتوكل على الله أبي المعز عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله
ابن المعتض بالله أبي بكر بن المستكن بالله سليمان ابن الامام الحاكم بامر الله أحمد
العباسي الهاشمي

١٩٢ سنة ٨٨٥

٢٠٢ » ٨٨٦

٢١٢ » ٨٨٧

٢١٧ » ٨٨٨

٢٢١ » ٨٨٩

٢٢٦ » ٨٩٠

٢٣٢ » ٨٩١

٢٤١ » ٨٩٢

٢٤٧ » ٨٩٣

٢٥٥ » ٨٩٤

٢٦١ » ٨٩٥

٢٦٦ » ٨٩٦

٢٧٢ » ٨٩٧

٢٧٨ » ٨٩٨

٢٨٠ » ٨٩٩

٢٨٥ » ٩٠٠

٢٩١ » ٩٠١

٣٠٣ ذكر سلطنة الملك الناصر أبي السعادات ناصر الدين محمد ابن الملك الاشرف أبي
النصر قايتباي المحمدي الظاهري

٣٠٦ سنة ٩٠٢

٣٣١ سنة ٩٠٣

٣٣٣ ذكر خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبي الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله

٣٢٤ سنة ٩٠٤

٣٤٩ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه بن قانصوه الاشرفي

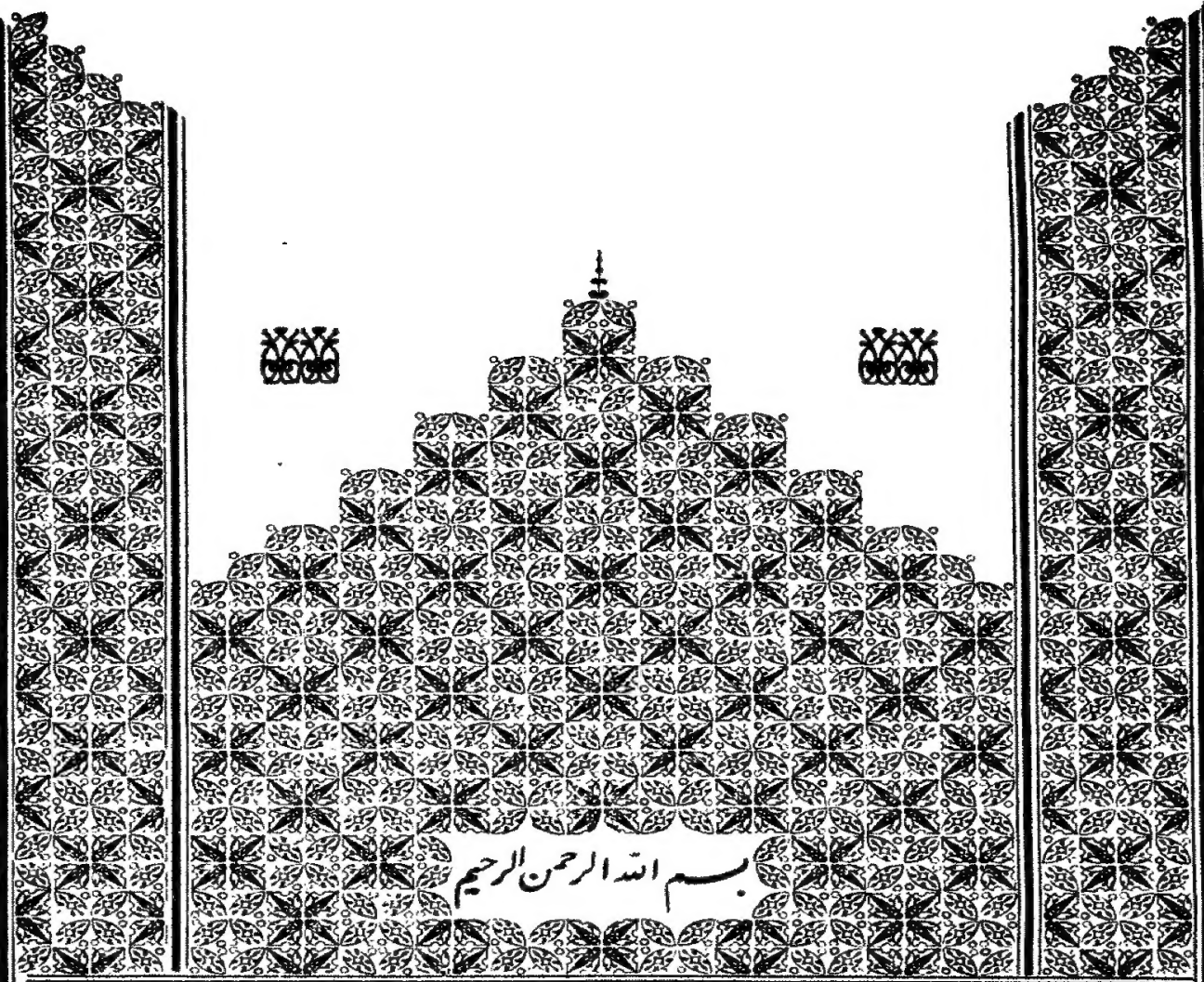
٣٦١ سنة ٩٠٥

٣٧٠ ذكر سلطنة الملك الانشرف أبي النعمان بلط بن يشبك الاشرفي

٣٧٣ سنة ٩٠٦

٣٨٦ ذكر سلطنة الملك الاماد ل طومان باي بن قانصوه أبي النصر الاشرفي قايتباي

﴿تت﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبي النصر شيخ ابن عبد الله المحمودي الظاهري

وكان يعرف بالخاصكي وهو الثامن والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بويغ بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس في يوم الاثنين مستهل شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وطلع إلى القصر الكبير وجلس على سرير الملك وبأسوا له الأرض وتلقب بالملك المؤيد ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضح الناس له بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشيخ ناصر الدين بن كميل الشاعر

تسلطن الشيخ وزال العنا * فالناس في بشروته وفيه
فلا تقا نل بصي ولا * تلق به جيشا وقا نل بشيخ

وكان أصله من محاليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من الخوارجا محمود شاه وأعتقه وأخرج
 له خيلا وقياسا وصار جدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي ساقيا وكان يعرف بشيخ المجنون ثم بقي
 أمير عشرة ثم بقي أمير أربعين وسافر إلى الجبل أز أمير حاج في سنة إحدى وثمانمائة ثم بقي
 مقدما ألف في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق ثم بقي نائب طرابلس ونائب الشام أيضا
 وأسره ثم لنك على حلب كما تقدم ووقع له في دولة الملك الناصر فرج أمور شتى ومحن عظيمة
 وسجنه الملك الناصر بن خزانة شمائل فأقام به مدة ثم خرج إلى الشام والتف على حكم
 العوضى ونوروز الحافظي ولم يزل في عسبان وهجاج في البلاد الشامية حتى مضى أكثر
 عمره فلما جرد الملك إلى نوروز وقتل الملك الناصر كما تقدم وتسلطن الخليفة العباس بقي
 أتابك العساكر بمصر ونظام المملكة ثم انه خلع الخليفة من السلطنة وتسلطن عوضه
 فلما تسلطن وتم أمره في السلطنة قبض على جماعة من الأمراء وأرسلهم إلى السجن
 بشغرا لاسكندرية وأنعم على جماعة من الأمراء بآدم ألوف ووظائف سنوية وأنعم على
 ولده المقر الصاري إبراهيم بآدم ألف وأقام له من الأمراء عصابة وأرضى الجند
 بالاقطاعات ثم قرب جماعة حضر وامعه من البلاد الشامية فرقا هم إلى وظائف سنوية
 فمنهم المقر الزيني عبد الباسط بن خليل ومنهم المقر الناصري ناصر الدين بن البارزي
 ومنهم القاضي علم الدين داود بن الكوين والقاضي بدر الدين بن مزهر والامير ناصر الدين
 التاج وأخيه والشيخ تقي الدين بن حجة الحموي عين أعيان الشعراء وغير هؤلاء بجماعة
 كثيرة حضر وامعه من البلاد الشامية إلى الديار المصرية ثم انه قبض على القاضي فتح الله
 كاتب السر الشريف واحتاط على موجوده من صامت وناطق ثم انه خنقه ودفنه تحت
 الليل فلما مضى أمر فتح الله خلع على المقر القاضي ناصر الدين بن البارزي واستقر به كاتب
 السر بالديار المصرية عوضا عن فتح الله واستقر بالمقر الزيني عبد الباسط كاتب الخزائن
 الشريفة ثم جعله وإلى القاهرة وناظر الجوالي وناظر الكسوة الشريفة واستقر بالقاضي
 علم الدين بن الكوين ناظر الجيوش المنصورة واستقر بالامير ناصر الدين التاج استادار
 العصبة وقرر كل واحد منهم في وظيفة تليق به ثم انه قرب من الأمراء من شاء منهم وأبعد من
 شاء منهم واستقامت أموره في السلطنة وأطاعه الجند ولم يختلف عليه اثنان من العسكر
 ثم دخات سنة ست عشرة وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من دمشق بأن نوروز الحافظي لما
 بلغه ان شيخ خلع الخليفة العباس من السلطنة وتسلطن عوضه عز ذلك عليه ولم يقبل
 الأرض للملك المؤيد شيخ وأظهر العصيان وتعجب من شيخ كيف خان الأيمان والعهود
 التي كانت بينه وبين نوروز وكانوا أعظم من الأخوة ينامون على مخدة واحدة فان شيخ
 الأيمان والعهود وتسلطن بمصر فكان كما قيل

وحلفت انك لا تميل مع الهوى * أين اليمين وأين ما عاهدتني

واستمر نوروزي يخطب باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق وأعمالها ولم يخطب باسم الملك المؤيد شيخ ولا ضرب باسمه سكة واستمر واضعا يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات وفي هذه السنة خلع السلطان على منكلي بغا الشمسى وولاه محتسبا بالقاهرة وهو أول من تولى الحسبة من الأتراك ولم يتولها قبله أحد من الأتراك ومن الحوادث في تلك السنة انه ظهر بالقاهرة شخص يدعى انه يصعد الى السماء ويكلم الباري جل جلاله في كل يوم مرة فاعتقه جماعة كثيرة من عوام مصر فلما شاع أمره بين الناس رسم السلطان بان يعقدوا له مجلسا بالصالحية فاجتمع له هناك القضاة الاربعة فأراد القاضي المالكي ان يثبت عليه الكفر فشهد جماعة من أهل الطب بانه في عقله خلل فسجنوه ولم يثبت عليه كفر وهذه الواقعة متفق على صحتها في زمن المؤيد شيخ انتهى ذلك * (ثم دخلت سنة سبع عشرة وثمانمائة) * فيها قوى عزم الملك المؤيد شيخ بأن يخرج الى الشام بسبب عصيان نوروز فعلق الجاليدش وعرض العسكر وأنفق عليهم وخرج من القاهرة في موكب عظيم وصحبته الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وسائر الأمراء وقرر الأمير طمر نائب الغيبة الى أن يحضر السلطان والأمير سودون قرأ سنقر حاجبا لحجاب يحكم بين الناس فلما وصل الى دمشق وجد نوروز قد حصن دمشق وركب على سورها المدافع من كل جانب فحاصره الملك المؤيد شيخ أشد ما يكون من المحاصرة ونصب حول مدينة دمشق صاعدة مناجيق ولا زال يحاصر نوروز مدة طويلة حتى خجرت نوروز وأرسل يطلب من شيخ الامان على نفسه وكان بقلعة دمشق فإزالوا على ذلك حتى غلب نوروز وسلم نفسه الى شيخ وآخر الامر قطع شيخ رأس نوروز في قلعة دمشق وأرسلها الى القاهرة وعلمت على باب زويلة ثلاثة أيام ثم دفنت وكان شيخ باغيا على نوروز فكانت لسان حال نوروز يقول يا غاد را بي ولم أغـ در بـصـحـتـه * وكان منى مكان السمع والبصر قد كنت من قلبك القاسى أخاف جفا * فجاء ما قلت له نقشا على حجر قال الشيخ تقي الدين بن حجة الشاعر وفي النيل المبارك في سنة ست عشرة وثمانمائة في أوائل مسرى فنزل الملك المؤيد وخلق المقياس وكسر السد على العادة وذلك قبل أن يتوجه الى دمشق بسبب نوروز فانشده في ذلك اليوم مهنثا

أيام ابا بالله صارم — — — — — ويدا * ومنصبى فى ملكه نصب تميز

كسرت بمسرى سد مصر وتنهضى * وحقك بعد الكسر أيام نوروز

فكان القال بالنطق وتوجه الملك المؤيد عقيب ذلك الى نوروز وقطع رأسه وأرسلها الى مصر صحبة الأمير جرباش قاشق وذلك في جادى الاولى سنة سبع عشرة وثمانمائة فارتمجت

لها مصر وأقام بعد ذلك في دمشق أياما حتى مهد البلاد الشامية وعزل من عزل وولى من
 ولى وخلع على قانباى المحمدى واستقر به نائب الشام عوضا عن نوروز الحافظى وخلع
 على الامير اينال الصلافي واستقر به نائب حلب وخلع على الامير سودون بن عبدالرحمن
 واستقر به نائب طرابلس وخلع على الامير جاني بك البجاسى واستقر به نائب حماه ثم
 قصد التوجه الى نحو الديار المصرية فلما دخل الى مصر كان له يوم مشهود ووزنت له
 القاهرة وحلبت على رأسه القبة والطير حتى طامع الى القلعة ثم دخلت سنة ثمان عشرة
 وثمانمائة هـ فيها جاءت الاخبار بان النواب المقدم ذكرهم قد أظهروا العصيان وخرجوا
 عن الطاعة فجرد اليهم الملك المؤيد ثانيا وخرج اليهم بنفسه وأوقع معهم فانتصر عليهم
 وقبض على قانباى المحمدى نائب الشام وقطع رأسه ثم قبض على اينال الصلافي وقتله
 على صدر أبيه ثم قتل الاب بعد ذلك ثم انه ولى جماعة من الامراء نوابا غير هؤلاء ورجع الى
 الديار المصرية فلم يقم سوى مدة يسيرة وقد جاءت الاخبار بان النواب قد خاضوا وأظهروا
 العصيان فجرد اليهم ثالث مرة وخرج بنفسه فلما بلغ النواب مجيئه هربوا من وجهه
 وتوجهوا الى قرايوسف أمير التركمان فاستقر بنواب غيرهم ممن يشق بهم وفي هذه المرة مهد
 البلاد الشامية والحلبية وقطع جادة هذه النواب الذين كانوا مخاضرين عليه ثم رجع الى
 الديار المصرية وقد صفاه الوقت وانشأ له عماليك كثيرة وجسد له أمراء وحسنت أوقافه
 بمصر فكان ينزل من القلعة ويتوجه الى بولاق ويقوم عنده القاضي ناصر الدين بن
 البارزى في بولاق وكان يعمل المواقب هناك وتجتمع الامراء المقدمون عنده وكان ينزل
 يعوم في بعض الاوقات في البحر وحوله الامراء والخاصكية وكان يتباهى في يوم كسر سد
 النيل المبارك ويلزم الامراء المقدمين بان كل واحد منهم يزين له حراقة ويجعل فيها
 الصناجق والكؤوس فاذا وفي النيل يحضرون له بالذهبية الى بولاق ويتوجه الى المقياس
 يخلق العمود ويكسر السد والامراء المقدمون حوله في الحراريق المزيينة حتى يسدوا
 البحر من كثرة المراكب ويكون له يوم مشهود لم يسمع بمثله فيما تقدم وقذف في ذلك
 على ما كان يصنعه في ذلك اليوم استأذه الملك الظاهر برقوق وكان يتباهى في المواقب
 الجلية الى الغاية وكان رجلا كثيرا التنزه لا يقيم بالقلعة الا قليلا وأكثر أيامه في بولاق
 وقيل كانت الرماحة تلعب قدامه في بولاق وهو يتظر اليهم من البارزية ولم يشأ أحد من
 الملوك على طريقته في اللهو والقصف (ثم دخلت سنة تسع عشرة وثمانمائة هـ) فيها وقع
 الطاعون بالديار المصرية وقتل غابة الفتن في البرية وقد قال بعض الشعراء

رعى الرحمن دهر اقدوتلى * يجازى بالسلامة كل شرط
 وكان الناس في غفلات أمن * فجاء طاعونهم من تحت ابط

﴿ثم دخلت سنة عشرين وثمانمائة﴾ فيها ظهرت أعجوبة ولدت جاموسة بمدينة بلبيس مولودة لها رأسان وأربعة أيدي وسلسلتا ظهر ولها دبر واحد وفرج واحد ولها رجلان في حقها فأقامت أياما وماتت ومن العجائب أيضا ما ذكره العلامة شهاب الدين بن حجر في تاريخه أن المصونة فاطمة بنت قاضي القضاة جلال الدين بن سراج الدين عمر البلقيني ولدت ولدا ذكره ذكر وفرج وله يدان زائدتان في كتفيه وله قرنات في رأسه مثل قرون الثور فأقام ساعة ومات وذكر أيضا في تاريخه أن جلاذبح بمدينة غزة بعد العشاء فاضاء لجمه في الليل كما يضى الشمع وقيل رمى بقطعة من لحمه لكلب فلم يأكل منها شيئا ولم يعلم سبب ذلك وهذا من العجائب التي وقعت في تلك السنة ﴿ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثمانمائة﴾ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية واستمر يسلسل حتى دخلت سنة اثنتين وعشرين فكان تارة يزيد وتارة ينقص وفي سنة إحدى وعشرين وقع الغلاء أيضا بالديار المصرية ونزل الملك المؤيد شيخ واستسقى كما جرت بذلك العادة وقيل إن الملك المؤيد لما نزل إلى الاستسقاء لبس جببة صوف أبيض وعلى رأسه عمامة صغيرة جدا بعدة من خية خلفه وعلى كتفه منزر صوف أبيض وركب فرسا بغير قاش حرير ولا سرج ذهب وذبح هناك بيده أغناما وأبقارا وفرقها على الفقراء وفرق في ذلك اليوم على الفقراء ثلاثين ألفا رغيف وصلى على الرمل من غير سجادة وبواضع إلى الله تعالى في ذلك اليوم فزاد النيل ووفي في أواخر ثوب ثم انهبط بسرعة وشرقت أكثر البلاد واستمر الغلاء بمصر سنة كاملة وعزت الاقوات ﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة﴾ فيها مكنت عمارة جامع الملك المؤيد شيخ الذي هو داخل باب زويلة وكان مكان هذا الجامع سجنا يحبس فيه أصحاب الجرائم وكان يعرف بخزانة شمایل وكان شمایل هـ ذا من جملة جماعة والى القاهرة فلما خرج الملك الكامل صاحب المدرسة الكاملية إلى قتال الضر فنجح لما أخذوا غردهمياط كان شمایل هذا عيشي في ركاب الملك الكامل ويسج في البحر تحت الليل ويكشف عن أخبار الفرنج ويأتى الملك الكامل بالأخبار فخطى عنده بذلك فلما انتصر الملك الكامل على الفرنج جعل شمایل هذا والى القاهرة فبنى له هذا السجن فنسب اليه وقيل خزانة شمایل وكان الملك المؤيد شيخ من جملة من حبس في خزانة شمایل في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاسى بها شدة عذبة عظيمة فنذر في نفسه أن يخلص من هذه الشدة وبقي سلطانا يهدم هذا السجن ويبني مكانه جامعا فلما تولى الملك بمصر هدمه وبني مكانه هذا الجامع وقد تناهى في زخرفته ورخامه وسقوفه وأبوابه فلم يبق في القاهرة مثله ولا مثل سقفه ولكنه ظلم أعيان الناس في تحصيل رخامه وصاروا يكسبون البيوت والحارات بسبب الرخام فظلم خلق الله حتى حصل هذا الرخام ومن جملة ظلمه فيه أنه أخذ باب مدرسة السلطان حسن والنور الكبير وجعلهما

في جامعته وأعطى فيه ما أنجس الأثمان وأخذ العمودين السماق اللذين في المحراب من جامع قوصون الذي بالقرب من بركة الشيل ووزع أخشاب سقوفه ودهانها على أعيان المبشرين فكان كقيل

بنى جامع الله من غير حـاله * فجاء بحمد الله غير موفق
كطعمة الأيتام من كدفرجها * فليتك لاتزنى ولا تصدق

ولما تم بناء هذا الجامع وقف عليه الأوقاف الجلية من بلاد ومسقات وقرر فيه حضورا من بعد العصر ورتب لهم جوامك وخبزا وقرر شيخ الحضور الشيخ شمس الدين الديري الحنفي وجعل الخطابة للقاضي ناصر الدين بن البارزي وأودع به هذا الجامع خزانة كتب نفيسة قيل لما كملت عمارة هذا الجامع رسم السلطان بان علاء الفسقية التي في صحن الجامع سكر او ماء ليون فملت سكر او وقف رؤس النواب يفرقون السكر على الناس بالطاسات وخلع في ذلك اليوم على جماعة كثيرة من المشدين والمهندسين والبنائين والمرخين والتجارين فلما كان يوم الجمعة حضر بالجامع القضاة الاربعة وسائر الامراء وأرباب الوظائف وأعيان العلماء وخطب في ذلك اليوم القاضي ناصر الدين بن البارزي كاتب السرا الشريف خطبة بليغة وكان يوما مشهودا فلما كان وقت الحضور في الجامع اجتمع الطلبة وخرج الشيخ شمس الدين الديري من الخلاء وقدمه ولد السلطان المقر الصارمي ابراهيم وهو حامل سجادة الشيخ شمس الدين الديري حتى فرسه هاله في المحراب وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر

ان يقولوا سجادة فوق بحر * لولى يمشى عليها كرامه
قلت هذى سجادة فوقها البحر فحدث عنه بغير ملامه

ومن الحوادث انه لما بنوا ما أذنتي هذا الجامع مالت احدهما الى السقوط عندما كملت فرسمهم دمها فهدمت ثم أعيدت ثانيا فقال العلامة شهاب الدين بن حجر يداعب قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي في هذه الواقعة

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم ترفقوا * فليس على هدمي أضر من العين

فأجابه عن ذلك بدر الدين بن العيني

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

ومما عده من الحسن انه أبطل مكس القواكه فاطبة ونقش ذلك على رخامة وجعلها بباب هذا الجامع لما كل بناؤه ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فيمات في المقر

الصارمي ابراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ وقيل ان أباه المؤيد سمى في حاوي وسبب ذلك ان
 سيدي ابراهيم كان شجاعا بطلا لا يمل من الحرب والقتال فمات اليه قلوب الجند وكان
 الملك المؤيد لا يزال يعثر به ضربا بالمفاصل وكان قد ثقل عن الحركة فكان يحمل على
 أكتاف المماليك اذا نقل من مكان الى مكان فقال القاضي ناصر الدين بن البارزي للملك
 المؤيد ان العسكر يقصدون خلعتك من السلطنة ويولون سيدي ابراهيم فحسن له ان يشغله
 فلما شغله ومات حزن عليه الناس حزنا شديدا ودفن داخل القبة التي في الجامع المؤيدي فلما
 كان يوم الجمعة حضر السلطان المؤيد في الجامع وصلى الجمعة في مأتم ابنه فخطب القاضي ناصر
 الدين بن البارزي في ذلك اليوم خطبة في معنى ذلك حتى يتف عنه كلام الناس فروى وهو
 على المنبر هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما ان دخل على ولده
 ابراهيم وجده يجود بنفسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل عيناه تذرفان
 وقال ان اهل بيتي تدمع والقلب يحزن ولا تقول الا ما رضى ربنا واتاب فراقك يا ابراهيم
 لحزون فلما سمع الملك المؤيد ذلك شق عليه وقال في نفسه يغريني على ولدي حتى أقتله
 ثم يندمني عليه فلما فرغ القاضي ناصر الدين من صلاة الجمعة قدم اليه سلطانية سكر وشغله
 فيها فتوجه الى بيته وأقام أياما ومات والمجازاة من جنس العمل ثم دخلت سنة أربع
 وعشرين وثمانمائة فيها قتل الملك المؤيد في الضعف ولزم الفراش واستقر على ذلك أياما حتى
 مات في يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فغسل في القلعة وكفن وصلى
 عليه ونزلوا به من القلعة والامراء مشاة قدما حتى توجهوا به الى جامعهم فلم يدخلوا
 به من باب زويلة ودخلوا به من الباب الذي عند الخضرين وقيل مات وله من العمر خمس
 وستون سنة وخلف من الاولاد صبيان اثنين وهو سيدي أحمد الذي تسلط بعده وهو ابن
 خوند سعادات وكانت احدى بناته متزوجة بالاتبكي قرقاس الشعياني والاخرى متزوجة
 بالامير يشبك الفقيه الدوادار وهي أم ولده سيدي يحيى فكانت مدة سلطنة الملك المؤيد
 شيخ بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام وكان ملكا
 جليلا كفا للسلطنة عارفا باحوال المملكة وافر العقل مقداما في الحرب وله مكابد وجيل
 وثبات وقت التقاء الجيوش حتى ضرب به المثل فكان يقال نعوذ بالله من ثبات شيخ ومن
 حطمة نوروز الحافظي وكان المؤيد كريما على من يستحق الكرم وشجاعا على من يستحق
 الشج وكان يضع الشيء في محله وهو الذي مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع جدران تلك
 النواب العصاة الذين أخرجوا غالب البلاد الشامية وكان يعيل الى اللهو والطرب ويستعمل
 الراح ويعيل الى الملاح وكان يستعمل الاشياء المخدرة من المصطلات وكان يقرب أرباب
 الفنون وكانت أرباب الفنون تنبأه في أيامه في فنونهم بلجودة فهمه وحسن معرفته

وكان يغنى من فن الموسيقى ويركز الفن ويتظم الشعر ومن نظم الرقيق قوله من قصيدة
فتنتنا سواف وخدود * وعيون نواعس وقُدود
أسرتنا الظبا وهن نعاس * وخضعنا لها ولحن الأسود
ولم يزل يركز هذه الأبيات الى الاستشهاد باسمه فقال

وأنا الخاصكى شيخ المؤيد * نظم شعري جواهر وعقود

وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنيين الى الآن وكان منقادا الى الشرعة ويحب
أهل العلم ويقرب الفقهاء والصلحاء ويبرهم ويحب فعل الخير وله أوقاف كثيرة على جهات
بر وصدقة ولكن ذكر له المقرئى أشياء كثيرة من المساوى منها أنه كان جهورى الصوت
سفيها فى كلامه وكان غير مقبول الشكل واسع العينين كبير الكرش درى اللون أكت
اللحية معتدل القامة متركن الوجه كبير الأنف وكان سفا كالدماء قتل جماعة كثيرة من
النواب والامراء وكان اذا ظفر باحد من أعدائه لا يرجع وكان كثير المصادرات للرعية
وأحدث فى أيامه أشياء كثيرة من أبواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد وأماما أنشأه من
العمائر بالديار المصرية فهو الجامع الكبير الذى هو داخل باب زويلة وعمر الجامع الذى
فى رأس الصورة مكان المدرسة الاشرفية التى هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر
الجامع الذى عند المقياس وعمر الخلاوى والمأذنة التى فى المدرسة الخروبيسة التى فى بر
الجزيرة وجدد عمارة القبة التى فى قاعة البحرة وجدد عمارة التاج والسبعة وجوه التى كانت
بالقرب من الكوم الأبيض ولكن هدم ودرست معالمه فى دولة الملك الظاهر حقمق وكان
من جلة المفترجات القديمة بمصر فهدمه الناصرى محمد بن اينال قريب الملك الظاهر حقمق
وللك المؤيد آثار كثيرة غير ذلك بمصر والشام وكانت دولته ثابتة القواعد وصير الذئب
والغنم عيشان فى صعيد واحد فأما قضاته الشافعية فالقاضى جلال الدين بن سراج الدين
البلقىنى الشافعى والقاضى ول الدين العراقى الشافعى وأما قضاته الحنفية فالقاضى بدر
الدين محمود العيى الحنفى والقاضى التفهنى والقاضى صدر الدين بن العديم الحنفى وأما
قضاته المالكية فالقاضى نصر الدين بن التونسى المالكى وأما قضاته الحنابلة فالقاضى علاء
الدين بن مغلى الحنبلى وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فقاضى القضاة جلال الدين بن
سراج الدين البلقىنى الشافعى قيل انه توفى بمنزلة الصالحية عند عود الملك المؤيد من البلاد
الشامية فلما توفى جلال الدين فى الصالحية ودخل السلطان الى الديار المصرية اشتورا
فمن يولونه قاضيا وضا عن جلال الدين فاخبروا السلطان بذلك ابنه تاج الدين وأخيه علم
الدين صالح فلما بلغ الشيخ شهاب الدين بن حجر ذلك انشديقول

مات جلال الدين قالوا ابنه * يخلفه أو فالأخ الكاشح

فقلت تاج الدين لا لائق * بمنصب الحكم ولا صالح
ثم وقع الاختيار على تولية الشيخ ولي الدين العراقي فولى عوضا عن جلال الدين البلقيني
وتوفي في أيام المؤيد من الاعيان الشيخ شمس الدين البناني وكان من كبار الحنفية وتوفي الشيخ
مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس وتوفي الشيخ خلف التحريرى وكان من
كبار المالكية وتوفي الشيخ جمال الدين بن ظهيرة قاضى القضاة الشافعية بمكة وتوفي الشيخ
برهان الدين بن رفاعة الدمشقي وكان من اعيان دمشق وله شعر جيد وتوفي ابن هشام العجمي
وتوفي القاضي ناصر الدين بن البارزى الجهنى الشافعي كاتب السر الشريف بالديار المصرية
وتوفي الشيخ عز الدين الموصلى صاحب شرح البديعية وتوفي الشيخ جمال الدين بن خطيب
داريا وكان من فحول الشعراء وتوفي الشيخ علاء الدين بن اينبك الدمشقي وكان من فحول
الشعراء وتوفي في أيامه جماعة كثيرة من الاعيان ولما توفي الملك المؤيد شيخ تولى من بعده
ابنه الملك المنظر انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد شيخ وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنظر فرأى السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهري

وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس من ملوك
الجزاكسة وأولادهم في العدد تسلطن بعد موت أبيه الملك المؤيد شيخ في يوم الاثنين
تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العرسنة وثمانية أشهر
وسبعة أيام فكان مرضعا وكانت ولايته تقرب من ولاية سابور ذى الاكتاف الذى تولى
الملك وهو فى بطن أمه فوضعوا على بطنها تاج الملك وسابور حمل فكانت ولاية الملك
المنظر أحد تقرب من ذلك وكانت أمه خوند سعادات بنت الامير صرغمش الناصري فلما
تسلطن كان الاتابكي الطنبغا القرشى غائبا فى التجريدة هو وجماعة من الامراء نحو البلاد
الشامية بسبب عصيان النواب وكان بمصر من الامراء المقر السيفي ططر أمير مجلس
فلما تولى الملك المؤيد شيخ تعصب مماليكه وقالوا ما نسلطن الابن أستاذنا وكان المماليك
المؤيدية بنحو خمسة آلاف مملوك فلما حضر الخليفة والقضاة الأربعة وقصدوا المبايعة
لاجد ابن الملك المؤيد عارض الخليفة فى ذلك وقال هذا صغير وتضيع أحوال المسلمين بين
الامراء فقال المماليك الامير ططر يكون مدبر المملكة الى أن يحضر الاتابكي الطنبغا فاف
وسع الخليفة الا انه بايعه على كره منه فسلطنه ولقبوه بالملك المنظر ونودي باسمه فى القاهرة
ثم اجلسوه على سرير الملك وهو فى حجر المرضعة وكانت العادة اذا تسلطن سلطان وجلس

على سرير الملك في القصر الكبير تدق الكؤوسات داخل القصر فلما أجلسوا الملك المنظفر
أحمد على سرير المملكة وهو في حجر المرضعة دقت الكؤوسات في القصر فاضطرب الملك
المنظفر اضطرابا شديدا وأنغمى عليه فحصل له في الحال حول في عينيه من الرجفة واستمر في
كل وقت يضطرب إلى أن مات فلما تم أمره في السلطنة نار الممالك المؤيدية على الأمير
ططر بسبب الامريات والوظائف وصار ططر معهم في غاية الضنك فأسعاه الآن
يرضيهم بكل ما يمكن فخلع على الأمير على باي المؤيدى واستقر به دوادارا كبيرا وكان أمير
عشرة وخلع على الأمير تغرى بردى بن قصروه واستقر به أميراً خور كبر وكان أمير
عشرة ثم جعل جماعة من الأمراء المؤيدية مقدمي ألوف وجماعة منهم أمراء طبخانات
وجماعة منهم أمراء عشر اوات ثم انه فرق الاقطاعات السنية على الممالك المؤيدية ثم
جاءت الاخبار من البلاد الشامية بأن حقهق الارغوني نائب الشام قد خامر وخرج عن
الطاعة وكذلك يشبك المؤيدى نائب حلب قد خامر أيضاً وخرج عن الطاعة وكذلك بقية
النواب قد خامروا وخرجوا عن الطاعة وكان الاتابكي الطنبغا القرشي لما توجه إلى
الشام بسبب عصيان النواب أوقع معهم بمن معه من الأمراء فهربوا إلى نحو مصر خد
ثم ان الاتابكي الطنبغا لما توجه إلى صرخد جمع العربان والعشير ورجع إلى دمشق
وأوقع مع نائب الشام حقهق فأنكسر حقهق منه وهرب إلى نحو حلب فلما كان الاتابكي
الطنبغا دمشق وقلعتها فلما بلغه وفاة الملك المؤيد وسلطنة ابنه أظهر العصيان
وخرج عن الطاعة وأقام بدمشق وحصنها ونصب على سورها المكاحل بالمدافع والتفت
عليه العربان والعشير فلما بلغ الأمراء ذلك خلعوا على ططر واستقر وابه الاتابكي العسكر
عوضا عن الطنبغا القرشي ثم اتفق الحال على ان الاتابكي ططر يأخذ السلطان معه في
محفة ويتوجه هو والعسكر إلى دمشق بسبب الطنبغا القرشي والنواب فخرج ططر
من القاهرة وصحبته الملك المنظفر أحمد في محفة والمرضعة معه وخرج من مصر
وسائر الأمراء والعسكر وكانت خوند سعادات صحبة ابنها في المحفة لما خرج إلى الشام
حتى تأمن عليه من القتل وكانت خوند سعادات لما انقضت عدتها مشيت الأمراء بينها
وبين ططر بان يتزوج بها فلما خرج ابنها إلى الشام خرجت معه فلما وصل إلى
الشام ألقى الله تعالى الرعب في قلب الطنبغا القرشي وحقهق نائب الشام فلما دخل
الملك المنظفر إلى الشام حضرا إليه الطنبغا القرشي وفي رقبته منديل فباس الأرض قدام
الملك المنظفر وهو في المحفة فلما وقعت عليه عين الاتابكي ططر قبض عليه وسجنه بقلعة
دمشق ثم قبض على حقهق نائب الشام وسجنه بقلعة دمشق أيضا ثم أنه أمر بجحفة
ويحرق الطنبغا القرشي فحرق تحت الليل ثم قبض على جماعة من النواب وقتلهم وأخذ

في أسباب القبض على جماعة من الامراء المؤيدية فاحتال عليهم وأظهر انه قد مرض وأقام بقلعة دمشق ولما بلغ الامراء ذلك طلّعوا ويسلمون عليه ودخلوا عليه فقبض على جماعة منهم حتى قيل قبض في يوم واحد على أربعين أميراً من الامراء المؤيدية وجبسهم بقلعة دمشق ثم قبض على جماعة من المماليك المؤيدية نحو ثلثمائة مملوك وجبسهم بقلعة دمشق فعند ذلك صف الطر الوقت والتفت عليه خشداشيه القاهرية وفرق عليهم الاقطاعات والوظائف وقويت شوكته وعصبته وصار يحسد نفسه في الباطن فعند ذلك خلع الملك المظفر أجد من السلطنة وتسلمن عوضه بدمشق وكان الخليفة المعتضد بالله داود صهبتة والقضاة الاربعة فبايعوا ططر وسلطنوه وذلك في يوم الجمعة التاسع عشر شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتلقب بالملك الظاهر وخطب باسمه في ذلك اليوم على منابر دمشق فلما تم أمره في السلطنة هناك طلق خوند سعادات أم الملك المظفر أجد وقد خاف على نفسه منها والذي خاف منه وقع فيه كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه فلم ينل من الدهر قصده فلما تسلطن قصد التوجه الى نحو الديار المصرية وأخذ الملك المظفر معه وأمه ورجع الى مصر فلما دخل الى القاهرة كان له يوم مشهود وزينت له المدينة وحملت على رأسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشي الذهب الى ان طلع القلعة فلما جلس على سرير الملك أرسل الملك المظفر أجد الى السجن بشغرا الاسكندرية وأرسل معه المرضعة والدادة فكانت مدة سلطنته بمصر سبعة أشهر وعشرين يوماً فكان أغناه عن هذه السلطنة والحول الذي حصل في عينيته لما دقت الكؤوسات في القصر يوم سلطنته كما نكدهم وآخر الامر سجن وأقام في السجن الى ان مات بشغرا الاسكندرية في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة في دولة الاشرف برسباي ومات بالطاعون ثم نقل بعد موته الى القاهرة ودفن على أبيه داخل القبة التي في الجامع المؤيدي الذي هو داخل باب زويلة ومات وله من العمر نحو احدى عشرة سنة ولم يبع أيام سلطنته وانما وعى نفسه في السجن الى ان مات فيه وقد دخل مماليك أبيه في خطيئته حيث سلطنوه وهو في هذا السن وكان المظفر هذا حسن الشكل جميل الصورة وانما حدث له ذلك الحول في عينيته من يوم سلطنته كما تقدم ومن الحوادث في أيامه ان في هذه السنة وهي سنة أربع وعشرين زاد النيل المبارك زيادة مفرطة واستمر ثابتاً الى آخرها تو من الشهور القبطية وهذا قط لم يعهد في الاسلام وحصل للناس في تلك السنة الضرر الشامل واستجرت الاراضي وغرق أكثر البساتين وفات الزرع عن أوانه وانقطعت الطرق من الماء وفي ذلك يقول بعض الشعراء

يارب ان النيل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشتت

ماضره لوجا على عاداته * في دفعه أو كان يدفع بالتي

وتوفي في أيامه قاضي القضاة الشافعية ولي الدين العراقي والشيخ شمس الدين الديري الحنفي وقيل بل مات في أثناء دولة الملك الأشرف برسباي والله أعلم بذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنظر أحمد بن الملك المؤيد شيخ المجدى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد ططر الظاهري الحر كسي

وهو الثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السادس من ملوك الجراكسة في العدد (أقول) كان أصله من ممالك الظاهر برقوق من مشروانه ثم اعتقه وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة الممالك السلطانية الجدارية ثم هرب من الملك الناصر فرج وتوجه إلى حلب والتف على حكم العوضي لما تسلطن بحلب فلما قتل حكم التف ططر على شيخ ونوروز لما أظهر والعصيان بالشام فلما قتل الملك الناصر بالشام وتسلطن الخليفة العباس انتم على ططر بأمرية عشر ثم بقي أميراً أربعين في دولة الملك المؤيد شيخ ثم بقي مقدم ألف ثم بقي رأس نوبة النوب ثم بقي أمير مجلس كل ذلك في دولة المؤيد شيخ فلما مات الملك المؤيد وتسلطن ابنه الملك المنظر بقي ططر مدبراً للملكة فلما أظهر العصيان الاتابكي الطنبغا القرشي لما كان بالشام بقي ططر أتابك العساكر عوضاً عنه فلما خرج إلى الشام صعبه الملك المنظر أحمد وظفر بالاتبكي الطنبغا القرشي والامير قجقار القردي أمير سلاح ونائب الشام حقهق الارغون شاوى وجماعة من النواب وقتلهم كما تقدم ذلك قبض على جماعة كثيرة من الأمراء المؤيدية وسجنهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفاه الوقت وقويت شوكته والتفت عليه خشداً شينه الذين كانوا مفرقين في بلاد الشرق فخلع الملك المنظر من السلطنة وتسلطن عوضه بالشام وطلق خوند سعادات أم الملك فقبل انها أشغلتها في منسديل القرش لما خلع ابنها من السلطنة فرض ططر بالشام ودخل إلى مصر وهو عليل واستمر يسلسل في المرض ولزم الفراش فهو كما قيل في المعنى

فكان كالمتمنى أن يرى فلما * من الصباح فلما أن رآه عي

فلم ير له عيلاً حتى مات في يوم الاحد رابع ذي الحجة من سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات وله من العمر نحو خمس وخمسين سنة ودفن بجوار قبر الامام الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه فكانت مدة سلطنته بالشام وبمصر ثلاثة أشهر وأياماً وقد تحمل في هذه المدة

اليسيرة اثم من قتله من الامراء والمماليك في طلب السلطنة وقدمه دليغيره فكان كالحقيل
في المعنى

الاغنى الارزاق تحرم ساهرا * وآخرياً في رزقه وهو نائم
ولما مرض ططر عهد بالسلطنة الى ابنه محمد انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر ططر
وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر ططر

وهو الحادى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو السابع من ملوك الجراكسة
وأولادهم بالديار المصرية في العدد ببيع بالسلطنة بعد موت أبيه ططر في يوم الاحد رابع
ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلمن وله من العمر نحو احدى عشرة سنة
فلما بايعه الخليفة أحضره الى خلعة السلطنة وتلقب بالملك الصالح ودقت له البشائر ونودي
باسمه في القاهرة وجلس على سرير الملك فلما تم أمره في السلطنة خلع على المقر الاتابكي
جاني بك الصوفي واستقر به أتابك العساكر على عادته ومدير المملكة فصار الاتابكي جاني
بك في تلك الايام صاحب الحل والعقد والابرار والنقص فعز ذلك على بقية الامراء وصار
الامير طرباي الظاهري حاجب الحجاب يرمى الفتن بين الاتابكي جاني بك الصوفي وبين المقر
السيني برسباي الدقافي أمير دوا دار كبير فوثب الامير برسباي على الاتابكي جاني بك
الصوفي فهرب في أواخر النهار فقبض عليه بعض المماليك وأحضره الى الامير برسباي
فقيده وأرسله الى السجن بشغرا الاسكندرية فاجتمعت الكلمة من بعد ذلك في برسباي
وصار صاحب الحل والعقد ثم ان برسباي وقع بينه وبين الامير طرباي حاجب الحجاب
فقبض عليه وأرسله الى السجن بشغرا الاسكندرية فعند ذلك صفا للامير برسباي الوقت
وقويت شوكته فتعصب له جماعة من الامراء وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من الملك
وتسلطن برسباي فكانت مدة سلطنة الملك الصالح بمصر ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً
لاغير وكان ليس له في السلطنة الا مجرد الاسم فقط فلما خلع برسباي من السلطنة عطف
عليه ولم يسجنه بشغرا الاسكندرية كعادة أولاد الملوك بل أدخله دور الحرم وأسكنه في
قاعة البربرية هو وأمه خوند بنت الامير سودون الفقيه ثم ان الاشرف برسباي زوج
الملك الصالح بينت الاتابكي يشبك الاعرج واستمر الملك الصالح ساكن في القلعة بدور الحرم
ورسم له الملك الاشرف برسباي بأن ينزل ويركب في كل جمعة ويزور قبر والده ططر فكان

يركب صحبة المقر الناصري محمد الملك الاشرف برسباى ويسير وانحوا المطرية (أقول) وسيدى محمد هذا كان ابن الاشرف برسباى وكان أكبر من ولده سيدى يوسف ولكن توفى فى حياة والده عقيب الفصل الذى جاء فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان الملك الصالح محمد بن ططر هذا يهمل كثير الخباط فكان يسمى الفرس البوز الفرس الابيض فقال بعض الخدام لا تقل الفرس الابيض وقل الفرس البوز فحفظ منه ذلك الاسم فطلب يوما سلطانية صيدى أبيض فقال ها تولى السلطانية البوز ففهر به بعض الخدام ونهاه عن ذلك فقال له لا لاقى علمنى هذا وكان له من أنواع الخباط أشياء كثيرة ليس هذا محلها فكان كما قيل فى الامثال فى الناس من تسعداه الاقدار * وفعله له جميعه اديار

واستمر الملك الصالح على ذلك حتى توفى فى ليلة الخميس ثمانى عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ومات بالطاعون الذى وقع فى تلك السنة ودفن على والده ططر بجوار قبر الامام الليث ومات وله من العمر اثنتان وعشرون سنة ولم مات الملك الصالح محمد رسم الملك الاشرف برسباى لاولاد الاسياد الذين كانوا فى دور الحرم من داخل بان ينزلوا ويسكنوا المدينة وأنعم على كل واحد منهم بفرس ومائة دينار فتنزلوا من يومئذ وسكنوا بالمدينة وبطل أمرهم انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الصالح محمد بن ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر برسباى الدقاق الظاهرى

وهو الثانى والثلثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من ملوك الجراكسة وأولادهم ببيع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر فى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وركب من المقعد وجمت على رأسه القبة والطير حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وبأس له الامراء الارض من الاكابر والاصاغر وتلقب بالملك الاشرف ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وخرج الناس له بالدعاء من الخاص والعام قيل لما خلع الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة - حضر أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وحضر الاتابكي بيغا المنظفرى وسائر الامراء فاشتوروا فيمن يولونه السلطنة فقال الاتابكي بيغا الامير برسباى يكون سلطانا وهو أحق بهامنى فآثره بالسلطنة على نفسه وكان الملك الاشرف برسباى يومئذ دوا دارا كبيرا ولم يكن أتاك العساكر وأصله بحر كسى الجنس جلبيه بعض التجار الى البلاد الشامية فاشتراه الامير دقاق الحمدي نائب ملطية مع

جولة مما يليك صغار ثم انه قدمه الى الملك الظاهر برقوق فأخذه وجعله من جولة الماء اليك
السلطانية ونزل ببطيخة الزمامية وكان اغاثه الامير بحر كس القاسمي المصارع ثم ان الملك
الظاهر برقوق أعتقه وأخرج له خيلا وقاشا ثم بقي خاصكيا ثم ساقيا في دولة الملك الناصر فرج
ثم التف على شيخ ونور وزلما خامر وبالشام فلما قتل الملك الناصر فرج وتسلمن الملك المؤيد
شيخ جعله أمير عشرة ثم بقي أمير طبخانات ثم بقي مقدم ألف ثم تولى نيابة طرابلس ثم قبض عليه
الملك المؤيد وسجنه بقلعة المرقب مدة طويلة ثم أطلقه وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فلما
خامر نائب الشام حقه ق الارغون شاوى قبض على برسباى وسجنه بقلعة الشام فلما توجه
ططر الى الشام وقبض على حقه ق نائب الشام وحبسه في قلعة دمشق أفرج عن برسباى
وأحضره صحبته الى القاهرة فلما تسلمن بدمشق ثم انه خلع عليه واستقر به دوادارا كبيرا
عوضا عن الامير على باى المؤيد واستمر برسباى على ذلك حتى توفي الظاهر ططر وتسلمن
ابنه الصالح محمد فوكت الفتن بين الاتابكي جاني بك الصوفي وبين الامير برسباى فقبض
عليه الامير برسباى وأرسله الى السجن بشغرا لا سكندرية فعند ذلك خلع الملك الصالح محمد
من السلطنة وتسلمن عوضه كما تقدم فلما تم أمر برسباى في السلطنة عمل الموكب وخلع
على من يذكر من الامراء وهم المقر الاتابكي بيغا المظفرى واستقر به اتابك العساكر على
عادته وكان بيغا هذا عظيم اللسان قليل الكلام بالعربي يابس الطباع سيئ الخلق فلم يوافق
العسكر على سلطنته فقتل بيغا بالاتابكية دون السلطنة فكان كما قيل في المعنى
اذا منعك أشجار المعالي * جناح الغض فاقنع بالشميم

وخلع على الامير حقه ق العيسوى واستقر به أمير سلاح على عادته وخلع على الامير اقبغا
التمرازي واستقر به أمير مجلس وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن واستقر به دوادارا
كبيرا وخلع على الامير قصروه بن عثمان واستقر به أمير اخوز كبير وخلع على الامير أربك
المجدي واستقر به رأس نوبة النوب وخلع على الامير حقه ق العلائى واستقر به حاجب
الحجاب وخلع على المقر السيفي جاني بك الجاسى واستقر به نائب الشام وأنعم على جماعة من
الامراء بتقدم ألف وعلى جماعة بامريات طبخانات وعلى جماعة بامريات عشرة ثم أنفق
على العسكر ووفر الاقطاعات على جماعة منهم واستقامت أحواله في السلطنة وراق
له الوقت ثم أخذ في أسباب تقريب جماعة من حاشية الملك المؤيد شيخ نخلع على المقر
الزيني عبد الباسط بن القرشى خليل واستقر به ناظر الجيوش المنصورة وقدر في أيامه
الزيني عبد الباسط حتى صار صاحب الحل والعقد في تلك الايام وكان الملك الاشرف
لا يتصرف في شئ من أحوال المملكة الا برأى القاضي عبد الباسط فعظم أمره في تلك الايام
حتى أطلق عليه عظيم الدولة في أيامه واستمر على ذلك في مدة دولة الملك الاشرف كلها

ثم قرب الامير ناصر الدين التاج واستقر به والى القاهرة على عادته وكان أصل التاج من الشوبك وكان جده من النصارى وكان ينادم الملك الاشرف ولا ينشرح الابه وكان التاج واسطة خير قليل الاذى لا يتكلم فى حق أحد الا بخير ايس عنده ضرر وفيه يقول الشيخ تقي الدين بن حجة

سبيع وجوه لتاج مصر * تقول ما فى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه بهجى * وأنت تاج بفسر دوجه

وقرب أيضا القاضي بدر الدين بن منزه رضى الله عنه حتى صار كاتب السر الشريف بالديار المصرية وقرب جماعة كثيرة من حاشية الملك المؤيد شيخ غيرهؤلاء انتهى ذلك (ثم دخلت سنة ست وعشرين وثمانمائة) فيها وفى النيل المبارك فى ثامن عشر أيب من الشهور القبطية ولم يسمع بمثل هذا فيما تقدم من السنين الماضية وفيه يقول بعض الشعراء

لما وفى النيل المبارك عاجلا * عم البلاد وللروابي طفقا
نشروا القلوع وبشروا بوفاته * فالراية البيضاء عليه بالوفا

وفى هذه السنة رسم السلطان للامير جرباش الكرى المعروف بقاشق بان يتوجه الى نغرا الاسكندرية بسبب حفر خليج الاسكندرية لانه قد طم بالمال وضعف جريان الماء فيه فتوجه اليه الامير جرباش وجتمع ما قدر عليه من الرجال فجمع ثمانمائة وسبعين انسانا وابتدأ فى حفره فى حادى عشر جادى الاولى من تلك السنة المذكورة فأنتهى العمل منه ومشى فيه الماء فى مدة أربعة أشهر فسر الناس بذلك (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثمانمائة) فيها تزايدت عظمة الامير جاني بك بمملوك الملك الاشرف برسباى وصار امير طبخانه دوا دار ثانى واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد فى دولة أسـ تاذه وهو صاحب المدرسة التى بالقرب من المنجكية ومما يحكى عنه انه تقي الاتاكي بيبغا المظفرى الى نغرا الاسكندرية من غير علم السلطان فلما علم السلطان بذلك لم يقل له ليش فعلت ذلك وتناهدت عظمته حتى التف عليه جميع العسكر وكان الامراء المقدمون ينزلون معه من القلعة الى بيته الذى بالقرب من سوق الجوار ولم يزل جاني بك على ذلك حتى تخيل منه الملك الاشرف أن ينب عليه فشغله فى حلوى فاستمر عليه ملازم الفراش حتى مات فى أثناء دولة استاذه ولوعاش لو ثب على استاذه وتسلطن (ومن الحوادث فى أيامه ان شخصا من العوام شنى نفسه وسبب ذلك انه كانت له زوجة يحبها فطلقها فتزوجت بغيره ووكلته فيه فشنى نفسه من قهره منها فمات (ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثمانمائة فيها حجت خوند جلبان زوجة الملك الاشرف برسباى وهى أم ولده المقر الجملالى يوسف وكان المتسفر عليها القاضي عبد الباسط (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثمانمائة فيها أرسل

السلطان تجريدة الى قبرس فاعطاه الله تعالى النصر وفتح مدينة قبرس في تلك السنة وأسر ملكها وحبس به الى القاهرة أسيرا فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة سبعة أيام ودخل عسكر القرنج وهم في زناجير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب وكانت هذه النصر على غير القياس وفي هذه السنة كملت عمارة مدرسة السلطان وهي المدرسة الاشرفية التي عند سوق الوراقين فلما وقعت هذه النصر وأسرم ملك القرنج في تلك السنة رسم السلطان بان تعلق خودة ملك القرنج على باب هذه المدرسة لتكون تذكارا له وهي الى الآن معلقة في باب هذه المدرسة ٥ ثم دخلت سنة ثلاثين وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من نغرا لا سكندرية بان الاتاكي جاني بك الصوفي قد كسر قيده وهرب من السجن وقيل ان جارية دخلت اليه في السجن وقد تحملت بغير داطيف في فرجها فبرد به قيده وهرب من أعلى حيطان البرج وتدفى في جبل صغير وهرب فلما بلغ الملك الاشرف ذلك اضطربت جميع أحواله وصار يكبس البيوت والحارات وقبض على اصهار جاني بك الصوفي وعاقبهم وكذلك عياله وعماليكه وجرى بسبب ذلك على الناس ما لا يخبر فيه وصار كل من له عدو يكذب عليه ويقول جاني بك الصوفي مخبأ عنده فيكذبوا عليه ويتهموا ماله ويعاقبوا ذلك الرجل اشد العقوبة واستمر الملك الاشرف على ذلك وهو لا يهتأ له عيش حتى ظهر جاني بك في بلاد التركان عند أولاد قرايوسف فعند ذلك سكن الاضطراب من القاهرة وفيها قبض السلطان على صاحب بدر الدين نصر الله وعلى ولده صلاح الدين وقرر عليهم مالا وفيها تولى قاضي قضاة الشافعية العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الكفائي العسقلاني الشافعي وهو أول ولايته فنزل من القلعة الى بيته في موكب انتهى ذلك ٥ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثمانمائة فيها ابتدأ السلطان الملك الاشرف بعمارة مدرسته التي في خانقاه سرياقوس وقد تنهى في رخامها وزخرفها ثم عمل فيها خطبة ولم يعمل مثلها في ذلك المكان وكان أول من خطب فيها الشيخ عبد الرحيم الجوى الواعظ وقد قرره السلطان في الخطابة بل كان خطيبا في الاشرفية التي عند سوق الوراقين أيضا ٥ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة فيها خلع السلطان على الامير جقمق العلاقي واستقر امير اخور كبير عوضا عن الامير قصرو بن عثمان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان له يوم مشهود والله سبحانه وتعالى أعلم ٥ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فيها وقع الطاعون العظيم بالديار المصرية وكان هذا الطاعون مخالفا لبقية الطواعين فان عادة الطعن يقع في فصل الربيع وهذا وقع في وسط الشتاء واستمر يسلسل أربعة أشهر وكانت قوة عمله في الغرباء والاطفال والمماليك والعبيد والحوار فمات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم حتى قيل انتهى من مات في يوم واحد الى أربعة

وعشرين ألف جنازة حتى ضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضا وفي ذلك يقول
القائل

قد نقص الطاعون ثلث الورى * واهـ لآك الوالد والوالده

كم منزل كالشمع سـ كانه * اطفاءمو في نفخة واحد

وفي أول شعبان لم يمت غير طفل صغير مريض وارتفع الوباء بالكلية في ليلة واحدة
فسبحان الحي الذي لا يموت ولكن ما ارتفع حتى أدخل عدة أماكن ومات فيه من الأعيان
الملك الصالح محمد بن ططروس سيدي محمد ابن الملك الأشرف برسباي وجاءت الأخبار من
نغرا لاسـ كندرية بموت الخليفة العباس الذي تسلطن ومات هناك أحمد ابن
المؤيد شيخ قال الحافظ بن حجر لما كثرت الطاعون بمصر اجتمع أعيان العلماء بالجامع الأزهر
ودعوا الله برفعه فزاد أمر الطاعون ولم يتناقص ❀ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين
وثمانمائة فيها كسفت الشمس وقت العصر حتى ظهرت النجوم بالنهار واستمرت مكسوفة
نحو ساعة إلى قريب الغروب ❀ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فيها حضر إلى
البواب الشريف بعض التراكية وصحبتهم رأس الأتابكي جاني بك الصوفي قطعها بعض
التراكية الذين كان عندهم وأرسلها إلى السلطان ليحظى عنه بذلك فلما حضرت الرأس
رسم السلطان بان يطوفوا بها في القاهرة فطافوا بها ثم علقوها في باب زويلة ثلاثة أيام ثم رسم
السلطان بان ترمى في ميضة جامع الحاكم فرمى بها وبطل أمر جاني بك الصوفي ❀ ثم
دخلت سنة ست وثلاثين وثمانمائة فيها جاءت قصادقرا ملك إلى السلطان وطلعو إلى
القلعة وصحبتهم هدية للسلطان في جملة ما قرص من آفة مكففة بذهب ومن جملة ما خروف
باليدين وخلعة للسلطان محمل أحمر مرقومة بالذهب وبعض أثواب محمل وصورة برسم
الصيد فلما رأى السلطان تلك الهدية استقبلها وعز عليه أمر الخلعة ثم أنه عزم قصادقرا ملك
في البحيرة ثم حضر تلك الخلعة والبسم الشخص من الشهدارية وكان مضحكاً فرقص بها
قدام السلطان فضحك عليه ثم حضر ناراً وأحرق تلك الخلعة بحضرة القصادق وضح الخروف
ثم قال للقصادق استاذكم ان أراد ان يهدل أحد ايش يعمل فيه فقالوا له يرميه في الماء فرسم
السلطان برميهم في البحيرة فرموهم فيها فاقاموا ساعة ثم أطلقوهم فرسم السلطان
يقص أذناب خيلهم وقال لهم اخرجوا ساغروا في هذا الوقت وقولوا لالاستاذكم يلاقيني على
الفرات فلما جرى ذلك علق السلطان الجاليس ونادى للعسكر بالعرض وأخذوا في أسباب
الخروج إلى التجربة وقد أولوا الخروف بأنكم عندنا مثل النعاج والمرأة بأنكم مثل
النساء انظروا وجهكم في هذه المرأة وأولوا الخلعة بأنك نائب من تحت يدنا ثم ان السلطان

أنفق على العسكر وعين من الامراء أربعة مقدمين يقيمون بالقاهرة مع جماعة من الحجاب وعين جماعة من الامراء يتوجهون معه الى البلاد الشامية فلما انتهى شغل السلطان عزم على السفر وكان نائب الغيبة اقبغا المعروف بالتمرازي أمير مجلس وجماعة من الحجاب وبعض مماليك سلطانية وبرزخيامه الى نحو الريدانية ثم ان السلطان طلب وخرج من الميدان الذي تحت القلعة فكان في طلبه ما تافرس ملبسة بالبركستوانات الفولاذ والحرير الملون وكان فيه كجاوتان زركش وكان فيه خمسون فرسا بسروج ذهب وكنايش وكان له يوم مشهود بجوكب عظيم وكان صحبته أمير المؤمنين المعتض بالله داود والقضاة الاربعة وهم ابن حجر و بدر الدين العيني وشمس الدين البساطي ومحب الدين البغدادي الحنبلي وخرج معه سائر الامراء من الاكابر والاصاغر فأقام بالريدانية يومين ثم رحل وقصد التوجه الى نحو البلاد الشامية فكان له في الشام موكب عظيم وكذلك في حلب ثم خرج من حلب وقصد التوجه نحو آمد من ديار بكر فلما وصل الى هناك حاصره قلعة آمد أشد المحاصرة ونصب عليها عدة مناجيق فلم يقدر عليها فأقام هناك مدة فوقع في العسكر الغلاء فقلق من ذلك وكانت العوام تغنى وتقول في آمد رأينا العونه في كل خيمة طاحونة الغلام نهاره يطحن والجندى يجيب المونه فلما سمع المماليك ثارت أخلاقهم على السلطان وقصدوا الوثوب عليه هناك فخشى الملك الاشرف ان تقع هناك فتنة فلم يتبع بينه وبين قراملك واقعة ولا قابله فخشى بعض الامراء بين قراملك وبين السلطان بالصلح فأرسل اليه السلطان القاضي محب الدين بن الاشقر نائب كاتب السر فحلف قراملك أنه لا يتعدى على بلاد السلطان ولا يحصل منه فساد ثم ان السلطان قصد التوجه الى نحو الديار المصرية قيل ان السلطان صرف على هذه التجريدة من المال خمسة مائة ألف دينار ولم يظفر بطائل فلما رجع عاد قراملك الى ما كان عليه من العصيان ❀ (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثمانمائة) فيها عاد الملك الاشرف برسباي الى نحو الديار المصرية فدخل الى القاهرة في موكب عظيم وحملت على رأسه القبة والطير وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير حتى طلع القلعة وهو آخر من جرد من الملوك وخرج بنفسه الى البلاد الشامية فلما وصل السلطان خرج ولده المقر الجاالي يوسف الى تلقيه من العكرشة ❀ (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة) فيها خلع على المقر السيفي جقمق العلاني واستقر أمير سلاح ووفى الشيخ تقي الدين الحسيني شارح كتاب أبي شجاع على مذهب الامام الشافعي وفيها خلع على القاضي أمين الدين بن الهيصم واستقر في الوزارة عوضا عن كريم الدين بن كاتب المناجات ❀ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فيها استقر المقر السيفي

يحقق العلائق أتاتك العساكر بالديار المصرية وفيها تزايدت عظمة الملك الاشرف برسباي حتى صارت مماليكه المشتروات خمسة آلاف وفيها عمر السلطان الملك الاشرف تربته التي في الصحراء عند تربة الظاهر برقوق وجعل فيها مدرسة وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق في القاهرة وزينت له وفيها توفي الشيخ صلاح الدين الاقفهي وكان من أعيان العلماء ثم دخلت سنة أربعين وثمانمائة فيها شوش السلطان على أولاد الناس من أجناد الحلقة وصادرهم بسبب اقطاعاتهم وأخذ منهم على العبرة القديمة فصل لهم الضرر الشامل وكان المتكلم في ذلك المقر السيدي في أركاس الظاهري أمير دوا دار كبير فخار عليهم وحصل لهم منه غاية الضرر وكان سبب ذلك انه بلغ السلطان ان شامرخ بن عمر تلك تحرك على البلاد فقصده السلطان أن يجرد اليه بنفسه ثانيا فصادر أجناد الحلقة بسبب ذلك وفيها توفي الشيخ بدر الدين بن الدماميني المالكي المخزومي وكان من أهل العلم والفضل وله شعر جيد فن ذلك قوله في قاضي القضاة ناصر الدين التونسي المالكي لما ولاه أمر العقود في مبادئ عمره

يا قاضيا ليس يلقي * نظيره في الوجود

قد زدت في الفضل حتى * قلدتني بالعقود

وفيها كانت وفاة الشيخ زين الدين الخراط الاديب الفاضل وله شعر جيد ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وهو الطاعون الثاني الذي جاء في آخر دولته وكان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذي كان قبله فمات في هذا الفصل ما لا يحصى عددهم من ممالك وأطفال وجوار وعبيد وغير ذلك وفي هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

تغير في مصر الهواء باهلها * بدا وعليه صفرة ونحول
وسبح بها موت النسيم وكيف لا * وقد جاءه الطاعون وهو عليل

ثم ان الملك الاشرف برسباي مرض عقيب ذلك وسلسل في المرض فصل له ما ليخوليا وخفة عقل وزق فرسم بنى الكلاب الى برج الحيزة فصار كل من أمسك كلبا يأخذ له نصف فضة من صير في باب السلسلة فأمسك العياق من الكلاب نحو ألف كلب فنقوهم الى برج الحيزة ثم انه نادى بان امرأة لا تخرج من بيتها مطلقا كانت الغاسلة اذا أرادت التوجه الى ميتة تأخذ ورقة من المحتسب وتجعلها في رأسها حتى تمشي في السوق ثم انه نادى في القاهرة بان فلاحا لا يلبس زمطام مطلقا لا من كبير ولا صغير فامثل الناس ذلك ثم انه رسم بتوسيط الحكماء فوسط الرئيس خضر ووسط الرئيس شمس الدين بن العفيف واستمر على

هذه الخرافات الى ان مات فكانت وفاته في يوم السبت بعد العصر فبات بالقلعة وأخرجوه في يوم الاحد ثالث عشر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة ودفن بتربته التي أنشأها عند البرقوقية بالصحراء وصلى عليه العلامة ابن حجر ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة أيام فكثر عليه الحزن والاسف من الناس فان مصر كانت هادية في أيامه من الفتن والحروب التي كانت في الدول الماضية وقد قال القائل

والمرء كالظل ولا بد أن * يزول ذلك الظل بعد امتداد

قيل ان الملك الاشرف لما نقل في المرض احضر الحلقة الى داره والقضاة الاربعة وسائر الجند والامراء وحلف المماليك ثم أنفق عليهم لكل واحد ثلاثون ألفاً وعهد الى ولده يوسف بالسلطنة وجعل الاتابكي يحقق العلائق وصيا عليه ونظام المملكة ثم انه رسم بان يعاد الى أجناد الحلقة من أولاد الناس ما أخذ منهم بسبب الاقطاعات كما تقدم فرسم للاميرار كاس الظاهري بان يعاد الى كل واحد ما أخذ منه بالتمام والكمال ويكتب عليه شهادة بذلك فأعادوا الى أجناد الحلقة ما كان أخذ منهم وكان الملك الاشرف برسباي ملكاً جليلاً مجللاً في موكله وكان منقاداً الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقرهم وكانت معاملته أحسن المعاملات من أجود الذهب والفضة ولا سيما الاشرفية البرسبيهية فانها من خالص الذهب والى الآن يرغب اليها الناس في المعاملة وكانت صفة الملك الاشرف برسباي انه عربي الوجه طويل القامة أبيض اللون مستدير اللحية شائب الذقن حسن الشكل صبيح الوجه عليه سكتة ووقار ومهابة مع لين جانب وكان عنده معرفة بأحوال السلطنة كفاً للملك كثير البر والصدقات وله معروف وآثار لكنه كان عنده طمع زائد في تحصيل الاموال محباً لجمع الاموال من المباشرين وغيرهم ومما أنشأه من العمار في أيامه المدرسة التي عند سوق الوراقين والمدرسة التي في الصحراء التي دفن فيها والمدرسة التي في خانقاه سر يا قوس وعمر الوكالة التي في الصليبة والربعين اللذين بهما وله انشاءات كثيرة بالديار المصرية وغيرها وكان الامير حاسوك شاداعلى عمأمره وخلف من الاولاد صبيين وهما يوسف وأحمد وكان من أزواجه خوند جلبان وهي أم ولده يوسف وخوند فاطمة بنت الظاهر ططر وخوند بنت الاتابكي يشبك الاعرج وأرسل فأحضر بنت ابن عثمان ملك الروم لكنه لم يدخل عليها وكان خيار ماوله الجراكسة كما قيل في المعنى

قالوا فهل جاد الزمان بمثله * قلت الزمان بمثله لشحج

وأما من توفي في أيامه من الاعيان فهم قاضي القضاة الهزوي وقاضي القضاة علاء

الدين بن مغنى الحنبلى وقاضى القضاة التفهفى الحنفى والشيخ ناصر الدين الديرى الحنفى وابن النقاش من أعيان علماء الشافعية والشيخ شهاب الدين المقرئى المؤرخ والاتبكى بيبغا المظفرى وغير ذلك من الاعيان انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنه الملك العزيز أبى المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى

وهو الثالث والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو التاسع من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بوبيع بالسلطنة بعد موت أبيه الملك الاشرف فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وتسطن وله من العمر نحو أربع عشرة سنة وتلقب بالملك العزيز وأمه أم ولد بركسية تسمى جلبان فلما بايعه الناس بالسلطنة جلس على سرير الملك وجل الاتابكى بقمق القبة والطير على رأسه من باب الستارة الى القصر الكبير فلما جلس باس له الامراء الارض فاستقر بالاتابكى بقمق العلاق نظام الممالك وصاحب الحل والعقد ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فيها دبت عقارب الفتنة بين الاتابكى بقمق وبين الامراء الاشرفية وصاروا يعاكسون الاتابكى بقمق فيما يفعله من الامور وصار الملك العزيز مع بقمق مثل اللواب بدوره كيف شاء فليس له فى السلطنة غير مجرد الاسم فقط لا جل كتب العلامة على المراسيم وكان الاتابكى بقمق مع الامراء الاشرفية فى غاية الضنك وقصدوا قتله فى القصر عدة مرات ولولا أن فى أجهله فسحة لقتل من يوم مات الاشرف ثم ان جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية التفوا على بقمق وتعصبوا له فوثبوا على الملك العزيز والتف عليهم جماعة كثيرة من المماليك السيفية فوقعوا مع المماليك الاشرفية فلم تكن الاساعة من النهار حتى انكسر المماليك الاشرفية وأحاط بهم كل رزية فتشتوا وتفرقوا بيد النوى وتمزقوا فلما انكسروا وقع الاتفاق وتحقق على سلطنة الاتابكى بقمق فاحضروا الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة نخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا الاتابكى بقمق فكان الذى خلع الملك العزيز قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر فلما تولى الاتابكى بقمق رسم بأن العزيز يدخل الى دور الحرم ولم يسجنه بشعر الاسكندرية كمادة أولاد الملوك فاخلى له قاعة البربرية وأقام بها وكان قصد السلطان

يحمق بان يزوج الملك العزيز ويستم رسا كتابا بالقلعة فاصبر الملك العزيز ووقع منه ما سياتي ذكره في موضعه فكان كما قيل في المعنى

قد يدرك المتأني جل مقصده * وقد يكون مع المستعجل الزلل
فكانت مدة سلطنة الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباي بالديار المصرية ثلاثة أشهر وخمسة أيام كانها أضغاث أحلام انتهى ما أوردناه من أخبار الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباي وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد يحمق العلائي الظاهري

وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو العاشر من ملوك الجراكسة وأولادهم يبيع في السلطنة بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباي في يوم الاربعاء تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فحضر الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا يحمق ولقبوه بالملك الظاهر ثم أحضرت له خلعة السلطنة فلبسها من باب السلسلة وركب فرس النوبة وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفي قرقاس الشعباني أمير سلاح وقد تقدم انه حضر مع العسكر الذين كانوا في التجربة فلما ركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير جلس على سرير الملك ونودي باسمه في القاهرة وخرج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر في ذلك اليوم بالقلعة وفرح غالب الناس بتوليته لكونه كان رجلا دينا خيرا قليل الاذى (أقول) كان أصل الملك الظاهر يحمق بركسي الجنس جلبه الخواجا كزل فاشتراه منه العلائي علي بن الاتابكي اينال اليوسفي وقدمه الى الملك الظاهر برقوق فصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقي خاصيكيا ثم بقي ساقيا ثم أمسك وحبس في دولة الملك الناصر فرج ثم أطلق وصار أمير طب لخنانه خازن دار في دولة الملك المؤيد شيخ ثم مقدم ألف في دولة الملك الظاهر ططر ثم بقي حاجب الحجاب في دولة الملك الاشرف برسباي ثم بقي أمير اخو كبير ثم بقي أمير سلاح ثم بقي أتابك العساكر كل ذلك في دولة الملك الاشرف برسباي فلما مات الاشرف وتولى ابنه العزيز يوسف بقي يحمق نظام المملكة ومشيروها فبقي مع المماليك الاشرفية في غاية الضنك واقام على ذلك مدة يسيرة ثم تعصب له جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية وخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا يحمق فلما جلس على سرير الملك وتم أمره في السلطنة وبأس له الامراء الارض قبض في ذلك اليوم على الامير جوهر الزمام اللالا ومجنسه في

البرج بالقلعة ثم قرر في وظيفة الزمامية فيروز الساقى ثم توفي جوهر اللالا في أثناء ذلك من
الرجفة ثم عمل الموكب في القصر الكبير وخلع على من يذكرون من الامراء وهم المقر السيفي
قرقاس الشعباني واستقر به أتابك العساكر بمصر عوضا عن نفسه وقرره في اقطاعه وهو
نظام المملكة وزاد عليه امرية اربعين بدمشق وخلع على المقر السيفي أقبغا التمرازي واستقر به
أمير سلاح عوضا عن قرقاس الشعباني وخلع على المقر السيفي يشبك السودوني واستقر به
أمير مجلس عوضا عن أقبغا التمرازي وخلع على المقر السيفي تراز اقرمشی واستقر به
أمير اخور كبير عوضا عن الأمير جانم الاشرفي وخلع على المقر السيفي قراجا الحسني واستقر
به رأس نوبة النوب عوضا عن تراز اقرمشی وخلع على المقر السيفي تغرى بردى البكلمشي
الشهير بالمؤذى واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن يشبك السودوني وأقر المقر السيفي
اركاس الظاهري دوادا كبيرا على عادته كما كان في دولة الملك الاشرف برسباي فهذا كان
ترتيب الامراء المقدمين أرباب الوظائف في مبتدأ دولته ثم انتقلت الوظائف من بعد
ذلك الى جماعة من الامراء حسب ما يأتي ذكر ذلك في مواضعه عند انتقال الوظائف ثم ان
الملك الظاهر أنعم بتقادم ألوف على جماعة من الامراء وأنعم على جماعة بامريات طبخانات
وعلى جماعة بامريات عشرة وأرضى جماعة المؤيدية والناصرية بكل ما يمكن من ذلك ثم
انه أنفق على العسكر نفقة السلطنة وفرق الاقطاعات على المماليك السلطانية والمماليك
السيفية الذين كانوا سببا لسلطنته فأقام في السلطنة مدة يسيرة والامراء ساكنين ثم بات الناس
وأصبحوا وقد أشيع في ليلة عيد الفطر والناس في اضطراب أن الملك يوسف قد تسحب من
القلعة ونزل بعد المغرب في صفة صبي طباح وعليه ثياب رثة وعلى رأسه دست طعام وقد
لوث وجهه بسواد الدست فكان ذلك فالأعلى عليه فلما وصل الى باب القلعة ضرب به الطباح
الذي وراءه واستخفه في المشي فلما نزل من القلعة اضطربت الاحوال وكان مماليك أبيه
أوقعوه في هذه البلية فلما وقع تخلوا عنه وتبرأ كل أحد منه فكان كما قيل في المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالي أغا بواعنك أوزاروا

أخلاقهم حين تباهن أوعار * وفعلهم مأثم للسر أوعار

لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أوطاروا

ثم ان الملك العزيز استمر مختفيا نحو شهر والوالى في كل ليلة يكبس البيوت والحارات بسبب
الملك العزيز وصار كل من كان له عدو يكذب عليه فيكبسون بيته واستمر الناس في جرة نار
مطلوقة الى أن توجه الملك العزيز الى بعض الامراء فتم عليه فلما بلغ بلباي المؤيدى ذلك
وكان ساكنا في زقاق حلب جاء ماشيا وقبض على الملك العزيز وتوجه به الى باب السلالة
فانتم عليه السلطان بخمسمائة دينار وجعله أميراً بعين وقيد العزيز ودقت الكؤسات

تحت الابل بسبب ذلك فلما أصبح الصباح ونزلوا بالملك العزيز من القلعة توجهوا به الى
البحر ومضى الى الاسكندرية فسمجن بها وآخر الطب الكي وكم عجلة أعقبت ندامة وكان
قد دام الملك الظاهر أن يزوج الملك العزيز ويبقى ساكناً في القلعة فحاسب من عماليك أبيه
وحسنوا له الهروب حتى هرب وقد دخلوا في خطيئته برأيهم المعكوس وفي هذه الواقعة
يقول بعض الشعراء من أبيات

ولم يدخـلوه السجن الا مخافة * من العين أن تطرأ على ذلك الحسن
وقلنا له شاركت في الاسم بوسنا * فشاركه أيضاً في الدخول الى السجن

واستمر الملك العزيز في السجن مدة دولة الملك الظاهر حتى قتلها فلما كانت دولة الملك
الاشرف ايزال رسم للملك العزيز بالافراج وان يسكن في بعض دور الحرم بشغرا الاسكندرية
وان يركب الى الجامع وقت صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الملك الظاهر خشمقدم
فتوفي بشغرا الاسكندرية كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه ومن هنا يرجع الى أخبار دولة الملك
الظاهر حتى فانه لما رجع العسكر الذي كان قد توجه الى البلاد الشامية وحضر صحبة
العسكر المقر السيفي قرقاس الشعباني فوجد الملك العزيز قد تسلطن وكان قرقاس في
نفسه من السلطنة شئ فلما تسلطن حتى جعله أميراً كبيراً فاستمر على ذلك أياماً ثم لعب
الكرة مع السلطان فقصداً لاتبكي قرقاس أن يقبض على السلطان وهو يلعب الكرة فدنا
منه وأراد أن يقبض عليه وهو راكب على الفرس فانجذب منه السلطان وساق الى
الدهيشة فلما انقضت الكرة ونزل الامراء الى بيوتهم لبس الاتبكي قرقاس آلة الحرب
وطلع الى الرميلة فالتفت عليه جماعة من الامراء والمماليك السلطانية ولكن كان أكثر
الامراء والعسكر مع الملك الظاهر حتى فلما ركب قرقاس وطلع الى الرميلة وقف
بسوق الخيل فنزل السلطان الى باب السلسلة وجلس في المقعد المطل على الرميلة فلما
تسامعت الامراء الذين من عصابة السلطان طلع الى الرميلة تسعة أمراء مقدمون منهم
الامير بيغا الطيار والامير تغرباي والامير قراقجا الحسيني والامير يشبك السودي
والامير تغرازا القرمشي والامير تغري بردى المؤذي وغير ذلك من الامراء المقدمين وغيرهم
فأوقعوا مع قرقاس واقعة قوية فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد كسر الاتبكي قرقاس وهرب
واختفى في غيطة الذي عند الجزيرة الوسطى وسبب ذلك ان مملوكاً يسمى بلبان كان في باب
السلسلة فرر على قرقاس وضربه بسهم نشاب فجاء في يده نقرقهان وسط كفه فتألم لذلك
قرقاس وهرب من وقته وانكسر فلما بلغ ذلك السلطان أنعم على بلبان المذكور باقطاع
ثقل وجعله خاصيكاً ثم أقام في غيطة ثلاثة أيام وأرسل يطلب من السلطان

الامان فأرسل اليه بعض الامراء فطلع به الى القلعة فقيده السلطان وأرسله الى السجن
بشغرا الاسكندرية وخذت الفتنة ولم ينل قرقاس مقصوده فكان كما قيل في المعنى

يا خاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم

ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المآثم

ثم ان السلطان خلع على المقر السيفي أقبغا التمرازي واستقر به أتابك العساكر عوضا عن
قرقاس الشغباني وجعله أيضا نائب السلطنة وصار يحكم بين الناس وعلى يابه رأس نوبة
ونقباء وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية وكانت هذه الوظيفة قد بطلت من
أيام محمد بن قلاوون وكانت أكبر من الأتابكية ويخرج النائب الاقطاعات الخفيفة من غير
مشورة السلطان وفيها توفي قاضي القضاة المالكي شمس الدين البساطي وولى القضاء
البدر التونسي عوضه ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة هـ فيها جاءت الاخبار من
البلاد الشامية بان اينال الحكيم نائب الشام قد خرج عن الطاعة وأظهر العصيان وكذلك
تغرى برمش نائب حلب فعين السلطان لهم تجريدة ثم خلع على المقر السيفي أقبغا
التمرازي واستقر به نائب الشام عوضا عن اينال الحكيم وخلع على المقر السيفي بشبك
السودوني واستقر به أتابك العساكر عوضا عن أقبغا التمرازي فلما توجه العسكر الى
البلاد الشامية أوقعو مع النواب فانكسر النواب وأسروهم وقطعوا رؤسهم وأرسلوها
الى القاهرة فعلقوها على باب زويلة وقد وقع للملك الظاهر في أوائل دولته محن عظيمة منها
تسحب الملك العزيز من القلعة ومنها وثوب الاتابكي قرقاس عليه ومنها عصيان
النواب وحصل له غاية الاضطراب ثم انه أثبت على الاتابكي قرقاس كفرا وحكم به قاضي
القضاة المالكي شمس الدين البساطي ومن النوادر ما حكاه بعض المؤرخين ان الاتابكي
قرقاس هذا لما أرادوا ضرب عنقه وهو في السجن أحضر واه المشاعلى فضربه ثلاث
ضربات بالسيف فلم يؤثر فيه ذلك ففتشوه فوجدوا في مخم فضة وكان قرقاس أصله من
ممالك الظاهر برقوق وكان ضرب عنقه وهو بشغرا الاسكندرية في السجن ثم ان الملك
الظاهر صفاه الوقت من بعد ذلك وعاش في أرغد عيش ودام في السلطنة الى أن مات
على فراشه كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه فكان كما قيل في المعنى

لا تسأل الدهر في بأساء يكتفها * فلو أردت دوام البؤس لم يدم

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثمانمائة هـ فيها خلع السلطان على القاضي جمال
الدين بن البارزي واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية وكان القاضي جمال
الدين بن البارزي صهر الملك الظاهر بجمعق زوج أخته فرقي في تلك الايام الى الغاية وخلع
على القاضي جمال الدين يوسف بن كاتب حكيم واستقر به ناظر الخواص الشريفة على

عادته ثم قبض على القاضي عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة وصادره واستصفي أمواله
فاخذ منه نحو مائتي ألف دينار ثم نفاه الى مكة ثم نقله الى الشام ولما انفصل القاضي عبد
الباسط من نظارة الجيش استقر بهم القاضي محب الدين بن الاشقر عوضا عن القاضي عبد
الباسط وفيها عزل السلطان قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من القضاء وولى القاضي
علم الدين صالح البلقيني فقال القاضي شهاب الدين بن حجر

يا أيها السلطان لا تسمع * في أمر قاضيك كلام الوشاه
والله لم نسمع بان امرأ * أهدي له قط ولا قدر شاه

فأقام القاضي علم الدين البلقيني في قضاء القضاة مدة بسيرة وعزل عنها ثم أعيد ابن
حجر الى القضاء ثاني مرة ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثمانمائة هـ فيها كانت وفاة أمير
المؤمنين المعتضد بالله أبي الفتح داود بن المتوكل وكانت خلافته ثمانية وعشرين سنة
وشهرين وقد بايع في أيامه من السلاطين ستة وهم المظفر أحمد بن المؤيد شيخ والظاهر
طغر وابنه والاشرف برسبای وابنه والملك الظاهر رحمة ق ولما مات الخليفة داود نزل
السلطان وصلى عليه وكان كثيرا البر والصدقات وكانت وفاته في يوم الاحد رابع ربيع
الاول من هذه السنة وفي هذه السنة كان وفاة النيل في رابع عشر أيب وقد وقع مثل
ذلك في أيامه مرتين وفيها عزل البدر العيني عن الحسبة وتولى الشيخ علي العجمي الخراساني
وفيها توفي الشيخ تقي الدين المقرري المؤرخ والاصح انه توفي سنة ست وأربعين لافى السنة
المذكورة ولما مات المعتضد تولى من بعده أخاه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكفي
بأنه فقال الناس وورث سليمان داود ثم دخلت سنة ست وأربعين وثمانمائة هـ فيها من
الحوادث ان طائفة من العبيد السود خامروا على استاذهم وعدوا بر الجيزة فأقاموا هناك
وأظهروا العصيان وجعلوا لهم سلطانا ووزيرا وأميرا كبيرا واداروا وصار سلطانهم
يركب وعلى رأسه صبحق أصفر وحوله جماعة من العبيد نحو من خمسمائة عبد فصاروا
يفسدون هناك وينهبون ما يمر عليهم من غلال وغير ذلك فحصل للناس منهم غاية الاذى
فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم بعض الامراء معه جماعة من المماليك السلطانية فعدوا
اليهم وأوقعوا معهم فانهكسوا العبيد وأسر سلطانهم ومسك منهم جماعة وهرب الباقيون
ورجعوا الى القاهرة فوسم السلطان ونادى في القاهرة بان كل من كان له عبد كبير يطلع به
الى باب السلسلة ويقبض عنه اثني عشر دينارا فامتلأ الناس ذلك فاشترى منهم السلطان
جماعة وأرسلهم الى بلاد ابن عثمان ووسم بيدهم هناك فتوجهوا بهم في مركب وهم في
الخشب وباعوهم هناك وقطع جادة العبيد الشناترة من مصر وخذت تلك الفتنة التي
كانت بين العبيد انتهت وفيها كان قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي محتسب

القاهرة فكان يعزرها السوق بذهاب المال فن وجد في بضاعته غشاير سلها الى الحبوس
فيا كلها المحبوسون فكان يعزرها بذلك ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثمانمائة هـ فيها
تزايدت عظمة القاضى زين الدين أبى الحبير بن النحاس حتى صار وكيل بيت المال وناظر
الكسوة وناظر الجوالى فانفرد بالسلطان حتى قيل كان السلطان قصداً يزوج به باحدى
بناته وقد صار عزيز مصر في أيامه وأبطل كلمة جميع المباشرين واجتمعت فيه الكلمة وصار
صاحب الحل والعقد بمصر كما قيل في المعنى

يقول بيت المال لما رأى * تدبيره ذاك الجلى الجليل

الله أعطانى وكيلا رضى * فحسبى الله ونعم الوكيل

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثمانمائة هـ فيها أرسل السلطان خاف القاضى عبد الباسط
وكان منفيًا بمكة فلما حضر أكرمه السلطان وأقام في بيته بطالا وهو في غاية العز والعظمة
وكان يطلع الى السلطان في رأس كل شهر ويهني به فيكرمه السلطان ويده ظمه واستمر على
ذلك حتى مات وفيها وثب عماليك الامير تغرى بردى المؤذى عليه وهو في بيته فرموا عليه
بالنشاب وهو جالس في المقعد فهرب ودخل الى البيت وأغلق عليه الباب فاستمروا
يحاصرونه من أول النهار الى العصر واستمر من الطربة مريضاً الى ان مات فلما مات خلع
السلطان على الامير اينال العلاقى واستقر به دوا دارا كبيرا عوضا عنه ثم دخلت سنة
تسع وأربعين وثمانمائة هـ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية ومات فيه من الناس مالا
يحصى عددهم لكنه كان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى جاء في أيام الاشرف برسباى
وفيه يقول الشيخ شمس الدين التواجى

يا لها أهدى الى الخلق رجى * بوباء جم الثواب العظيم

قد شريت النفوس منا فخذها * بالرضا في قضاك والتسليم

وفيها كان مولد الشيخ جلال الدين بن الشيخ كمال الدين الاسيوطى وذلك في جلدى الآخرة
من تلك السنة وفيها توفي الاتابكي يشبك السودونى واستقر في الاتابكية اينال العلاقى
الاجرود وكان دوا دارا كبيرا واستقر بالامير قاتباى الجركسى دوا دارا كبيرا عوضا عن
الامير اينال العلاقى وفيها توفي الشيخ شمس الدين محمد القاياتى قاضى القضاة الشافعية
عوضا عن ابن حجر فقال الشهاب المنصورى في القاياتى تعصبا لابن حجر

ان كان شمس الدين قاياتيككم * مستثقل الحركات والسكات

لا غرو أن أضحي جباناً فى الورى * فالجبن منسوب الى القايات

وفيها تزايدت عظمة الامير زين الدين الحبى استادار العالية ورقى في أيام الملك الظاهر
هذا الى الغاية وهو صاحب الجامع الذى بالحلبانية والجامع الذى فى بولاق والجامع الذى

بين السورين وله عدة جوامع بمصر وغيرها وكان له حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان الملك الظاهر
منقادا له لا يسمع فيه مرافعة ولم يجئ بعده من يناطيه في الاستدارية بل كان آخرهم
ثم دخلت سنة خمسين وثمانمائة هـ فيها تغير خاطر السلطان على الامير جاني بك الظاهري
حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح فنفى الامير جاني بك
الى مغردمياط لامرأ أوجب ذلك وفيها رسم السلطان باعادة مولد سيدي أحمد البدوي بعد
ما كان بطل وفيها هجم الفيل الكبير على سايسه وقتله فلما بلغ السلطان رسم بقتل الفيل
وفيها حضر السلطان الامير خشة قدم الناصري من الشام فلما حضر انعم عليه بتقدمة
ألف ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثمانمائة هـ فيها تغير خاطر السلطان على الشيخ
برهان الدين البقاعي وقد وقف شخص وشكاه للسلطان فأمر بسجنه بالمقشرة وأخرج عنه
وظيفته في قراءة الحديث ثم نفاه الى الهند حتى شفيع فيه بعض الامراء ثم دخلت سنة
اثنين وخمسين وثمانمائة هـ فيها كانت وفاة الشيخ الصالح السيد الشريف الحسين
التسيب شمس الدين محمد الطباطبائي أعاد الله علينا من بركاته ودفن بالقرافة الكبرى عند
الشيخ فضل الله بن فضالة وفي هذه السنة كان مولد في يوم السبت سادس ربيع
الآخر من السنة المذكورة هكذا نقلته من خط والدي رحة الله عليه وفيها من الحوادث
ان السلطان رسم بسد خوخة الجسرا التي ببركة الرطلي لامرأ أوجب ذلك فصل عند الناس
اضطراب زائد بسبب ذلك ثم تكلم في ذلك الجمالي يوسف ناظر الخاص فرسم باعادة كل
شيء على حاله وفيها تولى قاضي القضاة الشافعية الشيخ شرف الدين يحيى المناوي وكان
قاضيا على القدر دينا خيرا من أهل العلم والصلاح وفيها من الحوادث ان شخصاً أعجمياً
يسمى الشيخ أسد الدين كان يدعى انه شريف ف جاء الى الشيخ على المحتسب وقال له أجمعني
على السلطان فاني أعرف صنعة الكيمياء فجمعه عليه فأوحى اليه انه يطبخ له كيمياء وان هذا
وجه حل فانطاع السلطان الى كلامه وأجرى عليه ما يحتاج اليه من اسباب ذلك وصرف
عليه جلة مال نحو من عشرة آلاف دينار ولم تصح معه الكيمياء فكان يأخذ الحريير الاحمر
بالارطال ويوقده في النار ولا يأكل شيئاً فيه روح فاتفق على الملك الظاهر جلة مال ولم يفد
ذلك شيئاً فكان كما قيل في المعنى

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث قوم باجتماعهما * وما أظنهما ككانا ولا اجتماعا

فأوحوا الى السلطان ان هذا يعبد النار وتحدثوا في حقه بكلمات كثيرة فارسله السلطان
الى المدرسة الصالحية فحكم فيه بعض نواب القاضى المالكي بدر الدين التونسي بانه كفر
فضر بواضعه تحت شباك الصالحية وكان له يوم مشهود ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

وعمامة **ف** فيما توقف النيل عن الوفاء ثلاثة أصابع وقيل أربعة وأقام على ذلك أياما لم
يزدشيا فرسم السلطان بأن يخرج الناس للاستسقاء فخرج القضاة الأربعة وأمير المؤمنين
المستكني بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحاء وأعيان الناس ولم ينزل السلطان فعز ذلك
على الناس وقد تقدم أن الملك المؤيد شيخ نزل بنفسه واستسقى مع الناس وكان عليه جبة
صوف أبيض فلم يوافق الملك الظاهر على ذلك ثم خرج أطفال المكاتب وعلى رؤسهم
المصاحف وخرج طائفة اليهود وعلى رؤسهم التوراة وخرج طائفة النصارى وعلى
رؤسهم الإنجيل وأخرجوا معهم بعض أبقار وأغنام وخرج معهم السواد الأعظم من رجال
ونساء وأطفال رضع والخلق يستغيثون بالله أرحمنا وكان يومًا تسكب فيه العبرات
فتوجهوا نحو الصحراء عند الجبل الأحمر وأحضروا هناك منبرا وكان قاضي القضاة
الشافعية يومئذ القاضي شرف الدين يحيى المناوي فصعد المنبر وخطب خطبة الاستسقاء
على جاري العادة فلما أراد أن يحول رداءه كما جرت به العادة في خطبة الاستسقاء سقط
الرداء إلى الأرض فتطير الناس من ذلك فلما رجعوا من الاستسقاء طلع ابن أبي الرداد
ومعه رايات زعفران ونادى بزيادة أصبع ففرح الناس بذلك وأنعم السلطان على ابن أبي
الرداد بمائة دينار بسبب هذه الزيادة ثم إن البحرة قص في تلك الليلة أصبعين ومن العتكت
اللاطيفة أن بعض العلماء خرج في بغداد ليستسقى بالناس وكان في السماء بعض سحب
وقت خروجه فلما خرج ودعا للناس ورفع يديه بالدعاء فقطع السحاب وصحت السماء من
الغيمة فجعل ذلك العالم ودفع إلى منزله وفي ذلك يقول بعض الشعراء

خرجنا نستسقى بفضل دعائه * وقد كاد سحب الغيم أن يلحق الأرض

فلما ابتدا يدعو تكشفت السماء * فخاتم الأوالسحاب قـد انفضا

فلما نزل البحر وقد بقي على الوفاء عماتية أصابع رسم السلطان بأن يكسروا السد دان زاد
البحر أو لم يزد **ف** كسروا السد فلم يجر الماء الا قليلا فدخل غالب الماء إلى بركة
القيل من البجيمون ثم نزل البحر من بعد ذلك ولم يزد شيئا فاضطربت أحوال الديار المصرية
وماجت الناس على بعضها وحصل الضرر الشامل وشرقت البلاد وعزت الأقوات وشحط
السعر في القمح والشعير والقول وسائر الحبوب وتزايد سعر كل شيء وتناهى سعر القمح
إلى خمسة أشرفية كل أردب ثم تناهى إلى سبعة أشرفية كل أردب وغلا سعر كل شيء من
البضائع حتى روي الماء وعم الغلاء سائر البلاد وشرقت غالب البساتين وماتت الأشجار
وماتت البهائم فلما جرى ذلك حول الأمر اعشونهم إلى يوتنهم ومعهم مما يليكهم ملبسة
خوف من العوام أن ينهبوا القمح ثم إن العوام رجوا القاضي أبا الخير بن النحاس وكيل
بيت المال وقد بلغهم عنه أنه قال للسلطان إن العوام يأكلون بذههم حشيشا وياكلون

فوقه باربعة أنصاف حلوى فالذى يأكلون به حلوى ياكلون به خبزاً فخرجوه وهو نازل من القلعة وخطفوا عمامته من على رأسه وأخذوا خواتمه من أصابعه ثم رجوا العلائق على بن القيسى محتسب القاهرة بسبب الخبز فانه وصل سعر كل رطل خبز نصف فضة وقامى صاحب أمين الدين بن الهيصم والامير زين الدين الاستاد ادرى هذه الغلوة من المماليك ما لا خيري فيه وصاروا يضربونهم ويرجونهم وتشهط اللحم والخبز وسائر البضائع حتى الروايا الماء واستمرت هذه الغلوة نحو سنتين وقد رثى بعض الشعراء الخبز لما عز وتشهط بقوله

قسماً بلوح الخبز عند خروجه * من فرنه وله الفداة فوار
ورغائف منه تروفك وهى فى * سحب الثفال ككأنها أقوار
من كل مصقول السوالف أحرار * خدين للشونيز فيه عذار
كالفضة البيضاء لكن يغتدى * ذهباً اذا قويت عليه النار
تلقى عليه فى الخوان جلالة * لا تستطيع تحمله الابصار
فكان باطنه بكفك درهم * وكان ظاهراً لونه دينار
ما كان أجهلنا بواجب حقه * لولم تبين لنا الاسعار
ان دام هذا السعر فاعلم انه * لاجبىة تبقى ولا معيار

ثم وقع الطاعون فى هذه السنة أيضاً بالديار المصرية ومات فيه ما لا يحصى عددهم من ممالك وأطفال وجوارى وعبيد وغرباء حتى قيل كان يموت فى كل يوم نحو عشرة آلاف انسان وفى ذلك يقول شمس الدين النواجى

رب نج الانام من هول طعن * قد قضى غالب الورى فيه نجبه
رخصت قيمه النفوس فأضحت * كل روح تباع فيه بجبه

وفى أواخر هذه السنة كانت وفاة القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة كان فكاك وفاته فى سادس شوال من السنة المذكورة وكان له بر ومعروف وفعل خير وأنشأ عدة مدارس بمصر ومكة والمدينة وبيت المقدس وكان له صحابة تطلع فى كل سنة برسم الحجاج المنقطعين وقطع من طريق العقبة وأرسل حجارين قطعوا منها ما كان يشوش على الحجاج وكان القاضى عبد الباسط عزيز مصر فى أيامه فلمامات تزوج الملك الظاهر بينته والله سبحانه وتعالى أعلم ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثمانمائة (١) فيها كانت وفاة شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الكنانى الشافعى رجة الله تعالى عليه وكانت جنازته مشهودة ولمامات لم يخلفه أحد من العلماء من بعده وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصورى بقصيدة منها

بكاك العلم حتى التواضعى * مع التصريف بعدك فى جدال

(١) فى الشذرات وغيرها ان وفاة ابن حجر كانت سنة ٨٥٢

وقد أضحى البديع بلا بيان * وقد سلفت معانيه الغوالى
 وقد درست دروس العلم حزنا * وقد ضل الجواب عن السؤال
 تنكرت المعارف في عياني * وتميزى غمدا في سوء حال
 وما عوضت من بدل وعطف * سوى تو كيد سقمى واعتلالى
 وكم جنت المنون على كرام * وجندلت الكمي بلا قتال
 فيا قبرا ثوى فيه تمى * فقد حوت الجبل مع الجمال
 سقا الله عيننا سلسيلا * وأسبغ ما عليك من الظلال

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثمانمائة هـ فيها وفاة أمير المؤمنين المستكنى بالله سليمان
 ابن المتوكل على الله محمد وكانت وفاته في يوم الجمعة ثاني المحرم من السنة المذكورة فكانت
 مدة خلافته نحو عشرين وللممات نزل السلطان وصلى عليه ومشى في جنازته حتى دفن
 عند أقاربه بالمشهد بالنفيسي ومات ولم يعهد لأحد من أخوته فلما كان يوم الاثنين خامس
 المحرم عقد السلطان مجلسا بالقصر الكبير وجع فيه القضاة الاربعة وهم قاضي القضاة
 الشافعية شرف الدين يحيى المناوى وقاضي قضاة الحنفية سعد الدين الديري وقاضي القضاة
 الحنابلة عز الدين الحنبلى وقاضي القضاة المالكية شمس الدين البساطى وكان المتكلم في
 ذلك المجلس القاضي كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر الشريف فلما تكامل المجلس
 وقع الاختيار على تولية حمزة بن المتوكل وكان أسن أخوته فولاه السلطان ثم ان القاضي
 كمال الدين بن المبارك البارزى استرعى السلطان مبايعة الخليفة حمزة واقبوه بالقائم بأمر
 الله ثم أحضر واله التشرىف فالبسوه ووزل من القلعة في موكب عظيم وقدمه القضاة
 الاربعة وأعيان الناس حتى وصل الى بيته وهو في غاية العظمة فكان أحق بقول القائل
 كل يهنك بالتشرىف محتفلا * يا من بأيامه المعروف معروف
 لكفى بك أختار الهنامه * فان قدرك للتشرىف تشرىف

ومن الحوادث ان السلطان رسم بحرق شخص خيال الظل جميعها وأبطلها ورسم
 بإبطال نوبة خاتون التي كانت تعزف بالقلعة بعد العشاء وفيها توفى العلامة قاضي القضاة
 بدر الدين محمود العيني الحنفى صاحب التاريخ البدرى ثم دخلت سنة ست وخمسين
 وثمانمائة هـ فيها توفى القاضي كمال الدين ابن القاضي ناصر الدين البارزى كاتب السر
 الشريف بالديار المصرية فلما أن توفى القاضي كمال الدين بن البارزى خلع الملك الظاهر
 على القاضي محب الدين بن الاشقر واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية عوضا
 عن القاضي كمال الدين بن البارزى وخلع على القاضي جمال الدين يوسف واستقر به ناظر
 الجيوش المنصورة مع ما يده من نظارة الخاص (أقول) كان القاضي كمال الدين بن البارزى

من أهل الفضل والعلم وله خط جيد وعبارة حسنة وكان له نظم رقيق وقد فاق والده
القاضي ناصر الدين البارزي ❀ ومن النكت اللطيفة قيل كتب القاضي ناصر الدين
البارزي تقریظا وقد استوفى إلى آخر الورقة فلما فرغ قالوا له لا بد من كتابة ولدك القاضي
كمال الدين على هذا التقریظ فأمره بأن يكتب تحت خطه ولم يبق من الورقة الا قدر اصبعين
فكتب القاضي كمال الدين تحت خط والده

مرت على فهمي وحلوا فظها * مكر وفا عسى أن أصنعها

ووالدي دام بقاء سودده * لم يبق فيه الا كمال موضعها

فاتطرا إلى حسن أدبه مع بلوغ القصد وحسن ما وقع له بالتورية مع تضمين اسمه وعدم
الحشو وحسن المقابلة بين الحلو والمر وهذا في غاية الرقة انتهى ذلك ❀ ومن الحوادث
في أيام الملك الظاهر رحمه الله أن البلاد لما شرقت رسم للقطيعين بان البلاد التي رويت من ماء
النيل في تلك السنة يأخذون عنها من الفلاحين القطيعة قطيعتين ففعلوا ذلك ومشى هذا
الامر ❀ ومن الحوادث في أيامه أن بركات أمير مكة كان قد أظهر العصيان فتوجه إليه
القاضي شرف الدين الانصاري فحضر صحبته فلما وصل نزل إليه السلطان ولاقاه من المطعم
فدخل صحبته وطلع إلى القلعة فخلع عليه وأكرمه وزالت تلك الوحشة التي كانت بينهما
❀ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثمانمائة فيها توقعك جسد السلطان ولزم الفراش وسلسل
في المرض فلما ثقل عليه الضعف أرسل خلف أمير المؤمنين القائم بالله حمزه والقضاة الأربعة
فلما حضروا عهد بالملك إلى ولده المقر الفخرى عثمان وخلع نفسه من السلطنة واستمر عليلا
ملازم الفراش إلى أن توفي في ليلة الثلاثاء رابع شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة
فغسلوه وكفنوه وصلى عليه الخليفة حمزة بالقلعة ونزلوا به من باب المدرج وتوجهوا به إلى
تربة قانباي الجركسي التي عند دار الضيافة فدفن هناك وكثر عليه الحزن والأسف من
الناس وقيل مات وله من العمر نحو إحدى وثمانين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية
والبلاด الشامية ومما مع ذلك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويوما وقيل يومين وكان ملكا
عظيما جليلا دينا خيرا متواضعا كريما يحب فعل الخير وكان عنده لين جانب يحب العلماء
وينقاد إلى الشريعة ويقوم إلى العلماء إذا دخلوا عليه وكان يحب الأيتام ويكتب لهم
الجوامك ولا يخرج أقطاع من له ولدا إلى ولده وكانت الدنيا في أيامه هادئة من الفتن
والتجارب وكان يحسن للامراء التراكم ويعطيهم العطايا الجزيلة فكانوا تحت طاعته في
مدة ولايته وكان الملك الظاهر طاهرا ذليلا عفيفا عن الزنا واللواط وكانت صفته معتدل
القامة غليظ الجسد دري اللون مستدير الوجه مستدير اللحية حسن الشكل عليه وقار
وسكينة مهيبا في العيون وكان فصيح اللسان بالعربية متفقا لها وله مسائل في الفقه عويصة

ترجع له فيها العلماء لكنه كان صاحب وديعة ماشية على قاعدة الاتزان عنده الدعوى لمن سبق وكان عنده حدة زائدة وبادرة في الامر ومن مساويه أنه كان عنده خرق في حق العلماء منها أنه سجن قاضي القضاة ولي الدين السقطي في المقشرة ومنها أنه عزز الشيخ شمس الدين الكاتب في وسط الصالحية وكان يكره جماعة الاشرف برسبای ونفي منهم جماعة ونفي أبا الخير بن الخاس الذي ما كان عنده أعظم منه وسجنه بالديلم أياما وسجن جماعة كثيرة من العلماء بالمقشرة وصادر القاضي عبد الباسط وأخذ أمواله وأثبت على الاتابكي قرقاس الشعباني كفرأوأرسل بضرب عنقه بشغرا الاسكندرية وأثبت على الامير يخشای كفرأوضرب عنقه وكان اذا سمع بأن أحدا يسكر ينفيه ويقطع جامكيتته ويخرج اقطاعه وغضب في وقت على النصاري فهدم جانباً من كائسهم وحجر على بيع النبيذ وكتب على اليهود والنصارى قسائم أن لا يعصروا خمراتهم كبس البيوت والحارات بسبب ذلك وأراق من الخور أشياء كثيرة ثم أمر بستخوخة باب الجسر التي عند بركة الرطلي فأقام مسدودا أياماً ثم رسم بفتحها وكان له أشياء كثيرة من هذا النمط بحسب الوسائط السوء وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان خيار ملوك الترك من الجرا كسة بالنسبة الى غيره من الملوك كما قيل في المعنى

ومن ذا الذي ترضى سبحانه كلها * كفى المرء فضلاً أن تعد معاييه

ولمات الملك الظاهر خلف من الاولاد ثلاثة صيياوينتين وهم الملك المنصور عثمان الذي تسلطن بعده وأما البنات فاحداهما من خوند التي هي بنت البارزي تزوجت بالاتابكي أزبك والاخرى تزوجت بالامير جانبك الظريف أولاً ثم تزوجت بالاتابكي أزبك بعد موت أختها وأما نسائه فخوند بنت البارزي أولاً وخوند بنت الامير جرباش الكرعى قاشق أمير سلاح وخوند بنت ابن عثمان وخوند الجركسية وتزوج بينت عبد الباسط ناظر الجيش وكانت دولته ثابتة القواعد وأما أمراءه الاتابكية فالامير قرقاس الشعباني أولاً ثم الامير اقبغا اتمرازي ثم الامير يشبك السودوني ثم الامير اينال العلاق وأما دوا دارياته فالامير اركباس الظاهري أولاً ثم الامير تغرى بردي المؤذى ثم الامير اينال العلاق ثم قانباي الجركسي ثم الامير دولاباى المؤيدى وأما قضاة الشافعية فالقاضي شهاب الدين بن حجر أولاً ثم القاضي علم الدين صالح البلقيني والقاضي شمس الدين القاياتي والقاضي ولي الدين السقطي والقاضي شرف الدين يحيى المناوى وأما قضاة الحنفية فالقاضي سعد الدين بن الديري وأما قضاة المالكية فالقاضي شمس الدين محمد البساطي أولاً ثم القاضي بدر الدين بن التونسى ثم القاضي ولي الدين الاموى وأما قضاة الجنبالة فالقاضي محب الدين العسقلاني أولاً ثم القاضي بدر الدين البغدادى والقاضي عز الدين الحنبلى وأما كتاب سره فالقاضي

بدر الدين بن مزهر أو لا والقاضي كمال الدين بن البارزي والقاضي محب الدين بن الاشقر من بعده وأما قطار جيوشه فالقاضي عبد الباسط أولاً ثم القاضي محب الدين بن الاشقر والقاضي جمال الدين يوسف بن كاتب حكيم وأما قطار الخواص الشريفة فالقاضي جمال الدين يوسف بن كاتب حكيم المذكور وأما وزرائه فالصاحب كريم الدين ابن كاتب المناجات والصاحب أمين الدين بن الهيصم وأما استداريانه فالأمير عبد الرحمن بن السكوير والأمير زين الدين يحيى وتولى غير هؤلاء جماعة لم تطل مدتهم بها فلم نذكرهم ههنا وأما من تولى الحسبة في أيامه فالقاضي محمود العيني والشيخ علي الجعي والعلاء علي بن القيسي وعبد العزيز بن محمد الصغير أيضاً وأما ولاية القاهرة في أيامه فنصور بن الطبلادى وجانى بك وقراجا وعلي بن القيسي وغير ذلك من الأتراك وغيرهم وأما من تولى في أيامه من الأعيان فهم الخليفة داود والخليفة سليمان وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي وقاضي القضاة ولي الدين السقطي الشافعي وقاضي القضاة محب الدين العسقلاني الحنبلي وقاضي القضاة بدر الدين البغدادي الحنبلي وقاضي القضاة بدر الدين التونسي المالكي وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي وهو صاحب التاريخ البدرى وكان العيني من أهل الفضل وله عدة مصنفات في علوم جليلة وكان له شعر جيد وفيه يقول بعض المواله هذه الأبيات المواليا وقد جمع فيها الفنون السبعة وهو قوله

فوما لدويت قاضي قد زجل شيني * بكان وكان امتدح بين الورى زيني
وانقل موشح مواليا بلاميني * فابحرا الشعر مجراها من العيني

وتوفي في أيام الملك الظاهر ولده المقر الناصري محمود وتوفي القاضي الوفاي وابن الجزري شيخ القراءات وتوفي الحافظ عبد الرحيم الجوى المحدث وتوفي شيخ الزهاد محمد بن سلطان والشيخ كمال الدين المجذوب والشيخ عبادة المالكي والشيخ شمس الدين الحنفي والشيخ أبو الفتح بن أبي الوفاء والأمير جوهر اللالا الزمام القنقباي الخازندار وتوفي في أيامه جماعة كثيرة من الأمراء المقدمين وأعيان الناس من الأكابر وتوفي في أيامه من الشعراء الشيخ تقي الدين بن حجة صاحب شرح البديعية توفي بحماه وتوفي الشيخ شهاب الدين بن مبارك شاه وكان من أعيان الشعراء وتوفي الشيخ شمس الدين بن كيل وكان له شعر جيد وتوفي البدر البشتكي من أعيان الشعراء وتوفي الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكيت وكان من أعيان الشعراء وقد رثاه الشهاب المنصوري حيث قال

رحم الله النواجي فقد * فقد الدنيا وأبقى ماروى

وانطوى في شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد النواجي

انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر بجمعة العلاقي الظاهري وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر سلطنة الملك المنصور أبي السعادات نحر الدين عثمان ابن الملك الظاهر جقمق العلائي

وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد يبيع بالسلطنة بعد خلع أبيه من السلطنة في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة تسلمن وله من العمر نحو تسع عشرة سنة وكانت أمه أم ولد رومية الجنسية فليس خلعة السلطنة من الدهيشة وركب وتوجه إلى القصر الكبير والاتبكي اينال العلائي حامل القبة والطير على رأسه فلما جلس على سرير الملك باستله الامراء الارض ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضح له الناس بالدعاء هذا كله ووالده الظاهر في قيد الحياة فاقام اثني عشر يوما حتى توفي والده فلما تم أمره في السلطنة خلع على الامير عمر بغا واستقر به دوا دارا كبيرا عوضا عن الامير دولانباي المؤيدي ثم انه قبض على الامير زين الدين استادار وكان بينه وبينه حفظ نفسه من أيام والده فلما قبض عليه لم يرث له وسلمه إلى الامير فيروز الزمام ثم خلع على الامير جاني بك نائب جدة واستقر به استادار عوضا عن زين الدين ثم نقل زين الدين من عند فيروز الزمام وسلمه إلى الامير جاني بك نائب جدة فعاقبه وأحضر إليه المعاصير وعصره في أركابه حتى كسرها واستخرج منه نحو أربعين ألف دينار واستقر في العقوبة أياما وفيه يقول بعض الشعراء

أخبار زين الدين قد شاعت بها * أعداؤه بين الوري تتعهد

لا غروا نهم بالغوا في عصره * فالكرم بعصره والجواد يقيد

ثم إن الملك المنصور أخذ في أسباب تفقته على العسكر ولم يكن في الخزائن شيء من المال قيل خلف الملك الظاهر جقمق في الخزائن من المال ثلاثين ألف دينار لا غير فشكل ذلك إلى القاضي جمال الدين يوسف ناظر الخصاص فقال على ذلك ثم ضرب دنانير ذهب ينقص كل دينار عن الاشراف قيراطين وسميها المناصرة فضرب منها جلة كثيرة وأراد أن ينفق ذلك على العسكر ولما كان يوم الاثنين مستهل ربيع الاول من سنة سبع وخمسين وثمانمائة وثب المماليك الاشرفية والمؤيدية والتف عليهم جماعة من المماليك السيفية فلما وثبوا توجهوا إلى بيت الاتبكي اينال العلائي فأركبوه غصبا وأتوا به إلى البيت الكبير الذي عند حدة البقر فلما استقر به أرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر أخذ في أسباب خلع الملك المنصور عثمان فكتبوا محضرا وشهد فيه جماعة

الخاصكية بما يوجب خلعه فخلع من السلطنة وبويع الاتابكي اينال بالسلطنة واستمر
الحرب ثانيا بين القرينين من يوم الاثنين الى يوم الاحد سابع ربيع الاول فانكسر الملك
المنصور عثمان في ذلك اليوم وكان الملك المنصور ارسل يحضر عربا من الشرقية وعربا من
من البحرية فغنه من ذلك الامير قانباي البحر كسي وممكنه من ذلك وقال تطمع العرب في
الترك ولا زال اينال يحاصر الملك المنصور وهو بالقلعة وقطع عنه الماء ومنع عنه الاكل
حتى ضجروا وانكسر فلك اينال باب القلعة وولوا الظاهرية منه زمين كلهم لم يكونوا فلما
تسلطن اينال قبض على الملك المنصور وقيده وسجنه بالبحرة وهو مقيد فاقام به الى يوم
الاحد ثامن عشرين ربيع الاول فأنزلوه من القلعة من باب القرافة وهو مقيد الى أن وصلوا
به البحر فأنزلوه في الحراقة وتوجهوا به الى السجن بشعر الاسكندرية وكان المتسفر عايشه
الامير خير بك الاشقر امير اخور ثاني فلما وصل الى الاسكندرية سجن بها ورجع الامير
خير بك فكانت مدة سلطنة الملك المنصور عثمان ثلاثة وأربعين يوما وكانت كسنة من
النوم أو يوم أو بعض يوم كما قيل في المعنى

فلم يقم الا بقدر امان * قلت له أهلا أنتي مرحبا

واستمر الملك المنصور بشعر الاسكندرية الى دولة الملك الظاهر خشق قدم فرسم له بالاطلاق
وأن يسكن في بعض دور الاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة
الاشرف قايتباي فنقله الى ثغر دمياط وكان يركب ويتصيد ثم طلب من السلطان اذنا بان
يجب فانهم له بذلك فحضر الى القاهرة وطلع الى القلعة فأكرمه السلطان وخلع عليه ثم أقام
له بركا وسنجا وتوجه الى الجزار فج وعاد الى القاهرة وأقام بها نحو من شهرين ففي هذه المدة
كان يطلع القلعة ويضرب الكرة مع السلطان ورسم له السلطان بان يتوشح بيند أصفر
حين يلعب الكرة فكان في غاية العز والعظم وكان الملك الاشرف قايتباي مملوك أبيه
الظاهر جقمق والاتابكي مملوك أبيه وصهر زوجه أخته وسائر الامراء الظاهرية مملوك
أبيه وكان الاتابكي تراز الشمسى متزو جابنت الملك المنصور فساعدته الاقدار
من كل جانب ثم رسم له السلطان بالعود الى ثغر دمياط وأقام فيها حتى توفي بها أثناء
دولة الملك الاشرف قايتباي ونقل بعد موته من دمياط ودفن في تربة أبيه الملك الظاهر
ومات الملك المنصور وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان كريما سخيا ليل الجانب
انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق العلاق وذلك على سبيل
الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابي النصر سيف الدين اينال العلائي الظاهري

وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم يبيع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر بقمق وذلك في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتلقب بالملك الاشرف وقد تقدم أن جماعة من الاشرفية والمؤيدية والمماليك السيفية لما توبوا على الملك المنصور توجهوا الى بيت الاتابكي اينال وأركبوه غصبا وأتوا به الى حجرة البقر في بيت قوصون فجلس به وأرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر قام في سلطنة الاتابكي اينال غاية القيام وخلع الملك المنصور من السلطنة قبل أن ينكسروا يبيع الاتابكي اينال ونودي باسمه في القاهرة واستمر الحرب ثأرا بينهم سبعة أيام وقتل في هذه المدة من الناس ما لا يحصى وآخر الامر انكسر الملك المنصور ومات اينال باب السلطنة فلما استقرت سباب السلطنة بعث جماعة من الاشرفية قبضوا على الملك المنصور وقيدوه وأدخلوه البصرة وقبضوا على جماعة من الظاهرية فبات ليلة الاثنين في باب السلطنة فلما كان يوم الاثنين حضر اليه شعار الملك وأفيض عليه وقدمت له فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وحملت القبة والطير على رأسه وولده الشهابي أجدو مشيت قدما معه الامراء حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وبأس له الامراء الارض ودقت له البشائر بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وارتفعت الاصوات بالدعاء له من الخصاص والعام (أقول) وكان أصل الملك الاشرف اينال بحر كسي الجنس جلبه الخوارجاء الدين على فاشتراه منه الملك الظاهر برقوق وصار من جملة مماليكه فلما توفي الملك الظاهر برقوق وتولى بعده ابنه الناصر فرج أعنته وأخرج له خيلا وقاشا وبقي جدارا ثم بقي أمير عشرة في دولة الملك المنظر أحمد ابن المؤيد شيخ ثم بقي أمير طبخا نام رأس نوبة ثاني في دولة الملك الاشرف برسباي ثم بقي نائب غزوة مع الاشرف برسباي ولما توجه الى آمد جعله نائب الرها وذلك في سنة ست وثلاثين وثمانمائة ثم حضره الاشرف برسباي الى القاهرة وأنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت نيابة الرها بيده زيادة عن التقدمة ثم نقله الاشرف الى نيابة صفد وخرج اليها في سنة أربعين وثمانمائة واستمر بصفد الى دولة الظاهر بقمق فبعث خلفه فلما حضره قرره في تقدمه تغري بردي المؤذي فلما توفي الاتابكي يشبك السودوني قرر في الاتابكية عوضا عن يشبك السودوني وذلك في سنة تسع وأربعين وثمانمائة واستمر على

ذلك حتى توفي الظاهر بجمع قوتى ابنة الملك المنصور عثمان فوثب عليه العسكر
وتوجهوا الى بيت الاتابكي اينال فاركبه وغصبا و أقام الحرب ثاترا بينهم سبعة أيام فلما
انكسر المنصور وقع الاتفاق على سلطنته فسلطنته وتلقب بالملك الاشرف فلما تم أمره
في السلطنة وجلس على سرير الملك أخذ في تدبير أمره واصلاح شأنه ثم انه عين الاتابكية
لولده المقر الشهابي أجد فعر ذلك على الامراء فقرر فيها ثاني بك البردكي وخلع عليه وأقره
في الاتابكية عوضا عن ولده وأنعم على ولده الشهابي أجد بتقديم ألف ثم عمل الموكب وخلع
على الامير خشقدم وقرره أمير سلاح عوضا عن تنم بن عبد الرزاق وخلع على طوخ
بوتى بازق وقرره أمير مجلس وخلع على قرقاس الجلب وقرره رأس نوبة النوب عوضا
عن اسنبغا الطيار وخلع على چرباش كرت وقرره أمير اخور كبير عوضا عن قاني باي
الچركسي وخلع على يونس الاقبای المؤيدى وقرره في الدوا دارية الكبرى عوضا عن
تمر بغا الظاهري وخلع على جان بك القرمانى وقرره حاجب الحجاب عوضا عن خشقدم
الناصرى وخلع على تمر ازالايناى الاشرفى وقرره في الدوا دارية الثانية عوضا عن اسباى
وخلع على جاني بك القجماسى الاشرفى وقرره في شادية الشراب خاتنه عوضا عن لاجين
الظاهري وخلع على خير بك الاشقر وقرره أمير اخور ثاني وخلع على جانبك نائب جدة
واستمر متحدثا في الاستادارية وخلع على قاني باي الاعمش وقرره في نيابة القلعة وخلع على
يونس العلاقى وقرره في نيابة الاسكندرية وخلع على يشبك الناصري وقرره رأس نوبة ثاني
وأنعم على جماعة من الامراء بتقدّم ألف منهم ارنبغا اليونسي وبرسباى الججاسى وغير ذلك
من الامراء ثم أنعم بامرية طبخانات وعشراوات على جماعة كثيرة من الامراء منهم جانبك
الطريف وقرره في الخاندارية الكبرى عوضا عن ازبك بن ططخ وأنعم على بردك زوج
ابنته بامرية عشرة وقرر يشبك الاشقر في استدارية الصحبة عوضا عن سنقر أحد الامراء
الظاهريه ثم انه شرع في ارسال الملك المنصور الى نغرا الاسكندرية فنزل به من باب الدرفيل
وهو مقيد فتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها بعد ان أنزلوه الى البحر في الحراسة وتوجهوا
به وكان المتسفر عليه خير بك الاشقر أمير اخور ثاني فسجنه ورجع ثم أنزل من قبض
عليه من الامراء وهم تنم بن عبد الرزاق أمير سلاح وقاني باي الجركسي أمير اخور كبير
وتمر بغا الدوا دار الكبير ولاجين شادا الشراب خاناه وازبك بن ططخ خازن دار كبير
وسنقر العايق وجانم الساقى وجاني بك البواب وسودون الافرم فتوجهوا بالجميع الى نغرا
الاسكندرية فسجنوا بها وهم في قيود حديد وفي ربيع الاول ابتدأ السلطان بتفرقة
النفقة وهي نفقة البيعة على الجند وكانت قد ضربت قبيل ذلك وهي الدناير المناصرة
تنقص عن وزن الاشرفى قيراطين من ذهب وكان القائم في ذلك ناظر الخاص يوسف

فلما قسطنطين اينال ضربت باسمه وأنفقها على الجند وجلس السلطان للتفرقة على الجند
فأنفق على جماعة من الجند مائة وعلى جماعة منهم خمسين دينارا وعلى جماعة منهم خمسة
وعشرين دينارا وعلى جماعة عشرة دنانير وهو أول من شح في نفقة البيعة وميز الجند بعضا
على بعض فكلّمه بعض الامراء في ذلك فأجاب بان الامير يترغبوا الدوا دار رتب ذلك في قوائم
في دولة المنصور وقدمضى ذلك على هذا الحكم فاتبغى الزيادة على ذلك والخزائن مشحونة
من المال وان هذا القدر ما تحصل الامن المصادرات من ناظر الخايس يوسف وزير الدين
الاستادار وغير ذلك من المباشرين وهذا أول تصرفات اينال في أحوال أمور المملكة في
الولاية والعزل وفيه توفي جقمق الشبكي الخاصكى أحدم على الرح وكان ترشح أمره
الى نيابة القلعة بمصر وكان شجاعا معة دما في الحرب جرح في هذه الواقعة واستمر ملازما
للفراس حتى مات وتوفي الشيخ على الرفاعي شيخ المدرسة الاشرفية أشرفية برسباى التى
بالعصراء وتوفي شمس الدين الابح كاتب الممالك وتوفي الامير أرنبغا اليونسي الناصرى
الذى تقرر في مقدمة الاف وتوفي جانبك الوالى الزرد كاش الكبير وكان من عماليك
يشبك الحكيم فلما مات خلع السلطان على نور كار الحاجب الثانى وقرر في الزرد كاشية
الكبرى عوضا عن جانبك الوالى وقرر في الجوىبة الثانية سمام الحسنى وقد قرر السلطان
جماعة كثيرة من الاشرفية البرسبيهية في عدة وظائف سنية وقرر منهم جماعة كثيرة رؤس
نوب حتى بلغ عدتهم في أيام دولته فوق الخمسة والعشرين أميراً رأس نوبة وقرر عدة دوا دارية
فوق عشرة أنفار وعدة سقاة وبوابين وقرر الاقطاعات على غالب الممالك الاشرفية وقبض
على جماعة كثيرة من عماليك الظاهر ونفى منهم جماعة من أعيانهم الى بلاد الشام ونفى
منهم جماعة الى الوجه القبلى نحو قوص فاستقامت أموره في السلطنة وثبتت قواعده دولته
واستمر في السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك وفي ربيع الآخر قدم جانم
الاشرفى الذى كان أميراً خور كبير ونفى الى صفد وحضر جانم بك قلقسيرا الاشرفى الذى
كان نفي الى طرابلس فحضر من غـ ير اذن فأنتم عليه السلطان بأمرية عشرة وفيه جلست
نفقات الامراء اليهم على جارى العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من عماليك
القاضى عبد الباسط يقال له لبيان فوسطه ومعه اثنان من أصحابه وسبب ذلك أنهم كانوا
يحضرون عندهم بنات الخطافا ذابتن عندهم يقتلونهن ويأخذون ما عليهن من القماش
ففعوا ذلك غير مرة حتى غمز عليهم فاشهروهم في القاهرة وقد امهم أقفاص جالين فيها
عظام الاموات التى كانوا يقتلونها من النساء وكانهم يوم مشهود وفيه قرر في قضاء
الشافعية بحلب القاضى تاج الدين عبد الوهاب ودرى عنها الزهرى وفيه عقد السلطان
لولده المقر الشهابى أحمد على بنت الامير دولات باى الدوا دار الكبير وفي جادى الاولى توفي

الشيخ سراج الدين عمر التبانى الحنفى وكان عارفاً بقن علم الرمل وله فى ذلك يد طائلة وكان من خواص المؤيد شيخ وكان رئيساً حشماً وله شهرة زائدة وفيه قبض السلطان على قراجا الخازندار وكان من المقدمين الالوف ورسم باخراجه الى القدس بطالوا ولم يكن له ذنب غير انه أخذوا منه التقة مدة وقرر وافيها جانم الاشرفى وفيه قرئ تقليد السلطان بالقصر على العادة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فلما انتهى المجلس خلع السلطان على الخليفة والقضاة ونزلوا الى بيوتهم وفيه توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم البغدادي وكان عالماً فاضلاً معظماً عند الناس وأرباب الدولة وله حرمة وافرة ومولده سنة احدى وثمانمائة وكان أعور يا حدى عينيه ولكنه كان من أعيان علماء الحنابلة من أهل الفضل وقد قال فيه بعض الشعراء يدا عبه

ورب أعمى قال فى مجلس * يا قوم ما أصعب فقد البصر

أجابه الاعمـور من خلفه * عندى من دعواك نصف الخبر

فلما مات خلع السلطان على الشيخ عز الدين الكفانى ابن قاضى القضاة برهان الدين ابن قاضى القضاة محمد الدين بن نصر الله وقرر فى قضاء الحنابلة بمصر عوضاً عن قاضى القضاة بدر الدين البغدادي بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار بقتل سونجىغا اليونسى وتغرى بردى القلاوى وكان كاشف الوجه القبلى وكان قرر فى الوزارة فى أواخر دولة الظاهر بجمع أخذ الوزارة عن أمين الدين بن الهيصم وكان فرج بن النحال ناظر الدولة يومئذ وكان أصله من مماليك الظاهر بجمع فتوجه سونجىغا للقبض عليه فتخافقا وهما على الخيل فقتل كل منهما صاحبه بالخنجر فماتا معاً فى يوم واحد وكان سونجىغا من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان من جملة أمراء الطبليخانات وسافر أمير الحاج غـير مرة وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على برسباى المؤيدى باقطاع تغرى بردى القلاوى وقرر بلباى الاينالى فى امرية سونجىغا وفيه توفى الشيخ محب الدين أبو القاسم محمد النورى المالكي وكان من أعيان علماء المالكية وكان ذكر للقضاء غير ماهرة ولم يتم له ذلك ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه قرر فى تقديمه المماليك الطواشى لؤاؤ الروى الاشرفى وصرف عنها مرجان العادلى وفيه قرر فى كشف الوجه القبلى قراجا العمرى عوضاً عن القلاوى وفيه توفى الشيخ عز الدين التكرورى المالكي وكان عالماً فاضلاً أديباً بارعاً وكان له خط جيد وشعر رقيق فمن ذلك قوله

لما شغفت بتاسخ ناديتـه * فى ميم تغرك تشد الاشعار

نادى فلام الخـد قلت محققا * ريحان خدك ما عليه غبار

وكان مولده سنة احدى وستين وسبعمائة وفيه قدم القاضى محب الدين بن الشحنة الى القاهرة من غير طلب فاراد السلطان أن يرده الى حلب فأوعده بمال فأذن له بالدخول الى

مصر فدخل على كرم من الجبل إلى يوسف ناظرًا لخاص وفيه توفي الأمير قانصوه النوروزي
وكان من أعيان الرماة بالشباب مشهورًا بالفروسية بين الأتراك وفي جلدى الآخرة
توفي الأمير دولاباى المحمودى المؤيدى أمير دوا دار كبير كان وكان أصله من مماليك
المؤيد شيخ وكان حج في تلك السنة فلما عاد قبض عليه الملك المنصور وبعث به إلى السجن
بشعر الاسكندرية فلما تسلطن الأشرف أيتال رسم بالأفراج عنه فحضر إلى القاهرة
وقرر في مقدمة ألف فأقام مدة يسيرة وتوفي وكان أميرًا جليلًا عارفًا بأحوال المملكة
سيوسافى أفعاله ومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان منهمكًا في لذات نفسه يميل إلى شرب
الراح وحب الملاح وهو والد السيدى عمر وكان لا بأس به ولما مات قرر في تقدمته خير بك
المؤيدى المعروف بالأجرود وقرر قايتباى المحموى في مقدمة ألف بدمشق وهى مقدمة
قانصوه النوروزي وفيه خرجت تجريدة إلى البحيرة بسبب فساد العربان وكان باش
العسكر طوخ باني بازق أمير مجلس وفي رجب رسم السلطان بدوران المحمل وفودى في
القاهرة بالزينة وكان له مدة وهو بطل فسا قوا الرماحة في تلك السنة وكان جاني بك
الظريف هو باش الرماحة وفيه قرر القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر في نظر الاصطبل
وقرر القاضى محب الدين بن الشحنة باستمراره في قضاء حلب وتوجه إلى حلب وفيه تزوج
الأمير جاني بك الظريف بنت الملك الظاهر بجمعته وهى أخت زوجة الأمير أربك بن
طاطخ وفيه جاءت الأخيار بقتل قشم المحمودى الناصرى كاشف البحيرة قتله عربان البحيرة
غدرًا فلما قتل قشم قرر عوضه في كشف البحيرة حسن الدنكرى وفيه كان وفاء النيل
المبارك وقد أوفى ثالث عشرى مسرى فنزل لكسره المقر الشهابى أحمد ابن السلطان
وكان له يوم مشهود وهو أول فتحة للسدد وفي شعبان كانت وليمة عرس خوند فاطمة
بنت السلطان على الأمير يونس البواب أمير دوا دار كبير وكان مهمًا حافلًا بالقلعة وأقام
ثلاثة أيام متوالية ثم نزلت في محفة إلى دار زوجها وكانت ليلة حافلة عند نزولها
من القلعة وفيه جاءت الأخبار بوفاة نائب صفة ديغوت بن صفر خجالي المؤيدى المعروف
بالاعرج وكان أميرًا جليلًا ولي نيابة حماء ونيابة صفة ثم سجن ثم عاد إلى صفة ومات بها
وفيه نارت فتنة كبيرة وركب المماليك وطلعو إلى الرملة واضطربت الأحوال وسبب
ذلك أن المماليك طلبوا من السلطان نفقة البيعة وقالوا إن الذى قد أنفقها السلطان إنما
هى نفقة الملك المنصور ونحن نطلب من ذلك نفقة ثانية فبعث يبعث نذر إليهم ويقول لهم
إن الخزائن خالية من المال وهذه النفقة من المصادرات لجماعة من المباشرين فسكنت
الفتنة قليلا وكانت هذه تعلية من المماليك السيفية وفي رمضان جاءت الأخبار بوفاة
جعفوس الناصرى نائب بيروت وفيه اختفى صاحب أمين الدين بن الهيصم فلما

اختفى خلع السلطان على سعد الدين فرج بن النحال كاتب الممالك وقرره في الوزارة عوضاً
عن ابن الهيصم وكان عين للوزارة ناظر الخاص يوسف فاستعفى من ذلك فقرر بهما سعد
الدين فرج وقرر عوضه في كتابة الممالك ابن عمه عبد الرحمن وفيه خلع السلطان على
اياس الطويل وقرره في نيابة صندعوضا عن يبعوت الناصري وكان اياس الطويل أتابك
العساكر بطرابلس وكان خشداش السلطان وقرر في أتابكية طرابلس حطط الناصري
وكان من العسراوات بطرابلس وقرر في امرية حطط جاني بك المحمودي المؤيدي وكان
منشياً بطرابلس وفيه توجه القاضي عبد الكافي بن الذهبي كاتب السر بدمشق وكان من
أعيان الدماشققة حسن الخط والعبارة وفي شوال كان العيد يوم الجمعة وخطب مرتين
فلهج الكثير من الناس بزوال السلطان فلم يصح ذلك وفيه قرر جاني بك في نيابة جندة
على عادته وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جاني بك الظريفي وأمير
ركب الاول عبد العزيز بن محمد الصغير وكان لهما يوم مشهود وفيه اختفى زين الدين
الاستادار وكان الاشرف اينال لما استعفى منها جاني بك نائب جندة خلع السلطان على زين
الدين وولاه الاستادارية على كره منه فلما اختفى خلع السلطان على العلائي على بن محمد
الاهناسي وكان برددار بالمفرد عند زين الدين الاستادار ثم كان استاداراً عند المقر الشهابي
أحمد بن الملك الاشرف اينال فلما غيب زين الدين سعى في الاستادارية الكبرى فخلع
عليه السلطان وولاه الاستادارية عوضاً عن زين الدين وهذه أول عظمة العلائي على بن
الاهناسي وفيه وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان يخبر السلطان بفتح القسطنطينية
العظمى وقد صنع المكاييد في فتحها وكان الفتح في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى
الاولى من هذه السنة فلما بلغ ذلك دقت البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة ثم ان
السلطان عين برسباي أمير اخورثاني رسولاً الى ابن عثمان يهنئهم بهذا الفتح العظيم فخرج
برسباي وتوجه الى بلاد ابن عثمان وفي ذى القعدة لبس السلطان الصوف في سادس هاتور
القبطي وقد جعل السلطان بلبسه وفيه خلع السلطان على محب الدين بن الشحنة وقرره
في كتابة السر بمصر وصرف عنها محب الدين بن الاشقر وهذا أول عظمة ابن الشحنة بمصر
وكان قرر في قضاء الحنفية بحلب فتسكسل عن التوجه الى حلب وسعى في كتابة السر حتى
قرر بها وفيه خرج المقر الشهابي أحمد ابن السلطان الى الرماية وصحبته خشقدم أمير سلاح
وبرسباي الجباسي فلما عاد زينت القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه توفي الشيخ الصالح
المعتقد سيدي درويش الرومي الاقصراني نزيل الخائسكة وكان من الصالحين وظهرت له
كرامات خارقة وفيه توفي القاضي ضياء الدين بن النفيسي الشافعي الحلبي كاتب السر
بحلب وكان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وفيه قرر شمس الدين محمد بن أصيل في نظر

الجوالى عوضا عن شرف الدين الانصارى وفيه طلع شخص الى السلطان وأخذ به بان في
زيادة جامع الحاكم صندوقا من البلور فيه أوراق تدل على خبيثة في الجامع من أعظم الخبايا
فامر السلطان القاضي ناظر الخاص يوسف أن يتوجه الى هنالك فتوجه وحضر قاضي
القضاة علم الدين الباغبني واجتمع بهم الغفير من الناس وحفروا ذلك المكان الى أن كاد أن
ينبع الماء من أرضه فلم يجدوا فيه شيئا وانقض ذلك الجمع من غير طائل ولم يظفروا بشيء مما
قالوه وفيه قبض السلطان على المحتسب على الهجي وصادره وقرر عليه مالا وأقام في
الترسيم عند الزمام حتى يورد المال وقرر عوضه في الحسبة على بن أحمد الكاشف المعروف
بابن ارم وفي ذي الحجة قرر في نيابة اسكنه درية جاني بك النوروزي نائب بعليك عوضا عن
يونس العلائي وقدم يونس العلائي الى القاهرة وقرر في امرية طبخانا وفيه توفي حطط
الناصرى وكان ولي نيابة غزة وأتابكية طرابلس وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بان قد
ظهر شخص يقال له ابن الفلاح المشعشع وقد حصل منه غاية الفساد وقتل من الناس مالا
يحصى ونهب الركب العراقي وقد أعيأ أمره نائب الشام فأنزعج السلطان لهذا الخبر وفيه
ظهر زين الدين الاستادار وطلع الى القلعة وقابل السلطان فامر به بملازمة داره وأن لا
يجتمع بأحد من الناس ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثمانمائة في المحرم قرر في
كتابة السر بدمشق الحافظ قطب الدين الخضيرى عوضا عن صلاح الدين بن السابق وهذه
أول ولاية الخضيرى لهذه الوظيفة ثم بعد مدة جمع بين قضاء الشافعية بدمشق وكتابة سرها
وفيه قرر أقبردى الظاهري الساقى في أتابكية حلب عوضا عن علي باى الهجي وقرر في
نيابة حلب عوضا عن أقبردى قاسم بن القشاشي وفيه وصل قاصد علي باى الجزاوى
نائب حلب وعلي يده مقدمة حافلة الى السلطان وكان قد أشيع عنه العصيان والمخامرة
فبطل ذلك وفيه خلع السلطان على الشيخ محي الدين الكافيجي وقرر في مشيخة الخانقاه
الشيخونية عوضا عن العلائي كمال الدين بن الهمام الحنفي بحكم رغبته عنها ومجاورته بمكة
المشرفة وفي صفر رسم السلطان بنى زين الدين الاستادار الى القدس ويقوم به فلما
خرج الى سبيل ابن قايم أبعث السلطان اليه من فتشه فلم يجد معه شيئا غير ثلثمائة دينار
وبعض فضة وقد كان وشى به عند السلطان بان معه مالا ثم رسم بإعادته الى القاهرة وطلع
الى القلعة فادخلوه البحرة وأحضر اليه السلطان في يومه المعاصير وعصره فلم يقرب شيئا
من المال فاجاب بان يبيع أوقافه ويرضى السلطان فتكلم ناظر الخاص يوسف في أمره
وأحضره بين يدي السلطان وهو محمول بين أربعة وقيل ان السلطان لم يعصره في هذه المرة
بل ضربه في الدهيشة نحو من خمسمائة عصا فلما حضر بين يديه تكلم له تراز الدوادار الثاني
نقله عليه السلطان وأعادته الى الاستادارية وصرف عنها علي بن الاهناسي ثم ان السلطان

خلع علي زين الدين وقرره كاشف الكشاف بالوجهين القبه لي والبحري مضافا الى
 الاستادارية فراج أمره قليلا وفيه رسم السلطان بالافراج عن أبي الخير بن النحاس من
 السجن وأن يقيم بطرابلس بطالا ١٠ وفي ربيع الاول قرر حجة بن البشير في نظر الدولة
 عوضا عن التاج الخطيري وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو الصحراء بسبب تربته
 التي أنشأها هناك فلما عاد شق من القاهرة وصعد الى القلعة وهذا أول ركوبه في سلطنته وكان
 له يوم مشهود وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان حافلا وفيه انتهت عمارة
 جامع بردك صهر السلطان الذي أنشاه بخط قناطر السباع المطل على الخليج ١١ وفي ربيع
 الآخر توفي الناصري محمد بن المخططة وكان فاضلا مالكي المذهب ولي نظرا لبيمارستان
 وكان محمود السيرة وفيه قدم جلبان نائب الشام على السلطان وكان أشيع عنه العصيان
 وفيه توفي تقي الدين الاذري الشافعي وكان عالما فاضلا نائبا في الحكم بدمشق وكان لابأس
 به ١٢ وفي جمادى الاولى عزل تراز عن الدوادارية الثانية وكان ذلك من تلقاء نفسه وفيه
 جاءت الاخبار من بغداد بمات بوفاته سيدي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق وكان دينيا
 خيرا رئيسا حشما ومولده سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما مات رسم السلطان بنقل جثته
 الى القاهرة فنقل ودفن في تربة جده الظاهر برقوق وأظهرت عليه أخته خوندشقرا غاية
 الحزن وعملت له نعيا بالمغاني تعزف بالطارات نحو سبعة أيام حتى عقد ذلك من النوادر وفيه
 قرر في الوزارة صاحب أمين الدين بن الهيصم على عادته وصرف عنها سعد الدين فرج ابن
 النحال وفيه طاعت مقدمة جلبان نائب الشام الى السلطان وكانت مقدمة حافلة ومثلها للمقر
 الشهابي أحمد ثم بعد أيام أضافه السلطان وخلع عليه ورسم له بالعود الى الشام على عادته
 وفيه خلع السلطان على الأمير بردك صهره وكان من أعيان عماليكه وقرره في الدوادارية
 الثانية عوضا عن تراز الاشرقي ورسم الى تراز أن يتوجه الى القدس بطالا وكان تراز رجلا
 أحق سبي الخلق غير محبوب للناس ١٣ وفي جمادى الآخرة توفي قاضي نغراسه كندرية
 شمس الدين محمد بن عامر المالكي وكان من الافاضل في مذهبه وفيه قرر قاضي باي الموساوي
 في نيابة ملطية وقرر في نيابة البيرة الناصري محمد والي الحجر عوضا عن قاضي باي الموساوي
 وفيه خلع على القاضي تاج الدين بن المقسي وقرر في كتابة الممالك عوضا عن عبد الرحمن بن
 النحال ابن عم صاحب سعد الدين فرج وفيه خرجت تجريدة الى نحو البحيرة وكان باش
 العسكري جانم الاشرقي وبرس باي الجاسي وجماعة من الجند وخرجوا لاجل عرب البيد
 وفيه عزل محب الدين بن الشحنة عن كتابة السر وأعيد اليها محب الدين بن الاشقر وفي
 رجب أدير المحمل على العادة وفيه سافر الأمير بردك صهر السلطان والقاضي شرف الدين
 الانصاري وتوجهوا الى القدس وسبب ذلك أن السلطان صنع كسوة الى ضريح سيدنا الخليل
 عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكان لخروجهما يوم مشهود وفيه توفي جاني بك عملا

القاضي عبد الباسط الذي كان ولي الاستادارية في أيام الاشراف برسباي وكان لا بأس به وفيه أعيد الشيخ علي الجعي الى الحسبة وصرف عنها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه قدم برسباي الذي توجه قاصدا الى محمد بن عثمان وخلع عليه وفي شعبان عرض السلطان جماعة من العسكر وقطع جوامك أولاد الناس ممن تجدد في أيام الظاهر جقمق وقد انشحت الديوان من كسوة العسكر وشكا الاستادار من ذلك ثم ان بعد ذلك شفيع فيهم الامير يونس الدوادار الكبير فابقاهم على حالهم ورد اليهم جوامكهم التي قطعت عنهم ولله الحمد وفيه سمى السلطان شخصا من العربان يقال له الفضل وقد كان مشتهرا بالشجاعة وقتل النفس فأشهره في القاهرة هو وأولاد عمه ثم سلخوهم وبه شواهم الى بلاد الشرقية وكانوا من المفسدين وفيه توفي قاضي قضاة الحنفية بمكة المشرفة وهو رضى الدين أبو حامد بن الضياء وكان من أعيان العلماء الحنفية بمكة وله نظم جيد ومولده سنة احدى وتسعين وسبعمائة وفيه في ثالث عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفي رمضان جاءت الاخبار بوفاة صاحب الابلستين وهو سليمان بن محمد بن قراجان دلغادر التركماني وكان من خيار التراكمة لم تحرك في أيامه فتنة وكان مثقلا بالشحم جدا وفيه قدم جان بك نائب جدة من الحجاز فخلع عليه السلطان خلعة سنية وفي شوال وصل ركب من المغرب من عند صاحب تونس وصحبته هدية حافلة وخرج صحبة الحاج الى مكة وفيه قرر في الاستادارية الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وقرر سعد الدين فرج بن النحال في الوزارة عوضا عن أمين الدين ابن الهيصم بحكم اختفائه ثم أعاد كتابة المماليك الى سعد الدين فرج وصرف عنها تاج الدين بن المقسي فصار سعد الدين فرج بعدهم الوزارة وكتابة المماليك وفي ذى القعدة تغير خاطر السلطان على زين الدين الاستادار وضر به ضربا مبرحا وتسلمه الجمالي يوسف ناظر الخصاص على مال يورده وفيه جاءت الاخبار بأن أصلا بن سليمان بن دلغادر تملك الابلستين عوضا عن أبيه بحكم وفاته وفي ذى الحجة استقر قى الدين ابن نصر الله في نظر الدولة وكانت شاغرة مدة طويلة وفيه توفي الناصري محمد الصغير معلم النشاب وكان استادا في هذا الفن وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وهو والد عبد العزيز الذي ولي الحسبة وفيه ثارت جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى بيت ابن أبي الفرج الاستادار على حين غفلة ونهبوا ما فيه عن آخر مواختفى هو ثم طلع الى السلطان واستعفى من الاستادارية فأعفاه السلطان من ذلك وقرر فيها قاسم الكاشف وبقي ابن أبي الفرج في نقابة الجيش على عادته وفيه قدم نجاب ببشارة الحاج وأخبر بأن المبشر قد عوقه العربان في الطريق فلم يحضر أحد من الجند بالبشارة على العادة ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثمانمائة فيها في المحرم قدم قاصدا من عند الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان

وعلى يده مكتوبة مضمونها أنه أرسل يشكوفهم من ملك الروم محمد بن عثمان فما كثرت
السلطان لذلك ثم أنه أرسل اليه بجواب هين وما أكرم قاصده فغضى غير راض وكان هذا
سببا لعصيان ابن قرمان كما يأتي الكلام على ذلك وفيه تغيير ماء النيل المبارك تغيرا فاحشا
وغلبت عليه الحضرة جدا حتى تعجب الناس من ذلك وفيه نودى في القاهرة بخروج
المماليك البطالة من القاهرة وهتد من تأخر منهم بعد سماع المناداة وفيه دخل الحاج
الى القاهرة وأخبر بما قاساه من شدة السيول وموت الجمال وقطع الطريق من العربان وقد
أخذ ركب المغاربة وكانت سنة صعبة مهولة وقد جاء عليهم السيل في وادي عفان فاحتمل
الجمال باحمالها وقذفها في البحر الملح وفيه توفي الشيخ شرف الدين أبو الفتح محمد الراعي الشافعي
المدني العثماني وكان من أعيان العلماء الشافعية وله سند في الحديث وفيه وقع أمر عجيب
وهو أن جماعة من مماليك الأمير دبر بك صهر السلطان ماؤا بالطاعون وقد ظهر ذلك بداره
فقط ولم يظهر ذلك بغير بيت بردك وفيه ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الاشرفي ثمانمائة
وسبعين درهما وفي صفر جاءت الاخبار بعوت جلبان نائب الشام وكان جلبان هذا دينا خيرا
وأصله من أتباع الملك المؤيد شيخ وهو يحر كسي الجنس وقيل غير يحر كسي ويقال انه مسلم
الاصلي ومات وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وتولى عدة ولايات منها ولاية تيا بة حاة
ونيا بة طرابلس ونيا بة حلب ونيا بة الشام وقد طالت أيامه في السعادة فلما توفي عين
السلطان نيا بة الشام الى قاني باي الجزاوى نائب حلب وخرج الى تقليده يونس العلاقي ثم
ان السلطان خلع على جانم الاشرفي وقرره في نيا بة حلب عوضا عن قاني باي الجزاوى وعين
الامير بردك الدوادار الثاني صهر السلطان لتقليده ثم يعود الى دمشق لضبط موجود
جلبان نائب الشام ثم ان السلطان أنعم على يونس العلاقي بتقدمة ألف وهي مقدمة جانم
الاشرفي بحكم انتقاله الى نيا بة حلب وفيه توفي يشبك الناصري رأس نوبة ثاني فلما مات
قرر في رأس نوبة الثانية سودون قراقاش المؤيدي وقرره في امرية سودون قراقاش مغلباى
طاز وقرر النوروزى في امرية عشرة وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد الشريف
على العادة وكان مولدا حافلا وفيه حصلت زلزلة خفيفة بعصر واستمرت ثلثا و الناس أياما
وفيه وصلت مقدمة من عند الملك أصلان صاحب الابلستين وكانت مقدمة حافلة ما بين
خيول وبغال وجمال بخافي وقاش حرير وغير ذلك وفيه خلع السلطان على شمس الدين
نصر الله بن النجار الكاتب القبطي وقرره في الوزارة عوضا عن سعد الدين فرج فلم يقيم بها
ابن النجار الا قليلا واختفى وفي ربيع الآخر خلع السلطان على سعد الدين فرج وأعاده
الى الوزارة كما كان وقرر حمزة بن الشيرى في نظر الدولة وصرف ابن كاتب الشعير عنها وفيه
توفي صاحب أمين الدين بن الهيصم وهو ابراهيم بن عبد الغنى بن ابراهيم القبطي وقيل

كان ينسب الى المقوقس صاحب مصر وكان حشماً رثيلاً ساعى الى اهل العلم وله اشتغال بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ولم يكن شافعيًا وولى الوزارة غير ماهرة وكان مولده سنة ثمانمائة وكان نادرة في أبناء جنسه مسددا في أمر الوزارة في الغلو التي وقعت في أيام الظاهر بجمعة لما شرقت البلاد وكان لا بأس به في المباشرين وفيه خرج جانم الاشرف الذي قرر في نيابة حلب وكان له يوم مشهود وتجهل عظيم وفيه أنزلت خوند زينب الخاصة بزوجته السلطان الى بولاق فأقامت في القطينية التي ببولاق وكان قد حصل لها نوعك شديد في جسدها فنزلت لتري البحر حتى يذهب عنها الوخم فنزل اليها السلطان وعاده فلما حصل لها الشفاء أحرقوا في بولاق حراقة نقط هائلة حافلة وخرجت البنت من خدرها بسبب الفرجة وكانت تلك الليلة في بولاق من الليالي المشهورة فلما عوفيت طلعت الى القلعة في محفة وحولها الخوندات والسيدات وأعيان نساء الأمراء والمباشرين حتى طلعت الى القلعة وكان لها مهم حافل بالقلعة وفيه توفي الأمير خاير بك الأجرود المؤيدى أحد الأمراء المقدمين بمصر فلما مات أنعم السلطان بتقدمته على الأمير قائم التاجر بن صفر بن خاير المؤيدى وهذه أول تقدمته بمصر وفي جادى الأولى تزايد شر المماليك الجلبان وتوجهوا الى بولاق ونهبوا شئون الأمراء لاجل الشيعير فانه كان مشحونا وصاروا ينزلون الفقهاء والمباشرين عن خيولهم وبغالهم ويأخذونهم من تحتهم وحصل منهم في حق الناس غاية الضرر ولا سيما التجار في الأسواق فكان المماليك يخططون القماش من الدكاكين وسائر البضائع واستمروا على ذلك حتى وقع فيهم الطاعون كما يأتي ذكر ذلك (١) وفيه توفي الأديب البارع شاعر العصر شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي الشافعي ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وله شعر جيد فمن ذلك قوله من نوع الاكتفاء

خليلى هذا ربع عزة فاسعيا * اليه وان سالت به أدمى طوفا ن

لجفتني جفاتي من المنام وجهتها * جفاني في الله من شرك الأجفا ن

منهله

يا ضيف بيت الله نلت المنى * منذ تحصنت بام القرا ن

لبهج واعتقه - اروق - ل * لله ما أسعد هذا القرا ن

وله

فتنت بحسن عواد بديع * ملج الشكل معشوق الشمايل

يحسرك عوده فينا بلطف * فيقتلنا باطراف الانام - ل

وقوله ملغزا في اسم سعيد

(١) توفيت وفاة النواجي في حوادث سنة ٨٥٧ والصواب ما هنا

ما اسم لعبد ان تزل عينه * يعـــود في الحال للناسيد
عليه فرض الصوم لكننه * اذ مضى الربع له عيـــدا
ومن مصنفاته البديعة حلبة الكيت في وصف النخلة وما قيل فيها وتأهيل الغريب
في الادبيات المطولة وحرار الغزلان في وصف الحسان من الغلمان والشفاه له غير ذلك من
المصنفات الغريبة ولمامات رثاء الشهاب المنصوري بقوله

رحم الله النواجي فقد * فقد الدنيا وأبقى ماروى

وانطوى في شقة البين فيما * حسرة العشاق من بعد النوا
وفي جادى الآخرة توفي الشيخ الصالح سيدي محمد المغربي المجذوب رحمة الله عليه ولمامات
أخذه السلطان اينال ودفنه بجوار تربته تبركبه وفيه خلع السلطان على عبد العزيز بن
محمد الصغير وقرر في الحسبة مضافا لما في يده من نقابة الجيش وكان قد تغير خاطر السلطان
على الشيخ على العجى وصرفه من الحسبة وقرر بهما عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه تغير
خاطر السلطان على نحر الدين بن السكر والليون ناظر ديوان المفرد وضر به بين يديه بسبب
تأخر جوامك الجند وكان الديوان في غاية الشجعة وفيه توفي القاضي صلاح الدين خليل بن
السابق وكان فاضلا رئيسا حماولى كتابة سر حلب وكتابة سر دمشق وتطر جيشهما
وغير ذلك من الوظائف وكان حسن السيرة وفيه ثارت فتنة عظيمة وسبب ذلك أن طائفة
من المماليك الظاهرية استمالوا بعض جلبان السلطان وكان السلطان عين تجريدة قبيل
ذلك للبحيرة وكتب غالب الجند فيها من المماليك الظاهرية وعين الباش عليهم الامير
خشدقدم أمير سلاح فلما جرى ذلك وقفوا في الرملة حتى نزل الامير يونس الدوادار الكبير
فلاقوه بالدياريس وجرح في ذلك اليوم شخص من المماليك وقطعت أصابعه ثم ان الامير
يونس الدوادار تحييل في صعوده الى القلعة وأعلم السلطان بذلك فطلب السلطان جاني بك
المرتد وهرجان مة قدم المماليك وبعث بهم للكشف الاخبار وما سبب وثوب المماليك على
الامير يونس الدوادار ثم ان نوكا رازر دكاش أتى الى المماليك الجلبان الذين وثبوا مع
طائفة من المماليك الظاهرية ليستميلهم عن ذلك ويسترضيهم فعادا الجواب الاول بان
يسلمهم الامير يونس الدوادار وقد صمموا على ذلك وكانت هذه الحركة في سلج بجادى الآخرة
فلما استهل رجب بدأ السلطان بضرب الكرة فلم يطلع غالب الامراء الى القلعة ثم ان
المماليك أصبحوا لاسبين آلة الحرب ووقفوا بسوق الخيل وقد اشتد الامر ومنعوا الامراء
من الصعود الى القلعة فبعث السلطان يقول للخليفة غيب من بيتك حتى تسكن هذه الفتنة
فلم يغيب من بيته فتوجه اليه المماليك وأرسل كعبوه من بيته واثابه الى البيت الكبير
الذي عند حدة البقر فاقام به واشتد القتال فلما بلغ السلطان ذلك نزل الى باب السلسلة

وجلس بالمقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطاني على رأسه ودقت الكؤوسات
حربيا فوقع في ذلك اليوم قتال هين فلم تكن الاساءة يسيرة وقد انفض ذلك الجمع وفر
المماليك شيئا بعد شيء فلما رأوا ذلك المماليك الظاهرية تسحبوا من الرميلة وقد اشتد الحر
وتوجه كل أحد من المماليك الى داره وكان رأس الفتنة من المماليك الظاهرية يشبك بن
مهدي وكان يومئذ جنديا من جملة المماليك السلطانية فلما انفض الجمع قام السلطان من
المقعد وطلع الى القلعة وقام الخليفة أيضا وتوجه الى داره وخذت هذه الفتنة وكان الخليفة
يظن أن هذه الحركة يحصل له فيها نفع كما حصل له في حركة الملك المنصور مع الاشرف اينال
فانه لما تسلطن أنعم على الخليفة حزمة باقطاع ثقل ومال وخلع وخيول وغـير ذلك فظن
الخليفة أن هذه الحركة مثل الاولى فجاء الامر بخلاف ذلك وكم من عجلة أعقبت ندامة فكان
كما قيل في المعنى

اذا ما أراد الله خير العبيده * يناله وما للعبيد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو بعون الله من حيث يحذر
وكان الخليفة قام في سلطنة الاشرف اينال قياما عظيما وخلع الملك المنصور قبل أن
ينكسروا أمر يحرق سبيل المؤمنين حتى أخذوا الميدان فظن الخليفة أن تكون هذه
الفتنة يحصل له فيها مثل تلك المرة فلما توجه الخليفة الى بيته أرسل السلطان خلفه وقد
بقي له ذنب اذا أرسل السلطان يقول له غيب من بيتك حتى تحمد هذه الفتنة فاسـتمرفي
بيته حتى أركبوه المماليك برضاه وجاء الى البيت الكبير كما تقدم ذكر ذلك فلما طلبه
السلطان وحضر بين يديه وبجته بالكلام فلم ينطق بالجواب وأمسك لسانه عن ذلك وكان به
بعض صمم فكان كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فإطراح العذر خير من العذر
ثم إن السلطان أمر بإدخاله الى الجـرة فدخل اليها وأقام بها أياما وهو في الترسيم ثم إن
السلطان رسم بإخراجه الى السجن بشغرا لاسكندرية فنزل من القلعة بعد المغرب في سابع
رجب وصحبته جاني بك القرمانى حاجب الحجاب فاوصله الى الجـرة حتى نزل في الحـراقة وسار
الى الاسكندرية فمسجن بها الى أن مات في أوخر دولته ودفن بشغرا لاسكندرية على شقيقه
العباس الذي ولي السلطنة بعد دولة الناصر فرج بن برقوق فكانت مدة الخليفة حزمة في
الخلافة أربع سنين وستة أشهر وأياما وكان رئيسا حشما كفوا للخلافة وكان له حرمة وافرة
وشهامة زائدة بايع الملك المنصور عثمان والاشرف اينال (ومن النكت الغريبة اللطيفة)
قيل لما أرادوا خلع الخليفة حزمة من الخلافة قال اشهدوا على أنى قد خلعت نفسي
من الخلافة وخلعت السلطان اينال من السلطنة فاضطرب المجلس لذلك فقال قاضي

القضاة علم الدين صالح البلقيني ان خلعه لاسلطان لا يصح وقد بدأ بجمع نفسه أولا ثم ثنى بجمع السلطان وهو غير مولى للخلافة فلم يصح منه عزله لاسلطان فعدت هذه من النودار فلما عزل الخليفة حزة من الخلافة تسكلم وافين يلي بعده الخلافة فوقع الاتفاق على ولاية أخيه الجمالي يوسف بن محمد المتوكل

ذكر خلافة المستجد بالله أبي المحاسن يوسف بن محمد المتوكل على الله

وهو الثالث عشر من خلفاء بني العباس بمصر بوبيع بالخلافة بعد خلع أخيه حزة في يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة تسع وخسين وثمانمائة وكانت صفقة ولايته أن عمل موكب بالقصر وطلع القضاة الأربعة وهم علم الدين صالح البلقيني الشافعي وسعد الدين الحنفي وولي الدين السنباطي المالكي وعز الدين الحنبلي فلما تسكلم المجلس سكنت القضاة ساعة لم يتكلم منهم -م أحد في شيء فقال قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني نقل بعض علماء مذهبي أن السلطان له أن يعزل الخليفة ويولي غيره فهذا كان حاصل المسئلة في خلع الخليفة حزة وولاية أخيه الجمالي يوسف فعند ذلك قام القاضي كاتب السر محب الدين بن الاشقر وقال في المجلس نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك عزلت الخليفة حزة من الخلافة ووليت أخاه الجمالي يوسف فقال نعم فاحضروا له التشريف وأفيض عليه وتلقب بالمستجد بالله ونزل من القلعة في موكب حافل والقضاة الأربعة قدما معه وأعيان الناس حتى أوصلوه إلى بيته وهو في غاية العظمة وقد طالت أيامه في الخلافة جدا ثم ان السلطان قبض على جماعة من المماليك الظاهرية ممن كان سببا لأقامة هذه الفتنة وسجنهم بالبرج واختفى منهم جماعة كثيرة ونفى منهم جماعة إلى البلاد الشامية وفيه قدم الأمير بردك صهر السلطان وكان قد توجه إلى القدس كما تقدم فلما حضر أتى صحبته زين الدين الاستادار وكان السلطان نفاه إلى القدس فلما عاد خلع عليه السلطان وأعادته إلى الاستادارية وصرف عنها قاسم الكاشف وفيه أدير المحمل على العادة وساق الرماحية أحسن سوق وفيه توفيت خوندزاده بنت أورخان بن محمد بن عثمان ملك الروم وهي زوجة الظاهرية عمق وتزوجت أيضا بالاشرف برسباي وماتت في عصمة برسباي الجبائي حاجب الحجاب وفيه قبض السلطان على شبك النور وزي نائب طرابلس وحمل إلى قلعة المرقب فسجن بها وفي شعبان جاءت الأخبار بوفاة السيد الشريف بركات سلطان مكة وهو بركات بن محمد بن عمران بن ربيعة الحسني وكان من خيار أمر مكة ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وفيه في خامس عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان

وفتح السد على العادة وفيه خلع السلطان على اينال اليشكي وقرر في نيابة طرابلس عوضا
 عن يشبك النوروزي وقرر في نيابة صفد جاني بك التاجي عوضا عن اياس الطويل وقرر في
 نيابة غزة خير بك النوروزي أحدا امراء صفد وقرر في نيابة ملطية أقبردي الساقى أتابك
 العسكر بحلب عوضا عن قايتباي الناصري وقرر في أتابكية حلب سودون الناصري أتابك
 طرابلس وكان هذا كله بتدبير الجمالي يوسف ناظر الخاص وفيه زاد النيل زيادة مقرطة حتى
 قطع الجسور وغرق غالب البلدان فيه مما جرى ذلك هبط النيل بسرعة وشرق جانب من
 البلاد وارتفع سعر الغلال بسبب ذلك وفي رمضان قرر ابن الوجيه في نظر الجيش بحلب
 عوضا عن ابن السفاح وفيه قرر في قضاء الشافعية بمكة محب الدين الطبري وصرف عنها أبو
 السعادات بن ظهيرة وقرر في نظر الحرم الشريف برهان الدين بن ظهيرة الذي عظم أمره
 فيما بعد وانتهت اليه رياسته مكة وفيه قدم جاني بك نائب جدة وسعى الى السيد الشريف
 محمد بن بركات المتوفى في امرية مكة عوضا عن أبيه بخمسين ألف دينار فولاها السلطان
 وأقام بها حتى توفي في صفر سنة ثلاث وتسعمائة وكان من خيار أمراء مكة وفي شوال رسم
 السلطان بعمل كسوة للحجرة الشريفة فلما انتهت العمل منها عرضها ناظر الخاص يوسف على
 السلطان فالبسه كالملة حافلة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل يبرس
 الاشرافي وفيه تغير خاطر السلطان على نقيب الجيش بن محمد الصغير وهو عبد العزيز فضربه
 بين يديه ضربا مبرحا وأمر بنفيه الى دمياط لا مراً أوجب ذلك ثم ان السلطان خلع على العلاقي
 علي بن القيسي وقرره في نقابة الجيش عوضا عن عبد العزيز بن محمد الصغير وكان السلطان
 عينها الى خشكادي الزرد كاش فوقع الاختيار بعد ذلك على ابن القيسي وفي ذي القعدة
 قرر رجال الدين الباعون في قضاء الشافعية بدمشق وصرف عنها سراج الدين الحمصي وأمر
 أن يخرج الى حصص ويقيم بها وفيه شرع الجمالي ناظر الخاص في بناء مدرسة بالصحراء فجاءت
 مدرسة حافلة لم يعرف في الصحراء مثلها وكان مصروف ذلك من مال ناظر الخاص يوسف دون
 مال السلطان فقل انه صرف عليها ثني عشر ألف دينار وزيادة على ذلك وأنشأ زاوية تنجاه
 المدرسة وحوشا للدفن جماعة السلطان وفي ذي الحجة قرر في الحسبة الشيخ علي الجمي على
 عادته وكان يعرف بيار علي وفيه توفي العلامة محب الدين محمد بن أحمد بن أبي يزيد الاقصراني
 الحنفي وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم وكان امام الاشراف برسباي ومولده سنة احدى
 وتسعين وسبعمائة وهو الشيخ أمين الدين الاقصراني وفيه توفي أقبردي الساقى الظاهري
 نائب ملطية وكان لا بأس به وفيه توفي الشهاب أحمد الحاضري الحنفي وكان عارفا بالقراآت
 السبع وتعمير الرؤيا وفيه توفي خاتمة سيدى ابراهيم الدسوقي رضى الله عنه وكان مالكي
 المذهب وله اشتغال بالعلم ويعرف بسنان الابودري وفيه صلى السلطان صلاة عيد النحر

وخرج من الجامع مسرعا وتوجه الى الحوش ونحربه وخالف العادة وسبب ذلك أنه
 قويت الاشاعات بوقوع فتنة في ذلك اليوم من الماء اليك الجلبان فبادر السلطان وتوجه
 الى الحوش ونحربه فسكن الاضطراب قليلا ۞ ثم دخلت سنة ستين وثمانمائة فيها في المحرم
 قرا أقباي الحكى في نيابة ملطية عوضا عن أقبردى الساقى وقرر في نيابة طرسوس أقباي
 السيفي جارقطلو عوضا عن أقباي الحكى وتوفي الناصري محمد بن الحلبي والى الحجرة وفيه
 وصل الحاج وأخبر بأنه لم يحج في هذه السنة احدى من العراق خوفا من المشعشع الذي ظهر
 منه الفساد وقد شاع خبره فيما تقدم وكان في تلك السنة الامير بردك البجمقدار أمير الحاج
 هو والامير بريس الاشرفي وكانت سنة صعبة على الحاج وفي صفر ثار المماليك الجلبان على
 ناظر الخاص يوسف وضربوه وأخذوا عمامته من فوق رأسه وصار مكشوف الرأس ولولا
 انه هرب لقتلوه لا محالة وكانت المماليك تزايد شرهم جدا وفيه ثارت الغلمان والعبيد على
 الوزير ونزلوا من القلعة وتوجهوا الى بيت الوزير وصاروا ينيبون بعض دكاكين
 القاهرة وخطفوا عمامات الناس حتى وصلوا الى دار سعد الدين فرج فاختنق من داره فنهبوا
 ما وجدوه في الدار وسبب ذلك انشحات اللحم المقرر للجنود وفيه خرج يونس العلاقي أحد
 الامراء المقدمين الى برج الحيزة لحفظ الخيول التي في الربيع وكانت عربان البید قد أفسدوا في
 برج الحيزة وأخذوا خيول الامراء والجنود من مراعيها وفي ربيع الاول أمطرت السماء
 مطرا غزيرا حتى قيل أمطرت في قلوب بردا وزن كل بردة خسون درهما وهلك به بعض
 مواش وأفسد الزرع وفيه ظهر صاحب فرج بعدما كان محتفيا نخلع عليه بالاستمرار
 وخلع على نخر الدين بن السكر والليمون وقرر في نظر الدولة وكانت شاغرة وفي ربيع الآخر
 عمر السلطان الربيع والحمام وما بينهما الذي بين القصرين وفيه خرج جماعة من الامراء
 والجنود الى نحو الجون على العادة لاحضار الاخشاب وفي جمادى الاولى توفي المسند جمال
 الدين عبد الله بن محمد بن أحمد التستري وكان عالي السند من أهل الفضل والعلم وفيه وصل
 الخواجا جمال الدين عبد الله القابوني رسولا من عند ابن عثمان ملك الروم محمد وعلى يده
 مكاتبة تتضمن ما فتحه من الفتوحات السننية فأكرم السلطان غاية الاكرام ولما أراد
 التوجه الى ابن عثمان عين معه السلطان قاني باي اليوسفي المهمندار وعلى يده هدية من
 عند السلطان الى ابن عثمان وأخذ قاني باي اليوسفي في أسباب تعلق السفر الذي عين فيه
 وفي أثناء هذه الشهر ظهر في السماء نجم بذب طويل جدا وكان يظهر من جهة الشرق
 ودام يطلع نحو من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتكلم فيما يدل عليه من الامر وزاد
 الكلام بسببه ثم اختفى ذلك النجم وأقام مدة طويلة نحو من ثلاث سنين حتى وقع عصر
 الطاعون ووقع عصر أيضا الحريق كما سيأتي ذلك في موضعه قال صاحب مرآة الزمان ان

أول ما ظهر نجم الذنب عند ما قتل قاييل أخاه هاييل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود
 نار ابراهيم الخليل عليه السلام وظهر عند هلاك قوم عاد وثور وظهر عند هلاك فرعون
 وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان وظهر عند قتل الامام علي كرم الله وجهه وظهر عند
 قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفي الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد
 جرب ذلك وصح من فناء وقتل وقتن وخسف وزلازل وغير ذلك وفي جادى الآخرة توفى
 القاضي الذي بالاسكندرية شهاب الدين أحمد المحلى الشافعى وكان فاضلا في سعة من المال
 وكان تاجرا في البهار وسعى في قضاء الاسكندرية على خلاف ما جرت به العادة من ولاية
 المالكية وقد سعى بحال حتى تولى ومات وقد جاوز السبعين من العمر وفيه قبض السلطان
 على زين الدين الاستادار وضربه بين يديه علة قوية بسبب تأخيره للجامكية ورسم عليه في
 طبقة الزمام وهو في الحديد ثم انه خلع على سعد الدين فرج بن النحال ونقله من الوزارة
 الى الاستادارية وخلع على العلاقى على بن محمد الاهناسى وقرره في الوزارة عوضا
 عن سعد الدين فرج وهذه أول عظمة علاء الدين على في الوزارة وهو على بن الاهناسى
 وفي رجب كانت نهاية عمارة مدرسة السلطان التى أنشأها في الصحراء وخطب بها
 وعمل السلطان هناك وليمة حافلة وحضر بها القضاة الاربعة وسائر الامراء وأعيان
 الناس ومدبري الاسمطة الحافلة وكان يوم ما مشهودا وفيه طلع الامير يونس الدوادار الكبير
 الى القلعة وكان مريضاً وشفى نخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل الى داره في موكب حافل
 وقدامه الامراء وأرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفيه أفرج السلطان عن زين الدين
 الاستادار وتسلمه ناظر الخاص يوسف على مال وفيه أدير المحمل على العادة وساقوا الرماحة
 بحضرة قاصد ملك الروم محمد بن عثمان وفيه ماتت ملك باى الجركسية سرية الملك
 الاشرف برسباى أم ولده سيدي احمد وكان تزوج بها قرقاس الجلب وماتت معه وهو الذي
 ربى سيدي احمد بن الاشرف برسباى وفي شعبان رسم السلطان بنى زين الدين الاستادار الى
 المدينة المشرفة بعد ان أخذ منه عشرة آلاف دينار وتوجه من البحر الى المدينة الشريفة
 وفيه سافر الخواجا بن القابونى قاصداً بن عثمان وخرج صحبته قافى باى اليوسفى المهمندار
 وكان أشيع موت ابن عثمان قبل خروج القاصد ثم جاءت الاخبار بان ابن عثمان قد شفى
 وهو في قيد الحياة فرسم السلطان بدق الكؤوسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه توفى الامير اسباى
 الجمالى الظاهرى من مماليك الظاهر بركة وكان ولي الدوادارية الثانية ثم نفي الى القدس
 فأت به وكان لا بأس به لين الجانب متواضعا وكان معروفا وموصوفا بالشجاعة وبالنروسية
 وفيه جاءت الاخبار بان الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان قد زحف على بلاد السلطان
 وقد أظهر العصيان واستولى على طرسوس وأدرنه وكولاك فلما سمع السلطان ذلك
 تشوش لهذا الخبر وعين تجريدة الى ابن قرمان وجعل باش العسكر خشة قدم الناصرى أمير

سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبختانات والعشراوات وعين من الجند نحو
من أربعة مائة مملوك وعين سنقر قرق شبق الزرد كاش بان يتوجه قبل خروج العسكر لكشف
الاخبار عن ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك في سادس مسرى وفيه نزل المقر الشهابي
أحمد ابن السلطان وفتح السد على العادة وفي رمضان تزايد أذى المماليك الجلبان في حق
الناس وصاروا ينهبون حواصل البطيخ الصيفي وسائر البضائع حتى امتنعت السوق من
البيع وارتفع سعر كل شئ من المأكول وغير ذلك وفيه قبض السلطان على عشرة أنصار من
الزغلية وجدوهم يضربون الزغل فأمر بتوسيطهم أجمعين وفي شوال خرج الحاج من
القاهرة على العادة وكان أمير ركب الحمل قائم التاجر أحد المقدمين وأمير الاول عبد العزيز بن
محمد الصغير وكان السلطان قد رضى عليه وقرره من جملة الخجاب بالقاهرة وفيه ضرب
السلطان خاير بك الوالى بين يديه ضربا مبرحاً لأمراً أوجب ذلك وفيه حصل للقاضى ناظر
الخاص يوسف توعك في جسده فانتقطع عن طلوع القلعة أياماً ثم شفى بعد ذلك وطلع الى
القلعة فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل من القلعة في موكب حافل وقد أمه أرباب
الدولة وأعيان الناس فزينت له القاهرة من داره الى القلعة وقعدت له جوق المغاني على
الدكاكين وتخلقت الناس بالزعفران وأوقدوا له الشموع على الدكاكين وكان له يوم مشهود
وفيه يقول الشهاب المنصوري

يا جوهر الفرد الذى * عن جسمه زال العرض
أجفان من أحبيته * تحملت عنك المرض

وفي ذى القعدة توفى قانى باى الاعمش الناصرى نائب القلعة فلما مات قرر في نيابة القلعة
عوضه النوروزى سودون وأنعم السلطان بامرية قانى باى الاعمش على ولده الناصر محمد وهو
أصغر أولاده وكان أمير عشرة وفيه قرر في نظرا الجوالى القاضى زين الدين أبو بكر بن
مزهرو صرف عنها ابن أصيل وفي ذى الحجة قدم قاصد جهان شاه وصحبته هدية للسلطان
وعلى يده مكتوبة تتضمن أنه بعث يشكو الى السلطان من حسن بك الطويل بأنه جائر عليه
وقد زحف على بلاده فأرسل اليه السلطان الجواب عن ذلك وفيه نزل السلطان الى المطعم
الذى بالريدانية وألبس الامراء الصوف وشق من القاهرة في موكب عظيم وكان يوماً مشهوداً
وفيه توفى الشيخ برهان الدين الرفاعى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل مولده بعد الثمانين
والسبعمائة وتوفى اركاس الشبكي أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وفيه جاءت
الاخبار بوفاة صاحب اليمن وهو الملك أبو الفتح عمر بن علي بن رسول التركمانى وكانت دولة بنى
رسول أقامت باليمن نحو مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدتهم برسول أن
الخلفاء كانت تبعته رسولا الى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسمى رسولا وما زال يرتقى

حتى ملك بلاد اليمن وانفرد بها ومعرفة مشهورة في التواريخ القديمة ثم دخلت سنة
 احدى وستين وثمانمائة فيها في المحرم قرر العلاء بن القيسي في ولاية القاهرة عوضا
 عن خاير بك القصري وقد تغير خاطر السلطان على خاير بك وضربه ومجنه بالقلعة وقرر
 عليه مال الاله صورة وخلع على الناصري محمد بن أبي الفرج وقرر في نقابة الجيش عوضا عن
 علي بن القيسي وفيه نودي على الدينار بثلاثمائة درهم وكان قد زاد سعره حتى بلغ ثلثمائة
 وسبعين درهما وكان قد كثرت الغش فيه وفي الفضة وفيه قرر كسباي السمين وثاني بك الصغير
 قرر كل منها رأس نوبة عصاة وفيه جاءت الاخبار بان سنقر الزرد كاش لما وصل الى حلب
 توجه من هناك الى طرسوس فتحارب مع نائبها الذي أقامه ابن قرمان فقتله وأرسل رأسه
 الى السلطان فطيف بها وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام وقد تقدم ان السلطان أرسل
 لكشف أخبار ابن قرمان وفيه توفي الأمير جرياش الكريعي صهر الملك الظاهر جقمق وكان
 أصله من مماليك الظاهر برقوق وتولى عدة وظائف سنية منها حاجبية الحجاب وامرية مجلس
 وامرية سلاح ولما كبر سنه لزم داره ورتب له ما يكفيه حتى مات وقد تجاوز التسعين سنة
 من العمر وفي صفر نارت فتنة كبيرة بالقلعة من المماليك الجلبان وكان السلطان في الدهيشة
 فلما تزايد الأمر منهم خرج اليهم السلطان وهو ماش من الدهيشة وقد هموا أن يهجموا عليه
 فلما عاينوه رجوه بالجماعة فولى وهو مستهجل حتى وقعت احدى نعليه من رجله فلم يلتفت
 اليها ومرت حافيا ويقال انه أصابته طوبة من الرجم في ظهره وانعطب بعض الخاصكية من
 الرجم في وجهه وكانت حادثة شنيعة قل ان يقع في الحوادث أشنع منها فلما دخل السلطان
 الدهيشة أغلقوا عليه الباب وكان عنده بعض الامراء واستمر الحال على ذلك الى العصر
 والامراء والخاصكية قد تعوقوا بالقلعة فتددت الرسل بين السلطان وبين المماليك الجلبان
 في هذه الواقعة فآل الأمر فيهم بان زادهم ألف درهم في الكسوة فصارت من يومئذ ثلاثة
 آلاف درهم لكل مملوك وزادهم في الاضحية رأسا من الغنم في كل سنة فكانت الفتنة قليلا
 وقد استطالوا بعد ذلك على الناس ووقع منهم أمور شنيعة يطول الأمر في شرحها وعظم
 أذاهم بالناس جدا ووقع منهم أمور ما وقعت من مماليك السلاطين قباهم قط وفيه عقد
 مجلس بين يدي السلطان وحضر القضاة الاربعة ومشايخ العلم فلما تكامل المجلس تكلم
 الجالي يوسف مع القضاة بسبب غش الفضة في المعاملة وأحضر وانقود الدول القديمة من
 أيام المؤيد شيخ الى دولة الظاهر جقمق فسبكت فلم يوجد أكثر غشا وفسادا من ضرب فضة
 دولة الاشرف ايتان فأمر السلطان بأشهار الماداة في القاهرة بإبطال المعاملة الحلبية
 والدمشقية فوقف حال الناس وأشبع بين الناس أن العامة ترجم الجالي يوسف ناظر الخاص
 واضطربت الاحوال فنودي في القاهرة بأن كل شيء على حاله في المعاملة الحلبية وغيرها

ثم نقض ذلك بعد مدة وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم من علماء الجواز يدعى جلال الدين أبو السعادات بن ظهيرة الشافعي وكان علامة ولي قضاء مكة ونظر الحرم والحسبة وكان حسن السيرة وفيه توفي الشيخ سراج الدين الحمصي الشافعي قاضي دمشق وكان عالما فاضلا ولي عدة وظائف منها قضاء طرابلس وحلب ودمشق وغير ذلك وكان قد ترشح أمره لقضاء مصر بل وكاتب السر ولم يتم له ذلك وفيه توفي الطواشي عبد اللطيف الرومي المنجكي مقدم المماليك وكان لابأس به بين الخدام وفي ربيع الاول توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الزفتاوي الشافعي نائب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم والنضل ومولده سنة تسعين وسبعمائة وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان يوما حافلا وفيه خلع السلطان على ولده المقر الشهابي أحمد وقرره أمير ركب الحمل ورسم لزوجه خوندزنب واولاده بان يحجوا في تلك السنة وشرع له -م في عمل برق حافل وحجت صحة ولدها المقر الشهابي أحمد وفي ربيع الآخر أعيد خاير بك القصري الى ولاية القاهرة وصرف عنها على بن القيسي وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بان شخصاً من الاشراف يقال له الشريف برغوت تسلق الى سطح الحجرة النبوية الشريفة واختلس عدة قناديل ذهب وفضة فاخذها وفر الى الينبع فقبض عليه بعد أيام وأخذ مائة من القناديل وسجن وكانت هذه الفعلة من أقيح الفعائل وفي جمادى الاولى خرجت التجريدة المعينة الى ابن قرمان وكان باش العسكر خشق قدم أمير سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبختانات والعشراوات ومن المماليك نحو من أربع مائة مملوك وكان لخروجهم يوم مشهود وفيه أرسل السلطان زردخانه حافله على يد نو كار الزردكاش بسبب العسكر المتوجه الى ابن قرمان وكان نو كار مريضاً فخرج غصبا على كرده منه وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة نو كار الزردكاش مات بغزة وكان من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان لابأس به فلما مات خلع السلطان على سنقر الاشقر المعروف بقرقشبق وقرر في الزردكاشية عوضاً عن نو كار الناصري بحكم وفاته وفي رجب طفش جماعة من فرسان العربان ركاب خيول وشرعوا يعرون الناس من الصحراء الى ان وصلوا الى رأس الموة وكان ذلك وقت القتالة فخطفوا عظام الفقهاء واسبوا قشاش الناس عنهم ولم يجد دوام من يرتد عنهم عن ذلك وكانت هذه اباحة صعدت من أوائك العربان وفيه توفي قاضي قضاة المالكية ولي الدين السنباطي وهو محمد بن عبد اللطيف بن اسحق بن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن داود بن عتيق الاموي المالكي وكان عالما فاضلا من اعيان المالكية ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة فلما توفي وقع الكلام على من يلي قضاء المالكية فوقع الاختيار على ولاية السيد الشريف حسام الدين بن حريز فسعي في ذلك بحال جزيل وكان الساعي له في ولاية القضاء

الجمالى يوسف ناظر الخاص وكان يومئذ في المالكية من هو أعلم منه ولكن ساعدته الاقدار وولى قضاء المالكية واقام بهامدة طويلة الى ان مات وفيه ادير المحمل على عادته ولكن حصل فيه من الممايلك الجلبان غاية الضرر في حق الناس من خطف النساء والصبيان وعظم الفساد وخطف عمامهم الناس وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار بان حسن بيك الطويل صاحب ديار بكر تحارب مع جهان شاه صاحب تبريز والعراقين فخرى بينهم من الحروب ما يطول شرحه وآل الامر الى أن حسن الطويل قد انتصر على جهان شاه فلما جاءت الاخبار بذلك سر السلطان بنصرة حسن الطويل على جهان شاه وفيه عاد قاني باي اليوسفي الذي كان توجه الى ابن عثمان ملك الروم وأخبر بانه اكرمه غاية الاكرام وفي شعبان جاءت الاخبار من حلب بان العسكر الذي توجه من مصر صحبة الامير خشقدم أمير سلاح دخل بلاد ابن قرمان وشن فيها الغارات وأخربوا غالب بلاده وقطعوا الاشجار التي بها وقتلوا جماعة كثيرة من عسكره فلما بلغ السلطان ذلك سريه وفي رمضان أرسل السلطان جماعة من العسكر الى اللجون بسبب قطع الاخشاب على العادة وكان الباشا على العسكر يشبك بن سليمان المعروف بالفقيه المؤيدى أحد الامراء الطبختانات يومئذ وهو الذي تولى الدواديرية الكبرى فيما بعد وفيه توفي عالم الحنفية وشيخهم بالديار المصرية الاستاذ الشيخ كمال الدين محمد بن الهمام الحنفي وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي المصري الحنفي شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية وكان فريد عصره في علماء الحنفية عالمًا ملاقضًا لدرجة الله عليه وكان مولده سنة تسع وثمانين وسبعمائة وكان معظم ما عند الملك وأرباب الدولة ولى مشيخة الاشرفية والشيخونية وغير ذلك من الوظائف السنية وفيه وصل سودون القصري أحد الدواديرية وأخبر بنصرة العسكر المتوجه الى ابن قرمان وقد استولى العسكر على غالب بلاده وأخربها وأحرق أشجارها فلما تحقق السلطان ذلك أمر بضرب البشائر بسبب هذه النصرة فدقت الكؤوس بالقلعة ثلاثة أيام وفيه كان وفاء النيل المبارك ووزن المقر الشهابي أحد ولد السلطان وفتح السد على العادة وكان يومًا مشهودًا ولكن كان في شهر رمضان فقيل أفطر في ذلك اليوم جماعة كثيرة من العياق الاوباش وكان يومًا شديد الحر وفيه عمل السلطان مسيرة حافلة وركب معه أرباب الدولة من المبائرين وغيرهم وفي شوال توفي الامير جاني بك القرمانى حاجب الحجاب وكان لا بأس به وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وكان لين الجانب متواضعًا في التجربة التي أرسلت الى ابن قرمان وفيه وصل العسكر الذي توجه الى بلاد ابن قرمان ودخل باشا العسكر الامير خشقدم أمير سلاح وكان يوم دخولهم يومًا مشهودًا بالقاهرة ولكن حصل للعسكر به دخروجه من غزوة وباءات منهم ما لا يحصى ودخل الباقون وهم متوعدكون حتى الامراء واكثر الخند وفيه قرر في مقدمة

جاني بك القرماني أبا يزيد التمر بغاوى وقرر في امرية ابي يزيد برسباى المؤيدى وفيه خرج
المحمل من القاهرة في تحمل زائد وخرج ابن السلطان في موكب حافل وخرجت والدته خوند
زينب في محفة زركش هي وأولاد خوند زوجة الامير بربك وزوجة الامير يونس البواب
امير داودار كبير وخرج ولدا السلطان سيدى محمد صحبة أخيه المقر الشهابى أحمد وكان لهم
يوم مشهود ووج في تلك السنة جماعة كثيرة من أعيان المباشرين منهم القاضى محب الدين بن
الاشقر كاتب السر والقاضى علم الدين شاكر بن الجيعان وجماعة من أولاده والقاضى أبو
بكر بن منهر ناظر الاصطبل وغير ذلك من الاعيان وفيه حضر جاني بك نائب جده وحضر
صحبه زين الدين الاستادار وقد تقدم ان السلطان نفاه الى المدينة الشريفة ثم رضى عليه
وأحضره الى القاهرة وفيه أنعم السلطان على جاني بك الاسماعيلى المعروف بكوهية بامرية
عشرة وفيه خلع السلطان على برسباى الجباسبى وقرر في بجوية الخجاب عوضا عن جاني بك
القرماني بحكم وفاته وفي ذى القعدة قدم قاصد صاحب بغداد بهدية للسلطان ومكانبة أنه
كسر الخارجى الذى يقال له المشعشع وقتل غالب عسكره وأن الحاج العراقى تجهز في تلك
السنة بعدما كان له مدة وهو منقطع بسبب أمر المشعشع فأكرم السلطان ذلك القاصد
وأقام أياما وسافر وفيه توفى الشيخ سراج الدين عمر الوردى الشافعى وكان من أهل العلم
وفيه خلع السلطان على القاضى صلاح الدين المكيى وقرره في الحسبة وفي ذى الحجة نار
الماليك الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وذلك بسبب زيادة رأس غنم
في كل سنة فشخ السلطان في ذلك ثم رسم لكل واحد بزيادة رأس غنم في الاضحية ونجدت
الفتنة قليلا وفيه في ثامن عشر به قدم مبشر الحاج وهو دمر داش الطويل وأخبر بأن
الحاج قاضى عطشة عظيمة في أثناء الطريق ومات من الناس ما لا يحصى وأخبر بسلامة
خوند وأولاد السلطان فضربت البشائر بالقلعة لهذا الخبر وفيه توفى أزبك الشسماني
أحد الامراء بمصر وفيه أخرج السلطان مقدمة طوخ بوفى بازق بحكم عجزه عنها وكان
مريضا وقرر في تقدمته برسباى الجباسبى وقرر في تقدمته برسباى الجباسبى ببيرس خال الملك
العزير وقرر في امرية مجلس جرباش المعروف بكرت عوضا عن طوخ بوفى بازق وقرر
يونس العلافى أميرا خور كبير عوضا عن جرباش كرت بحكم انتقاله الى امرية مجلس
ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثمانمائة فيها في المحرم أنعم السلطان على قايتباى المحمودى
بامرية عشرة وكان أحد الدوادارية وقايتباى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وكان بين تأميره
وسلطنته تسع سنين وبعض شهور وفيه قرر في نيابة ملطية تغرى بردى وفيه توفى
القاضى شهاب الدين السيرجى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم
والفضل وكان مولده سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وفيه دخل الحاج الى القاهرة ووصل ابن

السلطان ووالدته واخوته وكان لهم يوم مشهود وموكب حافل ولا قاهم الامراء وأرباب الدولة من البويب ومشت الامراء قدام محفة خوند حتى طلعت الى القاعة والامراء مشاة قدامها من البويب ثم طلعت هي وأولادها وجل الامير فيروز الزمام على رأسها القبة والطير وفرشت لها الشقق الحري من باب الستارة الى أن جلست على المرتبة بشاعة العواميد ونثر على رأسها خفاف الذهب والفضة ثم دخلت اليهم التقادم من الامراء والمباشرين لخوند وأولادها وكان مأهدا الجاهلي يوسف ناظر الخاص قندوره لخوند الكبرى مثلث ذهب ولؤلؤ وریش فكان مصر وفها ما يزيد على اثني عشر ألف دينار وهذا خارج عن بقية التقادم لها ولأولادها لكل منهم تقديمة على انفراد ولا سيما مأهدا للمقر الشهابي أجد ولد السلطان وأخيه الناصري محمد حتى قيل انه صرف في هذه الحركة نحو مائة ألف دينار ما بين تقادم واسمطة وغير ذلك وهذا من ماله دون مال غيره وأفعال ناظر الخاص يوسف في أخباره تقارب أخبار جعفر البرمكي وهذا الامر مشهور بين الناس وفيه وصلت تقديمة من عند قاضي باي الجزاوي نائب الشام ومن جلته اخيول نحو ثمانين فرسا أحدها مسروج بسرج بلور من نوادر السروج وفي صفر رسم السلطان باحضار أربك بن ططخ الظاهري وكان مقيما بطلا فلما طلع الى السلطان بالقلعة ألبسه سلا ريامن ملابسه ونزل الى بيته فأنعم عليه بأمرية عشرة وفيه مات الشيخ عبد الكريم خليفة سيدي أجد البدوي رحمة الله عليه مات قتيلا ولا يعلم من قتله وكان غير مشكور في سيرته وولي خلافة سيدي أجد البدوي مدة طويلة فلما مات ولي بعده صبي من أقارب اسمه عبد المجيد وفيه توفي القاضي علاء الدين علي بن أقبرس التركي الاصل وكان عالما فاضلا على مذهب الشافعي وكان رئيسا حاشما ولي عدة وظائف سنية منها الحسبة ونظر الاوقاف وناب في القضاء وكان من أعيان نواب الشافعية ومولده سنة احدى وثمانائة وفي ربيع الاول نودي في القاهرة بتسعر الذهب والفضة وضرب السلطان فضة جديدة فسعر الدينار الذهب بثلاثمائة والفضة الجديدة كل أشرفي بخمسة وعشرين نصفاء جديدة جيدة من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من تلك الفضة المغشوشة التي كان وصل الدينار منها الى أربع مائة وستين درهما انفسر الناس في هذه الحركة ثلث أموالهم ولكن انصلح أمر المعاملة بعدما كانت فسدت فقرح طائفة من الناس بذلك واغتم آخرون وكان القائم في ذلك الجاهلي يوسف ناظر الخاص فاضطربت الاحوال لذلك مدة ثم مشت تلك المعاملة الجديدة وسكن الاضطراب قليلا قليلا وصار كل من قبض عليه السلطان من الزغلية يوسطه أو يقطع يده فوق العقب في قلوب الزغلية وكان ذلك سببا لاصلاح المعاملة وقد انصلحت بعد جهد كبير وقال الشهاب المنصوري فبين أهدي اليه دينار عند المناداة على الذهب

أمولاي قد آثرني متفضلا * وأهديت دينارا قد استغرق الوصف
ولكنه قد خاف أمر ملكه * ألم تره من خوفه نقص النصف

وفيه توفى الشيخ الصالح المسالك المعتقد - يدى مدين وكان من الاولياء والناس فيه اعتقاد
وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه وهو أحمد بن محمد بن حسين بن ابراهيم بن
سليمان القاهري الحنفى وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا وله نظم جيد وألف الكتب النفيسة
فى الادبيات وغ - يرد لك منها كتاب يقال له السفينة كله محاسن وفوائد ومولده سنة ست
وثمانمائة ومن شعره عشرة مقابلة بعشرة قوله

فرع جبين محيا قامة كفل * صدغ فم وجنات ناظر نغر
ليل - لال صباح بانه ونقا * آس أقاح شقيق نرجس درر

وفى ربيع الآخر توفى جانيم البهلوان الاشرفى أحد الامراء العشرة اوات رؤس النوب وكان
رئيسا حشما شجاعا بطلا بارعا فى فنون الفروسية - وفيه حصل للسلطان توعك فى جسده
ثم شفى فضربت البشائر بالقلعة بسبب ذلك وبابواب الامراء وفيه توفى الامير طوخ بن غمراز
الناصرى المعروف بىوفى بازق وكان اصلا من محاليك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق ومات
بطال بعد ما كان أمير مجلس وكان كبير سنه وعجز عن الحركة وفيه توفى القاضى شهاب
الدين أحمد المعروف بقرقاس وهو أحمد بن على بن محمد بن مكى بن محمد بن عبيد بن عبد الرحيم
الانصارى الدماصى الحنفى وكان عالما فاضلا وناظرا فى القضاء بنحط بولاق وكان مولده سنة
تسعين وسبعمائة وفيه توفى سودون النوروزى نائب القلعة فلما مات قرر بعده فى نيابة
القلعة كسباى السمين وقرر جاني بك كوهية أحد رؤس النوب عن كسباى السمين وفيه
توفى الناصر محمد بن لاجين الجندى الحنفى وكان من أعيان الحنفية وفى جادى الاولى
خلع السلطان على الطواشى مرجان العادلى وقرره فى مقدمة المماليك وفيه قرر فى نظر
الدولة منصور بن الصيغى وهذا أول ظهوره فى الرئاسة وفيه توفى المغنى الاستاذ فى فن
النشيد فريد عصره ووحد دهره ناصر الدين محمد المازونى القاهري وكان بارعا فى فن الغناء
وكان يضرب به المثل فى حسن النغم ومعرفة الفن ولم يجئ بعده من هو فى طبعته الى يومنا
هذا وقد رثاه الشهاب المنصورى بهذه الايات

يا زهرة السمع سكنت الثرى * فللملاهى أيماله - فى
كم لطفة من قدم أويد * فى خدى الدوكة والدف
وقوله أيضا

كانت به لذاتنا موصولة * فانقطعت بموته اللذات
وكانت الاصوات تزهر بوجهة * فارفعت لموته الاصوات

وكان حصل للآزوني خلط فالج فأقام به مدة طويلة حتى مات فكان يقول ارجوا من سكت
 حسه وبطل نصفه وفيه نزل السلطان من القلعة وصحبته الامراء وأرباب الوظائف
 من الدولة فساروا الى نحو جزيرة اروى ثم توجه الى بولاق وكان له يوم مشهود فلما شق
 من بولاق أمر بهدم ما كان به من الاخصاص وكانت تضيق الطريق على السالك فهدمت
 من يومها وفيه مات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الاوجاقي الشافعي وكان عالما فاضلا ذكيا
 وفيه صرف القاضي صلاح الدين المكيني عن الحسبة وقرر بها قاضي باي اليوسفي المهمندار
 وكان جماعة من الجلبان ناروا على المحتسب فكان هذا سببا لصرفه عن الحسبة وفيه قدم
 قاصد من عند ابن قرمان وعلى يده مكاتبة يعتذر فيها عما حصل منه من الخروج عن
 الطاعة وأرسل يسأل السلطان في العقوبة والصلى معه فأجاب به السلطان الى ذلك وفيها
 نزلت صاعقة عظيمة ببولاق حتى كادت تحرق عن آخرها وكان ذلك يوم الجمعة من شهر رجب
 واستمر في كل ليلة يحترق في مصر والقاهرة حريق وأقام على ذلك نحو سنة حتى ضج الناس
 من ذلك ثم دخلت سنة ثلاث وستين ونعمان غائبة فيها توفي القاضي محب الدين بن الاشقر
 كاتب السر الشريف فلما توفي خلع السلطان على القاضي محب الدين بن الشحنة واستقر
 به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الاشقر وكانت وفاته في رجب وفيها توفي الشيخ علي
 الجمعي المحتسب وفيها توفي قاضي الجزاوي نائب الشام واستقر بها اجاغم الاشرف وفيها ظهر
 في السماء نجم له ذنب طويل نحو سبعة أذرع فكان يطلع من جهة الشرق ثم صار يظهر من
 جهة الغرب فأقام على ذلك مدة ثم اختفى ومن الحوادث في أيامه أن حضرا الى الابواب
 الشريفة جاكم ابن ملاك قبرس وطلب من السلطان نجدة فعين السلطان معه تجريدة وكان
 باش العسكر الامير يونس الدوادار ثم ان السلطان شرع في عمارة مراكب أغربة بالجزيرة
 الوسطى وكان الشاهد على عمارة هذه الاغربة الامير سنقر قرق شبق الزرد كاش فحصل منه غاية
 الظلم لأرباب الغيطان بسبب الاخشاب فلما كملت عمارة تلك الاغربة نزل السلطان بنفسه
 وكشف على عمارة الاغربة وكان له يوم مشهود ونزل من القلعة في موكب عظيم وتوجه الى
 الجزيرة الوسطى فرموا فندامه الاغربة في البحر والنقط والطبل عمال حتى انتهى ذلك ثم
 رجع الى القلعة فلما خرجت التجريدة وتوجهوا الى بلاد الافرنج لم يحصل من العسكر
 الذي توجه نتيجة ورجع الامير يونس الدوادار من التجريدة بسرعة وترك بقية العسكر في
 قبرص ورجع الى القاهرة فمأشكره أحد من العسكر على ذلك وبقي معه وتاعندهم الى أن
 مات وفيها توفي الامير يونس العلاق الناصري أمير اخور كبير خلع السلطان على الامير
 برسباي الجاسي واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن يونس العلاق وخلع على الامير
 سودون قرا قاش واستقر به حاجب الحاجب عوضا عن برسباي الجاسي وأنعم على الامير جاني

بك نائب جدة بتقدمة ألف * ثم دخلت سنة أربع وستين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وكان مبدؤه من الشام وكان طاعونا عظيما جدا مات فيه ثلث الممالك والاطفال والجواري والعبيد والغرباء واستمر عمالا نحو خمسة أشهر وكان الورد في تلك السنة كثيرا فصاروا يعملون على التوايت قواصير جريد يغرزون فيها الورد وقد انتهت الجناز في كل يوم الى اثني عشر ألف جنازة وقد قال القائل

أسنى على سكان مصر اذ غدا * للطعن فيها ذات وخرسارى

الموت أرخص ما يكون بحجة * لكن هذا صار بالقنطار

وفيه اتوفى العلامة الشيخ جلال الدين المحلى الشافعى وفيه اتوفى الزينى أبو الخير بن النحاس وفي هذه السنة كانت وفاة القاضى برهان الدين ابراهيم بن الجيعان كاتب الخزانة الشريفة ومستوفى ديوان الجيش * ثم دخلت سنة خمس وستين وثمانمائة فيها توجه الاتابكي أحمد ابن المقام الشريف الى السرحة فلما عا دزينة له القاهرة وكان يوم دخوله يوما مشهودا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيه اتوفى الناصر محمد بن ايتش الخضيرى ابن أخت خوند بنت خاصبك توفى يوم دخول الاتابكي أحمد الى القاهرة فكدر عليهم ذلك اليوم واستمر الملك الاشرف اينال قائما فى ملكه وهو فى أرغد عيش وأولاده حوله وكان غالب الامراء اصهاره والعسكر فى قبضة يده واستمر على ذلك حتى مرض بالأم العاشم وسلسل فى المرض حتى مات وكانت وفاته يوم الخميس بعد العصر خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن من يومه فى تربته التى أنشأها له القاضى ناظر الخاص يوسف بالقرب من تربة القاضى عبد الباسط التى فى الصحراء فكثرت عليه الحزن والاسف كما قيل فى المعنى

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت

وتفعل بالذين بقوا * كما فهم مضى فعلت

وتوفى الملك الاشرف اينال وله من العمر احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وشهرين وستة أيام وخلف من الاولاد أربعة وهم الاتابكي أحمد الذى تسلط بعده والمقر الناصر محمد أخوه الصغير وابنته خوند بديرة زوجة برد بك وابنته خوند فاطمة زوجة يونس البواب الدوادار الكبير ولم يتزوج اينال غير أم أولاده خوند زينب بنت خاصبك ولما ثقل فى المرض عهد بالملك الى ولده الاتابكي أحمد فتسلطن ووالده فى قيد الحياة وكانت صفة الملك الاشرف اينال طويل القامة أسمر اللون عربى الوجه خفيف العوارض وكان يعرف باينال الاجرود وكان ملكا هينا اينال قليل الاذى ولولا جور عمه ليكه فى حق الناس لكان خياره ملوك الجراكسة وكان كل من يقع له من الرغيلة يوسطه وكانت أيامه كلها هو وانسراح وكان أمه الايقرا ولا يكتب فكانوا يخطون له

على المراسيم حتى يمشى عليها بالقلم وقيـل انه في مدة سلطنته لم يسفك دما قط بغير وجه شرعي
فعد ذلك من النوادر ومن الحوادث في أيامه أنه كان يقع بالقاهرة في كل ليلة حريق في عدة
أما كن حتى ضج الناس من ذلك ولم يعلم سبب هذه النازلة ولا من كان يفعل ذلك فاستمر
الامر على ذلك مدة ثم بطل وفي أيامه تحرك ابن قرمان على بلاد السلطان فأخرج اليه
تجريدة وكان باش العساكر المقر السيفي خشد مقدم أمير سلاح فلما توجهوا الى بلاد ابن قرمان
لم يقاتلهم ولم يقع بينهم قتال فرجع العسكر الى الديار المصرية وهم سالمون ومن الحوادث
في أيامه ان خوندزوجة السلطان مرضت فنزلت الى بولاق وأقامت في القطبية فنزل
السلطان وسلم عليها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا في بولاق حراقة نفط فخرجت في تلك الليلة
البنيت من خدرها بسبب الفرجة على ذلك وكانت من الليالي المعدودة في القصف والفرجة
وكانت دولة الملك الاشرف اينال ثابتة القواعد فأما أتابكيته فالمقر السيفي ثاني بك
الطاهري وولده المقر الشهابي أحمد وأما دوا دارياته فالمقر السيفي يونس البواب صهره
والامير برديك الدوا دار الثاني ملوكه وصهره أيضا وأما قضاة الشافعية فالقاضي علم الدين
صالح البلقيني وأما قضاة الحنفية فشيخ الاسلام سعد الدين الديري وأما قضاة المالكية
فالقاضي ولي الدين السنباطي ثم السيد الشريف حسام الدين بن حريز وأما قضاة الحنابلة
فالقاضي عز الدين أحمد بن نصر الله الحنبلي وكان الجمالي يوسف ناظر الخصاص مدبر مملكته
كما كان القاضي عبد الباسط في دولة الاشرف برسباي وكان ينقاد الى الشريعة ويحب
العلماء قليـل العزل للقضاة وأرباب الوظائف وكان معظم مساو به محاليكه الجلبان وبالجملة
كان الاشرف اينال من خيار ملوك الجراكسة انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الاشرف
اينال العلائي وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبي الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائي الناصري

وهو السابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثالث عشر من ملوك
الجراكسة وأولادهم في العدد بويغ بالسلطنة في حياة والده وكانت صفة مبايعته بالسلطنة
ان أباه لما أشرف على الموت طلع الامير برديك صهر السلطان واجتمع بخوندزوجة السلطان
وذكر لها أن الاحوال فاسدة والامور في اضطراب ومن الرأي أن السلطان يعهد الى ولده
بالسلطنة فدخات خوند على السلطان وذكرت له ذلك فأمر باحضار الخليفة والقضاة
الاربعة فحضر الخليفة الجمالي يوسف والقضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقيني

الشافعي وسعد الدين الديري الحنفي وحسام الدين بن حرير المالكي وعزالدين الحنبلي
وحضر أرباب الدولة من أرباب الحل والعقد فلما تكامل المجلس دخل بعض الشهود على
السلطان وشهدوا عليه بخلع نفسه من السلطنة وتولية ولده ثم ان الخليفة بايع الاتابكي
أحمد بن اينال بالسلطنة عوضا عن أبيه وتلقب بالملك المؤيد فلما تمت له البيعة أحضره
شعار الملك وهو العمامة السوداء والجبّة والسيف البداوي وأقيض عليه الشعار وقدمت
اليه فرس النوبة وركب من باب الدهيشة وحل الأمير خشقدم أمير سلاح على رأسه القبة
والطير وقد ترشح أمره لأن يلي الاتابكية فلما ركب من الدهيشة مشيت قدامه الامراء قاطبة
والخليفة عن يمينه حتى دخل القصر الكبير ونزل عن فرسه وجلس على سرير الملك وباس له
الامراء الارض من كبير وصغير ودقت له البشائر بالقلعة ثم نزل الوالى ونادى في القاهرة
بالامان والاطمئنان والدعاء للملك المؤيد فارتفعت الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس
قليل الاذى ثم خلع على الخليفة والامير خشقدم ونزل الى دورهما وكان له من العمر لما تولى
السلطنة نحو من ثمان وثلاثين سنة أو زيادة على ذلك وكانت أمه خوندز زينب بنت خاصبك
وكان كامل الهيئة حسن الشكل أبيض اللون مستدير اللحية أسود الشعر طويل القامة
غليظ الجسد وكان كفو السلطنة ولكن لم يساعده الزمان وحق عليه وخان كما قيل

أنا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب وجلس على سرير الملك وقال فيه القائل

بم هجتي أفدى مليكا غدا * مؤيدا بالنصر كالشمس

فلو تراه فوق كرسيه * لقلت هذا آية الكرسي

ثم أخذ في تدبير ملكه وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي خشقدم الناصري
أمير سلاح فقرره في الاتابكية عوضا عن نفسه وأخرج له مكتوبا باقطاعه الذي كان بيده
وخلع على جرباش الحمدي المعروف بم كرت وقرره في امرية سلاح وخلع على قرقاس
الجلب وقرره في امرية مجلس عوضا عن جرباش كرت وخلع على قائم التاجر وقرره رأس
نوبة النوب عوضا عن قرقاس الجلب وقرره في مقدمة جرباش كرت يبيرس خال الملك العزيز
ثم شغرت مقدمة فاراد أن ينعم بها على صهره الأمير برد بك الدوادار الثاني فوقف اليه جاني بك
الظريف وباس الارض وطلب التقدمة التي شغرت فابى السلطان من ذلك وحصل بين
جاني بك الظريف وبين الأمير يونس الدوادار كبير في ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك
ونزل جاني بك الظريف من عند السلطان غير راض وكان ذلك سببا في سرعة زوال الملك
المؤيد أحمد عن قريب ثم ان السلطان نادى في الخوش للمسكر بان نفقة البيعة في يوم
الثلاثاء عشرين هذا الشهر لكل مملوك عشرون دينارا فسر الجند بذلك وارتفعت له

الاصوات بالدعاء هذا كله جرى ووالده الاشرف في قيد الحياة الى أن مات في يوم الخميس بعد
 العصر وذلك في خامس عشر جمادى الاولى من تلك السنة فلما مات شرعوا في تجهيزه
 وأخرجوه عند باب الستارة وصلى عليه الخليفة وولده الملك المؤيد أحد ثم نزلت جنازته من
 سلم المدرج وتوجهوا به الى تربة التي أنشأها بالصحراء كما تقدم ثم ان السلطان بعث نفقات
 الامراء فحمل الاثابكي خشفة قدم أربعة آلاف دينار ولا رباب الوظائف من الامراء
 والمقدمين لكل واحد منهم ألفان وخمسمائة دينار وبقية المقدمين لكل منهم ألفا دينار
 وحمل للامراء الطبختانات لكل واحد منهم خمسمائة دينار وحمل للامراء العشر اوات
 لكل واحد منهم مائة دينار ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من مائة دينار الى
 مائة دينار الى عشرة دنانير ثم أنعم السلطان على يشبك الجاسي الاشرفي ويشبك هذا
 كان من مماليك الاشرف اينال وكان في أيام أستاذه مقدم ألف بحاب ثم حضر الى القاهرة
 فبقى مقدم ألف بمصر وفي جمادى الآخرة عين السلطان جماعة من خواصه من الامراء
 والخاصة بالتوجه الى البلاد الشامية وغيرها بشارة السلطنة الى النواب وغيرهم وفيه
 جاءت الاخبار من قبرس بان جاني بك الابلق الذي كان مقيما بقبرس مع جماعة من المماليك
 السلطانية أرسل ليخبر بان أخت جاني صاحب قبرس قريت الى رودس لتستجذب صاحبها
 ليمدها بعسكر حتى تحارب أخاها وتأخذ منه مدينة شيرينه فارسل جاني بك الابلق يستحث
 السلطان في ارسال تجريدة تجده سردها وكان يظن ان الاشرف اينال في قيد الحياة وفيه
 خلع السلطان على محمد الدين بن البقري وقرره في الاستادارية عوضا عن منصور بن الصفي
 بحكم صرفه عنها وهذه أول ولاية محمد الدين للوظائف السنية وفيه توفي الطواشي مرجان
 العادلي مقدم المماليك وكان حبشي الجنس وكان عنده شدة بأس وعسوفة زائدة فلما مات
 قرر في تقديمه جوهر النوروزي وفيه توفي جميل بن أحمد بن عميرة شيخ العرب بالكفور
 بالغربية وكان ظالمًا عسوفًا وكان في سعة من المال وهو بخيل جدًا وفيه توفي صاحب
 سعد الدين فرج بن ماجد النحال وكان أصله من الاقباط ولي عدة وظائف سنية منها الوزارة
 والاسنادارية غير ما حرة وولي أيضا كتابة المماليك وغير ذلك من الوظائف وكان رئيسا
 حشما دينا خيرا مشكورا في مباشرته وكان عنده حدة مزاج في ذاته ومولده في سنة إحدى
 وثمانمائة وفيه كان قراءة تقييد السلطان بالقصر الكبير وحضر الخليفة والقضاة
 الاربعة وأرباب الدولة وجلس القاضي كاتب السر محب الدين بن الشحنة على كرسي وقرأ
 التقليد على العادة ثم ان السلطان خلع على الخليفة والقضاة الاربعة ونزلوا من القلعة في
 موكب حافل وفيه ثارت حربان ابيد ووصلوا الى البحيرة وشنوا بها الغارات ونهبوا الغلال
 فلما بلغ السلطان ذلك بادروا بأرسل خلفهم ثم تجر يده ولم يرسل من المماليك الجلبان أحدا

فعر ذلك على المالك القرائنة وأضره واله السوء وفي رجب ظهر في القاهرة وضواحيها
الامن والعدل والرأى وأحب الرعية السلطان حباً شديداً ومالت اليه النفوس قاطبة
كما قيل

دولته للامام عيـــــد * باق وأيامـــــه مواسم
قد أظهر العدل في الرعايا * وأبطل الجور والمظالم
وصير الشاة في حياه * تمشى مع الذئب والضياع
لوطقت مصرنا لقات * يا ملك العصر والآقال
ملأت قلب الملوك رعباً * أغنى عن السمر والصوارم

وفيه هجم المنسر على المتفرجين بجزيرة بولاق وكان في الظلمة نصف الليل فنهبوا من الناس
شيئاً كثيراً وكان الناس قد خرجوا عن الحد في الفتك والقصف بسبب القرية ونهبوا
هنالك الخيام حتى سدوا رؤية البحر وصاروا يقيمون في الرمل ليلاً ونهاراً من نساء ورجال
وهم في غاية التخرق فهجم عليهم المنسر على حين غفلة ونهب ما قدر عليه ولم ينتطح في
ذلك شاتان وفيه قدم الاشرف الذي كان دوا داراً ثانياً بمصر ونفى في دولة الاشرف اينال
فلما مات اينال قدم الى القاهرة من غير اذن السلطان فلما حضر نزل عند الاتابكي خشف قدم
فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وأمر بإخراجه من حيث جاء فخرج من يومه وأمر بسجنه
فشفع فيه بعض الامراء فانعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق وألبسه كاملية سمور
وخرج من مصر سرعاً فشق ذلك على جماعة الاشرفية وكنز القيل والقال بين الناس
وله جواب وقوع فتنة عن قريب وفيه وصل الطواشي شاهين غزالي الذي توجه الى
دمشق لضبط تركه زوجة قاضي بك الحزاوي نائب الشام واشتملت تركته على أشياء غريبة
من تحف ومعادن نفيسة وأقمشة ممتنة وأواني فضة وبلور مما لا يسمع بمثله فكان هذا
الموجود أعظم من موجود الخوندات فامر السلطان ببيعه في كل يوم ثلاثاء فاقاموا نحو
من شهر وهم يبيعون في ذلك الموجود وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو القرافة
وعاد سريعاً وهذا أول ركوبه في السلطنة وكان آخر ركوبه وفيه أمطرت السماء برداً
كبيراً كل حصوة قدر بيضة الحمامة وكان غالب ذلك يبلاد الشرقية وتلقبهم أكثر الزرع
وهلك بهم بعض بهم وفيه توفي الامير فيروز الزمام الخازن دار الكبير وكان أصله من خدام
فيروز الخافطى وكان رئيساً حشماً وولى عدة وظائف منها الزمامية والخازندارية الكبرى
وغير ذلك من الوظائف وكان سبب الاخلاق حاد المزاج وكان في سعة من المال ووجد له من
الاصناف والمال ما يزيد على مائة ألف دينار قيل ابتيع له حاصل فيه فخم بألف دينار ومات

وله من العمر ما يزيد على ثمانين سنة ولم يجئ بعده مثله من الخدام وفي رمضان أشيع بين الناس أن السلطان عول على امسالك جماعة من الامراء الاشرفية ثم انه أمر نقيب الجيش بأن يدور على الامراء ويأمرهم بالصعود الى القلعة وما عرف السبب لذلك فأخذوا حذرهم وبنوا على وجل ولم يطلع اليه أحد فلما كان ليلة السبت سابع عشر رمضان وثب جماعة من المماليك الاشرفية والظاهرية واستمالوا معهم غالب المماليك الاينالية ولعبوا بهم وأفسدوا عقولهم وخسروا عليهم قلوبهم وآلة الحرب وطلعو الى الرميلة فلما عظم الامر نزل السلطان الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على الرميلة فاشتد الحرق في ذلك اليوم واستمر واعي ذلك حتى حال بينهم ما الليل فلما أصبح يوم الاحد ثامن عشر رمضان نزل السلطان الى المقعد المطل على الرميلة وثبت للقتال فلما رأى ممالك ابيه قد وثبوا عليه تحقق انه مكسور لا محالة فكان كما قيل

كنت من كربتي أفر اليهم * فهو كرتي فأين المفر

ثم كانت الكسرة على أحد فطلع من باب السلسلة وتوجه الى قاعة البحرة ثم طلب أخاه الناصري محمد وأمرهم أن يغلقوا عليهم ما الباب فلما بلغ العسكران الملك المؤيد قد اختفى توجهوا الى بيت الاتابكي خشق قدم فأرسلوه غصبا حتى طلعو الى باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الأربعة فخلعوا الملك المؤيد أحد من السلطنة وبايعوا الاتابكي خشق قدم فكانت مدة الملك المؤيد في السلطنة أربعة أشهر وثلاثة أيام وكان المماليك كاتبوا جانم نائب الشام أن يحضر الى مصر ليلى السلطنة وأرسلوا اليه صورة حلف وكتب فيه الامراء الاشرفية خطوط أيديهم بأنهم ارتضوا بجانم أن يكون هو السلطان عليهم وأرسلوا يستحثونه في الحضور فأبطأ عليهم ثم فاصبروا الى أن يحضر فوثبوا على المؤيد في رمضان وحاربوه ثلاثة أيام فلما انكسر التفوا على الاتابكي خشق قدم وولوه السلطنة عارية الى أن يحضر جانم نائب الشام فصار الهزل جدا وكان كما قيل في المعنى

وان صبايتي كانت مزاحا * فصيها الهوى حقا يقينا

وكان الملك المؤيد أجد كفؤا للسلطنة ذاعقل ورأى كامل الهيبة ساس الناس في أيامه أحسن سياسة وقع ممالك ابيه عما كانوا يفعلونه من تلك الافعال الشنيعة وكان بصيرا بمصالح الرعية ولوا أقام في السلطنة لحصل للناس به غاية النفع ولكن خانه الزمان وأخذ من حيث كان يرجو الامان كما قيل

واذا جفالك الدهر وهو أبو الوري * طرافلات عتب على أولاده

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد أجد وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين

خشدقدم الناصري المؤيدي وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو أول ملوك الروم بمصر لم يكن أبك التركاني من الروم ولا لاجين من الروم خشدقدم أول ملوك الروم بمصر (أقول) وكان الظاهر خشدقدم أصله رومي الجنس جلبه الخوارجا ناصر الدين وبه يعرف بالناصري فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ ثم أعنته وأخرج له خيلا وقشا وصار جدارا ثم بقي خاصيكافي دولة الملك المنظر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ ودام على ذلك دهر اطويلا الى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق فأنعم عليه بأمرية عشرة وذلك في سنة ست وأربعين وثمانمائة وصار رأس نوبة واستقر على ذلك الى سنة خمس وثمانمائة فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها ودام بدمشق الى أن تغير خاطر السلطان على الأمير قاني بك الظاهري حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح فعند ذلك نفي السلطان الأمير قاني بك الى نغردمياط فلما جرى ذلك سعى القاضي أبواند-ير بن النحاس وكيل بيت المال هو والأمير تغريغا الدوادار الثاني للأمير خشدقدم فأحضره السلطان من دمشق وأنعم عليه باقطاع الأمير قاني بك حاجب الحجاب وذلك في صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة فقام على ذلك الى أن مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن الملك الأشرف اينال فبقي الأمير خشدقدم أمير سلاح في دولة الأشرف اينال وسافر في أيامه بأش العسكر في التجربة التي توجهت الى حلب بسبب ابن قرمان فلما رجع من التجربة أقام أمير سلاح الى أن توفي الملك الأشرف اينال وتسلطن ولده الملك المؤيد أحمد فاستقر بالأمير خشدقدم أتاك العساكر عوضا عن نفسه وذلك في سنة خمس وستين وثمانمائة فلما وثب المماليك على الملك المؤيد في شهر رمضان كما تقدم ذكر ذلك اتفق رأي الأمراء على سلطنة الاتابكي خشدقدم الى أن يحضر المقر السيفي جانم نائب الشام فيسلطنوه فلما أبطأ عليهم الأمير جانم سلطنوا الاتابكي خشدقدم نيابة عن جانم فكانت سلطنة خشدقدم فلتة كما قيل في المعنى

وان صبابتي كانت مزاحا * فصيرها الهوى حقايقينا

وكانت سلطنة الاتابكي خشدقدم في يوم السبت سابع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فصلى الظهر وجلس في المقعد الذي في باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وهم على الوصف المقدم ذكره فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة وباعوا الاتابكي خشدقدم فأحضر واله خلعة السلطنة فلبسها من المقعد الذي في باب السلسلة وركب من

هناك فرس النوبة وطلع الى باب القصر الكبير وحمل على رأسه القبة والطير المقر السيفي
جرباش كرت أمير سلاح فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك
الظاهر ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضح الناس له بالادعية الفاخرة ثم انه أرسل
قيس الملك المؤيد وأخاه في البحرة ثم نزل بهما وقت الظهر من القلعة وخلفهما أوجاقية
بجناجر وأرسلهما الى السجن بغير مدينة الاسكندرية وأرسل معهما الامير قراجا الطويل
الايثالي وكان المتدبر عليهم الامير خير بك المصارع فتوجه بهما الى نगर الاسكندرية
وسجنهما بها ثم ان السلطان رسم على خوند الخاصكية ام الملك المؤيد وجعل عليها عشرة
من الخدام منهم خستة قدم اللالاف صار يقسو عليهم ثم انه أخذ للسلطان من خوند المدكورة
بجدة كثيرة من المال نحو مائة ألف دينار ثم انه في أواخر شهر رمضان توفي الامير يونس البواب
الدوادار الكبير وكان صهر الملك الاشراف اينال فيكثر عليه الحزن والاسف ثم ان السلطان
عمل الموكب في القصر الكبير وخلع على من يذكرون من الامراء وهم المقر السيفي جرباش
المجدي المعروف بكرت نخلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع
على المقر السيفي قرقاس الجلب واستقر به أمير سلاح عوضا عن جرباش وخلع على المقر
السيفي قائم التاجر المؤيد واستقر به أمير مجلس وخلع على المقر السيفي بلباي المؤيد
واستقر به حاجب الجلب وخلع على المقر السيفي جاني بك نائب جدة واستقر به دوادار
كبير عوضا عن الامير يونس البواب بحكم وفاته كما تقدم ثم انه نقل المقر السيفي برديك
الجهنم واستقر به حاجب الجلب وخلع على المقر السيفي بيبرس خال العزيز واستقر به
رأس نوبة النوب ثم خلفه عمر بغا من مكة حين أمرك الامير بيبرس ونفى كما سيأتي
ذكر ذلك في موضعه وكان عمر بغا بمكة فلما حضر لمصر استقر به رأس نوبة النوب وخلع على
المقر السيفي جاني بك الطريف واستقر به دوادار ثانيا وأنعم عليه بهتة مقدمة ألف مع
الدوادارية وخلع على المقر السيفي جاني بك الاشراف واستقر به شاد الشربخانة وأنعم عليه
بهتة مقدمة ألف مع الشادية وخلع على الامير اينال الاشراف واستقر به والى القاهرة وخلع
على الامير رصاص واستقر به محتسب القاهرة وأنعم على جماعة كثيرة من الامراء
الاشرفية بأمر يات عشرة ولم تكن ولاية هؤلاء الامراء في موكب واحد بل كانت في
مواكب متعددة حسب ما يأتي ذكر ذلك في موضعه ثم ان الامير جاني بك نائب جدة قرب
بجماعة من الايالية ولم يمكن السلطان من التشويش عليهم منهم أزد مر الطويل وثاني
بك قراو جاني بك الخشن وشاد بك أبانطة وقانصوه المؤيد وغير ذلك من الايالية بجماعة
كثيرة فصار هؤلاء من عصبة جاني بك نائب جدة وكان متخيلا من جماعة الاشرفية
والمؤيدية فقويت شوكتهم ونهضت له الايالية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل

واله قد في تلك الايام والسلطان خشف قدم في قبضة يده يدوره كيف شاء وكان السلطان خشف قدم متخيلا أيضا باطنا وظاهرا فلم يزل الملك الظاهر خشف قدم يسبل الى جاني بك نائب جتة ويداريه حتى انتهز الفرصة في قتله وقتله كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه فكان لسان حال جاني بك نائب جتة يقول

لاتأمنن عدوا * ولودنا للمنية خفية السم تدعى * في حالة الموت حيه

ثم ان الملك الظاهر خشف قدم أنفق على العسكر نفقة كاملة و فرق الاقطاعات الثقيل على الممالك وأرضى جميع الجند بكل ما يمكن فاستقامت أحواله في السلطنة وزال عنه الشك فلما كان يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة جاءت الاخبار بان المقر السيفي جانم نائب الشام قد وصل الى خانقاه سرياقوس وقد تقدم أن الامراء الاشرفية أرسلوا كاتبوه بان يحضروا الى القاهرة بسرعة حتى يسلمطنوه عوضا عن الملك المؤيد أحد ابن الاشرف اينال فلما اباط عليهم وثبوا على الملك المؤيد وخطعوه من السلطنة وولوا الاتابكي خشف قدم سلطانا واستقر المقر السيفي جرياش كرت أتابك العسكر بمصر فلما حضر جانم من الشام وجد القاعدة قد انخرمت والوظائف قد انقسمت وفاته الشنب وعز الطلب فكان كما قيل في المعنى

وثب الثعلب يوما وثبة * شغفامنه بعنة قود العنب

لم يتله قال هذا حامض * حصرم ليس لنا فيه أرب

فلما بلغ الظاهر خشف قدم حضور جانم نائب الشام اضطربت أحواله وتزايدت أوجاله فاجتمع بالأمراء وضربوا في ذلك مشورة فوقع الاتفاق بان جانم يرجع الى الشام ولا يدخل الى مصر وأن يكون نائب الشام على عادته فتوجه اليه صاحب علاء الدين بن الاهنسي وصحبته خلعة الى الامير جانم بان يكون نائبا على عادته فتوجه اليه في ليلة عيد الفطر ومثله في الخانقاه يوم العيد مدة عظيمة ولم يمكن السلطان أحد من الامراء المقدمين بان يتوجه اليه فتوجه اليه بعض أمراء عشر اوات من الاشرفية منهم تراز الشمسي وغير ذلك ثم ان السلطان أرسل الى الامير جانم عشرة آلاف دينار وأنعم عليه ببرك الامير يونس الدوادار جميعه وصار يرضيه بكل ما يمكن فرجع الامير جانم الى الشام وهو بخفي حنين وكان ذلك ترتيبا من الامير جاني بك نائب جتة فانه كان كثيرا الحيل والخداع فلما رجع الامير جانم الى الشام أرسل السلطان الى نائب قلعة الشام مراسيم في الدس بان يقبض على جانم نائب الشام فرمى عليه بالمدافع وهو جالس في دار السعادة فهرب وقام من وقته وأخذ عياله وأولاده وخرج من الشام هاربا فلما خرج نهبوا دار السعادة وأخذوا جميع بركه وقاشه فلما خرج من الشام توجه الى نحو مدينة الرها واستقر في هجاج وعصيان فلما

جاءت الاخبار الى القاهرة بذلك عين له السلطان تجريدة وعين الامير جاني بك نائب جدة
 امير العسكر فأخذ في أسباب ذلك ثم ان السلطان خلع على خشد اشيه المقر السيفي
 ثم المؤيدي واستقر به نائب الشام عوضا عن جاني بك الاشرفي لما تسحب من الشام فأقام
 الامير تنم في نيابة الشام الى أن مات هناك ودفن بالشام والله سبحانه وتعالى أعلم
 ثم دخلت سنة ست وستين وثمانمائة هـ فيها عمل السلطان الموكب في القصر الكبير فلما
 طلع الامراء واجتمعوا بالقصر عول في تلك الليلة على مسك جماعة من الامراء الاشرفية
 فلما كان بعد العشاء غلقوا أبواب القاعة ودخل على الامراء وهم في القصر جماعة من
 المماليك الظاهرية وهم لابسون الزديات والحدود وبايديهم سيوف مسجلة ومعهم قسي
 ونشاب فقبضوا على الامير جاني بك الظريف والامير جاني بك المشد والامير بيبرس خال
 العزيز وغيرهم من الامراء الاشرفية نحو من اثني عشر انسانا فلما قبضوا عليهم قيدوا
 الامراء المقدمين ونزلوا بهم من القاعة وهم الامير جاني بك الظريف والامير بيبرس خال
 العزيز والامير جاني بك المشد وغير ذلك من الامراء العشراوات فلما نزلوا بهم توجهوا بهم
 الى السجن بشغرا الاسكندرية فلما جرى ذلك وثب جماعة الاشرفية على الملك الظاهر
 خشدة قدم ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرملة فنزل اليهم جماعة من المماليك الظاهرية
 فوقعوا معهم ثم ان المماليك الاشرفية توجهوا الى الاتابكي جرباش كرت وكان في تربة
 الظاهر برقوق بسبب موت ابنته التي ماتت نفساء وهي زوجة الامير اقبردى اليوسفي فلما
 توجهوا اليه اختفى الامير جرباش منهم في فسقية الموتى ولم يقابلهم فلم يزالوا عليه حتى
 طلعوا به من فسقية الموتى وسالوا عليه السيوف وأركبوه غصبا وشالوا على رأسه صنجقا
 ودخلوا به من باب النصر وشقوا به من القاهرة ولقبوه بالملك الناصر فصار العوام يضجون
 له بالدعاء حتى وصل الى البيت الكبير الذي عند حدره البقر فأقام هناك ثم ان الاشرفية
 قاتلوا قتالا هينا وكان رأس هذه الفتنة الامير سنقر قرق شبق الزرد كاش وكان من شرار
 جماعة الاشرفية فلم يطبوا طبية وصارت أحوالهم سبة ثم ان الملك الظاهر خشدة
 أرسل الى الاتابكي جرباش بعض الخاصكية فتلفط به وأخذه وطلع به الى القاعة فلما طلع
 تحيل عليه الامير جاني بك نائب جدة وقال له خشدة كادي ملك ناصر فلم يرد عليه جوابا فلما
 طلع الاتابكي جرباش الى القاعة نزل المماليك الظاهرية وأوقعوا مع المماليك الاشرفية
 واقعة قوية فلم تكن الاساعة غير بطية حتى انكسر المماليك الاشرفية كسرة قوية
 وأحاطت بهم كل رزية فولوا مدبرين ورجعوا خائبين فعند ذلك توجه جماعة من المماليك
 الظاهرية الى بيت الامير سنقر الزرد كاش ونهبوا مافيه وأحرقوه ثم قبضوا على الامير
 سنقر الزرد كاش وعلى جماعة كثيرة من الاشرفية ونفوههم في أماكن شتى وحدثت هذه

الفتنة كأنهم لم تكن ثم ان السلطان قبض على جماعة من الاينالية ونفاهم ثم نفي
الامير برد بك صهر الملك الاشرف اينال الى مكة وفيها خلع السلطان على خشد اشيه
الامير جاني بك كوهيه واستقر به دوا دارا ثانيا عوضا عن الامير جاني بك الظريف وفيها
خلع السلطان على الامير اينال الاشقر ووالى القاهرة ثم استقر به نائب ملطية وخلع على
الامير عمر الظاهري واستقر به والى القاهرة عوضا عن اينال الاشقر وفيها عزل السلطان
ناظر الخصاص عبد الرحمن بن الكوير واستقر بالقاضي شرف الدين الانصاري ناظر
الخواص الشريف عوضا عن عبد الرحمن بن الكوير وفيها فصل السلطان قاضي
القضاة علم الدين صالح من القضاء وأعاد القاضي شرف الدين يحيى المناوى وقيل بل عزل
القاضي علم الدين وتولى المناوى في دولة المؤيد أحمد بن اينال وهذه ثالث ولاية للمناوى
وكذلك فصل القاضي سعد الدين الديري من القضاء وولى ابن الصواف عوضا عنه وفيها عزل
السلطان صاحب علاء الدين بن الاهناسي وخلع على صاحب بن الصنيعة واستقر به
وزيرا وفيها عزل السلطان الامير زين الدين يحيى الاستادار وولى محمد الدين بن البقرى
استادار عوضا عنه ومن الحوادث في هذه السنة أن النيل المبارك توقف في أيب عند مبتدا
الزيادة وأقام في ذلك التوقف نحو خمسة عشر يوما ولم يزد شيئا فضج الناس من ذلك وتشحطت
الغلال وشطح سعر القمح الى ألف درهم كل اردب وحصل للناس الضرر الشامل لقلة
الزيادة وقد دخلت مسرى وقد قيل في المعنى

ولقد عهدت النيل سنيا يرى * عمرا ويتبع أمره تسديدا

والآن أضحي في الورى متشيعا * متوقفا ما إن يجب يزيدا

فلما استقر الامر على ذلك رسم السلطان للقضاة الاربعة والمشايخ والعلماء بان يتوجهوا
الى المقياس ويثبتوا بهية لواءه نال القرآن والحديث الشريف ويدعوا الله تعالى بزيادة
النيل فتوجه القاضى يحيى المناوى والسيد الشريف ابن حريز المالكى وجماعة من العلماء
فأقاموا فى المقياس أياما ورجعوا ولم يزد النيل شيئا فأرسل السلطان الى الشيخ أمين الدين
يحيى الاقصرانى بسنة فتبته في ذلك فقال الشيخ أمين الدين اجعوا بنى العباس من الرجال
والنساء من صغارهم اكبارهم ثم يضعون فى أفواههم شيئا من الماء ويمجونه فى اناء ثم يصبونه فى
فسقية المقياس ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ثم ان القاضى علم الدين صالحا البلقينى توجه
الى المقياس وأقام هناك ثلاثة أيام فى اليوم الرابع زاد ثلاثة أصابع فقرح الناس بذلك
ورجع القاضى علم الدين وشق من القاهرة وقدامه رايات زعفران وانطلقت له النساء
بالزغاريت من الطيقان ثم وفى النيل فى تلك السنة وثبت ثباتا عظيما الى أواخر توت وتوجه
المقر السمنى قائم التاجر وكسر السد وقد قال القائل

سد الخليج بكسر جبر الوري * طراف كل قسد غدامس رورا
 البحر سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدامس كسورا
 ثم في عقيب ذلك عزل السلطان القاضي يحيى المناوى وأعاد القاضي علم الدين صالحا
 البلقيني

ثم دخلت سنة سبع وستين وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من حلب بان جاني نائب الشام
 قد قتل وقيل ان عماليكه قد قتلوه وهو في قلعة الرها فلما صح هذا الخبر دقت الكؤوسات
 ثلاثة أيام وبطلت التجريدة التي كانت تعينت اليه ثم ان السلطان أرسل قبض على
 الامير تراز الاشرفي وسجنه بالمرقب وأشيع عنه انه قتل قتيلا فاثبت عليه السلطان كفرة
 وأرسل اليه شخص من المالكية يقال له الشارعي فضرب عنقه على باب السجن الذي
 بالمرقب وكان ترازه مذاسي الخلق من اللسان مستحقا لكل سوء وكان منفيًا في البلاد
 الشامية من أول دولة الملك الاشرف اينال وآخر الامر قتل هناك ومضى أمره وفيها أرسل
 السلطان تجريدة الى نحو بلاد الافرنج برودس وكان باشا العسكر الامير برد بك البجمة دار
 وفيها كسفت الشمس كسوفًا فاحشًا من بعد الفجر الى قرب العصر حتى أظلمت الدنيا
 في أعين الناس وفيها خلع السلطان على القاضي برهان الدين ابراهيم بن الديري واستقر به
 كاتب السر الشريف عوضًا عن القاضي محب الدين بن الشحنة واستقر القاضي
 محب الدين بن الشحنة قاضي قضاة الحنفية عوضًا عن ابن الصواف وفيها توفيت والدة
 المقر الشهابي أحمد بن العيني وكانت وفاتها في يوم السبت فتوجه معها الى التربة الامير جاني
 بك نائب جدة والقاضي كاتب السر ابراهيم بن الديري فلما رجعا من التربة خلط ابن الديري
 مع الامير جاني بك في الكلام فقال لجاني بك ان هذه الميتة نزلت من القاعة في يوم السبت
 ولا بد ان يعقبها أحد كبير وأظنه السلطان فأخذ جاني بك منه الكلام ونقله للسلطان
 فتغير خاطر السلطان على ابن الديري فلما طلع الى الموكب قال له يا قاضي في أي حديث ورد
 ان الميت اذا خرج في يوم السبت لا بد ان يقبعه أحد كبير ثم قال له الزم بيتك فكان كما قيل
 العقل زين والسكوت سلامة * فاذا نطقك فلا تكن مكشرا
 فلئن ندمت على سكوتي مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا

ثم ان السلطان عزل ابراهيم بن الديري من كتابة السر بسبب ذلك وخلع على القاضي زين
 الدين أبي بكر بن منهر واستقر به كاتب السر الشريف عوضًا عن ابن الديري فكانت مدة
 ولاية القاضي برهان الدين بن الديري دون الشهرين وقد سعى فيه بالخمسة آلاف دينار وفيها
 أخرج السلطان مقدمة الامير جاني بك المرتد الناصري وجعله طرخانا ورتب له ما يكرهه
 واستمر على ذلك الى أن مات في أثناء دولته وفيها قبض السلطان على المهتار على فطيس

مهتارا لاشرف اينال وسلمه الى الامير جانبك نائب جده فضر به علاقة قوية وأخذ منه خمسة آلاف دينار فباع أملا كه وجميع ما يملكه حتى سدد ذلك وفيها استعفى القاضي شرف الدين الانصاري من نظارة الخاص فخلع عليه السلطان واستقر به وكيل بيت المال وخلع على عبد الرحمن بن الكوين وأعادته الى نظارة الخاص وفيها استقر من قال البرهاني مقدم الممالك عوضا عن صندل الهندي وفيها استقر القاضي تاج الدين بن المقدسي في نظارة الجيش عوضا عن الزين بن مزهر وفيها توفي شيخ الاسلام قاضي القضاة الحنفي سعد الدين ابن الديري ودفن بترية الظاهر خشف قدم وقد تولى القضاء نحو ثلاثين سنة وكان من عظماء الحنفية وكانت وفاته في شهر ربيع الاول من سنة سبع وستين ومات وهو منفصل عن القضاء

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثمانمائة فيها عزل عبد الرحمن بن الكوين من نظارة الخاص واستقر به صاحب علاء الدين بن الاهناسي واستقر ناظر الخاص ووزيرا فأقام على ذلك مدة ثم اختفى وغيب فخلع السلطان على محمد الدين بن البقري واستقر به وزير اعوضا عن ابن الاهناسي وخلع على القاضي تاج الدين بن المقدسي واستقر به ناظر الخاص ثم ان محمد الدين بن البقري قبض على صاحب علاء الدين بن الاهناسي فسجنه السلطان في البرج الذي في القلعة واحتاط على موجوده فأخذ منه مائة ألف دينار ورسم بنفيه الى مكة فخرج وسافر من البحر الملح وفي هذه السنة عظم أمر الامير جاني بك نائب جده والتفت عليه جماعة الظاهرية من خشداشينة فكان ينزل من القلعة وعسكر مصر قدامه أولهم عند قناطر السباع وآخرهم في الرملة وسائر المباشرين قدامه مستقر ذلك في كل يوم وهو أول من اتخذ الساعة يشون قدامه كلما ركب ونزل زيادة في العظمة فقتل أمره على الملك الظاهر خشف قدم وكان الظاهر خشف قدم أنشأه محاليك كثيرة وثبت قواعده في السلطنة وصارت خشداشينة المؤيدية غالبهم أمراء فعول على قتل جاني بك نائب جده في الباطن وأضر به السوء ثم ان الامير جاني بك لما كملت عمارة القبة التي أنشأها في منشية المهراني عمل هنالك وقدة عظيمة وأحضر سوارى طوالا على البر وعلق فيها قناديل وعزم على جماعة من الامراء ومدة عظيمة وكانت ليلة لم يسمع بمنزلها وحضر هنالك ابن رحاب المغني وابراهيم بن الجندی وجمع بين قراء البلاد والوعاظ وكان ذلك في ليلة الجمعة فلما كان يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة سنة سبع وستين وثمانمائة طلع الامير جانبك نائب جده الى القلعة على جاري العادة وكان معه الامير تهم رصاص المحتسب وكان السلطان قرر مع جانبك انه في ذلك اليوم يمسك الامير قائم التاجر والامير قايتباي المحودي المؤيدى فطلع في ذلك اليوم بدرى وكانت المعمولية والطبخة كما قيل في المعنى

وكم من طالب يسقى اشئ * وفيه هلاكه لو كان يدري

فلما طلع الى القلعة ودخل من بابها ووصل الى الجامع خرج اليه كمين من المماليك
الاجلاب من ممالك الظاهر خشدقدم فقتلوه هناك هو والامير بنتم رصاص ورموا على
رؤسهم اقص حجر بعد ان طعنوهما بالرماح حتى وقعا الى الارض موق فلما أصبح
الصباح غسلوهما وكفنوهما واصلوا عليهم بالقلعة وزلوا بهم فاقدن الامير جاني بك في تربته
التي أنشأها خارجا من باب القرافة فلما سمع ممالكه لبسوا آلة الحرب وطلماوا الى الرميطة
فرموا عليهم بالنشاب من باب السلسلة فولوا مدبرين وراحت على من راحت ولم تنقطع في
ذلك شاتان وكان الامير جاني بك نائب جده امير اعظميا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة
وكان صاحب حيل وخداع وهو الذي رتب للملك الظاهر خشدقدم في مسك الامراء
الاشرفية ورجوع جانب نائب الشام الى الشام بعدما ترشح أمره الى السلطنة فكان حال
جاني بك مع الظاهر خشدقدم كما قيل في المعنى

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رماني

وكان الامير جاني بك مولعا بغرس الاشجار وأنشأ عدة غيطان بالمنشية وهي منشية المهراني
وكان كثير التنزه وكانت صفته أخضر اللون قصير القامة جدام مستدير اللحية شائب الذقن
عارفا بأحوال المملكة فصيح اللسان بالعربي أصله من ممالك أسنبغا الطياري وقدمه
الى الملك الظاهر رحمه فهو معتوق الملك الظاهر رحمه من جملة ممالكه انتهى ذلك
ثم دخلت سنة تسع وستين وثمانمائة فيها خلع السلطان على خنداشيه الامير يشبك
الفقيه واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير جاني بك نائب جده وفيها أنعم السلطان على
خنداشيه الامير جاني بك كوهيه بتقدمه ألف وخلع على مملوكه الامير خير بك واستقر
به دوادارا ثانيا عوضا عن جاني بك كوهيه وفيها أنعم السلطان على سبطه المقر الشهابي أحمد
ابن العيني بتقدمه ألف وقرره في أمره بالحاج وقرر في أمره الركب الشرفي يحيى ابن
الامير يشبك الفقيه وفيه اختفى زين الدين الاستاد ارفصرف السلطان مجد الدين بن البقري
من الوزارة وقرره في الاستدارية واستمرت الوزارة شاغرة أياما حتى خلع السلطان على
الشمس مجد البباوى ناظر الدولة وقرره في الوزارة عوضا عن ابن البقري فلما قرر البباوى
في الوزارة عد ذلك من مساوى خشدقدم وقالت الناس الزفر نولى الوزارة بمصر ومن يومئذ
انخط قدر الوزارة جداما وتهدل هذا المنصب الى الغاية قال الامام أبوشامه المؤرخ كانت
الوزارة على عهد الخلفاء وظيفة عظيمة جليلة وكان الوزير يجلس بحضرة الخلفاء على مقدار
خسة أذرع وكان هو المتصرف في أمر المملكة بما يختار فلما جاءت دولة الاتراك قدموا نيابة
السلطنة على الوزارة فتلاشى أمر الوزارة من يومئذ وصارت الوزارة تنقسم الى أربع

جهات منها كتابة السر والاستاذارية ونظر الخاص وشاد الدواوين وكانت خلعة الوزارة في قديم الزمان عمامة بيضا برقات ذهب شغل تنيس وطيلسان أبيض برقات ذهب ووجه صوف بيضا بطرز ذهب وفي عنقه عقد جواهر بعشرة آلاف دينار وسيف مقلد به مسقط بالذهب ويركب حجرة بخمس مائة دينار وفي قوائمه أربع جواهرات وفي عنقه جوهرة كبيرة بالف دينار وترفع على رأسه أعلام بيض ويحمل على رأسه منشور الولاية وهو مكتوب في حرير أبيض فبطل ذلك كله فلما تولى البياوي شق ذلك على الناس ليكون له يكن من أهل ذلك وكان البياوي طباحا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب وفي كلامه غرله وكان اسودا للحمية عنده عترسة ويبس وكان أصله معاملا في اللحم من جملة المعاملين ولكن وعده الله بذلك من القدم وفيه يقول بهض الشعراء

قالوا البياوي قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب لا * يدور الا بالبقر
وقال آخر

تجنب العلم والفضائل * ومسل الى الجهل ميل هائم
وكن جارا مثل البياوي * فالسعد في طالع البهائم
فلما تولى الوزارة جاء فيها على الوضع وسكن في بيت الوزارة التي في بركة الرطل ودقت على بابها الكؤسات ولبس الخف والمهاميز وكان الظاهر خشية قدم قائمها به فهابه جميع المباشرين وخافوا منه وكان يكبس البيوت على من يجده يسكر ويغرمه بجله مال تحت الليل حتى ضجت منه الناس وكانت له حرمة وافرة وكلمة نافذة وجاء على الناس محجي وحش فكان لا يقبل رسائل أحد من الأحرار وصادف في مدة ولايته جماعة من أعيان الناس والتجار وكان يكره من يسكر ثم إن السلطان سلمه الأمير زين الدين الاستاذار فاحضره المعاصير وقصد عصره فتراعى عليه الأمير زين الدين وصار يقبل رجليه حتى عفا عنه من العصور وكذلك جماعة كثيرة غير زين الدين صاروا تحت أمره وأخذ أموالهم وكان كما قيل

ومن أعظم البلاوى كريم أصابه * قضاء وأضحى تحت ذل لثيم
وفيهما تولى قاضي القضاة الشافعي علم الدين صالح البلقيني فلما تولى خلع السلطان على القاضي يحيى المناوى وأعادته الى القضاء فلم يبق الامدة يسيرة وسعى عليه القاضي صلاح الدين أحمد بن بركوت المكي الشافعي فعزل السلطان القاضي يحيى المناوى وولى صلاح الدين المكي وفي ذلك اليوم عزل السلطان القاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي وولى القاضي برهان الدين ابراهيم بن الديري قاضي قضاة الحنفية فتولى القاضيان في يوم واحد

ونزل من القلعة في موكب واحد وعليهما التشارييف وفيها خاع السلطان على القاضي
كمال الدين ابن القاضي جمال الدين ناظر الخاص واستقر به ناظر الجيش وكان الساعي له
الامير خير بك الدوادار فانه كان صهره زوج أخته وفيها أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة
وكان فيها خمسة أمراء مقدمين منهم الامير قرقاس الجلب أمير سلاح والامير جاني بك قلعة سير
وغير ذلك من الأمراء وفيها حجت خوند الاحدية زوجة السلطان خستقدم وكان المقر
الشهابي أحمد بن العيني أمير المحمل وكان الشرفي يحيى ابن الامير يشبك الفقيه أمير أول وجج
الامير يشبك الفقيه مع ولده في تلك السنة (أقول) وقد أظهر المقر الشهابي أحمد بن العيني
في هذه الحجة من الكبرياء والعظمة ما لم يظهره غيره من أبناء الملوك فصنع أكوارا من الذهب
مرصعة بفصوص ياقوت وبلخش وفيروز وصنع كبايش مثلث بذهب ولؤلؤ ووريش وخرج
من القاهرة في موكب عظيم وسائر الأمراء والمباشرين قدامه وخوند الاحدية في محفة
زركش فكان له يوم مشهود وفيها توفي الامير جاني بك المرتد الناصري ومات وهو طرخان
وكان السلطان أخرج عنه التقدمة وفيها أمطرت السماء وجاء عذوب وق وهبت رياح
باردة وذلك في أوخر بشنس بعد أن قلع السلطان الصوف فلبس الصوف بعد ذلك أياما
ثم دخلت سنة سبعين وثمانمائة فيها أعاد المقر الشهابي أحمد بن العيني من الحجاز الشريف
وخوند الاحدية فكان لهم يوم مشهود وفيها كانت وفاة المقر صاحب العلاء علي بن
الاهناسي توفي بمكة المشرفة ودفن هنالك وكذلك الامير برد بك صهر الملك الاشرف ابنه توفي
بمكة ودفن هنالك قبل مات قتيلا من العرب في رابع ثم نقل من رابع الى مكة ودفن بها وفيها
كانت وفاة الشيخ شهاب الدين بن أبي السعد أحد شعراء العصر وهو من السبعة المشهورين
وفيها عزل السلطان القاضي القضاة صلاح الدين المكي وولى القاضي أبوالسعدادات
البلقيني فقام في قضاء القضاة أربعة أشهر ثم سعى عليه القاضي ولي الدين الاسيوطي وكان
الساعي له الامير خير بك الدوادار الثاني فتولى الاسيوطي وعزل القاضي أبوالسعدادات وفيها
أعاد السلطان القاضي محب الدين بن الشحنة الى قضاء الحنفية وفيها أخرج السلطان
تجريدة الى برا الحيرة بسبب فساد العربان وكان باش العسكر الامير بلباي المؤيدي أمير اخور
كبير والامير برد بك هجين فطردوا من هنالك العربان وأقاموا مدة ورجعوا وقتل من المماليك
السلطانية هنالك ستة لما وقعوا مع العربان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة
وزينت له وكان له موكب عظيم وفيها عزم المقر الاتاكي قائم على السلطان في الربيع
فتزل اليه هو وسائر الأمراء والعسكر فقتله الاتاكي قائم هنالك سمطا عظيم اقبل كان
مصر وفه ألف دينار فقه رقا لا كل على جميع العسكر وأحضر للسلطان هنالك أرباب
الملاعيب من الشعبين وغير ذلك فأنشراح السلطان في ذلك اليوم الى الغاية هو والامراء

ولما رجع السلطان دخل الى بيت منصور الاستادار ثم توجه الى بيت صاحب شمس الدين البباوى فاقام السلطان عند قائم الى ما بعد العصر ثم طلع الى القلعة في موكب عظيم وفيها نزل السلطان وخلق المقياس وكسر السد وهـذا لم يرم بعد الملك المؤيد شيخ بان سلطانا نزل وكسر السد بنفسه وفيها خلع السلطان على منصور القبطى واستقر به استادارا فاقام بهامدة ثم قبض عليه وسجنه بالمقشرة ثم خلع على شرف الدين ابن كاتب غريب واستقر به استادارا ثم أثبتوا على منصور القبطى كفرا وضربوا عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية وفيها توفيت خوندالاجدية زوجة الظاهر خشدقدم وهى جدة المقر الشهابى أحمد بن العيفى فلما مات تزوج السلطان بسرته خوندسوارباى أم ولديه وفيها فى أواخر هذه السنة فى يوم الاربعاء ثامن عشرى ذى الحجة نزل صاحب شمس الدين البباوى من بيته الذى سكن فيه على بركة الرطلى فنزل فى مركب وتوجه الى شوقناطربى منجا فلما رجع ووصل الى قم خلع الزبيرة انقلبته المركب هناك فغرق قريب البحر فأطلعوا جميع ما غرق معه حتى حق الدقاق وهو لم يظهر له خبر ولا وقف له على أثر حتى ولا فى شطونوف التى هى محط رجال الغرقى فكان من بقية قوم نوح أغرقوا فادخلوا نارا وقد قال القائل

لا تكثر هوا الموت ان فيه * حصاد من طاب مع خبيث

فستريح ومستراح * منه كما جاء فى الحديث

فلما غرق البباوى خلع السلطان على يحيى بن صنيعة ثم قاسم وهو قاسم المعروف بشنيعة وعبد القادر واشترى كافى التكلم فى الوزارة ثم انفرد به الزينى قاسم واستمر على ذلك مدة طويلة ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثمانمائة فيها توفى الاتابكى قائم بن صفر خجا المؤيدى التاجر وودعات نجاة فى ليلة واحدة فلما مات خلع السلطان على المقر السيفى بلباى المؤيدى واستقر به اتابك العساكر عوضا عن قائم التاجر ثم خلع على المقر الشهابى أحمد بن العيفى واستقر به أميرا خور كبير عوضا عن بلباى المؤيدى فتزايدت عظمة المقر الشهابى أحمد ابن العيفى فى تلك الايام وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة وهو الذى أنشأ القصر العظيم المثل على البحر بنشبة المهرافى ولما مكنت عمارة هذا القصر نزل السلطان اليه وأقام هناك الى ما بعد العصر وتفرج فى ذلك اليوم على البحر وانشرح وكان يوم اسطانيا وفيها توفى قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى وكان من أعيان خيار علماء الشافعية وتوفى وهو منفصل عن منصب القضاء وفيها تغير خاطر السلطان على الرئيس علاء الدين بن رحاب فشكه فى الحديد ورسم بنفسه الى الشام فخرج وتوجه الى قطيا وأقام به أياما ثم شفع فيه كاتب الممالك بن جلود فرسم السلطان بعوده وكان سبب نفي ابن

رحاب أنه كان اذا عمل سماعا في مكان يقوم في ذلك المكان عريضة فعمل سماعا في باب الوزير فقتل في تلك الليلة قتيل فنتى السلطان ابن رحاب بسبب ذلك وفيها نزل السلطان للرماية وشق من القاهرة وزينت له وفيها نزل السلطان وكسر السد بنفسه وفيها غرق السلطان خازن دار الامير جاني بك نائب جدة المسمى يرش وكان شابا صغيرا فتأسف عليه الناس وفيها توفيت بنت السلطان التي من خوند سورباي وكانت مستحقة للزواج وفيها حضر الى الابواب الشريعة قاصدا بن عثمان ملك الروم فاكرمه السلطان الى أن عاد الى بلاده وفيها نزل السلطان الى المطعم بالمطرية ولبس الصوف هناك وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فيها تزايدت عظمة السلطان خشقدم وبلغت عدة عماليكه نحو أربعة آلاف مملوك وصار غاب خشنا شينه مقدمي ألف منهم الامير يشبك الفقيه والامير مغلباى طاز والامير قنبرك المحمودى والامير جاني بك كوهية وغير ذلك جماعة كثيرة أمراء طبخانات وعشراوات ثم أتمر جماعة كثيرة من عماليكه منهم الامير خير بك الدوادار الثاني ومنهم الامير خشكلدى اليسقى ومنهم الامير كنباي والامير مغلباى المحتسب والمقر الشهابي أحمد بن العيني وغير ذلك جماعة كثيرة من عماليكه وفيها جاءت الاخبار من حلب بان خارجيا تحرك على البلاد يقال له شاه سوار فرسم السلطان للامير برد بك الحقدار نائب حلب بان يخرج اليه فخرج اليه ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان برد بك نائب حلب لما خرج الى سوار التفت عليه وأظهر العصيان على السلطان وقصدوا التوجه الى الشام فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله وعين الى سوار تجريدة وبها من الأمراء خمسة مقدموا ألف ثم ان السلطان دقرا المحمل الرجبي في تلك السنة على جارى العادة فلما كان ليلة حراقة النفط في الرمي له احترق بالنفط في تلك الليلة سقف الاسطبل السلطاني فكان ذلك فالاعلى السلطان ولم ينجج أمره من بعد ذلك ثم ان النيل المبارك وفي في أثناء تلك السنة قنبرك لكسر السد السلطان بنفسه على جارى العادة فكان له موكب عظيم وكان ذلك آخر مواعبه فلما كسر السد وطلع الى القلعة حتم من يومه ولزم الفراش ثم ثقل في المرض وسلسل وكان القائم تدبيراً مورا للمملكة الامير خير بك والمقر الشهابي أحمد بن العيني فعينوا الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب بان يخرج الى العقبة بسبب فساد العربان فخرج وتوجه الى العقبة ووصل الى الازم ثم عينوا الامير قرقاس الجلب أمير سلاح والامير يشبك الفقيه أمير دوادار كبير بان يتوجهوا الى نحو الصعيد بسبب فساد العربان وكل ذلك عن لسان السلطان وهو ملازم الفراش على غير استواء فخرج هؤلاء مسرعين من غير تأخير وكان الامير خير بك متخيلا من هؤلاء الامراء فاخرجهم بسرعة حتى يصفوه الوقت ويبلغ

قصده فكان كما قيل

وسالملك الليالى فاعتزرت بها * وعند صفقوا الليالى يحدث الكدر
ولما نقل السلطان خشف قدم في المرض نزل بفرس من الاسطبل من الخيول الخاص وعرضه
على الامراء للبيع فاشترى ابن العيني بخمسمائة دينار و قيل بالف دينار فلما أرسل عنه
السلطان تصدق بثمنه كله على الفقراء وكانت هذه عادة قديمة عند الملوك اذا حصل لهم
توعدك يفعلون ذلك انتهى وفي مدة توعدك السلطان اضطربت احوال الديار المصرية وصار
الامير عرا لوالى يطوف في كل ليلة في المدينة معه مماليك ملبسة والمشاعلية تنادى كل من
يشى في الليل يقطع أنفه وآذانه واستمر السلطان مريضاً نحو أربعين يوماً فلما كان يوم
السبت بعد الظهر عاشر ربيع الاول سنة اثنى عشر وسبعين وثمانمائة توفي السلطان الملك
الظاهر خشف قدم ودفن في تربته التي أنشأها في الصحراء ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين
سنة ومات بجمي كبدية وخلف من الاولاد صبيين وهما سيدي منصور وأخوه فكانت
مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً بما فيها
من مدة توعدك وانقطاعه وكان ملكاً جليلاً مهيباً كفؤاً للسلطنة عارفاً باحوال المملكة
وكان حسن الشكل معتدل القامة متركة الوجه أحر اللون مستدير اللحية ضخيم الجسم شائب
الذقن فصيح اللسان بالعربي وكان ماشياً على النظام القديم تابعاً لطريقة الملوك السالفة في عمل
المواكب في القصر الكبير والمبيت به في كل ليلة اثنين وخميس وكان ماشياً على طريقة استاذ
الملك المؤيد شيخ في كسر السد بنفسه ولبس الصوف في المطعم وكان كثير الرمايات في كل سنة
ويشوق من القاهرة في المواكب الجلية وكان يدور في كل سنة الحجل في رجب وتسوق
الرماحة على جاري العادة أربعين يوماً ثم يلبسوا الاحمر وتزين القاهرة ثلاثة أيام ويخرج
الناس في ذلك عن الحد في التصف والفرجة وكانت أيامه كلها هو وانسراح ولم يجيء
في أيامه الطاعون بمصر ولا جرد تجريدة الى البلاد الشامية وكان ترفاً في ملبسه فصنع
له ركباً من ذهب ومهاميز من ذهب وكان يلبس السمور الاسود الذي على لون الحبر
لا يوجد الآن وكان يلبس القباء الصوف الفاخر ويبطنه بالخمل الاحمر الكفوى
وكان اذا ركب وساق لا ينفرد ذيله من تحت فخذه ولو ساق سوقاً قويا وكان
كرماً على من يستحق الكرم بخيلاً لا على من يستحق الخسل لكن كان من مساويه
جور عا ليه في حق الناس ومن مساويه أنه كان غير عفيف عن الزنا واللواط ومن
مساويه أنه كان سريع العزل للقضاة والمباشرين وأخذ أموالهم ويعزلهم بسرعة
ومن مساويه قتل جاني بك نائب جندة من غير ذنب وأخذ أموال ابن الاله ناسى حتى راح
بيته بغير حق ولم يترك لاولاده شيئاً وقتل جماعة من الامراء بغير ذنب وبالجملة انه كان

قليل الاذى بالنسبة الى من جاء بعده من الملوك وكان يحب العلماء والصالحين وينقاد الى
 الشريعة وكانت البلاد على أيامه هادية من الفتن وهو آخر من مشى من الملوك على
 النظام القديم فأما أتباعه فكانوا من القضاة فالحق السني جرباش كرت أولا ثم قائم التاجر ثم بلباي وأما
 دوا دارياته فالامير جاني بك نائب جده والامير شبك الفقيه وأما قضاة الشافعية فالقاضي
 يحيى المناوي تولى في أيامه مرتين والقاضي علم الدين صالح البلقيني والقاضي صلاح
 الدين المكيني وأبو السعادات البلقيني والقاضي ولي الدين الاسيوطي وأما قضاة الحنفية
 فالقاضي سعد الدين الديري أولا ثم ابن الصواف ومحب الدين بن الشحنة تولى في أيامه
 مرتين والقاضي برهان الدين الديري وأما قضاة المالكية فالسيد الشريف القاضي
 حسام الدين بن حريز وأما قضاة الحنابلة فالقاضي عز الدين الحنبلي وأما كتاب السر
 فالقاضي محب الدين بن الشحنة أولا ثم ابراهيم بن الديري ثم أبو بكر بن مزهر وأما
 نظار جيوشه فتاج الدين بن المقسي والقاضي كمال الدين بن ناظر الخاص يوسف وأما نظار
 خواصه فعبد الرحمن بن الكويري أولا ثم شرف الدين الانصاري والعلاء بن الاهناسي وتاج
 الدين بن المقسي وأما وزرأؤه فعلاء الدين بن الاهناسي أولا وقد تولى الوزارة في أيامه ثلاث
 مرات ثم ابن صنيعة ثم محمد الدين بن البقري ثم الشرفي يوسف ثم البباوي ثم
 قاسم وشريكه عبد القادر وأما استاذه فمحمود بن الدين أولا ثم محمد الدين بن البقري ثم
 منصور ثم قاسم الكاشف ثم ابن كاتب غريب فهذه جملة من تولى في أيامه من أرباب
 الوظائف من القضاة والمباشرين وذكر من توفي في أيامه وهم قاضي القضاة سعد الدين
 الديري الحنفي وصالح البلقيني ويحيى المناوي وشمس الدين القرافي من أعيان نواب
 المالكية والاتابكي قائم التاجر وسيدى محمد بن الاشرف اينال توفي بشغرا الاسكندرية وتوفي
 الامير تيم نائب الشام بدمشق وتوفي قريباى طائرا أحد المقدمين وتوفي الامير جاني بك
 الظريف بسجن المرقب ونقل بعده موته الى مصر ودفن بالعصراء في القبة التي عمرت له بعد
 موته وتوفي الامير خشكاى القواى أحد الامراء الطغانات وكان من أعيان
 المؤيدية وقيل من الناصرية وتوفي من العلماء أيضا الشيخ جلال الدين المحلي وكان من
 أعيان علماء الشافعية والاصح انه توفي في دولة الاشرف اينال كما تقدم وتوفي من المشايخ
 الشيخ عمر الكردى والشيخ محمد الشرينى الشاذلى والشيخ على الطيبي وتوفي في أيامه من
 الشعراء شهاب الدين بن أبي السعد وتوفي بمكة وسيدى علي بن برد بك والشيخ شهاب الدين
 ابن صالح وكان من فحول الشعراء ومن شعره فين أهدي اليه بطيخا وقطرا وقاله ارتجالا

بعثت الى بطيخا وقطرا * يشابه ذلك هذا في الصفات
 هما نوعان عند الذوق كل * تولد في الحقيقة من نبات

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر خستقدم وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي النصر سيف الدين بلباى المؤيدى

وهو التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع عشر من ملوك
الجزيرة كسرة وأولادهم في العدد بمصر بويغ بالسلطنة بعد موت الملك الظاهر خستقدم تسلمن
في يوم السبت بعد العصر وهو اليوم العاشر من ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة
(أقول) وكان أصله حركسى الجنس جليله الأمير أيناك وضع من بلاد الجزيرة كسرة فاشترى منه
الملك المؤيد شيخ في سنة عشرين وثمانمائة فأقام في الطبقة مدة ثم أعنته وأخرج له خيلا
وقاشا وصار جدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي ساقيا في دولة الملك الظاهر جقمق ثم بقي أمير عشرة ثم
بقي أمير أربعين ثم بقي مقدم ألف في دولة الملك الأشرف أيناك ثم بقي حاجب الخباب في دولة
الملك الظاهر خستقدم ثم بقي أمير اخور كبير ثم بقي أتابك العساكر بمصر بعد موت قائم
التاجر في سنة سبعين وثمانمائة فلما توفي الظاهر خستقدم وقع الاتفاق على سلطنته دون
الأمراء فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الأربعة فاستجمعوا في المقعد الذى
في باب السلسلة فبايعوه بالسلطنة ثم أحضروا له خلعة السلطنة فلبسها وركب من المقعد
وطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وبأس له الأمراء الأرض وتلقب
بالمالك الظاهر ودقت له البشائر وفودى باسمه في القاهرة وضيح الناس له بالادعية الفاخرة
فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الأمراء وهم
المقر السيفي ثم بغا أمير مجلس خلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه
وخلع على المقر الشهابي أحمد بن العيني واستقر به أمير مجلس عوضا عن ثم بغا فنزل ابن
العيني من باب السلسلة وسكن في بيت جاني بك نائب جدة المطل على الخليج ثم خلع
السلطان على المقر السيفي قتبك المحمودى واستقر به أمير سلاح عوضا عن الأمير قرقاس
الجلب وخلع على المقر السيفي برد بك هجين واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن ابن
العيني فلما فعل ذلك لم يتم أمره في السلطنة وبأن عليه العجز وكان خشنا قليل المعرفة لأنه
كان يدعى بلباى الجنون فصار منقادا مع الأمير خير بك الدوادار بشعرة ولا يتصرف في شئ
من أموره المملكة إلا برأيه وصار مع المماليك الخشقدمية في غاية البلية ثم إن الأمير خير بك
أشار على السلطان بلباى بأن يمسك الأمير قرقاس الجلب والأمير أرغون شاه استادار
الحجبة والأمير قلمطاي الأسحاقى فأرسل بالقبض عليهم وكان الملك الظاهر خستقدم

أرسلهم الى نحو الصعيد مع الامير شبك الفقيه كما تقدم فأرسل للقبض عليهم من هناك
وأرسلهم الى السجن بنجر الاسكندرية فلما وقع ذلك نشرت منه قلوب الرعية وكان
تدميره في تدبيره ثم لما أنفق على العسكر قطع نفقة أولاد الناس والخدام فكثرت عليه الدعا
ثم ان النفقة تشحطت فشكا ذلك الى الامير خيربك فقال له يا مولانا السلطان ان كان في
حاصلك شئ من المال فأنفقه على العسكر وقد صارت الخزان بيدك خذ منها ما شئت
فسمع له وطلع بماله جميعه جله واحدة فأنفقه على العسكر وقد تقدم ما كان حصله من
حين كان جنديا ثم بعد أيام حضر الامير أربك بن ططخ رأس نوبة النوب والامير جاني بك
والامير قلسير حاجب الحجاب وكان السلطان خشداً ثم أرسلهم الى العقبة بسبب فساد
العربان فلما حضروا كان صحبتهم جماعة كثيرة من العربان نحو ستين انسانا وكان الامير
أربك انتهى في هذا السفر الى الازم فلما عرض العربان على السلطان بلباي أمر
بتوسطهم أجمعين ولم يعرف الظالم من المظلوم فصاروا في ذمته وكان فيهم صغار دون
البلوغ ثم لما رجع الامير أربك من العقبة أشار خيربك على السلطان بلباي بأن يستقر به
نائب الشام فلما طلع أربك في يوم الجمعة الى القلعة خلع عليه السلطان بعد صلاة الجمعة
وهو في باب الستارة خلعة واستقر به نائب الشام ورسم له بأن يتوجه الى الشام بعد ثلاثة
أيام فخرج الى الشام في يوم الاثنين في أواخر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة
فلما توجه الامير أربك الى الشام عمل السلطان الموكب وخلع على الامير قايتهاي
المجودي واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن الامير أربك لما بقى نائب الشام ثم
ان الامير شبك الفقيه حضر من الصعيد فأقره على حاله ودادارا كبيرا كما كان وكل ذلك
ترتيب الامير خيربك الدوادار ثم ان الامير شبك الفقيه قصدا لوثوب على الامراء
الحشقدمية وان يقبض على جماعة منهم فجمع خشداً شينه وهم قنبك المجودي أمير
سلاح والامير جاني بك كوهية والامير مغلباي طاز والامير طوخ الزردكاش وجماعة
المؤيدية كلهم فلبسوا آلة الحرب وركبوا في يوم الخميس فلما تحقق العسكر ذلك التف
عليهم جماعة من الاينالية وجماعة من الاشرفية والممالك السيفية فتوجهوا الى بيت
الامير شبك الفقيه فعند ذلك طلع الامير شبك الفقيه الى المدرسة التي تسمى الجاولية
فقد هناك وحفر خندقا عند المدرسة الصرغتمشية وواحد عند رأس الكباش وواحد
عند قناطر السباع ثم ركبوا مكحلة في شبك المدرسة الجاولية واستمروا في ذلك اليوم كله
يقعون مع الممالك الحشقدمية فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة نزل الامير قايتهاي رأس
نوبة النوب من القلعة ومعه جماعة من الممالك الاينالية والظاهرية فتوجهوا الى
الامير شبك الفقيه وأوقعوا معه فكان بينهم واقعة عظيمة وقتل في ذلك اليوم ثلاثة

من المماليك السلطانية فلما كانت ليلة السبت هرب الامير يشبك الفقيه وهرب
بقية الامراء المؤيدية وانكسروا كسرة قوية فنهب العوام بيوتهم وولى سعدهم وأنت
عكوسهم تخابت أمالهم ولم يتفع اجتهدهم كما قيل في المعنى
اذ لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهد

فلما كان يوم السبت سابع جمادى الاولى من سنة اثنتين وسبعين اجتمع الامراء بالقلعة
وأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخاموا الظاهر بلباي من السلطنة ووقع الاتفاق من
الامراء على سلطنة الاتابكي ثم رغبوا كما سيأتى ذكر ذلك في موضعه ثم دخلوا بالظاهر بلباي
الى البحرة وقيده ثم قبضوا على الامير قنبك المحمدي أمير سلاح وقيده وأدخلوه الى
البحرة ثم ان الامير يشبك الفقيه توجه الى الامير قايتباي ثم قبضوا على الامير
جاني بك كوهية ومغلباي طاز وطوخ الزردكاش وبقية المؤيدية من كبير وصغير ولم
يتركوا منهم أحدا فأما الملك الظاهر بلباي فانه أقام في البحرة يومين ثم نزلوا به هو والامير
قنبك المحمدي فتوجهوا بهما الى السجن بشغرا الاسكندرية وأما الامير يشبك الفقيه
وطوخ الزردكاش فتوجهوا بهما الى ثغردمياط وأما جاني بك كوهية ومغلباي طاز فاما
أدرى في أى مكان توجهوا بهما ففى ثغردمياط مع الامير يشبك الفقيه أولا فكانت مدة
سلطنة الظاهر بلباي بالديار المصرية شهرين الأربعة أيام وكانت كائنات سنة من النوم
أويوم أو بعض يوم كما قيل في المعنى

ركب الالهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وبه زالت دولة المؤيدية كأنهم لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وكان الظاهر
بلباي من عمره أرشل قليل المعرفة وكان يعرف بلباي المجنون وكان عمره كله في غلاسة هو
ومماليكه وكان ملبسهم مغلاسة من عمره وشكله سمج وتديره سيئ فجمع بين قبح الفعل
والشكل وسوء الطباع ومقت اللسان كما قيل

وفظ غليظ الطبع لا ودعنده * وليس لديه للاخلاء تأيس

نواضعه كبر وتقرييه جفا * وترجييه مقت وبشراهه عيبس

وقد زال سعد جلة واحدة فكانت أيامه أشرا أيام مع قصرها وخرج ماله على أنفوس وجه
وكان مع خير بك الدوادار في غاية الضنك ليس له في السلطنة الا مجرد الاسم فقط ولا يتصرف
في شئ من أمور المملكة الا بشورة الامير خير بك فكان اذا سئل في شئ يقول ايش كنت
أنا قل له يعنى قل لخير بك حتى سمته العوام قل له وكان خير بك جعل السلطان بلباي آله وهو
عهد لنفسه في الباطن وقد طمعت آماله في السلطنة وحدثته نفسه بذلك والله غالب
على أمره انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر بلباي وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد تمر بغا الظاهري

وهو الاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثاني من ملوك الروم بمصر في العدد (أقول) كان أصله رومي الجنس من مشروعات الملك الظاهر بفتح و ر بابه صغيرا فلما تسلطن بفتح و جعل له خاصيكا ثم بقي من جملة السلحدارية ثم بقي خازندارا ثم بقي أمير أربعين ثم دوا دارا ثانيا في اثناء دولة الملك الظاهر بفتح و وسافر الى الحجاز أميرا في سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم بقي مقدم ألف في دولة الملك المنصور عثمان بن بفتح و ثم بقي الى نغر الاسكندرية وبعث بها نحو ست سنين ثم نقله الملك الاشرف اينا الى مكة فأقام بها نحو ثلاث سنين فلما تسلطن الظاهر خشا قدم رسم باحضاره من مكة فلما حضر خلع عليه واستقر به به رأس نوبة النوب عوضا عن قرقياس الجلب فأقام على ذلك مدة ثم نفاه الظاهر خشا قدم الى نغر الاسكندرية فأقام في السجن ثلاثة أيام هو والاميراز بك ططخ فشفع فيهم الاتابكي قائم التاجر فرسم السلطان باحضارهم فلما حضروا أقام على ذلك مدة ثم بقي أمير مجلس لما نفي الاتابكي جرياش كرت الى نغر دمياط عندما بقي قائم التاجر أتابك العساكر ثم بقي أتابك العساكر في دولة الملك الظاهر بلباي عندما تسلطن فلما ركب المؤيدية وانكسر الامير يشبك الفقيه خلعهوا الظاهر بلباي من السلطنة ثم وقع الاتفاق من الامراء على سلطنة الاتابكي تمر بغا فأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وبايعوا الاتابكي تمر بغا بالسلطنة وذلك في يوم السبت سابع جمادى الاولى سنة اثنيتين وسبعين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من الحراقة التي في باب السلسلة وركب من سلم المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وحمل القبة والطيء على رأسه المقر السيفي قايتباي رأس نوبة النوب فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر أيضا ودقت له الكؤوس بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة وفرح غالب الناس بولايته لانه كان رجلا عاقلا عارفا باحوال المملكة وكان كفوا للسلطنة وقد اشتمل على جملة من المحاسن في علم الفروسية وغير ذلك من سائر الثمنون حتى كان يزن بيده في القبان وكان يعتقد البركاوات الحريريده وله غير ذلك محاسن كثيرة في فنون لعب الرمح والنشاب ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان فلم تكن حركانه سعيدة ولم تكن أيامه مديدة فكان كما قيل في المعنى

اني تأملت الزمان وفعله * في خفض ذي شرف ورفع الارذل

كطبايع الميزان في أفعاله * تضع الرواح والنواقص تعالي

فلما تم أمره في السلطنة على الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم

المقر السيفي قايتباي المجودي واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر
السيفي جانبك قلعة سير واستقر به أمير سلاح عوضا عن قبلك المجوى وخلع على المقر السيفي
خيربك واستقر به دوادرا كبيرا عوضا عن شبك الفقيه وخلع على المقر السيفي خشكادي
السيفي واستقر به رأس نوبه النوب عوضا عن قايتباي المجودي وخلع على المقر السيفي
الوالي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن برديك هجين لمباقي أمير اخور كبير وخلع على الأمير
كسباي الخشقدمي واستقر به دوادرا ثانيا عوضا عن الأمير خيربك وفي تلك الايام كتب
الأمير كسباي كتابه على خوند بنت الملك الاشرف اينال ولكنه لم يدخل عليها ثم ان السلطان
تمر بغار رسم بالافراج عن الأمير قرقاس الجلب فاحضره من نغرا الاسكندرية ثم رسم بالافراج
عن الأمير تراز الشمسي فاحضره من نغردمياط وكذلك الأمير دولات باي النجمي وهؤلاء
من مماليك الاشرف برسباي ثم أنعم على الأمير مغلباي الخشقدمي بتقدمة ألف وأنعم على
جماعة كثيرة من الخشقدمية بأمرات عشر وأمرات أربعين ثم انه رسم بتدوير المحمل
الرجبي في تلك السنة فساووا الراحة على العادة في القرافة ومن الحوادث في أيامه أنه قبض
على الشرفي يحيى بن الأمير شبك الفقيه وصادره وأخذ منه نحو عشرة آلاف دينار وكان
قصده يصادر أعيان الناس بسبب النفقة وقد صار مع المماليك الخشقدمية تحت الضنك
والقهر في كل يوم فلما كان ليلة الاثنين سادس رجب عمل السلطان الموكب في القصر الكبير
وطلع الأمراء على جاري العادة إلى القلعة فطلع الأمير خيربك ودخل إلى القصر فلما كان
وقت المغرب غلقت أبواب القلعة ودخل جماعة من المماليك الخشقدمية ومعهم سيوف
مسالولة فقبضوا على السلطان تمر بغا وهو جالس في الخرجة المظلة على الرميلة وقبضوا على
جماعة من الأمراء وجلسوهم تحت الخرجة التي يجلس فيها السلطان وكان الأمير خيربك
اتفق مع المماليك الاينالية في الباطن بأنه يمسك السلطان والأمراء الظاهرية وتصير الاينالية
والخشقدمية شيئا واحدا وأنه اذا أمسك السلطان من فوق تركب الاينالية من أسفل
فيمسكوا بقية الأمراء وان خيربك يتسلطن فانحرم معهم الحساب وضلوا عن الصواب كما قيل
يريد المرء أن يعطى منه * ويأبى الله الا ما أَراد

فلما أمسك السلطان تمر بغا ومعهم جماعة من الأمراء الذين طلعوا إلى القلعة في تلك الليلة
ظن خيربك أنه قد تسلطن ووصل إلى ذلك فجلس على سرير الملك وتلقب بالملك الظاهر
مثل استاذة خشقدم وبأس له الأرض المماليك الخشقدمية وأنعم على جماعة منهم بوظائف
سنية وتصرف في تلك الليلة بما يقتضيه له الاختيار ولسان الحال يناديه كلام الليل يحجوه
النهار وكان الاتابكي قايتباي غائب في الربيع لم يطلع في تلك الليلة إلى القلعة مع الأمراء
فلما بلغه خبر مسك السلطان والأمراء تركب تحت الليل ودار على جماعة الظاهرية من

خشد اشينه ثم داروا على الاينالية واسما الوهم على خيربك وقالوا لهم نحن نرضيكم فوق
الاتفاق في تلك الليلة على خلع السلطان تمر بغا وان الاتابكي قايتباي هو السلطان وان
يقبضوا على الخشقدمية كلهم فلما وقع القرار على ذلك باس الارض تحت الليل للاتابكي
قايتباي اعيان الاينالية وأركبوه وطلعوها به الى الرميلة فلما بلغ خيربك ما جرى اضطربت
أحواله وضاق به الأمر وأدركه طلوع النهار فأخرج السلطان تمر بغا من تحت الخرجاة و
الامراء الذين سجنوا معه واجلس السلطان على مرتبته وباس له الارض ثم انسطح بين
يديه وقال له وسطي قاني كنت باغيا عليك فقال له السلطان يا أمير دودار لانت ولا أتأبى
لنابقاء فلما طلع النهار ملك الظاهرية والايينالية باب السلسلة وانكسر الخشقدمية فطلع
الاتابكي قايتباي الى باب السلسلة وجلس في المقعد الذي يطل على الرميلة وحضر الخليفة
والقضاة الاربعة ثم خلعوا الظاهر تمر بغا من السلطنة وولوا الاتابكي قايتباي كما سيأتي ذكر
ذلك في موضعه فلما طلع السلطان قايتباي الى القلعة قبض على المقر السبق خيربك وعلى
المقر السبق الشهابي أحمد بن العيني وعلى الأمير كسباي الدودار وعلى الأمير خشكلدي
المعروف باليسقي وعلى الأمير مغلباي وعلى جماعة كثيرة من الامراء الخشقدمية فقيدوا
الامير خيربك وابن العيني وسجنوا في مكان بالقلعة ومعهم المهتار عبد الكريم وأما الملك
الظاهر تمر بغا فادخلوه الى البحرة من غير قيد وهو في غاية العز والعظمة وأكرمه السلطان
قايتباي غاية الاكرام فانه كان أعانت جميع ظاهرية حقمق فالكمل جاؤا من بعده ثم ان
السلطان رسم للملك الظاهر تمر بغا بان يتوجه الى ثغردمياط من غير قيد ولا سجن ورسم له
بان يركب الى صلاة الجمعة ويتنزه في غيطان دمياط فنزلوا به تحت الليل وتوجهوا به في مركب
الى ثغردمياط فاقام بها فكانت مدة سلطنته بمصر ثمانية وخمسين يوما لا غير فكان كما
قيل في المعنى

لم أستتم عناقته فتقدمه * حتى ابتدأت عناقته لوداعه
ولم يعلم باحد من ملوك الترك أنه خلع من السلطنة في أقل من هذه المدة ولم تقدم معرفة الملك
الظاهر تمر بغا شيئا وعارضه الزمان كما قيل في المعنى
واذا جتالك الدهر وهو أبو الوري * طرافلا تعتب على ابنائه
وكيف كان تمر بغا يكت في السلطنة والقسمة كانت من القدم لقايتباي وقد قال القائل
في المعنى

الرزق في الوجوه * للمرء ملتمزم
ما هو لمن سمي * الامن قسم
واستمر الملك الظاهر تمر بغا في أرغد عيش بثرغردمياط حتى حسن له الشيطان أن يتسحب

من تغرد مياط فتسحب من هنالك كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر عمر بغا وذلك على سبيل الاختصار والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ذكر سلطنة الملك الأشرف أبي النصر سيف الدين قايقباي المحمودي الظاهري

وهو الحادي والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر (أقول) كان أصله من كسي الجنس جلبه إلى مصر الخوارج محمود في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتراه منه الملك الأشرف برسباي هو وعدة مما يليك صفار ضريبة كل مملوك خمسون دينارا فلما اشتراه أنزله بالطبقة وصار من جلة المماليك الكتابية واستقر على ذلك حتى توفي الأشرف برسباي وتسلطن الظاهر جقمق فاشتراه من بيت المال على يد حاسوك وصي الملك الأشرف برسباي هو وعدة مما يليك كتابية واستمر في رق الظاهر جقمق حتى أعتقه ثم أخرج له خيلا وقاشا وصار جدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي دوادارا كبيرا فلما توفي الظاهر جقمق وتسلطن الظاهر بلباي جعله رأس توبة النوب عوضا عن أزيك بن ططخ لما بقي نائب الشام ثم لما توفي الظاهر عمر بغا جعله أتابك العساكر عوضا عن نفسه فلما وثب خير بك على الظاهر عمر بغا ووقع له ما تقدم ذكره وقع الاتفاق من العسكر على سلطنته وخلع الظاهر عمر بغا وكان القائم في ذلك طائفة الأينالية والظاهرية فلما انكسر خير بك وطائفة المشقة قدمية حطم الأمير يشبك بن مهدى كاشف الوجه القبلي مع جماعة من العسكر فلما كوا باب السلسلة وقبضوا على خير بك فتقلب العسكر على الظاهر عمر بغا وأنشرف على الخلع فعند ذلك طلع الأتابكي قايقباي إلى باب السلسلة وجلس بالمقعد الذي به واشتورا فيما يكون من الأمر في الظاهر عمر بغا فلم يوافق العسكر على إبقاء الظاهر عمر بغا في السلطنة فأرسلوا خلف أمير المؤمنين المستجد بالله يوسف فحضر القضاء الأربعة وهم ولي الدين الأسدي وطى الشافعي ومحب الدين بن الشحنة الحنفي وحسام الدين بن حرز المالكي وعز الدين الحنبلي وحضر جماعة من الأمراء فلما تكامل المجلس عملت صورة شرعية في خاع الظاهر عمر بغا من السلطنة فخلعه الخليفة في الحال وباع الأتابكي قايقباي وتلقب بالملك الأشرف ثم أحضر والده شعار الملك وهي العمامة السوداء والجبّة السوداء التي بالطراز الذهب والسيف البداوي فلما أرادوا أن يفيضوا عليه شعار الملك تمتنع من ذلك وبكى فالبسوه ذلك الشعار غصبا وهو يمتنع غاية الامتناع ثم قدمت إليه فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وأذن للامير جاني بك فلقب أمير سلاحيه بان يترد الصنحج السلطاني

على رأسه لعدم حضور القبة والطير من الزرد خاناه فرفع الصنح على رأسه وقد ترشح أمره
للا تباكية فلما ركب سار ومشت قدماه الامراء بالشاش والقماش وركب الخليفة
عن يمينه وسار حتى طلع من باب سرا القصر الكبير فلما طلع جلس على سرير الملك وقبلت
له الامراء الارض وذلك يوم الاثنين سادس رجب من السنة المذكورة فلما تمت بيعته
وراج أمره خلع على الخليفة ونزل الى داره ثم خلع على المقر السيفي جاني بك قلع سير
الاشرف برسباي وقرره في الاتباكية عوضا عن نفسه ونزل الى داره في موكب حافل وقيل
تولى الملك الاشرف قايتباي الملك وله من العمر نحو من خمس وخسين سنة وقد وكره الشيب
قليلا ثم دخل يشبك بن مهدي وعمره ازال الشمس على الظاهر عتر بغاوا قاموه من فوق مرتبة
وأدخلوه الى قاعة البحرة وهو في غاية الاكرام ثم أخذوا منه النعجاء والترس والدواة
وأحضروها بين يدي الاشرف قايتباي ثم ان الاشرف قايتباي رسم بتقييد خيربك فقيده
هو وابن العمري وأدخلوهما الى مكان بالقرب من القصر الكبير وأدخلوا معهما عبد الكريم
مهتار الملك الظاهر خشدقدم وهو أول حكم وقع للاشرف قايتباي ثم ضربت له البشارة
بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفيه
يقول الشهاب المنصوري

سلطاننا الاشرف في بذله * وعدله قد دجع الفضلا

تقبل الله الذي عـرز * بالنصر منه الصرف والعدلا

وكان لما أراد أن يلبس شعار الملك شرط على العسكر أنه لا يتفق عليهم نفقة البيعة فرفضوا
بذلك فلما تسلطن لم يتفق على العسكر شيئا ثم أخذ السلطان في أسباب القبض على أعيان
الحشدية فقبض على كسباي الدوادار الثاني وقد ظهر من بيت يشبك بن مهدي وقبض
على مغلباي ورسم باخراجه الى القدس يقيم به بطالا ورسم باخراج كسباي الى حلب
واختفى خشدكي البيسقي ثم صار في كل يوم يقبض على جماعة من الحشدية ويشتت
شملةم ويسجنهم بالقلعة ما بين أمراء وخاصكية ثم ان السلطان رسم باحضار فرقاس
الجلب من دمياط واحضار جماعة من الاشرفية منهم يسبرس خال العزيز ومنهم جاني بك
المشدوي يسبرس الطويل وكانوا بالقدس ثم أشار بعض الظاهرية على السلطان بعود هذه
الجماعة الاشرفية الى القدس على عاداتهم فخرج الامر من السلطان بان يعادوا بعدما كانوا
قد وصلوا الى قطيا فعادوا الى القدس وفي ثامن هذا الشهر رسم السلطان باخراج الظاهر
عتر بغا الى ثغر دمياط فخرج وهو في غاية العز والاكرام من غير تقييد وقد رفق به وكان
السلطان يرسل اليه في كل يوم أسمطة حافلة وهو بالبحرة وعند ما خرج للسفر اجتمع به
السلطان واعتذرا اليه في أمر السلطنة وأن ذلك لم يكن باختياره وكان على كره منه وكان

بين تمر بغاوين قايتباي أيمان عظيمة بأنه لا يغدر ولا يتسلطن فلم تتم هذه الأيمان ثم ان
السلطان ودع الظاهر تمر بغا ونزل من القلعة وهو راكب على فرس من مركب السلطان
ونزل من باب القرافة بعد العشاء وتوجه الى ساحل البحر ونزل في الحراسة وتوجه الى ثغر
دمياط فلما وصل الى دمياط نزل في أحسن دورها وكان يركب الى صلاة الجمعة واستمر
بدمياط الى ان كان من أمره ما سئذ كره وفيه اشار بعض الظاهرية على السلطان بان
يطلق من كان سجنه من الخشقدمية ثم ان السلطان أخذ في أسباب مصادرة خير بك الذي
تسلطن هو وابن العيني فطلب السلطان من خير بك نحو من ستين ألف دينار خارجا
عن بركه وخيوله وسلاحه وغير ذلك وعلى ابن العيني نحو من مائتي ألف دينار وذلك خارج
عن بركه وسلاحه وغير ذلك وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم
برد بك هجين وقرره في امرية سلاح عوضا عن قاني بك المحمدي وخلع على يشبك بن مهدي
وقرره في الدوا دارية الكبرى عوضا عن خير بك ولما حضر قرقاس الجلب من دمياط خلع
عليه وقرره في امرية مجلس عوضا عن ابن العيني وكان قرقاس الجلب لما نفي الى الاسكندرية
أمير سلاح فنزل درجة الى أسفل وقرره في الدوا دارية الثانية فان بردى الابراهيمي
الايثالي عوضا عن كسباي الخشقدمي وقرره في ولاية القاهرة قاني باي الحسني الايثالي
عوضا عن اصباي البواب الخشقدمي وأنعم على قراجا الطويل الايثالي بـ ٢٠٠٠ ألف ثم ان
بعض الامراء شفّع في الناصري محمد ابن الاتابكي جرباش كرت وكان مقيما بدمياط من حين
نفاه الظاهر خستقدم في واقعة يرش مملوك جاني بك نائب جدة وقد تقدم ذكر ذلك فلما
حضر خلع عليه كاملية بسمو ونزل الى داره وفيه أخذ السلطان في أسباب تعيين تجريدة الى
شاه سوار بن دلغادرو وقد تقدم ما وقع منه في أيام الظاهر خستقدم وقد قويت شوكته والتف
عليه عسكريون من التركمان وغيرهم وقد أظهر العصيان والمخامرة نخشي السلطان من
أمره وأراد ان يأخذ أموره بالقوة وكان يمكنه أن يرسل الى سوار خلعة وهدية وتخم هذه
الفتنة فلم يوافق على ذلك وأخذ الاشياء بالاعتسفة فعين له تجريدة ثقيلة وعين به الامير
قلقسيير الاتابكي وبرد بك هجين أمير سلاح وناق رأس نوبة النوب وتم حاجب الحجاب وعدة
أمراء طبخانات وعشراوات وعدة وافرّة من الجند والغالب فيهم من المماليك الخشقدمية
وجعل السلطان ذلك عوضا عن نفهم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من
الامراء وهم جاني بك الفقيه الظاهري وقرره في الامير اخورية الكبرى عوضا عن برد بك هجين
وقرره في الامير اخورية الثانية يشبك حسن عوضا عن جاني بك الفقيه بحكم انتقاله وقرره في
حسبة القاهرة قانصوه الخفيف تاجر المماليك وأنعم عليه بامرية عشرة وفيه رسم السلطان
باخراج خير بك الذي تسلطن وقد سمته العوام سلطان ليلة فخرج تحت الليل وهو مقيد

راكب فرسا والواجب يردفه على جاري العادة فلما وصل الى شاطئ البحر نزل في الحراسة
وانحدر حتى وصل الى نغراسكندرية فسجن بهم اورجع من كان معه من اليناالية وبه
زالت دولة الخشنة قدمية كلهم لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفيه نودي
من قبل السلطان بابطال المشاهدة التي تتعلق بالمحاسب وهي نحو ألف دينار في كل
شهر فبطل ذلك مدة يسيرة ثم عاد بعد ذلك كل شيء على عادته وفيه ابتداء السلطان بتفرقة
الاقاطيع على الجند وكان أكثرهم ايناالية وأمر منهم جماعة كثيرة حتى رضوا وكان
قصدهم اثاره فتنه وانتقوا مع الخشنة قدمية على ذلك ثم غلب سعد الاشرف قايتباي على ما
قصدوه وخذت تلك الفتنة وفيه قرر في آتابكية دمشق شادي بك الجلباني عوضا عن سرامرد
العثماني بحكم القبض عليه وفيه وصل سودون البرقي من دمشق من غير اذن السلطان
وكان عين من جملة المقدمين بمصر فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وعين
للتجريدة وكان مريضافاعى من السفر وأقام بمصر مدة ومات وفيه أحضر أزدهر
الابراهيمي الطويل وكان مسجوناً بقلعة دمشق فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة
ألف وقد صار يدارى اليناالية مداراة وفيه عرض السلطان العساكر بسبب التجريدة
لسوار واستمر جالساً على الدكة وهو يعرض ويكتب الى ما بعد العصر ثم ضيق على أولاد
الناس والزهم بالسفر الى سوار أو يقيموا لهم بدلاً فصار يأخذ من كل واحد ان كان لا
يسافر مائة دينار عوضاً عن البديل الى السفر وقرر على جماعة من المباشرين جملة مال
وأمرهم باحضاره بسرعة ليستعين به على نفقة العسكر فهذه أول شدة وقعت منه في حق
الناس واستمر الامر منه يتزايد في كل يوم حتى جاوز الحد في ذلك وكان ماسئذ كره في موضعه
فلما تكامل حضور المال حملت النفقات للامراء المعينين للسفر فحمل الآتابكي جاني بك
قلقه سراً أربعة آلاف دينار ثم حل لبقية الامراء المقدمين لكل واحد ثلاثة آلاف دينار
وللامراء الطبليخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشاوات لكل واحد
مائة دينار وأنفق على الجند لكل واحد من المماليك مائة دينار وهذا على المادة القديمة
الجارية بها العوائد فلما تزايد امر التجار بدت تضاعفت النفقات جدا حتى بلغت نفقة الآتابكي
ازبك بن ططخ نحو من ثلاثين ألف دينار في كل سفرة على ماسيا في ذلك في محله وفي
شعبان خلع السلطان على يشبك السيفي على باي وقرره في نيابة قاعة دمشق وقرر
في حجوية الحجاب بدمشق ابراهيم بن بيغوت وقرر في نيابة قلعة حلب عمر باي أخو الماس
وفيه أحضر السلطان الشهابي أحمد بن العيني بين يديه في الدهيشة ووجه بالكلام بسبب
ما قرر عليه من المال الذي لم يورد منه شيئاً فسطحه على الارض بالدهيشة وقام وضربه
بيده نحو من عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه وأنهى عليه فشنع فيه بعض الامراء

وتوجهوا به الى طبقة الزمام فأقام بها أياما ثم تسلمه يشبك بن مهدي أمير دوا دار كبير فنزل
 به الى داره ليورد ما قرر عليه من المال وكان ابن العيني لما قرر في امرية مجلس ونزل من باب
 السلسلة له سكن في بيت جاني بك نائب جندة المشهور فلما انكسر خاير بك وزال أمر
 الخشقدمية نهىوا بيت ابن العيني عن آخره حتى قيل نهى له من البرك والقماش شي بنحو من
 تحسين ألف دينار وكان ابن العيني ماشيا على طريقة أولاد السلاطين حتى أطلق عليه
 عزيز مصر ورسمه انصب له بعض جماعة من الخشقدمية بأنه يتسلطن بعد خلع الظاهر
 بلباي من السلطنة ولم يتم له ذلك وقد لطف الله تعالى به حيث لم يتسلطن فكان يقضي عمره
 كله في القيد والسجن الى أن يموت وفيه في يوم الاثنين ثاني عشره خرج الامراء والعسكر
 المعينون للتجريدة وكان لهم يوم مشهود وهذه أول تجريدة خرجت من مصر الى شاه سوار
 فكانوا نحو عشرين أميراً ما بين مقدى ألوف وطبلخانات وعشراوات ومن الجند فوق ألف
 مملوك ثم في ليالى السفر اتفق السلطان جامكية أربعة أشهر مجلا وصرف لهم الكسوة
 وأعطى لكل واحد منهم مجلا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وفيه ركب السلطان
 ودار على الميدان حول القلعة فلما عاد طلع من باب السلسلة وكان نزل الى الميدان
 وهو أول ركوبه ونزوله من القلعة وهو سلطان ثم تكرر ركوبه من بعد ذلك ليللا
 ونهارا حتى خرج ذلك عن الحد فترك بعض المؤرخين ضبط ركوبه ونزوله من القلعة
 اذ لم يحص ذلك بعد ان كان ركوب السلطان نادرة مما يؤثر في التواريخ القديمة وفيه
 اختفى الوزير قاسم شغيمته فلما اختفى خلع السلطان على عبد القادر ناظر الدولة بالحدث
 في الوزارة حتى يقرر بها من يختار وفيه قرر دمر داش العثماني في نيابة القدس عوضا
 عن محمد بن حسن بن أيوب وقرر في نظار القدس بزد بك التاجي عوضا عن حسن القيمي
 وفيه خلع السلطان على شاهين الجمالي وقرره في نيابة جندة وقرر أبو الفتح المنوفي
 موقع السلطان وهو أمير في تطر جندة مستوفيا على شاهين وفيه أفرج السلطان عن
 الشهابي أحمد بن العيني وخلع عليه كاملية بسور ونزل الى داره وقد تحفظ أمره بواسطة
 الأمير يشبك الدوادار والتزم ابن العيني بأن يورد في كل شهر عشرين ألف دينار من الذهب
 النقد فكان جملة ما أوردته للخزائن الشريفية مائة ألف دينار وتسعة وثلاثين ألف
 دينار وذلك خارج عن تعلقاته وجهاته وهذه من النوادر الغريبة حيث جمع ابن العيني
 هذه الاموال الجزيلة في دون الأربع سنين منذ قرر في التقديم الى أن قبض عليه فعذ ذلك
 من النوادر وفيه ركب السلطان ونزل الى القرافة وزار الاولياء وعاد من طريق قناطر
 السباع ودخل الى دار سودون البرقي وعاده في مرضه وأقام عنده ساعة ثم ركب وطلع
 الى القلعة وفيه أخرج السلطان جماعة من الخشقدمية الى جهة الوجه القبلي مع

الكشاف وغيرهم كما كانت عادة المماليك الاينالية وفيه قرر بيبرس الاشقر في آتابكية
صدق وفيه توفي سودون البرقي وكان يعرف بالتمشي وكان أصله من ممالك الظاهر
بحقنق وقاسي محنا وشداثد ونبي واختفي وكان انسانا حسنا وعندما بقي مقدم ألف مات
في سنته وفيه خلع السلطان على صاحب شمس الدين محمد والد صاحب علاء الدين
الاهناسي وقرره في الوزارة عوضا عن قاسم شغيته وقرر ولده محمد في نظار الدولة عوضا عن
عبد القادر وفيه أشيع انه فقد من الخزينة السلطانية نحو عشرين ألف دينار فظهر
ان خوند سوارباي وسراري الظاهر خشي قدم قدسرقوا ذلك فرسم السلطان على خوند
سوارباي وأقامت في الترسيم مدة حتى أرضت السلطان وفيه وصل الى الابواب
الشريفة السيد علي بن بركات الحسني وقد غضب من أخيه محمد سلطان مكة فلما طلع
الى القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه واستمر مقيما بصر ورتب له ما يكفيه الى ان مات
بعد مدة طويلة وكان السيد محمد سلطان مكة أرسل للسلطان ستين ألف دينار على انه
يعوقه عنده بعصر حتى لا يقيم فتنة بمكة شرفها الله وعظمها وفيه ركب السلطان ونزل الى
القرافة وزار الامام الشافعي والامام الليث رضي الله عنهما ورجعما ثم سار الى بركة
الحبش ولعب بالكرة ثم عاد الى القلعة وخلع على تاني بك المعلم كاملية بسمور وقد أعجبه
ضربه للكرة وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وهو أول بخاري ختم للسلطان وكان يوما
مشهودا وحضر القضاة الاربعة وأعيان العلماء وفرقت الصرر على من له عادة وكذلك
الخلع فرقت على أعيان العلماء وكان ختم حافظا وفي شوال وقعت غلوة خفيفة بالقاهرة
وتشحطت الغلال وارتفع سعرها فاشتكت الناس للسلطان وصار اذا شق من القاهرة
يسمعه الكلام المنكي وفيه نوعك السلطان وانه قطع من الموكب أياما ثم شفي فأقيمت
الخدمة بالقصر لاجل خروج الحماج وفيه قدم جاني بك حبيب من بلاد الروم وكان هاربا
من أيام الظاهر خشي قدم فتوجه الى بلاد ابن عثمان فلما حضر أكرمه السلطان وخلع
عليه وبعث اليه الامير يشبك الدوادار بألف دينار ليرقع أحواله وفيه جاءت الاخبار
ب وفاة نظام الدين بن مفلح قاضي القضاة الحنبلي بدمشق وكان من أهل العلم وفيه سعدت
الى القلعة خوند فاطمة بنت العلاقي علي بن خاصبك فكان لها يوم مشهود وكانت
مقيمة بدار السلطان التي بسوق الغنم الى ان طلعت القلعة في ذلك اليوم وفي ذى القعدة
جاءت الاخبار بأن العسكر الذي توجه الى شاه سوار قد انكسر كسرة شنيعة وأسر الاتابكي
قلقيس و قتل جماعة من الامراء والجند وقتل منهم ما لا يحصى وكان غالب العسكر من
الخشقدمية وقتل من الامراء المقدمين الامير برد بك هجين الحمودي الظاهري أمير سلاح
وأصله من ممالك الظاهر بحقنق وكان لا بأس به وجرح الامير عمر جاجب الجباب في

وجهه وأما من قتل من الأمراء العشرة ففهم أيديك الأشرفي واسنبغان صفر بنجا
المؤيدي نائب باب القلعة وغرباي الساقى الأشرفي وقانصوه النوروزى وغرباي قزل
الظاهرى وتانى بك السيقى وجانى بك النور وجانى بك البواب المؤيدى وقطلوباي المجدى
الأشرفى العزيرى ومغلباي الخليلى إلى الأشرفى ويشبك الغزى الظاهرى ويشبك الأشقر
قيل أنه فوجر على سوار فضرب عنقه بين يديه وأما من قتل من الخاصكية والممالك
السلطانية فضابطوا وقد نهب برك الأمراء والعسكر قاطبة والذي سلم دخل إلى حلب
في أسوا حال من العرى والمشى وقد قوى أمر سوار وتوجه إلى عينتاب وحاصر قلعتها
وملك البلد وأشيع بين الناس أن ابن عثمان ملك الروم أرسل نجدة من عسكره إلى سوار
وفيه جاءت الأخبار من البحيرة بأن العربان قد تحالفوا على الخروج عن طاعة السلطان
فوثبوا هناك وأحرقوا الجفرون ونهبوا بلاد المقطعين فلما بلغ السلطان ذلك عين تجريدة
بها عدة من الأمراء وعين تجريدة إلى الشرقية وتجريدة إلى الوجه القبلى بسبب أولاد ابن عمر
ثم خلع على شيخ العرب صقر وقرره في مشيخة عربان البحيرة ثم عزل خشقدم كاشف
البحيرة وولاه محمد الصغير فلما وردت أخبار كسرة العسكر على يد سوار اشتغل السلطان
بذلك عن كل شئ ودهمته هذه الأمور الشنيعة عن التجار يد التي عينها وفيه ابتداء
السلطان بوقوع المساوى منه فخرج قرية أنبابه عن الخليفة المستنجد بالله يوسف وكانت
بيده من حين تسلطن المؤيد أحمد ابن الأشرف أيناك وكان أقطعه الله الملكا سلطان فأخرجها
السلطان عنه باسم جاني بك حبيب ثم بعد مدة يسيرة أخرجه عنه جزيرة ابن الصابونى
وأقطعه البعض مما يليكه فعد ذلك من مساويه وفيه وصل قانصوه الجيلاى الحاجب
بدمشق وعلى يده مكاتب أربك نائب الشام يخبر فيه أبكسر العسكر ودخولهم إلى
حلب وهم في أسوا حال وإن أربك نائب الشام دخل إلى حلب وهو مجروح في وجهه
وليس له برك ولا قماش ولا ممالك ودخل نائب حلب ونائب طرابلس على هذا الوجه
ودخل غالب العسكر عرايا مشاة وكانت هذه الواقعة في يوم الاثنين سابع ذى القعدة من
السنة المذكورة فلما وردت هذه الأخبار ماجت القاهرة ودار السلطان في أمره وما يظن
أن سوار يقوى على العسكر لكثرة وفيه جاءت الأخبار عقيب ذلك بأن سوار سجن
الأتا بكى جاني بك فلقس في جب وإن عسكر سوار قد قوى بمائتهم من العسكر من خيول
وسلاح وبرك وقد عزم سوار بأن يزحف على حلب فلما تحقق السلطان ذلك أمر بعقد
مجلس بالقلعة فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الأربعة وهم ولى الدين
الاسيوطى الشافعى ومحب الدين بن الشحنة الحنفى وحسام الدين بن حرير المالكي وعز
الدين الحنبلى وحضر شيخ الاسلام أمين الدين يحيى الأقصرائى ومشايخ من العلماء
وحضر سائر الأمراء وكان هذا المجلس بالحوش السلطاني فلما تكامل المجلس قام القاضى

كاتب السر أبو بكر بن مزهر وتكلم عن لسان السلطان ووجه الخطاب الى الخليفة
 والقضاة ومشايخ العلم بملامعنا من كلام طويل بأن بيت المال مشحون من المال وان
 سوار الباغى قد استطال على البلاد وقتل العباد ولا بد من خروج تجريدة عسكر لتحمي
 بلاد السلطان وأن العسكر يحتاج الى نفقة وليس في بيت المال شيء وان كثير من
 الناس معهم زيادة في أرزاقهم ووظائفهم وأن الأوقاف قد كثرت على الجوامع
 والمساجد وان قصد السلطان يقيهم ما يقوم بالشعائر فقط ويدخل الفائض الى
 الذخيرة قال الخليفة وقضاة الجاه الى شيء من معنى الاجابة الى ذلك فبينما هم على ذلك اذ
 حضر شيخ الاسلام أمين الدين الاقصر ابي الحنفى وكان قد تأخر عن الحضور فأرسل خلفه
 السلطان فلما حضر أعاد اليه كاتب السر الكلام الذى وقع في أول المجلس فلما سمع
 هذا الكلام أنكره غاية الانكار وقال في الملا اعلم من ذلك المجلس لا يحل للسلطان
 أن يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعى واذا نفذ جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في أيدي
 الامراء والجنود وحلى النساء فيأخذ منه ما يحتاج اليه واذا لم يوف بالحاجة ففي ذلك ينظر
 في المهم ان كان ضروريا في المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة وهذا هو دين الله
 تعالى ان سمعت أجر ل الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ما شئت فانا نخشى من الله تعالى
 أن يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لانهم يمتوه عن ذلك وأوصحتم له الحق ولكن السلطان
 ان أراد أن يفعل شيئا يخالف الشرع فلا يجبهنا ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله
 مؤنة هذا الامر كله ثم قام فانجبه منه السلطان وانقض المجلس من غير طائل وكثر
 القول والقييل وشكر الامراء الشيخ أمين الدين على ذلك وغالب الناس وكثر الدعا في ذلك
 اليوم للشيخ أمين الدين رحمه الله وعده هذا المجلس من النوادر ثم ان السلطان نادى للجنود
 بالعرض وأخذ في أسباب خروج تجريدة فلما ان دخل الدهيشة وهو في غاية الحدة من
 الشيخ أمين الدين الاقصر ابي الحنفى واذا بالاخبار جاءت اليه من تغردمياط بفرار الظاهر وعربغا
 من دمياط وان شيخ العرب محمد بن بخلان وعيسى بن سيف الدين أنزلوه في مركب وطلعوابه
 من الطينة وقصدوا به نواحي حلب فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وضاق
 الامر عليه من كل جانب ونسى ما كان في نفسه من أمر سوار وعرض العسكر ثم زاد القول
 والقييل في هروب الظاهر وعربغا من دمياط فعند ذلك عين السلطان يشبك الدوادار بأن
 يخرج ويلاقى الظاهر وعربغا من غزة فخرج على جرائد الخيل مسرعا ثم ان السلطان نادى
 في القاهرة بأن لا يخرج أحد من بيته بعد صلاة العشاء ولا يحمل سلاحا ولا يحصل كلام
 وحصل للناس في تلك الايام غاية القلق وفيه قرر في قضاء الشافعية بدمشق قطب الدين
 الخضرى عوضا عن ابن الصابونى مضافا لما بيده من كتابة السر ثم قرر في نظرا لجيش

البدر ابن المزلق عوضا عن ابن الصابوق أيضا بحكم القبض عليه وفيه جاءت الاخبار بأن سبع وسباع ولدى هجار وثباعا على الينابيع وكان قد خرج اليهما على بن بركات أخو صاحب مكة المشرفة فكسروه وهذه أول فتنة الينبع وفيه عين السلطان تجريدة الى سوار وهي التجريدة الثانية فعينهم امن الامراء قر قاس الجلب أمير مجلس ياش العسكر وسودون القصر وى وقراجا الطويل الاينالى وازدعر الطويل الاينالى وعدة أمراء طبخانات وعشراوات وعين من الجند فوق الاف مملوك وفيه جاءت الاخبار بأن سوار قد أطلق الاتابكي جاني بك قلقسير وقد وصل الى قرب حلب وفيه جاءت الاخبار بقتل سبع وسباع ولدى هجار أمير الينبع وقد وقعت فتنة عظيمة بالينبع بين خنافرو وبينهما حتى قتلها ما وكان سبع وسباع حصلا منها غاية الضرر الشامل ❀ وفي ذى الحجة توفي شخص يسمى عصام الدين البخارى الحنفى وكان من أهل العلم وكان أكثر أقامته بدمشق واشتغل بدمشق على جماعة على مذهب أبي حنيفة وكان من الافاضل وفيه جاءت الاخبار من غزوة بأن أرغون شاه الاشرى قد قبض على الظاهر تمر بغا فلما وصل الأمير يشبك الى بلبيس تلقاه وحمله في محفة وتوجه به من هناك الى نغرا الاسكندرية من غير تقييد ثم ان السلطان رفق به ولم يسجنه وقد رسم له بان يسكن بدار الملك العزيز التي بالاسكندرية وأن يكتب الى صلاح الجمعة والعيدى ثم ان الظاهر تمر بغا كتب للسلطان كتابا بخط يده وقال فيه المملوك تمر بغا يقبل الارض وأرسل يعتذر اليه مما وقع منه بسبب تسجيده من دمياط واعتذر بأنه قصدا لتوجه الى شاه سوار ليصلح بينه وبين السلطان وتخمد هذه الفتنة كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فان اطراح العذر خير من العذر
وكان الظاهر تمر بغا أرسل قليل الحظ معكوس الحركات في أفعاله ليس له سعد ولا قسم له كما قيل

دع التعرض ان الامر مقدور * وايس للسعي في الادراك تأثير
والمرء يهجز عن تحصيل خردلة * بالسعي ان لم تساعد المقادير

وفيه أيضا وصل أرغون شاه وعلى يده محضر بأنه سلم الظاهر تمر بغا الى الأمير يشبك الدوادار الكبير وتوجه من بلبيس الى الاسكندرية وكان أرغون شاه قبض على تمر بغا لما خرج من الطينة فلما حضر أرغون شاه بين يدي السلطان شكره على ذلك وخلع عليه خلعة حافلة وأركبه على فرس بسرجه ذهب وكنبوش فعز ذلك على جميع الظاهرية لكونه قبض على تمر بغا ولم يكن هذا قصدهم وفيه تزايد سعر القمح وانتهى الى سبعمائة درهم كل اردب ففتح

السلطان شونه وباع منها بأقل من سبعمائة فحصل للناس بذلك بعض رفق وفيه نارت
 المماليك بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع اليها وكدت أن تكون فتنة كبيرة
 وسبب ذلك تأخر الوزير عن جل اللحم المرتب والخبز وفيه قبض السلطان على صاحب
 شمس الدين محمد والد صاحب علماء الدين الاهناسي وكل به في طبقة الزمام وفيه توقف
 النيل عن الزيادة ثلاثة أيام فقلق الناس لذلك وزاد سعر القمح ثم بعث الله تعالى بالزيادة
 حتى حصل الوفاء ۞ وفيه توفي الشيخ تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي الشمني
 القسطيني ثم السكندري الحنفي وكان اماما عالما فاضلا خيرا دينا عارفا بالفقه والاصول وله
 تصانيف وتأليف في فنون العلم أجازة البلقيني وابن الملقن والعراقي وغير ذلك من العلماء
 وكان عين للقضاء الا كبر غيرة ما حرمه وهو يمنع من ذلك وفيه قبض على شخص سرق ستر
 الامام الليث بن سعد رضي الله عنه فريسم السلطان بقطعه يده فشهرو وقطعت يده وفيه توفي
 الشيخ شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد السيوطي ثم السكندري الشافعي وكان
 عالما فاضلا بارعا في العلم عارفا بالقراآت بالروايات السبع ومولده سنة ثمانمائة وفيه أفرج
 عن صاحب شمس الدين الاهناسي وخلع عليه باعادة الوزارة وصرف ولده محمد عن نظر
 الدولة وفيه جاءت الاخبار بوفاة أبي القاسم بن جهان شاه صاحب كرمان وكان لابأس به ولي
 علي كرمان بعد أبيه وجرى عليه أمور شتى وآخر الامر قتل وتوفي الشيخ أبو عبد الله محمد
 التونسي الموصلي المالكي رحمه الله تعالى وكان عالما فاضلا من كبار علماء تونس وعاش
 نحو من سبعين سنة وتوفي قانصوه خوفي الاشرفي أحدم قدمي الالوف بدمشق رحمه الله
 تعالى وتوفي قرا كير العثماني المعروف بجمازان الخاصكي وكان لابأس به رحمه الله تعالى وتوفي
 طوغان ميق العمري المؤيدي أحد الامراء العشر اوات وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب
 طرابلس الغرب وفيه توفي القاضي علم الدين أبو الفضل بن جلود كاتب المماليك وكان أصله
 من الاقباط يسمى ابن اسحق وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة غاية
 وخرجت هذه السنة وقد وقع فيها من المقتن والشرو والانسكاد ما لا يكاد أن يضبط وقتل
 فيها من العسكر والامراء ما لا يحصى وتولى فيها ثلاثة سلاطين بل أربعة بخاير بك سلطان
 ليلة وتوفي فيها الظاهر خشقدم وتبدد شمل جماعة الخشقدمية وزالت دولتهم ووقع فيها
 غاية الفساد في البلاد الحلبية بسبب عصيان شاه سوار وقد تقدم ما جرى من الضرر
 في حق العسكر

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم صعد القضاء الى القلعة للتمنئة
 بالعام الجديد فأمر السلطان بجمع مجلس بسبب مشترى عماليك الظاهر خشقدم فاشترى

من المماليك الكناينة نحو من خمسمائة مملوك ضريبة كل مملوك عشرة آلاف درهم وقد
 طمع في حق أولاد الظاهر خشن قدم وفيه خلع السلطان على عبد الكريم بن علم الدين بن
 جلود وقرره في كتابة المماليك عوضا عن أبيه بحكم وفاته وكان شايبا لم يلتح بعد وفيه عينت
 الاتابكية لازبك بن ططخ نائب الشام عوضا عن الاتابكي جاني بك فلقسير بحكم أسره
 عند سوار فخرجت اليه البشارة بذلك وطلب الى مصر سريعا ليلى الاتابكية وفيه أرسل
 السلطان بالقبض على تاني بك المملوك الذي توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة
 وحمل للقدس بطالا وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجه شهاب الدين بن المزلق الدمشقي وكان
 من أعيان التجار بدمشق ولم يكن يلى شيئا من الوظائف كاخيه وفيه توفي جاني بك قجا
 التمشي المؤيدي مات بطالا وكان بيده امرية عشرة وفيه في ليلة خامس عشره خسف
 جميع جرم القمر حتى أظلمت الدنيا ودام على ذلك الى قرب آخر الليل حتى انجلي وفيه
 توفي شاد بك شبق الاشرفي نائب ملطية أولا ثم بقي مقدم ألف بدمشق وفيه كان وفاء النيل
 المبارك فلما توفي توجه الامير قرقاس الجلب أمير مجلس وفتح السد على العادة وفيه توفي
 أصيل الحصري وهو ابن محمد بن ابراهيم بن علي بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن
 عبد الله المغربي كان مالكي المذهب وكان عشير الناس كثير المداعبات والنوادر لطيف
 الذات محببالارباب الدولة وعاش مدة من العمر طويلة وكان مولده سنة ثمان وثمانين
 وسبعمائة وفيه حضر الزينى عبد الرحمن بن الكوير الذي كان ناظر الخصاص وقرر في دولة
 الظاهر خشن قدم فوجه الى ابن عثمان ملك الروم فأقام عنده حتى توفي الظاهر خشن قدم
 فحضر الى القاهرة فلما مثل بين يدي السلطان خلع عليه ونزل الى داره وفيه حضر قاصد
 حسن الطويل وعلى يده مكاتبة بالتمنيثة للسلطان بالملك وصحبته هدية حافلة وفي مستهل
 صفر توفي العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم الشرواني الشافعي وكان اماما عالما فاضلا
 نادرة عصره بارعا في فنون العلم خضعت له الناس من أهل زمانه وشهرته تغنى عن مزيد ذكره
 ومولده سنة ثمانين وسبعمائة وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى نحو طرا
 والعدوية على سبيل التنزه فأقام هناك الى آخر النهار ومد هناك أسنطة حافلة ثم عاد الى القلعة
 وفيه توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على
 مشتري القمح ثم بعث الله بالزيادة وفيه خلع السلطان على بلباي الظاهري أحد العشراوات
 وقرر في نيابة الاسكندرية عوضا عن قانصوه الحيواي وقرر قانصوه الحيواي نائب طرابلس
 عوضا عن اينال الاشقر وقرر اينال الاشقر في نيابة حلب عوضا عن برد بك البجمة قدار
 بحكم انتقاله الى نيابة الشام عوضا عن أزبك بن ططخ بحكم انتقاله الى الاتابكية عوضا عن

جاني بك قلقسیر بحکم أسره عند شاه سوار وفيه نوذی علی الفلوس الجدد باربعة وعشرين
الرطل وكانت بستة وثلاثين فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفيه جاءت الاخبار
من ثغر دمياط بوفاة الامير مغلبای طاز الابو بكری المؤیدی أحد مدعی الألوف بمصر
مات بدمياط بطالا وكان خيرا ديناموصوفا بالشجاعة وهو صاحب الجامع الذي أنشأه
بدر بن الخازن ومات وقد ناف على الثمانين سنة من العمر رحمه الله تعالى ونقل بعد موته الى
القاهرة ودفن بترته التي أنشأها وفيه وصل المقر السيفي أزبك نائب الشام فلما بعد الى
القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه وقرره في الاتابكية عوضا عن جاني بك قلقسیر بحکم
أسره عند سوار فنزل الى داره في موكب حافل وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار
من ثغر الاسكندرية بوفاة خوند فاطمة بنت الاشرف اينال وكانت توجهت الى
الاسكندرية بسبب ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فطعنت هنالك
وماتت وكان الطعن عمالا بالاسكندرية فحملت الى القاهرة ودفنت بترية أبيها الاشرف
اينال وكان تزوج بها كسباى الدوادار الثاني الخشقدمي ولم يدخل عليها وكانت قبل
ذلك تزوجت بالامير يونس البواب الدوادار الكبير وماتت وهي في عصمة كسباى وكانت
شابة جميلة لها من العمر نحو من سبع وعشرين سنة فكثرت عليها من الناس الاسف
والحزن والبكاء وكانت من الاخبار وفيه توقف السلطان عن صرف جوامك أولاد
الناس وجماعة من الفقهاء والمتعلمين وأحضر قوسا ثقيلا وبه سمهم شباب طومار وصار
يدفعه لا أولاد الناس فكل من لا يقدر على سحبه يقطع جامكته فحصل لا أولاد الناس
في ذلك اليوم كسر خاطر وافتضح منهم جماعة ووبخهم بالكلام ونزلوا من القلعة
وهم في غاية الفسك وقطع في ذلك اليوم عدة جوامك فكثرت الدعاء عليه بسبب ذلك وفيه
توفي الطواشي سرور الطلايبي شيخ الخدام بالحرم النبوي وكان قد طعن في السن جدا
وتوفي القاضي شرف الدين عيسى العطولي الشافعي أحد نواب الشافعية وكان
لابأس به وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة وكان يوما حافلا مشهودا
وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك الظاهر بلباى المؤيدى مات
وهو بالسجن بالطاعون وقد قاسى شدا ئد ومحننا وأخر الامر مات قهرا وقد تقدم ذكره وفيه
هبط النيل سريعا في أثناء توت فتزايد أمر الغلال وشطح سعر القمح وابتدأ وقوع
الطاعون بالقاهرة وفيه عين السلطان الامير ازدمر الطويل الاينالى بان يخرج ومعه
خسمائة مملوك من المماليك السلطانية الى حفظ البلاد الحلبية ويقوم بحلب الى أن تحضر
التجريدة ويخرج عقيب ذلك وكان يبلغ السلطان بان عسكر سوار نزل على قلعة دريده

وحاصرها فبادر الامير ازدهر ونخرج في قلب الشتاء ليحفظ حلب وكان ذلك عين الصواب
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قائم طاز الاشرفي أحد مدعي الالوف بحلب مات وهو في أسر
سوارو كان موصوفا بالشجاعة والفروسية ومات وقد جاوز الستين من العمر وفيه نزل
السلطان من القلعة وتوجه الى خانقاه سرياقوس ونصب هناك الخيام وأقام بها يومين
وعمل هناك أسبطة حافلة وحضر هناك مع السلطان قاصد حسن الطويل وقاصد ملك
الهند فكانت اقامتهم هناك مشهورة وحصل للسلطان بذلك انشراح ثم عاد الى القلعة وفيه
قبض السلطان على صاحب شمس الدين الاهناسي والد صاحب علاء الدين وسلمه الى
الامير يشبك الدوادار فعاقبه وسجنه عنده أياما ثم قرر عليه ألفي دينار وأطلقه وفيه
جلس السلطان على الدكة بالحوش لتفريقة الجامكية فقطع عدة جوامك لاولاد الناس
والمتممين وأحضر عنده ثلاثة أقواس بعضها أقوى من بعض وصار كل واحد باسم شخص من
اولاد الناس يدفع اليه من الاقواس قوسا ويأمره بيجذبه فان أوفى جذبه كتبه للتجريدة أو
يحمل مائة دينار عن بدل السفر وان لم يجذبه قطع جامكيته وصار بعض الامراء يشفع فيمن
له ألف جامكية بان يبقى على حاله ومنهم من ألزمه بخمسين دينارا لمن له ألف جامكية فحصل
لاولاد الناس الضرر الشامل بسبب هذه المصادرة وهان عليهم ثم ترك الجامكية من كثرة
توبيخ السلطان لهم وفيه أنعم السلطان على برقوق شادا الشراب خاتاه بتقدمة ألف وعلى
قنبردى الدوادار الثاني بتقدمة ألف ثم في آخر الجوامك قطع عدة جوامك للفقهاء والمتممين
وفعل بهم كما فعل باولاد الناس في مصادراتهم وفيه أمر السلطان باحضار علاء الدين
ابن الصابوني في الدهبسة فلما حضر أمر بضربه بين يديه فضرب ضربا مبرحا على رجليه
وألزمه بحمل مائة ألف دينار فأذن عن ذلك ثم حل الى طبقة الزمام في الترسيم ووكله
بجماعة من الخاصكية الى أن يورد ما قرر عليه من المال وفيه خلع السلطان على يشبك
الدوادار خلعة حافلة كخلعة الاتابكي وقرره في الوزارة مضافا للدوادارية الكبرى فاخذ
الوزارة عن صاحب شمس الدين والد صاحب علاء الدين الاهناسي وقرر قاسم شغيبته في
نظر الدولة عوضا عن محمد بن شمس الدين الاهناسي فلما تم أمر يشبك في الوزارة أخذ في
قطع مرتبات اللحم التي كانت للفقهاء والمتممين قاطبة وكان ذلك باذن السلطان ففتك
يشبك الدوادار غاية الفتك ورسم على جماعة من المتممين وقصد أن يأخذ منهم ما أكلوه في
الماضي وكان منهم من له أربع زبادى لحم والخمسة زبادى بل وأكثر من ذلك فرسم على
بدر الدين الدميري كتكوت حتى شفع فيه بعض الامراء وهرب واختفى جزة بن البشري
واستمر مختفيا حتى مات بعد مدة وحصل للفقهاء والمتممين في هذه الحركة غاية الضرر

والبهدة وما أبقى ممكناً في ذلك وقطع لحوم جماعة كثيرة من أولاد الناس والفقههاء والمتعممين والنساء وكان القائم في ذلك قاسم شغيته وحسن السلطان ذلك وهذا أول فتح باب النظام وصار الامر يتزايد من بعد ذلك وكان في الزمن القديم تباع الزبادي اللحم ونشترى النساء والفقههاء وغير ذلك من الناس فامتنع هذا الامر في تلك الدولة وصار اللحم يصرف للمالك فقط وكان الوزراء المتقدمون يستدون هذا المسد للديوان أحسن السداد مع كثرة اللعوم المرتبة للناس على ذلك الديوان وآخر من كان قائماً بسداد هذا الديوان صاحب علاء الدين ابن الاهناسي ثم ابن البياوي ثم ابن الصنيعة وغيره من الوزراء حتى ولي قاسم شغيته فحسن لشبك الدوادار ذلك حتى فعل بالناس ما فعل وفيه خرج الاتابكي أربك بن ططخ الى جهات البحيرة بسبب فساد العربان فاقام هناك مدة ثم عاد وفيه قرر سودون القصر وى رأس نوبة النوب عوضا عن نائق الظاهري بحكم وفاته وفيه قرر ثاني بك الاينالى في الدوادارية الثانية عوضا عن قنبردى الاينالى وقرر قانصوه الخفيف الاينالى في شادية الشرايخناه وقرر جاني باى الخفيف الاينالى في تجارة الممالك وقرر مثقال الحبشى الساقى في مشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن سرور الطلابي بحكم وفاته وكان مثقال هذا عشر الناس كثيرا لانهم ملك على شرب الراح ففقت السلطان وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب وفيه يقول المنصوري

يم ندى كف مثقال فراخته * فيها لمن أتمه جود وافضال

واجب له فرعاه الله من رجل * فيه قناطير خير وهو مثقال

وفيه أنفق السلطان على العسكر المعين للتجريدة الى سوار فاعطى لكل مملوك مائة دينار وفيه خلع السلطان على يشبك جن وقرره في الحاج بركب الحمل وكان قد قرر قبل ذلك في امرية الاخورية الثانية وخلع على يشبك الجمالى وقرره في امرية الحاج في الركب الاول وفيه جاءت الاخبار بان حسن الطويل قد استولى على ممالك العراق وطرد من كان بها من المملوك وقد تزايدت عظمتة جدا فخشى السلطان منه في الباطن وأخذ حذره ولكن شغله عنه أمر سوار وفيه أرسل السلطان نفقات الامراء المعينين الى التجريدة فحمل لأزدر الطويل ستة آلاف دينار وجل لقماس الطويل أحد الامراء الطبخانات خمسمائة دينار وجل للامراء العشر اوات لكل واحد منهم مائتي دينار فكان الذي صرف على هذه التجريدة التي خرج فيها أزدر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجنود وهم نحو من خمسمائة مملوك ما يزيد على مائتي ألف دينار فخرج أزدر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجنود في أوائل الشتاء ليقيم في حلب وفيه خرج علاء الدين بن الصابوني الى

دمشق وخرج معه خاصكي يقال له جاني بك الاشقر ليحضر ما بقى عليه من المال الذي التزم به فخرج الى دمشق في الترسيم وفي ربيع الآخر طلع القضاة الى التهنئة بالشهر فتكلم السلطان معهم في المجلس في قطع جوامك العواجر من الجند والنساء وأخذ يشكو للقضاة من انشغالات الديوان وخراب البلاد وصار يدعو على نفسه بالموت حتى يستريح مما هو فيه من التعب فطال الكلام في ذلك المجلس بسبب ذلك ثم انقض الامر من غير طائل وقام القضاة ونزلوا من القاعة فلما فرق الجوامك في الشهر الاول المذكور جلس على عادته واستدعى بالجوامك وصار يقطع عدة جوامك للعواجر من الجند والايام والنساء وصار في كل شهر على عادته تفرق الجوامك بمحضرة ويقطع في كل شهر للناس بحسب ما يختار منها وهو اول من جلس على تفرقة الجوامك بنفسه من الملوك واستمر ذلك من بعده تفعله الملوك الى يومنا هذا في كل يوم تفرق فيه الجوامك ولم يعهد هذا من ملوك قبله أنه حضر تفرقة الجوامك بنفسه وفيه قرر يشبك الجوامك الذي كان نائب حلب وعزل قرره السلطان في نيابة حماه عوضا عن محمد بن مبارك فعهد هذا من النوادر لكونه قرر في نيابة حماه بعد نيابة حلب وفيه خلع السلطان على يشبك الجوالي وقرره في الحسبة عوضا عن قانصو الخفيف محمد ثم انتقل الى شادية الشرا بخاناه فجا يشبك الجوالي في الحسبة على الاوضاع وصار له حرمة وافرة وفي جادى الاولى توفي الامير جوهرا التركمانى الشيبكى الخازن دار الكبير والزمام وكان هندي الجنس سي الخلق غير محمود السيرة وفيه خرج تمر از الشمسى قريب السلطان وتوجه الى الغربية للكشف على الجصور وصار يتوجه اليها في كل سنة ويقيم بها شهرا وفيه توفي الغرس خليل والشيخنا الشيخ عبد الباسط الحنفى وهو خليل بن شاهين الصفوى الاشرفى وكان ذكيا لبيباً عارفاً تولى عدة وظائف سنوية من الوزارة ونيابة الكرك ونيابة القدس ونيابة ملاطية ونيابة حلب ونيابة الاسكندرية وتقدمة ألف بدمشق ورج بالناس أمير المحمل وكان من أعيان الرؤساء وكان نادرة في أولاد الناس وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وكان حنفى المذهب اشتغل على جماعة من العلماء وأجازته في الحديث الحافظ بن حجر وفيه خلع على الطواشى جوهرا النوروزى الحبشى وقرره في الزمامية والخازندارية الكبرى عوضا عن جوهرا التركمانى وفيه توفي الشيخ المسلك العارف بالله تعالى حسام الدين حسين بن محمود الاصفهاني الرفاعي الشافعى وكان ديناً خيراً لا بأس به وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من الوجه القبلى وقد نهب البلاد وأسرنساء العربان وأولادهم حتى قيل أحضر معه نحو من أربعة مائة وقدامات منهم من الجوع عدة كثيرة فلما عاد يشبك حصل من العربان

بسبب ذلك ما لاخير فيه من البلاد وسلب المسافرين ووقع منهم غاية الفساد وفيه جاءت الاخبار بوفاة شيخ العرب حسن بن بغداد أحد مشايخ الغريبة وكان في سعة من المال فأحاط السلطان على موجوده قاطبة وفي جمادى الآخرة ارتفع سعر الغلال عما كان واشتد الغلاء على الناس وجاءت الاخبار بإفشاء الطاعون بأقليم البحيرة وفيه توفي الطواشي شاهين غزالي الظاهري الرومي وكان بارعا في الجمال وافتتن به كثير من النساء والرجال وكان حسن الشكل وافر العقل كثير الأدب حشما في نفسه وكان في سعة من المال غاويا متجرا وكان منهم كافي ملاذ نفسه فلما مات نزل السلطان وصلى عليه ثم توجه من الصلاة إلى بركة الحبش وأقام بها إلى آخر النهار ثم عاد إلى القلعة وفي شاهين غزالي يقول الشهاب المنصوري

قد صاغك الله من لطف ومن كرم * وزاد حسنك بالاحسان تزيينا
فأخض جناح الرضا واصطد طيور غنى * من جوا خلاصنا ان كنت شاهينا
﴿وقال آخر﴾

أيها العشاق اصغوا * واسمعوا حسن مقال
كل عاشق لو غزال * وأنا شاهين غزالي

وفيه ذكرت أعجوبة نقل شيخنا الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي في تاريخه أن شخصاً من الجن يدعى له يوسف السيفي يشبهك الصوفي خرج ليسير نحو الجبل المقطم فرأى حصاة مرمية في الأرض فأخذها فاذا عليها مكتوب بخط جيد قديم قد قرب الوقت فاعتبروا واتقوا الله وهي كتابة بغير نقط ولا شكل فأحضرها بين يدي الشيخ أمين الدين الأقصرائي حتى رآها وتعجب من ذلك ولكن طعن فيها بعض الناس وقال انها مصنوعة والله أعلم بحقيقة ذلك وفيه عرض السلطان العسكروا أخذ في أسباب خروج العسكروا إلى سواروهي التجربة الثانية فعين باش العسكرا لا تابكي أربك بن ططخ وقرقاس الجلب أمير مجلس وسودون القصري رأس نوبة النوب وعر حاجب الحجاب وقراجا الطويل الأيتالي ومن الأمراء الطبختانات خاير بك بن حديد وجاني بك الزيني ومن الأمراء العشر اوات زيادة على العشرين أميراً ثم رسم لاولاد الناس من أراد السفر فليسافر ومن لم يسافر يحمل إلى بيت المال مائة دينار ويقدمها بلا عنه وهذا المن يكون له جامكية وأقطاع ومن لم يكن له أقطاع وله ألف دينار وله جامكية ألف درهم يحمل خمسة وعشرين دينارا وفيه قبض السلطان على الشهابي أحمد بن العيني ومجن بالقلعة ليورد بقية المال الذي كان قرر عليه فأقام بالقلعة أياما حتى جعل ما عليه من المال المقر فعند ذلك خلع عليه السلطان ونزل إلى داره وفيه أنفق السلطان على العسكرا كل مملوك مائة دينار وكل أمير مقدم ألف ألف دينار ورجل للامراء الطبختانات لكل واحد خمسة مائة دينار وللأمراء العشر اوات لكل واحد مائة دينار فكان

بحملة ما صرف على هذه التجربة نحو ما من أربع مائة ألف دينار فلما كان يوم الموكب طلع
 قرقاس الجلب الى القلعة وطلب من السلطان الاعفاء من السفر وأظهر العجز وأن يكون
 طرخاناً في أي مكان يختار السلطان فلم يجب الى ذلك وخاش منه السلطان في اللفظ وألزمه
 بالسفر وأكد عليه فلم ينزل الى داره كثر القيل والقال بان ستكون فتنة فلما بلغ السلطان ذلك
 لم يؤثر عنده ونزل الى خليج الزعفران وأقام به الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وبطلت تلك
 الاشاعة وفي رجب حضر من البحيرة الاتابكي أزبك فلما نزلت له النفقة تمتع من السفر وزعم
 أنه لا يطيق مما يليك السلطان اذا عمل باش العسكر فلا زال يتلطف به حتى أجاب الى السفر
 وقبل منه النفقة وفيه وصل قاصد حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة
 تتضمن ما ملكه من القلاع من ملك العراقيين وعلى يده عدة مناتيج لعدة قلاع وحصون
 وأرسل يتلقى للسلطان بان كل ما يملكه من البلاد هو زيادة في ممالك السلطان وانه النائب
 عنه فيها فأكرم السلطان قاصده وأضافه وخلع عليه كاملية حافلة وأرسل الى حسن
 الطويل هدية حسنة سنية وأذن للقاصد بالسفر وكان هذا من حسن الطويل عين الخداع
 لما أتى منه بعد ذلك وفيه توفي القاضي معين الدين ابن الطرابلسي الحنفي وهو محمد بن
 عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي وكان عالماً فاضلاً لانا في القضاء مدة
 ثم نزل عن ذلك ولزم العبادة والتصوف حتى مات وفيه أكل السلطان تفرقة النفقة على
 العسكر المعين الى تجريدة سوار ثم ابتدأ بتفرقة الجمال ثم بحل اهم جامكية أربعة أشهر
 وأعطاهم الكسوة أيضاً وأرضاهم بكل ما يمكن ووقع في يوم تفرقة الجمال نادرة غريبة
 وهي أن الهجانة لما أحضر والجمال وساقوها الى الميدان تراجت عند باب الميدان وقت
 دخولها فالت منها في ساعة واحدة نحو من ثلثة مائة بعير فتشاءم الناس لذلك وصرخوا
 بعدم نصرة العسكر وكذلك جرى وفيه كان ابتداء وقوع الطاعون بالقاهرة وهو أول
 طاعون وقع في دولة الاشرف قايتباي وفي شعبان توفي قاضي القضاء المالكي حسام
 الدين بن حريز بن أبي القاسم الهاشمي القرشي العلوي الحنفي وكان أصله مغربي من
 طرطاي ثم نشأ بمنفلوط وولى القضاء بها مدة طويلة وكان عالماً فاضلاً لجواد اسمها
 في سعة من المال سمع على ولي الدين العراقي وغيره من العلماء وآل أمره الى أن ولي
 القضاء الاكبر بمصر وصفا له الوقت وطالت أيامه بها وعظم أمره في القضاء وكان مولده
 سنة أربع وثمانمائة وكان يعاب بكثرة القيام في أغراض نفسه ولما مات تولى من
 بعده أخوه عمر سراج الدين وقرر في قضاء المالكية عوضاً عن أخيه وتوفي المسند شمس
 الدين محمد بن النقاش الدفائي الصوفي الشافعي سمع الحديث من والده الشيخ سراج الدين
 عمر بن عمر بن حسن وفيه تزايد أمر الطاعون جداً وعمل في الاطفال والمماليك والعبيد

والجوارى والغرباء عابليغا ذريعا حتى عظم الامر في ذلك وفيه يقول الشهاب المنصوري
 يا نعم عيشة مصر * وبئس ما قددهاها
 لما فشا الطعن فيها * حاكي السهام وبهاها

وفيه خلع السلطان على المقر السيفي يشبك الدوادار وقرره في الاستدارية مضافا لما بيده
 من الدوادارية والوزارة وكشف وفيه الكشف فاعظم أمره جدا وما أظن أن هذه الوظائف
 قد جمعت لاحد من الامراء قبله فكان الانسان اذا قرب من باب يستعبد بالله من هول
 ما يرى من الظلمة التي ببابه فلما ولي يشبك الاستدارية قبض على محمد الدين بن البقري
 وشرف الدين ابن كاتب غريب وطلب منهم مالا فحصل من ابن البقري خمسة آلاف دينار
 وأما ابن كاتب غريب فانه أظهر العجز وحلف أنه لا يملك شيئا وكان مقرر ضا فرسم السلطان
 بحمله الى البرج الذي بالقلعة فسجن به وفيه خرج العسكر المعين الى سوار فخرجوا من
 القاهرة في تجمهـل زائد وطلبوا الاطلاع باحاطة فخرج الاتابكي ازيك ومعه من العسكر
 والامراء ما تقدم ذكره وخرج قبل ذلك الامير ازيد من الطويل ومعه خمسمائة مملوك
 فصاروا الطاعون عمالا والتجريدة خارجة والعسكر في غاية الضرر على أولادهم وعيالهم
 ومات في أثناء الطريق جماعة كثيرة بعد خروجهم من الريدانية وقيل ان السلطان نزل
 تحت الليل الى الاتابكي ازيك وأقام عنده ساعة وودعه وعاد الى القلعة كل ذلك تحت
 الليل ولم يشعر به أحد من الناس وفيه توفي الاديب البارع الفاضل الشهاب بن صالح
 وهو أحد بن محمد بن صالح بن عثمان بن محمد بن محمد الشافعي وكان عالما فاضلا شاعرا
 ماهرا من قول الشعراء وله نظم حسن السبك ومولده سنة عشرين وثمانمائة ومن
 شعره الرقيق فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا قوله

بعثت الى بطيخا وقطرا * يشابه ذلك هذا في الصفات
 هما نوعان عند الذوق كل * تولد في الحقيقة من نبت

وله في اسم فرج

شكى فؤادي هم الصديا فرج * وفيك أصبح صدري ضيقا فرجا
 واستيأس القلب حتى رحت أنشده * يامشكي الهم دعوه وانتظر فرجا
 والتورية فيه ثلاثية وفيه عظم أمر الطاعون بالقاهرة وصارت الغرباء يوتون في الطرقات
 بعضهم على بعض فشرع الامير يشبك الدوادار في بناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان
 حسن وصارت تحمل اليه الطرحاء من الموتى فيكفونهم ويخرجهم ويدفونهم ويصرف عليهم
 من ماله فحصل للناس بذلك غاية الرفق في تلك الايام وفي رمضان اشتد الغلاء والقضاء
 بعصر والشام وحلب حتى قيل بيعت الغرارة القمح بدمشق ينحوم من أربعين دينارا

وزيادة وفيه مات السلطان ولداً سمى سيدي أجدو وهو أول أولاده من خوند الخاصكية وكان
عمر ابن السلطان نحواً من أربع سنين ثم مات لها ابنة اسمها ستالچرا كسة عمرها نحو من
ست سنين من خوند أيضاً وفيه توفي الطواشي أولؤ الزمام الاشرفي وكان خازن دار كبير زمام
وتوفي يشبك خازن دار الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أمير عشرة ومات مغلباي
الخشقدمي وكان من الامراء العشر اوات ومات ابن أخت السلطان وكان شاباً حسن صغير
السن ومات جان بلاط الاينالي أحد الامراء العشر اوات ومات جكم المجددي الخشقدمي
أحد الامراء الطبليخانات وكان حاجب ثاني ومات اينال باي ميق الاشرفي أحد الامراء
العشر اوات ومات اقبردي الهواري الاينالي أحد الامراء العشر اوات ومات قاني باي
الحسيني الاينالي رأس النوب ومات آنص باي الاعور الاينالي أمير اخور التبن والدريس
ومات اركاس قرا أحد الامراء العشر اوات ومات قاني باي الحسيني الاينالي أحد
العشر اوات وكان والي القاهرة وكان غير عسوف في ولايته وفيه جاءت الاخبار بوفاة بيبرس
خال الملك العزيز مات بالقدس بطالا وكان في عشر الثمانين وولي عدة وظائف سنية وجرى
عليه شدة أندوحن وكان الخشقدمي لابس به في جماعة الاشرفية وفيه توفي الشيخ جمال
الدين أبو الفضل خطيب مكة وهو محمد بن محمد بن أحمد العقيلي النويري الشافعي وكان عالماً
فاضلاً سمع على جماعة من العلماء وولي خطابة مكة ثم قدم الى مصر وأقام بها الى أن مات
وكان معظماً عند أرباب الدولة وقد ترشح أمره لان بلي القضاء بمصر فمات له ذلك وفيه حصل
للأمير يشبك الدوادار توعك في جسده فنزل اليه السلطان وعاده وفي شوال تناقص أمر
الطاعون وأخذ في الارتفاع بعدما فتك في الناس فتكا ذريعاً وفيه خلع السلطان على
قاني باي آنص الساقى وقرره في الحجوية الثانية عوضاً عن جكم ابن أخت السلطان بجكم
وفاته وفيه كان وصول الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان بشعر الاسكندرية
فاستأذن السلطان في الحضور ليحج فأذن له في ذلك فحضر فلما صعد الى القلعة ووقف بين
يدي السلطان وأراد أن يقبل الارض منها السلطان عن ذلك وبالغ في اكرامه ثم أحضر
اليه كالمية بسمور وفوقاني أخضر بطر زذهب وقدم اليه فرس بسرج ذهب وكنبوش
فركب من الخوش ونزل من القلعة في موكب حافل وقدمه الامراء فتوجه الى دار الاتابكي
ازبك عند أخته زوجة ازبك وكان غائباً في التجريدة فأقام عندها ثم بعد أيام أضافه
السلطان بالبحرة ثم بعد ذلك ألبسه كالمية بسمور وأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش
ونزل في موكب حافل فعد مجيئه الى مصر وطلوعه الى القلعة من النوادر ثم ان السلطان
أخذ في أسباب عمل برق للملك المنصور لاجل الحج وفيه خلع السلطان على خشقدم

الاحدى الطواشي وقرر رأس نوبة السعاة عوضا عن شاهين غزالى وخلع السلطان على
 مرجان النقوى الحبشى وقرره فى مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة وفيه توفى اقباي
 الحيماوى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان شابا شجاعا بطلا وفيه أرسل السلطان
 الى الظاهر عمر بغا وهو بالاسكندرية فرسا بسرج ذهب وكنبوش وكاملية بسمور وأذن له
 فى الركوب الى الصلاة فى الجمعة والعيدىن والى حيث شاء من أماكن الاسكندرية وفيه
 توفى الامير قان بردى الابراهيمى الاينالى أحد المقدمى الاولوف بعصر وفيه جاءت الاخبار
 بقتل السلطان أبى سعيد بن أحمد بن سعيد بن سعدان شاه بن عمر لك وكان مملوكا على
 سمرقند وبخارى وقتل على يد حسن الطويل وكان من أجل ملوك الشرق قدرا فلما قتل
 تولى من بعده أحد وهو باق على ملكه الى يومنا هذا وفيه خلع السلطان على يشبك بن
 حيدر الاينالى وقرره فى ولاية القاهرة فحسن أوقاته بها ودام فى الولاية نحو من عشرين
 سنة وفيه استقر فى مشيخة المدرسة الصلاحية المجاورة لقبعة الامام الشافعى رضى الله
 تعالى عنه الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية عوضا عن زين العابدين ابن قاضى
 القضاة يحيى المناوى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة وخرج صحبته م الملك
 المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق فأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة من برك وسنيج
 وغير ذلك وفيه لبس السلطان البياض فى يوم الاثنين سادس عشر به الموافق لثالث عشر
 بشنس فخرج من الدهيشة لابس البياض وقد خالف العادة فى ذلك بعدم لبسه له يوم الجمعة
 وهى العادة القديمة فعيب ذلك عليه وفيه عاد القاضى شرف الدين الانصارى من جبل
 نابلس وكان خرج بسبب جمع العشير المتوجه مع التجريدة فقبل انه صرف على جمع
 العشير من النفقة نحو من مائتى ألف دينار وفيه نزل السلطان نحو قليوب ثم عرج
 على جسر أبى المنجا ثم عاد الى تربة يشبك الدوادار فأقام بها الى ما بعد العصر ثم عاد الى القلعة
 وفى ذى القعدة جاءت الاخبار من حلب بان العسكر لما وصل أخذ بباب الملك وأنهم فى
 استطهار على العدو وسوار ثم جاءت الاخبار من نائب حلب بقتل مال باى الاقطع
 أخو سوار وجماعة كثيرة من عسكره وبعث برأس مال باى الاقطع ومعها رأسان من
 أمرائه فلما حضرت تلك الرؤس طيف بها فى القاهرة ثم علقت بباب زويلة وباب النصر
 وفيه جاءت الاخبار بموت خير بك الهلوان وكان أحد الامراء بدمشق قتل هو وجماعة
 من العسكر فى واقعة مال باى أخى سوار وفيه نزل السلطان وتوجه الى نحو طر افاضاف
 هناك محمد بن البلاح فأقام الى آخر النهار وعاد وفيه سافر السلطان الى جهة بحيرة تنيس
 وكان معه من الامراء المقدمين برقوق الناصرى واستمر فى هذه السفرة أياما وانقطع خبره
 عن الناس مدة وقد قرب عيد النحر فبعث مرسوما بطلب قاضى القضاة الشافعى ولى الدين

الاسيوطى ليصلى به صلاة عيد النحر بفارسكور فخرج القاضى بسرعة وأخذ معه أشياء من نوع الماتكل هدية للسلطان فتوجه الى نحو فارسكور فعيد السلطان هناك وقطع أخصية جماعة من أولاد الناس والفقهاء والنساء حتى الخوندات وجماعة كثيرة من الجند فحصل للناس كسر خاطر بسبب ذلك وكان العسكر فى هذا العيد غائبا فى التجريدة والسلطان مسافرا وكان عقيب الفصل وقد فقدت الناس أولادهم وعيالهم وقطعت ضحاياهم المرتبة لهم بالديوان السلطاني من قديم الزمان وفى يوم عيد النحر كانت بشارة النيل المبارك بما جاءت به القاعة ثم نودى عليه من غدو اسقى السلطان فى هذه السرحة غائبا نحو ما من أربعين يوما وطاق عدة بلاد من الشرقية والغربية فدخل عليه جملة تقادم من مشايخ العربان والمدركين من خيول ومال وغير ذلك وكان خروجه الى السفر على حين غفلة ولم يكن معه من الامراء المقدمين سوى برقوق وبعض أمراء عشراوات وبعض عسكر ثم جاءت الاخبار بان السلطان قصد العود الى الديار المصرية وقد وصل الى بليس فلما وصل الى الخانقاه خرج اليه أرباب الدولة قاطبة ثم نودى فى القاهرة بالزينة فزينة حافلة فلما كان يوم الخميس تاسع عشر الشهر المذكور دخل القاهرة من باب النصر فى موكب حافل وقد حمل القبة والطير على رأسه المقر السمينى برقوق أحد المقدمين وموجب ذلك غياب الاتابكي أزبك بالتجريدة وكان له يوم مشهود ومشت قدامه الجنايب بالارقاب الزركش ولا قام الاوزان والشعراء والشبابة السلطانية وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير من عند مدرسة أم السلطان التى بالتبانة الى القلعة ونثر على رأسه خفاف الذهب والفضة ومشت قدامه الامراء الرؤس النوب بالشاش والقماش من بين القصرين الى القلعة واصطفت له المغاني من النساء فى الدكاكين واستقر فى ذلك اليوم موكب حافل حتى طلع الى القلعة وهذا أول مواكب الحافلة وصادف أن قاصد حسن الطويل كان حاضرا و صار متعجبا من حسن هذا الموكب وكان قد حضر وعلى يده رأس أبي سعيد ملك سمرقند وقد تقدم انه قتل على يد حسن الطويل فلما طلع السلطان الى القلعة وجلس على الدكة بالحوش حضر قاصد حسن الطويل ورأس أبي سعيد معه فى علية وكان العسكر بالشاش والقماش وكان الموكب عاما فلما انقض الموكب أقام السلطان بعد ذلك أياما ثم حضر تانى بك الظاهري أحد رؤس النوب وكان من جملة من خرج فى التجريدة فأخبر بكسر العسكر ورجوعه من حلب وهذه تانى كسرة وقعت لعسكر مصر مع سوار فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وماجت القاهرة بمن فيها وكان سبب انكسار العسكر أن سوار تحيل عليهم حتى دخلوا فى مواضع ضيقة بين أشجار فخرج عليهم السواد الاعظم من التركمان بالقسي والنشاب والسيوف والاطبار فقتلوا من العسكر ما لا يحصى عددهم وأخبر تانى بك بقتل

الامير قرقاس الجلب وكان يعرف بقرقاس بن يشبك نجا الاشرفي وكان أميراً جليلاً
 حشماً رتباً يسابقاً قرب للاشرف برسباي وولى عدة وظائف سنية منها رأس نوبة النوب
 وامرية مجلس وامرية السلاح ثم جرى عليه في دولة الظاهر بلباي ما تقدم ذكره وسجن
 ثم أطلق وتوجه الى دمياط ثم عاد الى مصر في دولة الاشرف قايتباي وأعيد الى امرية
 مجلس وخرج الى التجريدة وقتل في المعركة وأخبر بموت جماعة من الامراء وغيرهم منهم
 سودون القصري رأس نوبة النوب مات بجلب وكان مجروحاً فحمل الى حلب ومات بها
 وكان قد طعن في السن وناف على الثمانين سنة في العمر وكان انساناً حسن الادب خيراً وهو
 صاحب المدرسة التي بخط الباطلية بجوار داره وولى عدة وظائف سنية منها نيابة قلعة
 مصر ثم بقي مقدماً ألف ثم بقي رأس نوبة النوب ومات بجلب وكان أصله من مماليك قسرو
 نائب الشام وكان دوا داره وتوفي برسباي أميراً خورتاني وكان يعرف ببرسباي الابوبكري
 وكان أمير عشرة ورأس نوبة وتوفي اينال باي بن ميق الاينالي وكان أمير عشرة وتوفي
 تغري بردي الارمني المنصوري وتوفي طقة طمش الحمدي الاشرفي برسباي قيل رماه سوار
 من أعلى السور فمات لوقته وكان شجاعاً بطلاً ونوروز الدوادار وفارس البكتري أحد
 العشر اوات وقبماس الطويل الحسني الظاهري أحد الامراء الطبختانات ونوروز شكال
 ابن تغري بردي الارمني المنصوري أحد العشر اوات ونوروز عمر العلاقي الاشرفي برسباي
 قيل رماه سوار من أعلى السور فمات لوقته وكان شجاعاً بطلاً ونوروز الدوادار بن عيني
 الاشرفي أحد العشر اوات وكان أميراً خازن دار وقائم بضا اليوسفي الظاهري أحد
 العشر اوات وقتل أيضاً من امراء دمشق الشرقي يحيى بن جاني نائب الشام أحد مقدمي
 الالوف بدمشق وكان يوصف بالشجاعة وقتل محمد بن تيم بن عبد الرزاق نائب الشام
 أحد الامراء الطبختانات بدمشق وحاجب ثاني بدمشق وفارس الشهمي أحد الامراء
 بدمشق وشاد بك امر الاينالي أتايك بدمشق وعمر باي الجلباني أحد الامراء بدمشق وابراهيم
 بيغوت نائب حماء وكان حاجب الحجاب بدمشق وجاني بك السيفي تغري برمش دوا دار
 السلطان بدمشق وشاد بك الحسني الشهباني أحد امراء دمشق وعبد الرحمن الجزاوي
 أحد الامراء الطبختانات بدمشق وأما من قتل من الجنود والمماليك السلطانية ومشايخ
 عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما أمكن ضبطه وكانت هذه من الواقات
 المشهورة التي لم يسمع بمثلهما فلما شاع بين الناس ذكر من قتل من الامراء والعسكر صار
 بالاقاهرة في كل حارة نعي ليلاً ونهاراً مثل أيام الوباء فزاد قلق الناس من سوار ودخل الوهم في
 قلوب العسكر مثل أيام تمرلنگ وصاروا يرعدون من ذكره وفي هذه الواقعة يقول بعض
 الشعراء

يارب ان سوارا قد سد بغي وبه * قد أصبح الناس في ضيق وفي قلق
فا كسر سوارا ودعه في السلاسل في * خواتم الامر يستعطي من الخلق

وقال آخر

ان سوارا قد غدا مخلصا * عسكره قد حل في دار البوار
يارب شئت شمله حتى نرى * خواتم الامر له كسر سوار

وصار العسكر بعد ذلك يدخلون الى القاهرة في أنحس حال من العرى والجوع وبعضهم
مجروح وبعضهم ضعيف وكان يدخل بعضهم وهو راكب على جمار أو جبل أو يدخل ماشيا
وهو عريان ولم يلاقوا في هذه التجربة خيرا فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي ذى
الحجة خلع السلطان على الامير برقوق الناصري وقرره كاشف التراب بالشرقية وحصل به نفع
لجمع العربان المفسدين وعمارة الجسور وفيه توفى القاضي فتح الدين ابن وجيه الدين ابن
سويد المالكى المصرى وهو محمد بن عبد الرحمن بن حسن وكان عالما فاضلا في مذهبه وناب في
القضاء وهو والد جلال الدين وكان لاباس به وفيه توفى من الأتراك جاثم المجنون الخشقدى
وكان أحد الأمراء العشر اوات وتوفى جقمق المؤيدى وكان أحد الأمراء العشر اوات
وتوفى اياس الجاسمى نائب القدس وكان لاباس به وتوفى العلاقى على ابن القيسى وهو على
ابن اسكنور بن تمار غمرات مع السلطان لما أن خرج الى السرحة مرض في أثناء الطريق
ومات ثم نقل الى القاهرة على جبل ودفن في تربته التى باب الوزير وكان رئيسا حشماولى
عدة وظائف منها الحسبة وولاية القاهرة وحاجب الحجاب بعصر وكان عنده بعض خفة ووهج
مع عسوفة وبطش وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة وفيه توفى الواعظ البارع المنشد عبد
القادر بن محمد الوفاقى وكان ممن له ذكر وشهرة في فقهه وكان لاباس به وقد خرجت هذه السنة
عن الناس وهم في أمر مريج وقد وقع فيها أمور شتى الغلاء والفناء والفتن ببلاد الشرق
وقتل أمراء وعسكر ممن تقدم ذكرهم ووقع فيها مصادرات بسبب التجاريد وقطع أرزاق
الناس من جوامك وغيرها ووقعت الناس فيها أولادهم وعيالهم ومالاقى أحد فقير اخيرا
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة فمات في المحرم خلع السلطان على الزينى أبى بكر
ابن القاضي عبد الباسط وقرر ربه في نظر الجوالى عوضا عن الشهابى أحد بن ناظر الخاص
يوسف وفيه أخرج السلطان خر جامن جليانه نحو المائتى مملوك وهذا أول خرج أخرجه
في سلطنته وسماههم الاشرفية وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى الوجه القبلى
بسبب جمع المغل من البلاد القبلية وفيه جاءت الاخبار بوفاة ترياى السيفى اخو الماس نائب
قلعة حلب وكان شابا حسنا جميل الصورة وأصله من الاينالية وفيه دخل الحاج الى القاهرة
ودخل محبتهم الملك المنصور عثمان ابن الظاهر جقمق فجح وعاد فلما طلع الى القلعة أجله

السلطان وأكرمه وخلع عليه كاملية بسمور وفوقها فوقانية أخضر بطرزر كرش عريض حافل ونزل في موكب حافل إلى أن أتى دار الأتابكي أذبك وفيه عقد الأمير شبك الدوادار على خوند فاطمة بنت الملك المؤيد أحمد ابن الأشرف أيتال وكان العقد بالجامع الذي بالقاهرة بين يدي السلطان والقضاة الأربعة حاضرون وسائر الأمراء وفي صفر كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك الرابع والعشرين من مسرى فلما وفي نزل الأمير لاجين الظاهري أحدهم قدمي الألف وفتح السد على العادة وفيه أضاف السلطان الملك المنصور عثمان بالبحر وخلع عليه وأذن له بالتوجه إلى نهر دمياط فخرج وانحدر من يومه وقد وقع له أمور لم تقع لاحد من أبناء السلاطين قبله وكان لما حضر أذن له السلطان بأن يلعب معه الكرة فكان يلعب مع السلطان والأمراء المقدمين وهو يندأ أصفر مثل السلطان وقد بالغ السلطان في تعظيمه جدا وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن قرقاس الصغير نائب ملطية تقابل مع عسكر سوار فكان بينهم ما واطعة عظيمة وقتل فيها من عسكر سوار فوق خمسمائة انسان وأسرجاعة كثيرة من أمرائه وأقاربه وكان ذلك بمكيدة صعدت يدي قرقاس حتى بلغ فيها ذلك وفيه توفي طومان باي الممدي المعروف بدش سر الظاهري أحد الأمراء العشر اوات وكان لأبأس به وفيه توفيت خوند فاطمة ابنة الظاهر ططرو وأخت الملك الصالح محمد بن ططرو زوجة الملك الأشرف برسباي وماتت وعليها جلة ديون وفي ربيع الأول أنعم السلطان على شبك جن بقدمه ألف وأنعم على قانصوه الأحدي المعروف بالخفيف بقدمه ألف وقرر في شادية الشربخانا دولات باي حاكم الأشرفي عوضا عن قانصوه الخفيف وقرر في رأس النوبة الثانية برديك المشطوب الشبكي عوضا عن دولات باي حاكم وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة وكان حافلا وفيه توفي بنجاص العثماني الظاهري أحد العشر اوات وكان حاجبا ثانيا وفيه خلع السلطان على جاني بك حبيب العلاقي الأيتالي وقرره في الامير اخورية الثانية عوضا عن شبك جن ودام في هذه الوظيفة عدة سنين وفيه توفي الشيخ نور الدين علي البطيبي الضرير وكان من أعيان أهل العلم والفضل وكف بصره في سابع سنة من عمره بمجرد أن أصابه في عينه وكان يعرف بابن شاوور البرلسي ومولده سنة ست أو سبع وثمانمائة وكان له نظام جيد وفيه خلع السلطان على شبك الجمالي المحتسب وقرره في امرية سلاح بركب الحمل وقرر في امرية أول أقبردي بن أصباي الأشرفي برسباي وفيه توفي مغلبايزن سقل الظاهري الخشقدمي وكان من أحد المقدمي الألف بمصر ثم أخرج إلى القدس بطالا فمات به وكان أميرادينا خير اولى عدة وظائف سنية منها شادية الشون وحسبة القاهرة ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم نفي إلى القدس ومات به وفيه أرسل السلطان وقبض على زين الدين الاستادار وكان بطالا

مقيم في داره فلما قبض عليه أحضره بين يديه ووجهه بالكلام ثم أمر بضربه بين يديه
فضرب ضرباً مبرحاً حتى كاد أن يموت ثم سجنه بالبرج الذي بالقلعة وصار يحضره بين يديه كل
يوم بعد يوم ويضربه أشد الضرب فمات وهو في البرج فلما أعلموا السلطان بذلك لم يصدق
بموته وأمر بإحضاره بين يديه وهو ميت فكشف عن وجهه ورفسه برجله ثم أمر بحمله
إلى داره ليغسلوه ويدفنوه فحمل من القلعة إلى داره وكان بين السلطان وبين زين الدين
الاستاد أروعة قديمة من حين كان السلطان جندياً إلى أن تسلطن فأخذ بشأره منه وقتله
وكان يظن أن مع زين الدين الاستاد أروعة فطلب منه من المال ما لا يقدر عليه فمات
تحت العقوبة وكان أصل زين الدين من الأرمن وكان اسمه يحيى بن عبد الرزاق الأرمني
وكان يعرف بالاشقر ابن كاتب علوان وكان يقرب لابن أبي الفرج وقد رأى في دولة الظاهر
بحق من العز والعظمة ما لم ير أحد بعده من الاستادارية وعظم أمره جداً وأنشأ بالقاهرة
وغيرها عدة جوامع يخطب فيها وعدة مدارس وولى الاستادارية غير مأمرة وغير هامة
الوظائف وباشراً بالاستادارية أحسن مباشرة وأنشأ فيها من المظالم ما لم يسمع بمثله وجرى
عليه من الشدائد والحن والانتكاد ما لا يعبر عنه وصودر غير مأمرة وغرم الأموال الجزيلة
وعصر في أكعابه وضرب غير مأمرة وغرم الأموال في دول غير أيام قايتباي ونفى إلى المدينة
المنورة الشريفة وإلى القدس الشريف وغير ذلك من الأماكن وكان مولده قبل
قرن الثمانمائة ولم يلق في آخر عمره خيراً وله أخبار يطول شرحها رحمه الله تعالى وعفا عنه
بمنه وكرمه وفيه توفي شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن نفيس الأذري
الشافعي وكان من أهل العلم والفضل سمع على جماعة من العلماء رضي الله عنهم وكان
لابأس به وفي ربيع الآخر توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن سعيد بن السوسي المالكي
المغربى قاضى قضاة المالكية بدمشق وولى قضاء الاسكندرية وكان من أهل العلم والفضل
وجرت عليه أمور شتى وأذهب أمواله على وظيفة القضاء وتوفي السيد الشريف أبو
هاشم حمزة بن أحمد بن علي الحسنى الدمشقي الشافعي وكان من أهل العلم والفضل
وفيه أرسل السلطان خلعة إلى قانصوه الجياوى باستقراره في نيابة حلب عوضاً عن
إينال الاشقر وكتب إلى إينال الاشقر بالحضور إلى القاهرة على مقدمة ألف بها
وفيه أرسل السلطان إلى يشبك الجاسى نائب حماه باستقراره في نيابة طرابلس وقرر
موضعه في نيابة حماه بلاط الشبكي أخدم قديمي الألف بدمشق وقرر في مقدمة بلاط
بدمشق غرازا تابل كحلب وقرر في أتابكية حلب تغرى بردى بن يونس وقرر في حجورية
الحلب بدمشق محمد بن مبارك عوضاً عن يغوث الماضى خبر موته في واقعة سوار وفيه

قرر لاجين الظاهري في كشـ فـ الجسور بالهنساوية وفيه قرر ريشـ بك جن في كشف
 الجسور بالبحيرة وفيه توفي قانصو الساقى التمشى الاشرى في أحد الامراء العشراوات وكان
 متمرضا من حين عادم من التجريدة وفيه جاءت الاخبار بان ابن رمضان أمير التركان أخذ
 جماعة من التركان وكبس على أعوان سوار وأخذ منهم قلعة سيس فـ سر السلطان بهذا
 الخبر وأرسل الى ابن رمضان خلع سنة وفيه جاءت الاخبار من نغرا الاسكندرية بوفاة قانى
 بك المحمودى المؤيدى الذى كان أمير سلاح بمصر وتوفى الى الاسكندرية في دولة الظاهر ترمبا
 فأقام بالسرج الى ان مات وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وكان في أوائل عمره شجاعا
 بطلا وولى عدة وظائف سنية منها أمير مجلس وامرية سلاح وقاسى شدائد ومحنا في آخر
 عمره الى ان مات وفي جمادى الاولى حضر الى القاهرة قراجا السيقى جاني بك نائب جـدة
 أحد الامراء العشراوات وأخذـ برى بان شاه سوار أطلق الاتا بكى جاني بك قلقسير وبعث به الى
 حلب وقد أكرمه غاية الاكرام وقصد بذلك أن يرضى خاطر السلطان وقرر مع الاتا بكى
 جاني بك قلقسير بان يكون سقرا بينه وبين السلطان في أمر الصلح وفيه نزل السلطان الى
 الزمالة ببركة الحاج وعادم من يومه وطاع من بين الترب وفيه ارتفع سعر الغلال حتى بلغ
 كل اردب قح أربعة أشرفية وبلغ سعر كل اردب قول أو شعير سبعمائة درهم وبلغ عن الحمل
 التين نحو أشرفى ذهب وعمت هذه الغلوة سائر البلاد حتى البلاد الشامية وغيرها وفي جمادى
 الآخرة نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران على سبيل التنزه وأقام هناك ثلاثة أيام ثم
 عاد الى القلعة وفيه وصل اينال الاشقر الذى تقدم ذكره فأكرمه السلطان وخلع عليه
 ونزل الى دار أعدت له ثم ان بعد أيام خلع السلطان عليه وأقره في رأس توبة النوب
 الكبرى عوضا عن سودون القصر وى بحكم وفاته بسبب تجريدة سوار كما تقدم وكانت
 هذه الوظيفة شاغرة من يومئذ وفيه توفي خشكلى القوامى الناصرى وكان أحد الامراء
 الطب لخانات وكان جركسى الجنس من مشروعات الناصر فرج بن برقوق وكان دينا خيرا
 متواضعا وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وفيه توفي قاضى قضاة المالكية بدمشق
 محي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكرى المصرى المالكي وكان من
 أعيان علماء المالكية وناب في الخـ بمصر مدة ثم ولى قضاء دمشق وتوفى ترمبا
 التمر ازاى أحد امراء العشراوات وكان ولى المهمة نارية وأقام بها مدة وفيه قرر أبو الفتح
 المنوفى كاتب السلطان وهو أمير فى نظرا الاوقاف والبيمارستان بالقاهرة وأشيع بين
 الناس أن سبب ذلك تحكير الامير يشبك الدوادار الكبير على الغلال بالوجه القبلى ومنع
 المراكب من جملة وفيه يقول الشهاب المنصورى
 وظالم منه آتانا الغلا * ياويله فى الحشر من ربه

فادعوا وقلوا ربنا اطمس على * أمواله واشدد على قلبه

وفيه خلع السلطان على لاجين وقرره أمير مجلس عوضا عن قرقاس الجلب وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل قرقاس الجلب في واقعة سوار ثم بعد أيام وصل الاتابكي قلقسير وصعد إلى القلعة فقام له السلطان واعتنقه ثم خلع عليه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش وركب من باب البحرة ونزل من القلعة في موكب حافل ثم بعد أيام خلع عليه السلطان وقرره في امرية سلاح عوضا عن بردك هجين بحكم وفاته في واقعة سوار وكانت الوظيفة شاغرة ومن المجائب ان السلطان بعث برسوم يمنع جاني بك قلقسير من الدخول إلى مصر وان يقيم بحلب فقام جاني بك قبل وصول المرسوم إلى حلب بسبعة أيام فلما حضر قرره في امرية سلاح بعدما كان أميرا كبيرا وفيه قرر جقمق الظاهري في نيابة دمياط وفي شعبان كانت نهاية بناء السبيل الذي أنشأه السلطان بخطط القشاشين من تحت الربع فجاء السبيل والمكتب فوقه نهاية في الحسن ولا سيما في ذلك المكان وفيه عاد الأمير يشبك الدوادار من الوجه القبلي وكانت مدة غيبته نحو من سبعة أشهر ففعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لا يسمع بمثله حتى انه شوى بالنار محمودا شيخ بني عدي وخوزق من العربان جماعة وسلح بجلد جماعة ودفن جماعة في التراب وهم أحياء وفعل بالعربان من أنواع هذا العذاب ما لم يبق له أحد قبله فدخل الرعب في قلوبهم فلما صعد الأمير يشبك إلى القلعة خلع عليه السلطان خلعة سنوية ونزل إلى داره في موكب حافل ثم بعد ذلك قدم للسلطان مقدمة سنوية مما ينيف على مائة ألف دينار ما بين ذهب عين وخيول وقماش ورقيق وغلال وسكر وعسل وغير ذلك وفيه توفي سنطباي بن قصرويه الأشقر الأشرفي أحد الأمراء العشر اوات وكان مريضاً من حين عاد من التجربة وفي رمضان أمر السلطان بفتح شونتين وبيع القمح منهم مائة ألف درهم الأردب وكان وصل سعره إلى أربعة أشرفية كل أردب فحصل للناس بعض رفق وكثر الخبز على الدكاكين وفيه نودي من قبل السلطان بأن من أخدمته شيء من أولاد الناس وغيرهم بسبب بعث البدل إلى التجربة فليصعد إلى القلعة في ثامن هذا الشهر ليرد إليه ما أخدمته من المبلغ فلما صعد أولاد الناس إلى القلعة رد إليهم ما أخدمتهم بحكم النصف فتعجب الناس لذلك وما السبب فيه فعند ذلك من النوادر وفيه توفي القاضي حسام الدين بن بريطع الحنفي الدمشقي قاضي قضاء الحنفية بدمشق وكان من أعيان الحنفية ولي قضاء غزة وصفد وطرابلس ودمشق غير مأمرة وكان رئيساً حشماً وله نظم ونثر جيد وخط جيد وألف الكتب الجليلة وفيه حضر الاتابكي أزبك وكان مقيماً بحلب من حين كسر العسكر فدخل القاهرة هو ومن بقي معه من الأمراء والعسكر وصحبته شاهبضاع أخو سوار الذي أخدمته سواراً بالبلاد فلما

صعد الاتابكي أزيل إلى القلعة خلع عليه السلطان وعلى من معه من الأمراء وعلى شاه
 بضاع وكان معه يحيى كاوراً خوسواراً أيضاً وكان مسك قبل ذلك فلما مثل بين يدي السلطان
 أمر بسجنه في البرج الذي بالقلعة وفيه اختفى القاضي تاج الدين بن المقسى ناظر الجيش
 فلما اختفى خلع السلطان على الزينى عبد الرحمن بن الكويرز وأعادته إلى نظرائه الخاص وفيه
 صعد قاصد سوار إلى القلعة وصحبته هدية للسلطان فلم يؤذن له في صعودها معه وحضر
 بمكاتبة سوار فكان مضمونها أنه يطلب الصلح من السلطان لكن على شروط منه لم يقبلها
 السلطان منها أن يكتب له السلطان تقيداً بأمرية الأبلستين وأن ينعم عليه بتقدمة ألف
 مجلب وأن فعل ذلك يسلم عينتاب للسلطان فطال الكلام من القاصد والسلطان ولم ينتظم
 الأمر بينهما ما في شيء من الصلح ونزل القاصد بغير خلعة وفيه خلع السلطان على الجمالى
 يوسف بن قطيس وقرره في نيابة القدس عوضاً عن دمرطاش العثماني بحكم انتقاله إلى نيابة
 سويس وفيه جاءت الأخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ بدر الدين ابن قاضي شهاب وهو محمد بن أبي
 بكر بن أحمد الأسدي الشهابي الدمشقي الشافعي وكان عالماً فاضلاً بارعاً في الفقه عارفاً بمذهب
 الشافعية عالم الشام على الإطلاق وترشح أمره لقضاء دمشق غير ما حرمه مولده في سنة ست
 وثمانمائة وفي شوال خلع السلطان على البدرى بدر الدين محمد بن الكويرز وقرره في معلية
 المعلمين عوضاً عن البدرى حسن بن الطولوني وفيه خرج الحاج من مصر في تجمل زائد عن
 العادة وخرج أصحابهم الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية وكان متوَعكاً في جسده
 فلما وصل إلى ثغرة حامد مات هناك وكان عالماً فاضلاً بارعاً سمع على جماعة من العلماء منهم
 ولى الدين العراقي وابن الجزرى والحافظ بن حجر وغيرهم من العلماء وولى عدة تداريس
 جليلة وكان من أعيان علماء الشافعية ومولده سنة ثمان وثمانمائة وفيه وقعت كائنة
 عظيمة لجلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكي وطلب إلى بيت اينال الاشقر رأس نوبة
 النوب بسبب أوقاف باعها كانت موقوفة على مدرسة جده فغرم بسبب ذلك مالا لا صورة
 وحصل له غاية الهدلة من اينال الاشقر وما خلص إليه جهد كبير واقتقر حاله عقيب
 هذه الكائنة وباع جميع ما يملكه حتى سدد ما جاء عليه من المال وفيه ترايد ظلم اينال
 الاشقر حتى صار غالب الناس ما تشكى الأمر عنده واشتكى بعض الناس من شخص
 شاهد فضربه وقطع أكمه وركبته على نور واشهره بالقاهرة وفيه ابتدأ السلطان
 بمارة تربته التي أنشأها بالعصراء وجعل بها جامعاً بخطبة وقرره بصوفية وحوضاً
 وصهر بجواهر أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف وفي ذى القعدة قلع السلطان الصوف
 ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة مع الأمراء وفيه جاءت أخبار بقتل ترابى
 الظاهري الخشقدمي وكان أميراً محبوباً قتلته بعض العربان بالبلاط الحلبية وكان شجاعاً

وولى حبة القاهرة وكان من أعيان المشقدمية وفي ذى الحجة طلب السلطان الشيخ تقي
 الدين الحنفي وقرره في مشيخة تدريس قبة الامام الشافعي رضي الله عنه عوضا عن الشيخ
 كمال الدين الامام بالمدرسة الكاملة الماضية ذكر وفاته بطريق الجواز وفيه انتهى
 ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ثم اشتغل بفرقة الضحايا على العسكر وفيه
 كانت وفاة الجمالي يوسف ابن الاتايسكي تغري بردي اليشباغوي الرومي نائب الشام وكان
 الجمالي يوسف رئيسا حشما فاضلا حنفي المذهب وله اشتغال بالعلم وكان مشغوبا بكتابة
 التاريخ وألف في ذلك عدة توار يخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة والمنهل
 الصافي ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة وله تاريخ آخر في وقائع الاحوال على
 حروف الهجاء وله غير ذلك عدة مصنفات وكان نادرة في أولاد الناس ومولده سنة ثلاث عشرة
 وثمانمائة وفيه توفي حذيفة بن أحمد بن الدكرى المتوفى الحنفي وكان فاضلا خيرا ديناه
 شهرة وذكره كان لابأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم سمرقند وهو الشيخ عبد الله بن عبد
 الواحد وكان من ذرية أبي الليث السمرقندي فضل الله وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم
 والزهد وله شهرة زائدة ببلاد سمرقند ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة وفيه جاءت
 الاخبار بوفاة أمير المدينة المشرفة وهو السيد الشريف زهير بن سليمان بن هبة الحسني
 وكان ولي امرية المدينة بعد ضيغم والى امرية مكة الى أن مات قتيلا وتوفي من الاتراك
 ببيرس بن ططخ الاشرفي وكان ولي تقدمه ألف بدمشق وتوفي جاني بك الحسني الايتالي
 أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وتوفي دولات باي الايتالي أحد العشراوات
 وكان متمرضا حين عاد من التجريدة ومات بغزة وفيه من الحوادث أن السلطان طلب مالا
 من الست سارة والدة القاضي ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكيم ليتساءد على خروج
 التجريدة الى سوارفتشكت من ذلك وأظهرت العجز خلف وحياة رأسه لم يأخذ منها أقل من
 مائة وخمسين ألف دينار وصمم على ذلك وقرر معها انها لا تباع ملكا ولا ضيعة ولا بستانا
 ولم يقدر أحد من الامراء ولا غيرهم يخفض عنها شيئا من ذلك فاستمرت تورد ذلك المال على
 حكم ما قرر عليها عدة شهور حتى غلقت ذلك القدر بالتمام والكمال ولم تباع لا ضيعة
 ولا ملكا فلما غلقت المال جميعه أرسل خلفها فلما حضرت قام اليها وعظمها وخلق عليها
 كاملة مخمل بسمور وأكرمها غاية الاكرام ونزلت الى دارها مكرمة معظمة
 ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم كانت الاسعار غالية في جميع اصناف
 المأكولات من الحبوب وغيرها وعز وجود الارز والدجاج من مصر جدا وتشبهت الخبز من
 الاسواق وصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن وهذا قط ما وقع ولا في الغلاء الذي جاء
 في دولة الملك الظاهر حقهق وتناهى سعر القمح الى سبعة أشرفية الاردب ولم يأكل الناس

الذرة ولا الدخن في تلك الايام ❦ وفيه كثرة القول والقييل بين العلماء بالقاهرة في أمر الشيخ
العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به والمسلمين ببركته وقد تعصب
عليه جماعة من العلماء بسبب أبيات قالها في قصيدته التائية واعترضوا عليه في ذلك
وصرحوا بفسقه بل وتكفيره ونسبوه الى من يقول بالخلول والاتحاد وحاشاه أن ينسب
اليه هذا المعنى ولكن قصرت افهام جماعة من علماء هذا العصر ولم يفهموا معنى قول
الشيخ عمر رضي الله عنه في هذه الابيات فاخذوا بظاهرها ولم يوجهوا الهام معني فكان
كما قال المتنبي

وكم من عائب قول لا صحيجا * وأفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه * على قدر القرائح والفهوم

وكان رأس من تعصب على الشيخ عمر بن الفارض برهان الدين البقاعي وقاضي القضاة
محب الدين بن الشحنة وولده عبد البر وفور الدين المحلى وقاضي القضاة عز الدين المحلى
وتبعهم جماعة كثيرة من العلماء يقولون بفسقه وأما من تعصب من العلماء للشيخ فهم
الشيخ محيي الدين الكافي الحنفي والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي والشيخ بدر الدين بن
الغرس ونجم الدين يحيى بن يحيى وشيخنا الجلال بن الكمال الاسميوطي والشيخ زكريا
الانصاري وتاج الدين بن شرف فلما زاد الراجح في هذه المسئلة كتبت الفتاوى في أمر
ابن الفارض التي ظاهرها الخروج عن قواعد الشريعة فكتب الشيخ محيي الدين
الكافي على هذا السؤال ما هو أحسن عبارة وأقرب الى الانصاف وألف الجلال
السيوطي في ذلك كتابا سماه قمع المعارض في الرد على ابن الفارض وألف البدر بن الغرس
في ذلك كتابا شافيا في هذا المعنى واضح في الرد على من تعرض لابن الفارض وصنف
بعض العلماء كتابا سماه درياق الافاعي في الرد على البقاعي ووقع في هذه المسئلة
مشاحنات بين العلماء يطول شرحها في هذا المعنى ثم هجوا البقاعي وابن الشحنة وغيرهما
من العلماء ممن تعصب على ابن الفارض وصاروا يكتبونها ويلصقونها في منزله فن ذلك
قول الشهاب المنصوري في البقاعي وأجاد

ان البقاعي بما * قد قاله مطالب

لا تحسبوه سالما * فقلبه يعاقب

وقوله من قصيدة مطولة مضممة لا ييات سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

بين البقاعي وبين التاج من شرف * ما بين معتزك الاحداق والمهج

يقول من صح فيه منهم صاحبه * أنا القليل بلاثم ولا حرج

كلاهما مدع خوضا بفكرته * في كل معني لطيف رائق بهج

يقول هذا هذا غير مكثرت * دع عنك لومي وعد عن نفسك السمج
 ماذا تقول ولي في الشرع أجوبة * عني تقوم بها عند الهوى حجج
 دع التعارض لا تشهر بواتره * فكم أمانت وأحيت فيه من مهج
 فلو سلكت سبيلي كنت متبعاً * أوفى محب بما يرضيك مبهج
 لو سلم المعتدى للهدى لرجا * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
 فمن يـمكن من مآناج فعصيته * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج
 وهذه مطولة وهذا القدر منها كاف * ومن نظم الأقدمين في سيدي عمر بن الفارض رضى
 الله تعالى عنه

جز بالقراءة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض
 أبرزت في نظم السلوك عجائباً * وكشفت عن سر مصون غامض
 وشربت من بحر المحبة والولا * فرويت من بحر محيط فائض
 وقال الناصري محمد بن قانصوه بن صادق

عمر بن الفارض الحبر الذي * قصرت عن فهم ما رام الفكر
 لم يكن يؤذيه إلا جاهل * فأرفضوه وترضوا عن عمر

ولبعضهم جواب الشحنة

أصحت يا ابن الشحنة الحنفى في * كل القبائح أوحداً لا زمان
 في مصر علم أبي حنيفة تدعى * جهلاً وأنت معرة النعمان
 وقال أبو النجاة القمي

أفعدت يا حليبي * بالصفع في قفاكا

لما دعيت فسقا * للعارضى يا كا

وما خلصت حتى * أقت شاهدًا كا

ثم إن بعض الأمراء تعصب لسيدي عمر بن الفارض رضى الله عنه وتعصب له السلطان
 أيضاً ورسم لكاتب السر ابن عزهر يان يكتب سنة سؤال إلى الشيخ أبي يحيى زكريا الشافعي
 فكتب السؤال وهو هذا ما يقول الشيخ الإمام العالم العلامة الجبر الفهامة زكريا الانصارى
 الشافعي نفع الله المسلمين به عن قال بكفر سيدينا ومولانا الشيخ العارف بالله سيدي عمر بن
 الفارض تغمد الله تعالى برحمته ورضوانه فيمن زعم أن عقيدته فاسدة بناء على ما فهمه
 من كلامه في مواضع من جمعها إلى إطلاقات معلومة عند السادة الصوفية بإصطلاح
 مخاطبهم لا محذور فيها شرعاً فهل يحمل كلام هذا العارف على اصطلاح أهل طريقته أم
 على اصطلاح أهل ملة غير الاسلام فالجواب عن ذلك أقفوناً مأجورين ثم قدم هذا

السؤال الى الشيخ زكريا فامتنع عن الكتابة غاية الامتناع فالخ عليه أياما حتى كتب فأجاب بقوله يحمل كلام هذا العارف رجة الله عليه ونفع ببركانه على اصطلاح أهل طريقتة بل هو ظاهر فيه عندهم إذا لفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجازي غيره كما هو مقرر في محله ولا يتطرق الى ما يوهمه تعبيره في أبيات في التائبة من القول بالحلول والاتحاد فانه ليس من ذلك في شيء بقريتي حاله ومقاله المنظوم في تائيبته بقوله من أبيات القصيدة

ولي من أتم الرؤيتين إشارة * تنزه عن رأى الحلول عقيدتي

وهذا يصدر عن العارف بالله إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضاعف ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه بعبارات تشعر بالحلول والاتحاد اقصور العبارة عن بيان حالته التي يرقى اليها كما قاله جماعة من علماء الكلام رضي الله تعالى عنهم ولكن ينبغي كتم تلك العبارات عن لم يدركها فما كل قلب يصلح للسر ولا كل صدف ينطبق على الدر والكل قوم مقال وما كل ما يعلم يقال وحق لمن لم يدركها عدم الطعن فيها كما قيل

وإذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

وإذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالأبصار

ولو ذاق المنكر ما ذاق هذا العارف لما أنكر عليه كما قال القائل

ولو يذوق عاذلي صابتي * صبا معي انكسبه ما ذاقها

والحالة هذه والله ينح بفضل له وينزع من يشاء بعده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكتبه زكريا بن محمد الانصاري الشافعي فلما كتب الشيخ زكريا على هذا السؤال سكن الاضطراب الذي كان بين الناس بسبب ابن الفارض رضي الله تعالى عنه ونفع به وببركانه المسلمين أجمعين آمين وفيه عقيب ذلك عزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية وحصل له عقيب ذلك فالج وذهل وسلب من العلم وحصل لولده عبد البر مع القلقيلي ما سئذكره في موضعه وأما البقاعي فكادت العوام أن تقتله وحصل له من الامراء ما لا خيف فيه فهرب واختفى حتى توجه الى مكة فمات هناك وأما امام المدرسة الكاملية فخرج وهو مريض الى الجاز فمات في اثناء الطريق بعد خروجه من القاهرة بستة أيام وقد جرى على من تعصب على ابن الفارض ما لا خيف فيه وظهرت بركته في المتعصبين عليه شيأ فشيأ الى الآن وقد روى في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب أي أعلمته بأن محارب له أو رده النوى في الاربعين حديثا وفيه جاءت الاخبار بأن شاه سوار تقايل مع ابن رمضان أمير التركان فانكسر ابن رمضان ومات سوار قلعة اياس فانزعج السلطان لهذا الخبر وأخذ في أسباب

تجريدة الى سوار وفيه بعث الامير يشبك خبرا من البحيرة يطلب نجدة بسبب عربان
 لبيدفعين السلطان الاتابكي ازيك ومعه عدة من الامراء والجنود فخرج الى البحيرة وفيه
 وقعت أعجوبة غريبة وهى أن امرأة ولدت مولودا وهو جسد بلا رأس ولاله يدان ولا
 رجلان فسبحان القادر الصانع يخلق ما يشاء فعاش ساعة ومات وفيه جاءت الاخبار بوفاة
 بردبك البجمة قد ار نائب الشام وكان يعرف ببردبك الفارسي الظاهري ويعرف أيضا بالقرع
 وكان من أعيان الناس وجماعة الظاهرية وكان أمير عشرة في دولة استاذ الظاهر حقمق
 ثم بقى أمير طب الخانات رأس نوبة ثاني في دولة الاشرف اينال ثم بقى مقدم الف و حج أمير محمل غير
 ماهرة ثم ولى حاجب الحجاب ثم بقى نائب حلب في دولة الظاهر خشقدم ثم قبض عليه وحمل
 الى القدس بطالا ثم اعيد الى نيابة حلب ثم بقى نائب الشام فوليهامرتين ومات بها وكان أسيرا
 عند سوار وهو نائب حلب واطلق بعد موت الظاهر خشقدم وقاسى شداثا ومحننا وفيه
 دخل الحاج الى القاهرة وكان الركب الاول والمحمل ركبوا واحدا وكان الحاج قاسى في السنة
 المذكورة مشقة زائدة من العطش وموت الجمال فارسل يشبك الدوادار شقادف وزاد او ماء
 الى المنقطعين من الحاج فلا قوه من قريب الي نبع وحصل بذلك لهم غاية النفع وفيه توفي
 أبو بكر بن علي دوادار بردبك البجمة قد ار نائب الشام ويقال انه سم استاذ بردبك فمات أبو
 بكر قبل استاذة بأيام وكان أبو بكر رقى في أيام استاذة حتى صار له ذكرو شهرة طائلة بحلب
 والشام وفيه حضر قاصد حسن بك الطويل وعلى يده مكاتبة يذكر فيها انه قتل جماعة
 من أولاد تملنك وملك بلادهم وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم يخبر انه افتتح
 عدة بلاد من بلاد الافرنج البنادقة وفيه عين السلطان الامير اينال الاشقر رأس نوبة
 الثوب ومعه عدة من الامراء والطب الخانات والعشراوات وعدة من الجنود بسبب قتال سوار
 وقد خشي السلطان من سوار ان يكبس حلب على حين غفلة فارسل هذه التجريدة يقيمون
 بحلب الى ان يرسل تجريدة ثقيله بعد ذلك فلما عينه بعث اليه النفقة من يومه وقد حمل اليه
 اثني عشر ألف دينار ثم أنفق على بقية الامراء والجنود ألزمهم الخروج بسرعة فخرجوا
 عقيب ذلك من غير اطلاب ولا أشلة وقد عز ذلك على اينال الاشقر لكونه خرج في قلب الشتاء
 وفي صفر توفي الامير بردبك المشطوب اليشبيكي أحد الامراء الطب الخانات ورأس نوبة ثاني
 وكان لا بأس به وأصله من مماليك يشبك نائب حلب وفيه كان وفاء النيل المبارك وكان
 الوفاء ثاني عشرى مسرى فلما أوفى توجهه قلقس ير الاتابكي كان وهو على امرية
 سلاح ففتح السد على العادة وكان الاتابكي ازيك غائبا في البحيرة وفيه عمل السلطان الموكب
 وخلع على الامير برقوق الناصري وقرره في نيابة الشام عوضا عن بردبك البجمة قد ار بحكم

وفاته وكان برقوق يومئذ أحد مقدمي الألوف بعصر فانتقل إلى مدينة الشام في مدة
يسيرة فعد ذلك من النوادر وفيه ظهر القاضي تاج الدين بن المقسي وكان محتفيا فخلع
عليه السلطان وأعادته إلى نظرائه الخاص وعزل عنها عبد الرحمن بن الكويز وكان القائم
في عودة ابن المقسي إلى نظارة الخاص الأمير يشبك الدوادار فنزل من القلعة في موكب
حافل ومعه الأمير يشبك الدوادار وأعيان الدولة حتى قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة
الحنفي وفي ربيع الأول في مسيرته ركب السلطان وتوجه إلى طرافص بعد القضاة
للتهنئة بالشهر فلم يجدوا السلطان بالقلعة فأخبرهم نقيب الجيش عن لسان السلطان بأن
يصعدوا السلطان إذا حضر بعد العصر وفيه دخل خاير بك الظاهري الخشقدمي الذي كان
تسلطن ليلة واحدة فنزل في بولاق في بيت صهره ناظر الخاص يوسف وكان السلطان
رسم له بان يتوجه إلى مكة ويقوم بها وكان الساعي له في ذلك الأمير يشبك الجمالي فأقام
ببولاق أياما حتى عمل له برك وخرج إلى مكة وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا
وجلس برقوق الذي قرر في نيابة الشام رأس الميمنة وفيه نزل السلطان إلى جهة المطرية
ونصب هناك الخيام ورسم للأمراء بالتوجه معه وأقام هناك أياما على سبيل التنزه وصنع
هناك الاسمطة الحافلة حتى قيل كان مصروف الاسمطة ألف دينار وفيه خلع السلطان
على قاصد حسن الطويل وفيه توفي الأمير ثاني بك المعلم المحمدي الأشرفي مات بالقدس
بطالا وكان عارفا بقتون لعب الرمح وفي ربيع الآخر صعد القضاة إلى القلعة للتهنئة
بالشهر فلما أراد والانصراف أخذ السلطان في الكلام معهم بسبب محراب جامع ابن طولون
بان في أصل وضعه الانحراف عن جهة القبلة فقال كاتب السر هذا الجامع تحت نظر
قاضي القضاة الشافعي فقال القاضي ينبغي أن يتغير هذا المحراب ويحج دغيره إلى جهة
القبلة وانقض المجلس على ذلك ولم يغير فيه شيء إلى الآن وفيه خرج برقوق إلى محل نيابة
الشام وطلب طلبا حافلا وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الأخبار من حلب بان حسن
الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية وأنه أظهر العداوة للسلطان وقد طمع في عسكر
مصر بموجب ما فعله معهم هم سوار فثار السلطان لهذا الخبر وقصد أن يخرج إلى حلب
بنفسه وفيه نادى السلطان في القاهرة بأنه قد أبطل عدة مكوس منها مكس قطيا ومكس
الخشب والاطرون بالبحيرة وغير ذلك عدة مكوس أبطلها بعصر وجدة فدعاه الناس
بسبب ذلك وفيه عين السلطان القاضي شرف الدين الانصاري وكيل بيت المال بان
يخرج إلى جبل نابلس لجمع العشير بسبب التجريدة إلى سوار فخرج هو وودولات باي
الخازندار وفيه عين في امرية الحاج بالحمج ليشبك الجمالي وفي امرية الأول اقبردي
الأشرفي على عادتهم ما في العام الماضي وفيه قرر السلطان في الزرد كاشية الكبرى جانم

السبقى تمرى عوضا عن فارس الذى توجه الى دمشق وفي جمادى الاولى ارسل السلطان
 بعزل بلاط الشبكي عن نيابة حماه وقد ارسل يستعفى من ذلك وفيه عين السلطان
 تجريدة ثقيلة الى سوار وعين به امن الامراء المقدمين يشبك دوا دار كبير باش العسكر
 وقرار التمشى ابن أخت السلطان أحد المقدمين وخاير بك حديد الاشرفى وازدهر الطويل
 الابراهيمى ولم يتم السفر ثم عين قانصوه الخفيف ولم يتم له السفر وعين تمر حاجب الحجاب
 ولم يتم له السفر وعين عدة أمراء طبخانات وعشراوات وعرض الجند وكتب منهم عدة
 امراء وأعلمهم بان السفر يكون بعد أن يربح الخيل وفيه ارسل السلطان خلعة الى
 خاير بك القصر وى بان يستعفى عن نيابة حماه عوضا عن بلاط الشبكي فلما وصلت اليه الخلعة
 باستقراره في نيابة حماه مات فجأة قبل دخوله الى حماه وكان أميراً جليلاً تولى عدة وظائف
 سنية منها نيابة القلعة بمصر ونيابة غزة ثم نيابة صفد ثم قرر في مقدمة ألف بدمشق ثم
 قرر في أتابكية طرابلس ثم في نيابة حماه مات ولم يدخلها وفيه توفى قاضى القضاة
 الشافعى بحلب وهو السيد الشريف تاج الدين عبد الوهاب بن عرب بن حسن بن علي بن حمزة
 الحسينى الحلبي الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وفيه توفى الامير يشبك بن
 الاسحاق الاشرفى أحد مقدمى الألوف بمصر وكان يعرف بالهملوان ومات وله من
 العمر نحو من سبعين سنة وكان حادث المزاج سبي الخلق وفيه جاءت الاخبار بوفاة قرق شبق
 الاشرفى الذى كان زرد كاش بمصر ثم توفى ومات وهو مقدم ألف بدمشق وكان علامة في لعب
 الرمح وفي جمادى الآخرة أنعم السلطان على برسباى قرا المجدى بتقدمة ألف وهى مقدمة
 يشبك بن وقرر في الحازندارية قجمازا الاسحاقى الظاهرى عوضا عن برسباى قرا بحكم
 انتقاله الى التقدمة وكان قجماز هذا أعاا السلطان قديما وفيه نزل السلطان من القلعة
 وتوجه الى الخانقاه ثم سار الى العكرشا وهو راكب الهجن ثم عاد الى القلعة بعد أيام وفيه
 توفى حكم الاجر ود الاشرفى نائب صفد وفي رجب نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو
 قناطر العشرة وأقام هناك سبعة أيام وتوجه الى الاهرام وهو ماش وحوله الامراء وكانت
 تلك الايام مشهودة في القصف والفرجة ونصب له أشبار على رؤس الاهرام وعملت له هناك
 أسبطة فاخرة حافلة وصار ابن رحاب المغنى عمال في كل ليلة وبقيت مغنى البلد وابتيع
 المجمع الحلوى هناك بنصفين والصحن الطعام الخاص بنصف فضة ثم ان السلطان رحل
 من هناك بعد مضي سبعة أيام وتوجه الى الفيوم فلما دخلها زينت له وكان يوم دخوله الى
 الفيوم يوما مشهودا ودخل عليه جله تقادم من الكاشف ومشايخ العربان فكانت مدة
 غيبته في هذه السفرة نحو من عشرين يوما وكان ذلك في قلب الشتاء في زمن الربيع ثم
 عاد السلطان الى القلعة وفيه وقع العدل والعطاء بالديار المصرية حتى أيعت البطنة

الدقيق بسطة أنصاف والرطل الخبز بدرهم نقرة وبيع الفدان البرسيم المخضر بدينار
 وكثرت اللحوم والاجبان وانحطت رسائل البضائع وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه
 اليحيى بن نائب حلب قد وقع بينه وبين نائب قلعة حلب فبعث يشكوه للسلطان أنصاف
 السلطان نائب حلب على نائب القاعة وفيه خلع السلطان على قجماز الاسهاقي وقرره
 في نيابة الاسكندرية عوضا عن بلباي العلاقي بحكم استقراره في نيابة صفد عوضا عن حكيم
 الاشرفي المعروف بالاجرود وفيه جاءت الاخبار من نائب بان سوارا قد استولى على سيس
 وقلعتها ففرغ السلطان لهذا الخبر وفي شعبان عزل قاسم شغيته عن نظر الدولة ورسم
 عليه الامير يشبك الدوادار وطلب منه ما لا وعين السلطان الامير برسباي قرا أحد
 المتقدمين بان يخرج جاليش العسكر الى سوار قبل خروج الامير يشبك فخرج ومعه عدة من
 الجنود وبعث اليه السلطان أربعة آلاف دينار وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن السلطان
 أعاد الى جماعة ما كان أخذهم منهم من المال المصادره بهم بسبب التجريدة الاولى فأعاد الى
 فارس الركني ألفا وخمسة مائة دينار وأعاد الى الشهابي أحمد بن اسبغا الطيار ألف دينار
 وأعاد الى فارس السيفي دولابا ألف دينار وبعث لابن العيني خمسة عشر ألف دينار
 من بعض ما أخذهم منه وأعاد الى جماعة كثيرة ما كان أخذهم منهم في المصادرة فتعجب
 الناس من ذلك لكونه فعل ذلك من تلقاء نفسه وأسمع بين الناس أنه رأى في المنام
 ما أوجب هذا من رد المال على أربابه فكان حال الناس معه كما قال القائل في هذا المعنى

كأنو قل ان تال بجاهكم * خيرا يكون على الزمان معينا

والآن نقتنع بالسلامة منكم * لاناخذوا منا ولا تعطونا

ولكن فعل بعد ذلك بالناس من المصادرات وأخذ الاموال ما يعجز عنه الواصفون وفيه
 جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان العين التي أجراها السلطان الى عرفات قد انتهت العمل
 منها ووصل ماؤها الى عرفات وحصل به غاية النفع لاهل مكة المشرفة وكان لهذه العين
 نحو من مائة سنة وكسور وهي معطلة عن الجريان وكان حوران أجرى ماها فتعطلت
 من بعده حتى أجراها السلطان وفي رمضان أنفق على الجنود الكسوة وأنفق على المماليك
 المعينين للتجريدة نفقة السفر لكل مملوك عشرون دينارا وكسوة عشرة دنانير واستمر ينفق
 عليهم ثلاثة أيام متتالية وفيه كانت وفاة الاديب البارع الفاضل الشهاب البخاري أحمد بن
 محمد بن علي بن حسن بن ابراهيم الانصاري الخزر جي الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا
 في الادب وله عدة مصنفات في الادب منها كتاب روض الآداب والقواعد في المقامات
 وشرح المعلقات وقلائد النحور في جواهر البحور والتذكرة وغير ذلك من الكتب
 النفيسة وكان نظريته الطيف الذات كثير النواذر عشرين الناس حسن المحاضرة وله

شعر جيد فن ذلك قوله

في حنّس الليل أنا فتنى * ونادم القوم في نفس النديم
قلت لأصحابي لما أتى * قد جاءنا في جنح ليل بهم
(ومن قصائده)

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وأنا * مثل المعيدى فاسمع بي ولا ترفى
وكان مولده في أوائل قرن الثمانمائة فلما مرض الشهاب الجازى بعث اليه الشهاب
المنصورى بهذين البيتين

قيل الشهاب سقيم قلت وأسفا * ما بال أحد لا يخلو من العلل
وزن الرقائق من أضحي مجوزها * ووصفه بفتون العلم والعمل
ولما توفي الشهاب الجازى رثاه الشهاب المنصورى بهذه الايات

زادني فقه — الجازى شجبي * هل يطيب العيش فقد ان الجا
لودرى القمري أبدى فوحه * أو غراب البين أضحي مسجعا
صار في زورق نعش قاطعا * منك يا بحر — المنايا الجا
وامتطى طرف الردى مستوقرا * طالبا من هم دنياه النجا
ان يكن في التراب أمسى هابطا * فسيرقى في الجنان الدرجا
أو يكن ليل الضريح عاكرا * فسيلقاء شهابا ألبجا
فلتطب أرجاء — برزارها * انها حاكته في حسن الرجا
فالجازى مـكة تبصره * والشهاب اشتاقه بدر الدجا

قلت كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا في عصر واحد وكل واحد يدعى بشهاب
فكان يقال السبعة الشهب وهم الشهاب بن حجر رجمة الله عليه والشهاب بن الشاب
التائب والشهاب بن أبي السعود والشهاب بن مبارك شاه دمشق والشهاب بن صالح
والشهاب الجازى والشهاب المنصورى فلما مات الستة رثاهم الشهاب المنصورى بهذه
الايات

خلت سماء المعاني من سنا الشهب * فالآن أظلم أفق الشعر والادب
تقطب العيش وجهها بعد رحلة من * تجانبوا بالمعاني مركز القطب
تعطلت خرد الايام من درر * كادت تحلى بها منهم ومن ذهب
لوتعلم الارض ماذا ضمنت بطرت * بهم كما يطر الانسان بالنسب
ولودرى المسك أن الارض قبرهم * لودنشة عرف من شذى التراب

وهذا اختصار من القصيدة التي لهم رجة الله عليهم أجمعين وفيه توفي كسباى الزينى المؤيدى
الذى كان نائب الاسكندرية وعزل عنها وفي شوال كان خروج العسكر المعين الى سوار
نخرج الامير يشبك الدوادار الكبير وازدهر الاستادار وكاشف الكشاف وباش العسكر
فكان في غاية العز والعظمة وقد فوض اليه السلطان أمورا بالبلاد الشامية والحلبية وغير
ذلك من البلاد وجعل له الولاية والعزل في جميع أحوال المملكة وكتب معه ختمائة
علامة ويكتب على البيضاء وجعل له التصرف في جميع النواب والامراء ما خـ لـ لـ نائب
حلب ونائب الشام فقط فكان له لما خرج يوم مشهود وطلب طلبا حافلا بحيث لم يعمل مثله
قط وجرى طلبه عدة خيول ملبسة بر كستونات فولاذ مكففة بالذهب وبر كستونات مخمل
ملون وصنع في رنكه صفة سبع وقد اقترح أشياء عجيبه غريبة لم يسبق اليها ورسم لماليكه
بان تخرج في الطلب باللبس الكامل وخرج صحبته الامراء الذين تقدم ذكرهم ومن الجند
نحو من ألفي مملوك فرجت لهم القاهرة واستمرت الاطلاع تنسحب الى قسرب الظهر
فلما كانت ليلة الرحيل نزل السلطان عند يشبك وتكلم معه طويلا ثم أضافه الامير يشبك
وركب من عنده وتوجه الى الخانقاه ثم عاد الى القلعة ثم في ثاني ليلة نزل الامير يشبك
بعد العشاء ورحل من الريدانية قاصدا الشام ثم خرج العسكر أفواجا أفواجا حتى سد
الفضاء وكانوا من أعيان الشجعان فتفاعل الناس بان هذا العسكر ينتصرون سوارا
ما خوذ لا محالة وكذا جرى وقد عيب على السلطان نزوله الى الامير يشبك في الوطاق
مرتين وهذا بخلاف عادة الملوك وقواعدهم القديمة وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل
زائد وكان له يوم مشهود ولكن تأخر الى يوم عشرينه بسبب فرار غلمان أمير حاج وفي
ذى القعدة ولد للامير يشبك ولده من زوجته خوند ابنة الملك المؤيد أحمد بن الملك الاشرف
ايتال قسموه منصورا وكان له مـ مـ حافل وفيه خلع السلطان على السيد الشريف
سبع بن ظافر وقرره في امرية الينبوع عوضا عن ظافر وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى نحو صقيل وقد أضافه القاضي كريم الدين بن جلود كاتب المماليك فأقام هناك
الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفي ذى الحجة خلع السلطان على شيخ عربان الشرقية صقر
ابن بقر وقرره في مشيخة الشرقية عوضا عن قريه عيسى بن بقر وسجن ابن بقر بالمقشرة
بعد ما ضرب بين يدي السلطان ضربا مبرحا وفيه عين السلطان الامير عمر حاجب الحجاب
والامير قانصوه الخفيف الايتالى بان يخرج الى الشرقية بسبب فساد العربان ورسم
السلطان لهم ايات من وجده من بنى سعد وبنى وائل يقبضون عليه وفيه كان ابتداء
عمارة الايوان الكبير الذى بالقلعة فأمر السلطان بتجديده واصلاح ما فسد من بنائه
وكان الشاد على عمارة القاضي كاتب السر ابن منهر والبسدرى بدر الدين بن الكوين

ومعلم المعلمين فصرف عليه فخمون عشرين ألف دينار وكان قصد السلطان أن تقام
الخدمة على العادة القديمة ويركب منه فلم يتم لذلك واستمر الامر على حاله الى الآن وفيه
توفي الاستاذ المغنى المويسقي محمد المعروف بيقوق التونسى وكان بارعا فى الغناء والانشاد
وكان له شهرة طائلة قدم من الغرب يروم الحج فتوفي بالقاهرة

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم فى أول يوم كانت بشارة النيل فتفعل
الناس بأنها سنة مباركة وفيه توفي قاضى القضاة برهان الدين بن الديرى الحنفى وهو ابراهيم
ابن محمد بن عبد الله بن سعد بن مصلح العيسى القدسى الحنفى مات وهو منفصل عن القضاء
وكان عالما فاضلا رئيسا حماويا ولى عدة وظائف سنية منها تظر الاسـ طبل ونظر الجيش
وكتابة السر وقضاة الحنفية ومشیخة الجامع المؤيدى وغير ذلك من الوظائف وفيه نزل
السلطان من القلعة وتوجه نحو شيبين القناطر وكان معه الاتابكى ازبك وجماعة من
الامراء فبينما هم سائرون فى أثناء الطريق اذ شب فرس الاتابكى ازبك على فرس السلطان
ورفسه فجاءت الرفسة فى قصبة ساق السلطان فانكسرت فنزل بشييين وهو فى غاية الالم من
ساقه وأرسل يطلب محفة حتى يعود فيها الى القاهرة فلما وصل هذا الخبر الى القاهرة كثر
بها القال والقليل بسبب عود السلطان فى المحفة فلما عاد طلع الى القلعة وهو فى المحفة حتى
نزل على باب البجرة وكانت القاهرة قد زينت لاقدمه فلما طلع تحت الليل هدمت الزينة
وأشيع أن السلطان على غير استواء حتى نزل المنادى ونادى للناس بالامان والاطمئنان
وسلامة السلطان وان تعاد الزينة كما كانت فزينت القاهرة نائبا ثم ان السلطان خرج
وجلس على الدكة وعلم المراسيم وجهاز مراسيم الى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض
حتى سكن ذلك الاضطراب وخذت هذه الاشاعات من البلاد الشامية والحلبية وفيه توفي
تغرى بردى بن يونس أتابك حلب وكان لا بأس به وفيه حضر صحبة الحاج القاضى كمال الدين
ابن ظهيرة قاضى جدة أخو القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة قاضى مكة المشرفة ليسعى
لاخيه فى عوده الى القضاء وكان قد صرف عنه وفيه جاءت الاخبار بان شاه سوار قتل قرقاس
الصغير نائب ملطية وقد تقدم مافعله قرقاس بجماعة سوار فلما ظفر سوار بقرقاس قتله
أشرفه قبل انه أوقفه فى مكان وبني عليه حائطا وقيل بل علقه فى شجرة واستمر يرمى عليه
بالنشاب حتى مات وكان قرقاس الصغير هذا أصله من مماليك الاشرف اينال وكان شجاعا
بطلام قدما فى الحرب وكان لا بأس به وفيه عين السلطان نيابة ملطية لا اينال الحكيم
عوضا عن قرقاس الصغير بعد قتله وفيه خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى
وقرره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن برهان الدين الديرى بحكم وفاته وكانت هذه
الوظيفة مع أولاد الديرى بحكم شرط الواقف الملك المؤيد شيخ فأخرجها السلطان عنهم

للشيخ سيف الدين ولم يلتفت الى شرط الواقف وفي صفر جاءت الاخبار من حلب بان الامير
 يشبك الدوادار اخذ قلعة عينتاب من جماعة سوار وأن سواراً أخذ أولاده وعياله وماله
 وأودعهم بقلعة زمنوطو وصار عنده التتر من العسكر بخلاف العادة وفيه عاد الامير
 حاجب الحجاب من الشرقية وقد قبض على جماعة من العربان المفسدين وفيهم موسى بن
 عمران وآخر يقال له طاجن وكان من أعيان العربان المفسدين فرسم السلطان بتوسيط
 موسى ومعه جماعة من بني سعد وبني حرام وبني وائل فلما بلغ العربان قتل هؤلاء أظهروا
 العصيان وأفسدوا في البلاد فرسم السلطان للامير عمر باي بعوده الى الشرقية فعاد
 عن قريب وفيه ركب السلطان وصلى صلاة الجمعة بالقلعة وكان له مدة لم يركب
 بسبب كسر قصبته ساقه فلما ركب كان له يوم مشهود بالقلعة وفيه رسم السلطان لابن
 الطولوني بان يحدد عمارة الميضاة التي بجامع القلعة فوسعها ورسم بعمارة الجامع فصرف
 على ذلك ألف دينار وفيه جاءت الاخبار بان الامير يشبك أخذ من سوار ما كان استولى
 عليه من أدنه وطر سوس وتحارب مع جماعة سواراً أشد المحاربة حتى طردهم من تلك
 البلاد وملكها وفيه كان وفاء النيل المبارك في سادس عشرى مسرى فتوجه الاتابكي
 أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفي أسنبغا التتري الشبكي الناصري أحد الأمراء
 العشر اوات ورؤس النوب وكان لأبأس به وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه
 الى جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكشف عماته مدم من حيطانه وسقوفه وأمر
 ببنائه من ماله وشرع في ذلك وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوي وكان حاقلاً وفيه
 فودى من قبل السلطان بان لا يشكو أحد أحد السلطان الا بعد أن يرفع أمره لأحد من
 الحكام فاذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان وكان قد كثرت شكواوى الناس بين يدي
 السلطان حتى ان امرأة شككت زوجها لاجل انه وطئ جارية في ملكه فأتاها طاقم زوجته
 الغيرة وشكته للسلطان بقصة وفيه خلع السلطان على الامير يشبك الجمالى وقرره
 في امرية الحاج بركب المحمل على عادته وكان السلطان عين برسباى الشرقى فاستعفى
 من ذلك ففعا عنه وفي ربيع الآخر نزل السلطان الى نحو خاليج الزعفران على سبيل التنزه
 وكان معه الاتابكي أزبك وجماعة من الأمراء فاقام هناك الى آخر النهار فلما عاد ووصل
 الى الحسينية وجد في طريقه جنازة وهى امرأة غريبة ليس معها أحد من الناس سوى
 الجمالين فنزل عن فرسه ومن معه من الأمراء فصلى عليها في قارعة الطريق وقدم الجماعة
 الذين حضروا الصلاة فعد ذلك من النوادر وقد وقع مثل هذه الواقعة للامير أحمد بن
 طولون واستمر ما شياقداً الميت حتى واراها التراب وفيه بعث السلطان الى الامير أزبك
 اليوسقى أحد الأمراء المقدمين فخلع عليه وقرره في نيابة عينتاب فنزل الى داره وهو مهموم

وأقام على ذلك أياما حتى شفع فيه الاتابكي أزيلك وأعفى من ذلك وفي جمادى الاولى حضر
 محمد بن نائبهم سناجكاتبه يذكرونها انخلال أمر سوار من الأمير يشبك وان عسكر سوار
 قدفل عنه وهو خائف من العسكر ثم أرسل الأمير يشبك يطلب من السلطان نفقة للعسكر
 يتوسع بها فان العليق كان هناك مشهورة فاجبت السلطان مائة ألف دينار ففرق على
 العسكر هناك وفي هذا الشهر كانت وفاة قاضي القضاة عز الدين أحمد الحنبلي وهو أحد
 ابن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن هاشم بن اسماعيل بن نصر الله بن أحمد العسقلاني
 الحنبلي وكان عالما فاضلا متواضعا فكه المحاضرة ببقية الناس جمع على جماعة من العلماء
 وأجازوه وناب في الحكم مدة ثم ولي القضاء الاكبر بعد وفاة قاضي القضاة بدر الدين
 البغدادي في سنة سبع وخمسين وثمانمائة واستمر في هذه الولاية مدة طويلة نحو من
 عشرين سنة وباشر من نصب القضاء بعنة ونزاهة وجدت عند الناس سيرته وانتهت اليه
 رئاسة مذهبه وولى عدة تداريس جليلة وعاش من العمر مدة طويلة وقد قارب الثمانين
 سنة ومولده سنة ثمانمائة فلما مات استمر من نصب القضاء شاغرا لم يتول به أحد فأقام
 نحو من أربعة أشهر وكان السلطان أرسل خلف برهان الدين بن مفلح من الشام ليلي القضاء
 وكان السلطان رسم لبدر الدين السعدي تلميذ قاضي القضاة عز الدين الحنبلي بان يتطهر
 في الاحكام المتعلقة بمذهبه الى أن يحضر البرهان بن مفلح من الشام فلما عاد القاصد الذي
 توجه الى ابن مفلح أخبر بان ابن مفلح مريض وأرسل يعتذر للسلطان في عدم الحضور الى
 القاهرة وتعلل بأشياء تدل على عدم قبوله للولاية فلما عاد هذا الجواب على السلطان
 أخذ القاضي كاتب السر ابن من هريسي للسعدي في أن يلى القضاء وكان يومئذ في الحنبلية
 من هو أفضل من السعدي ولكن الخطوط تختلف فلما كان ختم البخاري في رمضان
 أ حضر السلطان خلعة وخلع على بدر الدين السعدي واستقر به قاضي القضاة الحنبلية
 بمصر عوضا عن القاضي عز الدين بحكم وفاته فنزل من القاعة في موكب حافل جدا وقد
 استكثر الناس غالهم على السعدي ذلك وكان شابا لم يظهر البياض بلمته وقد داعبه بعض
 الشعراء بهذه المداخلة وهي

قاضيكم مامنه في حكمه * عفيف ذيل ليس يدعي زانيا
 قد ساس أمر الناس في أحكامه * فلم ترى أسوس منه قاضيا

وفيه أيضا

حضرت في الدرس على قاضي * نص على التقليد في درسه
 فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخول على نفسه

وفيه خرج السلطان الى الرماية ببركة الحبش وكان معه الاتابكي أزيلك وبقية الامراء

هنالك ثم عاد الى القلعة وشق من القاهره رة في موكب حافل وكان له يوم مشهود واصطاد في ذلك اليوم ثلاث كراكي وبلشون وفي جادى الاخرة قدم قاصد من عند صاحب بلاد الهند الملك غياث الدين وأحضر على يده هدية الى السلطان والى الخليفة المستنجد بالله يوسف وأرسل يطلب منه تقليد ابولايتيه على اقليم الهند عوضا عن كان قبله من ملوك الهند فآكرمه السلطان وخلع عليه وكتب له الخليفة تقليدا بجامسأل وفيه وصل قاصد من عند الامير يشبك الداودارو على يده مكانية من يشبك يذكر فيها أنه وقع بينه وبين عسكر سوار واقعة مهولة على نهر جيحون و جرح فيها الامير غراز التمشى في يده بسهم نشاب وكان أول من ألقى نفسه في النهر هو فلما بلغ العسكر رموا أنفسهم في النهر خلفه فخرج غراز وأغوى عليه فملاوه ورجعوا به الى الوطاق ثم ان الامير يشبك تثبت وقت الحرب وزحف بالعسكر على عسكر شاه سوار وكان بين الفريقين ساعة تشيب منها النواصي فانكسر عسكر سوار كسرة بليغة وقتل منهم مالا يحصى عده وكان النصر لعسكر مصر على عسكر سوار كاقيل

جيوشنا كالاسود اضعفت * تقهجم الحرب بالعزائم
وسيف سلطات طويل * له بقوس العدا غنائم
فالنصر بالفتح مآذاته * صير قلب الحسود واربم
فياله في الوري مليك * لقمع أهل الفساد صارم

فلما رأى سوار الكسرة عليه هرب في نفر قليل من عسكره وطلع الى قلعة زمروطو واختفى فلما بلغ الامير يشبك أن سوارا في قلعة زمروطو حاصرها أشد المحاصرة ورعى عليه بالمدافع واستمر محاصر الها حتى كان من أمره ما سئذ كره فخلع السلطان على القاصد الذي جاء بهذه الاخبار والبشارة وكذلك الامراء خلعوا عليه وانشرح السلطان بهذا الخبر وفيه نزل الى الرماية وغاب يوما وليلة فلما عاد طلع من الصليبة في موكب حافل وفيه خسف جرم القمر جميعا وكان خسوفامهولا فاحشا وفي رجب صار السلطان ينزل الى الاصطبل ويحكم فيه بين الناس يوم السبت والثلاثاء فتكاثر عليه المحاكات وتزايدت شكاوى الناس اليه فوقف شخص يقال له محمد القليبي واشتكى من ناظر الخصاص تاج الدين أحمد بن المقسى وكان السلطان متحاملا عليه فأمر بضربه بالمقارع بين يديه فضرب نحو عشرين شيئا حتى أدمى وكان يوما شديدا البرد جدا وأمر بسجنه في البرج الذي في القلعة فطلع وهو ماش من باب السلسلة الى البرج عريانا مكشوف الرأس والدم يسيل من أجنابه فعد ذلك من مساوى قايتباي وفيه ضرب انسان من أولاد الناس امرأة يسكن في جنبها وهي ماشية بين الناس في الطريق فماتت في الحال فلما تحقق موتها هرب ولم يعلم ما سبب ذلك وفيه

نزل السلطان الى نحو المطرية ثم عاد من جهة قنطرة الحاجب فأذن عليه المغرب عند ما وصل الى المدرسة الجيعانية التي بالقرب من بركة الرطلي فنزل وصلى المغرب هناك خلف من صلى من العوام وكان الامام في ثاني ركعة فصلى مع الجماعة فلما فرغت الصلاة وجد الامام صيبا أمر دفاعا بالصلاة ثانيا ثم ركب من هناك وطاع الى القلعة وفيه رسم السلطان يشبك الجمالي المحتسب بان ينادى في القاهرة بان امرأة لا تلبس عصابة مقنزعة ولا سرا قوس حرير وأن تكون العصابة طوالها ثلث ذراع وهي بختم السلطان من الجانبين وكتب بذلك قسائم على من يبيع عصائب النساء وسم السلطان على يشبك المحتسب في تكرير المناداة في ذلك وصارت رسل المحتسب يطوفون في الاسواق فان وجدوا امرأة بعصابة مقنزعة أو سرا قوس يضربونها ويجزئونها والعصابة معلقة في رقبتها فقلق النساء من ذلك وصارت المرأة اذا خرجت لنحو حاجة خرجت من غير عصابة مكبية رأسها أو تلبس عصابة طويلة فلما طال عليهن الأمر لبسن العصائب الطوال التي رسم بها السلطان وكن يلبسها اذا خرجن الى الاسواق فقط على كره منهن ويلبسن العصائب المقنزعة في بيوتهن وفي هذه الواقعة يقول الاديبي زين الدين بن النحاس الشاعر

أمر الامام مليكا بعصائب * في لبسها عسر على النسوان
فقلتن ثم أطعنه ولبسها * ودخلن تحت عصائب السلطان

واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم رجع من الى ما كان عليه من لبس العصائب المقنزعة والسرا قوس ولم يلتفتن الى تحجر السلطان في ذلك وفيه خلع السلطان على برسباي الشرفي وقرره في امرية الحاج بالمحمل وكان قد أعفى من ذلك وقرر يشبك الجمالي في امرية الحاج ثم بطل وقرر فيه برسباي الشرفي وفيه خلع السلطان على البسدرى بدر الدين بن منهر القاضي كاتب السر وقرره في نظار الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم صرفه عنها وكان بدر الدين بن منهر صغير السن لم يلبس حين قرره في نظاره الخاص وفي شعبان نزل السلطان الى خليج الزعفران وقد أضافه الزيني أبو بكر بن عبدا الباسط فأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه انتهت مواكب الاسطبل وضبط ما فرقه السلطان على الفقراء وأرباب الديون في هذه المدة فكان نحو من ثمانمائة دينار وفيه ظهر بالسماء نجم له ذنب مستطيل وكان يظهر من جهة الغرب ثم صار يظهر من الشرق وفيه خرج الامير قاني باي صلق وتوجه الى جهة حلب وعلى يده كوامل الشتاء للنواب وعدة خلع للامير يشبك الدوادار برسم من يرد عليه من التركان وأرسل على يده نحو من أربعين ألف دينار برسم توسعة للعسكر وفيه عرض السلطان محاييس المقشرة وأطلق منهم جماعة وكان بها شخص له نحو من ثلاثين سنة فعمل مصلحته ووزن عنه للمدينين مبلغا له صورة وأطلقه وفيه نزل

السلطان وعدى الى برج الحيزة فاضافه شخص من عرب اليسار يقال له محمد بن برقع قد له
 أسمطة حافلة وبات عنده ثم عدى وتوجه الى شبرى وطلع من هناك وتوجه الى العباسية
 فاضافه هناك الشيخ بيمس بن شعبان شيخ العرب وأقام بالعباسية أياما ثم عاد الى القلعة
 وفيه توفى الامير طوخ الابو بكرى المؤيدى الذى كان زرد كاش ونفى الى ثغر دمياط ثم شفع
 فيه وعاد الى القاهرة ثم مات وهو بطلال وكان لا بأس به وفي رمضان رسم السلطان للقاضى
 عبد المغنى بن الجيعان بان يفرق على الفقهاء والعلماء تسعة في رمضان لعيالهم واستمر ذلك
 عمال في كل شهر رمضان مدة أيام الاشرف فابتى الى أن مات ثم تناقص ذلك من بعده
 وفيه رسم السلطان باحضار الاتابكى جرباش كرت وكان مقيما بثغر دمياط وكذلك
 الامير يشبك المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فتكلم لهما ببعض الامراء بأن يحضرا الى
 القاهرة ويكونا في دورهما بطلالين الى أن تنقضى أعمارهما فاجاب السلطان الى ذلك وأمر
 باحضارهما وكان الشرفى يحيى بن يشبك الفقيه متمرضا فلما حضر أبوه أقام مدة يسيرة
 ومات وكان شابا حسنا حشما رئيسا شجاعا بطلا حوى أنواع الفروسية وساق من جملة
 الرماحة بالمحمل وكان الظاهر خشنا قدم أنعم عليه بامريرة عشرة وكنت أمه خوند بنت
 المؤيد شيخ وكان نادرة في أبناء جنسه ومولده سنة ثمان وفيه حضر قاصد من عمدة ابن عثمان
 ملاب الروم وعلى يده هدية للسلطان وقد حضر يروم الحج وفيه ختم البخارى وخلع
 في ذلك اليوم على بدر الدين السعدى وقرره في قضاء الخنازير عوضا عن عز الدين الخنبلى
 وفيه سعد في يوم عيد الفطر سيدى منصور بن الظاهر خشنا قدم الى القلعة لينهى السلطان
 بالعيد وكان السلطان جالسا على الكرسي بالقصر الكبير فلما وقف سيدى منصور بين يديه
 خلع عليه مئتمرا ثم طلبه وأجلسه معه على الكرسي وكان صغير السن دون البلوغ فعند جلوسه
 مع السلطان على الكرسي من النوادر التي ما وقعت قط وفيه جاءت الاخبار من عند يشبك
 الدوادار بان شاه سوار قد تلاشى أمره وقل عنه غالب عسكره وأرسل يطلب الصلح من
 الامير يشبك وأن يكون نائبا عن السلطان في قلعة درندة وأنه يرسل ولده بجفاتيح القلعة
 فوافق السلطان على ذلك الا أن يحضر سوار بنفسه ويقابل السلطان وفيه توفى
 القاضى نجم الدين العجلونى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الزرعى الدمشقى الشافعى مذهبها
 وكان عالما فاضلا قدم الى القاهرة بطلب من السلطان ليلي القضاء فتوعدك في جسده فمات
 ودفن بالقاهرة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل برسباى الشرفى وأمير
 ركب الاول الشهابى أحمد بن الاتابكى تانى بك البرديكى الظاهرى برقوق وفيه وقعت حادثة
 غريبة وهو أن نجارا كان عمالا بالقلعة في بعض طباق الماء ليك فسقط من مكان فمات لوقته
 وكان له أولاد وعيال وهو فقير فوقف أولاده وعياله بقصة السلطان يلتمسون منه شيئا من

الصدقة فأمر لهم بمائة دينار وأمر لبيت بثوب بعلبكي وثلاثة أشرفية يجهزونه بها فعد ذلك من محاسن الأشرف قايتباي وفيه رسم السلطان بشنق جارية بيضاء ومعها غلام فشهر وهما في القاهرة على جلين وكان سبب ذلك أن الجارية اتفقت مع الغلام على قتل سيدها وأخذ ماله ويهر بافتتلاه ودفعناه في الاصطبل فلما ظهر أمرهما رسم السلطان بشنقهما فشنقا وفيه توفيت خوند مغل بنت البارزي زوجة الملك الظاهر جقمق وكانت دينة خيرة وله بار ومعر وف وهي التي عمرت جامع الشيخ مدين بالمقس ووقفت عليه أوقافا كثيرة وكانت ناظرة إلى فعل الخير وفيه كانت نهاية عمارة الجامع الذي قد أنشأه عزاز أحد الأمراء خورية بجوار قنطرة عمر شاه وفي ذى القعدة غرقت مركب ببحر النيل وكان فيها بضائع كثيرة لتجار من الأروام ولم ينج منها سوى ثلاثة أنفار فعين السلطان شرف الدين بن كاتب غريب ومعه القاضي جلال الدين بن الأمانة أحد نواب الشافعية إلى المكان الذي غرقت فيه المركب اضبط ما يظهر من تلك البضائع التي غرقت هناك فلم يظهر من ذلك إلا اليسير وغرق الأكثر وفيه قدم قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة فيها أشياء سرافلم ينشرح السلطان لتدوم هذا القاصد ولم يعلم ما في المكاتبة وفيه توفي يوسف بن مغطاي نائب تغردمياط وكان لا بأس به وفيه وقعت فتنة كبيرة بين بني حرام وبني وائل وكثر الفساد من العربان بالشرقية حتى امتنع مرور الناس من الأسفار إلى الشرقية من كثرة القتل وقطع الطريق وسلب أثواب المسافرين وفي ذى الحجة وصل قاصد من عند يشبك الدوادار ومعه مكاتبة يخبر فيها أن سوارا أرسل يطلب الأمان لنفسه وأنه يقيم بقلعة زمنوط وهو وعياله فقال له الأمير يشبك حتى نكاتب السلطان بذلك وفيه قدم إياس الطويل المحمدي الذي كان نائب طرابلس فأكرمه السلطان وخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ورسم له بأن يعود إلى طرابلس وأنعم عليه بأمرية بطرابلس يأكلها وهو وطرخان وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة وفيه وصل الاتابكي جرباش كرت من تغردمياط هو ويشبك الفقيه الذي كان دوادارا كبيرا وشفع فيه بعض الأمراء بأن يكون بداره بطلا حتى ينتهي أجله فرسم السلطان بإحضاره هو ويشبك الفقيه فلما طلع الاتابكي جرباش إلى السلطان عظمه وقام إليه وأجلسه إلى جانبه ثم إن الاتابكي جرباش قام وقبل يد السلطان في أن يشفع في جاني بك كوهية بأن يحضر هو أيضا إلى القاهرة وكان بشغردمياط فأجابه السلطان إلى ذلك ورسم بإحضاره ثم خلع على الاتابكي جرباش ويشبك الفقيه ونزلا إلى دراهما وفيه أمر السلطان بإنشاء البرج العظيم بقرب تغر رشيد فجاء غاية في الحسن من البناء والاتقان وفيه ترايد فساد بني حرام وبني وائل وفسدت أحوال الشرقية فعين لهم السلطان تجريدة وكان بها من الأمراء الاتابكي أربك وجاني بك قلقسير أمير سلاح وأزدهم الطويل أحد المقدى الألوف وعين معهم

جماعة كثيرة من الجند وأمرهم بالخروج الى الشرقية سر يعا وسبب ذلك أن العربان من بنى
 وائل وبنى حرام هجموا على القاهرة حتى وصلوا الى رأس خط الحسينية ونهبوا الدكاكين
 وسلبوا أثواب الناس واستمر الحال على ذلك من بعد العصر الى ما بعد المغرب فرجعوا حيث
 جاؤا فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم هؤلاء الامراء فخرجوا من يومهم سر يعا ثم ان الاتابكي
 أزيل عاد الى القاهرة بعد أيام ومعه بعض عربان فأودعهم في المقشرة وأما بقية الامراء
 فرسم لهم السلطان بالاقامة في الشرقية لرد العربان المفسدين وفيه ولدت امرأة أربعة
 أولاد في بطن واحد وهم صبيان وبنات وكان أبوهم فقيرا فحملهم الى السلطان فلما وضعوا
 بين يديه تعجب منهم ورسم لابيهم بعشرة دنانير وخمسة أرا دبقح وفيه جاءت الاخبار بوفاة
 ازدمر الصغير الابراهيمي الظاهري أحد الامراء العشر اوات ورؤس النوب مات قتيل
 على حصار قلعة زمنوطو وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية وتوفي حسن التميمي
 ابن يريم بن ططر نائب القدس والخليل وكان لاباس به وفي هذه السنة كانت الفتن المهولة
 ببلاد فارس واستمرت الفتن عمالة حتى ملكها بنو أوطاس وكانت الفتن ببلاد الشرق بين
 حسن الطويل وبين ملوك هراة وهر قند وكانت الفتن عمالة بسبب سوار وخرجت السنة
 المذكورة عن شرور وفتن في بلاد الشرق وغيرها

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم وقع بين الاتابكي أزيلك وتغري بردى
 ططر بسبب ضرب الكرة وقد زاحم فرس تغري بردى ططر فرس الاتابكي أزيلك فخلق منه
 فزاحمه عدة مرار وهو صابر له ثم خلق منه فضربه بالصولجان حتى تكسر على ظهره وتغري
 بردى يسب الاتابكي أزيلك ويشتمه شتما فاحشا حتى وقف بينهما الامير جاني بك فلقير
 فتنى الاتابكي عنان فرسه ونزل الى داره كالغضبان فتسكد السلطان غاية التكذب بسبب ذلك
 وفيه توفي قلمطاي الاشرفي الاصحافي أحد الامراء العشر اوات وكان مشهورا بالشجاعة
 والفروسية وفيه حضر قاني باي صلق وعلى يده مكاتبة الامير يشبك الدوادار تتضمن
 القبض على شاه سوار ونزوله من قلعة زمنوطو وقد وصل قاني باي صلق من حلب الى مصر في
 ثلاثة عشر يوما فلما صحت الاخبار عند السلطان سر بذلك وخلع على قاني صلق خلعة حافلة
 وكذلك سائر الامراء خلعوا عليه حتى المباشرون فحصل له جلة خلع سنية وكان من ملخص
 اخبار القبض على شاه سوار أنه لما طاع الى قلعة زمنوطو واختفى بها حاصره الامير يشبك
 الدوادار أشد المحاصرة وقد قل عن سوار عسكره وأراد الله خذلانه فأرسل يطلب الامير غراز
 التمشي قريب السلطان فتلف الامير يشبك بالامير غراز حتى وافقه الى طلوعه الى سوار
 فطاع الى قلعة زمنوطو وصحبته القاضي شمس الدين بن ارجا الحلبي قاضي العسكر وهو والد
 القاضي كاتب السر الآن فلما طلع الامير غراز الى سوار واجتمع به تعلل سوار بأنه يلبس خلعة

السلطان ويوس الارض ولا يقابل الامير يشبك فما وافقه الامير عراز على ذلك فقال له
سواراً ناقلت من العسكر جماعة كثيرة وأخشي اذا نزلت اليهم يقتلونني فقال الامير عراز
ضمنك على ثيابك شيئا وافق سوار على نزوله من القلعة فقام الامير عراز والقاضي
شمس الدين بن أجامن عنده والمجلس مانع فلما عاد الامير عراز بالجواب على الامير يشبك لم
يوافق على ذلك وحاصر سوار واضيق عليه ورعى عليه بالمدافع فما أطاق سوار ذلك فأرسل
يطلب الامير عراز والقاضي شمس الدين بن أجامن أيضاً على أنه ينزل صحبته ما فطلع اليه الامير
عراز وابن أجامن فطال بينهما المجلس وقيل ان سواراً أضاف الامير عراز وابن أجامن بقلعة
زمنوطو فلما طال جلوس الامير عراز وابن أجامن بقلعة زمنوطو وعند سوار ماج العسكر على
بعضه وأشيع بأن سوار قد قبض على الامير عراز وابن أجامن بقلعة زمنوطو فلما مضى من
النهار انصف نزل الامير عراز هو والقاضي بن أجامن صحبته ماشاء سوار وهو في نفر قليل من
عسكره فتوجه الى وطاق الامير يشبك الدوادار ونزل عن فرسه ودخل على الامير يشبك في
الخيمة فقام اليه ورحب به وأحضر اليه خلعة وألبسها له فلما أراد الانصراف من عنده قال
الامير يشبك امض الى نائب الشام وسلم عليه وكان يومئذ برقوق نائب الشام فلما توجه اليه
سوار نزل عن فرسه ودخل الى برقوق نائب الشام وصحبته الامير عراز فلما وقف بين يدي
برقوق قال له برقوق من أنت قال له أنا سوار قال أنت سوار قال نعم أنا سوار فجعل يكر رجليه
هذا الكلام فيقول له نعم أنا سوار ثم قال له برقوق أنت الذي قتلت الامراء والعسكر فسكت
سوار ثم قال برقوق أحضر والخلعة فأثروا اليه بخلعة وفي ضمنها جنزير فلما ألبسوها له وضعوا
الجنزير في عنقه فلما رأى جماعة سوار أنه وضع في جنزير ثاروا على جماعة برقوق وساروا سيوفهم
وكان برقوق أكن كميناً حول الخيمة وهم لا يسمعون آله الحرب فهجموا على جماعة سوار
وقطعوه ثم قبضوا على سوار وأدخلوه في بعض الخيام فلما رأى الامير عراز ذلك شق عليه وقال
لبرقوق أنا نزلت بسوار من القلعة وحلفت له انكم لا تشوشوا عليه فكيف يبقى أحد يا من
لكم فاحرق برقوق بالامير عراز اخرافاً فاحشاً وبعالكه فخرج عراز من عند برقوق وهو
غضبان وكان الامير يشبك حلف للامير عراز أنه اذا قابله سوار لا يقبض عليه ولا يشوش
عليه فلما نزل اليه سوار ندب برقوق الى ما فعله بسوار وكان هذا عين الصواب ودع الامير عراز
يغضب فلما تحقق العسكر القبض على سوار قاموا على حية وقصدوا التوجه الى الديار
المصرية وهذا المختص ما وقع في أمر القبض على سوار واستمر الامير عراز غضبان من الامراء
حتى دخل الى القاهرة فلما قبض على سوار خلع الامير يشبك على شاه بضاع أنحى سوار وقرره
عوضاً عن أخيه في امريه الأبلستين وفي صفر جاءت الاخبار بأن تاني بك السيفي الماس
الاشرفي نائب البيرة وفيه توجهه الى تابكي أربك الى نحو البحيرة فغاب أياماً ثم

عادم من هنالك ومعه جماعة من العربان المنسدين وهم في الحديد فرسم السلطان بسجنهم في
المقشرة وفيه عرض السلطان أولاد الناس وأمرهم بأن يلعبوا بالرمح بين يديه حتى
يتحنهم في ذلك ويعلم من يلعب بالرمح ومن لا يلعب فحصل لهم غاية المشقة لاجل ذلك
ووجعهم بالكلام وربما قصد الاخراج بهم وفيه عزل السلطان قاضي القضاة سراج الدين
ابن حرير المالكي ووكّل به بالطبقة ثم خلع على برهان الدين اللقاني أحد نواب الحكم وقرره في
قضاء المالكية عوضا عن ابن حرير واستقر ابن حرير في الترسيم وفيه كتب السلطان عدة
فتاوى وأخذ عليه خطوط مشايخ العلم والقضاة في أمر سوار فاقتوه بأنه خارجي وأنه لا يبقى
في قيد الحياة وفيه ضرب السلطان ثلاثة من عماليكه الجلبان ومعهم آخر من المماليك
الحشقدية فضر بهم ضربا مبرحا وقد بلغه بانهم سكر واوعروا على الناس ثم نفي المملوك
الحشقدى الى البلاد الشامية وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو دمياط ورشيد
وغير ذلك من البلاد فسار في البحر في عدة مرات وكان صحبته الاتابكي أزيك والامير أزيك
اليوسفي وغير ذلك من الامراء واستمر السلطان غائبا في هذه السفرة نحو من ثلاثة عشر
يوما وقد تنزه في هذه السفرة وطاف عدة بلاد ثم عاد الى القاهرة وفيه أحضر الى القاهرة
جماعة من الافرنج قبض عليهم نائب نغرا الاسكندرية وكانوا يعشون بسواحل البحر الملح
فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم في المقشرة فأسلم منهم جماعة وجماعة سجنوا بالمقشرة
وفيه حضر الشيخ علاء الدين الحصنى وكان خرج بحجة الامير يشبك الدوادار فغضب
عليه وحصلت له كاتبة عظيمة مع يشبك فهرب منه وأتى الى القاهرة واختفى بها وفي
ربيع الاول جاءت الاخبار بان الامير يشبك دخل الى الشام وصحبته سوار فزينت له الشام
زينة حافلة وكان له يوم مشهود فأقام بالشام ثلاثة أيام ورحل عنها الى غزة فلما سمع السلطان
بهذا الخبر أمر بتبييض باب النصر وباب زويلة وضرب عليها الرنوك الذهب ثم أخذ في أسباب
ملاقة الامراء فكسا الامراء المقدمين كل واحد أربعة بدلات وجهز لهم ملاقاتا الى
الصالحية وفيه كان وفاء النيل المبارك حادى عشرى مسرى فنزل الاتابكي أزيك وفتح
السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه دخل الامير يشبك وبقية الامراء والعسكر
الى الخانقاه السرية واقوسية وصحبته سوار واخوته وهم في زناجير فلما وصل الامير يشبك
الى الخانقاه خرج الامراء وأرباب الدولة الى ملاقاته ثم رحل من الخانقاه ونزل الى الريدانية
فخرج القضاة الاربعة وأعيان مشايخ العلماء ثم ان السلطان نادى في القاهرة بالزينة فزينت
زينة حافلة ورجت القاهرة لدخول سوار حتى بلغ أجرة كل بيت على الشارع أربعة أشرفية
وأجرة كل دكان أشرفية ذهب بسبب الفرجة على سوار فخرجت البنات من خدرها تنظر
الى سوار الذى قتل العباد ويمن الاطفال ونهب الاموال فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر

ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثمانمائة دخل الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وصحبته
شاه سوار وكان الامير غرازا التمشي دخل الى القاهرة وهو منقرد عن الامراء ليرافقهم
واستمر غضبا ناسب ما حصل له مع برقوق نائب الشام لاجل قبضه على سوار وقد تقدم ذكر
ذلك ثم ان سوارا دخل قدام الامير يشبك وهو راكب على فرس وعليه خلعة تناسج على
أسود وعلى رأسه عمامة كبيرة وهو في زنجير كبير طويل وراكب الى جانبه شخص من
الامراء العشر اوات يقال له تم الضبع من الظاهرية بالحكمة وفيه وهو مشكوك مع سوار في
الزنجير وكان قدام سوار اخوته وأقاربه وأعيان من قبض عليه من أمرائه عن نزل معه من
قلعة زمنوط وكانوا نحو من عشرين انسانا وهم راكبون على كاديش وعليهم ملا ليط
يض وعلى رؤسهم عمام وهم في زناجير ومشكوك معهم جماعة من أعوان الوالي فشق
الامير يشبك من القاهرة وهو في موكب حافل وقدامه الامراء ممن كان معه في التجربة وعن
كان مقيما بمصر وسارت الاطلاب أمامه شيئا بعد شيء واصطقت الناس على الدكاكين وكان
له يوم مشهود بالقاهرة لم يقع نظيره في الفرجة وكان من نوادر الزمان واستمر الامير يشبك في
ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة فعمل السلطان الموكب في القصر الكبير وقبل الامراء
الارض ثم انتقل الى الايوان فجلس به وكان من حين جدد معاليه لم يجلس به سوى ذلك اليوم
قصدا أن يعرض سوارا هناك فتراجعت عليه الناس فانتقل السلطان الى الخوش وجلس على
الدكة وطلب سوارا هناك فلما مثل بين يديه ونجته بالكلام وعاتبه عتابا لطيفا وسوار ساكت
لم يتكلم ثم ان السلطان رسم بتسليم سوار الى الوالي يشبك بن حيدر فتسلمه هو واخوته ثم
أخرجوا أخاه يحيى كاور الذي كان في البرج وقد قبض عليه قبل ذلك وكان مسجوناً في
القلعة وسلمه للوالي فلما تسلمهم والى القاهرة نزع الخلعة عنه في الحال وأحضر والهم
بجالا فاركبوا سوارا على جمل وألبسوه ملوطة بيضاء وجعل في عنقه طوق حديد وفيه
عامود من حديد طويل وفي رأس العامود جرس حديد فادرس السلطان له بذلك ثم سمروا
اخوته وأقاربه على جبال وهم عرايا ورؤسهم مكشوفة واخوة سوار الاربعة هم أردوانه
الاحد ب واحد ادويحي كاور وسلمان وجماعة من أمرائه فلما سمروهم واركبواهم على
ظهور الجبال نزل بهم من الصليبة والمشاعلية تنادى عليهم هذا جزاء من يخامر على
السلطان واستمروا على ذلك حتى وصلوا الى باب زويلة فشنكوا سوارا وعلقوه في وسط باب
زويلة وأخوه يحيى كاور عن يمينه في الدخول من باب زويلة لصوص باب النصر وأردوانه
عن شماله كذلك وعلقوا حديد ادا دخل الباب وأما سلمان فكان أمر دملج الشكل
فرق الناس له فشفع فيه الامير يشبك وخلصه من الشنكة ثم توجهوا بالباقى الى باب
النصر فوسطوهم بما جمعهم واستمر سوار معلقا حتى مات هو واخوته فأقاموا معلقين يوما

وليلة والناس ينظرون اليهم ثم أنزلوهم وغسلوهم وكنسوا عليهم وتوجهوا بهم إلى
تل عال بالقرب من زاوية كهنبوش فدقنوههم هناك ثم قلعوا الزينة ونجست قنينة سوار
كانهم لم تكن بعد ما ذهب عليها أموال وأرواح وقتل جماعة كثيرة من الأمراء وكسر
الأمراء ثلاث مرات ونهب بر كههم وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق
وغيرهم حتى أن الفلاحين طمعو في الترك وتهدلوا عندهم بسبب ما جرى عليهم من سوار
وكادت أن تخرج المملكة عن الجراكسة وقد أشرف سوار على أخذ حطب وقد خطب له في
البلستين وضربت هناك السكة باسمه ولولا لطف الله تعالى بالناس وأخذال سوار لفسدت
أحوال المملكة جدا وكانت صفة سوار أنه جميل الصورة حسن الشكل مستدير الوجه
أبيض اللون مشرب بحمرة أشبهل العينين أسود اللحية معتدل القامة ضخيم الجسد وكان
في عشر الأربعين من العمر وكانت مخايل الحشمة والراصة محصورة فيه يقرب في الشكل من
القاضي ناظر الخاوص تاج الدين بن المقسى وكان شجاعا بطلا وكان له سعد خارق فيما وقع له
من النصر على عسكر مصر غير ماهرة وكان من أعظم أولاد دلدغار وقد وقع له ما لم يقع
لأحد من أجداده قبله وقد شق على الأمير عزرا قتل سوار على هذا الوجه واستمر غضبا نامدة
وفي واقعة سوار قال المنصوري

يا أيها الملك الذي سطوانه * تغنى عن العسال والبتار

علق سوار فوق باب زويلة * ان كنت منه آخذا بالثار

فلانت تعلم أن ذلك معصم * ما كنت تتركه بغير سوار

وقوله أيضا في الأمير يشبك لما حضر إلى القاهرة وصحبته سوار

منذ وفى الأمير يشبك مصرا * حبذا مصر موطن الأوطار

لبست جل نيلها وتحلى * فندباني زويلة بسوار

انتهى ما أوردناه من واقعة سوار على سبيل الاختصار وفيه حضر إلى القاهرة كسباى
الظاهرى الششقدى الذى كان دودارا ثانيا ونفى إلى الشام فأرسل الأمير يشبك يشفع فيه
فاجيب إلى ذلك فاحضر كسباى صحبته واستمر في داره بطلا حتى مات كما سيأتى الكلام عليه
وفي ربيع الآخر خلع السلطان على برسباى الشمرى وقرره في امرية الخناج بالبحر وقررا الشهابى
أحمد بن الاتابكى تانى بك البرديكى بأمرية الركب الاول وكان متوعكا في جسده فاخذ
يستعفى من السفر فأعفى من ذلك وفيه توفى جاني بك الأبيض أحدا لحجاب وكان قد
جاوز السبعين سنة وكان لا بأس به وفيه توجه القاضي شرف الدين الانصارى إلى جهة
الطينة وكان معه مائة مملوك من مماليك الأمير يشبك الدوادار فلما وصل إلى هناك وجد
في البحر الملح مراكب فيها أفرنج يعبتون بالمسلمين المسافرين فقبض على مركب منها

وأُسِرَ من فيهما من الفروج وأحضرهم صحبة لمساعد وفيه عزل قاضي القضاة الحنفى بن
الشحنة وأمر بالتوكيل به بطبقة الزمام وذلك بسبب ما وقع في عقد المجلس الذى كان بين خوند
شقرا وبين أخته خوند آسية بسبب وقف الظاهر برقوق فتم نصب ابن الشحنة لخوند شقرا
فحق السلطان منه وعزله وكان في نفسه منه شئ بسبب ولده عبد البر وكانت هذه آخر ولايته
للقضاء ولم يل بعدها القضاء واستمر في الترسيم بطبقة الزمام بسبب تعلقات أوقاف الحنفية
ثم إن السلطان خلع على الشمسى شمس الدين محمد الامشاطى وقرره في قضاء الحنفية عوضا
عن محب الدين بن الشحنة بحكم انفصاله عن القضاء فاقبض عليه شعار القضاء ونزل من
القلعة في موكب حافل وكان قد منع من الولاية نهاية المنع فالزمه بذلك السلطان وفيه شفع
الاتابكي في قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة فنقل الى بيت كاتب السر حتى يقيم
حساب أوقاف الحنفية وفي جادى الاولى توفي دقاق الاشرفى الاينالى نائب القدس
وكان شابا حسن الشكل موصوفا بالشجاعة وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب
بأن حسن بك الطويل ملك العراقيين قد جمع من العساكر ما لا يحصى وهو زاحف على بلاد
السلطان وقد بعث ولده محمد مع عسكر ثقیل وقد وصلوا الى الرها فكثر القتال والقتيل
بين الناس بسبب ذلك فاصدق العسكران خدت عنهم فتنة سوار فانتشى لهم فتنة
حسن الطويل وزاد الكلام بين الناس بأن هذا ما هو مثل شاه سوار وان هذا لا يطاق
فقلق السلطان والعسكر لهذا الخبر فكان كما قيل في المعنى

شكوت جلوس انسان ثقیل * فجانا آخر من ذلك أثقل

فكنت كن شكا الطاعون يوما * فجاءه على الطاعون دة

وفي جادى الآخرة عين السلطان تجريدة الى حسن الطويل وعين بهما من الامراء المقدمين
ثلاثة وهم جاني بك قلقيسير أمير سلاح وسودون الافرم وقراجا الطويل الاينالى وعدة من
الامراء الطبليخانات والعشراوات ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك فلما عينهم انفق عليهم
وأمرهم بالمسير الى حلب بسرعة من غير تأخير وفيه وقع تشاجر عظيم بين الامير يشبك
الدوادرو وبين الامير خاير بك بن حديد وذلك بحضرة السلطان وكان سبب ذلك
صحاح الكاشف فانه وقع بينه وبين الامير خاير بك بسبب بلاده التى فى اليوم فتم نصب
الامير يشبك لاصحاب فوق بينهم ما لا خفيه وفيه أخرج السلطان مقدمة سودون
الافرم وقد استعنى من السفر الى حسن الطويل فلما أخرج عنه المقدمة أنتم بها على
بجماس الاسدافى ورتب لسودون الافرم ما يكفيه وبقي طرخانا بمصر وفيه شفع في جاني بك
المثد الاشرفى برسباى وكان مقيما بالقدس بطلا فحضر الى القاهرة ورتب له ما يكفيه
واستمر مقيما بداره مدة حتى مات وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر حسن الطويل

قد استولى على كتناوكر وبعث مكاتبة مكتوبة بجاه الذهب الى شاه بضاع صاحب الابلستين بان يسلم اليه القلاع التي حوله ولا يخرج عن طاعته وأرسل له في المكاتبة الناظر من جهة بامامناه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ثم هده في مكاتبته بأنه متى خلفه يحصل له منه ما هو كيت وكيت فإرسل بضاع المكاتبة للسلطان فلما قرأها السلطان وعلم ما فيها انزعج لذلك ونأثر ثم عين الأمير يشبك الدوادار باش العسكر وعين تجريدة أعظم من الاولى التي عينها قبل ذلك فعين به امن الامراء المقدمين يشبك الدوادار وامينال الاشقر وبرسباى قرا ومن الامراء الطبليخانات والعشراوات عدة وافرة وكتب من الجند فوق التي عماله ثم اتفق عليهم وأخذوا في أسباب الخروج الى السفر فخرجت التجريدة الاولى قبل ذلك وكان باش العسكر جاني بك فلقسيير أمير سلاح ومن معه من الامراء فلما رحل من الريدانية خرج الأمير يشبك ومن معه من الامراء فخرجت لهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود وفي رجب الماصد القضاء للتمنشة بالشهر صعد معهم الشيخ أمين الدين الاقصراني فأخذ السلطان يتكلم معه بسبب حسن الطويل فتكلم الشيخ أمين الدين بكلام انزعج منه السلطان وقد تقدم له معه في واقعة سواربعاتكم به في ذلك المجلس وقد تأثر منه السلطان في الباطن وفيه أرسل نائب الشام مكاتبة حسن الطويل الى السلطان وكان أرسل به دده في هذه المكاتبة ويأمره بأشياء لا يمكن شرحها وكتب في صدر المكاتبة يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من حلب بان ورديش نائب البيرة قد قبض على جماعة من عسكر حسن الطويل وكسر جاليشه فسر السلطان به ذا الخبر وفيه وصل الى القاهرة من بلاد جركس اخت السلطان واسمها جان كين ومعها ولدها فصدت الى القلعة في محفة وحولها الخدام وحضر معها عدة نساء جراكسة وفيه رحل الأمير يشبك هو وعسكره من الريدانية وكان مصروف السلطان على هذه التجريدة فيما أنفق مبالغ أربعة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار خارجا عن أشياء كثيرة بعث الامراء فلما وصل الأمير يشبك الى الخايفة نزل اليه السلطان وودعه هناك واجتمع به في خلوة وعرض عليه مكاتبة حسن الطويل التي بعثها الى نائب الشام وفي شعبان ثارت جماعة من المماليك الجلبان على شرف الدين ابن كاتب غريب وكان متكاما في الوزارة والاستادارية عن الأمير يشبك فتوجهوا الى داره وكسروا أبوابه فهرب واختفى وكانت هذه أول حوادث الجلبان في الفتك واستمرت الحوادث منهم تتزايد حتى كان منهم ما سذكروه في موضعه وفيه حضر قاصد نائب حلب وأخبر أن نائب حلب قبض على عثمان ابن أغلبك وشخص آخر كان استادارا على مقدمة حسن الطويل التي كانت بحلب وقبض على جماعة آخرين نحو من أربعين نفرا وقد نسبوا الجميع الى المواطأة مع حسن

الطويل وكانوا يكاتبونه بأخبار المملكة وأمر نائب حلب بشنقهم وفيه هلك بترك النصارى الملكية وهو فخر بن الصيقي وكان في النصارى لابأس به وفيه كانت وفاة الشيخ فخر الدين المسمى وهو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان الشافعي وكان من أعيان علماء الشافعية وكان عالما قاضيا بارعا في الفقه دينا خيرا وافر العقل وذكر بأن يلي القضاء الا كبر غير ماهرة وولى عدة تداريس جليله منها مشيخة الحديث بالشيخونية وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما مات قرر في مشيخة الحديث بالشيخونية الشيخ جلال الدين السيوطي عوضا عن الشيخ المسمى وفي رمضان نزل السلطان الى داره سر يعوده وكان منقطعاً عن الركوب فسلم عليه وعاد الى القلعة وفيه وصل ركب من المغاربة من تونس وكان صاحبهم الحرة زوجة صاحب تونس وحضر صحبتها قاضي الجماعة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عرا القلجاني وكان من فضلاء علماء الملكية فأكرمه السلطان والامراء ورأى من العز والعظمة حظا وافر وفيه صلب على باب زويلة جارية سوداء قد قتلت ستمائة امرأة القاضي اللقاني المالكي بصلبها حتى تموت وفيه توفي جاني بك قرا العلائي الاشرافي أحد الامراء العشر اوات وشاد الشون وكان لابأس به وفيه توفي أيضا أرغون شاه استادار الصحة ونائب غزة كان وهو الذي قبض على الظاهر ثم بغي المال تسحب من دمياط وكان أصله من مماليك الاشراف برسبى وكان محمود السيرة وفيه ختم البخاري بالقلعة وكان ختما حافلا وخلع فيه السلطان على التضة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفي شوال جاءت الاخبار بوفاة برقوق الناصري الظاهري نائب الشام وكان أصله من مماليك الظاهر حقهق وكان شجاعا بطلاما قد اقام في الحرب عارفا بأنواع الفروسية في فنون لعب الرمح والرماية بالنشاب وولى عدة وظائف سنينة منها شادية الشرايخانة ثم تقدمه ألف ثم نيابة الشام ومات بها وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما حضر سيفه أظهر السلطان الحزن والبكاء وتأسف عليه وكان عنده بمنزلة الاخ ثم أمر بإحضار أولاده وعياله الى القاهرة ثم رسم بنقل جثته الى القاهرة ليدفن في تربته التي بباب القرافة وكان لبرقوق بر ومعروف وهو الذي أنشأ القبة على ضريح العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى ورزى عنه وفيه توفي الاتابكي جرباش كرت المجدي الناصري وكان طرخانا الى أن مات بمصر وكان قد قارب التسعين سنة من العمر وأصله من مماليك الناصر فرج وكان أميراً جليلاً لا حشم له ريداً ولى عدة وظائف سنينة منها الامير اخو رية الكبرى وامرية مجاس وامرية سلاح ثم بقي أتابك العساكر بمصر وترشح أمره الى أن يلي السلطنة لما وثبت جماعة الاشراف على الظاهر خشم قدم كما تقدم وكان متزوجاً بخونندش قرا بنت

اسـ تاذـهـ الناصـر فرج ثم نقي بعد ما وقع له ما ذكر الى دميـاط ثم أحضر الى القاهرة ومات بها وجرى عليه شـدائد ومحن كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

وفيه جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار دخل الى حلب وكان له يوم مشهود فلما استقر بحلب قدم عليه قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده مكاتبة شرحها انه ارسل يطلب جماعة الذين أسروا وسجنوا بحلب وانهم اذا أطلقوهم يطلق من عنده من الاسرى وكان عنده دولات باي النجـمى الذى كان نائب ملطية وجماعة آخرون فلم يلتفت اليه يشبك ولا أجابه عن ذلك بشئ وفيه توفى الزينى عبد الرحمن بن الكوين الذى كان ناظر الخاص وهو عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن خليل وكان أصلهم نصارى من الشوبك وحضر جدهم داود صحبة المؤيد شيخ لما قدم الى مصر وكان عبد الرحمن رئيسا حشما فى سعة من المال وولى عدة وظائف سنـية منها نيابة الاسكندرية ثم ولى الاستاذارية ونظر الخاص ثم جرى عليه شـدائد ومحن وفر الى بلاد ابن عثمان ملك الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر وكان يدعى أنه يعرف علم لحرف وكان له نظم سافل ومولده فى سنة ثمانمائة وفيه توفى نوروز الاشرفى كاشف الوجه القبلى وكان لا بأس به وفيه خرج الحاج على العادة وكان الشهابى أحد ابن الاتابكى تانى بك أمير ركب الاول مر يضا على غير استواء فلم يرق له السلطان وخرج على غير استواء وهو فى محفة فى النزاع فلما وصل الى بركة الحاج مات ليلة الرحيل وكان حشما متآتبا رئيسا وكان من الامراء العـشـراوات وتوجه الى الحجاز أمير ركب الاول غير ماهرة وكان مولده بعد العـشـر والثمانمائة فلما بلغ السلطان موته طلب جاني بك الاشقر أحد عماليكه وخواصه ورسم له بان يتوجه أمير ركب الاول عوضا عن الشهابى أحد بن تانى بك فتسلم جميع بركه وجاله وسافر على الركب الاول ثم حل الشهابى أحد الى القاهرة وغسل وكفن وصلى عليه ودفن فعـد ذلك من النوادر الغريبة ولم يكن يمر الحج على بال جاني بك فى هذه السنة فكان كما قيل

الاغما الاقسام تحرم ساهرا * وآخريأتى رزقه وهونام

وفيه أرسل السلطان خلعتين احدهما الى جاني بك فلقـسـير أمير سلاح بان يستقر فى نيابة الشام عوضا عن برقوق بحكم وفاته وكان المشار اليه بالتجريدة فتوجه الى الشام واستقر بها وأما الخلعة الثانية فبعث بها الى اينال الاشقر بان يستقر فى امرية سلاح عوضا عن المذكور المتقدم وفى ذى القعدة طلع الخليفة المستنجد بالله يوسف ومعه القضاة الاربعة ايـهـنوا السلطان بالشهر على العادة فتكلم الخليفة مع السلطان فى امر ابنته ست الخلفاء التى كان عقد عليها اخت كلدى السيفى فطال الكلام فى ذلك وانفض المجلس على غير طائل ثم فسخ

عقدها عن خشكدي فيما بعد وفي هذا المجلس تكلم السلطان مع قاضي القضاة الخنقي
شمس الدين الامشاطي في اقامة قاض برسم حل الاوقاف والاستبدالات فقال ان
السلطان له ولاية التدويض الى من شاء من النواب وأما أنا فلا ألقى الله تعالى بحل وقف
ولا بعمل استبدال وقام من المجلس كالغضبان فتأثر السلطان منه في الباطن رحمه الله تعالى
ورضى عنه وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الامير يشبك بعث جماعة من العسكر الى
البيرة لقتال عسكر حسن الطويل وقد بلغه أن حالهم ثلاثي الى الفرار وأن حسن الطويل
أرسل يكاتب الافرنج ليعينوه على قتال عسكر مصر وهذا أول ابتداء عكسه لكونه أرسل
يستمع بالافرنج على قتال المسلمين وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان ملك الروم أرسل
قاصده الى الامير يشبك بأن يكون عوناً للسلطان على قتال حسن الطويل فأكرم
القاصد وأرسل صحبته القاضي شمس الدين بن أجا قاضي العسكر بأن يتوجه الى ابن عثمان
وعلى يده هدية حافلة ومكاتبة بأن ينشئ بينه وبين السلطان مودة بسبب أمر حسن الطويل
وفيه وصل الى السلطان مكاتبة من عند ابن الصوام حلب يخبر فيها بأن الامير يشبك قد
انتصر على عسكر حسن الطويل ورحلهم عن البيرة وأن ولد حسن الطويل قد جرح
جراحات بالغة وآخر من أولاده أصيب في عينه ووقع بين الفريقين مقتلة شديدة وقتل في
المعركة شخص من الامراء العسراوات يقال له قرقاس المصارع المعروف بالعلاني أمير اخور
رابع وكان صهر مؤلف هذا التاريخ زوج أخته وكان انساناً حساناً ديناً خيراً موصوفاً
بالشجاعة والفروسية علامة في رمي النشاب والصراع أصيب بسهم في صدغه فمات لوقته
ولم يقتل في هذه المعركة أحد من العسكر سواه ثم رحل عسكر حسن الطويل من البيرة وقد
خذلهم الله تعالى بعد ما عتدوا من الفرات وطرقوا البلاد الحلبية من أطرافها فردهم الله
تعالى عن المسلمين وقد قالت الشعراء في هذه النصر عدة مقاطيع فمن ذلك قول شمس
الدين القادري

أيأحسن الطويل بعثت جيشاً * كأغنام وهن لنا غنائم
فنار الحرب قد قتلت سواراً * وأنت لسبكها لاشك خاتم
وقال المنصوري

هل عارف بالخارجي المعتدي * يخبر اليك باسمه ووصفاته
قالوا نعم حسن فقلت هلاكه * قالوا الطويل فقلت ليل شتاته
وقوله أيضاً

أيها العسكر الذي سارق صيدا * لقتال الطويل لا تنظروه
لا تطيلوا مع العدو كلاماً * في ونى الحرب والطويل اقصروه

وقال محمد بن شادبك

عروس الحرب تقطعها المواشى * بارواح الاعارب والاعاجم
وقد جلّيت وفي يدها سوار * وهما حسن لكف الحرب خاتم
وقوله أيضا

أياحسن الطويل قصرت عمرا * وفاتتك المعالي والمغانم
سوار قد سبكناه ابتداء * وأنت يناره للسبب خاتم

وفي هذا الشهر كسفت الشمس كسوفاً عاماً وأظلمت الدنيا واستمر الكسوف نحواً من ثلاثين درجة وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وقد أتى من جهة البحر الملح فأكرمته السلطان وأحضر صحبته مكاتبة حسن الطويل إلى ملوك الأفرنج بأن يحشوا على ابن عثمان وسلطان مصر من البحر وهو عيسى عليهم من البر وقد ظفر هذا القاصد بقاصد حسن الطويل وهو قاصد نحو بلاد الأفرنج فقبض عليه في أثناء الطريق وهو في مركب وأسره ثم إن القاصد أقام بمصر أياماً وأضافه السلطان وأذن له في السفر وخلع عليه ثم إن السلطان عين دولابى حمام الأشرفى بأن يتوجه قاصداً نحو ابن عثمان وفي ذى الحجة تغير خاطر السلطان على الأمير خاير بك بن حديد الأشرفى وأمره بلزوم داره وهذه أول كائنة وقعت له ثم جرى عليه بعد ذلك ما هو أعظم من ذلك فأقام بداره أياماً لا يركب ثم بعث السلطان خلفه إلى ضرب الكرة فلما طلع إلى القلعة وضرب الكرة اتفق أن السلطان قد سقط من يده الصولجان فترجل خاير بك عن فرسه وناوله للسلطان فخلع عليه وأركبه فرساً من خيوله ونزل إلى داره وهو مكرم وفيه توفى جانباً للنفاس المؤيدى وكان أمير عشرة ولكن مات طرخانا وتوفى طوخ النوروزى وكان أمير عشرة ومات طرخانا وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بأنه لما وصل المحل العراقى ودخل المدينة الشريفة كان أميرهم شخص يقال له رستم وصحبته قاض يقال له أحمد بن وجيه فضيقوا على قضاة المدينة وأمرهم بأن يخطبوا في المدينة باسم الملك العادل حسن الطويل خدام الحرمين الشريفين فلما خرجوا من المدينة وقصدوا التوجه إلى مكة كاتب أهل المدينة أمير مكة بما وقع منهم فخرج إليهم الشريف محمد ابن الشريف بركات ولا قاهم من بطن مرقبى أن يدخلوا إلى مكة وقبض على رستم أمير ركب المحل العراقى وقبض على القاضى الذى صحبته وعلى جماعة من أعيانهم وأودعهم فى الحديد ليبيعهم إلى السلطان ثم أطلق بقيّة من كان فى ركبهم من الحجاج ولم يتعرض لهم وفيه جاءت الاخبار بوفاة الشيخ المسالك العارف بالله تعالى سيدى ابراهيم بن على بن عمر المتبولى رحمه الله تعالى توفى بأسدود بالمثوبة ودفن بها وكان خرج إلى زيارة بيت المقدس فأدركته المنية هنالقات وكان خيراً ديناً مباركاً وللناس فيه اعتقاد حسن وكانت شفاعته عند

السلطان والامراء لا ترد وكان له بر ومعروف وأنشأ بركة الحاج حوضا وسيلا وبستانا
 وكان يأوى الفقراء والمنقطعين وكان نادرة في عصره صوفي وقته وفيه جاءت الاخبار بوفاة
 عالم سمرقند العلامة الشيخ علاء الدين علي بن محمد الطوسي البتاركاني الحنفي وكان له شهرة
 ببلاد سمرقند وألف في العلوم الجلية وكان من أعيان علماء الحنفية وفيه توفي اياس
 الطويل المحمدي الناصري الذي كان نائب طرابلس الذي تدم ذكره وفيه من الوقائع
 ان البرهان البقاعي وقاضي الجماعة أبو عبد الله القلجاني المغربي المالكي وقع بينهما بحث في
 بعض المسائل فوقع من البرهان البقاعي في ذلك المجلس جواب ضبطه عليه قاضي الجماعة
 وصرح بكفره وأشهد عليه وأراد أن تقام عليه الدعوى عند قاضي القضاة المالكي فلما علم
 كاتب السر بن مزهر بذلك طلب البقاعي عنده وحكم بعض القضاة بحقن دمه ولولا كاتب
 السر ما حصل للبقاعي خير والذي جرى على البقاعي بسبب سيدي عمر بن الفارض رحمه الله
 ورضي عنه فانه كان رأس المتعصين عليه واستمر البقاعي في عكس حتى مات

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتاع
 الرطل الاثم السليخ ثمانية نقرة والبطنة الدقيقة بأربعة أنصاف ووقع الرخاء في سائر الحبوب
 وابتاع القنطار البطيخ العبد لاوى بثلاثة أنصاف ووقع الرخاء في سائر المأكولات فاطمة
 وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بأن الافرنج قد عيشوا ببعض سواحلها وأسر وامن
 المسلمين تسعة أشهر وفعلا واما ذلك بشعر دمياط فلما جرى ذلك عين اهلهم السلطان في الحال
 الامير محمد بن قجماس الاسحاقي أحد مقدمي الالوف وأمره بالخروج من يومه فخرج بعد
 العصر وسافر من البحر في عدة مراكب وأمره السلطان أن يتبع الفرنج حيث ساروا
 وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نوى وقد أضافه هناك ابن طيفيش ضيافة حافلة
 وأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه رسم السلطان بعزل القاضي القمي المالكي
 أحد نواب الحكم بسبب حكمه فشكا انخلصم الى السلطان بأنه جار عليه فحق منه
 السلطان وأمر بعزله وفيه وصل الحاج وصحبته ابن أمير مكة والقاضي برهان الدين بن
 ظهير الشافعي وولده أبو السعود وأخوه وأحضر وصحبتهم رسم أمير الحاج العراقي
 والقاضي اللذان بعث بهما حسن الطويل وصحبتهما كسوة الكعبة المشرفة وأمر أهل
 المدينة والكعبة بأن يخطبوا فيهم باسم العادل حسن الطويل فسجن السلطان رسم
 والقاضي في البرج الذي بالقلعة وتأخر الحاج في السنة المذكورة عن مياعده ثلاثة أيام
 بسبب موت الجمال وقلة المياه ثم أرسل خاير بك الخشقدمي الذي سمي سلطان ليلة يسأل
 فضل السلطان بأن ينقله من مكة الى القدس ليقوم بها حتى يموت فشفع فيه الامير
 يشبك الجمالي فأجيب الى ذلك ونقل من مكة الى القدس وحضر محبة الحاج الشيخ

ساد الاذري بجاني الحنفى وهو شيخ تربة الامير يشبك الدوادار وفي صفر خلع
السلطان على القاضى ابراهيم بن ظهيرة وأعادته الى قضاء الشافعية بمكة ونزل من
القلعة في موكب حافل ومعه القضاة الاربعة وأعيان الدولة وفيه خلع السلطان
على عمراز القمشى وقرره في رأس النوبة الكبرى عوضا عن اينال الاشقر بحكم انتقاله الى
امرية سلاح وفيه عين السلطان برسباى الاشرفى استادار الصحة بأن يتوجه قاصدا الى
ابن عثمان ملك الروم وصحبته هدية سنمية وفي ربيع الاول كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى
خامس مسرى الموافق لخامس ربيع الاول فلما أوفى توجه الامير لاجين الظاهري أمير
مجلس وفتح السد على العادة وفي ذلك اليوم نودى على النيل بزيادة اثني عشر اصبع بعد سبعة
عشر ذراعا فكان زيادته ثلاثة أذرع في ستة أيام وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة
فلم يحضر فيه من الامراء المقدمين سوى ثلاثة أنفار وكان أكثر الامراء غائبين في التجريدة
وفيه توفى القاضى زين الدين عبد القادر بن عبد الرحيم بن الجيعان وكان رئيسا حشما
كثيرا العشرة للناس ومات وهو في عشر الحسين وفيه جاءت الاخبار بملك صاحب
قبرس وهو جاكم بن جوان بن حينوس الكيتلاني وكان من أعيان ملوك الافرنج وهو
الذى حضر الى الديار المصرية في دولة الاشرف اينال وكان شابا حسنا في شكله فلما هلك
تولى من بعده أخوه وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان بعث عسكريا لمحاربة حسن الطويل
فسر السلطان لذلك وفيه توفى الامير يشبك الفقيه بن سلمان شاء المؤيدى الذى كان
دوادارا كبيرا في دولة الظاهر خشف قدم ثم نقي الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى القاهرة وأقام
بها بطلا حتى مات وكان دينه اخيرا وله اشتغال بالعلم وكان قد شاخ سنه وقاسى شدايد
ومحنات ومات ولده قبله بعدة يسيرة وغص عليه وكان ولده شابا حسنا مليح الشكل مشهورا
بالفروسية وقد تقدم ذكر ذلك وفي ربيع الاخر أطلق السلطان رستم أمير الحاج العراقى
وأطلق القاضى الذى صحبته وخلع عليه ما وبعثهم الى بلادهم اترضا لخطر حسن
الطويل وقد أشار بذلك الامير يشبك الدوادار وفي جمادى الاولى جاءت الاخبار بوفاة
الاشرفى استادار الصحة الذى توجه قاصدا الى بلاد ابن عثمان وكانت وفاته بحلب وكان
لابأس به في ذاته وفيه خلع السلطان على الماس الاشرفى أخذ خواصه وقرره في استدارية
الصحة عوضا عن برسباى الشرفى بحكم وفاته وعين قاصدا الى ابن عثمان وفيه خلع
السلطان على جاني بك الاشرف الدوادار وقرره في امرية الحاج بركب الحمى وخلع على
قائصوه خمسمائة الخاصكى أحمد عماليك السلطان وقرره في امرية الركب الاول
وقائصوه هو الذى تسلطن ولم تتم له السلطنة وجرى له ما جرى وفيه أمر السلطان
بتوسيط عبد صغير السن قد ذبح سيدته وأخذ مالها وهرب فقُبض عليه من ليلته وفي

جمادى الآخرة تار جاعة من الممالك الجلبان على السلطان بالقلعة ومنعوا الامراء من
الصعود واستمر الحال على ذلك غداة ذلك اليوم حتى سكن الامر قليلا بعد ما قصدوا جاعة
من خواص السلطان وفيه من الوقائع الغريبة ان شخصا جلبيا كان عنده مسن من
الرخام الاخضر له عنده نحو من ثلاثين سنة فاتفق أن ذلك المسن سقط من يد صاحبه
فانكسر نصفين فخرجت منه دودة غريبة الشكل فدخل يده اليها وأخذها بقلبها
فلدغته في اصبعه فاضطرب ساعة ووقع لوقته ميتا وهذا من غريب الاتفاق وفيه أرسل
يشبك يسأل في الحضور فان العسكرة دقلق من قلة العليق فلما بلغ السلطان حلق
واغتتاظ ثم أذن لهم بالحضور بعد ذلك وفي رجب نزل السلطان وتوجه الى الرماية ببركة
الحبش فاصطاد ثلاثة كراكي وعاد من يومه وشق من القاهرة في موكب حافل وفيه تار
جاعة من الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء والمباشرين من الصعود الى القلعة وكان
رأس الفتنة شخص من ممالك السلطان يقال له علي باي الخشن فلما جدت هذه الفتنة
ضربه السلطان نحو من ألف عصا ونفاه الى الشام فجاءت الاخبار بعدمدة بأنه سقط عليه
حائط ومات تحت الردم ففرح فيه غالب الناس وفيه جاءت الاخبار باستقرار قراجا الطويل
الى النبالى في نيابة جاء عوضا عن بلاط اليشبيكي بحكم صرفه عنها وحل بلاط عقيب ذلك
الى السجين بقلعة دمشق ومات في السجن بعد مدة يسيرة وكان قد شاخ وجاوز السبعين
سنة من العمر وفي شعبان عاد الاتاكي أزبك من البحيرة وخلع عليه السلطان ونزل الى
داره في موكب حافل وفيه حضر من الجند جاعة كثيرة ممن كان في التجريدة صحبة الامير
يشبك الدوادار فلما حضروا اختفوا بالقاهرة ولم يظهروا وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن
أبا بكر بن مزهر كاتب السر عطس بحضرة السلطان فشمته السلطان مرتين فعند ذلك من
النوادر وفي رمضان أنعم السلطان على تغرى بردى طر بتمدية ألف وهى مقدمة
بجماس الاصاقي مضافة الى مقدمة قراجا الطويل الى النبالى وقد انتقل الى نيابة جاء وفيه
قرر ملاح اليوسفي الظاهري في نيابة القلعة وفيه كان دخول الامير يشبك الدوادار الى
القاهرة وقد عاد من التجريدة فكان يوم دخوله يوما مشهودا فخلع عليه السلطان ونزل
الى داره في موكب حافل وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وخلع في ذلك اليوم على قضاة
القضاة ومشايخ العلم وقررت الصر على الفقهاء وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ
زين الدين خطاب بن عمر بن مهنابن يوسف بن يحيى العجلوني وكان عالما فاضلا مفتيا من
أعيان الشافعية ومولده سنة تسع وثمانمائة وفي شوال كان موكب العيد حافلا حضر
في ذلك اليوم بالقلعة قاضي مكة البرهان بن ظهيرة وولده أبو السعد وأخوه البرهان بن
ظهيرة وكان الشريف بركات ابن أمير مكة حاضرا وجاعة من أعيان مكة فخلع السلطان

على الجميع في ذلك اليوم وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل جاني بك الاشقر
وأمر ركب الاول فانصوه وخسمائة فالتزم الامير يشبك بعمل بركة من ماله وكان الامير
يشبك قد عقد على أخت فانصوه وصاهره وخرج صحبة الحاج شاهين نائب جدة وخرج
القاضي ابراهيم بن ظهيرة وجماعته وابن أمير مكة قاصدين التوجه الى مكة المشرفة
شرفها الله تعالى وعظمها وقد أوردوا للسلطان في هذه الخطرة نحو مائة ألف دينار
فأكرمهم السلطان وأجلهم ورتب لهم ما يكفيهم من الاسمطة وغير ذلك وأنزلهم في بيت أم
ناظر الخاص يوسف الذي ببركة الرطلي ورأوا فيها بحجة أيام النيل ثم بعد ذلك سافروا وفيه
وقف الامير يشبك الدوادار الى السلطان واستعفى من الوزارة ومن الاستادارية فاجابه
السلطان الى ذلك ولكن حتى يغلق سنته وكان من أمره ما سئذكره وفي ذي القعدة
رسم السلطان يشبك الجمالي بان يخرج قاصدا لابن عثمان ملك الروم وأبطل الماس الذي
كان قد تعين قبل ذلك وفيه تزوج ازدمر الطويل الاينالى بينت الملك المنصور عثمان بن
الظاهر جقمق وكان له مهم حافل وفيه نار جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى جهة
بولاق فنهبوا ما فيها ثم قصدوا شونة الامير يشبك الدوادار فنهبوا ما فيها وصاروا يأخذون
جمال السقايين ويحملونها ما نهبوه من الشيعير فلما تزايد الامر منهم نزل السلطان وهو
سائق ومعه مقدم المماليك ولكن ما نزل الا بعد فوات الامر وحصل منهم في ذلك اليوم غاية
الضرر للناس من نهب وخطف بضائع الناس وغير ذلك فمات السلطان تلك الليلة في
جامع زين الدين الاستادار الذي ببولاق فاضافه تلك الليلة بعض قضاة بولاق وهو القاضي
تقي الدين البرماوى امام الجامع المذكور وخطيبه ضيافة طافلة فشكره السلطان ذلك
وفي ذي الحجة قصد جماعة من المماليك الجلبان الانراق بالامير يشبك الدوادار وقصدوا قتله
ففر منهم ووجه الى نواحي الجزيرة حتى تخمد الفتنة قليلا فاستمر غائبا نحو مائة وخمسة عشر
يوما في هذه المدة كثر القاتل والقتيل بين الناس وامتنع الامراء من الصعود الى القلعة
والسلطان مقيم بالدهيشة كالغضبان من ممالكه والابواب مغلقة عليه فطلع الاتابكي
أزبك وأزبك اليوسفي وتمر حاجب الحجاب وكاتب السر وشرف الدين الانصارى وآخرون
من الامراء على أنهم يتلطفون بالسلطان ويمشوا بينه وبين ممالكه بالصلح فامتنع السلطان
من ذلك وصمم على عدم الصلح مع المماليك ثم خرج الى الخوش وجلس على الدكة وطلب
من كان رأس الفتنة في هذه الحركة وهو شخص من المماليك يعرف بالاقطش فأمر
بتوسطه فجدوه من ثيابه في الحال فشفع فيه الامراء فلما أجاب الابعد جهد كبير ثم
ضرب ذلك المملوك فوق ألف عصا وسجنه بالبرج وهذا كله جرى والامير يشبك غائب في
الجزيرة لم يحضر الابعد أيام حتى سكنت هذه الفتنة وفيه حضر الملك المنصور عثمان بن

الظاهر جقمق بطلب من السلطان وهذه ثانی مرة حضرها الى القاهرة فلما حضر أكرم
السلطان وخلع عليه ونزل في دار الاتابكي أزيك عند أخته ثم أمره بالصعود الى القلعة
لضرب الكرة مع الامراء وعمول معاملة السلاطين في ارجاء البند الاصفى وتغيير الفرس
في مكان يغريه السلطان فرسه حتى عت ذلك من النوادر التي ما وقعت قط وأقام الملك
المنصور بالقاهرة نحو شهرين حتى عاد الى دمياط وكان في غاية العز والاکرام ووقع له أمور
ما وقعت لاحد من أبناء الملوك قبله وكان حضوره الاول بسبب الحج وهذه المرة بسبب زيارة
السلطان وفيه جاءت الاخبار بوفاة البدری حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق وكان
رئيسا حشماولى عدة وظائف سنية وفيه توفي الامير سودون الافرم المحمدى الظاهري وكان
أحدمق دمی الاولف ولكن مات وهو طرخان وكان بيده امرية عشرة يأكلها حتى مات
وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدي محمد الاسلام بولي رجة الله تعالى عليه وكان يعرف
بالاقباعى وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ومكاشفات خارقة وفيه جاءت الاخبار
بوفاة ملك التكرور رجة الله تعالى وكان من أجل ملوك التكرور قدرا وفيه توفي عبد
القادر بن جاتم نائب الشام وكان شابا حسنا لا بأس به وتوفي في هذه السنة جماعة كثيرة
من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم قدم قاصد حسن الطويل وعلى يده
مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان منه وأن ذلك لم يكن باختياره فاکرم السلطان ذلك
القاصد واطهر العقو عما جرى منه وكان أشيع عن حسن الطويل أنه قتل وأظهر بعض
التركان قيصه وهو ملطخ بالدم ثم ظهر كذب هذه الاشاعة وقد ذكر موته غير ماهرة ثم يظهر
أنه كذب وفي صفر أمر السلطان بقطع خصيتي شخص من الاتراك يقال له شاهين وهو
خازن دارينال الاشقر وكان نقل عنه للسلطان انه فعل الفاحشة ببعض مماليكه الاحداث
وأنه كثير العشرة لهم فقصاه السلطان بمصر العتيقة وبرئ من ذلك بعد مدة وعاش مدة طويلة
ومات وكان ذلك في أيام ظهور شخص يهودى بمصر العتيقة عارف بالاختصاص وفعل ذلك مع
جماعة كثيرة من الناس وبرئوا من ذلك وفي ربيع الاول تغير خاطر السلطان على الامير قانصوه
الخفيف الاينالى أحدمق دمی الاولف فرسم لتقيب الجيش بأن يتوجه الى داره ويخرجه
منفي الى دمياط فتوجه اليه وأخرجه من يومه وحصل لقانصوه الخفيف منه غاية الهدلة
وأخرجه من وج الشوم فكثرت القاتل والقتيل بسبب ذلك وفيه في ليلة الخميس عاشره ثارت
فتنة عظيمة من المماليك الجلبان وقصدوا قتل الامير يشبك وهو في داره فلما بلغ السلطان
ذلك بعث للاتابكي أزيك وبقية الامراء أن يلبسوا آلة الحرب وأن يثبوا على المماليك
الجلبان فاضطربت الاحوال وماجت القاهرة وغلقت الاسواق واتسع أمر الفتنة فأشار

بعض الامراء على السلطان بخموده - هذه الفتنة وخشوا من أمر طائفة الايتالية لانهم
تأثروا بالنفي قانصوه الخفيف فبعث السلطان الماس استادار الصحة ومعه عدة وافرة من
المماليك الجلبان الى دار الامير يشبك الدوادار فقبلوا يده واعتذروا له بما وقع منهم - ثم
فأكرمهم وخلع على الماس كملية بسمور وأرضى الجلبان بالكلام وسكنت الفتنة
قليلا وفيه أنعم السلطان على ورديش نائب البيرة بتقدمة ألف وهي مقدمة
قانصوه الخفيف بحكم نفيه الى دمياط وفيه توفي تم العجمي بن ططخ الظاهري أحد
الامراء العشراوات وكان خشداش الاتابكي أزيك وكان لأبأس به وفيه رسم
السلطان بنقي - ودون المؤيدى فنقاه الى مكة وكان قد نسب الى شئ من أمر الفتنة
الماضية مع المماليك الجلبان وقد وثى به بعض المماليك عند السلطان فنقاه وفيه في ليلة
عيد ميكائيل نزات النقطة وأمطرت السماء في تلك الليلة مطرا غزيرا حتى عد ذلك من
النوادر وفيه بعث الامير يشبك الدوادار الى القاضي علم الدين شاكر بن الجيعان يسأله في
استبدال قاعات البراجمية التي ببولاق ودفع لهم الثمن من ذلك خمسة آلاف دينار وكان
قاضي القضاة الحنفي شمس الدين صمم على عدم الاستبدالات قاطبة فضيق عليه الامير
يشبك حتى استبدل له البراجمية فقامت عليه الألسنة بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار من
القيدس بوفاة خيربك الظاهري الخشقدى الذي سموه سلطان ليلة وكان رئيسا حشما
وجرى عليه شددائد ومحن ونفي في عدة أما كن من البلاد وآخر الامر توفي بالقيدس
الشريف وفيه وفي الميل المبارك وقد توقف أياما وحصل للناس غاية القلق حتى بعث الله
تعالى بالوفاء وكان لعشرين من مسرى فلما وفي نزل الاتابكي أزيك وفتح السد على العادة
وسر الناس بذلك وفيه كان المولد النبوي وكان له يوم مشهود وفي ربيع الآخر ظهر
بالسماء نجم له ذنب طويل وكان يظهر بعد العشاء واستمر على ذلك مدة ثم اختفى وفيه
كانت وفاة العلامة الشيخ زين الدين قاسم بن قطوبغا السودوفى الحنفي وكان عالما فاضلا
فقيه اذ قد اذقا كثيرا النوادر من تيامن أعيان الحنفية وكان مولده في سنة احدى وثمانمائة
وكان نادرة عصره وفيه خلع السلطان على جاني بك الاشقر وقرره في امرية الحاج بركب
المحل وقرر جاني بك الخشن الايتالى في امرية الركب الاول وفيه نفي السلطان بجماعة
كثيرة من مماليكه منهم ايتال الخفيف الذي ولّى حاجب الحجاب فيما بعد وغيره من
المماليك السلطانية ممن أنارتلك الفتن الماضية وفيه قدم للسلطان قاصد من عند ابن
عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة تتضمن الشفاعة في ايتال الحكيم وكان قد جرى عليه
كأنة وفر الى ابن عثمان فقبل السلطان شفاعته وأكرم ذلك القاصد وخلع عليه وأقام
بمصر مدة ثم عاد الى بلاده وفي جادى الاولى في ليلة الجمعة كانت وفاة الامام العالم العلامة

محي الدين الكافيحي وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي وكان اماما عالمافاضل بارعا في العلوم ما هرا في الفقه والحديث والعلوم العقلية وغير ذلك وانتهت اليه رئاسة مذهبه بمصر وصار مفتيا على الاطلاق وألف في العلوم الجالية وكان مهيبا معظما عند السلطان والامراء ولى عدة وظائف منها مشيخة الخاتمة الشيوخونية ومشيخة تربة الاشرف برسباى وغير ذلك وشهرته تغنى عن مزيد التعريف به ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان من أفاضل الحنفية رحمه الله تعالى وفيه يقول المنصوري وقد أضافه في خلوته بحلاوة قرع فقال فيه

يا عين أعيان الزمان ويا * محي بمصر سنة الشرع
لم يقرع الباب امرؤ فحوىكم * الا وذاق حلاوة القرع
ولامات رثاه المنصوري بهذه الايات

بكت على الشيخ محي الدين كافيحي * عيوتنا بدموع من دم المهج
كانت أسارى به هذا الدهر من درر * تزهى فبسدل ذاك الدر بالسيج
فكم ترى من سماح من مكارمه * فقرى وقوم بالاعطاء من عوج
يانور علم أراه اليوم منطفئا * وكانت الناس تمشى منه في سرج
فلورأت الفتاوى وهى باكية * رأيتها من نجيع الدمع في لجج
ولوسرت بثناء عنده ربح صبا * لاستنشقا من شذاها أطيب الارج
يا وحشة العلم من فيه اذا اعتركت * أبطاله فتوارت في دجى الريح
لم يلحقوا شأوعلم من خصائصه * أنى ورتبته في أرفع الدرج
قد طال ما كان يقرينا ويقرئنا * فى حالته بوجه منه مبتهج
سقياله وكساه الله نور سنا * من سندس بسدا الغفران منتج

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو طرا وأقام به الى آخر النهار وعاد وفي عقيب ذلك رسم السلطان بنقى اثنين من الينالية وهذا أول القتلى بهم وفيه توفى سودون المنصوري مات قتيل لا سقط من سطح وكان مشغول الرأس فأتى لوقته وكان شابا حسن الشكل كثير الاسراف على نفسه فقصد السلطان أن يصلى عليه فلما علم كيفية موته لم يصل عليه نعوذ بالله من ذلك وفيه خلع السلطان على خشة قدم الاحدى الطواشى وقرر في الوزارة عوضا عن الامير شيبك الدوادار بحكم استعفائه عنها وقرر قاسم شغيته في نظر الدولة فلما حضر والخشدة الخلافة شرع يلطم بيديه على وجهه ويبكى وصار يدعى الفتر والعجز ويكرر الاستعفاء والسلطان لم يلتفت لكلامه فلبس الخلافة ونزل الى داره وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند وعلى يده هدية للسلطان

ومن جلته سبع عظيم الخلقة وخيمة كبيرة وغير ذلك فآكرمه السلطان وخلع عليه وفيه نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران ونصب هناك تلك الخيمة التي أهداها له ملك الهند وكانت غريبة فاقام هناك ثلاثة أيام فصادف دخول الامير يشبك الجمالي الذي كان توجه الى ابن عثمان ملك الروم فعاد من سفره وقابل السلطان في خليج الزعفران وعليه خلعة ابن عثمان ومكانة تتضمن التودد بينهما فانسر السلطان بذلك وفيه أمر السلطان ببناء ما تهدم من جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه فقبل انه صرف عليه خمسة آلاف دينار وفي جادى الآخرة خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفي وقرره في مشيخة الخانقاه عوضا عن محيي الدين الكافجي وخلع على ابن قاضي القضاة سعد الدين الديري وقرره في مشيخة الشيوخونية وكانت مشيخة المؤيدية مع أولاد ابن الديري بحكم شرط الواقف فعادت اليهم وفيه أعيد السيد الشريف موفق الذين أجد الحوى في نظارة الجيش لدمشق عوضا عن ولد برهان الدين النابلسي وكان قد وليها بعد وفاة البدر بن مزلق وفيه وقعت تشيطة صعبة بالقاهرة وعز وجود الخبز من الدكاكين وتراحم الناس على شراء القمح واستمر ذلك مدة حتى دخل المغل الجديد وفي رجب قرر السلطان الشيخ أبا عبد الله القلجاني المغربي قاضي الجماعة في مشيخة تربة السلطان وقرر في خطبتها الشيخ أبا الفضل الحرقى وقررهم اثلاثين صوفيا يحضرون في الخمسة أوقات وقرر فيها شيخ الميقاتية بدر الدين الماردني وقرر في قراءة المصنف بها ناصر الدين الاخيمي وخازن الكتب بها العلائي على بن خاص بك وبني للصوفية حول التربة عدة بيوت يسكنون بها دائما ثم رتب لهم الجوامك والخبز والزيت والصابون وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وخطب بها في الشهر المذكور وحضر الامراء والقضاة الاربعة وأرباب الدولة قاطبة وكان يوما حافلا وفيه خلع على القاضي أبي الفتح المنوفي وقرره في نيابة جدة عوضا عن شاهين الجمالي وأضيف اليه الصرف أيضا عوضا عن محمد بن عبد الرحمن وفيه غضب السلطان على شادبك أبازا الاينالي الاشرفي أحد العشراوات فالبسه زنطاعتها وأمر بحمله الى خان الخليلي لبيع وقد ثبت أنه باق على ملك المنصور عثمان بحكم انه ورثه من قاني باي الجركسي فأمر السلطان بان يباع ويحمل عنه الى الملك المنصور فشنع فيه الاتباكي أربك فاقبل منه وآل الامر الى أن حمل شادبك أبازا وآخر من الاينالية يقال له خاير بك وآخرية آل له سيباي فحملوا الى الملك المنصور فاشهد على نفسه بعتقهم ثم نفى شادبك الى دمشق وخاير بك الى طرابلس وشفع في سيباي بأن يقعد بمصر بطالا وقد بلغ السلطان ما غير خاطره عليهم قيل انهم قصدوا الوثوب على السلطان لما وثب المماليك على الامير يشبك الدوادار فأنكشفر خجاعة الاينالية في هذه الحركة وصار السلطان ينفي منهم جماعة بعد جماعة ممن كان رأس الفتنة في هذه الحركة

وفيه طلع الى السلطان شخص من الفقهاء يقال له شهاب الدين القلقيلي ورفع قصة يشكو فيها الشيخ عبد البر بن الشحنة بانه ساط غلمانه وعبيده عليه فضربوه ضربا مبرحا وذكري آخر القصة أن عبد البر جاهل ما يحسن قراءة الفاتحة وأن الصلاة خلفه لا تصح قال السلطان مع القلقيلي على عبد البر فرسم السلطان باحضر عبد البر وجماعة من مشايخ القراء وقرأ عبد البر بحضرتهم والسلطان جالس والقلقيلي حاضر فلما سمعه المشايخ القراء شكروا قراءته فقال السلطان على القلقيلي وكان قد حلف برأس السلطان أن عبد البر ما يحسن قراءة الفاتحة فلما ظهر للسلطان كذب القلقيلي أمر بضربه فضرب بين يديه ضربا مبرحا وأمر بحمله الى القاضي المالكي ليفعل به ما يوجب به الشرع وانتصر عبد البر عليه وفيه جاءت الاخبار بوفاة الناصري محمد بن شاذبك التركي الجلي نائب طرابلس وفيه توفي شبك الظاهري السيفي على باي نائب قلعة دمشق وكان لابأس به وفيه نزل السلطان للرماية فلما عاد شق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه وقع بين الامير شبك الدوادار وخشقدم الوزير حتى صرح الامير شبك بعزل نفسه من الدوادارية وأغلق بابها ولم يجتمع بأحد من الناس حتى ركب اليه الامير الكبير أزبك وجماعة من الامراء وتلطفوا به حتى طلع معهم الى القلعة وخاع السلطان عليه كاملية بسمور وأصلح بينه وبين خشقدم الوزير وبأس خشقدم يد الامير شبك وخجدت هذه الفتنة التي بينهما وفيه جاءت الاخبار بوفاة بلباي العلائي الظاهري نائب صفد وكان لابأس به وولي نيابة الاسكندرية ثم نيابة صفد ومات وهو في عشر السنين وفي شعبان توفي بكتمر البواب ابو بكرى الاشرفي وكان لابأس به وفيه نزل السلطان الى الاصطبل وحكم به وكانب السريين يديه على دكة لاجل قراءة القصص وحضر شبك الدوادار وشكا كاتب السر وهو واقف بين يدي السلطان فأمره أن ينزل ويقف بين يديه بازاء خصمه حتى يدعى عليه وحضر آخر وشكا جاني بك الفقيه ففعل به كذلك وفيه توفيت خوندبديرة بنت الاشرف ايتال وكانت لابأس بها وترك عدة أولاد ذكور واناث وفيه وصل قاضي القدس وهو في الحديد ومعه جماعة من أعيان أهل القدس وهم في الحديد بسبب هدم كنيسة هناك وقد ناربسبب ذلك شر كبير بين العلماء وكتبت عدة فتاوى بسبب تلك الكنيسة وصار يفتي بعضهم بالهدم وبعضهم بالابقاء وفيه هجم طائفة من العربان المفسدين على جماعة من الناس في أثناء طريق المنية واستمروا يعرون الناس من المنية الى قنطرة الحاجب وكان ذلك بعد العصر وكان أول الربيع وسلبوا أثواب المتفريجين وطلعوا من على قناطر الاوز ونخرجوا الى القضاء وكانوا نحوامن عشرين خيالافسكان من جملة ماسلبوه أثواب شخص من الامراء العشر اوات يقال له كسباي المغربي وكان راجعا من طريق المنية فاخذوا سلا ريته من فوقه وفيه توفي

ثاني بك الازدهري الحاجب الثاني وكان قد شاخ وبلغ من العمر نحو امان تسعين سنة وفيه عرض السلطان من في السجون فاطلق منهم أربعة أنصار لا غير وأعاد البقية الى السجون وفي رمضان صعد القضاة الاربعة ومشايخ العلم ليهنؤا السلطان بالشهر فامر السلطان بعقد مجلس بين يديه بسبب كنيسة اليهود التي هدمت بالقدس فافتي الشيخ أمين الدين الاقصراني بجواز هدمها وكذلك شمس الدين الجوجري وزين الدين الايناسي وأفتى الشيخ سراج الدين العبادي وقاضى الجماعة القلجاني المغربي المالكي وآخرون من العلماء بعدم جواز الهدم وانها تعاد الى ما كانت عليه فوقع في المجلس القول والقييل من العلماء وكثرا لخطب وانفض المجلس على غير طائل وأمر السلطان بعقد مجلس آخر في دار يشبك الدوادار وكان السلطان مائلا الى عدم هدم الكنيسة واعادتها الى ما كانت عليه وقدمال جماعة من العلماء مع غرض السلطان وحكم باعادتها الى ما كانت عليه ووقع بين قاضى القضاة المالكي اللقاني وقاضى الجماعة مالاخريفه وكذلك سراج الدين العبادي والجوجري ومما عجب به السراج العبادي

أياسراج اليهود طورا * ومن لادين العزيز أفتى

عصبة أهل الكتاب قالوا * لن ترضى عنك اليهود حتى

وقيل في قاضى الجماعة من جملة آيات في ذلك المعنى

تفتى بعود كنيسة * يا مغربي ما أنت الا

وفيه توفي اينال الاشقر الجاوى الظاهري أمير سلاح وكان أميراجيلا شجاعا بطلا وكان ظالما غشوما عسوقا كثيرا لاسراف على نفسه وكان عنده كرم زائد مع اتضاع وأصله من مماليك الظاهر جقمق وولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة ونيابة ملطية ونيابة حلب ورأس نوبة كبير وامرية سلاح وغير ذلك من الوظائف وكان في آخر عمره ظهر به جذام وبرص فاحش جدا وفيه قرر يشبك قرقاس الاشرفي في نيابة قديمياط وفيه توجه السلطان نحو الطرانة وكان معه الاتابكي أزيبك فاقام هناك أياما وعاد وفيه قرر مغلباى سرق الاشرفي في ججوية الحجاب بدمشق وفيه فر من العربان من حبس الديلم شخص من بنى حرام يقال له عمر بن معروف وفر من سجن القاعة شخص يقال له محمد بن زامل وفر من سجن المقشرة أيضا شخص يقال له ابن صالح الكل فروا في مدة يسيرة من هذا الشهر وفي ثالث شوال خرج الاتابكي أزيبك مسافرا الى الحجاز وصحبته زوجته بنت الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الامير أزيبك اليوسفي ومعه زوجته خوند بنت عم الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الشيخ أمين الدين الاقصراني وولده أبو السعد وخرج الشيخ أمين الدين في محفة وقد بعث له السلطان سبعمائة دينار يستعين بها على الحج وخرج مصحبتهم الكثير من

الناس وقد سبقوا الحاج بعشرين يوماً وفيه خلع السلطان على قريبه ازدمر بن مزيد وقرره في نيابة صفد عوضاً عن بلباى العلائى الظاهري بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة ولما حج الشيخ أمين الدين الاقصرائى في المحفة قال فيه بعض شعراء العصر هذين البيتين

محفة الشيخ الاقصرائى * تنشد جدواه في المشاهد

تقول طوبى لمثل هذا * قد حج بالناس وهو قاعد

وكان أمير الكب في السنة المذكورة جاني بك الاشقر أحد خواص السلطان وبالركب الاول جاني باى الخشن الاينالى تاجر الممالك وفي السنة المذكورة حجت خوند فاطمة زوجة السلطان بنت العلائى علاء الدين بن خاص بك فكان يوم خروجهما يوماً مشهوداً وكان لهما موكب حافل وخرجت في محفة زركش برصفيات أولو مرصعة بأنواع المعادن المئنة وخرجت صحبتها أخت السلطان في محفة زركش وخرج معها اخسون بجلال من الحماير الخمائل الملون ومشى قدام محفتها بالرميلة جميع أرباب الوظائف والدولة وغير ذلك من المباشرين ومشى الزمام ومقدم المماليك وأعيان الخدم بأيديهم العصي وقدامها من الخداة أربعة منهم ابراهيم بن الجندى المغنى وأبو الفوز الواعظ وغير ذلك فكان تجملاً زائداً قل ان يقع لاحد من الخوندات مثله فعند ذلك من النوادر وكان المتسفر عليها والدها العلائى على بن خاص بك وبرسباى المجودى الخازندار وفيه من الحوادث انه قبل خروج خوندالى السفر رسم السلطان بشنق جارية بيضاء حركسية فشنت على جيزة بالقرب من حدره ابن قبيحة عند الاحواض التي بطريق مصر العتيقة وكانت هذه الجارية حلت من بعض ممالك السلطان فلما علم السلطان بذلك شنق الجارية وأغرق المملوك وقيل بل خصاه ونفاه الى الشام وفيه اضطربت أحوال الشرقية بسبب فساد العربان من بنى حرام وبنى وائل فعين السلطان لهم الامير يشبك الدوادار فخرج مبادراً وفي ذى القعدة هجم عرب غزاة على ضواحي الجيزة ونهبوا خيول الممالك وقتلوا جماعة من الغلمان وأطلقوا من كان في السجن فتسكدا السلطان لهذا الخبر وعين عدة من الامراء والجنود فخرجوا على حمية فاقاموا هناك أياماً وعادوا ولم ينظفروا بأحد من العربان المفسدين وفيه توفي بيبرس الطويل الاشقر بن ططخ أحد مقدمى الالوف بدمشق وكان لا بأس به وفي ذى الحجة جاءت الاخبار من الاسكندرية بوفاة الملك الظاهر عمر بغا أبى سعيد الظاهري الرومى مات بشغراً الاسكندرية وقد جاوز الستين سنة من العمر وكان ملكاً جليلاً شجاعاً بطلاً عارفاً بأنواع الفروسية وافر العقل كامل الهيئة واليه تنسب أشياء كثيرة من آله الحرب ورمى النشاب ولعب الرمح وكان من خيار الظاهرية اشتراه الملك الظاهر جقمق في سنة سبع وعشرين وثمانمائة وأعتقه ثم آل أمره الى أن بقى سلطاناً وجرى عليه شدة اندوحن وبقي عدة مرار وجرى

عليه من الممالك الخشدة مقدمة مالاخير في اعادته وخلع من السلطنة بعد غيبة وخسين
يوما و آخر الامرات قهرا كما قيل في المعنى

هي الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت

وتفعل بالذين بقوا * كافي من مضى فعلت

وفيه امر السلطان بتوسيط كاشف البحيرة وهو شخص يسمى خشقدم الزيف فوسطه هو
وشخص من الكتاب يقال له ابن الطواب وقد تجمد عليهم مالم لم يقوما به وفيه ضرب
السلطان فلوس جدد ثم نوذى عليها كل رطل بستمائة وثلاثين ونوذي على الفلوس العتيق
كل رطل بأربعة وعشرين نفيرا الناس في هذه الحركة ثلث أموالهم وكانت الفلوس
تخرج بالعدد كل أربعة أفلاس بدرهم وفيه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأم من
والسلامة وكان المبشر يومئذ شخص من الخاصكية يقال له جان بلاط الغوري فاخبر
ب وفاة أبي السعود محمد ابن الشيخ أمين الدين الاقصراني مات وهو عائدا من مكة ودفن في أثناء
الطريق وكان شابا حشما رئيسا من أهل العلم والفضل وتوفي كاتب السر الذي بطرابلس
السيد الشريف تقي الدين أبو بكر بن أحمد وكان لا بأس به

ثم دخلت سنة ثمانين وثمانمائة هـ فيها في المحرم خلع السلطان على الشيخ بدر الدين
ابن الغرس الحنفي وقرره في مشيخة تربة الاشرف برسباى عوضا عن الكافيحي بحكم وفاته
وفيه رسم السلطان بتوسيط عمر بن أبي الشوارب شيخ قليوب وقد ضرب بالمقارعين
يدى السلطان وشهر على جبل ووسط بقليوب وفيه في سابع عشره كان وصول
الاتاكي أزبك من مكة المشرفة وحضر صحبته الشيخ أمين الدين وهو في غاية القشويش
على فقد ولده أبي السعود وقد وقع له ما يشبه الذهول فلم يلبث بعد دخوله القاهرة سوى
تسعة أيام ومات فلما طلع الى السلطان خلع عليه وعلى الاتاكي أزبك ونزل الى دورهما
وفيه في رابع عشره دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر عن مياعده بأربعة أيام
وحصل للحاج عطشة شديدة عند العود وكان الحاج في تلك السنة كثيرا ثم
دخلت خوندزوجة السلطان الى بركة الحاج وهي في تجميل زائد ولاقاها الامراء قاطبة
حتى القضاة وترجلوا اليها من فوق بغالهم وهي في المحفة ولاقتها المغاني من البيوت
ومدت لها هناك أسطة حافلة فلما طلعت الى القلعة رفعت على رأسها القبة والطير
ونثرت عليها صنائف الذهب والفضة وكان لها بالقلعة يوم مشهود ودخل اليها التقادم
من أرباب الدولة وأعيان الناس وفيه في سابع عشره كانت وفاة شيخ الاسلام أمين الدين
يحيى بن محمد الاقصراني الحنفي رحمه الله تعالى وكان قد ناف على الثمانين سنة من العمر
وكان مولده سنة سبع وتسعين وسبعمائة وكان اماما عالما فاضلا مفتيا به نفع للمسلمين

من أجل علماء الحنفية بارعا في الفقه ديننا خيرا قائما في الحق يخاشن الملوك والسلاطين
ويغلب عليهم في القول ولا يخشى الا الله تعالى وكان في سعة من المال وولى عدة
وظائف سنية منها مشيخة المدرسة الاشرفية ومشيخة المدرسة الصرغتمشية والايتمشية
والجانبكية وكان يبيده عدة تداريس وطلب ليلي القضاء غير ما مره وهو يتمنع وفي صفر
خلع السلطان على قريبه جانم الشريفي وقرره في نظرا لجوالي وهذا أول استظهاره
في الوظائف وفيه توفي الأمير قاني باي الساقى الطويل الظاهري أحد الامراء الطبلكانة
والحاجب الثاني وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه نزل السلطان الى طراومعه الا تابكي
أزبك قبات هناك ومدله الا تابكي أسطة حافلة قبات وعاد من غده وفيه توفي الشيخ نجم
الدين اسحق القرشي الحنفي كان من أعيان علماء الحنفية ومولده قبل التسعين وسبعمائة
وكان لا بأس به وفيه توفي عمر حاجب الحجاب وهو عمر بن محمود شاه الظاهري وكان ظالما
غشوما عسوقا شديد القسوة تولى ولاية القاهرة وجوية الحجاب وكان في أيام ولايته صارما
على العبيد والغلمان وغير ذلك وقتل منهم جماعة كثيرة حتى قيل أحصى من قتله في أيام
ولايته فكان زيادة على السبعمائة انسان فلما مات قال جماعة من أهل الصحراء انهم
سمعوه يعوى في قبره كما تعوى الكلاب نعوذ بالله من ذلك وفيه طلع القلعة شخص من
الامراء العشر اوات يقال له دولات باي حلاوة المحمدي فبينما هو واقف بين الامراء اذ
اضطرب فحملوه الى تحت الكرمة التي بالحوش فبات لوفته فاحضر له تابوت وأرزلوه الى داره
ودفن من يومه وكان ديننا خيرا لا بأس به وفي ربيع الاول عمل السلطان المولود النبوي
وكان حافلا وحضره القضاة الاربعة وأعيان الناس من الامراء وغيرهم وفيه خلع
السلطان على القاضي تاج الدين ابن المقسى وأعيد الى نظرا لخاص وقد نسي العلقمة
بالمقارع التي دخلت في أجنابه وانفصل عنها القاضي بدر الدين بن كاتب السرب من زهر
وفيه خلع السلطان على الأمير أزد مر الابراهيمي الطويل الاينالي وقرره في جوية الحجاب
عوضا عن عمر بكم وفاته وفيه قرر السلطان في الجوية الثانية سيدي الظاهري
الذي كان أمير اخوز ثاني وقرر أزد مر المسرطن في الخازندارية الكبرى عوضا عن أزبك
اليوسفي بحكم انتقاله الى مقدمة ألف وفيه توفي الأمير يشبك حلس بن اقبردي الاشرفي
أحد الامراء العشر اوات وكان ديننا خيرا لا بأس به وفي ربيع الاخر خلع السلطان
على الشيخ برهان الدين بن الكركي وقرره في مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن الشيخ أمين
الدين الاقصراني بحكم وفاته وفيه أشيع بين الناس أن السلطان يقصد السفر والخروج
بنفسه الى البلاد الشامية فنزل بالميدان الكبير الذي بالناصرية وعرض هناك خيول
الدشار ثم توجه الى بولاق ونزل في بيت شرف الدين الانصاري الذي ببولاق فاضافه

الانصارى هنالك ضيافة حافلة وكان الانصارى قد أنشأ غرابا تحت دأره فنزل السلطان فيه وتوجه الى شبرى ثم عاد قريبا المغرب وطلع الى القلعة وفيه في ثاني عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل الاتابكي أربك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اعزلو بن حسن الطويل قد وقع بينه وبين أبيه وقد بعث يستجد بنائب حلب على أبيه فجهز نائب حلب معه جماعة من عساكر حلب وجعل عليهم باشا اينال الحكيم اتابك حلب وجام السيفي وجاني بك نائب جدة وكان يومئذ نائب البيرة ودولات باي المحوجب وآخرين من أمراء حلب فلما خرجوا الى عسكر حسن بن الطويل تقابلوا معهم فانكسر عسكر حلب وخرج محمد اعزلو بجرحا بليغا ورجع الى حاب في خمسة أنفار وان اينال الحكيم فقد في المعركة وان دولات باي أسرف في المعركة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة فلما بلغ السلطان هذا الخبر تشوش له وعين جماعة من الأمراء منهم الاتابكي أربك ويشبك الدوادار وعزاز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وبرسباي قرا وخاير بك بن حديد ووردش وعين من الأمراء الطبخانات والعشراوات عدة وافرة وأمرهم بأن يتجهزوا ويكفوا على نقطة حتى يرد عليهم من أمر حسن بن الطويل ما يكون فاضطربت أحوال العسكر فبينما هم على ذلك إذ ورد كتاب من ابن الصوايخبر فيه بأن عسكر حسن الطويل عاد الى بلاده ولم يحصل منه ضرر فأنشراح السلطان لهذا الخبر وبطلت التجربة التي تعينت الى حسن الطويل فكان كفايل

وكم هم تساهبه صباحا * فتأتيك المسرة بالعشى

وفيه توفي عضد الدين السيرامي شيخ المدرسة البرقوقية وهو عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى الحنفي السيرامي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان علماء الحنفية بارعا في الفقه مفتيا وكان لا بأس به فلما توفي خلع السلطان على قاضي القضاة شمس الدين الامشاطي وقرره في مشيخة البرقوقية عوضا عن السيرامي وفيه خلع السلطان على أربك فشق الظاهرى وقرره في اميرية الاخورية الثالثة عوضا عن سيباي بحكم انتقاله الى الجوبية الثانية وفيه خلع السلطان على ولد برهان الدين النابلسي وأعيد الى نظارة الجيش بدمشق وصرف عنها الشريف موفق الدين الجوى وفيه توفي جمال الدين الباعوني قاضي القضاة الشافعية بدمشق وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وكان قد ترشح أمره ليلي قضاء مصر فلم يتم له قضاء مصر وكان مولده سنة خمس وثمانمائة وفي جادى الاولى خلع السلطان على قجماص الاسحاقى وقرره في الامير اخورية الكبرى عوضا عن جاني بك الفقيه الظاهري بحكم انتقاله الى اميرية سلاح عوضا عن اينال الاشقر بحكم وفاته وخلع على قائم قشير الظاهري أحد العشراوات وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا عن قجماص الاسحاقى

بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الكبرى وفيه خلع على بردبك السيفي جرباش كرت وقد
ظهر أنه قريب السلطان فقرره في نيابة صفد عوضا عن ازدمر بن مزيد قريب السلطان
أيضا وفيه نقل ازدمر المذكور الى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك الجباسي وكان
برديك السيفي يومئذ شادا الطرانة فاستكثر عليه الناس نيابة صفد دفعة واحدة وفيه توجه
الى دمشق برهان الدين النابلسي وكيل بيت المال وقد خرج في بعض أشغال السلطان
وفيه وصل القاني شمس الدين بن أجا قاضي العسكر وكان قد توجه قاصدا الى حسن
الطويل فأخبر بأن الطاعون قد هجم في بلاده ومات من عسكره ما لا يحصى وقد تلاشى
أمره فسر السلطان بهذا الخبر وفيه قدمت الى القاهرة زوجة حسن الطويل أم ولده محمدا
اعز لو تسخير لولدها محمدا بالسلطان بأن يشفع له عند أبيه ويصلح بينهما فلما قدمت أكرمها
السلطان وأنزلها بدورا الحريم وفيه نقبت قاعة الذهب وسرق منها عدة سيائك وشريط
ذهب فلما بلغ السلطان ذلك ضيق على والى القاهرة حتى يفحص عن فعل ذلك ثم بعد أيام
ظهر أن شخصا قال له يوسف وكان من جملة صناع القاعة انه هو الفاعل لهذا فقبض عليه
وعرض على السلطان وأخذما كان معه من السيائك الذهب وسجن بالمقشرة الى أن يرد
أمر مولانا السلطان فيه بما يقتضيه وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار من دمشق بأن
برهان الدين النابلسي وكيل السلطان لما دخل الى دمشق صدرت منه التبايع العظيمة
بلاهل دمشق فأطاقوا ذلك ورجوه ورموا عليه بالسهام وأحرقوا داره بالنار وأرادوا قتله
فركب نائب قلعة دمشق بنفسه وتاطف بالعوام حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وقد كادت أن
تخرب دمشق في هذه الحركة بسبب ظلم النابلسي وكان قد طغى على الناس وتجبر وكان هذا
أكبر أسباب الفساد في حقه حتى آل أمره الى ما سئذ كره في موضعه وفيه نزل السلطان
من القلعة وتوجه الى نحو طرافاضافه هنالك ابن البلاح وكان أحضر بين يديه قدورا محتومة
بها شهد فتحت منها قدرة بين يدي السلطان وهو جالس على السباط فلما فتحت خرج منها
نحلة كبيرة فقصدت وجه السلطان دون الجماعة الذين على السباط فلادغته في جفن عينه
فورم وجهه في الحال وتشوش لذلك ورجع من وقته فطلع الى القلعة فانقطع عن إقامة
الخدمة أياما حتى شفي وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة بين شاه بضاع بن
داغادر وصاحب ابليستين وبين ابن قرمان ووقع بينهما قتلة عظيمة ووقع أيضا بين حسن
الطويل وبين أخيه أويس وبعث اليه طائفة من عسكره بالرهاقاربوا أويسا وقتلوه ومن
معه من العسكر وفيه توجه السلطان الى نغردمياط وقد توجه الى دمياط مرة أخرى قبل
ذلك وفي هذه السفرة الثانية توجه الى دمياط من البحر في عدة مراكب كثيرة فحوم من مائة
مركب وكان معه من الامراء يشبك الدوادار وآخرون من الامراء المقدمين والعشراوات

وجماعة من المباشرين والخاصكية من المماليك السلطانية ووقع له وهو حاد في البحر أنه رمى على كركي من كراكي بجزيرة في البحر فصرع الكركي فتحامل وألقى نفسه في البحر فبادر إليه بعض السلحدارية ونزل في البحر ليحضر الكركي فقوى عليه الطيار فغرق من وقته فتسكد السلطان بسبب ذلك فلما طلع إلى ثغر دمياط لاقاه النائب ومده له مدة حافلة فأقام بها أياما وهو في أرغد عيش وتنزه في غيطان البلاد وتوجه إلى مكان يصاد فيه السمك البوري ونزل في مركب صغير وعان كيف يصاد البوري وانشرح في هذه السفرة إلى الغاية فلما أراد العود إلى القاهرة عاد في البحر أيضا ونزل في المركب قاصدا الديار المصرية فلما أن وصلوا إلى بولاق سبب النقطية صواريج تنط بجاء منها صاروخ في مركب الأمير يشبك الدوادار فعملت النار في قاع المركب فاحترق فاضطرب الأمير يشبك من ذلك وصار يدفع عن وجهه النار بالخذة فأدركه طواشي يقال له مرجان الحبشي فيئنها هو يطنى النار إذ سقط عليه الصاري فمات لوقته هو وثخص من المماليك السلطانية فكانت مدة غيبة السلطان في هذه السفرة نحوًا من خمسة عشر يوما وطلع إلى القلعة في سلخ الشهر وفي رجب صعد القضاة إلى القلعة للتهنئة بالشهر وقدوم السلطان من السفر فخلع في ذلك اليوم على أبي البقا ابن قاضي القضاة ابن الشحنة وقرر في قضاء الشافعية بحسب عوضا عن عز الدين الحساوي بحكم صرفه عنها وفي أثناء هذا خرج السلطان على حين غفلة وقصد التوجه إلى القدس الشريف وكان معه الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار وآخرون من الأمراء والخاصكية وجماعة من أعيان المباشرين وغيرهم فلما دخل إلى القدس أظهر به العدل وأقام به ثلاثة أيام ثم زار الخليل عليه السلام وقصد في القدس والخليل بسنة آلاف دينار وأزال بهما ما كان من المظالم التي كانت حادثة هناك ولما مر بالقرين أمر ببناء جامع وسبيل هناك وحصل له جلة تقادم حافلة من أعيان الناس هناك ولما دخل إلى غزة خلع على سيباي الظاهري أحد العشر اوات وقرره في نيابة غزة عوضا عن يشبك العلاقي بحكم انتقاله إلى آتابكية دمشق ثم إن القاضي تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص قدم من عند السلطان وأخبر أنه قد وصل إلى قطيا فخرج جماعة من الأمراء إلى لقائه وفي عشرين شعبان وصل السلطان ودخل إلى القاهرة في مركب حافل وقدمه الأمراء بالشاش والقماش وخرج طائفة اليهود والنصارى وبأيديهم الشموع الموقدة وشق من القاهرة وكان له يوم مشهود حتى طلع إلى القلعة وكان فيه ختان بدر الدين ابن القاضي كمال الدين ناظر الجيش وكان له مهم حافل وفيه توفي القاضي محي الدين الطونجي أحد نواب الشافعية وهو عبد القادر بن محمد بن محمد القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا وجيها عند الناس ناب في القضاء مدة طويلة وجدت سيرته وكان لأسبه وتوفي السيد الشريف

أمير جان تاجر الممالك وكان رئيسا حشما في سعة من المال وكان وجهه عند الناس والملوك
والسلاطين وجلب غالب أمراء عصرنا وصاروا يعرفون بالشريني إلى الآن وفيه حضر
مهنابن عطية بين يدي السلطان وقد بعث إليه بمسنديل الامان وكان رأس العربان
المفسدين وقد أعيا الامراء والكشاف ومشايخ العربان ولم يقدروا على تحصيله فترامى
مهنابن عطية على أحمد بن طنيس حتى قابل به السلطان وخلع عليه خلعة الرضا ودخل
تحت طاعة السلطان وفيه توفي جاني بك الاشقر الدوادار أحد خواص السلطان وكان
رئيسا حشما عارفا سيوسا توجه الى الحجاز أمير حاج غير مامرة وكان مقره عند السلطان
وكان أصله من مماليك قاني باي فرفور واتصل بخدمة جماعة من الامراء ثم خدم الاشرف
قاي تبای من حين كان أمير طبلخانا إلى أن بقي سلطانا فأنعم عليه السلطان بامرية عشرة
وكان في سعة من المال وفيه توفي شاهين الفقيه الزيني وكان من أعيان الخاصكية محمود
السيرة دينا خيرا لا بأس به وفي رمضان خلع السلطان على الأمير لاجين الظاهري أمير
مجلس وقرره أمير ركب المحمل عوضا عن جاني بك الاشقر المتوفي وكان قرره أمير ركب المحمل
قبل موته وفيه وصل دولات باي المحوجب وكان قد أسر عند حسن الطويل فأطلقه
وخلع عليه وفيه توفي سيباي أمير اخور ثالث وكان قدولى حاجب ثان وأصله من مماليك
الظاهر حقمق وكان يعرف بسيباي بن بخشباي وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من
نغرا الاسكندرية بان بعض تجار الافرنج احتال على تجار الاسكندرية حتى أسروهم وكان
فيهم تجار السلطان وهم ابن عليبة يعقوب وعلى الكيزاني وعلى التراوي فلما أسروهم
خرجوا بهم من الاسكندرية في الوقت والساعة وتوجهوا بهم الى بلاد الافرنج فاضطربت
أحوال الاسكندرية وكادت أن تخرب فلما كاتبوا السلطان بذلك تأثر لهذا الخبر وعين في
الوقت خاصيكا من خواصه يقال له قيت الساقى الذي تولى ولاية القاهرة فيما بعد وكتب
معه مراسيم شريفة لنائب نغرا الاسكندرية بالقبض على جميع تجار الافرنج الذين
بالاسكندرية فلما توجه قيت الساقى هناك قبض على تجار الافرنج من سائر السواحل
وضيق عليهم وأودعهم في الحديد وألزمهم بان يكاتبوا ملوك الافرنج بما جرى عليهم
من السلطان بسبب التجار وقد قام السلطان في هذه الحادثة قياما تاما وجرى بسبب ذلك
أمور يطول شرحها وآخر الامر اشترى التجار الذين أسروا أنفسهم من ملوك الافرنج بعمال
له صورة حتى أطلقوهم وأتوا بهم الى الاسكندرية كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه خلع
السلطان على قاني باي جشمه العلائي الظاهري الرماح وقرره في الجوبة الثانية عوضا
عن سيباي الظاهري بحكم وفاته وخلع على دولات باي الحسنى وقرره في شادية الشون
عوضا عن قاني باي جشمه وفيه توفي الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل

السكركي الخنفي والديبرهان الدين امام السلطان وكان ديناً خيراً من صوفية خانقاه
الشيخونية وكان لا بأس به وفيه توفى مقبل الدوادار وكان أصله من مماليك تغرى بردى
المؤيدى وكان متكاملاً على شعير الذخيرة وفيه قرر في مشيخة الحرم الشريف النبوى
اينال الاسحاقى وكانت عادة مشيخة الحرم للخدام الطواشيه من قديم الزمان وقرر في باشية
الجندبكه المشرفة قانى باى اليوسفى وفي شوال خلع السلطان على أبى الفتح المنوفى وقرره
في نيابة جدة على العادة وفيه خلع السلطان على شخص من النصارى يقال له ميخائيل من
نصارى منفلوط وقرره بترك النصارى وفيه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل لاجين
الظاهرى أمير مجلس وبالركب الاول جاني باى الخشن الاينالى وخرج صحبة الحاج شرف
الدين الانصارى وكان الامير يشبك الدوادار حاطا عليه فخرج الى مكة المشرفة وكان آخر
عهد به بالقاهرة وقد تسلط عليه برهان الدين النابلسى وأخدمته وكالة بيت المال فضاقت
الامر عليه فترك مصر ومضى عنها كما قيل في المعنى

لعمري ما ضاقت بلادها لها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفي ذى القعدة أشيع بين الناس أن خزانة السلطان سرق منها مال له صورة فظهر بعد أيام أن
الفاعل لذلك جماعة من بوابى الدهيشة الالواحية فقبض السلطان على بعضهم وضربه
فاحضر المال فرسم بسجنه في المقشرة فسجن وفيه سافر السلطان الى الفيوم وهي السفرة
الثانية وكان معه الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من المتقدمين والعشراوات
وكان سبب توجهه الى الفيوم أن خير بك بن حديد أنشأ هناك ضيعة وجعل بها طاحونا
تدور بالماء وأنشأ بها استناتها لفتوجه السلطان ليرى ذلك وفيه خسف القمر خسوفاً
تاماً حتى أظلم الجو وأقام الخسوف نحواً من أربعين درجة وفي ذى الحجة كان عيد النحر
يوم الجمعة وخطب فيه خطبتان وفيه قدم قطب الدين الخضيرى من دمشق وقد أتى
يشكو من بدر الدين النابلسى وقد تزايد ظلمه وجوره في حق الناس جداً وفيه كان
ختان أولاد الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان الختان بشغردمياط فبعث
السلطان اليه بالقي دينار بسبب احتياج المهر وتوجه ابن رحاب المغنى وصار يخدمته حتى
انقضى مهمه وكان له مهم حافل وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأخبر
ب وفاة القاضي المالكي محي الدين عبد القادر بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
عبد المعطى الانصارى السعدى المالكي قاضى مكة المشرفة وكان عالماً فاضلاً فقيهاً نحوياً
ولى قضاء مكة مدة طويلة وكان محمود السيرة وفيه توفى تيم الفقيه الابوبكرى المؤيدى أحد
الامراء العشراوات وكان صهر الشيخ أمين الدين الاقصرانى وكان لا بأس به وتوفى اينال
الابراهيمى الحكيم الاشرفى اتابك حلب وكان لا بأس به وتوفى جقمق المؤيدى أحد

العشراوات وكان ديناً خيراً انساناً حسناً لا بأس به ﴿ وفي هذه السنة المذكورة أعني
سنة ثمانين وثمانمائة كان ابتداء منشأ الازبكية على يد المقر الاتابكي أربك بن ططخ
الظاهر الذي نسبت الازبكية اليه (أقول) وكانت هذه البقعة أرض مساحة خرابا ذات
كيما في أرض سباح وبها أشجار أثل وسنط وبها من ارسى يدى عنتر وسيدى وزير
وغيرهما من الاولياء رضى الله عنهم وورحهم وكان في هذه الارض جامع الجاكي وهو باق
الى الآن وكانت هذه الارض قديماً عامرة بها المناظر والبساتين وتسمى مناظر اللوق
وكانت قريبة من بحر النيل ثم ان بعض الملوك حفر بها خليجاً وأجرى اليه الماء من فم الخور
وصار هذا الخليج يعرف بخليج الذكر وبقي من جملة من رتبهات القضاة وبني على هذا الخليج
قنطرة وفوقها دكة للتمشيد حين يجلسون عليها للتفرجة وفيها يقول ابراهيم المعمار
يا طالب التكة تلت المني * وفزت منها بلوغ الوطر
قنطرة من فوقها تكة * وتحت اتلقى خليج الذكر
واستمرت هذه البقعة على ما ذكرناه الى سنة خمس وخمسين وستمائة فلما لاشى أمرها
وضعف جريان الماء في خليج الذكر وحضر الملك الناصر بن قلاوون خليجاً المسمى بالخليج
الناصرى وذلك في سنة أربع وعشرين وسبعمائة طم خليج الذكر وخرت مناظر اللوق
التي هنالك وصارت هذه البقعة خربة مقطوع طريق واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت
اليها أحد من الناس ثم ان شخصاً من الناس عمر جماً ما كان هنالك وفتح له يجمعوناً من
الخليج الناصرى فجرى فيه الماء في أيام زيادة النيل فلا زال يجريه حتى أوصله بأرض
الازبكية فصار يدخل اليها الماء في آخر الزيادة ويروى بها بعض أراضيها ويزرع بها البرسيم
والشعير واستمرت على ذلك مدة الى سنة ثمانين وثمانمائة في دولة الاشرف قايتباى حسن
بيال الاتابكي أربك أن يجر هنالك مناخاً لجماله وكان ساكناً بالقرب من هذه البقعة فلما
أن عمر المناخ حلت له العمارة هنالك فبنى القاعات الجليلة ثم الدوائر والمقعد والمبانيات
والحواسل وغير ذلك ثم انه أحضر أبقاراً ومخاريث وجرف الكيما التي كانت هنالك
ومهد لها ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى
وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر التي كانت قديمة ثم بنى على هذه البركة رصيفاً محتاطاً بها
وتعب في ذلك تعباً عظيماً حتى تم له ما أراد من ذلك وكان في قوة الحر يدور خلف المخاريث
في الكيما وغيرها وصرف على ذلك مالا له صورة يزيد على مائتي ألف دينار وكان ذلك
في غير طاعة الله تعالى ولا به نفع للمسلمين ثم شرعت الناس تبنى على هذه البركة القصور
الفخيرة والاماكن الجليلة ولا زالت تترادى في العمارة الى سنة احدى وتسعمائة وقد رغب
الكثير من الناس في سكنى الازبكية وصارت مدينة على انفرادها ثم أنشأ بها الجامع

الكبير وجعل به خطبة وأنشأ به منارة عظيمة فخاعة في الحسن والتزخرف والبناء وفيه يقول شمس الدين القادري

بنى جامع الله يلتمس الرضا * به ونجاة من أليم عقابه
وفكر في الحشر الذي عقبه سانه * طوال يهول المرء قطع عقابه
فاكرم به من جامع من ثوى به * فلم يخل منشييه اذا من ثوابه
فيا فوز عبد مؤمن قد جنى به * ثمار أجور من رياض جنابه
عظيم أجور لا ينوب منابه * سواء لأجر نال كل المنابه

ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياسر والطواحين والافران وغير ذلك من المنافع وسكن في تلك القصور وتفتح بهامدة طويلة حتى مات وبقي له تذكار الازبكية على عمر الايام والاوقات وقال فيه شمس الدين القادري رحمه الله تعالى

لأزبك مولانا المقرر عمارة * به السعد يسمو للنجوم الشوابك
بملك الاسلام لم أرمها * ولا الناس طرافي جميع الممالك
بنى جامعاً للحسن أصبح جامعاً * تقر به العينان من كل ناسك
به شرفت تلك العمارة واغدت * مكرمة عند الملا والملائك
اذا قال قوم من أتاك الله لا * يقول لهم سعد الامير الاتابكي

وكان عند فتح سده هذه البركة تجتمع عنده الامراء المقدمون بالقصر وتأتي الناس اليها للفرجة أفواجاً ويكون لها يوم مشهود وكان يصنع في كل سنة وقدة هائلة لم يسمع بمثلها وينفق بها في تلك الليلة أموال الجبة بسبب الفرجة ويضرب حول البركة عدة خيام ويقع بها من القصف والفرجة أشياء غريبة وتكون ليلة حافلة وقد ألفت في هذه الازبكية شيخنا الشيخ شمس الدين القادري مقامه لطيفة كلها غررتشمل على نثر ونظم وقد أوردتها في كتابي نزهة الامم في المجائب والحكم ولما كتبت عمارة الازبكية ودخل الماء الى بركتها أنعم السلطان قايتباي على الاتابكي أزبك بارضها وكتب له بذلك مربعة شريفة وكانت أرض الازبكية وقفاً على خزان الاسلام وفيه توفي الشيخ نور الدين بن بردبك الحنفي وكان عالماً فاضلاً بارعاً في نظمه من ذلك قوله

نعمان خست حبيبي * قد جاءه الحال يسعى
فورث الحال حسنا * وقال بالارث شرعا

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم خرج الاتابكي أزبك ومعه عدة من الامراء والجنود الى قتال بينه وبين العربان وكان قد ترايد شهرهم فلما توجه اليهم تقاتل معهم وقبض على جماعة منهم وقاسى العسكر مشقة زائدة وطرده واخذهم الى الاودية المعطشة

حتى بلغ الكرازالماء أكثر من دينار وفيه تغير ماء النيل عند نزول النقطة في لونه وطعمه حتى تغير منه طعم الماء جدا وصار الناس يشربون من الآبار والصحاري وفيه توفي الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق بن أبي الفرج وكان أصله من الأرمن وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها الاستدارية الكبرى ونقابة الجيش وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان الافرنج قد أطاقوا من كان عندهم من التجار الذين كانوا أسروهم وقد اشترؤا أنفسهم بمال له صورة حتى أطلقوهم وقد جرى عليهم أمور يطول شرحها حتى خاصوا من بلاد الافرنج واستقر ابن عليبة من يومئذ مريضا إلى أن مات بعد مدة وفيه رسم السلطان بشنق حذيفة ابن نصير الدين وكان رأس المفسدين وشنق معه ثلاثة أنفار من أصحابه وفي صفر خلع السلطان على قطب الدين الحضيري وأعادته إلى قضاء الشافعية وكتابة السرب بدمشق على عادته وغرم جملة مال في هذه الحركة وفيه خرج الأمير شيبك إلى جهة الوجه القبلي بسبب محاربة يونس وأخيه أحمد أولاد ابن عمر وفيه توفي جقمق الفقيه الخاصكي وكان دينيا خيرا وله اشتغال بالعلم وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا وفيه توفي الشيخ تقي الدين الحصني الشافعي وهو أبو بكر بن محمد بن شادي وكان عالما فاضلا بارعا في الفقه والعربية وغير ذلك من العلوم وكان دينيا خيرا لا بأس به وولى عدة وظائف أي تداريس منها تدريس المدرسة الصلاحية التي بجوار قبعة الشافعي رحمه الله تعالى وورثني عنه فلما مات قرر بها الشيخ زين الدين زكريا الانصاري عوضا عن الحصني وفيه توفي قاضي القضاة شهاب الدين أحمد المعروف بالمكيني وهو أحمد بن محمد بن بركوت الحبشي التاجر الكارمي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما بريب قاضي القضاة صالح البلقيني وولى عدة وظائف سنية منها حاسبة القاهرة ثم ولى قضاء الشافعية وغرم بسببها مالا له صورة ولم يمكث في القضاء سوى مدية وسيرة وعزل عنها وفيه حضر نجات من مكة وأخبر بوفاة القاضي شرف الدين الانصاري وهو موسى بن علي بن سليمان التتائي الشافعي وكان رئيسا حشما غير خال من فضيلة عارفا بأحوال المملكة سيوسا حسن الرأي وولى عدة وظائف سنية منها انظر الجيش ونظر الخاص ووكالة بيت المال وغير ذلك من الوظائف السنية حتى عدم مدير المملكة وكان مولده بعد العشرين وثمانمائة وفيه أرسل نائب الشام جاني بك قلقس يهديه السلطان من جلته من الذهب النقد عشرة آلاف دينار وعدة جمالين مابين سمور ووشق وسنجاب وصوف وغير ذلك وفي ربيع الآخر وقع حريق عظيم بباب السلسلة فاحترق من خيول السلطان الخاص ستة رؤس وقد أعيى المماليك طفيه وهدم من سور باب السلسلة جانب عظيم وفيه في ثالث مسرى كان وفاء النيل المبارك

وتوجه الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفي نائب الاسكندرية
قائم قشير الظاهري وكان لأبس به وفي جمادى الاولى عاد الأمير يشبك من بلاد الصعيد
ولم يظفر بأولاد ابن عمر وفيه قرر في امرية الحاج بركب المحمل تاني بك الجالي الظاهري أحد
مقدمي الالوف وقرر اقبردى الاشرفي أمير ركب الاول وفيه حضر الى الابواب الشريفة
قائمه اليحيوى نائب حلب وكان قد أشيع عنه أنه قد خرج عن الطاعة فلما حضر خلع
عليه السلطان باستمراره وبطلت تلك الاشاعة عنه وكان القائم في أمر مساعدته الاتابكي
أزبك أمير كبير وفي جمادى الآخرة نزل السلطان من القلعة وتوجه الى خليج الزعفران
لضيافة أبي بكر بن عبد الباسط فاضافه صيافة حافلة ثم ركب من خليج الزعفران وتوجه
الى الخانقاه فصلى بها صلاة الجمعة وأضافه هناك الأمير يشبك الدوادار ضيافة حافلة وفي
رجب وقع بالقاهرة زلزلة في الليل عظيمة وقع منها بعض أماكن ولو أنهم ادمت درجة أخرى
لحصل منها غاية الضرر للناس وفيه تعطلت أسباب الناس لاجل النلوس العتق وكثر
الضرر منها على البائع وصار النصف الفضة يصرف بثمانية عشر من الفلوس العتق
وصارت البضائع بسعرين سعر الفضة وسعر الفلوس فحصل للناس بذلك غاية المشقة وفيه
وقع بين الأمير يشبك الدوادار الكبير وبين خير بك بن حديد تشاجر بالقلعة فخنق منه
الأمير يشبك الدوادار ولكم يده فرمى تخفيفته عن رأسه فدخلت بينهما الامراء وخلصوا
بينهما واستمرت القلوب معمرة بالعداوة حتى كان من أمر خير بك بن حديد ما سئد كره
وفي شعبان نزل السلطان الى الرماية وعاد في موكب حافل لكنه لم يشق من القاهرة وطلع
من بين التراب وقد تكرر نزوله في الشهر المذكور ثلاث مرات وهو يطلع من بين التراب
ولا يشق المدينة وسبب ذلك الفلوس الجدد حتى لا يشكوله الناس من ذلك وفي
رمضان تودى على الفلوس ستة وثلاثين الرطل وصارت بالميزان وأبطل عددها ونودى على
الفضة المضروبة بان لا يتعامل بها الا بالميزان وكذلك الذهب وبطل أمر العادة وفيه أشيع
بين الناس بان السلطان يتزيا بزي المغاربة وينزل الى الجامع الازهر ويصلى به وكان يسأل
في بعض الطرقات من الناس عن سيرة نفسه ووقع له بين الناس في هذا الامر أشياء غريبة
يطول الشرح في ذكرها وبعض الناس كان يحط عليه في أفعاله وهو يسمع كلامه باذنه ممن
يسأله وفيه توفي جاني بك المشد وكان سوته فجأة بعد أن صلى التراويح وكان قد شاخ وكبر سنه
وأصله من مماليك الاشرف برسباي وولى شادية الشراب خاناه في دولة الاشرف اينال ثم بقي
مقدم ألف ونفي الى دمياط في دولة الظاهر خشدقدم ثم حضر الى القاهرة في دولة الاشرف
قايتباي ومات بها وهو طرخان وفيه كان ختم البخاري بالقلعة عنى العادة وفرقت الخلع
والصرر على الفقهاء وفيه فشا أمر الطاعون بالقاهرة وعذا هو الطاعون الثاني الذي وقع

في دولة الاشرف قايتباي ومات به في الشهر المذكور القاضي عبد الكريم بن جلود وهو
عبد الكريم بن أبي الفضل بن اسحاق القبطي وكان رئيسا حشما وولى كتابة الممالك بعد
أبيه وكان في حداثة سنه لم يلتح وباشرها أحسن مباشرة وكان له حرمة وافرة وكان مولده
قبل السبعين والتمائة وفيه توفي قانصوه رفرق وكان من أعيان الخاصكية مقربا
عند السلطان شابامليج الشكل حسن الهيئة كثيرا لادب والحكمة عارفا بالفرسية وكان
لابأس به وفي شوال تزايد أمر الطاعون وقتك بالممالك والاطفال والعبيد والجواري
والغرباء فتكا ذريعا وكان طاعونا مهولا يموت فيه الانسان من يومه وفيه يقول الشهاب
المنصوري رحمه الله تعالى

لهفي على مصر وولادتها * أضخوا الى الموت يساقونا

مانشر النصل سهام الردى * عليهم — الاطوا عينا

وفيه حضر دولات باي النجمي الاشرفي حاجب الحجاب بدمشق وكان السلطان قد تغير
خاطره عليه ولما حضر خلع عليه وأظهر له الرضا وفيه وصل السيد الشريف علي بن
بركات أخو أمير مكة المشرفة وكان حضر قبل ذلك الى القاهرة فشى السلطان بينه وبين
أخيه بالصلح وتوجه الى مكة المشرفة فأقام بهامدة يسيرة ووقع بينه وبين أخيه ثانيا فعاد الى
القاهرة هو وولده فأكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر حتى مات وفيه خلع
السلطان على قراجا السيفي جاني بك نائب جدة وقرره في نيابة جدة عوضا عن أبي الفتح المنوفي
بحكم انفصاله عنها وفيه خرج الحاج من القاهرة على عادته وكان يوما مشهودا وفي ذي
القعدة تناهى أمر زيادة الطاعون ومات فيه من الاعيان جماعة كثيرة منهم الشيخ المسالك
العارف بالله تعالى الولي الصالح محمد بن احمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفاي المعروف
بابي المواهب رحمة الله عليه وكان أصله مغربيا يعرف بابن رغدان وكان عالما صوفيا
محققا أخذ عن أبي السعادات بن أبي الوفاء وألف عدة اجزاء جليلة وكان قد جاوز الستين
سنة من العمر ودفن بتربة الشاذلية وتوفيت أخت السلطان خوندجان باي البحر كسيمة
وكانت لابأس بها ومات حكم المصارع الاشرفي الخاصكي وكان لابأس به ومات طوغان
المجدي الاشرفي وكان في عشر الثمانين سنة وله اشتغال بالعلم ومات الشيخ عبد الكريم
السيواسي الحنفي وكان من أهل العلم والفضل ومات عيسى بك أخو شاه سوار وكان مقبلا
بالقاهرة ومات كسباي بن ولي الدين الظاهري الخشقدمي الذي كان دوادارا ثانيا في دولة
الظاهر تغرغا ومات تغرغا كاشف الشرقية وكان من مماليك السلطان وكان أمير عشرة
فلما مات قرّر عوضه على باي الذي ولي نيابة الاسكندرية فيما بعد ومات كرتباي كاشف
البحيرة وكان أصله من مماليك جاني بك نائب جدة ثم ظهر أنه من قرابة السلطان وفيه مات
الامام العالم العلامة الشيخ سيف الدين الحنفي وهو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركي

القاهري وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا خيرا دينا صالحا ماهرا في الفقه والحديث ولى مشيخة
الجامع المؤيدى ومشيخة الخانقاه الشيخونية وغير ذلك من التداريس وكان متقشفا زاهدا
عن ابناء الدنيا ومولده سنة ثلاث وثمانمائة وكان من خيار الحنفية ولما مات رثاه الشيخ
العلامة العمدة الجلال السيوطي بهذه الايات

مات سيف الدين منفردا * وغدا في اللحد منغمد
عالم الدنيا وصالحها * لم تزل أحواله رشدا
ناصر دين النبي اذا * ما أتاه ملحد كيدا
في الذي قد كان من ورع * لم يخلف بعده أحدا
لم يكن في دينه وضر * لا ولا لكبر منه ردا
عمره أفناه في نصب * لاله العرش مجتهدا
ليت شعري من يؤمله * بعد هذا الخبر ملتحدا
تلمة في الدين موته * مالها من جابر أبدا
قدر ويتاذل في خبر * وهو موصول لنا سندا
فعليه هاملات رضا * ومن الغفران سحب ندا
وبعثنا ضمنا زمرة * مع أهل الصدق والشهدا

وفي ذي الحجة فخش الطاعون جدا ومات من ممالك السلطنة طعان نحو من ألفي مملوك وزيادة
خارجا عن الممالك القرائنة والسيفية ومات من الطواشية نحو من خمسة وعشرين
نفر حتى قيل ان السلطان جل بطيخة صيفية بنفسه حتى دخل بها الى الحريم بدور الحرم
لقلة الطواشية وفيه توفي بلباى الاعرج أحد العشاوات ومات قاتى بردى الاشرفى
المجدي أحد الامراء العشاوات ورؤس النوب ومات أمير عربان هوارة سليمان بن عيسى
وكان بالسجن وفيه نزل السلطان وتوجه الى الجامع الازهر وكان معه كاتب السر
وبعض أمراء فلما دخل الجامع الازهر طلب قضاة القضاة وصعد معهم الى سطح الجامع
ورسم بهدم ما كان بسطح الجامع من الخلاوى وحكم القاضي المالكي بهدم الجميع
ثم انه رسم بترميم ما فسد من عمارة الجامع وصرف على ذلك نحو من عشرة آلاف دينار
وفي ذلك اليوم تصدق على الفقراء المقيمين بالجامع بنحو من ألف دينار ثم ركب وعاد الى
القلعة وكان الطعن عمالا وفيه دخل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأن الموت
كثير بمكة المشرفة بعللة البطن وكان قبل دخول الحاج يموت بها في كل يوم نحو من أربعين
انسانا وفيه مات بالطعن ابن لاجين اسمعيل المشهور بالعلاج بالحجارة والمقاريات وفيه

مات بالطعن سيدى عمر بن الامير دولابى الدوادار المؤيدى وكان شابا حسنا جميل
 الوجه بهى المنظر يداعذاره وفيه يقول بعضهم
 سعت نحو حبيبي سعي مجتهد * وطفت حول حماه وانقضى الوطر
 فن له عمرة فى عمره اغتنت * فليس يسعى على طول المداعمر
 وفيه مات بالطعن سيدى محمد ابن الامير يونس العلاقى امير اخو كبير وفيه توفى الجنب
 العالى الناصرى سيدى محمد ابن سيدى يعقوب ابن امير المؤمنين محمد المتوكل وهو والد
 سيدى خليل وهو ابن اخى امير المؤمنين يوسف المستجيد بالله وكان رئيسا حشما وكان
 ترشح امره لى الخلافة بعد الجالى يوسف فاتم له ذلك وفيه توفى محمد الصغير الكاشف
 وكان كبير سنه وشاخ وتوفى به ادربن يشبك الظاهرى اخدم مقدمى الالف بدمشق ومات
 قريباى الجلب نائب قلعة حلب وكان من عماليك السلطان ومات كسباى ولد جاني
 بك الفقيه امير سلاح وكان قدم من بلاد جركس ومات قانصوه نائب عينتاب وكان
 من عماليك السلطان ومات قايتباى بن نوركار الظاهرى اخوال امير قرقاس الجلب
 وكان من عماليك الظاهر خشف قدم ومات يشبك الابراهيمى الاينالى أحد العشراوات
 ورؤس النوب ومات فى هذا الطاعون من الامراء العشراوات والخاصة ككية مالا
 يحصى عددهم وكان ممن مات بالطعن بترك النصارى اليعاقبة المسمى بمخايل
 المنفلوطى وكان مشكورا فى بتركته محمود السيرة عند أهل ملته ولم ادخلت نجاسين
 النصارى خف امر الطاعون بالنسبة لما كان عليه بعد أن أفنى من الناس ما لا يحصى
 وقد خرجت هذه السنة والناس فى أمر مريع بسبب فقد أولادهم وعيالهم وما لا قواى
 هذه السنة خيرا ومما عدا من محاسن الامير يشبك الدوادار المغسل الذى فقهه عند مدرسة
 السلطان حسن فصل للناس به غاية النفع لاجل تجهيز الموتى ولا سيما الغرباء وقد حازبه
 غاية الاجر والثواب ومما عدا من محاسنه ايضا أنه ركب يوما الى جهة المطربة فوجد فى
 طريقه شيخا على هيئة فلاح وهو قاصد للقاهرة ومعه قفنة على كتفه وكان وقت انشجار
 الصبح فعبث عليه الامير يشبك وقال له ما فى قفتك فقال له بيض جئت به لبيعه واشترى
 لا ولادى به خبز فان معى ثلاث بنات فقال له الامير يشبك فيها كم بيضة وأنا اشتري منك
 ذلك فأخرج له الشيخ ما فى القفنة من البيض فقال له عددهم فعددهم فاذاهم عشرون بيضة
 فأخذ منه ذلك البيض ودفعه للغلام ثم رسم لمن خلفه من المماليك بان يدفع لذلك الشيخ
 عشرين دينارا وقال له لو كان معك أكثر من ذلك لدفعت فى كل بيضة دينارا وقد
 اختلف فى عدد البيض الذى كان مع الشيخ قيل انه كان أكثر من عشرين بيضة فدفع له فى
 كل بيضة دينارا فعد ذلك من النوادر اللطيفة وكان الامير يشبك الدوادار فيه المحاسن
 والمساوى كما قيل فى المعنى

ترجوا وتخشى حالتك الوردى * كانت الجنسة والنار
 ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة فيها في الحرم وصلت رأس أمير عرك
 وكانت قد قطعت بالوجه القبلي فلما أحضرت إلى القاهرة طيف بها ثم علقت على باب
 زويلة وفيه جاءت الأخبار بان الأمير أحمد بن عمر الهواري قد فر من الصعيد فلما فر خلع
 السلطان على الأمير يشبك الدوادار وقرره في امر به هاربة عوضا عن الأمير أحمد بن عمر فعند
 ذلك من النوادر وفيه توفي قانصو قطز الحمدي الأيتالي أحد العسراوات رؤس النوب ومات
 جانم الأصغر ابن السلطان وكان أحد العسراوات رؤس النوب وفيه وصل الحاج مع
 السلامة وجدت سيرة تاني بك الجمالي أمير ركب الحمل وفيه توفي الأمير دولاب التجمي
 حاجب الحجاب بدمشق وكان من أعيان الأشرفية وفيه توفي صاحب شرف الدين يحيى
 ابن صنيعه القبطي وكان رئيسا حشما لأبس به تولى الوزارة عدة مرار وفيه نزل السلطان
 ومعه جماعة من الأمراء فتوجهوا نحو العباسية والصالحية وكشف عن الجامع والسبيل
 والحوض التي أنشأها هنالك بالعباسية فأقام هنالك ثلاثة أيام ثم عاد إلى القلعة وفي صفر
 توفي الطواشي جوهر النوروزي الحبشي مقدم المماليك ثم الزمام وكان دينا خيرا وأصله من
 خدام الخوارج ثمس الدين بن المزلق ثم وهبه لابنته زوجة نوروزا الحافظي فنسب إليه وفيه
 توفي شرف الدين موسى بن كاتب غريب وهو موسى بن يوسف القبطي وكان مولده سنة
 ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان غير مشكور السيرة وعنده عسف وظلم فأت والناس عنه غير
 راضين وفيه شرع الأمير يشبك الدوادار في أمر توسيع الطرقات والشوارع والازقة فأمر
 القاضي فتح الدين السوهاجي أحد نواب الشافعية بأن يحكم بهدم ما وضع في الشوارع
 والأسواق بغير طريق شرعي من أبنية وربوع وحوانيت وسقاييف ورواشن ومساطب
 ونحو ذلك واسعة الحال في أمر الهدم حتى دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فحصل بذلك
 بعض نفع في توسعة الطرقات ولكن حصل غاية الضرر لجماعة من الناس بسبب هدم ربوعهم
 وحوانيتهم وهدم لحوند شقرا ابنة الملك الناصر فرج ثلاثة ربوع في الموازين أحدها كان
 لجامع الصالح خارج باب زويلة فاضطربت أحوال القاهرة وكثر الهدم في الأماكن
 ولا سيما المظلة على الشوارع وحصل للقاضي فتح الدين السوهاجي غاية المقت بين الناس
 بسبب حكمه بهدم الأماكن وفي هذه الواقعة يقول الشهاب المنصوري

تكشفت عن محيا مصر للاستار * وخف عنها من الأثقال أوزار
 واهتزت الأرض منها بهجة ورنث * ولاح فيها أضواء وأنوار
 كانت كصبح تعالت فوقه ظلم * شتى فجاء لها بالنور أسفار
 كانت كشمس تغشاها الغمام ضحي * فزقت من الأرياح أعصار

فاليوم أعطاها بالبشر مائسة * وقدّها في حلي السعد خطار
 وكانت الطرق قد شابت مفارقها * والشيب ان شان ما في أخذ عار
 ومنها لما شك الناس من مصر مضايقتها * وحار فيها من الحكم أنكار
 فما تلقى أجور القاطنين بها * الا الامير الذي بالعرف امار
 فهو الهمام النظام المرتقى درجا * تالفضل يشبك مولانا الدوادار
 وهذا اختصار القصيدة المطولة وفيه تغير خاطر السلطان على برهان الدين النابلسي وكيل
 بيت مال المسلمين فتبض عليه وسلمه للامير يشبك الدوادار ليستخلص منه الاموال فاستمر
 الامير يشبك يعاقبه واستخلص منه جملة أموال لها صورة وآخر الامر مات تحت العقوبة
 أشرموتة وقد أذاقه أنواع العذاب وتدنن في عذابه تنسنا زائدا قيل انه ضربه عدة مرار نحو
 من ألفين وسقائة عصا وقلع أنراسه ودقها في رأسه وغير ذلك من أنواع العذاب وكان أصله
 من دمشق وهو ابراهيم بن ثابت وكان أحد نواب الشافعية وله اشتغال بالعلم لكنه أدخل
 نفسه في أمور السلطنة وطاش وظلم وجار عليهم ولم يفتكر في عقبي ذلك فأخذ من الجانب
 الذي آمن اليه بعد أن عادى جميع الناس عن عصر والشام حتى الامراء وأعيان الناس
 وأعيان الدولة وشقى لنفع غيره حتى سلب من المال والروح وفيه قدم قاصدا من عند ابن عثمان
 ملك الروم وعلى يده مكاتبة فأكرمه السلطان وعادله الجواب وسافر بعد أيام وفي ربيع
 الاول خلع السلطان على صاحب خشية قدم الاجدى وقرره في الخازندارية الكبرى
 والزمامية عوضا عن جوهر النوروزي فعظم أمره جدا وصار وزير او خازندار او زماما وقرر
 منقال الساقى الظاهري رأس نوبة السقاة وكانت بيد خشية قدم أيضا وفيه خلع السلطان
 على القاضي تاج الدين بن المقسى وقرره في الاستادارية عوضا عن الامير يشبك الدوادار
 وقد استعفى منها قاصدا ابن المقسى استادارا وناظر الخاص فعظم أمره جدا وكان ذلك نهيته
 وانتهاء سعده وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة وكان يوما حافلا وحضر القضاة
 الاربعة وجميع الامراء فلما انقضى أمر المولد نزل السلطان من القلعة وقصد التوجه
 الى ثغر الاسكندرية فسافر من البر وجهاز سنيحه في المراكب وسافر صحبته من الامراء
 الاتابكي ازبك أمير كبير ويشبك الدوادار وعزاز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل
 حاجب الحجاب وعدة من الامراء الطبليخانات والعشراوات والجلم الغفير من الخاصكية
 والمماليك السلطانية وسافر معهم سائر المباشرين وكان القاضي كاتب السر بن مزهر
 متوعدا في جسده وخرج وسافر مع السلطان وهو عليل وكان علم الدين شاكر بن الجيعان
 مريضا على غير استواء فتخلف بالقاهرة وانما سافر معه ولده عبد المغنى فلما وصل السلطان
 الى مدينة الاسكندرية زينت له زينة حافلة وخرج الى لقائه الملك المؤيد أحمد بن الاشرف

اينال وهو بالشاش والقماش وكذلك قجماس الاسماقي نائب نغرا الاسكندرية واصطف
 الناس في شوارع المدينة بسبب القرحة فدخل السلطان في موكب حافل وجميع من
 معه من الامراء والعساكر ملبسين بالآلة السلاح بالعددا الكاملة والاتباع ازيك
 حامل القبة والطير على رأسه والملك المؤيد بين يديه قدام الامراء وقدامه اعيان
 المباشرين وأرباب الدولة وطلب طلبا حفا ولا وجرفيه مائتين وخمسين فرسا منها خمسون فرسا
 بالسروج الذهب والكنايش والبقية ملبسة بافواع الجواغين المكففة والبركستوانات من
 النخل الملون وفي الطلب كخاتوش زركش وهي التي تعرف الآن بالجوشن ولعبوا قدامه
 بالغواشي الذهب والاوزان عمال والشباب ومشت قدامه الامراء رؤس النوب بالعصى
 وشق المدينة في ذلك الموكب الحافل وكان له يوم مشهود ثم ان بعض تجارا لا فرنج نثر على
 رأسه ألف بند في ذهب فتراجت عليه الممالك يلتقطون ذلك الذهب من الارض فسكاد
 السلطان أن يسقط عن ظهر فرسه من شدة ازدحام الناس عليه حتى أدركه الامير عزرازيو يده
 عصا فضرب الناس حتى خاض السلطان ومشى واستمر في ذلك حتى خرج الى باب البحر
 الذي هناك فنزل بالخيم الذي نصب له على ساحل البحر الملح وكان من العادة القديمة أن
 السلطان اذا دخل الى مدينة الاسكندرية تفك أبواب المدينة وتلقى على الارض الى أن
 يرحل السلطان عن المدينة فلم يوافق السلطان قايتباي على ذلك وأبقى كل شيء على حاله
 ولم يدخل الاسكندرية سلطان من عهد الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وقد
 دخلها مرتين الاولى في سنة سبع وستين وسبعمائة لما طرق الافرنج نغرا الاسكندرية
 فدخلها على جرائد الخيل والثانية كانت في سنة احدى وسبعين وسبعمائة فاوكب
 بها في هذه المرة وزينت له مدينة الاسكندرية وفرش له خليل بن عرام نائب الاسكندرية
 الشقق الحرير ونثر على رأسه خفاف الذهب والفضة ومشت بين يديه الامراء وكان له بها
 يوم مشهود وكان دخوله من باب رشيد فانه كان في تروجه وتوجهه من هناك الى الاسكندرية
 فاقام بها ثلاثة أيام وعاد الى القلعة ثم توجه به بعده الى الاسكندرية الملك الناصر فرج بن
 برقوق في سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما دخلها كان له بها يوم مشهود فوقف له بعض
 تجارا المغاربة بقصة يشكوه من ظلم القباض ا لهم فابطل ما كان يؤخذ منهم من الثلث الى
 العشر فارتفعت له الاصوات بالدعاء وعند ذلك من محاسن السلطان فرج ومن هنا ترجع
 الى اخبار الاشرف قايتباي فلما نزل بالخيم مد له هنا قجماس نائب الاسكندرية مدة حافلة
 ثم خلع على الملك المؤيد ونائب الاسكندرية ورجعا الى دورهما وصحبتهما الامراء قاطبة
 فاقام هناك ثلاثة أيام ولعب الكرة في الفضاء ولعب معه الملك المؤيد والامراء الذين
 توجهوا معه ودخل عليه من تجارا الاسكندرية تقادم حافلة ثم انه توجه نحو المنار القديم

الذى كان بشغرا لاسكندرية ورسم بان يبنى على أساسه القديم برجاً فبنى به برجاً عظيماً وهو
الموجود الآن ثم ان السلطان رحل من الاسكندرية وتوجه الى نحوادكو ودمنه ورو غير
ذلك من البلاد الغربية وانشرح السلطان في هذه السفرة الى الغاية واستمر يرحل من مكان
الى مكان على سبيل التنزه نحواً من أربعين يوماً حتى عاد الى القلعة المنصورة ومن الحوادث
أنه جاء في غيبة السلطان قاصد من عند قراجا الطويل نائب حماه وأخبر أن نائب حماه ثار
عليه أهل البلد ورجوه وأخرجوه منها وقتلوا دوا داره وأحرقوه بالنار بسبب ظلمه وعسفه في
حق الرعية فلما بلغ السلطان هذا الخبر عيّن من هنالك خاسكياً للكشف الاخبار ليرى
الظالم من المظالم وفيه حضر قاصد من مكة المشرفة وأخبر بنزول صاعقة عظيمة عند باب
السلام فاحترق منها عدة أماكن وأخبر بوفاة قاضي القضاة المالكية بمكة المشرفة وهو محمد
أبو اليمن بن أبي السعادات وكان من أهل العلم والفضل وأخبر أيضاً بوقوع فتنة مهولة بين
الشريف محمد بن الشريف بركات وبين قبيلة بني جازان وحصل بينهما ما لا خير فيه وآل
الامر الى أن الشريف محمد قد قبض على شيخ بني جازان وفي ربيع الآخر كان وفاء النيل
المبارك وقد وفي آخر يوم من أيّيب وكسرى أول يوم من مسرى فعاد ذلك من النوادر وفيه
يقول القائل

أرى نيل مصر قد غدا يوم كسره * اذارام جرياني الخاليج تقنطرا
ولكن بهذا الكسر زاد تجبرا * وأفرط هجما في القرى وتجسرا
(وقال آخر)

ان بحر النيل قد وفي لنا * ما عليه من قديم قترا
وقضانا الدين الا انه * حين وفي ما عليه انكسرا

وكان الوفاء في غيبة السلطان فتوجه الامير لاجين أمير مجلس وفتح السد على العادة بأمر
تقدم من السلطان له وكان يوماً مشهوداً وفيه كانت وفاة القاضي علم الدين شاكر ابن
الجميعان بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب الدمياطي الاصل
القبطي المصري متولى ديوان الجيش وكان رئيساً حشماً وجهاً عند الملوك والسلاطين
وكان عنده تواضع زائد للناس فاطبة وله اشتغال بالعلم ومولده في سنة سبعين وسبعمائة وهو
الذي أنشأ الجامع الذي بالقرب من بركة الرطلى وكان نادرة في بني الجميعان وفيه وصل
السلطان الى القاهرة وطلع الى القلعة وكانت مدة غيبته في هذه السفرة نحو شهر وايام
ودخل له تقدم حافلة فلما استقر بالقاعة خلع على الشريف يحيى بن شاكر بن الجميعان وقرره
في وظيفة والده ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفي جادى الاولى عرض السلطان جماعة
من أولاد الناس وقرر منهم من اختاره في وظائف مثل طبردارية وجدارية وغير ذلك وفيه

خلع السلطان على شمس الدين بن القوصوني وقرره في رئاسة الطب عوضا عن ابن العفيف
 وكانت انتهت عمارة قاعات الازبكية التي أنشأها الاتابكي أزبك فعزم على السلطان هناك
 فنزل اليه وبات عنده فاضافه ضيافة حافلة ثم قدم له تقادم هائلة فشكره على ذلك ولم يقبل
 منها شيئا فلما اصبح توجه هو والامير يشبك الدوادار الى جهة المطرية فاضافه هناك الامير
 يشبك في القبة التي أنشأها هناك فأقام عنده يوما وليله وانشرح هنالك الى الغاية وشكر
 عمارة الامير يشبك على عمارة الاتابكي أزبك ثم طلع الى القلعة وبعث اليه الامير يشبك
 تقادم حافلة فقبل منها شيئا ورد منها شيئا وفيه انتهت زيادة السيل الى اصبع واحد
 وعشرين ذراعا وثبت الى آخر بابة وقد كسر الجسور وقطع الطرقات وغرقت أراضي
 المنية وكان نية لاعظيما وفيه خلع السلطان على قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة
 وقرره في مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن الشيخ سيف الدين الحنفي بحكم وفاته
 رحمه الله تعالى وكان ابن الشحنة منفصلا عن القضاء وفيه في أثناءه خرج السلطان على
 حين غفلة من العسكر وتوجه الى الصالحية ثم بعد أيام أشيع بان السلطان توجه من
 هناك الى البلاد الشامية فتعجب الناس من ذلك وكان في نفر يسير من العسكر
 بحيث انه كان معه من المماليك نحو من أربعين مملوكا من خواصه وكان معه بعض أمراء
 عشراوات وتانى قر الدوادار الثاني وآخرون من الأمراء وكان معه من المباشرين القاضي
 كاتب السر أبو بكر بن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وشهاب الدين بن التاج الموقع وبرهان
 الدين بن الكركي الامام وغير ذلك مما لا يحضر في أسماءهم وترك بالقاهرة الخليفة المستنجد
 بالله والقضاة الاربعة والاتابكي أزبك ويشبك الدوادار وسائر الأمراء المقدمين
 والطب خانقات والعشراوات وجميع العسكر قاطبة لم يتبعه أحد منهم فصار الناس في شك
 من سفره على هذا الوجه ولم يتفق لاحد من السلاطين مثل هذه الواقعة وفي جمادى الآخرة
 ورد هيجان من عند السلطان وعلى يده مراسيم الى الأمراء الذين بالقاهرة فكان من
 مضمونها ان السلطان توجه الى نحو البلاد الشامية ليكشف عن أمر النواب والقلاع
 بنفسه وأرسل يقول للأمراء بأن يتوصوا بالرعية والجد في الاحوال وأن يحضروا الجامكية
 مادام السلطان غائبا وكان المشار اليه في غيبة السلطان الامير أزبك وقد عظم أمره
 جدا والتف العسكر عليه دون الأمراء وفيه في غيبة السلطان توفي القاضي نور الدين
 ابن الانباجي نائب كاتب السر وكان رئيسا حشما عارفا بأحوال المملكة وكان انسانا
 حسنا لا بأس به رحمه الله تعالى وفي رجب توجه القضاة الاربعة الى بيت الاتابكي أزبك
 والامير يشبك الدوادار وهنؤهم بالشهر وفيه خرج الاتابكي أزبك الى السرحة فغاب
 أياما وعاد الى القاهرة ومن جملة ألطاف الله تعالى أن في غيبة السلطان لم يقع الخلاف بين

الامراء ببل كان الامان والاطمئنان في القاهرة وجميع ضواحيها حتى عند ذلك من النوادر
وفي شعبان وصل هيجان من عند السلطان وأخبر بأن السلطان دخل الى حلب وأقام بها
وهو قاصد الى جهة الفرات وقد عرج قبل دخوله الى حلب نحو طرابلس ثم حضر هيجان ثمان
وعلى يده من اسيم للامراء بالسلام ومكاتبة للاتاكي أزيل بأنه يتوجه الى المطعم بالريمانية
ويلبس الامراء هناك الصوف وأن يصرف الكسوة للجنود فخرج الاتاكي أزيل الى المطعم
وصحبته الامراء قاطبة والعسكر وكان له يوم مشهود فالبس الامراء هناك الصوف
كعادة السلاطين وخلع في ذلك اليوم على الأمير جاني بك الفقيه أمير سلاح وقرره
في امرية الحاج بركب المحمل وقرر اقبردى الاشرفي بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار
ب وفاة الشهابي أحمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وهو أحمد بن محمد بن عبد الغني توفي بحلب
وكان خرج بحجة السلطان فأت هناك وقيل انه حصل له رجفة من السلطان فانطرب
ومات عقيب ذلك وكان شابا قليل الاذى للناس لا بأس به وفي رمضان وقع بالقاهرة بعض
اضطراب وسبب ذلك مضى الثلاثين من شعبان ولم ير الهلال فاكل غالب الناس في أول
رمضان فتنادى القاضي الشافعي بالامساك فتار عليه العوام وقصدوا الاخرق به فنبت
رمضان برؤية الهلال قريب الظهر ولكن أفطر غالب الناس في ذلك اليوم وفيه وقع بين
تم الضبع أخوتك الجمالي وبين القاضي أبي الفتح السوهاجي تشاجر بسبب هدم مكان
فسب الامير تم الضبع القاضي السوهاجي فشكاه الى الامير يشبك فطلب تم فلما حضر
أمر بضربه بين يديه فضرب ولم يوقره ل أخيه تيمك الجمالي فحصل بسبب ذلك بعض قلقه
بين الامراء وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن السلطان لما توجه الى الفرات أقام هناك
أياما ثم عاد الى حلب ورحل عنها وقصد التوجه الى حماه فلما دخلها وأقام بها حصل له هناك
مرض في جسده فلما نقل في المرض وعجز عن الحركة أحضر والده محفة فعمل بها وتوجه الى
دمشق فدخلها وهو مريض على غير استواء فكثرت اقبال القليل بين الناس وصار في كل يوم
يشاع بالقاهرة خبر جديد بان السلطان مات ودفن هناك فاضطربت أحوال الامراء
في بعضهم وأظهر كل واحد منهم ما في نفسه من السلطنة وأرجفت القاهرة بموت السلطان
غير ماهرة ونقل الامير يشبك الدوادار بأن بريدك جيش أحد الامراء الاخورية
وكان من أخصاء جانبك الفقيه أمير سلاح قدمشى بين طائفة المماليك الخشقدمية بان
يكونوا من عصبة جانبك الفقيه واذا صح موت السلطان يقومون معه ويسلطونونه وكان
جاني بك الفقيه تحذره نفسه بالسلطنة ويقرب الفلكية والنجمين وحظي عنده جماعة
بسبب ذلك ثم ان الامير يشبك أرسل خلف بريدك جيش وذكر له ما نقل عنه فانكر ذلك
وحلف أيمانا عظيمة أنه لم يصدر منه شيء من ذلك فقامت عليه البيعة وكذبوه في وجهه

فسكت ولم ينطق بحرف واحد فعند ذلك أمر الأمير بشبك بضر به فضر ب بين يديه ضرباً
مبرحاً حتى أشرف منه على الهلاك ثم أقامه وأحضر له عمامة يهودى صفراء وألبسها له
وقصد يشهره بالقاهرة فشفع فيه بعض الأمراء فأركبه على حمار وجرسه بين يديه في الدوائر ثم
شكه في الحديد وأمر بنفيه إلى الواح وكل ذلك جرى والسلطان غائب لم يعلم له خبر وكانت
هذه الواقعة سبباً لتقبي جاني بك الفقيه أمير سلاح كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه ختم
البحارى بالجامع الأزهر وحضر به القضاة الأربعة وقرت هناك الخلع والصرر على الفتها
والعلماء وكانت قراءة البحارى من أورد رمضان في الجامع الأزهر وعند الدعاء يدعون للسلطان
بالسلامة فيبنيما القاهرة في اضطراب وإذا بالخاصكى حضر من عند السلطان يقال له برد بك
سكر وعلى يده مكابيات للخليفة والقضاة الأربعة والاتباءى أربك والامراء قاطبة
فكان من مضمونها أن السلطان كان قد حصل له نوع في جسده وقد بعث الله تعالى له
بالعافية والشفاء وحصل له البرء فضربت البشارة بالقلعة ودخل على برد بك سكر عدة كوامل
بنمور من الأمراء والخليفة وقضاة القضاة وأرباب الدولة ودقت له البشارة على أبواب
الامراء ونودي في القاهرة بالزينة سبعة أيام فزينت وأظهرت الناس الفرح والسرور
بعافيته وسكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة وبطل القتل والقال الذى كان بين الامراء
وفي ذلك يقول الشهاب المنصورى

بـ عافية السلطان مولى الانام قد * تهل وجه الدهر فهو جميل

وقد صحت الدنيا لصحة جسمه * وليس بها غير النسيم عليل

وكان الأمير يشبك الدوادار من حين توجه السلطان للسفر وهو مجتهد في توسيع الطرقات
واصلاح وجوه أبواب الجوامع والمساجد وجلى رخامها وبيض حيطانها وكشف عن
أبواب جامع الملك الصالح وظهر منه عواميد رخام فخاهها وأمر بتبييض الدكاكين ووجوه
الربوع التى تطل على الشوارع وخلع على شخص من أبناء الناس وجعله مشداً لطرقات
فصار يستحث الناس في سرعة البياض والدهان حتى صارت القاهرة كأنها
استجدت في بنائها وتزخرفها وصارت مثل العروس التى تجلى ثم ان الأمير يشبك أمر بقطع
عتبة باب زويلة وأعلى العتبة وأصلحها فان الأرض كانت علت على العتبة فقطع الأرض
ومهد قدماً الباب واستمر باب زويلة مغلقاً أياماً حتى انتهى العمل منها فعد ذلك من النوادر
وفيه - حضر هجان من عند السلطان وأخبر أن السلطان خرج من الشام بعد ما جلس
بالقصر الذى بالميدان وحكم بين الناس وارتفعت الاصوات له بالدعاء وخلعت الامراء على
الهجان ثم حضر عقيب ذلك هجان ثان وأخبر بأن السلطان خرج من غزة وهو قاصد
الديار المصرية فشرعت الامراء فى الخروج الى ملاقاته السلطان ثم جاءت الاخبار بأن
السلطان وصل الى قطيا وفي شوال جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى الصالحية

وصل إلى بها صلاة العيد وهو عيد الفطر فعند ذلك خرج الاتابكي أربك والامير يشبك
الدوادار وبقية الامراء قاطبة إلى ملاقاته السلطان ثم وصل إلى الخانقاه فخرج اليه
القضاة والعسكر باجمعهم ونودي في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة فلما كان يوم
الخميس رابع شوال دخل السلطان إلى القاهرة في موكب حافل وقدامه القضاة
الاربعة والامراء والعسكر على ما جرت العادة به في الموكب وكان له موكب عظيم ويوم
مشهود إلى أن طلع إلى القلعة ففعلت له خوند ما يناسب الملوك إلى أن دخل إلى الحوش
فدلت الاسمطة إلى الغاية ثم انتهت فخلع على من كان مسافرا صحبته ولما وصل السلطان إلى
الفرات قدم عليه شخص من أولاد حسن الطويل وهو ابن محمد اعزلوبن حسن الطويل
وكان شابا جليل الصورة وله من العمر نحو من ثمان عشرة سنة تخافت عليه أمه أن يقتله
أعمامه فخافت به إلى السلطان فحضر به إلى القاهرة وخطى عنده وكان عند مروره
من القاهرة قدماه ساعيا كالملوك والامراء واستمر بمصر حتى مات كما سيأتي الكلام
عليه وكان اسمه حسين بك وقيل مرزاه وهو المشهور عند الناس ولما رجع السلطان من
هذه السفرة عظم أمره جدا وكان انتهاء سفره إلى الفرات وكشف على عدة قلاع بنفسه
ودخل الشام وحلب وطرابلس وجاء وغير ذلك من البلاد الشامية ودخل عليه من النواب
وأعيان الناس جملة تقادم وأموال لها صورة وعدت هذه السفرة من النوادر الغريبة وكانت
مدة غيبة السلطان في سفرته نحو من أربعة أشهر وفي هذه الواقعة يقول الشيخ محمد بن
الزيتوني هذه القطعة الزجل وهي من محاسن هذا الفن كلها غرر وجناس تام وهي هذه

سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر جاء
ومن حلب عداير وروم الفران * فاسقى الخيول من ماء ووربه جاء
في مصر فرسان أربعين بالعدد * لدورة المحمل يسوقوا الجياد
ورعهم ساكن قلوب الملوك * يردوا الخارج وأهل العناد
في ذا العدد راح الملك واقتخر * بهم على سائر ملوك البلاد
وخوسوار لافاه وفي صحبته * ولا حسن بك بالخدم ما أباه
وخلع عليه اطمئن وخلع على * ولا حسن خلعه وشتت أباه
كامل مظفر بالعدا لم يزل * يجري دماهم في القيا فيهم
خرج لتطمين العباد في البلاد * فكهم شمر عاقل وظالم نهر
امامنا الاعظم مليك الزمان * بالعدل في هذا الوجود اشتهر
كشف عن النواب فن خان وجار * أنكر عليه فعلا وبالعزل جاء
ومن رآه عادل وفعلا وحسن * خلع عليه واعطاه منازل وجاء
هذا الملك صالح وسروظهر * لاشك انو قطب في الدائرة

لما خرج في الاربعين خلتهم * بدر الدجى حول نجوم زاهره
 له منازل كل حـ منزله * شئ للرصـد شأنه وشئ سامره
 كشف بلاده واعتبر أهلها * واحـد رفع قدره وآخر سماه
 وطلعتو فاقت شمس الضحى * وأخفت البدر المنير في سماه
 لما دخل للشام وكان قد ضعف * من الهوا والشرب من ماء العيون
 وربنا عافاه وجاؤنا * سالم وقسرت به جميع العيون
 عادل وربه بالنطفـ سرايده * عجب اساطان حاز جميع الفنون
 ومهد الدنيا بعدلوان * راديتنى عزمو الشديـد مائنه
 وفاز بتاريخ ما فرح به ملك * قبلوا ونال قصده وبيض ثناه
 أهل الفضائل والعلوم ورخو * وكل واحد في الكتابه ذهب
 يكتب تاريخ الملوك بالمداد * الالقايتهى كـتب بالذهب
 هو فارس الاسلام وليث الوغا * وفهلوان الحرب مثل العجب
 وخالفه علامقامه الشريف * على الملوك وانشاه ومن مابراه
 وكل ذا في اللوح قديم في الازل * خطوا القلم جل الذى قد براه
 تاريخ سنة اثنين جمادى الاخير * يلى ثمانين مع ثمان من مئين
 من هجرة الهادى عليه السلام * خير النبیین سيد المرسلين
 تجهز السلطان يريد السفر * واخفى عن العسكر خرج في أربعين
 وفرابيت المال خزان ذهب * مات حصروا القـلامنا مع دواء
 وريح العسكر وكـم من ضعيف * كان التخلف في بلاد دواء
 لاجل الدوادار الكبير قد برز * أمره بتوسيع الطريق المضيق
 وكشف ابواب المساجد وما * بين المدارس كان على غير طريق
 وصلح الابواب وشئ بيضه * واخلع على واحد مشد الطريق
 ووكله بالقاهره كل يوم * بقى يدور راكب وفي ايده عصاه
 فبأمر الناس بالبياض والدهان * طاع الجميع أمره وما واحد عصاه
 صارت مدينتنا عروس للـك * وذاعجب كيف العريس هو الولي
 ونقشوها بالدهان في البياض * واضحت عروسه بالطراز تنجلي
 ومدت المـدات نـهار الفرح * وزينوها بالحلل والحلى
 وبان لها سيقان عواميد رخام * جلاهم الصانع ونـم جـلاه
 ودقت الكوسات نهار الدخول * وكان دخوله في المواكب جلاه
 وقبل ذا صلا على المصطفى * خير الخلائق واعلنوا بالسلام

بكل مرة من صلاتك عليه * جزاك عشره بالصلاة يا كرام
وبالث - فاعة يدخلك جنته * من بابها الاول لدار السلام
هو اول الرسل الكرام في الوجود * وهولهم خاتم وما حدتلاه
وأُنزل القرآن عليه العزيز * على لسان جبريل مفرق تلاه
في ليلة المعراج بخير الانام * ساقوا حديث مسند صحيح السياق
نزل عليه جبريل وقال له الاله * يدعوك الى الحضرة على ذا البراق
ركب عليه حتى صعد للسماء * وصار الى السبع العوا الى الطباق
لجنة المأوى رقي وارثي * وزج به في النور وزاد في شفاه
وافرض عليه الخس كان أصلها * خمسين وفيها خطابه شهابه
هذا المعاني والبديع والجناس * من نظم مزي توفى لفقه دخول
أبو النجا العوفي نظم في الملك * من حين خروجه في السفر للدخول
فان تجد عيبا فسد الخلل * اذا سمعته في نظامه يقول
سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر حياه
ومن حلب عدي يروم القرات * فاسقى الخيول من ماء ور به حياه

وفيه في ثامن عشر منه خرج الحاج وكان أمير ركب المحل الأمير جاني بك النقيه أمير سلاح
وبالاول اقبردى الاشرفي فلما خرج جاني بك النقيه رسم السلطان بهدم سبيله الذي قد أنشأه
بالرميلة فأخذ الناس يلتهجون بأنه لا يعود الى القاهرة وكذا جرى وفي ذى القعدة قدم
قبحه اس الاسحاقي نائب الاسكندرية وأقام بالقاهرة بباب السلسلة وكان قد جمع بين
نيابة الاسكندرية وبين امرية الاخورية الكبرى وفيه نزل السلطان وتوجه الى بر الجيزة
وكشف عن خيوله وأقام هناك أياما ثم توجه الى جهة منوف العليا وكشف عن جسورها
وأمر بإصلاحها وأقام هناك أياما وعاد الى الجيزة ثم سافر من هناك الى الفيوم وكان معه في
هذه المرة الاتابكي أزيك وتمرزا التمشي رأس نوبة كبير وكان معه من الامراء العشراوات
ومن الخاصكية عدة وافرة فلما دخل الى الفيوم تلقاه خير بك وكان مقبلا بالنيوم فخلع عليه
خلعا فاخرة وأقام هناك أياما وهو في أرغد عيش على سبيل التنزه في دنياهو على ذلك اذ ورد
عليه من جهة الصعيد بان عرب هواة ناروامع يونس بن عمر على برسماي كاشف الوجه
القبلي فكسروه ووقع بينهم قتلة قتل فيها جماعة كثيرة من الجند والبلاصية فتشكك
السلطان لهذا الخبر وقصد أن يتوجه من هناك الى بلاد الصعيد فغنه الامراء من ذلك
وكان الامير يشبك متمرضا برجسه وهو بالقاهرة فارسل السلطان يستحثه في سرعة السفر
الى جهة الصعيد وفي ذى الحجة عاد السلطان من سفره من الفيوم فلما استقر بالقلعة خلع
على بركات بن يحيى بن الجيعان وقرره نائب كاتب السر عوضا عن نور الدين الانبائي بحكم

وفاته وهذا أول ضخامة الزيني بركات بن الجيعان وفيه توفي الناصري محمد بن قرقاس
الحنفي وكان عالما فاضلا من أعيان الخنفية وكان يدعى معرفة علم الحرف وعلم الكيمياء
وكان ولي مشيخة تربة الظاهر خشدقدم ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وكان ناظما ناثرا وله
عدة مصنفات منها كتاب زهر الربيع في شواهد البديع وغير ذلك من النثر لا ينف وله معارضة
مقامات الحريري وكان يدعى دعاوى عريضة ومن نظمه

أذا من من تهوى عليك بنظرة * أماط الجوى من قلبك الباس والبلوى
فكن شارباً صبراً لترصدوده * فما ذاق من الوصل من هم بالسوى
(وقوله في ملاح من ركاب الخيل وأجاد)

وظي من العرب الكرام سألته * لمن في الوري تعزى فقال مؤثبي
أنا ابن الذي تشي الملوك أمامه * إذا مارأوه را بكا يوم موكب

وفيه خرج الأمير شيبك الدوادار إلى جهة الصعيد بسبب تلك الفتنة التي وقعت بين يونس
ابن عمرو وبين داود بن عمر قرييه وأخذ معه جماعة كثيرة من الجند وفيه توفي حسن بن محمد
ابن أيوب الكردي نائب القدس ونائب الكرك وكان رئيساً حاشماً لا بأس به وكان قد
شاخ وناق على الثمانين سنة وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد الطولوني الحنفي أحد نواب
الحكم وكان مقرطاً في السمن جداً بحيث لم يكن في عصره أسمن منه وعمّا وقع له أن جماعة
من الفلاحين تحاكموا عنده على دين فأنكر الذي عليه الدين فألزمه القاضي باليمين
فلما أراد أن يحلف قال له الخصم إن كنت ما أخذت مني شيئاً تبقى في سمن هذا القاضي
فاعترف لخصمه بالدين ولم ينكره

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم خلع السلطان على العلاقي علي بن
الصايوني وقرره في وكالة بيت المال عوضاً عن النابلسي وقرر في قضاء الشافعية بحلب عز
الدين الخشناوي وصرف عنها أبو البقاء ابن الشحنة وفيه جاءت الأخبار بأن السلطان قبض
على جاني بك النقيه أمير سلاح الذي توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة وأرسله
من هناك إلى القدس بطالونني أيضاً فأتى بآي الخشقدمي إلى جهة حلب ونفي أيضاً يشيبك
جنب الظاهري جقمق إلى جهة دمشق لكونهم ما كانوا من أصحاب جاني بك النقيه وفيه
دخل الحاج إلى القاهرة وقد قاسى في السنة المذكورة شدة عظيمة من الغلاء وموت الجمال
وانقطع جماعة من الحاج من رجال ونساء وقتل في السنة المذكورة قاضي المدينة المشرفة
وخطيبها وقد قتل بعض الرافض وسبب ذلك أن الخواجا شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعمارة
مدرسة السلطان فاخدم مكاناً كان يسكنه هذا الرافضي فأدخله في بناء المدرسة فتنصب
القاضي على الرافضي في هدم مكانه وكان ذلك سبباً لقتله أقول وأنا حجت تلك السنة
وشاهدت الواقعة ونفي جاني بك النقيه من العقبة وفيه خلع السلطان على جاني قرييه

وقرره في نظر الجوالى وهو جاتم الشريفي وهذا أول اظهار جاتم الشريفي في الوظائف فاقام
 في نظر الجوالى مدة يسيرة ثم أنعم عليه بتقدمة ألف وهي مقدمة جاني بك الفقيه أمير سلاح
 فعظم أمر جاتم جدا وكان أمر دلم يلخ وفي صخر خلع السلطان على شاد بك الصغير وقرره
 في يابة سيس عوضا عن أزدمر قريب السلطان وقدم أزدمر الى القاهرة وفيه كان عقد جاتم
 الشريفي قريب السلطان على خوند ابنة العلائى على بن خاص بك وكان بجامع القلعة
 وحضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان عقدا حافلا وخلع فيه على قاضى القضاة ولى
 الدين الاسيوطى لكونه تولى العقد وخلع على كاتب السراى من هرا لكونه كان وكىلا عن
 جاتم وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه عين السلطان ورد بش
 الظاهرى بأن يخرج الى اللجون بسبب احضار الاخشاب وعين معه جماعة من الجنود
 وأمرهم بأن يدخلوا الى قبرس ويطلبوا أصحاب باب الجزيرة ويتوجهوا من هناك الى اللجون
 لاحضار الاخشاب وفيه وقف الشهابى أحمد بن اسنغا الطيار الى السلطان بقصة يشكو
 فيها قانصوه خسمائة بسبب المكان الذى أنشأه بقناطر السباع تجاه بيت ابن اسنغا الطيار
 وذكر في القصة ان قانصوه خسمائة قد جار عليه وفتح من عنده بابا بغير طريق شرعى وقطع
 من عنده عدة أشجار وقد أضر ذلك بحاله فلما سمع السلطان ذلك وبلغ قانصوه خسمائة
 بالكلام وأمره بأن يستد الباب الذى فتحه ويرضيه في قيمة الاشجار التى قطعها من عنده
 وأنصف السلطان ابن اسنغا الطيار على قانصوه فمد ذلك من النوادر لكونه أنصف ابن
 اسنغا على قانصوه مع خصوصيته بالسلطان ولكن كان قانصوه متمتعاً على ابن اسنغا
 الطيار وفي ربيع الآخر خلع السلطان على قجماس الامهاقي أمير اخور كبير وقرره
 في امرية الحاج بركب المحمل وخلع على فارس الركنى وقرره بامرية الركب الاول
 فاستعفى فارس من ذلك فاعفاه السلطان وقرر عوضه أقبردى الاشقر على عادته وقيل ان
 فارسا استعفى بحال عن امرية الحاج وفيه جاءت الاخبار بان يشبك الدوادار قبض على
 يونس بن عمر الهوارى وقد تتبعه الى بلاد النوبة وجرى معه أمور يطول شرحها وآخر
 الامر قبض عليه وقطع رأسه وقبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه وانتصر
 على بنى عمر نصرة عظيمة وبعث برأس ابن عمر يونس الى القاهرة فطيف بها وعلمت على باب
 زويلة أياما وكان يونس هذامن خيار بنى عمر وهو يونس بن اسماعيل بن يوسف أمير
 عربان هواره وكان مشهورا بالشجاعة وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى في رابع
 مسرى فتوجه الى تابكى أزبك وفتح السد على العادة ومن الحوادث الغريبة أن فى ليلة
 الوفاء انقطع جسر أبى المنجبا وانقلب عن آخره فحصل للبلاد التى تحته غاية الضرر وغرق
 الكثير من أموال الناس والمقطعين ومن العجائب أن البحر لم يتأثر لقطع جسر أبى المنجبا
 ووفى فى تلك الليلة وزاد عن الوفاء اثني عشر اصبعاً فعد ذلك من النوادر ثم فى ثانى يوم من

كسره زاد ستة عشر اصبعاً وكل الذراع السابع عشر في يومين حتى تعجب الناس من ذلك وقد قال القائل

أرى النيل قد وادى وزاد ولم يزل * يجود على أهل القرى بالمكارم
أفاض عليها الماء من بسط راحة * أصابعها فافت أيادي حاتم

وفي جمادى الأولى جاءت الأخبار من جاءه بان سيف بن نعيم الغاوى وقربائه قد خرجوا عن الطاعة وأن نائب جاءه تقاتل مع الغاوى فكسر نائب جاءه وقتل من عسكره ما لا يحصى ثم خرج اليه نائب حلب وأوقع معه ففر منه فتبعه وقد اضطربت أحوال جاءه بسبب ذلك وفيه نار فتنة كبيرة بالقلعة بين المماليك الجلبان حتى تقارعوا بالسيوف فقتل منهم السلطان ورعى النجباء والرس من يده ونزل من القلعة ونوجه إلى نحو شطابونوف فلما تحقق الجلبان ذلك أخذوا في أسباب تلافى خاطره وسكن أمر الفتنة التي كانت بينهم ثم توجه الاتابكي أزبك وكاتب السر إلى السلطان وتلافوا خاطره وتلافوا به في عوده إلى القلعة فلا زالوا به حتى عاد إلى القلعة بعد جهد عظيم وفيه وصل الأمير يشبك الدوادار من جهة الصعيد وحضر صحبتته جماعة من بني عم بونس وأقاربه وهم في الحديد وأحضر الأمير أحمد بن عمر الهوارى أخى بونس الذى قطعت رأسه فلما مثل بين يدي السلطان خلع السلطان على الأمير يشبك خلعة حافلة ونزل إلى داره ومعه أحمد بن عمر في الحديد وفي جمادى الآخرة عرض أحمد بن عمر على السلطان فرسم بتسليمه إلى الوالى هو ومن معه وكانوا سبعة أنفار فاركبهم على جمال ونزلوا بهم إلى باب زويلة فكلبوا الجميع وعلقوهم بباب زويلة ووسطوا منهم جماعة وكان لهم يوم مشهود وتأسف عليهم الكثير من الناس فانهم كانوا خيار بني عمرو ولكن كان للأمير يشبك عليهم ثار قديم فاقتصه منهم كما قيل الموت فى طلب النار ولا الحياة فى العار وفيه نزل السلطان إلى قبة يشبك التي بالمطرية فاضافه هناك كآب السرايين من هوى ضيافة حافلة ويات هناك ثم طاع إلى القلعة وفي شهر رجب خلع السلطان على الشريف سبع وقرره في امرية ينبع عوضاً عن صقر بحكم القبض عليه وفيه خلع السلطان على يوسف بن أبى الفتح المنوفى نائب جده وقرره في كتابة المماليك عوضاً عن عبد الكريم بن جلود بحكم وفاته وكان متحدثاً فيها بغير تقرير وفيه جاءت الأخبار بوفاة جاني بك الفقيه الذى كان أمير سلاح وثقى من العقبة إلى القدس فبات هناك وكان أصله من ممالك الظاهر جقمق وكان يعرّف بجاني بك بن ططخ وكان انساناً حسناً وكان له اشتغال بالعلم وتولى عدة وظائف سنوية منها أمير اخورثانى ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أمير سلاح ثم تقي إلى القدس ومات به بطالا وفيه توفى دولات حمام الاشرفى وكان يعرّف بدولت باى بن تغرى بردى ومات وهو نائب الاسكندرية وكان لا بأس به

وفيه عزل تاج الدين بن المقسى من الاستادارية وأعيد إليها الأمير شيبك الدوادار وأقام ابن المقسى في الترسيم على مال يورده وكان ذلك آخر سعيه وفي شعبان خلع على بدر الدين بن محمد ابن الكويز وقرر في نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم انفصاله عنها وفيه خلع السلطان على محمد بن عجلان وأعادته إلى مشيخة العرب بالشرقية وكان له نحو من عشرين سنين وهو في البرج بالقلعة وفيه خلع السلطان على أقباي الطويل وقرره في كشف الشرقية وأقباي هذا هو الذي ولي نيابة غزة فيما بعد وفيه توفي دولابى سكسكان الاشرفى برسباى توفي بحماه وكان أتابك العساكر بها وكان من أعيان الاشرفية ولا بأس به وفيه جاءت الاخبار بموت حسن الطويل ملك العراقين وأن ولده خليل توفي على العراقين بعده وقيل ان موته كان في رجب وكان ملكا جليلا عاقلا سيوسا كثير الحيل وانخداع اقتلع ملك العراقين من أخيه جهان كبير بجيل غريبة وقتل عمه الشيخ حسن وانقرضت دولته بنى أيوب على يده ثم قوى على جهان شاه وحاربه حتى كسره وقتله وشت أولاده وملك تبريز والعراقين وبلغ مبلغا لم يصل اليه أحد من أجداده ولا من أقاربه وقد تحرش بابن عثمان ملك الروم بأن يأخذ من ملكه شيئا فآقدر عليه ثم تحرش بسلطان مصر وجرى له مع الاشرف قاتباى أمور يطول شرحها وكان الاشرف قاتباى يخشى من سطوته فلما مات عتد ذلك من جملة سعيه بالاشرف قاتباى وقد قيل في المعنى

أيامك صار من سعيه * بموت الاعادى حقيقا يفوزا ٢

لقد أهلك الله عنك العدا * وينصرك الله نصرا عزيزا

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو القرين ثم إلى الخطارة وكشف عن الجامع والسيل الذي أنشأه ما هناك والحوض الذي أنشأه هناك على الدرب الساطاني وكان المشد على العمارة الأمير شيبك الجمالى فجاءت هذه العمارة في غاية النفع وفي رمضان خلع السلطان على اينال الاشرفى عملا للسلطان وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا عن دولابى حاتم وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وكان ختما حفلا وفي شوال في يوم عيد الفطر خلع السلطان على الأمير شيبك بن مهدي الدوادار وكشف التراب ومدير المملكة وغير ذلك فصار رأس مجلس الميسرة وهو بالقصر ويقف في الحوش ولم تجتمع هذه الوظائف في أحد من الامراء قبله وفيه توفي شمس الدين العاقل أحد الموقعين والشهود العدول ولا بأس به وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير الركب بالمحمل فجماس أمير اخور كبير وأمير ركب الاول اقبردى الاشرفى وجم في السنة المذكورة الشيخ صلاح الدين الطرابلسي الحنفي وفي ذى القعدة قصد قانصوه التي ان يسافر إلى بلاد جركس وكان قد حصل له توقع في أذنه وعينه فتوجه هناك للتداوي وكان يومئذ خاصكا

فغاب هناك مدة طويلة ثم عاد الى القاهرة وفيه توفي أبو يزيد بن طراباي الاشرفي رأس نوبة
الجدارية وهو والد الباصري محمد بن أبي يزيد وكان لأبأس به وفي ذى الحجة نزل السلطان من
القلعة وعدي الى برج الحيزة وكشف عن القناطر التي أمر بإنشائها على يد الاتابكي أزيك
وكان الوقت محتاجا لاصلاح تلك القناطر وكانت قد تهدمت فصرف عليها جله مال حتى
جدها وهي باقية الى الآن وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة نائبها جاني بك قلقسير
وكان أميراً جليلاً لارثدا حشماً وأصله من مماليك الاشرف برسباي وكان موصوفاً
بالشجاعة والفروسية وتولى عدة وظائف سنية منها جوية الحجاب الكبرى وامرية
مجلس وامرية سلاح ثم ولى الاتابكية بمصر وترشح أمره لاسلطنة غير ماهرة ثم أسر
عند سوار ثم أطلق وأعيد الى امرية سلاح ثم تولى نيابة الشام ومات بها وكان كفواً
للتصاب والمهمات وغير ذلك وفيه أرسل السلطان الخواجه محمد بن محفوظ المغربي الى ملك
التيان الافرنجي وأرسل له على يده هدية حافلة فسار اليه وفي عقيب ذلك أرسل صاحب
قبرس ما عليه من الجزية المقررة وقصد السلطان أن يجهز له تجريدة فلما أرسل ما عليه
سكن الامر وفيه توفيت خوند فاطمة بنت المؤيد احمد بن الاشرف ايتال وهي زوجة الامير
يشبك الدوادار أم ولده منصور وكانت شابة جميلة وفيها الخير فحزن عليها الناس وفيه توفي
شاهين الظاهري أحد الامراء العسراوات وكان لأبأس به

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم توجه الامير يشبك الدوادار الى نجر
دمياط وكان السلطان قد جعل له متحداً عليها فلما توجه هناك أنشأ على قم البحر الملح عند
برج الملك الظاهري بئرس البندقداري سلسلة من حديد زنتها نحو من مائتين وخمسين قنطاراً
وكانت هذه السلسلة قديماً هناك ثم بطل أمرها فجدها الامير يشبك الدوادار في السنة
الذكرورة وحصل بها النفع لطراد المراكب التي للفرنج وفيه وصل الحاج الى القاهرة
وجسدت سيرة الامير قحماس أمير المجل وفيه في يوم السبت رابع عشرية كانت وفاة أمير
المؤمنين الجمالي يوسف رحمه الله تعالى المستنجد بالله العباسي ابن محمد المتوكل على الله ابن
المعتضد بالله أبي بكر بن المستكفي بالله سليمان ابن الامام أحمد الحاكم بأمر الله العباسي
الهاشمي وكان الثالث عشر من خلفاء بني العباس بمصر تولى الخلافة بعد أخيه حمزة ودام
في الخلافة نحو من خمس وعشرين سنة وأشهر وكان رئيساً حشماً وعنده ملين جانب مع
بواضع زائد ورأى في خلافته العز وقلد فيها خمسة من السلاطين وعمه المؤيد أحمد ابن
الاشرف ايتال والظاهر خشدقدم والظاهر بلباي والظاهر عمر بقا والاشرف قايتباي ومات
وله من العمر زيادة على الثمانين سنة ومولده بعد التسعين والسبع مائة ولمامات دفن عند
آقاربه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وهو أول خليفة سكن بالقلعة ودام

بها حتى مات ومات عن غير ولد ذكربل خلف بتتاسمى ست الخلفاء فعهد بالخلافة بعده
لابن أخيه العزى عبد العزيز

ذكر خلافة المتوكل على الله أبي العز عبد العزيز بن يعقوب
ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتض بالله أبي بكر بن
المستكفي بالله سليمان ابن الامام الحاكم بأمر الله
أحمد العباسى الهاشمى

وهو الرابع عشر من خلفاء بنى العباس بمصر بويىع بالخلافة بعد موت عمه الجالى يوسف
بعهد منه وكانت ولايته فى يوم الاثنين سادس عشرى المحرم من السنة المذكورة
فطلبه السلطان فحين حضر حضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان يومئذ عمه موسى
موجودا ولكنه كان غيـر صالح للخلافة فلم يكن فى بنى العباس يومئذ أمـثـل من العزى
عبد العزيز فوقع الاتفاق من السلطان والامراء على ولايته فتولى الخلافة فى ذلك اليوم
(أقول) ولم يل الخلافة من اسمه عبد العزيز سواء ثم انه أراد أن يلقب نفسه بالمستعز بالله
فعورض فى ذلك ولقبوه بالمتوكل على الله كلقب جده محمد المتوكل فأحضر اليه شعار
الخلافة وأفيض عليه وقدمت اليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش ونزل
من القلعة فى موكب حافل وأمامه قضاة القضاة وأعيان الدولة فتوجه الى مكان تسكن فيه
الخلفاء ثم تحول من يومه وطلع الى القلعة وسكن بدار عمه يوسف التى هى داخل الحوش
السلطاني وطالت أيامه فى الخلافة وكان كفؤا لذلك وكان سنة لما تولى الخلافة نحو من
اثنين وستين سنة أو أكثر من ذلك وكان مولده سنة تسع عشرة وثمانمائة وكانت أمه
تسمى حاج ملك بنت مقبل وهو شخص من المماليك السلطانية وفى صـ فـر تغير خاطر
السلطان على أزدرى الطويل الابراهيمى الاينالى حاجب الحجاب فرسم بنفيه وبعث اليه
بألفى دينار يتجهز بها وفيه نزل السلطان وتوجه الى منف وأقام بها أياما ثم عاد الى القلعة
وفى ربيع الاول أنعم السلطان على تافى بك قرا الاينالى بتقدمة ألف وهى مقدمة أزدرى
الطويل وعين الدوادارية الثانية الى قانصوه خمسمائة وخلع عليه بها بعد أيام وفيه نقل
السيفى قانصوه اليحياوى من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن المرحوم جاني بك قلقـير
بحكم وفاته ونقل أزدرى قريـب السلطان من نيابة طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قانصوه
اليحياوى بحكم انتقاله الى نيابة الشام وقرر فى نيابة طرابلس برى بك المعمار نائب صـ فـد

عوضا عن أزدهر بن مزيد قريب السلطان وقرر عوضه في نيابة صفد جاني بك أحد عماليك السلطان وكان مقيما بالشام بطالا وفيه توفي جاني الامير بن بلباي أمير شكار أحد العشر اوات وأصله من عماليك الاشرف برسبای وفيه ضرب الامير يشبك الدوادار الكبير الكرة مع السلطان فسقط صوب جان الامير يشبك من يده فترجل الامير جاني الشريفي قريب السلطان أحد المقدمين عن فرسه وأخذ الصوب جان من الارض وناوله للامير يشبك فلما كان في اليوم الثاني صنع الامير يشبك وليمة حافلة جدا وعزم على جاني وقانصوه خمسمائة وآخرين من الامراء فلما حضروا أصلح الامير يشبك بين جاني وبين قانصوه خمسمائة وكان بينهم واحدة ثم خلع على كل واحد منهم ما كملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش وكانت هذه الوليمة من نوادر الضيافة الحافلة وفي ربيع الآخر كانت نهاية ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ضيافة حافلة ونزلوا الى دورهم وفيه كانت وفاة الامير جاني الشريفي قريب السلطان أحد المقدمين وكان من حين أضافه الامير يشبك وهو مريض حتى اتى ام الامير يشبك بانه قد شغله في ذلك اليوم في شئ من المأكول فلما تزايد به المرض وتورمت قدماه جل في محفة وتوجهوا به الى بولاق فأقام هناك بعض أيام ومات فأمر السلطان بحمله الى داره في محفة فغسل وكفر وصلى عليه بسبيل المؤمنين وكان له يوم مشهود ثم توجهوا به الى تربة السلطان فدفن بها واستقر العزاء عمالا بالقلعة ثلاثة أيام بدور الحريم وتأسف عليه السلطان غاية الاسف وقيل ان السلطان جلس بقاعة البصرة ورسم لنساء عرب العيسار أن يدقوا ويلطموا على الامير جاني وهو يظن راين وقد جلس للعزاء وصارت الامراء تتلطف به وتسليه وقيل ان جاني كان يقرب للسلطان من جهة النساء وكان جميل الصورة حسن الهيئة قد بدا عذاره وكان رئيسا حشما وافرالعقل جليل القدر ورأى غاية العز والعظمة على صغر سنه وأقام بالطبقة مدة يسيرة ثم بقى خاصكيا ثم بقى أمير عشرة ثم بقى ناظر الجوالى ثم بقى شادا الشرايخانا ثم بقى مقدم ألف وجاءت اليه السعادة سريعا وزالت عنه في مدة يسيرة وقد دهمه الموت فتوفي وله من العمر نحو عشرين سنة وكان كريما سخيا بالعطاء حتى قيل فيه

فقت الكرام في الوري * يا مطلب الرائم

ما أذنت الا حاتم * تصفت بجاني

وكان قد تزوج بخوند أخت خوند زوجة السلطان وكان له مهم حافل وكان له زفاف ليلة خلا بزوجه يسمع بمثل له وزينت له القاهرة بالمصابيح والشموع وعلقت ليلة زفاف عرسه التناير بها القناديل من سويقة العزى الى ما بين القصرين ومشى أمامه الامراء المقدمون وكان الامير يشبك ماسكا عنان فرسه من جهة اليمين وازدهر الطويل حاجب الحجاب

ماسك الجلم فرسه من جهة الميسرة وبقية الامراء مشاة قدامه بالشموع من سويقة العزى الى بيت العلائى على بن خاص بك وكان المهم هنالك فزف وزفت له العروس فكان أبهى من العروس كما قيل

ما سمعنا فيما سمعنا قديما * بعروس يحلى عليها عروس

وكان زفاف الامير جانم من المعدادات بحيث لم يقع بعده مثله فلما انقضت وفاة الامير جانم كثرت الكلام في حق الامير يشبك بسبب جانم ونسب الى قتله بالسم وصار في تمديد ووعيد من المماليك الجلبان ووقع بسبب هذه الحادثة أمور شنيعة يطول الكلام في شرحها وقصدوا قتل الامير يشبك غير ماهرة وصار السلطان يرجع المماليك عن الامير يشبك وصار الامير يشبك يترضى خاطر المماليك الجلبان بكل ما يمكن حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وصار على رأس الامير يشبك طيرة من الجلبان حتى كان من أمره ما سئد ذكره وفيه قدم الملك المؤيد أحمد من الاسكندرية وكان سبب قدومه أن والدته خوند حصل لها نوعك شديد وقد أشرفت فيه على الموت فأتى اليها الامير يشبك ليعودها فسألت فضله أن يسأل السلطان في حضور ولدها الملك المؤيد الى مصر لتتظرد قبل أن تموت فلما طلع الامير يشبك الى القلعة تكلم مع السلطان في ذلك فرسم باحضاره فلما حضر طلع الى القلعة ودخل الحوش وهورا كب وكان معه ولده على فقام له السلطان ورحب به وخلع عليه وعلى ولده ونزل من القلعة في موكب حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وتانى بك قرا وآخرون من الامراء فنزل في داره التي بالجسر الاعظم عند والدته وفي ثالث جادى الاولى كان وفاء النيل وقد أوفى في تاسع عشرى أبيب القبطى وكسر في آخر يوم من أبيب فعد ذلك من النوادر فلما وفى توجهه الاتابكي ازيك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا ثم بعد يومين زاد النيل عشرين اصبعاً فغلق الذراع السابع عشر وستة أصابع من الذراع الثامن عشر فعد ذلك من النوادر وفيه خلع السلطان على الماس الاشرفى وقرره في شادية الشرا بجاناه وقرر يبرس الرجبى قريب السلطان في استادارية الصبغة عوضا عن الماس وفيه سافر السلطان الى نغرا الاسكندرية وهى السفرة الثانية فتوجه من البحر في عدة مراكب كثيرة وكان سبب توجهه السلطان من البحر كثرة ماء النيل في طرقات البلدان وكان معه من الامراء الاتابكي ازيك ويشبك الدوادار وخاير بك بن حديد وازبك اليوسقى وآخرون من الامراء المقدمين وعدة وافرة من الامراء الطبليخانات والعشراوات والجسم الغفير من الخاصكية من المماليك السلطانية وكان معه من المباشرين القاضى كاتب السر ابن مزهر وغيره من أعيان المباشرين وكان الشهابى أحمد بن العيني وسيدى منصور بن الملك الظاهر خشدقدم وغير ذلك من الاعيان

وكان له ببولاق يوم مشهود عند نزوله الى البحر وكان سفر السلطان الى الاسكندرية في هذه المرة لاجل البرج الذي أنشأه هناك وقد انتهى العمل منه فتوجه اليه ليرى هيئته فلما دخل مدينة الاسكندرية لم يركب بها مثل أول مرة ولا حات القبة والطير على رأسه فلما تزن بالتحميم مدله نائب الاسكندرية مدة حافلة ثم توجه الى رشيد وكشف عن البرج الذي أنشأه هناك بها ثم كشف عن البرج الذي أنشأه بثغر الاسكندرية مكان المنار القديم فجاء من محاسن الزمان ومن أعظم الابنية وأجل الآثار الحسننة ومن نوادر أفعال الملوك كما قيل ليس الفتى بقوى يستضاه به * حتى يكون له في الارض آثار

وقيل ان صفة بنيان هذا البرج أن دهليزه عقد على قنطرة في البحر الملح من الساحل حتى ينتهي الى البرج وأنشأ بهذا البرج مقعدا مطلا على البحر يتظر منه من مسيرة يوم الى المراكب وهي داخله الى الميناء وجعل بهذا البرج جامعاً بخطبة وطاقونا وفرنا وحواصل وشحنها بالسلاح وجعل حول هذا البرج مكاحل معمورة بالمدافع ليلا ونهارا اثلاثا تطرق الافرنج الثغر على حين غفلة وجعل بها جماعة من المجاهدين قاطنين به دائماً وأجرى عليهم الجوامسك والرواتب في كل شهر وجعل شادا من خواصه وهو باش عليهم يقال له قانصوه المحمدي الخاصكي وهو الذي ولي نيابة الشام فيما بعد وصار يعرف بقانصوه البرجي وقيل ان السلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة عن المائة ألف دينار وأوقف عليه الاوقاف الجليلة وجاء من أحسن الآثار والمعروف ثم ان السلطان أقام بثغر الاسكندرية أياما ورحل عنها ثم جاءت الاخبار بأن السلطان دخل الى دسوق وزار سيدي ابراهيم الدسوقي وهو ماش وحوله الامراء واستقر السلطان غائبا في هذه السفرة الى أواخر الشهر المذكور وفيه توفيت خوندز نذب والدة الملك المؤيد أحمد وهي زوجة الاشرف اينال وكانت من أجل الخوندات قدرا ورأت في دولة زوجها الاشرف اينال غاية العز والعظمة حتى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة في سعة من المال ولم تتزوج غير الاشرف اينال ولم يتزوج هو أيضا غيرها وصادرها الملك الظاهر خشقدم غير ماهرة وأخذ منها جلة مال وهي باقية وعقدنا موسما لم يتغير الى أن ماتت وقد تجاوزت من العمر نحو الثمانين سنة وهي زينب بنت حسن بن خليل بن خاصبك لم ينجب بعدها في الخوندات مثلها وكانت من مشاهير الخوندات وكانت اذا دخلت على الاشرف قايتباي يقوم لها ويعظمها ولما ماتت لم يحضر جنازتها ولم يحضرها أحد من المقدمين غير تاني بك قراوسبب ذلك أن السلطان كان غائبا فلم يجسر أحد من الامراء أن ينجب عند ولدها الملك المؤيد وبعد هذا ما سلم الامر من القال والقال فحضر جنازتها قضاة القضاة وأعيان الدولة ثم في سلخ الشهر المذكور حضر السلطان من السفر في البحر أيضا وطلع من بولاق وكان له يوم

مشهود وقد عدس قهره من النوادر وكونه توجه الى ثغر الاسكندرية وترك الملك المؤيد بالقاهرة مع أن عماليك أبيه الاشرف اينال كانوا في غاية التمردي ينتظرون وقوع الفتن وظهر منهم في غيبة السلطان بعض حركة وانكشف رخ جماعة منهم في هذه الحركة ونفى فيما بعد منهم جماعة كثيرة كما سيأتي الكلام على ذلك وفي جمادى الآخرة أضاف السلطان الملك المؤيد ضيافة حافلة بالبحر وخلع عليه وعلى ولده وأذن لهم بالعود الى الاسكندرية وقد تم الملك المؤيد للسلطان مقدمة حافلة من مال وتحف بسبب موجود والدته الذي خلنته وفيه ثبت النيل المبارك على عشرين اصبعاً وعشرين ذراعاً فوافق ذلك مثل العام الماضي حتى عدى من النوادر وفي رجب سافر الملك المؤيد الاسكندرية وقد أقام بالقاهرة نحو شهرين الأيام وفيه ظهر للسلطان بأن طائفة الاينالية قصدوا إثارة فتنة في غيبة السلطان فلما تحقق ذلك صار ينفي منهم جماعة بعد جماعة شيئاً ثم نفي عما لوكة برديك سكر الخاصكي الى البلاد الشامية وكان قد نسب الى أشياء من هذه الاشاعة وقد تعمرت قلوب الامراء بعد اذاعة الامير يشبك الدوادار وقد أشيع أنه قد سمع الامير جانيق قريب السلطان فانقطع يشبك عن طلوع القلعة أياماً وكثر الكلام في حقه بسبب ذلك وفيه خلع السلطان على علي باي ميقي الذي كان كشف الشرقية وقرره في نيابة سيس عوضاً عن أزدمر قريب السلطان وقرراً أزدمر في نيابة جاء عوضاً عن قراجا الطويل الاينالي بحكم صرفه عنها وسجنه بقلعة دمشق وفيه رسم السلطان بنفي ستة أنصار منهم ثلاثة من طائفة الاينالية وهم أبوين يدومشيد وشادبك كل منهم أمير عشرة وثلاثة من الستة من مشرواته فتوجهوا بهم الى نحو البلاد الشامية ثم تابع النفي بجماعة من الاينالية وكثر الكلام في ذلك جدا وفيه قررى قضاء الحنفية بدمشق تاج الدين بن عرب شاه عوضاً عن ابن عبيد وفي شعبان رسم السلطان بنفي الطواشي معروف اليشبيكي شاد الخوش الى جهة قوص لاهراً وأوجب ذلك وفيه خلع السلطان على برسباي قرا المجدى الطاهري وقرره في جوبية الحجاب عوضاً عن أزدمر الطويل بحكم نفيه وقررى شادية الخوش سرور السيفي بن جرباش كرت عوضاً عن معروف اليشبيكي وفيه وصل قانصوه الايني الذي كان قد توجه الى بلاد البحر كس فاحضر معه عدة من أقارب السلطان فخلع عليه ونزل الى داره وفيه حضر قاصد من عند بعض ملوك الهند صعبة أبي الفتح نائب جدة على يده هدية حافلة الى السلطان وفيه أنعم السلطان على قريب له بتقدمة ألف وهي مقدمة جانيق الشريفي ناظر الجوالى ثم بعد مدة أرسل له شاشا ورسم له بان يلف تخضيفة وكذلك قانصوه خسمائة فانه بقي دوا دار ثاني وهو بكوفية بقمندس وفيه توفي جانيق السيفي عمر باي الزرد كاش الكبير وكان أحد الامراء الطيخانة وفي رمضان احتفل صاحب خشمقدم

في مسامرة هائلة وكان قرر في امرية الحاج بركب المحمل وقرر شاهين الجمالي في امرية الركب
 الاول وكان قرر بها اولاجانم الزردكاش الذي توفي فكان للصاحب خشف قدم يوم مشهود بتلك
 المسامرة وقد اشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يخرج في السنة المذكورة فعمل هذه
 المسامرة بسبب تشوق السلطان الى الجواز وفيه خلع السلطان على مملوكه قنبردى أحد
 الخاصكية وقرره في كشف الشرقية عوضا عن على باي ميقي الذي استقر في نيابة سيديس وقرر
 اقباي الطويل في كشف الغربية وفيه قدم بركب حبس وكان منفيًا بالبلاد الشامية فشفع
 فيه بعض الامراء فرسم السلطان باحضاره فحضر ورضى عليه وفيه توفي معروف الدشبيكي
 الطواشي شاد الخوش ومات وهو منفي بالواحات وجرى عليه ما لاخير فيه وكان لا بأس به
 غير أنه كان عنده تكبر في نفسه وتعظيم وفيه جاءت الاخبار بوفاة شاد بك الابراهيمي
 الاينالي وكان من الامراء العسراوات فتغير خاطر السلطان عليه ونفاه الى الشام فأتى
 بها وفيه رسم السلطان بنفي جاني باي الخشن الاينالي تاجر المماليك أحد الامراء
 العسراوات ونفي أبي زيد أربك الخاصكي الاينالي ونفي تغري برمش أحد الامراء
 العسراوات والكل اينالية وقد سقط نجمهم وبداعكسهم وصار السلطان ينفي في كل
 شهر منهم جماعة في أماكن شتى وفي شوال خلع السلطان على يشبك الجمالي وقرره في
 الزردكاشية الكبرى عوضا عن جاني السيفي قنبراي وقد جمع يشبك الجمالي بين الحسبة
 والزردكاشية الكبرى وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وقد احتفل الامير
 خشف قدم ببرك عظيم بسبب السلطان لسنده الى الجواز فكان معه نحو من مائتي رجل
 وخمسين جلا وقيل ان السلطان بعث اليه ثلاثين ألف دينار بسبب عمله ذا البرك
 وكان لخروج صاحب خشف قدم يوم مشهود وفيه رسم السلطان بنفي مثقال الطواشي
 مقدم المماليك وكان يعرف بمثقال البرهاني فخرج منفيًا الى طرابلس وكان هذا كله
 بسبب خروج السلطان الى البلاد الشامية وتوعدك هناك وقد ترايدت الاقوال بعونه
 وحصل بين الامراء نقل كلام فمين يلي من بعده السلطنة وانكشف رخ جماعة من
 الاينالية في هذه الحركة ولم يعلم باطن الامر في حقيقة ذلك وصار السلطان ينفي كل قليل
 جماعة من الاينالية ومن مماليكه واستمر الامر على ذلك فلما خرج الحاج من القاهرة
 ورحل المحمل من بركة الحاج نزل السلطان من القلعة في يوم الخميس ثالث عشر شوال
 ولم يشعر بسفره أحد من الناس وخرج على حين غفلة فسافر معه بعض امراء عسراوات
 منهم يشبك الجمالي الزردكاش وآخرون من الامراء من أخصائه وعدة وافرة من
 الخاصكية والمماليك السلطانية وجماعة من المباشرين منهم أبو البقاء بن الجيعان وغير
 ذلك من الاعيان منهم برهان الدين الكركي الامام فخرج السلطان من بين التراب وسافر

بعد صلاة الظهر فتنزل معه الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار فودعاه ورجعاه من أثناء الطريق فأوصاهما السلطان بحفظ الرعية ثم سافر على ظهر البوب ولم يتوجه معه أحد من الأمراء المقدمين فعد سفره على هذا الوجه من النوادر وفي ذي القعدة رسم الأمير يشبك الدوادار ليشبك بن حيدر والى القاهرة بأن يتحدث في الحسبة عوضاً عن يشبك الجمالى بحكم سفره مع السلطان وكان الأمير يشبك الدوادار هو المشار اليه في غيبة السلطان وفيه شرع الأمير يشبك في بناء القبة التى أنشأها فى رأس دور الحسينية ونحرت عدة ترب كانت هناك ثم أنشأهم هذا المكان غيطانا ومجارى وسواقي وقصد أن يجعل له من جملة منزهات القاهرة ولوعاش لذلك فجاءت القبة من محاسن البناء في ذلك المكان وفي ذي الحجة كان انتهاء عمارة الربع الذى أنشأه السلطان بحضرة الكباش وكان الشاد على العمارة نافع المؤيدى أحد الأمراء العشراوات وفيه قدم مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له أسنباي وقد استمر اسمه بالمبشر بعد ذلك فأخبر بسلامة السلطان وأنه دخل الى مكة في موكب حافل وكان له يوم مشهود ولاقاه أمير مكة من مسيرتيه يومين وأنه تصدق على فقراء مكة بخمسة آلاف دينار وتواضع تواضعا ونحضره الى الغاية وكان بطول الطريق لا يتكلم في شيء يتعلق بالاحكام بين الناس وفعل في الطرقات أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف فحصل لاسنباي المبشر جملة خلع ومال له صورة من الأمراء وأعيان الناس ومن خوند زوجة السلطان وغير ذلك من أرباب الدولة وفيه جهز الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من الأمراء أقامت للملاقة السلطان من العقبة وخرج الأمير أزبك اليوسفي أحد الأمراء المقدمين صحبة ذلك وخرج معه جماعة كثيرة من أرباب الدولة للملاقة السلطان من العقبة واهتم الأمير يشبك الدوادار ببياض أماكن بالقاعة ودهان أبوابها وضرب الرفوف عليها وجلأ واجهة القصر الابلق وما يليه حتى ظهر رخامه الملون وقد احتفل في إصلاح ذلك جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة خليل بك بن حسن الطويل ملك العراقين وكان أكبر أولاد حسن الطويل ثار عليه بعض الأمراء فقتله ولما مات ولّى بعده أخوه يعقوب وكان من خيار بني حسن الطويل وتوفى تاتى بك الاشقر المحمدى البواب أحد الأمراء العشراوات وكان كاشف المنوفيه ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة فيها فى الحرم بعث السلطان نجابا الى الأمراء وأخبر النجاء بأن السلطان دخل الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وزار النبي صلى الله عليه وسلم وأنعم على الفقراء الذين بهم خمسة آلاف دينار وأنه رحل نحو الزينبع فأصدد للعقبة ثم رحل عنها وهو واصل عن قريب ثم رسم لهم بأن لا يخرج الى ملاقاته أحد من الأمراء وأن السلطان ينزل بقبة الأمير يشبك التى بالمطرية فبادر الأمراء بالخروج الى هناك ونصبوا الخيام ثم جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى

البويب فلما تحقق الامراء ذلك ركب الاتابكي أربك والامير يشبك الدوادار وبقية الامراء من المطرية وتوجهوا الى ملاقاته السلطان فلما وصلوا الى البويب اجتمعوا بالسلطان هناك وساروا قدامه حتى وصل الى الوطاق الذي بالمطرية وكان له هناك موكب حافل وكان دخوله في ثمانى عشر المحرم قبل دخول الحاج بثمانية أيام فلما نزل بقبة الامير يشبك مثله الامير أربك الاتابكي هنالك مدة حافلة جدا وبات السلطان هناك وبات عنده قضاة القضاة ومشايخ العلم وهنؤه بقدمه فلما كان يوم الاثنين رابع عشره ركب السلطان من هناك وحمل الاتابكي أربك على رأسه القبة والطير وركب قدامه الامراء والعسكري وهم موكبون كالاعباد وسارت الامراء والقضاة الاربعة قدامه فدخل من باب النصر وشق من القاهرة وقد زين له زيتة حافلة واستمر في هذا الموكب العظيم وطلب طلبا حافلا واعبوا قدامه بالغواشي الذهب وكان له يوم مشهود الى أن طلع الى القلعة فلما طلع فرشت له جنودا عدة شقق من باب القلعة الى الحوش ونثرت على رأسه خفاف الذهب والفضة وتوشحت الخدام بالبسود الذهب والحرير الاصفر وتخلعت بالزعفران فلما دخل السلطان الى الحوش مثله هناك الامير يشبك مدة حافلة أعظم من مدة الاتابكي أربك التي مدهاله بالقبة ثم ان السلطان خلع على من كان معه من أرباب الوظائف ونزلوا الى بيوتهم وانفض ذلك الموكب وعدت هذه الحجة من النوادر الغريبة ودخل عليه جملة تقادم من مال وتحف تعدل مائتى ألف دينار من أمير مكة المشرفة وقضاتها ومن أمير اليمن وغير ذلك وقد نظم الشعراء في هذه الواقعة عدة قصائد فمن ذلك

قدم السرور بمقدم السلطان * من حجه المقبول بالرضوان
سلطاننا الملك الهمام الاشرف الراقي سماء الحسن والاحسان
فهناؤنا ببقائه في نعمة * وسلامة فرض على الاعيان
ولقد علمنا أن طاعة أمره * أو نهيه دين من الايمان
لما نوى حجا ولى محرم * عزم الامان مراتع الغزلان
والوحش في ألياتها والدوح في * انباتها والطير في الطيران
ثم الصلاة على النبي المصطفى * عدد الرمال بجملة الكتيان

فلما استقر السلطان بالقلعة أخذ في أسباب تفرقة الهدية على الامراء فابتدأ بالاتابكي أربك ثم بقية الامراء كل من هو في منزلته ثم المباشرين وأرباب الدولة وكان الامراء والمباشرون قدّموا للسلطان أيضا تقادم حافلة ما بين مال وخيول وقماش وغير ذلك وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحدث سيرة صاحب خشد قدم الزمام وفيه نزل السلطان وتوجه الى الشرافة فزار ورجع من جهة مصر العتيقة وطلع من جهة قناطر

السباع وأتى إلى الكباش فكشف عن عمارته التي أنشأها هناك ثم طلع إلى القلعة من جهة الصليبة وكشف عن عمارة سيده الذي أنشأه برأس سويقة عبد المنعم التي بالرملية وكان الشاذ على عمارته تاني بك قرا أحد المقدمين ثم طلع من باب السلسلة إلى القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة قراجا الطويل الأيالة الذي كان نائب حاهمات بطلا بالقدس وكان لأبأس به وفيه ضرب السلطان قائم الأشراف الذي كان كاشف الشرقية فضرب بين يديه ورسم بنفيه إلى طرسوس وفي صفر قرر خالص التكروري الطواشي في مقدمة المالك عوضا عن مثقال البرهاني وقرر سرور الشامي نائب المقدم عوضا عن خالص وفيه قدم تراز التمشي رأس نوبة النوب من البحيرة وقد أتى ليهي السلطان بعوده من الحجاز وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة بحماه وقتل فيها نائب حاهم أزد مرين أربك قريب السلطان وسبب ذلك أن سيف أمير آل فضل كان قد خرج عن الطاعة فخاربه أزد مرين نائب حاهم المقدم ذكره فقتل في المعركة وقتل معه جمع من أمراء حاهم فانزعج السلطان لهذا الخبر جدا وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة وكان حافلا ومما وقع في ذلك اليوم أن السلطان لما تكامل المجلس بالقضاة الأربعة والأمراء وانتهى أمر السماط حضر كاتب السر ابن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وخشقدم الزمام وخلفهم ستة أطباق على رؤس ستة طواشي فخطت بين يدي السلطان بحضرة القضاة والأمراء وكشفوا عنها فاذا هي ستون ألف دينار ذهب عين فأخذ كاتب السري يقول في المجلس العام إن السلطان نصره الله تعالى لما حج في العام الماضي رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأوقاف فنذر مولانا السلطان بأن يفعل بالمدينة الشريفة خيرا يكون مستقرا من بعده وقد خرج عن هذا المال لله تعالى وهو من وجه حل من خالص ماله دون مال بيت المسلمين ليشتري به ما يوقفه على فقراء المدينة من ضياع وأما كن وربوع وغير ذلك مما يصنع في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فارتفعت له الأصوات بالدعاء في ذلك المجلس ثم أمر السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد قاضي القضاة الشافعي حتى يشتري به أما كن أوضيا عا فامتنع القاضي من ذلك واعتذر عن تسليمه حتى اعفى من ذلك ثم شرع السلطان في بناء تلك الربوع التي أنشأها في باب النصر وفي البندقانيين والخشابين والدجاجين وغير ذلك من الأماكن وفيه نزل السلطان إلى قبعة الأمير يشبك فلما عاد وقف له جماعة من العوام وشكوا له من أمور الحسبة بأنها ضائعة وأنه من بعد العصر ما يوجد الخبز على الدكاكين فلما طلع إلى القلعة وأصبح رسم للصاحب قاسم شغيته بأن يتكلم في الحسبة عوضا عن يشبك الجمالي وكان لما تولى الزرد كاشية أهمل

أمر الحسبة وضاعت المصالح في أمور البضائع وغيرها وسعر الغلال ووقع بالقاهرة
تشيطة في الحيز في تلك الأيام وكادت أن تكون غلوة وفيه عين السلطان الأمير يشبك
الدوادار للخروج إلى حماه بسبب قتال سيف أمير آل فضل الذي قتل ازدهر نائب حماه
كما تقدم ذكر ذلك وهذه السفرة كانت آخر العهد بالأمير يشبك ولم يعد منها إلى مصر
وعين معه من الأمراء المقدمين برسباى قرا وتانى بك قرا وعدة من الأمراء الطبليخانات
والعشراوات وعدة وافرة من الجند وقد لهج الناس بأن هذه التجربة خرجت إلى
سيف وكان الأمر كذلك وراح أكثر الأمراء والعسكر على السيف كما سيأتي الكلام
على ذلك في موضعه فكان كما قيل في المعنى

لا تنطقن عما كرهت فرجما * نطق اللسان بحادث سيكون

﴿وقال آخر﴾

احفظ لسانك أن تقول فتبلى * ان البلاء موكل بالمنطق

وكان الأمير يشبك له غرض تام في السفر إلى ديار بكر وقد سأل السلطان في ذلك بنفسه
والسبب في ذلك أن الأمير يشبك كان وقع بينه وبين جليان السلطان بسبب جانم الشريفي
وقد اتهم به أنه شغله فصار معهم في تهديد وقصدوا قتله غير ماهرة فحسن له بعض الأعاجم أن
مملكة حسن الطويل سائبة وإن العسكر مختلف على ابنه يعقوب ومتى حاربتهم لا يقدرُوا
على محاربتك ويسلموك مملكة العراق قاطبة فانصاغ الأمير يشبك لهذا الكلام وسأل
السلطان السفر بنفسه حتى يجعل الله لكل شئ سببا لنفوذ القضاء والقدر كما قيل في المعنى
أظمع من ليسلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فلما عين السلطان الأمراء وعرض من بعد ذلك الجند وكتب منهم نحو من خمسمائة مملوك
وكان الأكثر منهم من طائفة الأينية فلما عرضهم أنفق عليهم وأمرهم بسرعة التجهيز
والخروج صحبة الأمير يشبك فبلغت النفقة عليهم في هذه الحركة زيادة عن المائة ألف
دينار وفيه خلع السلطان على الأمير تغرى بردى ططر أحد المقدمين وقرره أمير المحمل وقرر
يشبك بن حيدر وإلى القاهرة أمير أول وفيه توفي الشهيد الشريف زين العابدين وهو
محمد بن محمد بن علي بن علي بن حسين القرشي الهاشمي السنجاري الحنبلي وكان رئيسا حشما
في سعة من المال كثير التواضع حسن الملتقى وفيه خلع السلطان على قانصوه دوادار
الأمير يشبك وجعله متحدثا في الاستادارية إلى أن يعود استأذنه فاستعفى من ذلك وأظهر
السفر صحبة استأذنه وفيه قرر جانم دوادار الأمير يشبك في كشف أسى موطعوا عن
قرقاس الأعور فاستعفى جانم من ذلك واستقر به أسى باى وطلب قرقاس السفر صحبة
يشبك وفيه في سلخه كانت وفاة شيخ مذهب الشافعية بمصر الشيخ سراج الدين عمر بن حسن

ابن حسين العبادي الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم مفتيا وصار يحفظ أهل زمانه
بمذهبهم بمصر من طرح النفس جدا وولى عدة وظائف سنية منها نظر الاحباس ومشيجة
خانقاه سعيد السعداء وغير ذلك من الوظائف ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه نادى
السلطان بأن معاملة الفضة بالميزان وكانت قد خفت جدا وفي ربيع الآخر خرج
الامير يشبك الدوادار الى التجريدة من غير طلب لذلك وكان عليه خدمة زائدة فتفاهل الناس
أنه لا يعود الى مصر أبدا وكذا جرى وكان الناس يقولون خرج لسيف وكان هذا فألأ عليه
وفيه قرر السلطان جانم الاعرج السيفي جاني بك نائب جدة في نيابة حماء عوضا عن أزدر
قريب السلطان وفيه برز أمر السلطان الى سيباى كاشف الوجه القبلي بأن يقطع رأس
أزدر الطويل الاينالى وكان نقي الى مكة المشرفة ثم بعد مدة نقل الى أسيوط وسجن وكان
بينه وبين الامير يشبك عداوة وقصد أزدر قتل يشبك غير ما مر به بل وقتل السلطان
أيضا فلما برز الأمر مير يشبك بالريداية للتجريدة أرسل يشبك يقول للسلطان ما أرحل من
هنا حتى تقطع رأس أزدر الطويل ونجى الى وتأخر أياما ينتظر ذلك فأرسل السلطان
يوسف السوام الذي كان والى قوص الى سيباى كاشف الوجه القبلي يقطع رأس أزدر
الطويل فتوجه في الخفية الى أسيوط وعلى يده من سوم السلطان الى سيباى بقطع
رأس أزدر فقطع رأسه بأسيوط ووضعت في علبة وأحضرت بين يدي السلطان فنظر اليها
ثم أرسلها الى الأمير يشبك فنظر اليها وكتب هذا الأمر عن الناس وما خفي بل اشتهر من
يومه وكان أزدر هذا من أعيان الاينالية شجاعا بطلام قد امان في الحرب عارفا بأواع
الفروسية ثم ان الأمير يشبك بعد ذلك بمدة يسيرة والمجازاة من جنس العمل وفيه توفي برد بك التاجي
الاشرفي أحد العشراوات وكان لأبأس به وفيه تغير خاطر السلطان على قاضي القضاة
الشافعية ولى الدين الاسميوطى وعلى قاضي قضاة الحنبلي بدر الدين السعدى فعزل
القاضي الشافعي ورسم بنى القاضي الحنبلي الى قوص ولم يكن ثم أمر كبير يستحق هذه
الكائنة بل ما نكب القاضي الشافعي الا بسبب تركه انسان والقاضي الحنبلي بسبب
كتاب وقف ونحو ذلك واستمر أمره ما في اضطراب مدة أيام وتكلموا مع السلطان فمِن
بلى قضاء الشافعية وقضاء الحنبلية وكتب قاعة باسماء جماعة من طائفتي المذهبين ثم
عادا لأمر الى إعادتهم ما الى ما كانا عليه بشقاعة الاتابكي أزبك نخلع على القاضيين ونزلا
الى دورهما وكان له ما يوم مشهود وفي جمادى الاولى توفي القاضي شرف الدين يحيى
ابن الجيعان مستوفى ديوان الجيش وهو يحيى بن شاكر بن عبد الغنى الشافعي وكان
عالما فاضلا لارئيسا حشما وله اشتغال بالعلم والفرائض وفيه تغير خاطر السلطان

على القاضي تاج الدين بن المقسى ناظر الخاوص كان فرسم بتسميره فسمر على جل وظيف به في
 القاهرة وتوجهوا به الى قنطرة الحاجب ليوسطوه هناك وكانت هيئته وهو مسمر على الجمل
 انه على رأسه عمامة صغيرة وهو لابس كبرا بيض فلما وصل هناك وقعت فيه شفاعاة فعادوا
 به وقد أركبوه على فرس وفرح الناس بسلامته وفي جمادى الآخرة رسم السلطان بشنق
 تاج الدين بن المقسى بعد أن عني عنه فتوجهوا به الى غيطة الحاجب فشنقوه على جيزة
 هناك وشنق معه في ذلك اليوم قاسم بن بقر أمير عربان جندام بالشرقية وكان لهم يوم
 مشهود وكان اسمه عبد الله بن نصر الله القبطي وكان رئيسا حشما كيسا حسن الهيئة
 لطيف الذات وولى عدة وظائف سنية منها كتابة الممالك ونظر الدولة ونظر الجيش ونظر
 الخاوص والاستادارية وغير ذلك من الوظائف ومات وهو في عشر الحسين وكثر عليه الحزن
 من الناس وقاسى في أواخر عمره أهوالا وشدائد ومحننا وضرب بالمقارع في يوم شديد البرد
 وآخر عمره شنق وفيه كان وفاة النيل المبارك وتوجهه الاتاكي أزيك وفتح السد على العادة
 وفيه نزل السلطان في موكب وتوجه نحو قليب ثم طاب له رؤية البحر فاقطع من هناك
 وتوجه الى الوجه القبلي حتى وصل الى نحو طنبدائم عاد الى القلعة وفي رجب جاءت
 الاخبار بقتل سيدي العلاق الاينالى كاشف الوجه القبلي قتله بعض العرب بخنجر في بطنه
 وهو راقدا على فراشه وكان شابا حسنا شجاعا بطلا من خيار الاينالية وهو الذى قطع رأس
 ازدمر الطويل فكان بينه وبين قتل ازدمر الطويل شهران وبعض أيام وفيه جاءت
 الاخبار من دمشق بوفاة برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر الحر باذى
 البقاعى الدمشقي الشافعي وكان عالما فاضلا محدثا ماهرا في الحديث ليس من مساويه
 سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله ورضي عنه فلما قامت الدائرة بسبب ابن
 الفارض توجه الى دمشق فمات بها وفيه جاءت الاخبار بان الأمير يشبك الدوادار لما
 دخل الى الشام أخذ معه نائب الشام قانصوه الجياوى وتوجه الى حلب وان قاني بك صلق
 توفى بحلب وكان صحبة الأمير يشبك وكان قاني بك صلق أصله من مماليك شاد بك الحكيمى
 وارث حتى بقى أمير طبلخانام ورأس توبة وكان لابس به ورأى غاية العز في دولة الاشرف
 قايتباى وفي شعبان كان انتهاء القناطر التي بالجيزة ونخلع السلطان على الاتاكي أزيك
 بسبب كونه كان شادا على العمارة فجاءت من آثار الملوك وقيل ان السلطان صرف على هذه
 القناطر نحو مائة ألف دينار وفيه توفى مجدد الدين بن الكوين وهو محمد بن سليمان بن
 عبد الرحمن بن داود بن خليل الشوبكي وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها معلم
 المعلمين ونظر الخاوص وغير ذلك ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وفي رمضان كان
 ختم البخارى بالقلعة وقرئت الخلع والصرر على القضاة ومشايخ العلم وكان قارى الحديث

الشریف برهان الدین بن الکرکی امام السلطان نخلع علیه ونزل من القلعة فی جمع حافل
وفیه أمر السلطان بتجديد عمارة الامام الشافعی رحمة الله علیه ورضی عنه وكان الشاذلی
عمارتها الخواجه شمس الدین بن الزمن وفیه كانت وفاة قاضی القضاة الحنفی شمس الدین
الامشاطی محمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن اسمعیل بن یعقوب العینتابی البکسکاو
الحنفی وكان عالما فاضلا بارعا فی علوم مذهبیه وافر العقل فکده المحاصرة وكان نایب فی القضاء
مدة طويلة ثم تولى القضاء الاکبر وباشره بعفة زائدة وحرمة وافرة وحدث سيرته وامتاز علی
غیره من قضاة عصره وصمم علی عدم حل الاوقاف فی أيامه وجمع بین القضاء ومشیخة
البرقوقية وكان نادرة فی عصره فلما تولى الامشاطی تکلم وامن السلطان فی القضاء عوضا
عن الامشاطی فلم یوافق علی أحد یولیه من أهل مصر ثم أرسل خلف شخص من الشام یقال
له شرف الدین موسی بن عید لیلی القضاء واستمر منصب قضاء الحنفیة شاغرا الی أن حضر
ابن عید وفی شوال جاءت الاخبار من الرها بوقوع کائنة عظيمة طامة قتل فیها الامیر یشبک
الدوادار وانکسر العسکر قاطبة وقتل الاکثر منهم وكان سبب ذلك أن الامیر یشبک لما
دخل الی حلب کان صحبته نایب الشام ونایب حلب ونایب طرابلس ونایب حمص والعسکر
الشامی والحلبی والمصری وغیر ذلك من العساکر فلما استقر بحلب بلغه أن سیف أمير
آل فضل الذی خرج بسببه قد فر وتوجه الی نحو الرها فقام عزم الامیر یشبک بأن یعدی
من الفرات ویقتبع سیفا فی أى مکان کان فیه فکان کما قیل فی المعنی

وکم من طالب یسعی لشیء * وفیه هلاک لو کان یدری

فعدی من الفرات هو والعساکر فاجتمع معه فوق العشرة آلاف انسان فلما عدی توجه
الی نحو الرها وكان المتولی أمرها یومئذ شخص یقال له بایندر أحد نواب یعقوب بک بن
حسن الطویل فحاصر الامیر یشبک مدينة الرها أشد المحاصرة فلما أشرف علی أخذها أرسل
بایندر یتلطف بالامیر یشبک ویقول له ضم ان مسک سیف علی وأرسل یقول له ارحل من
الرها وأنا أجمع لك من المدينة ما لا له صورة فأبى الامیر یشبک من ذلك لما رأى من كثرة العساکر
التي كانت معه فطمعت آماله فی أخذ مدينة الرها ویزحف بعد ذلك علی ملک العراق کما
حسنوا له ذلك فزعی النفیر وركب العسکر قاطبة فبرز بایندر ومن معه من العسکر
وتحارب معهم فلم تکن الا ساعة یسيرة وقد انکسر عسکر مصر قاطبة وبقية العساکر
قاطبة فأسر الامیر یشبک وهو راكب علی ظهر فرسه فأقوا به الی بایندر وأسر ونایب
الشام قانصوه الیخیاوی ونایب حلب ازدرم ونایب حمص الجداوی وقتل بریدک قریب
السلطان نایب طرابلس وأسر برسبای قرا حاجب الحجاب وتانی بک قرا أحد المقدمین وقتل
من الامراء العشراوات ومن أمراء الشام وحلب ما لا یحصى وقتل من العساکر التي

كانت مع الأمير يشبك ما لا يحصى عددهم وكانت حوافر الخيل لا تطأ إلا على جثث القتلى من العسكر فكان من قتل من أعيان العسكر برديك قريب السلطان نائب طرابلس وهو برديك المعمار السيفي جرباش كرت وجاني باي أخو سيباي أحد الأمراء العشر اوات وجاني باي أخو تاني بك قرا وسـ وازار الاشـ قرا الاشرفي وكان علامة في الرمي بالنشاب وطقط مش الخشقدحي أحد الأمراء بحلب وسليمان بك من أقارب سوار وقانصوه البواب الاينالي أحد الأمراء العشر اوات ورؤس النوب وقرقاس الحمدي الظاهري أحد العشر اوات ورؤس النوب وأما الذي قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فاضبط لكثرتهم وقتل من العساكر الشامية والحلبية وغير ذلك ما لا يحصى عددهم وكانت مصيبة عظيمة مهولة قل أن يقع مثلها لعسكر مصر وأما ما كان من أمر يشبك الدوادار فإنه أقام في الاسر نحو ثلاثة أيام ثم في اليوم الرابع بعث اليه بعبـد أسود من عبيد التركان قطع رأسه تحت الليل وأحضرها بين يدي بابندر وقيل أنه خز رأسه بالسيف عدة مرار وهي لا تنقطع فقطعها بسكين صـ غير وعذبه غاية العذاب فلما طلع النهار وجدوا جثته بغير رأس وهي مرمية على قارعة الطريق وعورته مكشوفة حتى ستره بعض الغلمان بحشيش من الارض فسبحان من يعز ويذل ويبدد كل شئ وهو على كل شئ قدير وقيل في المعنى

ما أعجب الدهر في قلبه * والدهر لا تنقضي عجائبه
فكم أرانا الدهر من أسد * بالت على رأسه نعالبه

فلما قطعت رأس الأمير يشبك بعث بها بابندر إلى بلاد العجم عند يعقوب بن حسن الطويل فكان له يوم مشهود بمدينة ماردين وطاقوا بها بلاد العجم وهي على ربح وألبسوا رأس الأمير يشبك تخفيته الكبيرة لما طافوا بها وطاقوا بالنواب والأمراء الذين أسروا وهم في قيود وجنازير والمماليك الذين أسروا مشاة وأرسل بابندر إلى يعقوب بن حسن بجميع ما نهبه من العسكر من مال وخيول وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك مما لا يحصى وكانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة وكانت قتلة الأمير يشبك في العشر الاخير من رمضان سنة خمس وثمانين وثمانمائة بالرها وكان الأمير يشبك أميراً جليلاً معظماً في سعة من المال ذا شهامة زائدة وحرمة وافرة وكلمة نافذة وكان أصله من مشروعات الظاهرية قحماق وكان يعرف يشبك بن مهدي ورقا في دولة الاشرف قايتباي حتى صار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمع فيه عدة وظائف سنية منها الدواديرية الكبرى وامرية سلاح والوزارة والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف ومدير المملكة وغير ذلك فعظم أمره جدا ووقع له أشياء غريبة لم تقع لغيره من أبناء جنسه في عصره ومات وله من العمر نحو من ست وخسين سنة وقد وكره الشيب قليلا وكان صـ فته أبيض اللون مدور

الوجه أشمل العينين أشقر اللحية طويل القامة ملي بالجسد وأنشأ أشياء كثيرة من العمار
بالديار المصرية ما بين ربوع وحوادث ودور جالية وصهاريج ومغسل وأسبلة وزوايا
وأنشأ قبة بالمطرية وقبة برأس الحسينية وكان له في كل سنة عدة شقاف محملة على جمال
ومعها الزاد والماء تلاقى الحجاج من العقبة بسبب المنقة طعين من الحجاج وله غير ذلك أشياء
كثيرة من وجوه البر والمعروف وكانت له محاسن ومساو وفيه الخير والشر وقد ساقه أجليه
حتى خرج في هذه التجربة بسبب سيف أمير آل فضل فكانت منيته بالرهاو كان الأمير
يشبك باغيا على باندرفاهه قصد محاربة من غيـر سبب ولا موجب لذلك فكان كما قيل
من لاعب الشعبان في وكره * يوما فلا يأمن من لسعته
وقد نهى بعض الحكماء عن التوجه إلى بلاد الشرق من غير حاجة فقال

إذا شئت أن تلقى دليلا إلى الهدى * لتقفوا ثارا الهداية من كافي

نخل بلاد الشرق عنك قانها * بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

ولكن قدر في الازل بان قبض الأمير يشبك يكون بالرها فسبب له الأسباب لذلك وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل
له إليها حاجة ومن النكت اللطيفة ما روى في بعض الاخبار أن ملك الموت زار سليمان بن
داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه ويطيل النظر فقال الرجل لسليمان
عليه السلام ومن هذا الرجل الذي يطيل إلى النظر فقال سليمان عليه السلام هذا ملك
الموت عليه السلام فاضطرب الرجل وقال يا نبي الله أقسمت عليك بالله تعالى ألا ما أمرت
الريح تحملي من هنا وتلقيني خلف جبل قاف فامر سليمان عليه السلام الريح بان تحمل
ذلك الرجل وتلقيه خلف جبل قاف فلما حملته الريح إلى هناك قال سليمان بعد ذلك لملك
الموت لماذا كنت تطيل النظر في الرجل الذي كان جالسا عندي فقال ملك الموت عليه
السلام كان نظري إلى هذا الرجل تعجبا منه لاني أمرت بقبض روحه خلف جبل
قاف وقد وجدته محضرتك فصرت متعجبا من ذلك فلما مضى الرجل خلف جبل قاف
قبض ملك الموت عليه السلام روحه هناك كما أمر وهذا مصداق للحديث الشريف
فكان قبض الأمير يشبك بالرها فلما ورد هذا الخبر إلى السلطان اضطربت أحواله
وماجت القاهرة عن آخرها وكان يومامهولا ثم أشيع بين الناس أن الأمير يشبك في
الحياة وهو في الاسر عند باندرد وقيل انه فر بنفسه وهو مختلف عند بعض التركان
واختلفت الأقوال في أمره وصارت دكة النقباء على بابيه بعد قتله مدة طويلة ونظامه باق
على حاله ووقع الشك في حقيقة قتله ثم أشيع بين الناس ان السلطان قصد السفر إلى حلب
بنفسه ويقصدها خوفا من عسكر يعقوب بن حسن أن يطرق بلاد حلب والشام فان
النواب قاطبة كانوا في الاسر عند يعقوب بن حسن ثم ان السلطان عين الاتابكي أزيك

الى حلب وعين معه ورد بش أحد المقدمين وخلع عليه وأقره في نيابة حلب عوضا عن
أزدر وعين من الأمراء العشراوات والطبختانات عدة وافرة منهم جاني بك حبيب
أمير اخور ثاني وآخرين من الأمراء ثم عرض الجند وكتب منهم جماعة واستحثهم على
الخروج بسرعة قبل أن تهجم عساكر الشرق على حلب ولولا فقه له ذلك لخرج من يده
غالب جهات حلب ثم بعد أيام خرج الاتابكي أزبك من القاهرة هو والعسكر في تجمل زائد
وكان لهم يوم مشهود وفوض السلطان أمراء البلاد الشامية والحلبية للاتابكي أزبك وجعل
له التكلم في أمور المملكة من ولاية وعزل ولما أراد الرحيل من الريدانية نزل اليه السلطان
وودعه وجلس عنده واشتوروا فيما يكون فيه المصلحة بسبب هذه الكائنة ثم إن الاتابكي
أزبك سافر وفيه عين السلطان تراز التمشي قريبه لنيابة الشام فامتنع من ذلك وادعى الفقر
وعدم البرق فوجه السلطان بالكلام فحقق منه تراز ونزل الى داره وأغلق بابه ولم يجتمع
بأحد من الناس وصرف نقباءه عن بابه وكثرا القال والقال في ذلك فأرسل السلطان يقول له
توجه الى مكة وأقم بها طالا واستمر في هذه الحركة أياما وهو في اضطراب والسلطان
يستحثه في سرعة الخروج الى مكة ثم إن الاتابكي أزبك مشى بينه وبين السلطان بالصلح
فطلع الى القلعة وقابل السلطان فخلع عليه ونزل الى داره في موكب حفل وقد زال
ما بينه وبين السلطان من الوحشة بسبب نيابة الشام ثم تحول أمر نيابة الشام الى قجماس
الاسحاق أمير اخور كبير نخلع عليه وقرره في نيابة الشام عوضا عن قانصوه والحيواي
بحكم أسرهم وفيه عقب ذلك وقف الأمير خير بك بن حديد الى السلطان وسأله في اقطاع
الأمير يشبك الدوادار فنتزعه السلطان فنزل الى داره مغضبا وأغلق بابه وصرف غلمانه
وامتنع من الاجتماع بالناس وتكلم بكلمات كثيرة في حق السلطان وكان الأمير خير بك
صعب المراس شديد الخلق قوي الرأس فلما بلغ السلطان ذلك بعث باحضاره فاخفى
خير بك وخرج من داره وهو لا بسجبة صوف أبيض وتعم عتزر صوف أبيض وأخذ بيده
سجدة وادعى انه قد ترك الدنيا وبقي فقيرا مجردا وتوجه الى جامع قيستان الذي بقناطر الاوز
وكان أنشأ به جوسقا مطلا على البركة التي هناك فأقام به أياما فلما بلغ الأمير تراز ذلك
توجه اليه وتلطف به في عوده الى داره فلم يوافق على ذلك واستمر مصمما على عدم عوده وبقي
هناك أياما ثم إن السلطان أرسل اليه قانصوه وخمسائة وشك في الحديد وطلع به الى القلعة
وهو ماش فلما مثل بين يديه ووجهه بالكلام وقصد أن يقتله ثم آل أمره من بعد ذلك الى
أن أخرجه من قيا الى دمشق بحجة الاتابكي أزبك لما خرج الى التجربة المقدم ذكرها
فسجن هناك وجرى عليه شدة وحن الى الغاية واستمر منقيا الى أن مات بمكة المنرفة كما
سيأتي الكلام على ذلك وكان خير بك من أخصاء السلطان وكان من أكبر أصحابه من

حين كان السلطان خاصكيا فانه قلب عليه كانه لم يعرفه قط فكان كما يقال ثلاث لا يؤمن
اليهم المال وان كثر والملوك وان قربوا والمرأة وان طالَّت صحبتها وفيه طلع الأمير لا حين
الظاهرى الى السلطان واستعفى من امرية مجلس وذكّر السلطان أنه قد شاخ وكبر سنه وعجز
عن الحركة فاعفاه السلطان من ذلك ورتب له ما يكفيه واستقر طرخانا الى ان مات وفيه خلع
السلطان على الشيخ ناصر الدين بن الاخميمي الحنفى أحد أئمة السلطان وقرره في مشيخة
البروقية عوضا عن قاضى القضاة الامشاطى وفيه خرج المحمل في تجمل زائد من القاهرة
وكان أمير الركب بالمحمل تغرى بردى ططر أحد الامراء المقدمين وأمير الركب الاول يشبك
ابن حيدر والى القاهرة وفي ذى القعدة وصلت جثة الأمير يشبك الدوادار من الرها وهى
في سحلية وهى جثة بغير رأس فوقع الشك فيها هل هى جثته أم لا فوجدوا بها أمارات تدل
على أنها جثته فكفنوها ودفنوها في تربته التي أنشأها عند زاوية كهنبوش ونحقيق موته
وانقطعت الاشاعات بانه في قيد الحياة وحضر صبيحة جثته فانه صوم دواداره وأخبر بحقيقة
موته وكيفية أمر الواقعة ومن أسر من الامراء وأخبر بقتل قائم قريب السلطان الذى
كان أتاك العساكر بحلب قتل على ماردى من بجليه من قتل من العسكر وكان شجاعا بطلا
لأبأس به فلما ثبت موت يشبك زال أمره كانه لم يكن وفيه وصل شرف الدين بن عبيد
الدمشقى الذى تقدم ذكره فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأقره في قضاء الحنفية
عوضا عن الامشاطى وفي ذى الحجة خلع السلطان على تغرى بردى بن بلباي الظاهرى
خازن دار يشبك الدوادار وقرره في الاستانة ادارية عوضا عن محمد الدين بن البقرى ورسم
السلطان على محمد الدين ليقم الحساب وكان في ذلك دماره وفيه توفى دولابى بطيخ
الابوبكرى المؤيدى أحد العشراوات ورؤس النوب وكان لأبأس به وفيه جاءت الاخبار
من حلب بقتل محمد بن حسن بن الصوالحلى نائب قلعة حلب وكان من أخصاء السلطان
مار عليه أهل حلب بسبب مظالم أحدثها بحلب فقتله العامة وقتل فرج بن أغلبك حاجب
الحجاب بحلب وكان رئيسا حشما من أعيان أهل حلب وكان لأبأس به وفيه مات
مشنوقا شيخ عربان الشرقية قاسم بن بيسر بن بقر وكان خياري بقر وتوفى أبو بكر
جر كس مقدم البريدية وأحد الحجاب بمصر وكان رئيسا حشما لأبأس به
ثم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمائة فيها في رابع المحرم خلع السلطان على أقبردى
ابن على باى قريبيه أحد المقدمين وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن يشبك بن مهدي
بحكم قتله في الرها فنزل من القلعة في موكب حافل وسكن في دار الأمير يشبك ورسم
له السلطان بجميع ما كان في بيت الأمير يشبك فجاءت اليه السعادة من قاش وأوان
وخبول وبرك وهو لا يشعر بهما فسبحان المعطى الكريم وهو على كل شئ قدير وقد قيل

* مصائب قوم عند قوم فوائد * وفيه خلع السلطان على الناس وقرره في نيابة صفد
 فخرج عن قريب وخرج صحبته ثاني بك الجمالي أحد المقدمين إلى حلب عوناً للتابكي أربك
 فطلب وخرج وكان له يوم مشهود وفيه ثارت ريح عاصفة وثارت فيها غباراً صغيراً أخذ
 بالانفاس واستمر من قبل الزوال إلى نصف الليل وفيه في سابع عشره كانت زلزلة عظيمة
 بعصر والقاهرة ما جت الأرض وتحركت الموادن ومالت وسمع للأرض دوى كدوى الرحا
 وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر واستمرت نحو ثلاث درج وهي في اضطراب حتى
 دهشت منها الناس وخرجت النساء من الحمامات والبيوت وهن حاسرات عن وجوههن
 وحصل للناس غاية الرعب ومات من هذه الزلزلة قاضي القضاة شرف الدين بن عيد الخنقي
 وكان جالساً بآوان المدرسة الصالحية فقام حين وقعت الزلزلة فسقط عليه ساقط من أعلى
 الآوان فمات لوقتته وكان عالماً فاضلاً دينياً خيراً بعث السلطان خلقه من دمشق إلى مصر
 وولاه قضاء الحنفية فأقام به ثمانية وخمسين يوماً ومات به - ذا السبب وكان أصله من
 عجلان وهو موسى بن أحمد بن عيد الدمشقي الخنقي وكان تولى قضاء دمشق ثم طلب وتولى
 قضاء مصر وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة فلما أخرجت جنازته نزل السلطان وصلى
 عليه ودفن بالصمراء وتوفي من الزلزلة عقيب ذلك الزيني أبو بكر بن القاضي عبد الباسط
 ناظر الجيش كان وكان رئيساً حشماً نادراً في أبناء الزمان ذا شهامة وعظيمة وكان من
 أخصاء السلطان وكان عليه ثلاث مرجات من الزلزلة حين ما ج به البيت وكان
 في سعة من المال والقماش والبرك وولى من الوظائف نظراً إلى والى وغير ذلك
 وفيه خلع السلطان على قانصوه بن طراباي المعروف بخمسة مائة الأشرفي وقرره
 في امورية الآخورية الكبرى عوضاً عن قجماس الأشعافي بحكم انتقاله إلى نيابة
 الشام وكان قانصوه يومئذ شاباً باذاً عذاره وولى الدوادارية وهو لا لبس الكوفية القندس
 فلما بقي أميراً خوراً كبيراً بعث له السلطان بشاش فلعله تخفيفاً كبيرة وكان حين لبس
 الدوادارية الثانية قبل أن يلبس اقبردى التقدمة والامير اخورية الكبرى بعد ما لبس
 اقبردى الدوادارية والمقصود انه صار مقدم ألف قبله وأخذ الدوادارية بالمنزلة في محله
 وقانصوه نظ من الدوادارية الثانية إلى الامير اخورية الكبرى فكان بينه وبينها عدة
 وظائف وفيه أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بتقدم ألوف منهم - مازدمر تمساح
 ويشبك الجمالي الزرد كاش الكبير وازدمر المسرطن الظاهري وفيه قرر في قضاء الحنفية
 بدمشق محمد الدين بن القصيف عوضاً عن العبدوى وعزل العبدوى وكان ابن فرفور قرر
 قبل ذلك في نظراً للجيش بدمشق فجمع بين نظارة الجيش وبين قضاء الشافعية وعزل عن
 نظارة الجيش الشريف موفق الدين الحوى وأودع في السجن بقلعة دمشق وخلع على

قطب الدين الخضيرى وقرر ربه فى كتابه السر بدمشق فانفرد بكتابة السر دون قضاء الشافعية وكان قبل ذلك متوليا قضاء الشافعية بدمشق وفيه قدم قاصدا ملك الحبشة فأوكب له السلطان موكبا بالحوش وكان موكبا حافلا وأحضر صحبته هدية حافلة للسلطان فأكرم ذلك القاصد جدا وسبب حضوره انه جاء يسأل البتريك أن يولى شخصا يكون عنده ببلادهم وفي صفر خلع السلطان على قانى بك جشحة وقرر ربه فى الرأس نوبة الثانية عوضا عن ازدمر تساج بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر فى الجوبة الثانية تانى بك الايتالى عوضا عن قانى بك جشحه بحكم انتقاله الى رأس نوبة تانى وفيه نزل السلطان الى جهة قلوب وكان يوم الجمعة فلما عاد صلى الجمعة فى قبة الامير يشبك التى بالمطرية وتوجه قاضى القضاة الشافعى وخطب به هناك وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بوفاة اينال الاسحاقى الظاهرى أحد العشر اوات وشيخ الحرم الشريف النبوى وكان انسانا حسنا خيرا دينا وله اشتغال بالعلم وكان لابأس به وفيه خلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين العزى بن المغربى وقرر ربه فى قضاء الحنفية عرضا عن ابن عيسى ولم يكن هذا العزى أهلا لولاية قضاء الحنفية ودلس على السلطان أمره وكان الساعى له فى هذه الوظيفة تغرى بردى الاستادار ويعقوب شاه المهمن دار وقد عز ذلك على جماعة من الحنفية وكان فيه يوم مشد من هو أولى بذلك من العزى وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الاتابكي أربك لما وصل الى حلب وجد أمر الفتنة التى وقعت بين عسكر مصر وبين باندرد قد سكن أمرها وان يعقوب بن حسن الطويل شق عليه ما فعله باندرد من سرعة قتله للامير يشبك الدوادار ولامه على ذلك ثم ان الاتابكي أربك أرسل جاني بك حبيب قاصدا الى يعقوب بن حسن فتلطف به فى الكلام وكان الامير جاني بك حبيب سيوسادريا حلا للسان فأكرمه بعة وبوأجله ثم أطلق من كان عنده من الاسرى من النواب والامراء وغير ذلك فسلمهم للامير جاني بك حبيب فأتى بهم الى حلب صحبته فلما بلغ السلطان هذا الخبر سر به جدا وفيه خلع السلطان على البدرى حسن بن الطولونى وأعادته الى معلمة المعلمين وكانت قد أخرجت عنه مدة طويلة وفيه نزل السلطان وتوجه الى الخانكاه فاعجبه مكان عند قناطر المريج والزيات فأمر ببناء زاوية هناك وحوضا وسيلا وأخذ فى أسباب ذلك وجاء من أحسن البناء وفيه توفى القاضى سعد الدين الكناخى أحد نواب الحنفية وهو ابراهيم بن محمد بن محمد بن قطلوبك شيخ المدرسة الظاهرية العتيقة وكان عالما فاضلا رئيسا حشما دريا محمودا فى قضائه وكان لابأس به وفى ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المنعم الجاهد المغازى ملك الروم وصاحب القسطنطينية العظمى وهو محمد بن مراد بن محمد بن عثمان وكان ملكا جليلا عظيما ساد على بنى عثمان كلهم وانتشر ذكره بالعدل فى سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم

والعدل والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونهم او قلاعها وكان نائب ملك مملكة الروم في حياة أبيه ثم استقل به من بعده ومكث به مدة طويلة تزيد عن احدى وثلاثين سنة ومولده بعد الاربعين والثمانمائة ولما مات تولى بعده ولده أبوين يزيد بدرم الموجود الى تاريخه فلما سمع ذلك السلطان أظهر الحزن والأسف عليه وفيه خلع السلطان على العلائي على بن الصابوني وقرره في نظر الخاص عوضا عن بدر الدين بن الكورين بحكم وفاته وقد جمع بين نظر الخاص ووكالة بيت المال وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة وقرره في امرية الحاج بركب المحمل وقرر الشهابي أحمد بن الجمالي ناظر الخاص في امرية الحاج بالركب الاول وقرر شاهين الجمالي في نيابة جدة ويخرج صحبة الشهابي أحمد ناظر الجيش ويكون هو المتكلم على الحاج بالركب الاول وفي ربيع الآخر نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التي بالمطرية وبات بها وصلى صلاة الجمعة هناك وخطب به محمد بن دمر داش امام القبة وعمل هناك بعد العصر ميعادا بحضرة السلطان فأتم عليه بمائة دينار وفيه نزل السلطان وعدى الى جهة الروضة وأمر بتجديد الجامع الذي هناك فجهاه المنشية وكان تلاميذ امره فأمرهم به وتجديده وكان السادة على عمارته البدرى حسن ابن الطولوني ثم ان السلطان توجه الى المقياس ونزل عن فرسه ودخل الى قاعدة المقياس وأمر بتجديد بعض أماكنه واصلاح أساسه وغير ذلك ثم ان السلطان صار يتردد الى الروضة ويكشف عن بناء هذا الجامع حتى انتهى العمل منه في سنة ست وثمانين وثمانمائة وقد جاء في غاية الحسن والتخرف وصار يعرف بجامع السلطان وكان أصل من أنشأ هذا الجامع الفخر ناظر الجيش وهو صاحب قنطرة الفخر الذي أنشأها في دولة الناصر محمد بن قلاوون ثم جدد بناءه صاحب شمس الدين محمد بن المقسى فعرف به ثم جدد بناءه الاشرف قايتباي فعرف به وجاء من أحسن البناء هناك وفي جادى الاولى توفى علان الاشقر بن ططخ الاشرفي أحد العشراوات ورؤس النوب وهو الذي أنشأ الخوض والسبيل بطريق بركة الحاج وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على اينال السلحدار نائب الاسكندرية وقرره في نيابة طرابلس عوضا عن بردبك المعمار بحكم قتله في واقعة بابلندر وخلع على حكيم قرا أميرا خورا الجمالي الظاهري وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا عن اينال السلحدار بحكم انتقاله الى نيابة طرابلس وفيه توفى الامير لاجين الظاهري أمير مجلس كان وجاوز التسعين سنة من العمر وكان ديناه خيرا رئيسا حشما وكان من الشجعان قبل أن يهزم وتوفى عدة وظائف سنوية منها الرزء كاشية الكبرى ثم شادية الشراب خاناه ثم بقى مقدم ألف ثم بقى أمير مجلس واستعفى من ذلك ومات بطالا وكان لا بأس به وفيه خلع

السلطان على قائم الفقيه الظاهري الاشقر بمشيخة الحرم الشريف النبوي عوضا عن
 اينال باي الاسحاق بحكم وفاته وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند
 الاتابكي أزبك بأن الجمام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينه وبين أخيه أبي يزيد وان الجمام
 وصل الى أطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن في الدخول الى حلب فعاد من السلطان
 للاتابكي أزبك بأن يحضر الى القاهرة في قليل من عسكره ثم ان السلطان أخذ في أسباب
 تجهيز الملافة اليه الى أن يصل الى مصر وفيه كان وفاة النيل المبارك وقد أوفى في خامس
 عشر مسرى فلما أوفى رسم للامير أزبك السيفي بأن يتوجه ويفتح السد وفي رجب طاع
 القضاة الاربعة لانهن ثمة بالشهر فوقع بالجلس كلام يتعلق بالشهابي أحمد بن العيني بسبب
 تركه شرف الدين ابن كاتب غريب وكان بعض نواب المالكية سمع دعوى ابن العيني
 وحكم له ثم ان أمر هذي الدعوة وقف مدة طويلة فلما طاع القضاة في الشهر المذكور
 أخذ السلطان يسأل القاضي المالكي والشافعي عن السبب في تأخر ذلك بعد أن ثبت حق
 ابن العيني وحكم له بذلك فطال الكلام في المجلس بين القضاة فخلق منهم السلطان فقام
 كاتب السريتكام للقضاة من نوع المساعدة لهم فقال له السلطان أنت معزول والقاضي
 الشافعي معزول والقاضي المالكي معزول فنزلوا الى دورهم وهم في غاية التكد وكان
 آخر عزل ولي الدين الاسيوطي ولم يل بعد ذلك القضاء وكذلك برهان الدين اللقاني
 فكانت مدة ولي الدين الاسيوطي في قضاء الشافعية نحو ما من ست عشرة سنة وكان مشكور
 السيرة في قضائه ثم أخذ السلطان في أسباب من يلي قضاء الشافعية فترشح أمر الشيخ زين
 الدين زكريا فطلب وخلع عليه وتولى القضاء وقد تمتع من ذلك الى الغاية ثم شرط على
 السلطان شروطا كثيرة فأجيب الى بعضها ونزل من القلعة في موكب حافل واستقر في هذه
 الولاية مدة طويلة وقد أخذها عن ولي الدين الاسيوطي بحكم صرفه عنها وكان الشيخ
 زكريا يومئذ رأس الشافعية ثم ان السلطان طلب محي الدين بن تقي الدين المالكي وخلع
 عليه وقرره في قضاء المالكية عوضا عن برهان الدين اللقاني بحكم صرفه عنها واستقر في
 هذه الولاية الى أن مات وأما القاضي كاتب السر ابن مزهر فانه أقام في داره نحو ثمانية
 عشر يوما وهو منفصل عن كتابة السر ثم ان بعض الامراء مشى بينه وبين السلطان في
 عوده بعدما كان ترشح أمر قطب الدين الخيزري بأن يلي كتابة السر ثم ان ابن مزهر أورد
 للسلطان ما لاله صورة حتى رضى عليه فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأعاد
 وظيفته ونزل من القلعة في موكب حافل وتخلق جماعته بالزعفران وزينت له حارته
 وهنا ما لاديب أبو الخير بن النحاس بقوله فيه

مقام ابن مزهر فوق السها * وقد زاد ربي اجلاله

وظيفته الدهر تسمو به * ولم تك تصلح الاله
وقال آخر

يا كاتب الاسرار يا من فضله * قد جمل الدنيا وزان المنصبا
هذى وظيفتك التي فارقتها * عادت اليك فرحبا بك مرحبا

وفيه حضر برقوق الساقى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان ممن أسر عند بابندر
وحضر صحبته اياس مملوك الاتا بكى أزيك وأخبر بأن النوب والامراء الذين كانوا فى
الاسر عند بابندر قد أطلقوا أجمعين ودخلوا الى حلب صحبة جاني بك حبيب وقد خلع
عليهم يعقوب بن حسن الطويل ثم أخبر اياس المذكور أن الجمجمة بن عثمان قد خرج من غزة
وهو قاصد للديار المصرية فلما أخبر السلطان بذلك أخذ فى أسباب ملاقاته الجمام وفيه
توفيت خوند بنت الملك المنصور وهى زوجة قرأز التمشى رأس نوبة النوب وكانت شابة
جميلة ماتت نفساء بعد أن وضعت وفيه قرر عماد الدين اسماعيل الناصرى الحنفى الدمشقى
فى قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن ابن القصيف بحكم انفصاله عنها وفى شعبان خرج
الصاحب خستقدم الزمام الى ملاقاته الجمام بن عثمان ومثله أسهطة حافلة بيليس والخانكاه
ثم لاقته الامراء المقدمون والعسكر ورؤس النوب والحجاب من المريج والزيات فسار فى
موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين التراب فاقام له السلطان الموكب بالحوش فلما
مثل بين يدى السلطان وهو جالس على الدكة فتحرك ولم يقم له فعند ذلك ناقصة من الاشرف
قايتباى ثم خلع على الجمام كاملية بسمور حافلة وأركبه فرسا خاصا من مراكبه بسرج
ذهب وكنبوش زركش ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه الامراء ورؤس النوب
وكان له يوم مشهود وقد قيل فى المعنى

يا أيها الملك الهام ومن له * أسد الفلا تأتى اليه ملجمه
قد فاق قدرك فى الملوكة تعاطما * مذ صبح بين يديك نطق الجمجمة

وأزله بدار ابن جلود كاتب الممالك التى بقم الخور وقد حضر بهجة الجمجمة والدته
وأولاده وعياله وقد فر من أخيه أبى يزيد خوفا على نفسه من القتل فالتجأ الى سلطان مصر
وفيه قبض يشبك بن حيدر والى القاهرة على امرأة يقال لها خديجة الرحاية وكانت
من أعيان مغنيات مصر ولها انشاد لطيف وكان أصلها من مغنيات العرب ثم عظم أمرها
جدا وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر وكانت جميلة حسنة الغناء فافتتن بها
الكثير من الناس وقد قال فيها بعض الشعراء

رحاية يخفى الشموش جمالها * لها حسن انشاد يزين مقالها
وقد خابت بالبدر ليلة تمه * فما زال من عيني وقلبي خيالها

فلما قبض عليها شبك كانت في بعض الافراح فقبض عليها من هناك فلما مثلت بين يديه قال لها أنت التي أفسدت في عقول الناس ثم أمر بضربها بين يديه نحواً من خسين عصا وقرر عليها مبلغاً صورة وكتب عليها قسامة بانها لا تغني ولا تحضر في مقام فلما خلصت من ذلك أقامت هريرة مدة من الرجفة التي وقعت لها ثم ماتت عقيب ذلك وكان لها من العمر نحو الثلاثين سنة فتأسف عليها الكثير من الناس وفيه كان ختان أولاد القاضي كاتب السرايين من هريكة الرطلي وكان له مهم حافل جداً وحضر عنده جماعة من الأمراء المقدمين والعشراوات وحضر عنده ججمة بن عثمان وبات عنده وكان النيل في أواخره فأمر كاتب السرايين بركة الرطلي بأن يوقدوا في البيوت وقدة حافلة وشرع يرسل في كل بيت في البركة عشرة أرطال زيت وطبلية فيها كل فاجر من طعام ذلك المهم فاحتفلوا في الوقدة وعلقوا في الطيقان الاحمال والتنانير حتى كانت ليلة مشهودة يكاد الانسان أن يدخل الخيط في خرم الابرة من عظم ضوء النور وأحرق حراقة عظيمة لم يسمع بمثلا حتى جاءت اليها الخلائق من كل مكان بسبب الفرجة وبلغ كراء كل مركب أربعة أشرفية واستمرت هذه الوقدة والحراقة ثلاثة أيام متوالية حتى عد ذلك من النوادر التي لم يقع مثلهما واجتمع بالبركة نحو من أربع مائة مركب موسوقة بالخلائق وصار ابن رحاب عمالا ومغاني البلد من نساء ورجال في كل ليلة وأنفق في تلك الليلة من الاموال ما لا يحصى حتى قيل ابتاع من عصفور الجبان على المتفرجين بنحو من مائة وعشرين دينارا جبن مقلي وكذلك ابن الزبيبي ابتاع من حلوى بمثل ذلك وقد خرجت الناس في القصف والفرجة عن الحد وقد رسم السلطان للقاضي كاتب السر أن لا يبق بمكان في هذا المهم لاجل ججمة ابن عثمان لكونه كان حاضرا في هذا المهم وفي هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

طابت على بركة الرطلي ليلتنا * حتى تباغت على الخلجان والبرك
حفت بضوء مصابيح زهت وغدت * تضي في حندس الديجور والخلك
فكان لما تناهى حسن وقدها * تخفى شمس الضحى في دارة الفلك
وقال شمس الدين القادري

نام الانام بجوخ الليل فاتخذوا * لهم دليلا لدى الظلما من اللهب
حتى كان جلايب الدجار غبت * عن لونها وكان الشمس لم تغب
وفيه عزم السلطان على الججمة بن عثمان وأضافه بقية الامير شبك التي بالمطرية وحضر ذلك الامراء المقدمون وكانت ضيافة حافلة جدا وخلق السلطان على الججمة كاملية بسمور وفيه قرر الجلالى يوسف بن جاهين الكركي سبط ابن حجر في قراءة الحديث الشريف بالقلعة عوضا عن برهان الدين بن الكركي الامام وكان السلطان تغير خاطره على ابن الكركي

واختفى مدة طويلة وفيه أحضر شخص من العرب بين يدي السلطان سنان من نواحي بني آدم من نسل العمالقفة فكان وزنه ستة أرباط ونصفا فتعجب السلطان من ذلك وفي رمضان ثارت رياح من جهة الغرب وكانت عاصفة جدا وأظلم بسببها الجو وأرعد وأبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا وكان المطر في غير أوانه في أو أخابه ثم جاءت الاخبار من دمياط بان هذا الريح كانت قوته بدمياط وقد قلع عدة أشجار وهدم بعض أما كن وأغرق عدة مراكب من مراكب الفرنج وكان ريحاهم هولا جدا وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان في ليلة ثالث عشر الشهر المذكور سقطت صاعقة عظيمة في أواخر الليل على المسجد الشريف النبوي فاحترقت منها المنارة التي تجاه الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واحترقت سقف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والأعمدة والأبواب وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وبعض حيطان المقصورة وقتل المؤذن الذي كان على المئذنة وقت نزول الصاعقة وقتل جماعة أيضا ممن كان بالحرم الشريف فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة وكان مما كتب في المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لأجل التسيب رأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف النبوي على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فعملت فيه النار فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة فاقام ساعة ومات وقد عاين الناس عدة أطياريض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تنع النار أن تحرق البيوت التي حول المسجد وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من كان حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت في هذا المكان الشريف فأخذ شيخنا شمس الدين القادري يعتذر عن ذلك

بطيبة سياآت الركب بدلها * رب العالما حسنات عند ما زاروا
وعند ما قبلات ضاهت لدى حرم الـ مختار من أكلات قربانه النار
واعتذر آخر

لم يحترق حرم النبي لحادث * يخشى عليه ولادهما العار
لكنما أيدي الروافض لامست * ذاك الحجاب فظهرته النار
واعتذر آخر

قالوا لقد غاب الصواب لحادث * تبني عليه رضاهم الكفار
بل ضم شمل السمحت وهو محرم * عند الرسول خرقته النار
ثم إن السلطان شرع في تجديد المسجد الشريف على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
فعين الخواجه شمس الدين محمد بن الزمن بان يتوجه الى المدينة الشريفة وأرسل معه عدة

من البنائين والتجارين والمرخين وغير ذلك وأمر بهدم القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المحرم وكانت قبل ذلك من الخشب وتغيير المنبر والموائد التي كانت بالحرم ثم توجه ابن الزمن الى هناك وشرع في البناء حتى انتهى منه العمل في أواخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة بخاء غاية في الحسن من أجل الابنية وأعظمها حتى قيل ان السلطان صرف على بنائه نحو ما من مائة ألف دينار وجدد معالمه وتناهى في زخرفته الى الغاية ووقع مثل هذه الحادثة في حرق المسجد الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام سنة احدى وخسين وثمانمائة في أواخر دولة ابيك التركماني وفيه وصل قاصد من عندي بعتوب بن حسن الطويل وعلى يديه مكتبة من عند يعقوب وهو يعتذر فيها بما وقع من بائندر وأن ذلك لم يكن بعلمه فعتب السلطان على القاصد بسبب ما وقع من بائندر وسرعة قتله للامير يشبك ثم أضاف القاصد وخلع عليه وأذن له بالسفر وفيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك الدوادار التي في رأس دور الحسينية فكشف عليها ورسم للامير تغري بردي الاستادار بأن يكمل عمارتها فان الامير يشبك مات ولم يتم عمارتها فلما رجع السلطان شق من القاهرة فقام اليه الناس قاطبة ونحوه بسبب الفلوس الجدد وغلو البضائع فلما طلع الى القلعة رسم بعهده مجلس بالمدرسة الصالحية فاجتمع القضاة الاربعة وكاتب السر وناظر الخصاص العساقى ابن الصابوني والمحتسب ثم أخذوا يتكلمون في أمر الفلوس وكان ناظر الخصاص ضرب فلوسا جديدا عليها اسم السلطان وقصد أن يخرجها باغلي من الفلوس العتيق فلما تكلموا في أمر الفلوس العتيق أخذ ناظر الخصاص يعارض في ذلك لاجل غرضه فلما سمع العوام بذلك ثاروا عليه في وسط المدرسة الصالحية ورجوه ولولا كاتب السر لقتلوه فلما طال المجلس في ذلك اتفق الحال على أن تكون الفلوس كلها العتيق والجديد بالميزان بسنة وثلاثين الرطل فتأدوا في القاهرة بذلك فسكن الامر قليلا وفي شوال كان موكب العيد حافلا ورسم السلطان للجام بن عثمان بأن يلبس الشاش والقماش ويطلع ويصلي مع السلطان صلاة العيد فطلع وصلى وحضر الموكب وخلع عليه السلطان مقرا ووقائي بطر زعريض ونزل مع الامراء المقدمين وهو بالشاش والقماش وفيه خلع السلطان على بيبرس الرحي قريه وقرره في شادية الشراب خاناه عوضا عن الماس بحكم انتقاله الى نيابة صغرى وفيه خلع السلطان على قريه قمر ازالتشى وقرره في امرية سلاح وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل الامير يشبك الدوادار وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير المحمل يشبك بن حيدر والى القاهرة وأمير الركب الاقل الشهابي أحمد بن الجالي يوسف ناظر الخصاص وسافر بحبته الجام بن عثمان هو وأمه وعماله وقد هياله السلطان بركاعظما

صرف عليه جملة مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بوصول الامير أزيك الى غزة وصحبته
النواب والاهراء الذين كانوا أسروا عند بابندر ف أرسل السلطان هجانا لاتبكي أزيك
بأن يقبض على قانصوه الحيماوى الذى كان نائب الشام وأسر عند بابندر ويرسله الى
القدس بطالا وأن بقية الاهراء والنواب يحضروا الى القاهرة وكان قد بلغ السلطان
بأن قانصوه الحيماوى كان سببا لكسرة العسكر وقتل يشبك فعمل له ذنب كبير بسبب
ذلك فكان كما قيل

له ألف ذنب لاتعد بواحد * ولى فرد ذنب لايعد له ألف

وفيه كان وصول الاتابكي أزيك الى القاهرة فدخل فى موكب عاقل وصحبته أزد مر نائب
حلب الذى كان أسرا عند بابندر وكذلك برسباى قرا حاجب الحجاب وتانى بك قرا أحمد
المقدماتين وكانوا أسروا أيضا فكان لدخولهم يوم مشهود وأحضر الاتابكي أزيك منتقال
البرهانى الذى كان مقدم الممالك ونفى الى القدس بطالا فلما حضر من غير إذن السلطان
شق عليه ذلك وأمر بنفيه الى مكة المشرفة فلحق بالحجاج ثم ان الاتابكي أزيك شفع فيه
وبأس رجل السلطان مرارا فرسم بعوده الى القاهرة بطلا لافعاد من أثناء الطريق وفى ذى
القعدة خلع السلطان على قرييه أزد مر الذى كان نائب حلب وقرره فى امرية مجلس
وكانت شاغرة من حين عفى منها الاجين الظاهري فقرره أزد مر بغير اقطاع فكان له فى
كل شهر ألف وخمسمائة دينار مرتبة على الذخيرة ثم خلع على برسباى قرا وقرره فى الرأس
نوبة الكبرى عوضا عن قرا القمشى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وخاع على تغرى بردى
ططر وقرره فى جوية الحجاب عوضا عن برسباى قرا بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى
ونخلع على قانصوه الغورى وقرره فى كشف الوجه القبلى وفى ذى الحجة قرر سيباى نائب
غزة فى جوية الحجاب بدمشق عوضا عن يشبك العلانى بحكم انتقاله الى نيابة حماة عوضا
عن جانم الجداوى بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق عوضا عن شاد بك الجلبانى وقرر سودون
الطويل الاينالى فى قعدة ألف بدمشق وقرر فى نيابة غزة دولاباى الاجرود الاينالى
عوضا عن سيباى الذى قرر فى جوية دمشق وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة
وكشف عن الجامع الذى أنشأ هناك وفيه توفى طوخ الذى كان زرد كاش ونفى الى
دمياط ثم شفع فيه وعاد الى مصر بطلا لافات بها وكان أصله من عماليك المؤيد شيخ وكان
لابأس به وفيه توفى شيخ عربان الشرقية محمد بن بجلان بن بقرو وكان لابأس به وجرى عليه
شدائد كثيرة ومحن وكان قد شاخ وكبر سنه وتوفى أربك الظاهري أحد العشراوات وتوفى
جاهين التاجى دوا دار جانم نائب الشام وكان لابأس به وتوفى فى أواخر السنة المذكورة
جاعة كثيرة من الاعيان لم تذكرهم خوف الاطالة

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم جاءت الاخبار بموت جكم قرا
العلائي الظاهري نائب نغرا الاسكندرية وكان لابأس به وفيه قدم الحاج الى القاهرة
وحضر الحجمة بن عثمان صحبة الشهابي أحمد بن الجمالي يوسف ناظر الخصاص أمير ركب
الاول فأنتم عليه السلطان بأشياء كثيرة وفيه أفرج السلطان عن أمير ركب محل العراق
والقاضي الذي كان معه وكانا بالبرج الذي بالقلعة من أيام حسن الطويل وقد تقدم سبب
ذلك وفيه قلق بحجمة من أقامته بمصر وطلب التوجه الى بلاده ليحارب أخاه فجمع
السلطان الامراء واستشارهم في ذلك ثم أحضر الحجمة وتكلم مع الامراء بكلام كثير
فأغلظ عليه الاتاكي أزيك في القول وهو لا ينتهي عن السفر الى بلاده فطال الكلام بينه
وبين الامراء في ذلك ثم انفض المجلس وقد أذن له السلطان بالسفر الى بلاده على كره منه
وكان ذلك عين الخطا وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وسنذكر ذلك في موضعه وفي
صفر خلع السلطان على شخص من الاراذل يقال له محمد بن العظمة وكان صنمته فراء ثم
سعى له عند السلطان وسائط السوء بأن يقرره في نظرا لوقوف نخلع عليه بذلك فلما
استقر في الوظيفة حصل على الناس منه غاية الضرر الشامل والتزم بمال يورده في كل شهر
له صورة فصار يرسل خاف الناس من رجال ونساء ويرسم عليهم بسبب الاوقاف
ويحاسبهم على الماضي والمستقبل ويأخذ منهم جملة مال وصار يابأ أنحس من باب الوالي
والتف عليه جماعة من المناحيس وصاروا يفرعون له الاذى تفريعا وكان ذلك في صحيفة
قايتباي رحمه الله الذي قرب مثل هذا وسلطه على الناس فكان كاقيل

لبابك يواب عن الخـير مانع * يضم لقبج الوجهه سوء خطابه
فساويت فيه من غدا يمنع القرى * ومن يربط الكلب العقور بيابه
وكان يورده هذه الاموال للسلطان لا يدري أمن حلال هي أو من حرام كاقيل في العنب
قيل للصب فيه خمر حرام * فتمنى حرامه وحلاله

وفيه توفي جاني بك كوهية الاسماعيلي المؤيدي الذي تقدم ذكره وكان لابأس به وفيه خلع
السلطان على موفق الدين بن الحمصي الاسلمي وقرره في نظارة الدولة وكان في خدمة صاحب
خشقدم وهي أول شهرته وفيه توفي أقبردي تمساح بن اسباي الاشرفي أحد العشراوات
ورؤس النوب وكان من مماليك الاشرف برسمباي وسافرا الحجاز أمير الـركب الاول
غير مأمرة وكان لابأس به ومات فجأة وكان قد جاوز السبعين سنة من العمر وفي ربيع الاول
عقد الامير أقبردي على خوند أخت زوجة السلطان وهي بنت العلائي بن خاص بك التي
كانت زوجة الامير جاني ناظر الجوالي قريب السلطان وكان يوم دخواها مهمما حافلا وفيه
في أول يوم من بشنش قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد خالف العادة في قلع الصوف

بأيام ثم عمل المولد النبوي وضرب المكرة وفيه ضرب السلطان شخصاً يقال له بلبان
الكاشف فلما ضرب به لم يعجبه به ضرب رأس النوب فنزل من فوق الدكة ووتى ضربه من
عظم حنقه عليه وفي ربيع الآخر وقع بين قاضي القضاة زين الدين زكريا وبين الأمير
دولت باي الحسني شاد الشون فكانت حادثة عظيمة قام فيها القاضي الشافعي فما حصل
له من ذلك طائل وهذه الواقعة مشهورة بسبب وقف وفيه خلع السلطان على الأمير أربك
اليوسفي أحد الأمراء المقيمين وقرره في امرية الحاج بركب المحمل وقرر دولت باي
الحسني شاد الشون في امرية الركب الأول وفيه كان ختان أولاد الملك المؤيد أحمد بن
الاشرف اينال بنغر الاسكندرية وكان حافلاً فأرسل يطلب علي بن رحاب المغربي بسبب
الزفة وفيه خلع السلطان على الشيخ صلاح الدين الحنفي الطرابلسي وقرره في مشيخة
المدرسة الاشرفية التي بجوار الوراقين عوضاً عن البرهان بن المكركي بحكم اختفائه لم تغير
خاطر السلطان عليه وفيه خلع السلطان على واحد من عماليه يقال له علي باي وقرره في نيابة
الاسكندرية عوضاً عن حكم قرا بحكم وفاته وكان علي باي هذا كاشف الشرقية يومئذ
وفي جمادى الأولى جاءت الاخبار بقتل سيف أمير آل فضل الذي خرج الأمير شبك
الدوادار بسببه كما تقدمت له ابن عمه غسان في بعض بلاد العراق وفيه خرج السلطان
وسافر على الهجن ولم يمهلم إلى أين يتوجه وكثر الكلام في حقه في ذلك بسبب سفره ثم
ظهر بعد ذلك أنه سافر نحو جهات العبادة وغيرها ثم رجع بعد أيام وفيه جاءت
الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الأمير خير بك بن حميد الذي كان أحد
المقدمين بمصر وتغير خاطر السلطان عليه كما تقدم فنفاه إلى الشام فأقام بها مدة ثم
نقله إلى مكة المشرفة فمات بها وكان أصله من عماليك الاشرف برسباي وكان ديناً
خيراً عارفاً بأنواع الفروسية وله اشتغال بالعلم وحذق جيد وفصاحة بالعربية
مات وله من العمر زيادة عن الستين سنة وكان من جملة الأمراء المقيمين بمصر وهو صاحب
المدرسة التي بزقاق حلب * وفيه كانت وفاة شاعر العصر ورأس الادباء علي الاطلاق
الشيخ شهاب الدين أحمد المنصوري وهو أحد بن محمد بن خضر بن علي السلي المنصوري
المعروف بالهائم القاهري الحنبلي وكان له شعر جيد ونظم رقيق جداً وفيه يقول الناصري
محمد بن شادي بخال العنبري

أخبرتنا ملوك علم القوافي * في بديع المنظوم والمنثور

ما وجدنا خليفة في المعاني * ملوك في البيان كالمنصوري

وكان الشهاب هذا جيل الهيئة نيرا لوجه متعففاً عن الناس ولم يبلغ خمسة وسبعين سنة
من العمر قال

بلغت من دنياى سنابه * وقعت فى السبعين والخمس
فالحمد لله الكريم الذى * متعنى بالسن والضرر
ولما بلغ الثمانين سنة من العمر قال
نحو الثمانين من العمر قد * قطعها مثل عقود الجنان
وسأحوجت يوما عيى الى * عصا ولاءى هى الى ترجان
ثم عرض له فى أوامر عمره فالج فلزم الفراش مدة طويلة وانقطع فى داره عن الحركة فانشأ
يقول

آه يادى رى * ضعت بين الطيب والعطار
كنت أنسى فى وحدتى وشفائى * من سقائى وصحتى فى انكسار
كنت تقضى مما حلام غدا * وعشاه منيتى أوطارى
قد حانى الطيب عن شهوائى * فاحسب يارب قلبى به بالنار
طال شوقى الى الفواكه والبطيخ والجبن واللبن والخيار
ضاع لى على مقاساة لب القرع والهنديا وبزر الشمار
كلما أجمع اختيارا حطاما * فرقته منى يد الاضطرار
ليت شعرى وللزمان خطوب * وبلاء يختص بالاجرار
هل ليت قضى عليه طيب * من كفىل أو آخذ بالثار
واستمر بهذا الفالج الى أن مات (١) وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وفيه نار
بجاعة من المماليك الجلبان بالقلعة وقصدوا قتل مقدم المماليك حتى قتل منهم واختفى
وأحرقوا باب الزردخانه وكانت فتنة كبيرة ثم سكن الحال قليلا وفيه جاءت الاخبار بان
الجام لما خرج من مصر وتوجه الى بلاد ابن قرمان بعث اليه أخوه بجاعة من عسكره
فتحاربوا فأنكسروا فرها ربا وندم على خروجه من مصر ولم يعلم أين يتوجه وفيه كان وفاة
النيل المبارك وتوجه الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه هجم
الصوص على قيسارية حرس وقتلوا البواب وأخذوا من الدكاكين أشياء كثيرة ولم
ينتطح فى ذلك شاتان وفيه أنعم السلطان على الناصرى محمد بن الاتابكي أزبك بأمرية
عشرة وأرسل اليه شاشا فلف له تخفيفة وفيه توفيت خوندشقرابنت الملك الناصر فرج
ابن الظاهر برقوق زوجة الاتابكي جرياش كرت وكانت من مشاهير الخوندات فتزل
السلطان وصلى عليها وفيه جاءت الاخبار بان الججمة بن عثمان لما فر من عسكر أخيه
نزل فى مركب فى البحر الملح فخرج عليه بعض الفرنج فى مركب فأسروه وقد ذهب جميع
ما كان معه من مال وقماش وغيره وكان خروجه من مصر عين الغلط وفيه هلك بترك

(١) فى الشذرات ان مولده سنة ٧٩٩ وهو الصواب

الناصرى اليقايبة وكان عند أهل ملته مشكورا وفي شعبان صنع الاتابكي أزيك في
الازبكية حراقة نفط ووقدة عظيمة وكانت ليلة مشهودة وفيه رسم السلطان بعمارة سور
البيرة فجاء من أحسن البناء وأنفق عليه مالا له صورة وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبائيك
مطلية على الحرم الشريف النبوى فقامت على السلطان اسئلة بسبب ذلك وأفتى بعض
العلماء بان ذلك لا يجوز فان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وهوميته كحرمة الله وهو حى صلى
الله عليه وسلم وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه وفيه توفى الناصرى محمد ابن الاتابكي جرباش
كرت وهو ابن خوندش قراف كان بينه وبين وفاة أمه نحو من شهر وقدمات فجأة وقيل وقع
بينه وبين سرور ومشدا الحوش السلطاني وكان طواشى والدته قد عيا فنفق منه الناصرى محمد
فتناول فصام من الماس وابتلاه فمات من ليلته وكان رئيسا حشما لطيف الذات لا بأس به
وفي رمضان توجه صاحب خدش قدم الى الوجه القبلى بسبب ضم المغل وفيه كان ختم
قراءة صحيح البخارى وفرقت الصرر والخلع على القضاة والعلماء وكان ختما حافلا وفيه
خسف جرم القمر ودام في الخسوف نحو من خمسين درجة وفيه توفى قاضى المحلة أوحد
الدين بن المحمى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه رسم السلطان بنى دولات باى بن
مصطفى نائب غزة فنقى الى مكة المشرفة وفي شوال ظهر قاسم شغيته الذى كان وزيرا وكان
له مدة وهو مختلف فلما ظهر خلع عليه السلطان كاملية حافلة وقرره في نظر الدولة عوضا عن
دوقى الدين بن الحصى الاسلمى وفيه حضر صاحب خدش قدم من السفر فلما حضر رسم
السلطان عاياه لعم الحساب وفيه ولد للسلطان ولد ذكر من سرية أصل باى الجركسية
فسماه محمدا وهو الذى تسلطن بعده وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير
ركب المحمل أزيك اليوس فى أحد المقدمين وبالركب الاول دولات باى الحسنى شاد الشون
وفى ذى القعدة رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقدوا المملوك من مماليكه حتى
يأخذوا له اذنان أغانه وفي هذه الايام تزايد شر جماعة من المماليك الجلبان وصاروا
يأخذون أشياء الناس بلاش من دكاكين التجار وغيرهم وحصل للناس منهم غاية الضرر
الشامل وفيه توفى محب الدين كاب العجم واسمه عبد الرحمن بن حسن بن الامين الحلبي
الحنفى توفى بالبيمارستان وكان فاضلا شاعرا ماهرا وله خط جيد وكان عشيرا الناس فكه
المحاضرة وكان من أنصاء الامير يشبك بن مهدي الدوادار لكنه كان مسرفا على نفسه
يميل الى محبة الاحداث وله فيهم أشعار كبيرة وكان جاهلا مخترقا ومن شعره فى المعنى

أميل للرد طورا * من كل نوع وجنس

لو طال ايرى قليلا * لنكت نفسى بنفسى

ومعاد اعبه به الشيخ الشهاب المنصوري رحمة الله عليه قوله

في ملاح لكشتي * صيف القلب وشقي
كم ليال مع مليح * يا محب الدين بنتا
خذ بهستان حسن * حبذا البستان بستا
أنت بالصبيان صب * لو رأيت البنت بنتا

وفيه توفي الفتح محمد المنصوري أحد المبشرين وكان رئيسا حشمالا بأس به وفيه قدم الامير
تقراز التمشي من البحيرة وكان مسافرا به الخلع عليه السلطان ونزل الى داره وفي ذى الحجة
كانت الاضحية غالية ولا توجد الا قليلا فحصل للناس غاية القلق بسبب ذلك وفيه قبض
السلطان على شخص يقال له الشريف الا كفا في زعموا أنه قد قتل قتيلا وهو زوجته
فضرب بين يدي السلطان فلم يقرب شي فرسم بسجنه فسجن مدة طويلة ثم آل امره الى أن
صالح الورثة بمال وأطلق بعدما قاسى شدا ثد ومحننا وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وقد ثبت
الشهر بالاربعاء في اليوم التاسع من ذى الحجة فمضى السلطان من القاضى زكريا وأشيع عزله
وقد فات الناس صوم يوم عرفة والتكبير في صيحه وانطلقت السنة العامة على القاضى
زكريا وسبوه جهرها وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر أنه وقع بمكة المشرفة سيل عظيم حتى
دخل الحرم وعام منه المنبر ووصل الى قريب عتبة البيت الشريف وقتل بالغرق بسببه نحو
من سبعين انسانا وهدم عدة دور وكان أمرا بهولا وأخبار المبشر بوفاة بدر الدين الدميري
المعروف بكتكوت أحد نواب الشافعية مات بالازم من طريق الحجاز وهو محمد بن يوسف
ابن علي بن محمد بن أحمد بن سلطان الدميري الشافعي وكان فاضلا فارقا بصناعة التوقيع
وكان موقع الدست وأحد نواب الحكم وكان فكه المحاضرة كثير العشرة للناس طلق
اللسان في حق الناس وكانت الشعراء تمجوه كثيرا فمن ذلك قول بعضهم

قد عيل صبرى من خطب ألم به * عقلى وطرفى مذهول ومبهوت
فان غدا الديك سلطانا فلاجب * فقد غدا قاضيا فى الناس كتكوت

وفيه يقول الاديب علي بن برد بك

ان الدميري صديق فلا * أسمع فيه قول واش ولاح

ولا أرى كالغير تقبيحه * بل هو عندى من ملاح الملاح

والنكتة هنا أن الكنا كيت ينادى عليهم - مياملاح الملاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد
الغرب أن أباعه - مد الله محمد بن حسن بن علي بن أبي سعد بن الاحرق قد ثار على ابنه الغالب بالله
صاحب غرناطة وملكها من ابنه ووجرت بينهم أمور يطول شرحها وآل الامر بعد ذلك الى
خروج الأندلس عن المسلمين وملكها الفريخ والامر لله في ذلك وفيه توفي طرنتاى

المجودى أحد الامراء العشر اوات وأصله من عماليك الاشرف برسباى وكان جلب هو
والسلطان قايتباى فى سنة واحدة وتوفى يونس الكاتب المجيد وكان أكتع ويكتب بيده
اليسرى خطا جيدا وتوفى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم تذكرهم
خوف الاطالة

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على محمد بن عبد
الرحمن وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم صرفه عنها وفيه نزل السلطان
وتوجه الى سنيت بسبب الكشف على الجسور ثم زار سيدي أحمد البدوى رحمة الله عليه
ورضى عنه وفيه كان الغلاء يصرف قليلا والاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والغلال وفيه
توفى الشيخ علاء الدين الحصنى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حاشما متواضعا وفيه
وصل الحاج الى القاهرة وقاسى مشقة زائدة ولم تحم - دسيرة أمير الركب بالمجمل أزبك
اليوسفى وفى صفر وقع بين كرتباى بن مصطفى المعروف بالاجر الذى توفى فى انبابه
فيما بعد وكان يومئذ أحد الدوادارية وبين ناظر الجيش كمال الدين بعض تشاجر فلما
كرتباى الاجر أطاح عمامته عن رأسه بالحوش فى وسط الناس وراحت فى كيسه وفيه
توفى الصارمى ابراهيم بن منبج وكانت وفاته بدمشق وكان رئيسا حاشما من الاعيان وفيه
توفى الشيخ أبو حامد المقدسى وهو محمد بن خليل المقدسى الشافعى وكان من أهل العلم
والفضل وله عدة مصنفات ومولده بعد العشرين والثمانمائة لكنه كان سهلا بليدا ذهن
قليل الفهم ومما وقع له أن الزينى أبا الفتح بن النحاس الشاعر داعبه به - ذين البيتين
وكتبهم اليه فى ورقة ودفعهم له فى مجلس القاضى كاتب السراى من زهر فلما قرأهما
استحسنهما ولم يفهم ما فيه ما من الدسيمة عليه فكتبهما بخطه فى بعض مصنفاته وأوردهما
لابن النحاس وهما

أباحام - د أنت الذى شاع ذكره * بكثرة تأليف وجمع به انه - رد

فانت الذى مامثل حفظك فى الورى * وأنت الذى مامثل ذهنك فى البلد

وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانم الجداوى نائب حمام وأتابك دمشق وكان لا بأس به وفيه
أشيع عن مثقال الساقى الطواشى الظاهرى رأس نوبة السقا بانه يضرب فى بيته الزغل
فارسل السلطان من كبس داره وقبض عليه وفى ربيع الاول رسم السلطان بعمل حساب
قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزى بدار الامير برسباى قرارا من نوبة وقاسى من الهدلة
والانكاد ما لا يعبر عنه وفيه نار بالناس فى فصل الربيع دموية وأراض حادة ومات
بذلك جماعة كثيرة حتى أطلق عليه الفصل الصغير ومات به من أعيان الناس سيدي فرج
ابن تيم نائب الشام وكان شابا جيل الوجه لم يلبث بعد فتأسف الناس عليه قاطبة وفيه عمل

السلطان المولد النبوي وكان حافلا واجتمع الامراء والقضاة الاربعة وكان السلطان
 شرع في عمل نخبة كبيرة مدونة برسم المولد الشريف فنصبها في ذلك اليوم بالحوش وفيه
 توفي القاضي نجم الدين يحيى بن يحيى وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن يحيى بن موسى بن أحمد
 الحسيني الدمشقي ثم القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وعلم من العلماء
 وكان كريما سخيا وولي نظارة الجيش بمصر وكان من أعيان الرؤساء بمصر والشام فلما مات
 وجد عنده زيادة عن ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة وفيه في آخر يوم من برمودة
 قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد جعل بلبس البياض قبل أوانه بعشرة أيام وفيه
 جاءت الاخبار من القدس الشريف بان قانصوه الحيواي الذي كان نائب الشام وتقي الى
 هناك بطلا قد أجرى عين ماء بالقدس وكانت معطلة مدة طويلة فصرف عليها مالا لا صورة
 من ماله وحصل بها غاية النفع وفي ربيع الآخر خلع السلطان على أزد مرعاساح أحد
 الامراء المقدمين وقرره في امرية الحاج في ركب المحمل وقرر أزد مرعاساح أحد العشر اوات
 في امرية الركب الاول وفيه قرر شاد بك المجدى الظاهري أحد العشر اوات في نيابة
 دمياط وفيه توفي أبو الفداء الواعظ الناصر المادح وكان من أعيان دواخل مصر في حسن
 الصوت وجودة الغناء وكان لا بأس به وفيه ثارت فتنة كبيرة بين مماليك أقبردى الدوادار
 وبين مماليك أزد مرعاساح نائب حلب ووقع بينهم فتنة بالرميلة حتى شهبوا السلاح على بعضهم
 فثار جماعة من مماليك السلطان مع مماليك أقبردى الدوادار فسكادت أن تكون فتنة عظيمة
 بين الامراء ثم سكن الامر قليلا وفيه توفي الشيخ الصالح سيدي أبو الفضل من أولاد سيدي
 علي وفا وكان حصل له انجذاب واستمر به الى أن مات وكان من بيت كبير الولاية وفيه
 زلزلت القاهرة بعد العشاء لكنها كانت خفيفة ولم تدم ولودامت قدر درجة حصل منها غاية
 الفساد وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاء مدة ستة أذرع وأربع أصابع وفيه سافر
 الامير أقبردى الدوادار الى جهة الصعيد بسبب ضم المغل وكان صحبته أمير عربان هواره
 داود بن عمرو وكان قد أعاده السلطان الى امرية بالوجه القبلي وصرف محمد بن يونس ولده
 ومن الحوادث أنه في جادى الاولى في يوم الثلاثاء عاشره ثار جماعة من المماليك الجلبان
 وتوجهوا الى دار برسباى قرا ونهبوا كل ما فيها وأحرقوها عن آخرها ونهبوا الربوع التي
 بجوارها وأحرقوها حتى نهبوا بسط المدرسة الابوبكرية والفخرية حتى أخذوا القناديل
 التي بها وكانت مصيبة شنيعة وهذا أول فتك الجلبان بالقاهرة واستخفافهم بالسلطان
 واستمرت الفتن من يومئذ تتزايد حتى كان منهم مائة ذكوة في موضعه وكان سبب كائنة
 برسباى قرا ان شخصاً من المماليك الجلبان دخل الى سوق الشرب ليشتري ثوباً له ليكيامن
 بعض التجار فتعترض المملوك على التاجر وضربه ضرباً مبرحاً وأخذ منه الثوب البعلبكي

غصبا فاشكاه التاجر من باب برسباى قراو كان يومئذ رأس نوبة النوب فطلب ذلك المملوك فلما حضر قامت عليه البيضة بما فعله في سوق الشرب فأدبه وضربه بين يديه فلما بلغ خشدا شينه ذلك ثاروا على برسباى قراو فعلاوا به ما فعلوا وراموا ان يحرقوا سوق الشرب حتى أخلوا منه التجارة فاطبة وكادت أن تكون فتنة كبيرة ثم البلد ثم ان الاتابكي أربك جرى بين المماليك الجلبان وبين برسباى قراو بالصلح وسكن الحال قليلا وفي جادى الآخرة جاءت الاخبار بان على دولات بن دلغادر قد أتى الى ملطية في جمع كثير من العساكر وقد حاصر البلد أشدا محاصرة فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه توفى قاني باى الفلاح الاشرف أحد العشر اوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان بارعا في فنون الرمح وتوفى مغلباى الفقيه أحد العشر اوات وكان أصله من مماليك العزيز وكان له اشتغال بالعلم وفيه عرض السلطان الجندوعين تجريدة الى حلب بسبب على دولات بن دلغادر وعين بهامن العلماء أزد مهر أمير مجلس الذى كان نائب حلب والامير تغرى بردى ططر حاجب الحجاب الثانى ومن الامراء الطبليخانات قاني بك جشكه رأس نوبة ثانى ومن الامراء العشر اوات تانى بك الاينالى الحاجب الثانى وسودون الصغير الاملاق وبرد بك المحمدى الخازندار الثانى ومن الجند فخمون خمسمائة مملوك وأنفق عليهم فبلغت النفقة على الامراء والجند زيادة عن سبعين ألف دينار وفيه حضر شمس الدين الحلبي تركه يحيى بن حجي فرأى بين كتبه كتاب الفصوص لابن عربي فقال هذا الكتاب ينبغي أن يحرق وان ابن عربي كان كافرا أشد من كفر اليهود والنصارى وعبد الاوثان فقال له بعض الحاضرين كيف تحرق كتاب الفصوص وفيه آيات من كتاب الله تعالى فقال ولو كان فسكا واعليه ذلك وأرادوا تكفيره فبادروا تراعى على كاتب السر ابن من هرقام معه وآل أمره الى أن عزروه وكشفوا رأسه ثم حكم بإسلامه وحقن دمه وقد قامت عليه الدائرة بسبب ذلك وفيه يقول أبو النجا القمي

أقعدت يا حلبي * بالصفع في قفاكا
لما ادعت جهلا * حرق الفصوص ياكا
وما خلصت حتى * أقت شاهداكا

وفيه توفى قانصو المداقف المحمدى أحد الامراء العشر اوات وكان أصله من مماليك الظاهر بقمق وكان علامة في الدقاف وفي رجب خرج الامراء والعسكر الى التجريدة التي عينت الى على دولات بن دلغادر وكان آخر العهد بالامير ازمير أمير مجلس الذى كان نائب حلب فلم يدخل الى مصر بعد ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك أوفى ثانى عشر مسرى فلما أوفى توجه الاتابكي أربك وفتح السد على العادة وفيه توفى برد بك الطويل المحمدى أحد الامراء العشر اوات وكان شادا على أوقاف الاشرف برسباى وكان لابأس به وفيه جاءت الاخبار

من مكة المشرفة بوفاة محمد بن عبد الرحمن ناظر حجة وكان رئيسا حاشما لطيف الذات عشيرا للناس ولما مات دفن بمكة المشرفة أعزها الله تعالى وفي شعبان عرض السلطان المقصورة الجديدة التي صنعها للعجزة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فخصها بالحوش في أول الشهر المذكور وكان زنتها أربع مائة قنطار من الحديد فحملت الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على سبعين جلا وفيه توفي جانم البهلوان أحد الامراء العشر اوات وكان أصله من عماليك الظاهر بجمعق وكان رأسا في الصراع توفي بحلب ومات أيضا بحلب صنتباي العلائي الظاهري أحد العشر اوات وكان رأسا في الرمي بالشباب وكان من عماليك الظاهر بجمعق وفي رمضان خسف جرم القمر خسوفات ناما حتى أظلمت الدنيا ودام في الخسوف نحو من خمسين درجة وفيه في يوم ختم البخاري وقع بين الشيخ بدر الدين بن الغرس الحنفي وبين الشيخ صلاح الدين الطرابلسي تنافس حتى خرجا عن الحد بسبب الجلوس فيمن يرتفع عن صاحبه وكان الصلاح الطرابلسي متعديا على ابن الغرس فاشكر على ذلك وكان مجلسا فاحشا لا خيرا فيه وفي شوال خرج من القاهرة المحمل في محمل زائد وكان يوما مشهودا وخرج معهم شادبك أحد الامراء خورية لكنه كان ضخما ويلبس كم قصير وقد قرر على باشية الخند بمكة ومعه خمسون عاملا وأرسل معه السلطان المقصورة الحديد التي صنعها للعجزة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثم أرسل معه مصحفا كبيرا جل على جبل بمفرده كان من النوادر كتبه شاهين النوري ومات ولم يكمله فأكد له الشيخ خطاب بأمر السلطان وهو باق الى الآن في الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفيه كان عرس الركني عمر بن أبي البقاء ابن الجيعان وكان معه ما حافلا وفي ذي القعدة خلع السلطان على اقباي كاشف الشرقية وقرر في نيابة غزة عوضا عن دولاباي بن مصطفى الماضي خبره بما جرى عليه الى أن نفي الى مكة المشرفة وفيه أنعم السلطان على ستة أنفار من الخاصكية الظاهرية بامريات عشرة منهم يشبك دجاج وأبو يزيد ويبرس اليوسفي وملاج الاشقر وجاني بك البواب وقائم السواق وأنعم باقطاع جانم البهلوان المسافر في التجريدة على سودون الصغير وقانصوه قرا وكسباي الشريف وآخرين من جلبانته وكان هذا اقطاع امرية عشرة وخرج بحكم وفاة جانم البهلوان وفي ذي الحجة قرر محمد بن السلاح في التكلم على جهة الجيزة عوضا عن ابن الصعيدي وفيه كان عيد التحرير يوم الجمعة وكانت الاضحية مشحونة وغالية بسبب قلة الجالب من أذى المماليك الجلبان وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضي الجماعة الغرناطي المالكي توفي بغرناطة وكان من أهل العلم والفضل وفي أواخر السنة المذكورة كثرا لاذي من العبيد والزعر وكثر قتل القتلى حتى ان شخصا من البياطرة قتل بالجزيرة الوسطى ولا يعلم من قتله ووجد شخص من المماليك الاينالية مقتولا بمنزله ولا يعلم من قتله وقتل غير ذلك جماعة كثيرة

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم توفي الجمالي يوسف الحنبلي ابن الشهابي أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي قاضي قضاة الحنابلة وكان رئيسا حشما تولى عدة مدراس الحنابلة منها المدرسة البروقية وكان شاهديوان الامير تراز التمشي أمير سلاح وكان لطيف الذات عشير الناس لا بأس به وفيه أعيد أبو الفتح المنوفي الى نيابة جدة عوضا عن عبد الرحمن بن بركم وفاته وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد المجذوب سيدي علي القليوبي رحمه الله ورضي عنه وكان له مكاشفات وكرامات خارقة وفيه قبض على شخص بالقرافة يتزايرو أهل الصلاح وله شعر في رأسه قد دخل الى مزار سيدي أبي العباس الحر اوسرق الستر من فوق ضريحه وقد فعل ذلك في عدة مزارات وكان في زى حسن لا يظن به سوء فلما اشتهر بذلك ضرب وشهر بالقاهرة وفيه توفي الشيخ ولي الدين أحمد شيخ الاثر النبوية وقاضي تغردمياط وكان ديناه خيرا حسن السيرة لا بأس به وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر دخول المحمل الى رابع عشر يه مما حصل لهم في السنة المذكورة من المشقة الزائدة من موت الجمال والعطش وفيه عين السلطان تجريدة ثانية تقوية لمن تقدم من العسكر فعين تراز التمشي أمير سلاح باش العسكر ومن المتقدمين أربك اليوسفي وعين من الجند نحو من أربع مائة مملوك من المماليك السلطانية وكان سبب تعيين هذه التجريدة أن السلطان قد بلغه أن ابن عثمان ملك الروم قد أمد على دولات بعساكر كثيرة وهذا أول تحول ابن عثمان على بلاد السلطان واستمرت الفتن بعد ذلك تتزايد الى أن كان ما سئذ كره في موضعه وفي صفر توفي الشيخ شهاب الدين الابناسي وهو أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن محمد الشافعي وكان عالما فاضلا دينا خيرا منقطع الى الله تعالى وفيه توفي يحيى بن شاذ بك المعروف بقاصد الحبشة أحد أجناد الحلقة وكان رئيسا حشما عارفا بلغه الحبشة فكدها محاصرة ومولده بعد العشرة والثمانمائة وفيه توفي شيخ عربان جبل نابلس وهو حرب بن أبي بكر بن محمد بن علي بن عبد القادر مات وهو مسجون بالبرج في القلعة وجرى عليه شدة وحن وآل أمره الى أن مات مسجونا وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بان العسكر الذي خرج من القاهرة قد تقابل مع على دولات أخو سوار وقد كسر العسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من الامراء والجند فقتل الامير قاني بك جشمه رأس نوبة ثاني أحد الامراء الطبليخانات وقتل معه جماعة من أمراء حلب والشام وكان قاني بك هذا أميرا انسانا حشما حشما شجاعا بطلا تولى من الوظائف شادية الشون ثم الجويية الثانية ثم رأس نوبة الثانية بقي أميرا أربعين وأصله من ممالك الظاهر جقمق وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان بعمل مولد للسيدة نفيسة رضي الله عنها ورجعها ورسم للخليفة أن يحضر به والقضاة الاربعة وأعيان الناس واجتمع هناك قراء البلد قاطبة ومثله هناك أمانة حافلة وهو أول من أحدث هذا المولد

بالشهد الشريف وصار يقال له مولد الخليفة وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة على
 العادة وكان حافلا وفيه توفي المسند رضى الدين الاوكلى وهو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
 ابن العزالشافعي القاهري وكان عالما فاضلا محدثا مسندا للقاهرة وكان لابأس به وفيه توفي
 الشيخ عباس الفاسي نزيل القاهرة وكان لابأس به وفي ربيع الآخر خلع السلطان على
 الجمالي يوسف بن الزرازي كاشف البهنا وقرره في الوزارة عوضا عن خشدتم الطواشي
 بحكم صرفه عنها وقرر قاسم شغيته في نظرا الدولة وفيه كان تفرقة النفقة على الجند
 المعينين في التجربة بسبب على دولات ثم بعث النفقة الى الامراء الذين تقدم ذكرهم وكان
 تعين اقبردى الدوادار الى التجربة ثم بطل بعد ذلك فشق على العسكر بطلانه وكثر القال
 والقليل بسبب ذلك وفيه توفي اقبردى اليوسفي أحد العشراوات وكان أصله من عماليك
 الاشرف برسباي وكان لابأس به وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانصوه الغوري بامرية
 عشرة وعينه الى التجربة وقانصوه هذا هو قانصوه سلطان مصر الآن وفيه توفي تاني بردي
 الشرف الايتالي وكان لابأس به تأمر بحلب امرية عشرة وفي جادى الاولى توفي تاج الدين
 محمد بن الكردي الحنفي وكان عالما فاضلا لابأس به وفيه توفي الخواجه الكارمي بدر الدين
 حسن بن ابراهيم بن عليبة السكندري أخوان الخواجه عبد القادر تاجر السلطان وكان
 لابأس به وفيه كان خروج الامير غراز التمشي أمير سلاح وأربك اليوسفي ومن عين معهما
 من الامراء العشراوات والجند فكان لهم يوم مشهود وكان عدة الجند الذين خرجوا مع
 الامراء نحو من ألف مملوك وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى اتيته البطة الدقيق
 باربعة أنصاف وكل اردب قم نصف دينار وانحطت الاسعار في سائر البضائع بعد تلك
 الغلوة التي تقدمت وكان قد اشتد الامر جدا وانفرج عن قريب وفيه توفي التاجر نور الدين
 ابن مقلح المصري وكان في سعة من المال وتوفي السيد الشريف شهاب الدين أحمد
 الارسوفي المالكي أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا مفتيا متواضعا علامة في مذهبه
 ومولده سنة سبع وعشرين وثمانمائة وفي جادى الآخرة توقف النيل عن الزيادة وقلق
 الناس ثم تزايد واستمرت الزيادة عمالة حتى كان الوفا وفيه عزل الجمالي يوسف بن الزرازي
 عن الوزارة وقرر بها قاسم شغيته على عادته وفيه خلع السلطان على القاضي شهاب الدين
 أحمد الدرسي وقرره في قضاء الاسكندرية عوضا عن عفيف الدين بحكم صرفه عنها وفيه
 كثرت المرافعات في قاضي القضاة الحنفي شمس الدين الغزي بسبب أوقاف الخنفية فرسم
 السلطان بان يتوجه الى بيت برسباي قرارا من نوبة النوب وتحضر القضاة الثلاثة ويعقد
 مجلس بسبب أوقاف الخنفية فلما حضر الى هناك حصل له غاية البهلة من الجبابة وغيرهم
 وفيه توفي جاني بك بن عمر باي ابن أخت السلطان وكان شابا صغير السن جميل الصورة

لابأس به ذاعقل وحشمة وفيه توفى سيدي محمد السداد رجه الله ورضي عنه وكان له كرامات ومكاشفات خارقة وفي رجب توفى العلامة شمس الدين الجوهري وهو محمد بن عبد المنعم بن اسماعيل القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا - لا بارعا في العلوم عارفا بذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورجه وله عدة مصنفات وتولى عدة تداريس وشهرته تغني عن مزيد التعريف به وفيه توفى نور الدين علي السنهوري المالكي وهو الشيخ علي ابن عبد الله بن علي الازهري وكان اماما في مذهب المالكية وله شهرة طائلة وكان بارعا في الفقه والعريضة والقراآت السبع وغير ذلك من العلوم وألف الكتب النفيسة في العلوم الجلية ومات وهو كفيف وكان ديناً خيرا صالحا ميامباركا ومولده سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان عنده اطراح نفس مع تواضع وتقشف وقد كف في آخر عمره فكان كاقيل

كفيف بالافادة لي كفيل * ضرير ماله فينا ضريب

سليب الكبير ذو قلب سليم * قرين للتقي منا قريب

وفيه خلع السلطان علي شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن المزيق الدمشقي وقرر في قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن الشهابي أحد بن قرفور بحكم صرفه عنها وفيه كان وفاة النيل المبارك وقد أوفى في ثاني عشرى مسرى فلما أوفى توجه الاتاكي أزبك وفتح السدة على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قبض السلطان علي محمد بن العظمة ناظر الاوقاف وسأله الى خشتقدم الزمام وألزمه بحسابته وفي شعبان خلع السلطان علي شرف الدين عبد الباسط ابن البقري وقرره في نظرا الاوقاف عوضا عن ابن العظمة بحكم صرفه عنها وفيه توفى جاني بك الشمسي نائب الكرك وكان لابأس به وفيه توفى القاضي ولي الدين بركات بن الجيعان وهو أبو البركاب أحمد بن يحيى بن شاكر القاهري الشافعي وكان لابأس به رئيسا حاشما عارفا بأحوال المملكة تولى نيابة كتابة السر وصار من اخضاء السلطان وترشح أمره لكتابة السر وهرعت الناس الى بابه ومات وهو شاب في عشر الثلاثين وكان جميل الهيئة حسن الوجه عاقلا بشوشا وله بر ومعروف وصدقات كثيرة وفيه يقول الشهاب المنصوري قال العواذل مالدح - لك قد غدا * يزاد في الحركات والسكنات فأجبتهم - لم لانج - لواوتأملوا * مازاد الا وه - وفي بركات

فلما مات تأسف عليه السلطان وقال لو كان يفي - دي بعمال لفديته وكان يتصرف في أشغال السلطان كما ينبغي ولما توفى القاضي بركات قرأ خاء صلاح الدين في نيابة كتابة السر عوضا عن أخيه بحكم وفاته وفيه هبط النيل سريرا وقد ثبت على اثنين وعشرين اصبعاً من الذراع الثامن عشر فشرق أكثر البلاد وزاد سعر الغلال ولا سيما القمح وكان هذا سببا للغلوة التي وقعت في السنة الآتية وفي رمضان جاءت الاخبار من حلب بان ورد بش نائب حلب خرج في جمع من العساكر وتقاتل مع علي دولات أخى سوار وقد أمداه ابن عثمان بجمع

كثير من عساكره فلما التقى العسكران وقع بينهما واقعة مهولة فانكسر العسكر الحلبى وقتل وردبش نائب حلب وجماعة كثيرة من العسكر الحلبى والمصرى وكان وردبش شجاعا بطلا وأصله من مماليك الظاهرية ثم قهر وردبش بن محمود شاه وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة سويس ثم نيابة قلعة الروم ولم يباشرها ثم تولى نيابة البيرة ثم بقى آتابك العساكر بحلب ثم بقى مدة ألف عصر ثم بقى نائب حلب واستمر به الى أن قتل على يد على دولابى قيل انه ضرب عنقه بين يديه وقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة منهم ألماس نائب صفد وكان دينارا خيرا عارفا بأنواع الفروسية وتولى عدة وظائف سنية منها استدارية الصحة وشادية الشرايع فانه ثم بقى نائب صفد واستمر بها حتى قتل وكان شابا عاقلا حثما لا بأس به وقتل أيضا أزردى الاشرفى أحد الأمراء العشراوات بحلب وقتل تراز حشيش بن حشاش الاينالى أحد الخاصكية وقتل أيضا طرباى الاشقر الابراهيمى الاينالى أحد الأمراء بحلب وتغرى بردى بن محمد بن قاسم أحد الأمراء العشراوات بحلب وغير ذلك جماعة كثيرة من العسكر وتوفى قططباى المجدى الاشرفى نائب قلعة حلب وكان لا بأس به ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان الامير تراز لما حصلت هذه الكسرة لعسكر حلب ركب هو والامير ازدرى أمير مجلس والعسكر المصرى وتوجهوا الى على دولاب فتقاتلوا معه فانكسر على دولاب وعسكره وعسكر ابن عثمان ونهبوا جميع بركههم وأخذوا صنما جق ابن عثمان ودخلوا بها الى حلب وهى منكسة وكانت هذه الحركة أول الفتن مع ابن عثمان واستمرت من يومئذ عمالة مع سلطان مصر ومعه حتى كان من أمرهم ما سئد كره وكان أصل هذه الفتنة تعصب ابن عثمان لعلى دولاب وكان ابن عثمان متحملا على سلطان مصر فى الباطن بسبب أشياء لم تظهر للناس وفيه رسم السلطان بنقل قانصوه الخفيف الاينالى من دمياط الى مكة المشرفة وقد بلغه عنه ما يوجب تغيير خاطره عليه وفيه زاد النيل زيادة مفرطة فى غير أوانها بعد انهم باطه وقد شرق غالب البلاد فدخل الماء الى الخليج بعدما كان قد نشف فتعجب الناس من ذلك ولكن لم تفده هذه الزيادة شيئا فى رى البلاد التى شرقت قبل ذلك وفى شوال خرج الحاج من القاهرة وأمير المحمل كان الامير ازدرى تساح أحد الملقدين وبالركب الاول برسباى العلاقى أحد العشراوات ورجل صحبته سيدى منصور ابن الظاهر خشمقدم وكان برسباى العلاقى زوج أم سيدى منصور ورجل فى السنة المذكورة أبو البقاء بن البليعان وصحبته جان بلاط ومامى الخاصكيان وقد توجه بسبب ما رتبته السلطان فى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من أمر تفرقة الدشيشة التى رتبها هناك ورجل فى هذه السنة المذكورة عالم سمرقند الشيخ أبو بكر اللبثى وولده العلامة وكانا قدما من سمرقند لاجل الحج ورجل فى السنة المذكورة الشيخ عبد اللطيف شيخ ركب المغاربة وكان قد قدم صحبة الركب من تونس يروم الحج وكان بالركب نحو

من ألف وخمسمائة انسان من المغاربة يقصدون الحج وفيه رسم السلطان بنقي مثقال الطوائشي رأس نوبة السقاء تخرج صلبة الحاج منقيا الى مكة المشرفة وقد بلغ السلطان عنه أنه يضرب دراهم مغشوشة فقبض عليه وعلى شخص من عماليك الاتابكي أربك يقال له تربغا فوجدوا في بيت مثقال آلة الضرب التي يصنعون بها الدراهم الزغل فرام السلطان قطع أيديهم ما فشفع فيهم ما من القطع فنتي مثقال الساقى وسجن تربغا على مال حتى مات في السجن وفيه مات علي بن قتي رأس نوبة النقباء وكان من كبار الظلمة مات تحت العقوبة وكان من أعيان الناس خدم جان بك نائب جدة لما كان دوا دارا كبيرا وخدم السلطان قايتباي لما كان رأس نوبة النوب وخدم يشبك الدوادار ثم تكلم في بعض جهات السلطان فوقف عليه مال واستمرت تحت العقوبة حتى مات وكان من الاشرار وفيه توفي سودون الصغير العلاءي الظاهري أحد الامراء الطبلخانات توفي بحلب وكان يعرف بسودون الخازندار وكان لابأس به وفيه ضرب السلطان محمد بن العظمة ناظر الاوقاف بالمقارع في وسط الحوش وكتب عليه قسامة أن لا يعود قطيسعي في نظر الاوقاف ومتى سعي فيه يكون دمه هدرا ثم سجن بالمقشرة وكتب من هذه القسامة أربع نسخ وبعث الى كل قاض نسخة منها وفيه توفي قرقاس بن بخشباي البواب أحد الامراء العشر اوات وكان موته حجة وكان من خواص السلطان وفيه توفي أربك أبو زيد الاينالي أحد امراء حماه وكان لابأس به وفيه توفي المسند الشريف أبو السعود محمد العلوي الهاشمي الشافعي وكان من الفضلاء بارعا في الحديث وفي ذي القعدة جاءت الاخبار بأن علي دولات قد أطاق ايتال السلحدار نائب طرابلس وكان عنده مأسورا وفيه أرسل السلطان خلعة الى أزد مر أمير مجلس ورسم له بعوده الى نيابة حلب كما كان أولا عوضا عن ورد بش بحكم قتله عند علي دولات وفيه خلع السلطان على مملوكه ايتال الخسيف الذي كان أتابك العساكر بحلب ورسم له بأن يكون نائب صفد وكان من أخصاء السلطان ثم تغير خاطره عليه فنفاه الى البلاد الشامية فاقام بهامدة ثم رضى عليه وولاه نيابة صفد بعد نيابة سيس وأتابكية حلب ثم ولاه فيما بعد نيابة حماه وفيه اقترن المشتري وزحل ببرج العقرب وذكر أرباب علم الفلك أن هذا القران لم يقع من منذ مائتين وستين سنة وان ذلك يدل على وقوع فتن عظيمة وكان الامر كذلك كما سيأتي الكلام عليه في محله وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند فأكرمه السلطان وخلع عليه وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصا من الجنود يقال له جرباش المجنون وكان غاية في الرعي بالنشاب وقف للسلطان في طلب افطاع عن شخص توفي فلم يجبه السلطان الى ذلك فلما نزل الى داره ذبح نفسه بيده من حنقه من السلطان فراحته روحه ولم يرث له أحد وفيه توفي الزيني عبدا لباسط ابن علم الدين شاكر بن

الجميعان وكان رئيسا حشما متحدا على مباشرات عديدة من مدارس وجوامع وأوقاف
 وكان دينيا خيرا عفيفا عن الرشوة صلبا في أموره ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة
 وفيه عز وجودا لقطن جدا حتى بلغ سعر كل قنطار ألفين وأربعمائة درهم ولا يوجد وفيه
 خلع السلطان على قريبه يبرس الرجي وقرره في نيابة طرابلس عوضا عن اينال السلحدار
 بحكم أسرته عند على دولات وفي ذى الحجة ارتفع سعر البرسيم حتى بلغ سعر كل فدان عشرة
 أشرفية وفيه عز وجود الفضايامن الغنم والبقر بواسطة أذى المماليك الجلبان وفي يوم
 عيد النحر أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت الأرض وحصل للناس مشقة في
 مرورهم في الشوارع الى صلاة العيد وفيه حضر جماعة من الجنود عن كان أسره عند على
 دولات وقد قطع أصابع جماعة منهم من عند الإبهام وأطلقهم وفيه جمع السلطان
 الأمراء ونسبوا مشورة في أمر ابن عثمان بسبب ما وقع منه في تعصبه لعل دولات فاشار
 السلطان هو والاتاكي أزيك وغيره من الأمراء بان السلطان يرسل هدية على يد قاصده
 وتزول هذه الوحشة من بينهما فانصاغ السلطان لهذا الكلام وعين في ذلك المجلس الأمير
 جاني بك حبيب أمير اخورثاني وكان حلوا للسان سيوسادريا وقد تقدم أنه توجه الى
 يعقوب بن حسن الطويل وتلفظ به في الكلام حتى أطاق من كان عنده من الأمراء
 والنواب والجنود كما تقدم وفيه خرج يبرس الرجي الذي قرر في نيابة طرابلس وكان له
 يوم مشهود وفيه توفي ناظر جيش غزة ابراهيم بن عبد الرحمن وكان رئيسا حشما لابأس به
 وتوفي الشيخ المعتقد أحد السبوعي وكان من أعيان الصوفية وله اخته اص بالاتاكي أزيك
 وفيه وصل مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له قايتباي من مماليك السلطان
 وأخبر بالامن والسلامة وأن القاضي كمال الدين ناظر الجيش اختار الجورة بمكة المشرفة
 وكان حج في السنة المذكورة وحضر محبة المبشر دولات باي بن مصطفى الذي كان نائب
 غزة ونفاه السلطان الى مكة المشرفة فبعث بحضوره فلما حضر أنعم عليه بتقديم ألف
 بدمشق فتوجه اليها وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب قونية من بلاد ابن قرمان وهو عبد
 الله أخو الججمة بن عثمان تولى على قونية بعد أخيه ججمة وكان حسن السيرة لابأس به
 ثم دخلت سنة تسعين وثمانمائة فيها في المحرم كانت وفاة قاضي القضاة محب الدين
 ابن الشحنة الحنفي وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي الثقفي ثم الحلي كان عالما
 فاضلا بارعا في مذهب أبي حنيفة وكان ناظما ناظرا رئيسا حشما جميل الهيئة حسن الشكل
 تولى عدة وظائف سنوية منها كتابة سر مصر ونظر جيشها وتولى قضاء قضاة الحنفية عدة مرار
 ثم تولى مشيخة الخاتمة الشيوخية ومات وهو شيخ بهم أوجرى عليه شداثد ومحن شتى واعتراه
 في آخر عمره مرض الفالج واستمر به الى أن مات وقد ذهل في عقله وكان مولده سنة أربع

وثمانمائة ومات وقد قارب التسعين سنة من العمر وكان من أعيان الناس ورؤساء مصر
وله عدة تأليف جليلة ومن شعره قوله

قلت له لما وفي موعدي * ان سلوى عن هواكم نفاق

وجاد بالوصل على وجهه * حتى سما كل حبيب وفاق

فلما مات تولى ابنه الشيخ سري الدين عبد البر مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن أبيه
وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحضر أبو البقاء بن الجيعان وجانبلاط ومماى وجماعة من
أقارب السلطان كانوا في الحجاز في تلك السنة وفيه وصل قرقاس التميمي نائب طرسوس
وكان ممن أسرع على دولات وفيه توفي يشبك العلائي نائب حماه وكان لأبأس به وتولى
عدة وظائف سنية منها امرية عشرة وعصرو بقي من جملة رؤس النوب ثم تولى نيابة
السكر ثم نيابة غزة ثم بجوية الحجاب بدمشق ثم نيابة حماه ومات بها وفي صفر أرسل
السلطان الى سيدي الطيوري صاحب دمشق وقرره في نيابة حماه عوضا عن يشبك العلائي
بحكم وفاته وقرر في بجوية دمشق بلباي أحد الدوادارية بدمشق وقرر في الدوادارية
جاني بك الطويل أحد عماليك السلطان وفيه كان توجه جاني بك حبيب أمير اخورثاني
الى ابن عثمان وقد تقدم القول في ذلك فتوجه اليه من البحر المالح من الاسكندرية وأرسل
السلطان صحبته تقليدا من الخليفة الى ابن عثمان بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم
وما سيفتحه الله تعالى على يديه من البلاد الكفرية وأرسل اليه أيضا الخليفة مطالعة
تضمن تخميد هذه الفتنة التي قد انتشت بينه وبين السلطان وفي المطالعة بعض ترفقه
والذي استفاد من الناس أن سبب هذه الفتنة الواقعة بينه وبين السلطان أن بعض
ملوك الهند أرسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جده
احتاط عليها نائب جده وأحضرها صحبته الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر
قبضته مرصعة بفصوص مثمرة فطمع السلطان في تلك الهدية وأخذ الخنجر فلما بلغ ابن
عثمان ذلك حنق وجاء في عقب ذلك أن على دولات تراعى على ابن عثمان وشكى له من أفعال
السلطان وما يصدر منه فتعصب لعل دولات وأمسده بالعساكر واستمرت الفتنة تتسع
حتى كان منها ما سئد كره في موضعه وقد طمع غالب ملوك الشرق في عسكر مصر بموجب
ما وقع لهم مع سوارو بانبندرو وغير ذلك من ملوك الشرق ثم ان السلطان أرسل الخنجر
المذكور والهدية التي بعث بها ملك الهند وأرسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد أن صار
ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرا لدى الناس وانبط * وعذر أقي سرايؤ كد ما فرط

ومن ظن أن يحوج لي بحفائه * خفي اعتذاره وفي غاية الغلط

ثم ان جاني بك لبس خلعة السفر ونزل في موكب حافل وتوجه الى نغرا الاسكندرية ونزل من هنالك في صراكب وتوجه الى بلاد ابن عثمان من البحر الملح وفيه قرر في الاتابكية بحلب قر قاس التمني عوضا عن اينال الخسيف بحكم انتقاله الى نيابة صفد وقرر في نيابة الكرك أمير زاده بن حسن الدوكاري عوضا عن جاني بك الطويل وفيه توفي خليفة سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله ورضي عنه وهو خير الدين أبو الكرم الشافعي وكان لابأس به **وفي ربيع الاول** عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى علي دولات وعين بهامن الامراء برسباي قرار أس نوبة النوب وتاني بك الجالي أحد المقدمين ورسم لهم بأن يتقدموا جاليش العسكر الى أن يخرج الاتابكي أزبك ثم أنفق على العسكر الذي تعين للتجريدة فبلغت النفقة زيادة عن مائة ألف دينار وفيه توفي قاضي قضاة الشافعية كان وهو بدر الدين محمد أبو السعادات ابن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الكنا في الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا تولى قضاء الشافعية بمصر في دولة الظاهر خشة قدم ولم تطل مدته بها وكان عنده خفة روح زائدة ورهج في الامور وفيه توفي عبد القادر الجامي الجاني وكان رئيسا حشما سيوسا وكان لابأس به وفيه عمل السلطان المولود النبوي وكان حافلا ونصب في ذلك اليوم الخيمة العظيمة التي أقامها على يديه وجاءت في غاية الحسن والتزخرف وحضر في هذا المولود ملك التجار أحمد بن محمود بن كاوان وكان جاء صحبة الحاج من مكة المشرفة فعظم أمره بمصر جدا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الواعظ المحدث شهاب الدين أحمد العميري المقدسي وكان عالما فاضلا علامة في فن الوعظ دينيا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه توفي برسباي بن تمر بغا الظاهري المعروف بجشيش وكان من الامراء العشر اوات وكان لابأس به وفيه عمل مولد السيدة نفيسة رجاها لله ورضي عنها وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وكان حافلا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الشيخ سعد الله الهندي الحنفي امام المسجد الاقصي وكان من أهل العلم والفضل عارفا بالقراآت السبع وكان أحد نواب النواب بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك الجاسي الذي كان نائب حلب وعزل عنها مات بصفد وقد قاسى شداثا ومحننا ولا سيما ما وقع له مع النابلسي وكيل بيت المال وكان رئيسا حشما تولى عدة وظائف سنوية منها نيابة ملطية ونيابة جام ونيابة طراباس ونيابة حلب وصور وسجن بدمشق ثم نقل الى صفد فمات بها وفيه رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقد أحد منهم **نكاحا** على جانب من مماليكه فقلق الممالك من ذلك فكان حالهم كما قيل

اذ انكح الرجال بنات قوم * وصار المهر في ايدي الفريق
عدت الى ايدي فنكحت بكرا * وأمام مهرها عندى فريق

ثم توجهوا فقيم بعد الزواج ولم يلتفتوا الى قول السلطان وفي ربيع الآخر وجد شخص
من المماليك السلطانية يقال له فارس الرزدكاش مقتولا بالصوة ولا يعلم من قتله وجد بعد
صلاة الصبح وفيه خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش العسكر برسباى قرارأس
نوبة النوب وصحبته تانى بك الجالى أحد المقدمين وعدة من الامراء العشر اوات وقد خرج
المقدمون من غير طلب وفيه قبض أقبردى الدوادار على جماعة من أولاد ابن عمر
وسجنهم فى البرج الذى بالقلعة وقد أحضرهم صحبته لما توجه الى الوجه القبلى وقد تغير خاطر
السلطان على بنى عمر وفي جمادى الاولى قرر فى امرية الحاج بالمحمل ازدهر المسرطن أحد
المقدمين وبالأول برسباى اليوسفى أحد الامراء الطبليخانات وفيه قرر دولات باى الحسنى
الظاهرى شاد الشون فى رأس النوبة الثانية عوضا عن قانى بك جشمه وكانت هذه
الوظيفة شاغرة مدة طويلة وفيه توفى قراجانائب جدة وكان أصله من مماليك جاني بك نائب
جدة وكان لابأس به وفيه وصل الى القاهرة اينال السلحدار الاشرفى الذى كان نائب
طرابلس فأكرم السلطان وخلع عليه وأقره فى شادية الشراب خاناه وفيه توفى الشيخ
المعتقد نور الدين على من أولاد سيدى يوسف العجمى رجة الله عليه وكان لابأس به وفيه
أخذ قاع النيل فجاءت القاعة فى العام المذكور ثمانية أذرع وعشرين اصبعافعة
ذلك من النوادر وفيه أعيد القاضى شهاب الدين بن فرفور الدمشقى الى قضاء الشافعية
بدمشق مضافا الى نظرا الجيش وصرف عنها ابن المزلق وفيه هجم المنسر على الناس وهم
فى زيارة الامام الليث بن سعد رحمه الله ورضى عنه فأخذوا عمائم الزوار حتى أزر النساء
وعزوا النساء فى الطريق بطولها حتى وصلوا الى باب القرافة وكانت كائنة عظيمة وفى
جمادى الآخرة ضرب السلطان السيد الشريف الذى كان كاتب سر دمشق وأودعه
بالمقشرة ولم يرث الى شرفه وفيه قرر الشيخ كمال الدين ابن أبى شريف المقدسى فى مشيخة
مدروسة السلطان الذى أنشأها بالقدس الشريف وجاءت غاية فى الحسن وفيه خلع
السلطان على السيد الشريف موفق الدين الجوى وقرره فى كتابة السر بدمشق
وفيه رسم السلطان بقطع يد مملوك من جلبانه قد سرق غير ماهرة فلما أراد قطع يده شنع
فيه بعض الامراء فخنق منه السلطان ورسم بقطع رجله أيضا وفيه رسم السلطان للامير
أقبردى الدوادار وأبى البقاء بن الجيعان وجانبلاط ومامى ورمضان بأن يتوجهوا الى
القدس وصحبته من القراء والوعاظ جماعة وأن يعمل وليمة لمدروسة السلطان التى أنشأها
بالقدس وقد انتهت منها العمل وخرج ابن أبى شريف وصحبتهم وقد تقدم تقريره بالمدروسة
وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة كولاك وكان بها
شخص من المماليك السلطانية يقال له طوغان الساعى فلما حاصروه أسلمها اليهم بالامان

وكانت هذه أول وقائع ابن عثمان ثم اتسع الامر بعد ذلك وكان ما سئذ كره في موضعه وفي رجب جاءت الاخبار بوفاة ملك الاندلس صاحب غرناطة وهو الغالب بالله أبو الحسن علي بن سعيد بن محمد بن الاخر وكان من خيار ملوك الغرب مشتهرا بالعدل عارفا بتدبير المملكة حسن السيرة لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بأن الأمطار كانت قليلة جدا وأن الآبار قد نشفت وأن العين التي أبحر بها السلطان قد وقفت وحصل لاهل مكة الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه تزايد شر المماليك الجلبان والزعر والعبيد حتى أعيأ أمرهم إلى الوالي وحاجب الحجاب وصارت الأحوال في اضطراب وفي ثاني شعبان كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى في العشرين من مسرى فلما أوفى توجه الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قرر البدرى محمود بن أجاقي قضاء الحنفية بحلب عوضا عن ابن الحلاوى وكان هذا أول شهرة البدرى محمود بن أجاقي وفيه كان أول فتح خليج الأزبكية وكان يوما مشهودا وعزم الأمير أزبك على الامراء المقدمين بالقصر المطل على البركة ومدت لهم الاسمطة الحافلة وفيه جاءت الاخبار بأن الفتن قائمة ببلاد المغرب بتونس وفاس وغير ذلك من البلاد وأن الفرنج قد استولت على مدينة مالقة وفيه جاءت الاخبار بوفاة بيرس الرحبي قريب السلطان الذي كان نائب طرابلس وكان قد أشيع ذلك وقد صبح وفيه جاءت الاخبار بأن عساكر ابن عثمان قد استولوا على أطراف بلاد السلطان وأرسل أزدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروجه تجريدة ثقيلة أو يخرج السلطان بنفسه فتكدر السلطان لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض ثم عرض الجند بحضرة الاتابكي أزبك وكان هو المشار إليه في تعيين الجند مما يختاره منهم ثم عرض القرائنة وأولاد الناس وصار الذي لا يطيق السفر منهم يقيم له بيلا كما لا يخوله وإبسه وغير ذلك ويورد مائة دينار من له اقطاع وجامكية ثم ان المماليك المعينة للسفر أطلقوا في الناس النار وصاروا يأخذون بغال الناس وخيولهم غصبا حتى أخذوا بغال الطواحين والاكاديش التي بهم وتعلت الطواحين بسبب ذلك وتشحط الخبز من الدكاكين وكادت أن تكون غلوة كبيرة حتى ويخ السلطان المماليك بالكلام ونادى في القاهرة بالامان والاطمئنان وان كل من أخذ له بغل أو فرس يطاع إلى أمير اخور كبير يخلصه فسكن الحال قليلا وفي رمضان توفي برسباي الخازن دار المجودي وكان من أخصاء السلطان وهو من الامراء العسراوات وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة القاضي كمال الدين ناظر الجيش وكان مجاورا بمكة المشرفة قائما بالاجل هناك وهو محمد بن يوسف ناظر الجيش المعروف بابن كاتب حكيم وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم وولى نظم الجيش وهو في حداثة سنه وباشر ذلك أحسن مباشرة وحدث سيرته مما احتيج مات وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وكان حافلا جدا وقرت الخلع

والصرر على الفقهاء والعلماء وفي سؤال خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش
العسكر الاتابكي أزبك وكان صحبته قانصوه خسمائة أمير اخور كبير وتاني بك قرا أحد
المقدمي الاولوف وقد تقدم قبلهم ستة من الامراء المقدمين ازدمر أمير مجلس وتغري بردي
ططروقرر بعدهم تراز أمير سلاح وأزبك اليوسفي أحد الامراء المقدمين ثم خرج من
بعدهم برسباي قرارأس نوبة النوب وتاني بك الجمالي أحد المقدمين فكان جـ له الذين
خرجوا أولا وآخر تسعة أمراء بالاتابكي أزبك ومن الجند نحو من ثلاثة آلاف عملوا بما
تقدم في الاول والاخر وكانت هذه التجربة من أعظم التجارب وطلب الاتابكي أزبك
طلبا حافلا حتى رجعت له القاهرة وكذلك قانصوه خسمائة كان طلبه غاية في الحسن بحيث لم
يعمل مثله قط قبل كان مصروف طلب قانصوه خسمائة نحو من ثمانين ألف دينار وخرج
العسكر وهم لابسون آلة الحرب وكان لهم يوم مشهود وكان مع الأمير أزبك عدة أمراء
طلب الخانات وعشراوات والجـم الغفير من الخاصكية والماليك السلطانية فعدت هذه
التجربة من النوادر وفيه كانت وفاة الخواجه محيي الدين عبدالقادر بن ابراهيم بن حسن
المعروف بابن عليبة السكندري تاجر السلطان وكان رئيسا حشما من أعيان التجار وفيه
خلع السلطان على القاضى شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرره في نظار الجيش
عوضا عن أخيه كمال الدين وفيه خلع السلطان على علي بن عامر وقرره في امرية آل
فضل بحماه عوضا عن عساف بحكم قتله وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب
الحمل ازدمر المسرطن وبالركب الاول برسباي اليوسفي وفيه طيف برأس شخص من
العربان المشـدين يقال له محمد بن عامر أحمد شيخ هواره وبعث به ابن الزرايزري
الكاشف وعدة رؤس من العربان المنسـدين وفي ذى القعدة في ثالث عشرها تور زاد
النيل زيادة مشرطة نحو الذراع حتى تعجب الناس من ذلك وفيه عاد جاني بك حبيب الذي
توجه الى ابن عثمان قاصدا وكان قد سافرا قولا من البحر المالح وعاد من على ملطية فلما
طلع بين يدي السلطان كان عليه خلعة ابن عثمان فخلع عليه وعلى من كان معه من
الخاصكية ثم ان جاني بك حبيب خلا بالسلطان وأخبره عن أحوال ابن عثمان بأنه ليس
براجع عن أذاه لعسكر مصر وأنه لم يرمسه اقبالا ولا أكرمه وأنه غير ناصح للسلطان فكثير
القال والاقيل بسبب ذلك وفيه توفي شمس الدين الوفاقي قاضى الخانات وكان رئيسا حشما
لابأس به وفي ذى الحجة توفي قائم الفقيه الظاهري أحد الامراء العشراوات وكان باش
المجاورين بمكة المشرفة وكان دينا خيرا لابأس به وفيه أعيد الزينى أمير حاج الى نقابة الجيش
على عادته وصرف عنه موسى بن الترجان بعد كائنة عظيمة وقعت له وكان غير محمود السيرة
سبي التصرف في أفعاله وفيه قرر السلطان كرتباي بن مصطفى المعروف بالاجر في كشف

البحيرة عوضا عن قرا كزملوك غمرازا أمير سلاح وفيه جاءت الاخبار من نائب حلب بان على دولات أرسل يسأل في الصلح بعدما اتسع الخرق على الراقع كما قيل في المعنى
أتروض نفسك بعدما هزمت * ومن العناء رياضة الهزم

وفيه توفي قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن محمد القلجاني التونسي المالكي وكان عالما فاضلا بارعا في مذهبه قدم الى مصر وأقام بها مدة ثم عاد الى بلاده فمات بها وفيه جاءت الاخبار بوفاة المستنصر بالله محمد من أولاد الملك مسعود صاحب تونس وكان أكبر أولاده مستوليا على إحدى جهات المغرب وكان شابا بحسن السيرة عادلا في الرعية فتأسف عليه والده جدا وقد خرجت السنة المذكورة عن فتن وشروير بلاد الشرق وبلاد الغرب وحصل في مصر تشحيطة في سائر الغلال واشتد السعرو وقع الاضطراب بسبب ذلك لاهل التجار يد وحصل للناس من الممالك ما لا يخفى فيه من أخذ البغال والخيول وغير ذلك مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة وحصل للناس وقوف حال بسبب ضرب الفلوس الجدد وتبديل الفلوس العتيق والامر لله تعالى في ذلك

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم كان خليفة الوقت الامام أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز ووسلطان العصر الملك الاشرف قايتباي أبو النصر المعروف بالمجودي الظاهري وأما القضاة الاربعة فهم قاضي القضاة زين الدين زكريا الانصاري الشافعي والقاضي شمس الدين محمد الغزي الحنفي والقاضي محي الدين بن تقي الدين المالكي والقاضي محمد السعدي الحنبلي وأما الامراء المقدمون فبنهم أرباب الوظائف ستة وهم الاتابكي أزبك بن ططخ أمير كبير وغمرازا التمشي أمير سلاح وأما امرية مجلس فكانت شاغرة من حين عزل منها ازدمر قريب السلطان وتولى نيابة حلب وبرسباي قرا محمد بن الظاهري رأس نوبة النوب وقانصوه بن طراباي المعروف بخمسمائة أمير اخور كبير واقبردي بن علي باي أمير دوا دار كبير وتغري بردي ططر حاجب الخجاب وأما الامراء المقدمون غير أرباب الوظائف فأزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وتاني بك الجمالي وتاني بك قرا الاينالي وازدمر تمساح وازدمر المسرطن ويشبك الجمالي وأما الامراء الطبليخانات فكانت عدتهم يومئذ نحو عشرة وأما الامراء العشراوات فكانت عدتهم يومئذ نحو امان ستين أميراً وأما أرباب الوظائف من المتعممين فالقاضي كاتب السر زين الدين أبو بكر بن مزهر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان وناظر الجيش الشهابي أحمد بن الجمالي يوسف ناظر الخاص ومستوفي ديوان الجيش القاضي أبو البقاء بن الجيعان وناظر الخاص علاء الدين بن الصابوني وقد جمع بين نظارة الخاص ووكالة بيت المال والوزارة بيد قاسم شغيمته متحدا فيها وشرف الدين بن البقري ناظر الدولة وقد جمع بين نظارة الدولة وبين نظارة الاوقاف في تلك الأيام

والبدرى بدر الدين بن منهر محتسب القاهرة ووالى الشرطة يشبك بن حيدر الاينالى
وامتادار العالية تغرى بردى المعروف بالقادرى ونقابة الجيش بيد امير حاج بن ابي
الفرج وكتابة الخزانة بيد عبد الغنى بن البليعان وكتابة الممالك بيد يوسف بن ابي الفتح
نائب جدة ونظارة الاصطبل بيد يحيى بن البقرى ونظارة الزردخانه بيد عبد الباسط بن تقي
الدين ونظارة الكسوة الشريفة بيد رمضان المهتار ونظارة الجوالى بيد نور الدين على
البتونى المعروف بالحنبلى وأما أرباب الوظائف من الطواشية فمقدم الزمام الاحدى
وخالص التكرورى مقدم الممالك ونائبه عنبر وسرور شاد الحوش وغير ذلك من أرباب
الوظائف لم نذكرهم خوفاً الاطالة فى ذلك وانما ذكرنا الاعيان منهم فهذا كان ترتيب أرباب
الوظائف فى مستهل السنة المذكورة على حكم ما ذكرناه ثم انقلبت الوظائف الى جماعة
كثيرة من الاتراك والمباشرين كما سيأتى ذكره فى موضعه وفيه أعنى هذا الشهر توفى السيد
الشريف أبو عوانة واسمه أحمد بن أبي بكر التونسى المالكى رحمه الله وكان يعرف بالعوانى
وكان ديناً خيراً جميل الصورة حسن الشكل ويقال ان فيه أشياء من شبه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومولده بعد الاربعين والثمانمائة وفيه توجه السلطان الى جهة الشرقية
ليكشف على الجسور فغاب هناك أياماً ثم عاد الى القلعة وفيه تنهى سعر البرسيم كل فدان
مخضر باثنى عشر دينارا ويبيع الدريس الحوفى كل مائة قطة باربع مائة درهم حتى عد ذلك
من النوادر وسبب ذلك أن حب البرسيم التقاوى كان غالياً وكان النيل خسيساً والذى
طلع من البرسيم أكلت غالبه الدودة وكان سعر الغلال مرتفعاً فى السنة المذكورة حتى
غلا سعر الماء والروايا من عدم العلف لجمال السقائين وفيه نزل السلطان وتوجه الى
الروضة وعدى وهورا كب وكان معه القاضى قطب الدين الحضرى وجماعة من الخاصكية
فتوجه الى خرطوم الروضة وعدى وأقام به الى آخر النهار ونصب له هناك خيمة سحابة
وموخر فطاب له ذلك المكان فأمر ببناء قصر مطبل على الاربع جهات هناك فلم يتم له ذلك
وفيه كان دخول الحاج فى خامس عشر به وقد حصل لهم بموت الجمال وشدة الغلاء مشقة
رائدة وكان أمير ركب المحمل أزدمر وبالركب الاول برسباى اليوسفى وقد جاور
أكثر الناس وانقطع جماعة بالينبع ولم يدخلوا القاهرة الا بعد أيام وفيه توجه اقبردى
الدوادار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد ابن عمر وفيه توجه السلطان الى قبة يشبك
الدوادار التى بالمطرية فلما رجع نزل عن فرسه وزار تربة الظاهر برقوق وكشف عن
أحواله ثم عاد الى القلعة وألزم سرور شاد الحوش بعمل مصالح الصوفية التى بتربة الظاهر
برقوق وفى صفر قتل القاضى تقي الدين أبو بكر المعروف بخروف قتل يولاق ولا يعلم من
قتله وكان رئيساً حشماً لا بأس به وكان ترشح أمره بأن يلى قضاء الحنفية فى دولة الظاهر

خشق قدم وقد سعى له ابن العيني وفيه خسف جرم القمروا ظلم الجوق واستمر على ذلك نحو امان
 خمسين درجة وفيه توفي سيدي موسى بن الخليفة المتوكل على الله عم أمير المؤمنين أبي
 العزيز د العزيز وكان رئيسا حشما وفاته الخلالة عدة مرار وقد توفي أربعة من اخوته
 وهو مبعد لقله حظه وكان مولده قبل العشرين والتمائة وفيه جاءت الاخبار بوقوع
 فتنة عظيمة بين عربان جبل نابلس وقتل فيها اقبردى بن بخشايش الاينالى استادارا لاغوات
 وقتل أيضا جماعة كثيرة من العربان منهم أبو بكر أمير حزم ويوسف بن الجيوسى
 أحد المشايخ بن نابلس وجماعة كثيرة من أولاد اسمعيل وأولاد عبد القادر وكانت فتنة
 شنيعة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك عين اقبردى الدوادار الكبير بأن يتوجه الى جبل نابلس
 ويخمد هذه الفتنة التي بين العربان فخرج مبادرا الى ذلك وفيه كانت وفاة قاضي
 قضاة الشافعية كان وهو ولى الدين أحمد الاسيوطى بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد
 العزيز بن محمد القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا محمودا في أيام قضاة رئيسا حشما
 سيوسا في أفعاله ولى القضاء الاكبر ومشیخة الجمالية والناصرية وعدة تداريس وأقام في
 القضاء وهو مع الناس في أحسن سيرة ودام فيها ستة عشر سنة والناس راضون عنه وكان
 مولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن العسكر المصرى
 قاتل مع عسكر ابن عثمان وانتصر على عسكر ابن عثمان وقتل منهم جماعة كثيرة نحو من
 أربعين ألفا من نواب عسكره وقبض على أحمد بك بن هرسك وكان باش عسكر ابن
 عثمان واجل امرائه ومعه جماعة من الامراء أصحاب الصناجق العثمانية وأسروهم
 وأودعهم في الحديد فلما بلغ السلطان ذلك سربه ٥ وفي ربيع الاول على السلطان
 المولد النبوى وكان حافلا لكن كان أكثر الامراء غائبين بالتجريدة ولم يكن عصر من الامراء
 المقدمين سوى ثلاثة مقدمين وفيه توفي القاضي حسن بن عرب وهو على بن عمر الطنبدى
 الشافعي أحد نواب الشافعية بالحكم بالديار المصرية وكان لابأس به وفيه اختفى
 القاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش أخو القاضي كمال الدين فلما اختفى خلع السلطان
 على البدرى محمد بن القاضي كمال الدين ناظر الجيش وقرره في نظر الجيش عوضا عن
 الشهابى أحمد بحكم اختفائه وكان البدرى هذا حديث السن لما تولى نظر الجيش لم يلبث
 بعد وفيه قرر شاهين الجمالى في مشيخة الحرم النبوى وفيه توفي المسند شمس الدين محمد
 البساطى الشافعي وكان علامة في الحديث وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وصل دوادار
 نائب حلب وأخبر بجهة كسرة ابن عثمان والقبض على أحمد بك بن هرسك وجماعة من
 أمراء ابن عثمان وأعيانهم وقد أخذ العسكر المصرى من التهب ما لا يحصى من خيول
 وجمال وسلاح وبرك وقماش وغير ذلك وأخذوا صنابقتهم وكانوا نحو امان مائة وعشرين

صنبحا وقد قطعت عدة وافرة من رؤس عسكر ابن عثمان وسيحضر واصحبه قيت الرحي
 الساقى الخاصكى فسر السلطان لهذا الخبر وخلع على دوادار نائب حلب خلعة حافلة وفيه
 سقط الصارى الخشب الذى تعاق فيه القناديل فى رمضان بمنارة جامع القلعة فأخذ الناس
 يتفاءلون بشئ يحدث للسلطان عن قريب فلما كان اليوم الثانى من انكسار الصارى ركب
 السلطان على فرس وسير فى الحوش ثم ساق ونزع الفرس بالجمام فشب به وانقلب على
 السلطان فسقط الى الارض وبقيت رجلاه تحت جنب الفرس فانكسرت رجل السلطان
 من عند عظمة نخذه كسر ابلية فاغمى عليه وسال منه الدم فارجفت القلعة بموت السلطان
 واضطربت أحوال القاهرة بسبب ذلك وكثر القال والقليل بين الناس ولم يشك فى موته
 أحد بل يمتقنوا ذلك فحمله بعض الخاصكية وهو مغمى عليه وأدخله الى قاعة الدهيشة
 فتسمع الامراء بذلك فطلعوا اليه ثم طلع كاتب السر ابن مزهر فلما دخل عليه قال له
 اكتب فى الحال فى هذه الساعة مراسيم وأرسلها الى نائب حلب لتطمئن الامراء والعسكر
 بسلامة السلطان من هذا العارض وقد حصل له السلامة والشفاء عن قريب فكتبت
 المراسيم بصورة الحال وأدرجت على يدهجان فى أثناء ذلك اليوم وتوجه الى حلب وقد نظم
 بعض شعراء العصر يعتذر عن هذه الواقعة بهذين البيتين وهما قوله

وقد زعموا أن الجواد كابه * وحاشاه من عيب يضاف اليه
 ولكن رأى سلطان عز وهية * فقبل وجه الارض بين يديه

وفيه توفي الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن حجاج الابن اسى القاهرى
 الشافعى وكان عالما فاضلا لادينا خيرا صالحا مخرجا عن أبناء الدنيا متصوفا على طريقة
 الالف متواضعا جدا أو طلب للقضاء غير مامرة وهو يأبى من ذلك ولما مات دفن براوية
 الشيخ شهاب الدين التى بحمدرة القول عند بركة الرطلى وفى ربيع الآخر طلع القضاة الى
 القلعة للتهنئة بالشهر فأذن لهم بالدخول على السلطان وهو فى القاعة التى بالدهيشة وهى
 قاعة الحرم فلما دخلوا عنده وجدوه على سرير وقد قوروا الى الفرش من تحته ورجله قد امه
 وهو لا ينام ولا يتحرك وكان الامراء والمباشرون يدخلون عليه كل يوم ويعطونه الخدمة وهو
 جالس على ذلك السرير فيدعون له وينصرفون وفيه وصل قيت الساقى من حلب ومعه
 عدة وافرة من الرؤس التى قطعت من عسكر ابن عثمان فلما دخل الى القاهرة زينته له زينة
 حافلة واصطفت الناس للفرجة فدخل وقدامه الرؤس محمولة على الرماح وكان عندها
 ما يزيد على مائتى رأس فلما طلع الى القلعة دقت له البشائر وأقيمت الخدمة بالحوش
 ووقف أرباب الدولة كل واحد فى منزله على العادة وغطيت الدكة التى يجلس عليها
 السلطان بالملاءة الحسرى فلما استقر قيت الساقى بالحوش باس الارض الى نحو الدكة

فاحضرت له خلعة ولمن كان صحبته من المماليك السلطانية فلبسوا تلك الخلع ونزلوا في
 موكب حافل وكل ذلك والسلطان منقطع في القاعة وهو في غاية التألم من رجله وقيل ان
 السلطان فرق على الفقراء في مدة انقطاعه بهذا العارض نحو ما من ألف دينار على يد قطب
 الدين الخضيري ثم انه بعد أيام علم على أربعة مراسم وكانت العلامة قد تعطلت أيام
 مرضه وفيه توفي الشيخ جلال الدين البكري وكان علامة في مذهب الامام الشافعي
 رضي الله عنه ورحمه وكان اسمه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الديروطي الشافعي
 وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم ناب في القضاء مدة طويلة وتولى قضاء الاسكندرية ثم تولى
 مشيخة الخانقاه البيهرسية وكان يده عدة تداريس ومولده سنة سبع وثمانمائة وفيه
 رسم السلطان على لسان القاضي كاتب السراي من هربان يجمع رؤس النوب والنقباء
 الذين بابواب الحكم ويكتب عليهم قسائمهم لا يأخذون من الاخصام عند انفصالهم
 من الحكم أكثر من نصفين فجاءهم وكتب عليهم قسائمهم بذلك فأقام هذا الامر مدة يسيرة
 ثم عادوا لما كانوا عليه وفيه قرر شيخنا جلال السيوطي في مشيخة البيهرسية عوضا عن
 جلال البكري بحكم وفاته وكان الساعي له السيد الخليفة عبد العزيز وفيه هجم المنسر على
 سوق باب الشعرية وقتلوا البواب وفتحوا عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وخرجوا من الباب
 وتوجهوا من حيث أتوا وفي جمادى الاولى حاربوا السلطان وهو على السرير وخرج الى
 الدهيشة وجلس بالشباك المطل على الحوش وعرض قدامه عدة خيول فحصل للناس
 الاطمئنان عليه وفيه حصل للسلطان الشفاء ودخل الحمام فلما كان يوم الجمعة ركب من باب
 الدهيشة وتوجه الى الجامع وصلى الجمعة وكان له بالقلعة يوم مشهود وتخلق الخدام بالزعفران
 وفرقت خوند على الناس البنود الحريير الاصفر للخدام والخاصكية والزمام ومقدم
 المماليك والعلمان السلطانية قاطبة وأعيان الناس من الحجاب ورؤس النوب ونقباء الجيش
 وغير ذلك من الاعيان ولما رجع السلطان من الجامع لاقتسه النسوة بالتهاني ونثر خوند
 على رأسه خفائف الذهب والفضة وفرشت له الشقق الحرير تحت حوافر فرسه وكان يوما
 حافلا بالقلعة وخلع على الاطباء والمزينين الخلع السنية ودقت له البشائر بالقلعة ونودي
 بالزينة في القاهرة فلما كان الثاني من يوم ركوبه حضر الخليفة والقضاة الاربعة وهنؤا
 السلطان بالعافية وجلس بالدكة وحكم بين الناس وكان مدة انقطاعه لهذا العارض نحو
 من ثلاثة وخمسين يوما وكان الناس قد أيسوا منه وهدر كوابه من النوادر بعد ذلك
 العارض المهول عند الكبر وقد قال القائل في ذلك

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض
 فليت هذا الذي يعرفه من مرض * بالعائدين جميعا لابه المرض

ففي الامام له من غيرنا عوض * وليس في غيره منه لنا عوض
فما بالي اذا ما بنفسه سلمت * لو ياد كل عباد الله وانقصر ضوا

وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان عسكر ابن عثمان لما حصلت لهم تلك الكسرة
تجمع جيشا كثيفا ورجع الى المحاربة ثانيا وان عسكر السلطان بعد أن رجع الى حلب
خرج ثانيا الى نحو كوك فكشف السلطان الى الغاية لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض
فعرض وعين جماعة من الامراء المقدمين والجنود فكانوا نحو اربعين خسمائة مملوك وكان
الباش عليهم يشبك الجمالى الزرد كاش الكبير أحد المقدمين ثم أنفق عليهم واستحسنهم على
انحروج الى حلب وضاق الامر بالسلطان حتى قصده أن يخرج الى التجربة بنفسه وأرسل
السلطان الى كرباي الاجر كاشف البحيرة بان يجمع له من طائفة العربان الذين بالبحيرة
ما يقدر عليه ثم عرض جماعة من الزعر وقصده أن ينفق عليهم لكل واحد ثلاثين دينارا
وأن يخرجوا صحبته وصار ينظر ما يرد عليه من الاخبار وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة
كبيرة ببلاذ فاس من أعمال المغرب وقد حصل بين صاحب فاس والفرنج ما لا خير فيه
من الحروب وقتل العساكر وان صاحب غرناطة توجه الى عمه يستلّه أن يرسل له نجدة
تعينه على قتال صاحب قشتاله وان الفتن هناك قائمة والامر لله وفيه خرج الامير
يشبك الجمالى ومن عين معه من الجنود الى جهة حلب فكان لهم يوم مشهود وفي رجب
جاءت الاخبار بوقاة دولابى المحوجب الشرفى نائب ملطية وكان عنده شجاعة وفروسية
وتوفى قائم أمير شكار المجدى الظاهري أحد الامراء العشر اوات وكان لا بأس به وفيه توفى
السيد الشريف على أخو أمير مكة المشرفة وهو على بن بركات بن حسن بن عمران الهاشمي
العلوى وكان مقيما بالقاهرة من حين فر من أخيه وحضر الى مصر فأتاه الاجل بها وكان
رئيسا حشما فاضلا ذكيا لا بأس به ومولده بعد الحسين والنعمانية وفي شعبان طلع القضاة
الاربعة الى القلعة للتهنئة بالشهر فكثرت المرافعات في قاضي قضاة الحنفية شمس الدين
الغزى ففتح منه السلطان ورسم لتقيب الجيش بالقبض عليه في المجلس وتوجه به الى
المدرسة الصالحية ليقيم حساب أوقاف الحنفية وجرى عليه ما لا خير فيه واستمر في الترسيم
الى أن عزل وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى في ثاني عشر مسرى فتوجه الامير
ازد مرسماسح وفتح السد وكان الاتابكي أزبك غائبا في التجربة ومن النوادر ان النيل
زاد في ذلك اليوم عشرين اصبعاً من الذراع السابع عشر في يوم كسره واستمرت الزيادة عمالة
حتى انه زاد في ثلاثة أيام متوالية من الوفاء تسعة وتسعين اصبعاً حتى عد ذلك من النوادر
الغريبة في الزيادة وقد قيل في المعنى

وقال النيل اذ في البسيطة حقها * وزاد على ما جاده من صنائع

فماذا يقول للناس في جود منكم * يشار الى انعامه بالاصابع
وفيه نزل السلطان الى الميدان وجلس بالمقعد الذي به وعرض المحاييس من رجال ونساء
وأطلق منهم جماعة ثم أمر بتوسيط احمد بن بشار شيخ العشيريين لادصفد وفيه عاد الامير
اقبردى الدوادار من جبل نابلس ومعه عدة من العربان وهم في الحديد وقد قبض على
أعيان مشايخهم وفي رمضان كان أول ما خطب بمدرسة صاحب الزمام التي أنشأها
بخط باب الرملة وقد جاءت من أحسن البناء وكان أصلها قاعة فصنع بها محرابا واتخذها
مدرسة وخطب بها وفيه توفي شمس الدين محمد الديجوري أحد نواب الحكم من الشافعية
وكان انسانا حسنا لا بأس به ومولده سنة تسع وعشرين وثمانمائة وفيه قبض على انسان
وهو سكران في رمضان فضرب بالمقارع وجرح بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بوفاة العلاقي
علي بن شاهين العثماني نائب قلعة دمشق وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه كان ختم
البحاري بالقلعة في الحوش وكان ذلك على خلاف العادة وفيه تغير خاطر السلطان على
خشقدم الزمام لامر وقع له وكانت كاتبة عظيمة وقصد الاخرق به وأمر بضربه حتى شفع
فيه ثم آل أمره به بذلك الى أن نفاه الى جهة قوص كما سيأتي ذكر ذلك وفي شوال جاءت
الاخبار بوفاة بردك سكرأتابك العساكر بطرابلس وكان شابا رئيسا حشما لا بأس
به ولكن وقع له شدة اندوحن ونفى من مصر وكان من خواص السلطان ثم تغير خاطره عليه
وجرى له أمور شتى وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين محمد بن الاخيمي شيخ المدرسة
البرقوقية وقرره في قضاء الخنفية عوضا عن شمس الدين الغزي بحكم انفصاله عنها وجرى على
الغزي أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير ركب
المجمل ازد من تمساح على العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من أعيان المفسدين
في الارض يقال له جور ووسط معه جماعة آخرين مفسدين في الارض فنزل جور من
القلعة وهو مسمر على لعبة من الخشب غريبة الهيئة تجر بالعجل ولها حركات تدور بها
فرجت القاهرة في ذلك اليوم وكان يوما مشهودا وتوجهوا به الى جزيرة الفيل فوسطوهم
هناك وأراح الله الناس منهم وفيه أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة بسبب فساد محمد
الجويلي شيخ عربان البحيرة وكان باس الجند قرقاس المعلم أحد الأمراء العشر اوات
واسبأى المبشر وأزبك قفص ومماى ونحو من مائى ملوك من المماليك السلطانية فلما
وصلوا الى البحيرة تقاطعوا مع الجويلي أشد القتال وقتل من الترك والعرب جماعة كثيرة
ورجع العسكر من غير طائل ولا حصلا من الجويلي على شئ وفيه وقعت نادرة وهو أن
مركبا يولاق عدت تحت الليل فغرقت في وسط البحر بمن فيها من الناس والدواب ومن
العجائب انه كان بها انسان علامة في السباحة الى الغاية فغرق ولم يعلم له خبر وكان الى جانبه

صبي صغير لا يعرف السباحة فنجما من الفرق وطلع فعد ذلك من النوادر كما قيل في المعنى
وقد علمت الانسان من باب آمنه * ويتجوبعون الله من حيث يحذر
وفيه توفي الشيخ قليج الرومي الادهمي شيخ زاوية السلطان بالمريج والزيات فلما مات قرر في
مشيخة الزاوية امرأة وهي زوجة قليج المذكور فعد ذلك من النوادر وكانت المرأة تقرب
بلهان شاه وفيه جاءت الاخبار من حلب بان العسكر قد ثار على الاتابكي أزبك وقصد العود
الى القاهرة فتشوش السلطان لهذا الخبر وشكوا من الانشحات فارسل السلطان اليهم
نفقة هناك فانفق الاتابكي أزبك عليهم ثم هناك اكل عمالو حسين دينار حتى خدت الفتنة
وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا الى بيت البدرى بدر الدين ابن عزهر المحتسب
وقصدوا حرق بيته فاخترقوا ذلك بسبب تسعير البضائع من اللحم والخبز والخبز وغير ذلك ثم
توجهوا الى الشون وكسروا ابوابها ونهبوا ما فيها من القمح والشعير وفعلوا ذلك بشون
السلطان والامراء وكانت فتنة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك بعث اليهم جماعة من
الخاصكية ومقدم المماليك فاقدروا على ردهم فركب السلطان بنفسه بعد العصر وتوجه
الى بولاق فلما رأوه فروا من وجهه ثم أتوا الى دار الصاحب قائم فنهبوا كل ما فيها فلما
أصبحوا لم ينتهوا عما هم عليه ولم يطاع أحد من المباشرين الى القلعة ثم ان القاضي
كاتب السر تراسى على السلطان وقبل رجله ثلاث مرات بان يعفى ولده بدر الدين من الحسبة
فما أجاب الا بعد جهد جهيد وفيه توفي الكاتب المجيد الزيني خطاب بن عمر بن خطاب
الازهرى الشافعي وكان فاضلا وله اشتغال بالعلم وكتب المنسوب من الخط الجيد وكان له
في ذلك دعاوى عريضة جدا وفيه يقول الشهاب المنصوري

بذي التهذيب خطاب تسامت * صحائف زانها خطأ وضبطا

فلو نطق الطروس لفضلته * وقالت أجود الكتاب خطا ب

وفيه وصل قيت الساقى الخاصكى الذى كان قد توجه الى يعقوب بن حسن الطويل فعاد
ومعه مكاتبة باظهار التودد وصدق المحبة للسلطان وفيه توفيت خوند آسية بنت المؤيد شيخ
وهى والدته سيدى يحيى بن يشبك الفقيه الذى كان دوا دارا كبيرا وكان حصل له ما أسف
على ولدها يحيى لما مات فكف بصرها فى أواخر عمرها ومولدها سنة اثنتى عشرة وثمانمائة
وكانت آخر من توفي من أولاد الملك المؤيد شيخ وفى ذى القعدة ظهر برهان الدين بن الكركي
امام السلطان وكان مختم قيا من حين تغير خاطر السلطان عليه فشفع فيه بعض الامراء
حتى ظهر وقابل السلطان ونزل الى داره بطلا وفيه خلع السلطان على اقبردى الدوادار
وقرره فى الوزارة وكان متكلما فيها بغير تقرير وقرر موفق الدين بن القمص الاسلمى فى نظر
الدولة عوضا عن قاسم شغيته بحكم صرفه عن الوزارة ونظر الدولة فوكل به وأقام فى الترسيم

حتى يعمل الحساب وفيه خلع السلطان على كسباى الشريفي وقرره في الحسبة عوضا
عن البدرى ابن مزهر بحكم استعفائه وفيه رسم السلطان بتوسيط عبدالعزى المعروف
بعزوز من أولاد بنى عمر أمير عربان هواردة ووسط معه جماعة من أقاربه وهم يعقوب بن
سليمان وموسى بن عبدالله وموسى بن أبى لاسون وعلى أخو عزوز ومحمد بن بشارة فكانت
أجالهم متقاربة من بعضها وفيه بلغ سعر الارز الى ستة أشهر فية كل أردب ولا يوجد ثم
عزجدا حتى تنهى سعره الى اثني عشر ديناراً كل أردب حتى عد ذلك من النوادر وفيه
رسم السلطان بتوسيط شخص من كبار المفسدين يقال له أجد الدنف وله مكايات
في فن السرقة يطول شرحها وفيه حضر جماعة من الجنود ممن كان مسافراً في التجريدة
وقد حضروا من غير إذن من السلطان وقصدوا الاخرق بالتابكي أزبك باش العسكر
وهو بحلب فقال لهم الذى يقصد الراح الى مصر يروح ويقابل أساتذته فساروا في
الدم ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وصار جماعة من المماليك الجلبان يقفون
للأمر بالسلم المدرج ويقولون لهم قولوا للسلطان يتفق علينا والا يقع مناقنة كبيرة
وصاروا يغتظون عليهم في القول وصار القال والقال عمالا كل يوم بينهم وبين الأمراء
والاشاعات قاعة بوقوع فتنة وقصدوا الاخرق بالأمير اقبردى الدوادار غير ماهرة
حتى امتنع أياماً من طلوع القلعة وفيه قرر في قضاء الحنفية بدمشق القاضي زين
الدين عبدالرحمن الحسينانى عوضاً عن عماد الدين اسمعيل الناصرى بحكم صرفه عنها
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى مكة المشرفة البرهان بن ظهيرة الشافعى وهو ابراهيم بن على
ابن محمد بن حسين بن على بن أجد وكان عالماً فاضلاً بارعاً في العلوم رئيساً حشماً انتهت اليه
رياسة مكة المشرفة وكان المرجع اليهها والمهمات قرر في قضاء الشافعية بمكة المشرفة ولده
أبو السعود عوضاً عنه وفيه كان دخول الاتابكي أزبك وبقية الأمراء والجنود ممن كانوا
مسافرين في التجريدة الى على دولات والى عسكر ابن عثمان فلما دخلوا الى القاهرة كان لهم
يوم مشهود وقدامهم الأسراء من عسكر ابن عثمان وهم من فنجرين والصناجق منكسة
وكان صحبتهم جماعة من أعيان أمراءه وهم رناجير على خيولهم وصحبتهم أيضاً باش عسكر
ابن عثمان وهو أجد بك بن هرسك وهورا كب وفي عنقه زنجير وقيل ان ابن هرسك كان
أميراً كبيراً أتابكي ابن عثمان فلما عرضوا على السلطان وهو بالحوش عاتب أجد بن هرسك
ووبخه بالكلام ثم سلمه الى الأمير قانصوه خسمائة أمير اخور كبير ثم وزع بقية الأسراء
على جماعة من المباشرين حتى قضاة القضاة ثم خلع على الاتابكي أزبك وعلى بقية الأمراء
ونزلوا الى دورهم وفي عقيب ذلك نار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان ولبسوا
آلة الحرب وأشهروا السلاح وكان ذلك في سلع الشهر المذكور فاضطررت الاحوال

وزع أكثر الامراء والناس حوائجهم في الحواصل وغلقت الاسواق والدكاكين وجمعت الزعرافواجا وأفواجا وقبل ذلك توجه جماعة من المماليك الجلبان الى بيت اقبردى الدوادار وتكلموا معه في ان يتكلم مع السلطان بان يتفق عليهم في تطير تعب سرهم بسبب هذه النصر التي وقعت لهم على عسكر ابن عثمان وسألوه أيضا قمين يعمل مصالحهم في مرتب اللحم والعليق فلما اجتمع اقبردى بالسلطان كلمه في ذلك غير مأمرة وهو مصمم على عدم اجابتهم الى ما سألوه فيه فلما عاد الجواب لهم بعدم الاجابة في ذلك ناروا عليه واتسعت الفتنة وغلقت الامراء أبوابها واستمر الحال على ذلك وفي ذى الحجة لم يطلع أحد من القضاة الى القلعة بسبب التهنئة بالشهر وكانت الفتنة قائمة كما تقدم ثم طلع الاتابكي أزبك الى القلعة واجتمع بالسلطان وكلمه في أمر النفقة على المماليك وتلطف به في القول فما أجاب الى ذلك الا بعد جهد كبير فتقرر الحال على أنه يتفق عليهم لكل مملوك منهم خمسون دينارا ثم نادى في القاهرة بأن النفقة ستكون في أول السنة الجديدة فمدت هذه الفتنة شيئا قليلا وفيه جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الاتابكي أزبك وفرقت الاقاطيع الشاغرة عن توفى في هذه التجربة من الجند وصار الاتابكي أزبك هو المشار اليه في هذا الامر وفيه أنعم السلطان على اقباي بن جانم الظاهري خشمقدم بامرية عشرة وهي امرية أصباى السيفي قرقياس الشعباني بحكم انه كان مريضاً منقطعاً في داره وأنعم على أبي شعرة بامرية عشرة وهي امرية قرا كز بحكم عزله أيضا وفيه كادت الضحايا قليلة جدا ولا سيما الغنم وفيه جلس السلطان لفرقة الجامكية فامتنع المماليك من أخذها وصمموا وقالوا ما نأخذ الا النفقة مع الجامكية ولا نصبر الى الشهر الا ترى فلما رأهم قد صمموا على ذلك أنفق عليهم فاعطى المماليك الجلبان كل واحد منهم خمسين دينارا وأعطى القرائصة كل واحد منهم خمسة وعشرين دينارا ولم يعط الذين لم يتوجهوا نحو التجربة المقيمين ووقع القال والقليل بسبب ذلك فلم يلتفت الى شيء من كلامهم وحدثت هذه الفتنة

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم كانت الاسعار متشعبة ومشطية في سائر البضائع وتشطط الخبز من الدكاكين حتى يبيع كل رطل من الخبز بنصف فضة وكانت أحوال الناس واقفة بسبب القلوس الجدد حتى غلا سعر راوية الماء وعز وجود جمال السقائين وصار الغلام في الماء كولد والمشروب هذا والمماليك قد طغوا في حق الناس وتزايد منهم الضرر الشامل والعربان قد تزايدت شرورهم في البلاد من الشرقية والغربية وابن عثمان في غاية التحرك على البلاد الحلبية والسلطان في غاية الظلم والمصادرات للناس بسبب خروج التجربة الى ابن عثمان ثانيا وصار العسكر في أمر مريب بسبب ذلك والاشاعات قائمة بوقوع فتنة بين الجلبان وقد صاروا فرقتين فرقة مع قانصوه وخسمائة وفرقة مع

أقبردى الدوادار والاضطراب بينهم - ما عمل وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر بجمعة وكان ملكا جليلا وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ورجه حتى صار مفتيا في طبقة العلماء ومات وهو في عشرين الحسين من العمر فلما بلغ السلطان وفاته رسم بنقل جثته الى مصر ودفن على أييه الملك الظاهر بجمعة وشرع في أسباب ذلك وعين من يتوجه الى هناك ليحضره وفيه رسم السلطان بفك قيد أحمد بن هر سك الذي قد أسروا وكذلك فك قيود من أسر من عسكر ابن عثمان وأخذوا في أسباب تجهيزهم الى بلادهم وقد أشيع أمر الصلح بين السلطان وابن عثمان وفيه اشتد أمر الغلاء جدا حتى بيع القمح كل أردب بستة أشرفية وبيعت البطة الدقيق بأربعة مائة وخمسين درهما وبيع خبز الذرة ولم يظهر خبز الذرة فيما تقدم من الغلات المشهورة حتى صنف العوام رقصة وهم يقولون

زويجي دى المسخره * يطعمنى خبز الدره

وصار عيون الكثير من الفقراء على الطرقات من شدة الجوع ثم ان السلطان فتح عدة شون وباع منها القمح على حكم خمسة أشرفية كل أردب وصار المحتسب يضرب الكثير من السوق على عدم بيع الخبز واطهاره على الدكاكين وفيه أنعم السلطان على مملوكه قيت الساقى بأمرية عشرة وكذلك مغلباى البجة مقدار وقر رقيت الرجبى بجمعة مقدار عوضا عن مغلباى وفيه حضرت جنة الملك المنصور عثمان من ثغر دمياط ودفن على أييه الظاهر بجمعة بتربة قافى باى البحر كسى وفيه قدم اينال الخسييف نائب صفد أحد مماليك السلطان فلما حضر أرسل السلطان خلعة وتقليدا الى يلباى حاجب دمشق وقرره في نيابة صفد عوضا عن اينال الخسييف ثم بعد مدة قرر اينال الخسييف في جوية دمشق عوضا عن يلباى بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه توفى الشيخ شمس الدين محمد بن سوله الفارس كورى وكان من أعيان الشافعية من أهل العلم والفضل وكان لابأس به وفيه توفى المنشد المطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حلة وكان من مشاهير الوعاظ وله نظم جيد ومولد قبل العشرين والثمانمائة وفيه انحل سعر القمح وبيع الأردب القمح بأربعة دنائير بعد ستة أشرفية بواسطة كثرة جلب الذرة وقد حصل للناس به غاية الرفق وفي صفد خسف جرم القمح وأظلم الجوع ودام في الخسوف نحو من خمسين درجة فلهج الناس بان زوال السلطان قد قرب وما كان شئ مما له جوابه وأقام السلطان بعد ذلك مدة طويلة فكان كما قيل في المعنى

لا تفعل الشمس شيئا الا والا القمر * وعن خسوفهما لا يصدر الكدر

وفيه توفى الشيخ نظام الدين محمد بن الحبيب الغنى التركى وكان عالما فاضلا من أعيان

الناس وكان رئيسا حشما وجيما عند الناس في سعة من المعيشة وفيه يقول المنصوري
 سبحان من من بحسن الكلام * على نظام الدين دون الانام
 فلفظ أهل الع — لم درؤلا * يزين ذال الدر الا النظام
 وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير قانصوه السيفي الاحدي الاينالي الذي
 كان أحد المقدمين ونفي الى دمياط ثم نقل الى مكة المشرفة فمات بها وجرى عليه شدايد
 ومحن وكان من أعيان طائفة الاينالية وهو الذي تعصب للاشرف قايتباي حتى تسلطن فما
 ناله منه خير كما يقال

رب من ترجوبه دفع الاذى * سوف يا تيك الاذى من قبله
 وقيل انه كان يقول في مجالس بسطه لولا أنا ما فرح قايتباي بالسلطنة قط فلما سمع السلطان
 قايتباي ذلك جرى على قانصوه ما لا خير فيه وكان يطلق لسانه في حق السلطان بما لا يليق
 فخذ عليه السلطان بسبب ذلك كما قيل في المعنى

وقد يرحى بلرح السيف برؤ * ولا برؤ لما جرح اللسان
 وفي ربيع الاول توفي الامير ملاج اليوسفي نائب القلعة وكان أصله من مماليك الظاهر
 بجمعق وكان دينا خيرا رئيسا حشما عاقلا عارفا بغنون الفروسية وكان لا بأس به وفيه
 تعدى شخص من العوانية واحتكر بيع الملح وضمنه بمكس ولم يكن يعهد ذلك من قبل فلما
 جرى ذلك نشفت الملاحاة في تلك السنة حتى عز وجود الملح جدا وفيه عمل السلطان المولد
 النبوي وكان حافلا على العادة وفي ربيع الآخر توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدي
 عبد العظيم السدار الذي كان يبيع السدر والحناء عند الغرابيين وكان للناس فيه اعتقاد
 زائد وهو عبد العظيم بن ناصر الدين بن خاف المصري ومولده بعد العشرين والثمانمائة
 وفيه توفي الشيخ محيي الدين عبد القادر الفرضي وكان علامة في الفرائض وهو عبد القادر
 ابن علي بن شعبان القاهري الحنفي وكان امام جامع أصلان وفي جمادى الاولى توفي الشيخ
 بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عمر البلقيني الشافعي وكان فاضلا نابت في الحكم
 وكان محمود السيرة وفيه جاءت الاخبار من عند الامير اقبردى الدوادار بانه قد انتصر على
 العرب الاحامدة وكان توجه الى بلاد الوجه القبلي بسبب ذلك فقتل منهم ما لا يحصى وأسر
 نساءهم وأولادهم وبعث بهم الى مصر وباعوهم كاياع الرقيق من الزنج ووقع لاقبردى مع
 الاحامدة أمور غريبة يطول شرحها وعذب جماعة منهم بالدفن في التراب وهم أحياء ونوع
 لهم العذاب تنويعا وقد طهر بلاد الصعيد منهم وكافوا أظهور الفساد بها جدا وفيه توفي
 القاضي سراج الدين عمر بن حريز المالكي وهو عمر بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن محرز
 الهاشمي القرشي العلوي الحسني المنفلوطي المالكي وكان عالما فاضلا دينا خيرا وتولى قضاء
 المالكية بعد أخيه حسام الدين وجرى عليه شدايد ومحن وعزل عن القضاء ودام معزولا

حتى مات وفيه افقتن طائفتان من الزعر ووقع بينهم أمور وشدائد يطول شرحها وصار
يقتل بعضهم بعضا جهارا حتى أعيأوا إلى أمرهم وفي جادى الآخرة توفى برديك طرخان
الظاهرى حقه و كان انسانا حسنا لا بأس به وكان يده امرية عشرة ياً كاهوا وهو طرخان
وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة قناطر بنى منجا فخرج البدرى حسن بن الطولونى ومعه
جماعة من البنائين والمهندسين بسبب العمارة وصرف على ذلك نحو ما من سبعة آلاف
دينار وكانت هذه القناطر قد تشعث وآلت إلى السقوط فتدارك السلطان ذلك وجاءت
من أحسن البناء وفيه توفيت ست الخلفاء بنت الخليفة المستجيب بالله سيدي يوسف
وكانت بارعة في الحسـن فكثرت عليها الحزن والأسف من الناس وكانت أمها بنت قاضى
القضاة البلقينى وكان عقد لها على الأمير خشكلى اليسى ثم فسخ العقد قبل الدخول ثم
تزوج بها كاتب السراى من هـرثم تزوجت بالقاضى قطب الدين الخيضرى ثم تزوجت
بعده بالسيد الشريف اسحاق البريدى وماتت تحته وكان مولدها سنة ستين وثمانمائة
وفيه في يوم الجمعة كان عقد قانصوه خسمائة على بنت الاتابى أربك من خوند بنت
الظاهر حقه عقد بجامع القلعة وحضر القضاة الأربعة وأعيان الناس وكان عقدا
حافلا وأحضر السلطان عدة زبادى صينى فيها سكر ومشنات قاكهة فرقت في القلعة
فكان كما قيل

على أمين الساعات عقد مبارك * بهى كما شاء الإله وأظهره
سنى المعالى يسرت حركاته * إذا الله سنى عقدا أمر تيسرا

وفيه جاءت الأخبار بان جاتم الاجرد لا ينالى كاشف منفلوط قد قرأى بلاد النوبة وكان
السلطان أرسل بالقبض عليه ففر من الخوف على نفسه وأقام مدة وهو هارب حتى بعث
السلطان له بالامان وفي رجب لما بعد القضاة للتهنئة بالشهر أمر السلطان بالقبض على
جماعة القاضى الشافعى زين الدين زكريا فقبض على علاء الدين الحنفى النقيب وعلى أمين
الحكم الصابونى وعلى جماعة من الجبابة و وكل بهم لعل الحساب لا جيل أو قاف الشافعية
التي تحت نظر قاضى القضاة الشافعى فاستمروا فى الترسيم بسبب هذه الواقعة نحو ما من
ثلاث سنين والسلطان يتغافل عنهم وفيه خلع السلطان على القاضى نور الدين الحساوى
وأعاده إلى قضائه بحلب عوضا عن ابن الشحنة أبى البقاء وفيه توقف النيل عن الزيادة
اثني عشر يوما متواليه إلى تاسع أيب فزاد قلق الناس بسبب ذلك ثم بعث الله تعالى بالزيادة
واسقرت إلى أن وفى وفيه كان دخول قانصوه خسمائة على بنت أربك أمير كبير فحمل
الجهاز من الأزبكية إلى دار قانصوه خسمائة التى بقناطر السباع فلما شق من القاهرة
كان له يوم مشهود وكانت الجمالون التى تشيل الامتعة زيادة على أربع مائة جمال وقيل

صرف على هذا الجهاز نحو من مائتي ألف دينار ولما كانت ليلة العرس عمل بالازبكية وكان
 مهما حافلا ثم ان قانصوه خمسة مائة ركب من باب السلسلة ومشت قدامه الامراء المقدمون
 بالشاش الذي يلبس في الجمعة والاعياد وكذلك الخاصكية وبأيديهم الشموع الى أن وصل
 الى الازبكية وعده هذا الزفاف من النوادر الغريبة لكن حصل للناس في تلك الليلة غاية
 الضرر من الجلبان وخطفوا العمائم وضربوا جماعة من الامراء المقدمين وخطفوا الشمع
 من أيدي الخاصكية وما حصل تلك الليلة منهم خير وكادت أن تكون فتنة كبيرة وفيه رسم
 السلطان لكسباى المحتسب بان تجمع له أعيان التجار الذين بالاسواق فلما عرضوا على
 السلطان قال لهم ساعدوني بشئ على خروج التجريدة ثم فرض عليهم أربعين ألف دينار
 ففجوا من ذلك وقالوا ما نقدر على هذا القدر فما زال يحط عنهم من ذلك القدر والتجار
 يقولون ما نقدر على ذلك فلما طال الامر بينهم وبين السلطان تقرر الحال على أن يوردوا اثني
 عشر ألف دينار اذا خرجت التجريدة وانتض المجلس على ذلك وفي شعبان توفيت فاطمة
 بنت الجمالى يوسف ناظر الخاص التي كانت زوجة الامير خير بك سلطان ليلة وكانت رئيسة
 حشمة لابأس بها وفيه توفى الشيخ تاج الدين ابن قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي
 وكان تولى بعد أبيه مشيخة الجامع المؤيدى وكان عالما فاضلا أخذ العلم عن أبيه ومولده
 سنة خمس وعثمانائة وفيه كان وفاة النبل المبارك في ثاني عشر مسرى وتوجه الاتابكي
 أزبك وفتح السدة على العادة وفيه قرر السلطان قرقاس بن ولى الدين في امرية الاخورية
 الثانية وكانت شاغرة مدة وقرر في باشية الجند بمكة المشرفة أزدمر الاشرفى برسباى عوضا
 عن شاد بك أمير اخور الظاهري بحكم وفاته وفي رمضان خلع السلطان على الشيخ بدر
 الدين بن الديري وقرره في مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن عمه تاج الدين فأقام بهامدة
 يسيرة وسعى عليه محبي الدين عبد القادر ابن الدهانة الحنفي فقرر السلطان بها وقد أورد مالا
 له صورة وفيه وصل الامير اقبردى الدوادار وكان مسافرا نحو الوجه القبلى بسبب فساد
 عربان طائفة الاحامدة وقد تقدم ماجرى عليهم منه وفيه خلع السلطان على الشيخ
 بدر الدين ابن قاضي القضاة صلاح الدين المكيى وقرره في مشيخة الخشايبة عوضا عن
 الشيخ فتح الدين محمد بن قاضي القضاة عالم الدين صالح البلقينى الشافعى بحكم وفاته في شهر
 رجب وقد سعى فيها بدر الدين المكيى بحال له صورة حتى قرر بها وفيه توفى القاضي
 عبد الغفار الميبدوى الشافعى أحد نواب الحكم وكان لابأس به وفيه كان ختم قراءة
 البخارى الشريف بالقامة وكان بالحوش كالعام الماضى وقررت الصرر على الفقهاء بحكم
 النصف وقطعت صرر من له خلع وقد شخ السلطان في الايام التي خلت في الشهر المذكور
 جدا وفي شوال جاءت الاخبار بوفاة نائب الشام قجماس الاسحاقى الظاهري وكان

دينا خيرا في غاية الاحتشام مع لين جانب وكان انسانا حسنا لا بأس به وهو الذي أنشأ
المدرسة التي عند الدرب الاخر بقرب سوق الغنم وأنشأ مثلها بدمشق وله آثار حسنة
غير ذلك وفيه تغير خاطر السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة فأمر بنفيه الى الكرك
فشفع فيه أزيك الامير الكبير ورده من الخانقاه فعزل من الولاية وقرر في امرية عشرة
وفيه توفي الجلال أبو البقاء ابن الشحنة الحلبي الشافعي قاضي القضاة بحلب وكان عالما
فاضلا تقلد بذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورجه وكان والده حنفي المذهب فقدم
الى القاهرة معزولا ومات بها وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان خلف قانصوه
الحيماوى الذى كان نائب الشام الذى كان بالقدس الشريف وهو معزول بسبب ما تقدم
ذكره فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره في نيابة الشام عوضا عن قجماس الاسحاقى
بحكم وفاته وفيه خلع السلطان على مغلباى الشريفى الذى كان استادار محبة وقرره في
ولاية القاهرة عوضا عن يشبك بن حيدر ثم بعد مدة طويلة خلع على اسباى المبشر وقرره
في استادارته عوضا عن مغلباى وفيه جاءت الاخبار بفرار شاه بضاع بن دغاادر وكان
مسيحونا بقلعة دمشق فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية ورسم يشق نائب قلعة
دمشق ثم جاءت الاخبار بأن شاه لما فر من قلعة دمشق توجه الى ابن عثمان فاكرمه وأقام
عنده الى أن كان من أمره ما سئذ كره في موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير
الحمل ازدهر تمساح وبالركب الاول خير بك كاشف المحلة وفيه توفي مجد الدين اسماعيل
الشاطرنجى وكان علامة في نقل الشطرنج وجبها عند الامراء كثير العشرة للناس ومولده
بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه تغير خاطر السلطان على موفق الدين بن القمص الاسلى
ناظر الدولة فضر به بالمقارع بين يديه بالحوش وسلمه للامير أقبردى الدوادار ثم خلع السلطان
على شرف الدين بن البدرى حسن وقرره في نظار الدولة عوضا عن موفق الدين الاسلى وفى
ذى القعدة جاء قاصد من عند ملك الغرب صاحب الاندلس وعلى يده مكاتبة من مرسله
تضمن أن السلطان يرسل له تجريدة تعينه على قتال الفرنج فانهم أشرفوا على أخذ
غرناطة وهو في المحاصرة معهم فلما سمع السلطان ذلك اقتضى رأيه أن يبعث الى القسوس
الذين بالقمامة التى بالقدس بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من أعيانهم الى ملك الفرنج
صاحب نابل بأن يكتب صاحب اشبيلية بأن يحل عن أهل مدينة غرناطة ويرحل عنهم
والايشوش السلطان على أهل القمامة ويقبض على أعيانهم ويمنع جميع طوائف الفرنج
من الدخول الى القمامة ويهدمها فأرسلوا قاصدهم وعلى يده كتاب الى صاحب نابل كما
أشار السلطان فلم يفد ذلك شيئا وأمر ملك الفرنج مدينة غرناطة فيما بعد وفيه توفي
الشهاب الابشهى أحمد بن محمد الحلبي الشافعي وكان عالما فاضلا وناب في الحكم مدة طويلة

وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس وفيه توفى أزبك الاشرفي أحد الامراء
العشروات وكان لابأس به وفيه كان علف الدواب غاليا ففرق السلطان الاضحية على
الامراء والجنود قبل عيد النحر بخمسة وعشرين يوما فعد ذلك من النوادر وفي ذي الحجة
في سابع عشره خرج قانصوه اليخياوى الى نيابة الشام وفيه سقطت قبة جامع القلعة على
المحراب والمنبر وقتل تحتها ابواب الجامع وولده فرجت له القلعة وخرج السلطان وهو ماش
حتى يرى ما سقط في الجامع وكان ذلك قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام فأمر السلطان بشييل
الآتية من الجامع ثم أخذ في أسباب عمل قبة غيرها فجدد هذه القبة الموجودة الآن وجدد
المنبر وكان قبل ذلك من الخشب فجعله من الرخام الملون وجدد عمارة الميضأة التي بالجامع
فجاءت من أحسن البناء وفيه خلع السلطان على شخص من عماليكه يقال له سيباي
ابن بخت حاو قرره في نيابة سيديس عوضا عن قانصوه الجمالي بحكم وفاته وفيه تغير خاطر
السلطان على الجمالي يوسف كاتب المماليك وأخذ منه تسعة آلاف دينار وجدت عليه
وعلى والده أبي الفتح نائب جندة أمور يطول شرحها حتى آل أمره الى ذهاب عقله واعتراه
جنون وفيه قويت الاشاعات بثوران فتنة من المماليك الجلبان وكثر القتال
والقتيل في ذلك وقتل غالب الامراء وأرباب الدولة أمة منهم من الدور خوفا من التهب عند
وقوع الحركة فلما ترايد الكلام في ذلك صلى السلطان صلاة الجمعة ثم بعد الصلاة جلس
بالخوش ثم أحضر أغوات الاطباق وأعيان المماليك الجلبان وكلهم كلاما كثيرا ووبخهم
بالكلام حتى قال ان كان قصدي قتل فدونكم ذلك فاستغفروا له ثم آل الامر الى صلحهم
مع السلطان وسكون هذه الفتنة قليلا فلما خرجوا من عنده عادوا لما كانوا عليه من
ثوران الفتنة حتى أشيع بين الناس أن السلطان قد تها للفرار بنفسه ولم يعلم أين يتوجه
وقد ترايد القول في ذلك فكان كما يقال

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم في أمر مريب وكانت الاسعار مرتفعة في
سائر البضائع والاشاعات قائمة برجوع عسكر ابن عثمان وزحفهم على البلاد الحلبية
والاشاعات قائمة بثوران فتنة كبيرة بمصريين الجلبان والامراء واقفة والسلطان ناظر الى
الظلم واخذ أموال الناس والامر لله

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم سافر قانصوه اليخياوى الى الشام
وقد تقدم أنه تقرر في نيابة الشام فخرج في موكب حافل وفيه سمح خاطر السلطان بأن
يتنق على عماليكه تسعة على نزول خيولهم من الربيع فأعطى لكل مملوك عشرة دنائير
والقراصة خمسة دنائير والسيفية ثلاثة دنائير فصرف في هذه الحركة جملة مال له صورة

وفيه جاءت الاخبار بقتل حسن بن سليمان بن عيسى بن عمر الهواري أخى داود بن عمر أمير
 هواره قتله بعض أعدائه من العربان وكان شاباً حشماً لابس به وفيه توفى جاني بك حبيب
 العلاقى الاينالى أحد الامراء الطبع الحانات وأمير اخورثانى وكان رئيساً حشماً لحول اللسان
 حسن العبارة سيوسادر يا عارفاً فصيح اللسان بالعربى توجه قاصداً الى يعقوب بن حسن
 الطويل ثم توجه قاصداً الى ابن عثمان ملك الروم وكان مقبول الشكل حسن الوجه ومات
 ولم يظهر الشيب بلحيته وجرى عليه شدة اندوحن في دولة الظاهر خشدقدم ووفرا الى بلاد
 الغرب وأقام بها حتى توفى الظاهر خشدقدم فعاد الى مصر وصار له خصاصة بالاشرف
 قايتباى وفيه توفى ببيرس اليوسقى الظاهري أحد العشر اوات وكان لابس به وفيه بلغ
 سعر الراوية من الماء نحو ثلاثة أنصاف وذلك بسبب عدم وجود الجبال لتسلط المماليك
 الجلبان على السقائين لاجل الدريس فصل للناس غاية المشقة بسبب ذلك وفيه وصل
 الحاج الى القاهرة وكان أشيع عنهم أمور شنيعة فظهر أن ذلك كذب وكان أشيع عنهم
 أن طائفة عربان الاحامدة قد استولوا على الحاج ولم ينبج منهم أحد وفيه جاءت الاخبار
 بان ابن عثمان أرسل عسكرياً عظيماً وقصد محاربة عسكري مصر فتنه كد السلطان
 لهذا الخبر وفيه حضر خضربك نائب القدس فضرب بين يدي السلطان ضرباً مؤلماً
 وأقام بالترسيم حتى أورد ما لاه صورة وكانت كثرت فيه الشكاوى عند السلطان وآل أمره
 الى أن عزل عن نيابة القدس وفيه قررا السلطان دقاق السيسى اينال الاشقر في نيابة
 القدس عوضاً عن خضربك بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية
 بوفاة السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلاقى الجركسى وكانت
 وفاته في ليلة رابع عشر الشهر المذكور فلما بلغ السلطان ذلك أخذ في أسباب احضار جثته
 الى القاهرة ودفنه على أبيه الاشرف اينال وكان المؤيد هذا رئيساً حشماً لقليل الاذى
 وجرى عليه شدة اندوحن ونفى الى الاسكندرية ودام بها الى أن مات وهو في عشرين الحسنيين
 وفيه وقع من الوقائع الغريبة أن محب الدين أبى الطيب الاسيوطى بلغه أن السلطان تغير
 خاطره عليه وقصد الاخر اراقبه فلما تحقق ذلك توجه الى المقياس وألقى نفسه في البحر عمداً
 فغرق ومات وكان عالماً فاضلاً من ذوى العقول رئيساً حشماً وجهها عند الامراء وأرباب
 الدولة وكان من أعيان موقعى الحكم وكان عارفاً بأمور صنعة التوقيع وكان اسمه محمد بن
 محمد بن علي بن عمر بن حسن القاهري الشافعى ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة
 ولكن هانت عليه نفسه لما تأمل ما سوف يجرى عليه وكان له أعداء كثيرة تخاف على نفسه
 من السلطان فكان كاقيل في المعنى

لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك في السراء والضراء
 فلحمة المتوجعين حرارة * في القلب مثل شماعة الاعداء

وفي ربيع الاول قرر السيد الشريف موفق الدين الجوى في نظر الجيش بدمشق عوضا عن محيي الدين عبد القادر بحكم وفاته وقرر ولده عبد الرحيم في كتابة السر بدمشق وفيه قرر ايدى كى الاشرفى في نيابة القلعة بدمشق عوضا عن علي بن چاهين بحكم صرفه عنها وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة في العام الماضى وفيه أحضر السلطان بتركيا النصارى ورئيس اليهود وقرر على طائفة اليهود والنصارى ما لاله صورة بسبب خروج التجريد الى ابن عثمان وهـ. ذا أول فتح باب المصادرات للناس وفيه قرر السلطان بركب المحمل جان بلاط الاشرفى الخاصكى أحد الدوادارية وقرر بالركب الاول كرتباى كاشف البحيرة وفيه أنعم السلطان على عمالوكيه وهـ. ما قانسوه الالقي وقانسوه الشامى بتقدمة ألف وفيه من الحوادث أن السلطان رسم بتوسيط مجد الدين ابن البقرى وقد جرى عليه شداً وحقن وحقن بالمقشرة زيادة على ست سنين وكان السلطان يكرهه طبعاً وقد بلغه أن مجد الدين هذا لما قتل يشبك الدوادار أظهر الشماعة به وتخلق عياله بالزعفران وكان حصل له مع يشبك كائنات عظيمة فلما فرح به وأظهر السرور بلغ السلطان ذلك فتأثر منه وجرى له ما جرى وكان مجد الدين رئيساً حشماً لولى الاسـ تادارية غير ماهرة وكذلك الوزارة وكان أصله من القبط واسمه شاكر بن علم الدين ووسطوه بركة الكلاب ثم حملوه الى تربة ابن عمه يحيى فدفن بهم واو كان عنده عنف وظلم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر برسباى قرا فى امرية مجلس عوضا عن ازدمر قريب السلطان بحكم عوده الى نيابة حلب وكانت امرية مجلس شاغرة فى هـ. هذه المدة وقرر تغرى بردى ططرفى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن برسباى قرا وقرر تانى بك الجبالى فى ججوية الحجاب عوضا عن تغرى بردى طاطر بحكم انتقاله وقرر يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة أميراً خور تانى عوضا عن جاني بك حبيب وكان يـده امرية طبلخانات وقرر شاد بك بن مصطفى المعروف بالخواخ فى نيابة القلعة عوضا عن ملاج بج بحكم وفاته وفي ربيع الآخر خلع السلطان على اسنباى البشر الاشرفى وقرر فى الاستادارية الصعبة عوضا عن مغلباى بحكم انتقاله الى ولاية الشرطة وقرر اينال الفقيه الظاهرى فى الججوية الثانية عوضا عن تانى بك الابناسى وكانت هذه الوظيفة شاغرة وقرر كرتباى ابن أخت السلطان فى معالية الدالين وهى وظيفة تاجر الممالك عوضا عن قانسوه الشامى بحكم انتقاله الى التقسمة وفيه أنعم السلطان بامريات عشرة على جماعة من خاصكيته منهم قانسوه السيفى اقبردى وقانسوه بن فارس المعروف بقرا ودولات باى الفلاح وجان بلاط الغورى وسودون الججى واصطمر بن ولى الدين وآخرون وفيه صرف شرف الدين بن البدرى حسن عن نظر الدولة وضرب بين يدي السلطان وخلع على قاسم

شغبته وأعيد إلى نظر الدولة وفيه من الحوادث أنه في يوم الخميس عاشره جلس السلطان على الدكة بالحوش على العادة فنارت ريح عاصف فوقعت من شدتها السحابة التي بالحوش فاصابت جماعة من الامراء وجرح ثاني بك الجمالي حاجب الحجاب في وجهه وقد وقع عامود السحابة التي بالحوش عليه وجرح أيضا دولابى الحسنى وطاحت خفائف الامراء وعمائم المباشرين فقام السلطان من وقته ودخل الى البحيرة وتهارب العسكر وظنوا أنها القيامة وهرب القراشون أصحاب النوبة خوفا على أنفسهم من السلطان وقد أظلم الجو وظلمة شديدة وقام رعد وبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى جرى السيل في الاسواق والشوارع وكان يوما مهولا وفيه جاءت الاخبار من سويس بان في ذلك اليوم وقعت بها ساعة مهولة هدمت سور قلعتها وقتل بها من الناس جماعة وفيه توفي شرف الدين عبد الباسط ابن البقرى أخو محمد الدين شقيقه وكان رئيسا حشماولى عدة وظائف سنية منها نظر الاصطبل ونظر الاوقاف ونظر الدولة وكان وجهها عند الناس حسن الهيئة وكان بين موته وموت أخيه نحو من شهر وقيل مات مسعوما وفي جمادى الاولى جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان جهز عسكرا وقد وصل الى اذنة فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله ونادى بالعرض فحضر الاتابكي أربك باش العسكر فكتب بحضرته من الجند نحو من أربعة آلاف مملوك وعين من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن الامراء الطبختانات والعشراوات زيادة عن ستين أميرا حتى عدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد بلغ السلطان أن ابن عثمان جمع من العساكر ما لا يحصى فلما عرض الجند وعين الامراء أخذ في أسباب تفرقة النفقة ثم انه عين ثلاثة من الخاصكية بان يسيروا على الهجن لكشف أخبار ابن عثمان وما يكون من أمره واستحثهم على الخروج ورد الجواب عليه بسرعة ثم عين اقبردى الدوادار وكاتب السر أن يتوجه الى جبل نابلس بسبب جمع العشراوات من جبل نابلس وفيه جاءت الاخبار بان يعقوب بن حسن الطويل وقع بينه وبين صاحب هراة من الفتن ما لا يعبر عنه وآل أمره الى كسرة يعقوب وانهم زامه وقتل من عسكره ما لا يحصى فشق ذلك على السلطان وفيه قرر السلطان شرف الدين بن البدرى حسن في نظر الاوقاف عوضا عن شرف الدين بن البقرى بحكم وفاته وقد واهب ابن البدرى حسن غير ماهرة وفيه تغير خاطر السلطان على الامير دولابى الحسنى وأمر بنفيه الى مكة فخرج الى الخانقاه ثم طلع أربك الامير الكبير وشفع فيه حتى عاد الى داره وفيه جاءت الاخبار بوفاة جاني بك الابراهيمي الطويل الاشرفي نائب صفد ثم دوا دار السلطان بحلب وكان لابأس به وقرر بدوا دارية السلطان بحلب اركاس بن ولى الدين عوضا عن دوا دار السلطان بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار من حلب بان عمه كرا بن عثمان قد استولى على قلعة اياس من غير قتال ولا مانع فتسكد

السلطان له - ذا الخبر وفي جادى الآخرة بعث السلطان نفقات الامراء المقدمين والعشراوات قبلت النفقة على الامراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف دينار والامراء المعينون الى التجريدة كما تقدم هم الامير الكبير أزبك وتمر از أمير - لاج و برس - باى قرا أمير مجلس وقانص - وخمس مائة أمير اخور كبير وتغرى بردى ططر رأس فوبه النوب وتانى بك الجمالى حاجب الحجاب ومن الامراء المقدمين غير أرباب الوظائف أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وتانى بك قرا الاينالى ويشبك الجمالى السيفى ناظر الخاص وقانصوه الالفى وقانصوه الشامى ونحو من خمسين أميراً من الامراء الطبليخانات والعشراوات ثم أنفق على الجند على العادة فكانت جملة النفقة على الامراء والجند نحواً من ألف ألف دينار حتى عد ذلك من النوادر ولم يسمع فيما تقدم من الدول الماضية أن أحداً من السلاطين فعل مثل ذلك وكانت نفقة أزبك الامير الكبير وحده ثلاثين ألف دينار وكانت عادة نفقة الاتابكية الى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع من هذه النفقة قط فكان كما قيل

تمب الالوف ولا تهاب ألوفها * هان العد وعليك والدينار

فلما أخذ المال اليك النفقة أطلقوا فى الناس النار وأخذوا البغال والخيول حتى أكاديش الطواحين وحصل منهم الضرر الشامل فى حق التجار وغيرهم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب باستيلاء الفنس صاحب قشتيلة على مدينة مالقة من بلاد الاندلس وكانت كائنة عظيمة وقعت هناك وفيه كان خروج أزبك أمير كبير ومن عين معه من العسكر وكان يوماً مشهوداً واستمرت الاطلاب تسحب من اشراق الشمس الى ما بعد الظهر وخرج العسكر وهم لا يلبسون آلة السلاح حتى عد ذلك من النوادر وكان طلب أزبك أمير كبير وقانصوه خمسمائة غاية فى الحسن حتى قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحواً من ثمانين ألف دينار ثم ان الامراء برزوا ووزلوا بالريداية واستروا هنالك الى أن رحلوا ولم يخرج من مصر تجريدة أعظم من هذه لافى زمن الظاهر برقوق ولا غيره وفيه قبض السلطان على أبى الفتح المنوفى نائب جدة ورسم عليه بطبقة الزمام وكان حصل له ما ليخوليا وطرف جنون ثم خلع على جاهين الجمالى وقرره فى نيابة جدة عوضاً عن أبى الفتح ثم أمر السلطان بتوجه أبى الفتح الى البيمارستان فانه لما حضره السلطان وكلمه ردله جواب من فى عقله خلل فأمر بضربه بالمقارع فشفع فيه بعض الامراء وشهد جماعة من المباشرين بأنه قد حصل له ما ليخوليا وأمر بأن ينزلوا به الى البيمارستان وهو ماش مكشوف الرأس عريان وفى عنقه زنجير ورسم بأن يدعو عند المجانين ففعلوا به ذلك فأقام بالبيمارستان أياماً ثم شفع فيه فعاد الى طبقة الزمام وأقام فى الترسيم وكان أبو الفتح فى خدمة السلطان مذهباً وشاد

الشراب خائاه وكان عنده من المقرين ثم غربه ووقع له أمور يطول شرحها وفيه توفي
 برسباي الطلاشي الشمسي الظاهري أحد العشراوات وكان من خشداشي السلطان
 وكان لابأس به وفي رجب بلغ السلطان أن العربان قالت أن مصر ما بقي بها من العسكر
 الا قليل وزاد طمعهم في التلذذ فرسم السلطان لمن بقي بالقاهرة بأن يركبوا في كل يوم أحد
 وأربعاء ويتوجهوا نحو المطرية ويعودوا ويشقوا من القاهرة وفي أواسطهم السيوف
 والطرا كيش فصاروا يفعلون ذلك في كل يوم أحد وأربعاء ويدخلون من القاهرة أفواجا
 أفواجا وتقتل الناس على الدكاكين لرؤيتهم فأقاموا على ذلك مدة ثم بطل وفيه كان
 انتهاء القبة التي جردها السلطان بالجامع بالقلعة عوضا عن التي سقطت وجددا المنبر فخاف
 من أحسن ما يكون من البناء وفيه من الحوادث أن السلطان جدد مظلمة شنيعة وهو أنه
 أرسل لكشاف الغربية والشرقية بأن يأخذوا من البلاد الخمس من خراج المقطعين
 بسبب تجهيز خيالة من الشرقية من عربان العشير يتوجهوا نحو العسكر عوناً بسبب قتال
 عسكر ابن عثمان فحصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض الفلاحين ونسب ذلك
 إلى شرف الدين بن البدرى حسن فانه كان هو القائم في ذلك فوعده المماليك الحلبيان بالقتل
 ونهبوا بيته فيما بعد وقد جبي الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين ولم يخرج
 خيالة من الشرقية وكانت زيادة مظلمة أخرى وفيه وصل الزينى أبو بكر بن منهر كاتب
 السر وقد تقدم القول أنه خرج إلى نابلس صحبة الأمير أقيردى الدوادار بسبب جمع
 العشير من جبل نابلس لأجل التجربة الماضية ذكرها فحضر وهو متوعك في جسده فلم
 يقابل السلطان ولا طاع إلى القلعة واستمر ملازم الفراش حتى مات كما سيأتى الكلام على
 ذلك وفيه وصل قاصد ملك الفرنج الانكيريوس من بني الاصفه وصحبته هدية حافلة
 للسلطان فأكرمه وأنزله في مكان أعد له وفيه توفي دولاباى بن مصطفى الاشرفى المعروف
 بالاجرود نائب غزة ثم بقي أحد الامراء المدميين بدمشق وكان لابأس به وفيه توفي الشيخ
 شمس الدين محمد بن قاسم بن علي الشافعي شيخ مدرسة كاتب السر بن منهر التي أنشأها
 بحارة برجوان وكان من أهل العلم والفضل وله شهرة بمصر وكان لابأس به وفيه جاءت
 الاخبار بوفاة تغرى بردى ططر التمشي الظاهري حقه قمر رأس نوبة النوب توفي بحلب وكان
 من أجل الامراء وتولى عدة وظائف سنية منها إيابة القلعة بمصر ثم بقي مقدم ألف ثم بقي
 حاجب الحجاب ثم بقي رأس نوبة كبير ومما وقع له ان الامراء كلهم خرجوا بالاطلاب ما عدا
 فانه خرج من غير طلب فلما طلع إلى القلعة مقتته السلطان بسبب ذلك فقالت له تغرى بردى
 ططر لا تمقتني ولا أمقتك أنا ما بقيت أرجع من هذه السفرة وكان الامر كذلك كما يقال ان
 البلا مموكل بالناطق وفيه جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان بعث عدة من اكب

من البحر وهي مشحونة بالسلاح والعسكر وقد وصلت الى جهة باب الملك اية قاطع بها على
العسكر المصري فاستم له ذلك وخذله الله تعالى وكانت النصره لعسكر مصر كما سيأتي ذكره
وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفي حادى عشر مرسى فتوجه اقبردى الدوادار وفتح السد
على العادة ولم يقع لاقبردى أنه نزل وفتح السد غير هذه السنة بموجب غياب الامير
الكبير وبقية الامراء وكان يوما مشهودا وفيه خلع السلطان على فارس المنصورى وقرره
في نيابة دمياط عوضا عن شاذبك الاشقر بحكم صرفه عنها وفي ثالث رمضان كانت وفاة
الزبني أبي بكر بن مزهر كاتب السر بالديار المصرية وهو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد
ابن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان المعروف بعزهر الدمشقي الانصارى الشافعى وكان
عالما فاضلا عارفا بالفقه رئيسا حثما انتهت اليه رياسة عصره وكان وجها عند الملوك
والسلاطين وتولى من الوظائف السنية عدة منها نظر الاصطبل ونظر الجيش وكتابة السر ودام
بها ثيفا وعشرين سنة حتى مات وهو مقرر بها وتكلم في وظيفة قضاء الشافعية مدة ومولده
سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وكان قد شاخ وكبر سنه فلما مات رثيته بهذين البيتين من
قصيدة قلته فيه

صارت مرامله كمثل أراملى * تبكى بأعينها دما وتترب
وكذا الدواة تسودت أقلامها * حزنا عليه وأقسمت لا تكتب

وكانت جنازته مشهودة وغطى نعشه بمرقعة من الصوف فلما توفي خلع السلطان على ولده
المقر البسدرى محمد وقرره في كتابة السر بمصر عوضا عن أبيه بحكم وفاته وذلك في يوم الخميس
سادس عشره وأخدمته مالا له صورة حتى تولى هذه الوظيفة وكان شابا في عشرين الثلاثين لما
قرو في كتابة السر وكان السلطان محتفلا به فاستخلص منه أموال أبيه بحسن عبارة ولما
تولى كتابة السر قلت فيه هذين البيتين

تشرّف ذا الانشا من آل مزهر * بنجل مما قد راوشاع له ذكر
أضأت به الايام في مصر بهجة * ولم لا وقد أضحى يلوح لها البدر

وفيه جاءت الاخبار أن أزيك الامير الكبير ملك باب الملك واستخلصه من أيدي عسكر ابن
عثمان بعد أن أوثا اليه في ستين مركبا وهي مشحونة بالسلاح والمقاتلين فتلق العسكر من
ذلك وانقطعت قلوبهم وظنوا أنهم هم المأخوذون فبينما هم على ذلك اذ بعث الله تعالى بريحا
عاصفة فغرق غالب تلك المراكب في البحر الملح والذي فر من العسكر العثماني وطلع
الى البر قتله العسكر المصري وكانت النصره لهم على العثمانية وكانت على غير القياس فلما
تحقق السلطان هذا الخبر سر به ولم يصدق بذلك وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بوفاة
صاحب تونس السلطان المتوكل على الله عثمان بن محمد بن محمد بن العزيز أحمد الهناني

الموحدى وكان ملكا جليلا أقام في الملك نحو من أربع وخسين سنة ومات وهو في عشر
التسعين سنة ومما مدحه به بعض شعراء الغرب

بقيت ولا أبقى لك الدهر حاسدا * فانك في هذا الزمان فريد

عسلاك سوار والمالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

ولما توفي تولى بعده ولده يحيى المعروف بالحفيد فلم تطل أيام مدته وقتل واستطال عليه
أعداءه وفيه جاءت الاخبار بوفاة سيدي بن ثاني باي الطيوري الظاهري نائب حماه
وكان لابأس به وفيه ورد الخبر من أربك الأمير الكبير بأنه في ثامن رمضان وقعت معركة
عظيمة بين عسكر مصر وعسكر ابن عثمان فقتل من الفريقين مالا يحصى وكان من قتل
من أمر مصر دولات باي الحسني رأس نوبة ثاني أصيب بدفع وقتل من مماليك السلطان
عدة وافرة ومن العسكر العثماني أكثر وقد هزموا العثمانية وغنم منهم عسكر مصر أشياء
كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بدق البشائر بالقلعة
سبعة أيام وفي شوال وصل مغلباى البجمة دار أحد الأمراء العشر اوات من مماليك
السلطان وصحبته عدة رؤس قطعت من عسكر ابن عثمان وكانت نحو من مائتي رأس
عشق مغلباى من القاهرة وقدامه تلك الرؤس وهى على الرماح وكان له يوم مشهود
نخلع عليه السلطان ونزل في موكب حافل ثم أخبر بوفاة مغلباى الفه لوان المجدى الاشرفي
اليناني أحد الأمراء العشر اوات رؤس النوب وكانت وفاته بحلب وكان عارفا بفرن الصراع
علامته فيه وفيه جاءت الاخبار بان العسكر العثماني بعد ما حصلت له هذه الكسرة عاد
أيضا إلى أدنة وأن العسكر المصرى شرع في حصارهم بها وقد تمادى الامر في ذلك حتى
أخذت بعد مضي ثلاثة أشهر وقتل في مدة هذه المحاصرة من الفريقين مالا يحصى وآل
الامر الى أخذها بالامان وجرى في ذلك أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة
وكان أمير ركب المحمل جان بلاط الخاصكى أحد الدوادارية وبالركب الاول كرتباى
الكاشف ورجع في تلك السنة داود بن عمر أمير عربان هواره وفيه توفيت دولات باي
الجر كسية سريفة الظاهر بقمه وهى زوجة برقوق نائب الشام وكانت دينية خيرة لابأس بها
وفيه أرسل السلطان خلعة الى اينال الخسييف باستقراره في نيابة حماه وقد سعى له أربك الأمير
الكبير في ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة قائم دهيشة بن ازدهر الاشرفي الخاصكى الساقى
أحد خواص السلطان خرج الى دمشق في بعض مهمات السلطان بدمشق فمات بها وكان
شابا جميل الصورة حسن الشكل لابأس به وفيه أعيد زين الدين الحسباني الى قفله
الحنفية بدمشق وصرف عنها مجد الدين الناصرى وسجن بقلعة دمشق وفيه توفي الناصرى
محمد بن محمد بن سلامش ابن الملك الظاهر ببرس البندقدارى وكان رئيسا حشما من

مشاهير أولاد الاسياد وفي ذى القعدة توفي القاضي خير الدين الشنشي محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن موسى القاهري الحنفي وكان من أعيان نواب الحنفية وكان عالما فاضلا عارفا راسخا حتما وترشح أمره لأن يلي قضاء الحنفية بمصر ولم يل ذلك ومات له ومولده سنة أربعين وثمانمائة وفيه قرر شخص يقال له محب الدين وكان أصله من الاقباط فقرر في نظر الجيش بدمشق عوضا عن السيد الشريف موفق الدين بحكم صرفه عنها فعيب ذلك على السلطان واتفق أن محب الدين المذكور لم يدخل إلى الشام أقام بها أياما ومرض ومات وكان قد جث في السعي على الشريف موفق الدين وأورد مالا له صورة وفيه ضرب السلطان شخصا من نواب الحنفية يقال له شهاب الدين بن القصيف ورسم بشفه إلى الواح فشف فيه وكتب عليه قسامة بأنه لا ينوب في الحكم قط ولا يسعى في ذلك بل ولا يشهد في شيء من الأمور الشرعية لا أمر أو حجب ذلك وفيه أحضرت جثة دولابى الحسيني رأس نوبة ثاني من أدنة ودفنت بمصر في تربته وفي ذى الحجة توفي الشيخ تقي الدين السخاوي واسمه أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث سمع على الحافظ ابن حجر وغيره وكان لا بأس به وفيه قدم الزيني محمود بن أجا قاضي قضاة الحنفية بحلب فأقام بالقاهرة مدة ثم عاد إلى حلب على وظيفته وفيه توفي برسباي العلاقي الطويل الظاهري أحد الأمراء الطبليخانات وكان يعرف بالبواب فمات هناك لما خرج في التجريدة وتوفي قرقياس الحجدي الظاهري المعروف بالمعلم وكان أحد الأمراء العشر اوات وكان عارفا بفنون الرمح علامة وتوفي ملاح الظاهري الحقمقي أحد الأمراء العشر اوات وكان دينيا خيرا من ذوى العقول ومما وقع له أنه كان يدهم اقطاع خراب وعنده عيال كثيرة وأولاد عدة فوقف إلى السلطان وشكاه حاله وإن اقطاعه خراب لا يحصل له منها شيء فلم يلتفت السلطان إلى كلامه فنزل إلى داره ودخل إلى طبقة مهجورة عنده وعمد إلى سارية وربطها في سقف الطبقة وعمد فيها حية وشنق نفسه بها فمات وقدهانت عليه نفسه من شدة قهره وكان ساكنا في الجودرية وراح القتل في كيسه ولم يرث له أحد وفيه جاءت الاخبار بقتل صاحب طرابلس الغرب واسمه أبو بكر بن عثمان ابن محمد الحفصي قتله صاحب تونس وقتل ولده أيضا وجاعة من أعوانه وتوفي في السنة المذكورة جماعة كثيرة من الأعيان منهم قاضي الاسكندرية وهو محمد بن محمد بن عوض المالكي وكان لا بأس به

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم لما طلع القضاء لتنته السلطان رسم بعرض نواب الشافعية ونواب الحنفية وكلهم كلاما من مجاوأمر بإبطال جماعة منهم ووجرت أمور بطول شرحها ثم آل الأمر إلى التحجير عليهم في الأحكام الشرعية وأن لا يسجنوا الخمص

الاباذن من القاضي الشافعي والحنفي وعم ذلك سائر النواب وفيه تغير خاطر السلطان على الطوائف خشق قدم الزمام وخازن داره ووزيره أيضا فرسم بالقبض عليه في وسط الحوش وهم بضربه ثم آل الامر الى أن خرج منفيا الى سواكن واحناط على موجوده قاطبة واستمر منفيا الى أن مات هناك وكان عنده عسف وظلم وشدة بأس وسفاهة لسان وكان غير مشكور في أفعاله وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح وكان له خصاصة بالسلطان قال له ان الشيخ عبد القادر الدشوطي رحمه الله ورضي عنه شخص من عباد الله الصالحين وكان قصد السلطان الاجتماع عليه فاخبره انه يتردد الى جامع محمود في مكان عنده بالقرافة تحت الجبل المقطم فقال له السلطان ان خضر هناك اعلمني فعمد عبد القادر بن الرماح الى شخص كان شبيها بالشيخ عبد القادر الدشوطي وكان يدعي أنه شريف فاعلم السلطان بان الدشوطي يحضر تلك الليلة الى المكان المذكور فوصلي السلطان العشاء ونزل وصحبته ثلاثة أنفس فأقوا الى ذلك المكان ونزل عن فرسه فوجد ذلك الشخص جالسا ورأسه في عبه فشرع السلطان يقبل رجليه ويقول يا سيدي اجل جلتي مع ابن عثمان فصار ذلك الشخص يغرب عليه ويقول له أنت ما ترجع عن ظلم العباد فطال المجلس بينهما ثم ان السلطان دفع له كيسا فيه ألف دينار وقيل خمسمائة دينار فصار يمتنع من ذلك والسلطان يتلطف به ويقول له فرق ذلك على الفقراء ثم ركب ومضى وهو يظن أنه الدشوطي ثم بعد أيام انكشفت هذه الواقعة وظهر أنهم مفتعلة فلما تحقق السلطان ذلك أحضر عبد القادر بن الرماح والشخص الذي تزيار الدشوطي وخدام المكان الذين كانوا به فضربوا بين يدي السلطان بالمقارع وأتم عبد القادر بن الرماح الذي كان سببا لذلك فرسم السلطان بحلق ذقنه وشعره في القاهرة على حجارة ثم صجته بالمقشرة الى أن مات عقيب ذلك وكانت هذه الواقعة من أغرب الوقائع التي لم يسمع بمنلها مع ان عبد القادر بن الرماح كان من ذوي العقول ولكن قد يخبر الزناد ويكبر الجواد كما يقال

واني رأيت المرء يشق بعقله * وقد كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وفي صفر أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بأمرية عشرة وهي أول استظهاره في العلو والرفعة وجان بلاط هذا هو الذي تسلطن فيما بعد وفيه جاءت الاخبار أن صاحب فاس من بلاد الغرب قد غزا الفرنج واستخلص منهم عدة بلاد كانت أخذت من أيدي المسلمين فأعادهاهم وقتل أخوه في المعركة وفيه صار العسكر الذين من ممالك السلطان يدخلون الى القاهرة شيئا فشيئا قبل حضور الاتابكي أزبك فتسكد السلطان لذلك وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوي وكان غالب الامراء مسافرين في التجريدة وكان أمر السباط فيه بحكم النصف على العادة وفيه بلغ السلطان أن المماليك الذين حضروا

من التجربة قصدها أن يشير وافتنه كبيرة ويطلبوا من السلطان نفقة بسبب هذه
النصرة التي وقعت لهم ثم بلغ السلطان أن المماليك قالوا إن كان السلطان لا يعطينا نفقة
قتلنا الأمراء والمماليك الذين كانوا بمصر ولم يسافروا وذكروا كلمات كثيرة من هذا النمط
فلما تحقق السلطان ذلك أخذ في أسباب تحصيل المال واجتمع السلطان بالقضاة الأربعة
وذكرهم أن الخزائن قدما كان فيها من المال وإن المماليك يقصدون نفقة وإن لم أنفق
عليهم شيئا يشيروا فتنة كبيرة فاتفق الحال على أن يؤخذ من أرباب الأملاك والأوقاف التي
بمصر والقاهرة أجرة شهرين مساعدة للسلطان على النفقة وانفض المجلس على ذلك ثم إن
السلطان أمر تغري بردي الاستادار بأن يتكلم في ذلك هو وناظر الخاص ابن الصابوني
فاقتسما التصرف في ذلك وشرعا في جباية المال وفيه دخل الأمير الكبير أزبك ومن كان
معه مسافرا في التجربة من الأمراء وبقية العسكر وكان لهم يوم مشهود ومن الحجائب
أنه في حالة دخولهم إلى القاهرة أشيع بين الناس عودهم إلى حلب عن قريب لأن عسكر
ابن عثمان قد استولى على سيس وعلى طرسوس وغير ذلك من البلاد الخليفة وحضر مع
أزبك الأمير الكبير جماعة كثيرة من عسكر ابن عثمان أنواطائين باختيارهم فأنزلهم
السلطان في ديوانه وقرّر لهم الجوامك وهم إلى الآن باقون في الديوان يسعون العثمانية
ثم قويت الأشاعات بوقوع فتنة كبيرة وأن المماليك قد صمموا على أخذ النفقة لكل واحد
منهم مائة دينار فقلق السلطان لهذه الأشاعات واشتد عليه الأمر وفي يوم السبت رابع
ربيع الآخر جلس السلطان على الدكة بالحوش وأرسل خلف القضاة الأربعة وسائر
الأمراء فلما تكامل المجلس قال السلطان للأمراء والقضاة هؤلاء المماليك يرومون مني
نفقة وقد ندد بجميع ما كان في الخزائن من المال على التجار يدولم يبق بهاشي من المال ثم
أقسم بالله أنه نفد منه على التجار يد من حين ولي السلطنة إلى الآن سبعة آلاف ألف
دينار ومائة وخمسة وستون ألف دينار ثم قال للأمراء اختاروا من تسلطونه غيري واشهدوا
على أيهم القضاة أني خلعت نفسي وشرع يفكك أزراره وقصد الدخول إلى قاعة البحرة
فتعلق به القضاة ومنعوه من ذلك وشرع قاضي القضاة المالكية ابن تقي بيكي وأظهر
التأسف لهذه الواقعة وصار يتفارش ويترب ثم إن الأمير قرازا أمير سلاح صار يعيش بين
الجلبان وبين السلطان في عمل المصلحة فكثير القال والقليل في ذلك وضح العسكر وترددت
الوسائط بين السلطان وبين الجلبان ثم استقر الحال بعد جهد كبير على أن السلطان ينفق
على الجلبان اسكل واحد منهم خمسون دينارا من ذلك أربعون دينارا مجهزة ويؤخر عشرة
ينفقها عليهم بعد مدة شهرين وإن القراصة ينفق عليهم خمسة وعشرين دينارا فاستقر
الحال على ذلك وسكن الاضطراب قليلا ثم إن السلطان أرسل خلف الخليفة المتوكل على

الله عبداً عزيزاً وكان ساكناً عنده بالحوش فلما حضر جدد له مبايعة ثانية بحضرة القضاة
الاربعة فكانت مدة سلطنته في هذه المرة الاولى الى يوم خلعه هذا احدى وعشرين سنة
وسبعة أشهر ثم قام الخليفة ونزل القضاة الى دورهم وانقض الموكب وكان يوم امهولا
ثم ان السلطان أخذ في أسباب تحصيل المال لاجل النفقة واستحث في احضار
مايجب من المال بسبب الشهرين اللذين فرضهما على أرباب الاملاك ثم فرض على
المالك القرائصة وأولاد الناس الذين لم يسافروا في التجريدة على كل من له جامكية ألفان
أربعون ديناراً ومن له ألف جامكية بحكم ذلك ومن لم يورد شيئاً من ذلك تقطع جامكيته
سنة أشهر حتى يغلق ما فرض عليه ثم أنفق على الممالك فيما بعد وان الامير عمر ازشفق
في القرائصة وأولاد الناس أن لا يوردوا شيئاً مما قرر عليهم وكان الغالب منهم اورد
شيأ فراح عليه والمتأخر لم يحط شيئاً بسبب الشفاعة وفيه نار جماعة من العوام على الشيخ
شهاب الدين أحمد الشيشي الذي تولى قضاء الحنابلة فيما بعد وكادوا أن يقتلوه لولائه
اختفى مدة طويلة حتى سكن الامر وسبب ذلك ما نقل عنه انه قد أفتى السلطان بحل
مايجب اليه من أجرة الاملاك في الشهرين الماضي خبرهما فلما بلغ العوام ذلك ناروا عليه
وقصدوا قتله واستمر مختفياً حتى توجه الى مكة وجاور بهامدة وفيه كانت وفاة الشيخ بدر
الدين بن الغرس وهو محمد بن محمد بن محمد بن خليل القاهري الحنفي وكان عالماً فاضلاً
عارفاً بأصول الفقه وله نظم جيد وولى عدة وظائف سنية وناب في القضاء مدة ثم تولى
مشيخة تربة الاشرف برسباي ودام بها حتى مات وكان من أعيان الحنفية وذكر الى قضاء
الحنفية غير ما مره ومن نظمه قوله

ان جاءكم صاب بكم فاكرموا * مثواه تجزون خيار الثواب

وجاوبوا العذال عن غدا * من سقمه لا يستطيع الجواب

ولم مات رثاه الشيخ عبداً بالاسط بن خليل الحنفي بقوله

لقد أظلمت مصر وأقفر الدنيا * لموت عديم المثال بل أوحده العصر

سأعجب ان ضاعت ليالى عصرنا * وكيف يكون الضوء مع عدم البدر

وفيه كانت الاسرار مرفوعة في سائر البضائع وسبب ذلك اهمال كسباي المختسب فانه لم
ينظر في أحوال المسلمين فويجئه السلطان بالكلام ثم يطحه وضربه بين يديه نحواً من
عشرين عصاً فلما نزل من القلعة أطلق في السوق النار وكذلك سباسة القمع وجرى
بسبب ذلك أمور شتى وفيه كانت وفاة الحافظ قطب الدين الانخضري محمد بن محمد بن
عبداً الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضمرة الرملي الشافعي وكان عالماً فاضلاً
محمد بن ارياس حشماً وكان من أخصاء الاشرف قايتباي وتولى عدة وظائف سنية منها كتابة

سردمشق ونظر جيشه او قضاء الشافعية به او غير ذلك من الوظائف ومولده بعد الثلاثين
والثمانمائة وفيه بعث السلطان باقبض على مملوكه أربك النصراني وكان قررى
نيابة كرك فوقع منه غاية الفساد هناك وآل أمره الى أن حزت رأسه وعلقت على باب كركو كان
من أشرار الناس وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس بان فرس البحر قد ظهرت عند شبرا
وصارت تترأى للناس مدة ثم اختفت وتحققت الأقوال بذلك وفيه خلع السلطان على
أربك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرره في رأس نوبة كبير عوضا عن تغرى بردى ططر
بحكم وفاته وخلع على شادبك الخوخ بن مصطفى وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن
قائضه الالفى بحكم انتقاله الى التقدمه وكانت الدوادارية الكبرى شاغرة مدة طويلة وأنعم
على مملوكه طقطباى بأمرية عشرة وجعله متحدثا في نيابة القلعة فاستقر بهم أمن غير أن
يخضع عليه بها وأنعم على يشبك بن حيدر الذي كان والى القاهرة بتقدمة ألف مضافا لما
بيده من الأنحورية الثانية وأنعم على مملوكه جانم الذي كان بالشام أميرا بتقدمة ألف
وكتب له بذلك البشارة وهو بالشام وقرر مملوكه مغلباى الشريفي في تقدمه ألف مضافا
لما بيده من ولاية القاهرة فأقام على ذلك مدة حتى تقرر غيره وفيه كان ابتداء تفرقة النفقة
على الجند كما استقر الحال عليه فيما تقدم وفيه توفى تقي الدين ناظر الزردخانه فلما مات قرر
ولده عبد الباسط في نظر الزردخانه عوضا عن أبيه وفيه جاءت الاخبار بان شاه بضاع بن
دلغادر حضر الى الأبلستين ومعه طائفة من عسكر ابن عثمان وكبس على أخيه على
دولات وقبض على اثنين من أولاده فلما بلغ السلطان ذلك تنكده لهذا الخبر جدا وفيه
قرر الشهابي أحمد ابن الجمالى يوسف ناظر الخصاص في نظر الجيش وصرف عنها بدر الدين بن
أخيه كمال الدين وفيه عين السلطان عدة من أمراء البلاد الشامية فقررى بجويية دمشق
يونس نائب البيرة وقرر فى نيابة البيرة اينال باى من جلبانه وكان يقرب له وقرر با كبير بن
صالح الكردي حاجب حلب فى نيابة قلعة الروم وقرر مملوكه قانصوه الغورى فى جويية
حلب عوضا عن با كبير وقانصوه هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد وقرر ركباس بن
ولى الدين فى دوادارية السلطان بدمشق وقرر قانى بك نائب البهسنا فى دوادارية السلطان
بحلب وقرر فى نيابة البهسنا كرتباى الاشرفى من مماليكك فخرجت اليهم المراسيم معنى ذلك
وفيه أراد السلطان أن يقرر تانى بك الجمالى رأس نوبة كبير فامتنع من ذلك وصمم أنه ما يلى
الامرية بمجلس عوضا عن برسباى قرا بحكم وفاته فى التجريدة بحلب فتغير خاطر السلطان
على تانى بك الجمالى وقصد نفقه الى مكة بسبب ذلك وأقام على ذلك أياما لا يطلع القلعة ثم
أرسل خلفه ووعده بها وصار يتكلم فيها على كره منه وفيه أرسل السلطان خلعة الى
عبدالرزاق أخى على دولات وقرره فى أتابكية حماء عوضا عن ابن طرغل ونقل ابن طرغل

الى نيابة طرسوس وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حاب بان عسكر ابن عثمان لما بلغهم رجوع العسكر المصرى طمعوا فى أخذ البلاد الحلبية وأرسل يستحث السلطان فى خروج تجريدة بسرعة لحفظ مدينة حاب فلما بلغ السلطان ذلك عرض العسكر وعين تجريدة وكتب عدة وافرة من الجنود الذين كانوا مقيمين بالقاهرة وجعل الباش على هذه التجريدة قاضى الشافعى أحد الملقى الأتقى ومن الأمراء الأطباء انات يشبك رأس نوبة ثانى وازدمر النقيب الظاهرى وكرت باى بن قمر باى ابن أخت السلطان واصطمر بن ولى الدين أحد العشراوات ثم أنفق عليهم وعلى الأمراء وأمرهم بسرعة الخروج الى التجريدة من غير اهما ل وفي جادى الاولى توفى الشيخ محب الدين أخو قاضى القضاة الشافعى ولى الدين الاسيوطى وكان عالما فاضلا وناب فى الحكم وتولى خطابة الجامع المؤيدى وكان لابأس به وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن الحليس أحد نواب الحنابلة وكان من أعيان الناس مشكورا والسيرة وفيه أنعم السلطان على طوخ المجدى البجمة داربامرية عشرة وفي جادى الآخر رسم السلطان بسلخ شخص يسمى أحمد بن الديوان من أهل حلب فسلخه فى المقشرة وسلخ معه والده محمد وأنهم وهما فى القاهرة على جمال وكان أحمد بن الديوان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وكان من أنصاء السلطان فنقل عنه أنه كاتب ابن عثمان فى شئ من أخبار المملكة فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره عليه وجرى عليه أمور يطول شرحها وكانت من الوقائع المهولة وفيه خرجت التجريدة ومن عين بها من الأمراء والعسكر وكان يوما مشهودا قيل قد بلغت النفقة على الأمراء والجنود فى هذه التجريدة الخفيفة نحو من مائة وخمسين ألف دينار غير جامكية أربعة أشهر وعن الجمال وكان السلطان دريافى خروج هذه التجريدة لاصون مدينة حلب وفيه قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصدا الى ابن عثمان لعل أن يكون الصلح فردله الجواب اذا أطلق تجار الممالك الذين عنده وبعث مفااتيح القلاع التى أخذها كاتيناه فى أمر الصلح وأرسلنا له قاصدا ولكن جرى بعد هذه الواقعة أمور شتى وفي رجب خلع السلطان على تانى بك المجدى الايتالى أحد العشراوات وقرره فى شادية الشون وأشركوا معه اقبردى ططر الظاهرى أحد الأمراء العشراوات أيضا وفيه توفى جمال الدين الكوراني شيخ خانقاه سعيد السعداء وهو عبد الله بن محمد بن حسن بن خضر بن محمد الاردبيلي الشافعى وكان عالما فاضلا دينيا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفي شعبان قرر فى مشيخة خانقاه سعيد السعداء الشيخ زين الدين عبد الرحمن القناوى الشافعى عوضا عن جمال الدين الكوراني بحكم وفاته وفيه ثارت فتنة من الممالك الجلبان بسبب العشرة دنانير التى تأخرت اهلهم من الحسين التى استقر الحال عليها فى أمر النفقة فباسكت الفتنة حتى

أنفقها لهم وفيه حضر اسكندر بن جحان أحد الأمراء المقدمين لابن عثمان وقد أسره
بعض الثواب وكان على دولته هو القائم في القبض عليه فكان له بالقاهرة لما دخل يوم
مشهود وأسر معه جماعة من العثمانية فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم وفيه توفي
سودون الثور أحد الأمراء العشر اوات وكان لابأس به وتوفي الطواشي مرجان الجمالي
المعروف بستمائة وكان من أعيان الطواشية وفيه في آخر يوم منه كان وفاء النيل المبارك
وفي مستهل رمضان كان فتح السد عن الوفاء ووافق ذلك سادس ميسرى فنزل أربك أمير كبير
وفتح السد على العادة وقيل إن جماعة من أوباش العوام أفطروا في ذلك اليوم من شدة الحر
والعطش وفي أثنائه عمل الاتابكي أربك وقدة هائلة وحرافة نفط في بركة الازبكية وعزم
على الأمراء وكانت ليلة حافلة وفي شوال كان أول نوت وهو يوم النوروز عند القبط وكان
عيد الفطر عند المسلمين فعد ذلك من النوادر وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب
المحل ازد مر تمساح وكان الحج في تلك السنة قليلا وفيه جاءت الاخبار من سواكن بوفاة
الصاحب خشقدم الاجدى وكان رئيسا حشما من أعيان الطواشية وتولى عدة وظائف
سنية منها الوزارة والزمامية والخازندارية الكبرى وكان ظالما غشوما عسوفاً من وسائل
السوء وفيه توفي الشيخ أبو الفضل محمد المحلى الحنفى وكان من أعيان الحنفية وفي ذى
القعدة توفي الطواشي مرجان وكان لابأس به وفيه توفي نوروز أخو برسيلى قرا أمير
مجلس وكان من الأمراء العشر اوات من خيار الطاهرية وكان لابأس به وفيه توفي الشيخ
جعفر بن ابراهيم السنهورى الشافعى شيخ القراء بمصر وكان يقرأ بأربع عشرة رواية وكان
علامة في القراءات وفيه جاءت جماعة من تجار الاسكندرية يشكون من نائبا على باى بانه
جار عليهم بالظلم والمصادرات فأرسل اليه السلطان يحذره من ذلك وفي ذى الحجة أنعم
السلطان على سيى نائب سويس بأمرية عشرة وكذلك كسباى بن أربك الساقى وفيه توفي
شعبان الزواوى شيخ القبائين وكان علامة في صنعة القبانة والتحرير في الاوزان وفيه
توفي سليمان بن محمد المغربى وكان فاضلا في علم الميقات وله شهرة في ذلك
﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة﴾ فيها في المحرم كسفت الشمس كسوفات ما حتى
أظلمت الدنيا وثار عقيب ذلك رياح عاصفة حتى فزع الناس من ذلك وفيه قدم الى
القاهرة شاه بضاع بن دلغادر وقد تقدم القول بانه هرب من قلعة دمشق وكان مسجوناً بها
فلما هرب توجه الى ابن عثمان والتف على عسكره وملاك الابلستين واستمر في عصيانه مدة
طويلة ثم وقع بينه وبين ابن عثمان فتنة وقصد قتله ففر منه والتجأ الى السلطان فلما جاء اليه
أكرمه السلطان وخلع عليه ثم بعد مدة أرسله الى منفى ليقوم بها وأجرى عليه ما يكفيه
فعد ذلك من جملة سعد السلطان وكانت من النوادر وفي صفر توفي الطواشي سرور السبى
قراجا الحسنى وكان لابأس به وتولى رأس نوبة السقا وغير ذلك وفيه كان اقتران المريخ

مع زحل فافترط البرد في تلك الايام حتى أحرقت الاشجار ووجدت المياه وذكري بعض المتجمين
أن هذا الاقتران يدل على وقوع فتن وان البرد يستمر أياما ممتدة والية في تزايد من الافراط
وصار الثلج ينزل في الليل وينعقد على الجدران بناحية الخيزرة ومات الكثير من الحرافيش
من شدة البرد فكان كما قيل

يوم برد مدانفاسه * يخمش الاوجه من قرصها

يوم تود الشمس من برده * لوجرت النار الى قرصها

وفيه كثرت الشكاوى في محمد بن اسماعيل قاضي الواح فأمر السلطان باحضاره فلما
حضر ضرب بالمقارع ثم أشهره بالقاهرة وهو على حمار ثم سجنه بالمقشرة فمات بها بعد أيام
وكان من كبار الظلمة من المفسدين في الارض فلما خرجت جنازته ثار عليه جماعة كثيرة
من أولاد أخيه ورجوه بالحجارة وهو في النعش وأرادوا حرقه فلما خصلوه ودفنوه لا بعد جهد
كبير وفي ربيع الاول جاءت الاخبار من عند علي دولاب أن ابن عثمان اهتم في تجهيز عساكر
وقد وصل أوائلهم الى كولا فلما بلغ السلطان ذلك تنكد وجتمع الامراء وأخذ
رأيهم في ذلك فوقع الاتفاق على خروج تجريدة صحبة أمير كبير ثم أخذ السلطان في أسباب
جمع الخمس من نواحي الشرقية كما فعل عند خروج التجريدة الماضية لاجل فرسان العرب
لتخرج صحبة أمير كبير يباش العسكر فحصل للقطعين بسبب ذلك غاية الاذى وقطع الخمس من
خراجهم مرتين وفيه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب الخوامك من ألف درهم فما
دونه وكان أمرهم أن يتعلموا رمي البندق الرصاص قبل ذلك فلما عرضهم وره واقدامه
كتبهم في التجريدة وأنفق عليهم كل واحد ثلاثين دينارا وكل اثنين أشركهم في جل أعطاه
لهم ما خرجوا صحبة التجريدة وفيه خلع السلطان على قيت بن قانم الساقى وقرره في
ولاية القاهرة عوضا عن مغلباى الشريف في بحكم انتقاله الى التقدمة وكان متكاما في الولاية
مع التقدمة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نادى السلطان للعسكر
بالعرض وأشيع أمر التجريدة الى ابن عثمان فلما عرضهم السلطان بأدراهم بتفرقة
النفقة ثم وقع في ذلك اليوم بعض اضطراب من المماليك الجلبان وقام السلطان من
الدكة ونزل وقال أنا أنزل لكم عن السلطنة وأمضى الى مكة فتلف به الامراء ثم آل
الامر بعد ذلك الى أن أنفق عليهم لكل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر
وثنى جل سبعة أشرفية فأنفق في ذلك على عدة طباق واستقر على ذلك حتى أكمل النفقة ثم
جملت نفقة الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وقد تعينوا للسفر أجمعين ولم يبق
بعض سوى اقبردى الدوادار وازد مرتمساح فكانوا على الحكم الاول كما تقدم فبلغت
النفقة على الامراء والجنود نحو من خمسمائة ألف دينار وكانت هذه التجريدة آخر تجاريد

الاشرف قايتباي الى ابن عثمان وغيره ولم يجرد بعدها أبدا ثم نادى للعسكر بان لا يخرج
 منهم أحد قبل الباش فاسمعوا له شيئا وفيه قررتم الرعي الخاصكي الخازندار في نيابة بجهة
 عوضا عن جاهين الجالي وقد سئل الاعفاء عن ذلك وفيه تعين كرتباي كاشف البحيرة في
 امرية الحاج بركب المحمل وعين اينال الفقيه الحاجب الثاني في الركب الاول وفي خامس
 عشر ربيع الآخر خرج أمير كبير أزبك من القاهرة قاصدا البلاد الحلبية وصحبته الامراء
 والعسكريون كانت عدتهم عشرة واهمهم على ما ذكرناه في التجربة الماضية وأما الامراء
 العشراوات والطبلخانات فكانوا زائدة على الخمسين أميرا وأما المماليك السلطانية
 فكانوا زائدة عن أربعة آلاف مملوك فكان لهم يوم مشهود حتى رجعت لهم القاهرة
 واستمرت الاطلاب تنسحب من انشراق الشمس الى قريب الظهر وخرج ممالك الامراء
 وهم باللبس الكامل من آلة السلاح فعدت هذه التجربة من نوادر التجاريد وقد
 طال الامر بين السلطان وبين ابن عثمان في امر الفتن والامر لله وفي جمادى الاولى رسم
 السلطان بنقل اسكندر بن النحال من البرج الذي في باب السلسلة الى دار كتاب السر
 البدرى ابن مزهر وأمره بالحفظ عليه وفيه جاءت الاخبار من مكة بوقوع سيل عظيم في
 خامس صفر وقيل انه بلغ الى الحجر الاسود وهدم عدة أماكن وحصل منه غاية الضرر وفي
 جمادى الآخرة قويت الاشاعات بسفر السلطان بنفسه الى حلب ونزل الى الميادين
 وعرض الهجن وعين جماعة من الخاصة للسفر معه وأمر من بقي من العسكر بعمل
 برقهم وأن يكونوا على يقظة من السفر وفيه وصل اقبردى الدوادار من البحيرة وكان قد
 خرج بسبب فساد العربان وفي رجب كان ختان ابن السلطان المقرئ ناصر محمد الذي
 تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحو اربعين سنة وأشهر وكان المهمل بالقلعة سبعة أيام
 متوالية وكان من نوادر المهملات فاجتمع به سائر مغاني البلد ورسم السلطان أن تزين
 القاهرة فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الاسواق المشهورة وغير ذلك وخرج الناس
 في القصف والفرجة عن الحد وكان العسكر غائباً في التجربة والناس في أمن من أذى
 المماليك وكانت تلك الايام مشهودة لم يسمع بمثلها ودخل على السلطان من التقدم
 ما لا يحصى من مال وخيول وقاش وسكروا غنام وأبقار وغير ذلك مما يزيد على خمسين ألف
 دينار وكان من جملة ما أهدها الشهابي أحمد بن العيني طست وابريق ذهب زنته ستمائة
 مثقال برسم الختان وأشياء كثيرة غير ذلك واختتمت مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد
 الامراء والاعيان والخاصكية فكانوا زائدة عن أربعين ولدا فرسم لكل صبي منهم بكسوة
 على قدر مقام أبيه فكان من جملة أولاد الاعيان ابن الخليفة أمير المؤمنين عبد العزيز وهو
 ابنه سيدي عمرو ابن الجمجمة بن عثمان وأولاد الملاحى على بن خاص بك وغير ذلك من أولاد

الامراء والاعيان فلما كان يوم الخميس عشر به اجتمع الامراء والاعيان من الناس بالحوش السلطاني وركب ابن السلطان من قاعة البصرة ومشت قدامه الامراء والخاصكية وهم بالشاش والقماش ومشى قاضي القضاة الحنفي ناصر الدين الاخميمي وسائر اعيان المباشرين وأولاد الجميع وأعيان الخدام وكان ماسك لحام الفرس الامير اقبردى الدوادار والشهابي أحمد بن العيني وهم بالشاش والقماش ولم يكن بمصر من الامراء المقدمين غير الامير اقبردى الدوادار والامير ازدمر تمشاح والامير ازدمر المسرطن واستمر ابن السلطان في ذلك الموكب من قاعة البصرة الى باب الستارة والسلطان جالس في المقعد ينظر اليه وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير ونثر على رأسه خفاف الذهب والفضة ولاقته المغاني فنزل عن فرسه بباب الستارة ودخل به قاعة البيسرية فكان الختان بها وقيل دخل على المزين نحو من خمسة آلاف دينار فانهم عليه من ذلك بالف دينار والباقي تقاسمه الرؤساء من المزينين وعده هذا الختان من النوادر ثم نزل ابن الجمجمة وأولاد العلاني على بن خاص بك وتوجهوا الى بيوتهم فشقوا من القاهرة في موكب حافظ ورسم للقضاة الاربعة بان يركبوا قدامهم ففعلوا ذلك وفيه كانت وفاة الزيني خضر بن سنان النوروزي الجركسي وكان رئيسا حشما من اعيان الناس وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ورجسه وكان في سعة من المعيشة ومات وهو في عشر السنين وفيه خسف القمر ودام في الخسوف نحو من أربعين درجة حتى انجلي وفيه عين السلطان بجماعة من الجنحند الى مكة وجعل عليهم باش اقبردى تمشاح الظاهري أحد الامراء العشر اوات وعين الطواشي اياس الشامي في مشيخة الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وفيه ثار عماليك اقبردى الدوادار عليه وحاصروه وهو في داره وطلبوا منه زيادة في جوامعهم فبعث اليه السلطان بالوالي فتبض على جماعة منهم وضربهم بالمقارع وقطع أيدي جماعة منهم وفر الباقون الى الجامع الازهر وأقاموا به أياما ثم آل الامر الى أن نفي طائفة منهم الى جهة قوص وطائفة الى البلاد الشامية فسكن الحال قليلا وفيه وصل هجان من عند العسكر وأخبر بأن العسكر قصد التوجه الى بلاد ابن عثمان وقد أرسلوا اماما الى الخصاصكي رسولا الى ابن عثمان فلما أبطأ عليهم خبره زحف العسكر المصري على أطراف بلاد ابن عثمان ووصلوا الى قيسارية وفتكوا بها ونهبوا عدة من ضياعها وأحرقوها ثم فعلوا مثل ذلك بعدة أماكن من بلاد ابن عثمان وانقسموا فرقتين فرقة الى ماودة وفرقة مقيمة بكولك ينتظرون ما يكون من هذا الامر ثم حضر جان بلاط الغوري أحد عماليك السلطان وكان من الامراء العشر اوات يومئذ وأخبر بأن العسكر في قلق زائد بسبب الذي هنالك وان العليق ما يوجد وأنهم قد عولوا على الهجى الى مصر فحاصر السلطان ذلك وفي شعبان رفعت امرأة قصة للسلطان

نشكوفيهام بن بدر الدين بن القرافي أحد نواب المالكية فأمر السلطان باحضاره فلما حضر
ضربه بين يديه ضرباً مؤلماً وآل أمره الى أن غرم في هذه الكائنة ما لا له صورة بعد عقد
مجلس بينه وبين المرأة التي رافعت فيه وفيه كانت البشارة بالنيل المبارك وجاءت القاعدة
سبعة أذرع الانعامية أصابع وفيه قرر شهاب الدين بن الصيرفي في تدريس الشافعية
بالطائفة الشيعونية عوضاً عن جلال الدين ابن اللبانة بحكم نزوله عنها ولم ينزل أحد عن
هذه الوظيفة قبل اليوم قط إلا أن تخرج عنه بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان
على دقاق نائب القدس الشريف ونظر الدين بن نسيبة من أعيان بيت المقدس فرسم
باحضارهما فلما حضر أمر بضربهما فلما ضربا بين يديه أمر بنفي ابن نسيبة الى الواح حتى
شفع فيه وفي رمضان قبض الوالي على جماعة من المماليك الاروام وجددهم يشربون الخمر
في رمضان ثم افاض بهم وأشهرهم بالقاهرة وسجنهم وفيه أخبرني من أثق به أنه رأى
بأسوان شخصاً أسمر اللون وله عين واحدة في جبهته وله أنف نابت في وجهه تحت تلك
العين وبين أنفه وفه نحو من أربعة أصابع فكان من جملة الاعاجيب وفيه ظهرت في
القاهرة امرأة ولها ثلاثة أبراز أحدها تحت ابطها وفيه في رابع مسرى كان وفاء النيل
المبارك ونزل أزد من قساح وفتح السد على العادة وكان الوفاء في عاشر شهر رمضان ومن
النوادر انه زاد في اليوم الثالث من مسرى ثلاثة وثلاثين اصبعاً في دفعة واحدة وفيه
توفي برهان الدين التتائي أخو شرف الدين الانصاري وهو ابراهيم بن علي بن سليمان التتائي
الانصاري المالكي وكان رئيساً حشماً وله اشتغال بالعلم ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفيه
حضر هيجان وأخبر بأن العسكر على حصار قلعة كواره ومات في مدة المحاصرة فانصوب من
فارس المعروف بقراوه من مماليك السلطان وكان من الامراء العشر اوات ثم أخذت
هذه القلعة فيما بعد وهدمت الى الارض وفي شوال كان الموكب السلطاني في يوم عيد
القطر بالحوش على العادة التي استجدها السلطان في غيبة الامراء فلم يحضر في موكب العيد
سوى الامير ازد من قساح وكان أقبردى الدوادار مسافراً الى جهة البحيرة بسبب فساد
العربان فجلس السلطان بالحوش على الدكة وخلع على المباشرين وأرباب الدولة وانقض
الموكب سريعاً وفيه ترايد شر العبيد حتى خرجوا في ذلك عن الحد وصار يقتل بعضهم
بعضاً حتى أعيال الوالي أمرهم وصاروا طائفتين طائفة تعادي طائفة وفيه قرر في قضاء
الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن عثمان الزعيم عوضاً عن عز الدين الحسيني وفيه قرر
شمس الدين محمد بن أبي الفتح الكتبي في مشيخة القبايين ثم تولى بعد ذلك التحدث على مباشرة
بندر جدة وفي ذي القعدة رسم السلطان بنقل سوق الحـير من عند باب الميدان الى جهة
مدرسة قاني باي الجركسي واستقر على ذلك الى الآن وفيه ابتداء السلطان بعمارة المكان

الذى أنشأه على بركة الفيل برسم ولده المقر الناصري وكان يظن ان ولده يسكن بعده فيه
ويستمر مقبلاً بمصر فجاء الأمر بخلاف ذلك وفيه أفرج السلطان عن علاء الدين الحنفي
نقيب قاضي القضاة الشافعي وكان قاسي شداً ومحنناً وأقام في الترسيم مدة طويلة وغرم
جولة من المال وفيه رسم السلطان بقلع عيني شخص يقال له علي بن محمد المرجوشي وقطع
لسانه أيضاً وسبب ذلك أنه أوحى الى السلطان بأنه يعرف علم صنعة الكيمياء فانصاغ له
السلطان حتى أتلف عليه جولة مال له صورة ولم يستفد من ذلك شيئاً وفعل نظير ذلك بالامير
قراز الشمسي أمير سلاح فأتلف عليه جولة مال ولم يستفد من هذا شيئاً فخنق منه السلطان
وفعل به ما فعل وفيه خرج الامير اقبردى الدوادار سافراً الى جهة نابلس وحصل منه
غاية الضرر للناس من ذلك أنه أخذ جمال السقائين لحمل سنيجه حتى عز وجود الماء وغلا
سعر الراوية بسبب ذلك وضاق الأمر وفيه خلع السلطان على الطواشي فيروز وقرره في
الزامية عوضاً عن صاحب خشقدم بحكم نفيه الى قوص وفيه جاءت الاخبار بموت
اقبردى ططر الظاهري بجمع أحد العسراوات وشاد الشون وكان لأبس به وفيه جاءت
الاخبار بأخذ قلعة كواردة من يد عسكر ابن عثمان فسر السلطان بذلك ثم بعد مدة وردت
عليه الاخبار بان العسكر قلق وهو طالب المجى الى مصر فتأكد السلطان لذلك وأرسل
عدة مراسيم للامراء بالاقامة فقام معواله شيئاً ثم جاءت الاخبار بان أربك أمير كبير قد دخل
الى الشام هو والامراء والنواب والعسكر فاصدين الدخول الى القاهرة من غير إذن وقد
جاؤا طابئين ووقع فتنة ودرجوا بذلك ثم نودي من قبل السلطان بأن العسكر الذي قدم
من التجربة يصعد الى القلعة فامتنع المماليك من ذلك ولم يصعدوا الى القلعة وفيه جاءت
الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الفرنج قد استولوا على مدينة غرناطة وهي دار ملك
الاندلس ووقع بسبب ذلك أمور شتى يطول شرحها وقتل من عساكر الغرب والفرنج مقتلة
عظيمة ثم بعد ذلك وقع الصلح بين أهل غرناطة والفرنج وقرر للفرنج في كل سنة شئ من
المال يوردونه لهم وفيه توفي قاضي قضاة المالكية محيي الدين بن تقي وهو عبد القادر بن
أحمد بن محمد بن علي بن تقي الدميري المالكي وكان عالماً فاضلاً من أعيان المالكية رئيساً
حشماً وناب في الحكم مدة وكان لأبس به وأخذ العلم عن جماعة من الاقدمين كالسماطى
والشيخ عبادة والشيخ طاهر وغير ذلك من المشايخ وفي السنة المذكورة كانت وفاة الشيخ
الصالح المعتقد سيدي أحمد بن عقبة اليمني وكان من كبار أولياء الله تعالى وتوفي القاضي فتح
الدين محمد السوهاجي وكان من أعيان نواب الشافعية وتوفي زين الدين الطوخي الخالدي
وكان من الفضلاء وله نظم جيد

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمانمائة فيها في مستهل المحرم كان دخول أربك أمير كبير

ومن معه من الامراء والعسكر ودخلوا الى القاهرة في موكب حافل وكان لهم يوم مشهود فلما طلعوا الى القلعة خلع السلطان على أربك أمير كبير وعلى بقية الامراء ونزلوا الى دورهم وهذه آخر تجاريد أربك أمير كبير الى البلاد الجلمية وفيه قرر السلطان كرتباي ابن أخته في شادية الشراب خاناه وقرر بلوكه جان بلاط بن يشبك في تجارة الممالك وفيه أشيع بين الناس أن الممالك يقصدون انارة قننة ويرومون نفقة على جاري العادة فاقسم السلطان بالله العظيم أنهم ان طلبوا نفقة يتوجه تحت الليل الى مكة المشرفة ويقيم بها وفيه توفي قاضي القضاة المالكية كان وهو ابراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن جيل الاقاني المالكي الازهرى وكان عالما فاضلا بارعا في مذهبه ديننا خيرارثا حشامات وهو منة فصل عن القضاء وكان محمود السيرة في أفعاله وفيه توفي الشيخ سنان الاونجاني الحنفي وهو يوسف بن موسى بن سعد الدين وكان قرر في مشيخة تربة الامير يشبك الدوادار وكان من أغنيان الناس الحنفية وفيه توفي الشيخ زين الدين عبدالرحمن الشنتاوى شيخ خانقاه سعيد السعداء وكان عالما فاضلا ديننا خير الاباس به وفيه توفي الشيخ حافظ العجمي المقرئ وكان لاباس به وفيه أنعم السلطان على أربعة من خاصكيتهم بامريات عشرة منهم يربك بن بير على الذي كان بقي مقدم ألف وخرج الى مكة المشرفة بعد كائنة اقبردى الدوادار وأمر أيضا قيمت الرحي الذي تولى الاتابككية فيما بعد وأمر أيضا مصر باي الذي تولى الدوادارية الكبرى فيما بعد وأمر أيضا كمشبغاى الذي تولى نيابة الاسكندرية ومات بها وفي صفر أنعم السلطان على جانم الذي كان نائب قلعة حلب بتقديم ألف وقد تعينت له قبل أن يحضر الى القاهرة فأقام جانم في هذه التقديمه نحو من سنة ومات بالطاعون في السنة الآتية وفيه قدم الشهابي أحمد بن فرفور من دمشق وأشيع عنه بين الناس أنه جاء يسعى في كتابة السرفا وافق السلطان على ذلك فأقام في مصر مدة ثم عاد الى دمشق وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية فقطع في ذلك اليوم عدة جوامك من جماعة الجند نحو من ثمانين انسانا من الشيوخ والعواجز والضعفاء فكثر عليه الدعاء من الناس في ذلك اليوم بسبب ذلك وفي ربيع الاول خاع السلطان على الشيخ عبدالغنى بن تقي وقرره في قضاء المالكية عوضا عن أخيه محي الدين بحكم وفاته وفيه رسم السلطان للاتابكي أربك بأن يتوجه الى شبرمنت بنواحي الجزيرة بسبب عمارة القناطر التي هنالك فصرف عليها السلطان نحو من خمسة آلاف دينار بسبب ترميمها فجاءت من أحسن البناء وبني هنالك رصيفاه نفع للسافرين في أيام النيل وبني هنالك لنفسه منظره وغيطا على بركة هنالك فجاء ذلك غاية في الحسن من أجل المنتزهات وهو باقى الى الآن وفيه من الحوادث الملهولة أنه في أثناء الشهر المذكور توجه السلطان الى قبة يشبك الدوادار كان التي هي في رأس دور الحسينية فجلس هنالك وأرسل خلف القضاة

الاربعة فحضر القاضي الشافعي زين الدين زكريا والقاضي الحنفي ناصر الدين بن الاخيمي
والقاضي المالكي عبد الغني بن تقي والقاضي الحنبلي بدر الدين محمد السعدي فلما تكامل
الجلس شرع السلطان في التكلم معهم فذكر لهم أن ابن عثمان ليس براجع عن محاربة
عسكر مصر وان احوال البلاد الحليسة قد فسدت وآلت الى الخراب وان التجار منعوا
ما كان يجلب الى مصر من الاصناف وان المماليك الجلبان يرومون منى نفقة وان لم تنفق
عليهم - م - ش - يأنهم بواصر والقاهرة وحرقوا البيوت ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد
الحليسة لا يخرج العسكر من مصر حتى أنفق عليهم ثم شرع يقسم بالله تعالى أنه ما بقي في
الخزائن شيء من المال لا كثير ولا قليل والقصد أن أفرض على الاوقاف والاملاك التي بمصر
والقاهرة من اماكن وغيظان وجمامات وطواحين وأفران ومراكب وغير ذلك أجرة سنة
كاملة - م - ش - يأتين بها على خروج التجريدة فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضي الشافعي لعل
الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك وقال القاضي المالكي ان أجرة سنة كاملة تنقل على الناس ولا
يطيقون ذلك فان كان ولا بد من ذلك فلنفرض عليهم أجرة خمسة أشهر وقبل ذلك فرض
عليهم أجرة شهرين فهذه سبعة أشهر وما يطيق الناس أكثر من ذلك فتوقف السلطان ثم
آل الامر الى ما قاله قاضي القضاة المالكي وانفض المجلس على ذلك فلما بلغ الناس ما وقع
اضطربت الاحوال وكثر القتل والقتل في ذلك وأشيع عن السلطان أنه يفرض على الجماجم
من كل ذكر وأنثى من كب - يروص غير على كل رأس دينارين ذهب وتكلموا من ه - ذا النمط
بأشياء كثيرة ثم بعد أيام رسم السلطان لتغري بردي الاس - تادار بأن يكون متكلم في جباية
الاملاك من باب زويلة الى دير الطين ورسم لابن الصابوني ناظر الخايس بأن يكون متكلماً
في جباية الاملاك من باب زويلة الى خارج الحسينية فعند ذلك اضطربت الاحوال
وتزايدت الاهوال وتوجهت الرسل الغلاظ الشداد ولم يراعوا الوداد وأكثر الناس
صاروا رسلًا وطلبوا أعيان الناس وانقطع الرجاء بالياس وصار الانسان يخرج من داره
فيرى أربعة من الرسل في استنظاره فيكون نهاره أغبر ويخرج وهو في أذياه يتعثر
فيقد حوافيه الزناد ولا يرى له من اعتماد وقد قال بعض الموالاة في هذا المعنى

غرمت شهرين عن أجرة مكافئ أمس * واصبحت مغموس في بحر المغارم غمس
أقسم برب الخلايق والقمر والشمس * ما طقت شهرين كيف أقدر أطيع الخمس
وقد جرى في هذه الواقعة أمور عجيبية وحكايات غريبة فمن ذلك أن بعض الرسل توجه
نحو الحسينية فأنى الى امرأة ساكنة في حوش ولم يجد عندها شيئاً من متاع الدنيا فطأها ذلك
الرسول بأجرة الحوش الذي هي ساكنة فيه فجاء عايلها من الأجرة عشرون نصفاً عن مدة
خمس أشهر فلم تجد شيئاً تعطيه للرسول فأغلظ عليها وخرج منه الحد فلما رأت منه ذلك وكان
عندها شجرة نبت في الحوش فقالت له اقطع هذه الشجرة وبعها وخذ ثمنها في نظير ما جاء على

فأحضر القطاعين وقطع تلك السدرة وجعلها ومضى وقد حصل للمرأة غاية الضرر لقطع شجرتها التي كانت تستظل تحتها في أيام الصيف وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث في دولة قايتباي وباليته صرف هذا المال في شيء عاد نفعه على الناس ولكن صرفه في غير مستحقة وراح في البطال ولم ينتفع به كما سيأتي ذكر ذلك وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا وفيه كانت مصادرة المهتار رمضان فضيق عليه السلطان حتى أخذ منه ستين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكان المهتار متحصلا في كل يوم فوق الأربعين ديناراً خارجاً عن جهانه وحمايانه وغير ذلك وكان متحد ثانياً نظراً لكسوة وغير ذلك من الجهات السلطانية ورأى من العز والعظمة ما لم يره غيره من المهاترة السلطانية وفي ربيع الآخر ثارت المماليك الجبابان على السلطان فطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التي وقعت لهم فلما رأى منهم عين الجداً أنفق عليهم على العادة كما تقدم شرح ذلك وفيه عين السلطان قرقاس أمير اخور ثانياً ليتوجه إلى دمشق بسبب جباية أم لال في دمشق عن خمسة أشهر كما وقع بمصر وعين قاصداً أيضاً إلى ثغر الاسكندرية ودمياط وكانت هذه المصيبة عامة على الناس حتى أخذ من أوقاف البيمارستان خمسة أشهر وانقطع معلوم الايتام والضعفاء في روايتهم مدة خمسة أشهر وكذلك سائر أوقاف الجوامع والمدارس والترب ووقع معلوم الصوفية والصدقات الجارية فلما توجه قرقاس المذكور إلى دمشق أظهر به من المظالم أشياء كثيرة لم يفعلها هناك في زمانه وقرقاس هذا هو الذي تولى نيابة حلب فيما بعد وقبض عليه طومانباي الدوادار لما خرج إلى الشام بسبب عصيان قصره ونائب الشام فمجن قرقاس هذا بقلعة دمشق ثم عاد إلى مصر وقد تولى الاتابكية وفي جمادى الأولى خلع السلطان على ثاني بن الجالي وقرره في امرية مجلس عوضاً عن برسباي قرا المجدى بحكم وفاته في حلب وكانت امرية مجلس شاعرة مدة طويلة وكان ثاني بن الجالي متكاملاً فيها بغيرة تقرير وفيه انتهت عمارة ابن الجيعان أبو البقاء من تجديد ما عمره في الزاوية الحمراء التي عند قناطر الازو وصارت من جملة متفرجات القاهرة وفي ذلك يقول بعض الشعراء

عجبت للجامع قد زاد حسنا * وأبدع في التزخرف والبناء
به إلا أنهم ارتجروا في جنان * وقصر شاهق لا يلبقاء

وصنع هناك جامعاً بخطبة وجاء من أحسن البناء وفيه انفصل على باي عن نيابة ثغر الاسكندرية وأتى إلى مصر معزولاً وفيه قدم أقبردى الدوادار وكان مسافراً إلى جهة نابلس فأهلك الحرث والنسل في هذه السفرة وحضر صحبتته أركاس بن ولي الدين دوادار السلطان بدمشق وقد كثرت فيه الشكاوى فاستجار بالامير أقبردى وحضر صحبتته وفيه جاءت الاخبار من بلاد الكرك بأنه ظهر به في قبيلة بني لام رجل من بني آدم ذقنه قدر غزال القمح وكان يأكل اللحم التي بعظمه وياً كل الجيف من على الكيمان وربما فترس من

بنى آدم جماعة وكان يفترس البقر والغنم وكانوا يخرجون اليه جماعة من بني لام ويرمونهم
 بالنشاب فلا يؤثر ذلك فيه ولو ضربوه بالسيف يوف وكان اذا صرخ تسقط منه الحوامل فلما
 قوى تسلطه على ذلك المكان رحل عنه بنو لام وتركوه له وقد أعيا الناس أمره وهذه
 الواقعة مشهورة بين الناس وقد وصل مطالعة الى السلطان بمعنى ذلك وفيه أرسل
 السلطان مراسيم الى نائب الشام بأن يجمع أعيان التجار بهم او مسائير الناس ويفرض
 عليهم الاموال الجزيلة كل واحد على قدر مقامه مساعدة للسلطان على خروج التجريدة كما
 فعل بعصر وكتب بمعنى ذلك مراسيم الى الاسكندرية ودمياط وأشيع بين الناس أن
 السلطان يخرج هذه المرة بنفسه وقد قويت الاشاعات بذلك وفي جادى الآخرة وقعت
 بالقااهرة زلزلة خفيفة وماجت الناس ثم سكنت بعد ان ماجت منها الارض بعد المغرب
 وفيه حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان صحبة مامى الخصاصكى الذى
 توجه قبل تاريخه الى ابن عثمان وكان هذا القاصد الذى حضر من أجل قضاء ابن عثمان
 وكان متوايما للقضاء بمدينة بروسه وهو شخص من أهل العلم يقال له الشيخ على چلبى فلما صعد
 الى القاعة أكرمه السلطان وبالغ في تعظيمه جدا وأحضر على يديه مفاتيح القلاع التى كان
 ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان وأشيع أمر الصلح فنزل القاصد فى مكان
 عدله وهو فى غاية الاكرام ثم ان السلطان أطلق اسكندر بن ميخال الذى كان أسروا حين
 كما تقدم وأقام مدة طويلة فلما أطلقه السلطان أحسن اليه وكساه وكذلك أطلق الاسراء
 الذين كانوا أسوريين من عسكر ابن عثمان وكساهم وأحسن اليهم وتوجهوا الى بلادهم
 صحبة القاصد لما سافروا هذما كان من ملخص أمر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان
 وفيه أمر السلطان بضرب أبى يزيد الصغير أحد اليجمقدارية وكان من خواصه ولكن
 ضربه لا أمر أو جب ذلك وأبو يزيد هذا هو الذى صار رأس نوبة ثانى فيما بعد وقبض عليه
 العادل طومان باى وحبسه بقلعة دمشق لما توجه الى هناك وتسلطن وفيه كسفت الشمس
 كسوفاتاما ودامت في الكسوف نحو اثنى عشر يوما من ثلاثين درجة وعادت الزلزلة التى كانت
 بالامس وكانت خفيفة جدا وفي رجب طلع القضاء الاربعة للتهنئة بالشهر وحضر قاصد
 ابن عثمان فعرض السلطان فى ذلك اليوم كسوة الكعبة ومقام ابراهيم عليه السلام وزف
 معهم المحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفيه توفي بركات الصالحى وكيل بيت المال
 وكان من أعيان الموقعين وهو بركات محمد بن محمد بن أبى بكر القاهرى الشافعى الصالحى
 وكان غير محمود الميرة فى أفعاله كثيرا ظلم والعسف ومولده سنة احدى وثمانمائة
 وكان اعتراه آكلة فى رجله فاستمر بها الى أن مات وفيه يقول بعض الشعراء مداعبة لطيفة
 بركات زاد الظلم فى أيامه * وعلى الورى قد جار فى نو كيله
 ورجله كان الهلاك بعاهة * فشى الى نار الجحيم بركله

وهو الذي كان سبباً لا يقف جماعة قاضي القضاة زين الدين زكريا الشافعي واستمر
الشيخ برهان الدين القلقشندي في التوكل به حتى مات بركات الصالحى فأفرج عنه بعد
أن غرم أموالها صورة وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذي أنشأ بالروضة وجاء
في غاية الحسن وكان البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين يصنع في كل ليلة رابع عشر
الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونهم البدرية وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من
الخيام ما لا يحصى وتجتمع المراكب هناك حتى تسد البحر ويجتمع الجمل الغفير من العالم
ويوقد بالجامع وقدة عظيمة ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة
لم يسمع بمثلهما فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل هذا الأمر وفيه أشيع بين
الناس أن الشيخ جلال الدين الأسى يوطى أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل الروضة لأن
الاجماع منعه على منع البناء في شواطئ الأنهار الجارية وأما ذلك يجوز في مذهب
الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه ورجحه فباطل وليس له صحة في كتب الشافعية قاطبة
وفيه خرج جان بلاط بن يشبك قاصداً من عند السلطان الى ابن عثمان تخرج في تجمل زائد
وموكب حافل وجان بلاط هذا هو الذي تولى السلطنة فيما بعد بعشر سنين وفي شعبان قرر
السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحرقى حجوة ليلة الحجاب بطرا بلس وتطرح جيشها
وغير ذلك من الوظائف فيها وفيه ظهرت أعجوبة وهو أنه ولد مولود لسته أشهر فلما نظر واليه
وجدوا في وجهه لحية وعلى فمه شارب وقد دارت لحية في وجهه وفي فمه أسنان مفلمجة وكان
عليه بشاعة فعاش ثلاثة أيام ومات وفي رمضان خلع السلطان على يشبك بن حيدر
الذى كان والى القاهرة وصار متقدماً ألف وقرره في نيابة صفة عوضا عن اينال الخسيف
في مقدمة ألف بمصر فيما بعد وفيه تغير خاطر السلطان على ازدمر المسرطن أحد مقدمى
الالوف بمصر وقرره في نيابة صفة عوضا عن يلماى المؤيدى بحكم وفاته عنها وكان ازدمر
هذا من خواص السلطان وكان عنده من المقربين وكان أغات أقبردى الدوانار ثم وقع
بينه وبين السلطان في الباطن فقتله وولاه نيابة صفة عوضا عن يلماى المؤيدى بحكم وفاته
واستقر بها الى أن مات وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية في سائر البضائع حتى بيع كل
ثلاثة أرا دبق بدينار ورخص سائر الغلال جدا وفي شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل
المبارك فاخر السلطان فتح السد في ذلك اليوم وفتح في اليوم الثانى من شوال ووافق ذلك
خامس عشر من شهر القبطى فصار العيد عيدين فعند ذلك من النواذر وفي هذه الواقعة
يقول شيخنا جلال الدين الأسى يوطى هذه الايات

يوم عيد الفطر وفى * بهنـاء وسعاد
نـتم الصوم وأوفى النيل فى أحسن عاده

ياله من يوم عيـد * فيه حسنى وزيادة

وفيه خرج الحجاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل الأمير ازدهر تمساح وفي ذى القعدة
توفي تقي الدين بن نصر الله وكان رئيساً حشماً من ذوى البيوت لأباً مريه وفيه جاءت الاخبار
من حلب بوقوع فتنة كبيرة بين نائب حلب وبين جماعة من أهلها وقتل في هذه المعركة
من عماليك أزدهر نائب حلب سبعة عشر مملوكاً وقتل من أهـل حلب نحو من خمسين
إنساناً وأحرقوا جماعة من حاشية النائب بالنار وكانت حلب أن تخرب عن آخرها ولولا أن
قائصوه الغورى حاجب الحجاب بحلب قام في إخماد هذه الفتنة حتى سكنت ما كان يحصل
خير في هذه الحركة فلما سمع السلطان بذلك تنكد جداً وعين مامى الخاصكى بأن يتوجه
الى حلب ليكشف عن هذه الفتنة وأخذ في أسباب السفر الى حلب وفي ذى الحجة كان ابتداء
الفتنة بين قائصوه خمسمائة أميراً خور كبير وبين أقيردى الدوادار وقد وقع بينهم ما بسبب
توفى واستمرت الفتن تتزايد بينهما حتى كان من أمرهم ما مسند كره في موضعه وفيه جاءت
الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة كبيرة بين مملوك الشرق وأن يعقوب بن حسن الطويل
قد قتل أخاه ووقع أيضاً فتنة بين خليل الصوفى وسليمان ماجان واستمرت الفتن قائمة هناك
في جهات متعددة ووقعت أيضاً فتنة كبيرة في طرابلس الغرب وقتل شاسى بن أبى النصر
ابن رجاء الخير قائد طرابلس وكان من خيار أعيان بلاد الغرب

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم كان دخول المحمل الى القاهرة ووجت
في تلك السنة زوجة أقيردى الدوادار وهي بنت العلاقى على بن خاص بك أخت خوندزوجة
السلطان قايتباى وكان طريق الحجاز في تلك السنة مخوفاً بسبب فساد العربان وفيه تغير
خاطر السلطان على محمد الدين اسمعيل الناصرى قاضى قضاة الحنفية بدمشق فلما حضر
ضرب بين يديه ضرباً مؤلماً وقيل بل ضرب بالمقارع نحو من عشرين شياً وفي صفر توفي
نور الدين على بن محمد بن عبد المؤمن البتوفى الشافعى ناظر الجوالى وكان رئيساً حشماً
لأبأس به وفيه توفي يشبك حبيب بن ططخ الظاهرى حقهق أحد الأمراء الطبلىخانات رأس
نوبة كبير وكان لأبأس به وقد جاوز السبعين سنة من العمر وفي ربيع الأول عمل السلطان
المولد النبوى على العادة وكان حافلاً وفيه قررا الناصرى محمد بن جرباش فى مشيخة المدرسة
الظاهرية التى بين القصرين وفيه توفي تاج الدين بن البليغان وهو عبد اللطيف بن
عبد الغنى بن علم الدين شاكر وكان متحدثاً فى كتابة السر وكان شاباً حسناً محمود السيرة
فى أفعاله مات وهو فى عشرين الثلاثين وفيه توفي ابوزيد قصبى الظاهرى حقهق وكان من
الأمراء العشراوات وفى ربيع الآخر تزايدت الأقوال بوقوع الطاعون حتى حكى أن شخصاً
من الأتراك رأى فى منامه ملك الموت عليه السلام فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت

الى أخذ ارواح الكثير من الناس فان الطاعون قد دخل الى مصر فقال له ذلك الجندى
فهل تقبض روحى في هـ ذا الوباء فقال له قد بقي من عمرك سبعة أيام فانتبه الجندى من
النام وهو مرعوب فلما أصبح كتب وصية ثم انه في اليوم السابع مات كما رأى فعند ذلك
من النوادر الغريبة وفيه جاءت الاخبار بان مملكة حسن بك الطويل في اضطراب وأن
ابن عثمان قد أشرف على أخذ بلاد حسن الطويل من يد أولاده فلما بلغ السلطان ذلك
قصد أن يخرج تجريدة صحبة حسين بن اعزلوبن حسن الطويل الذي كان مقيماً بالقاهرة
ثم آل الامر الى اهما لخروج التجريدة ومات حسين فيما بعد لما حج ودفن بالمدينة
الشريفة وفي جمادى الاولى قويت الاشاعات بوقوع الطاعون وزعموا ان انسـ ان رأى
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له ان الطاعون كان واقعا عليكم فشفت فيكم
عند ربى وقل للناس يصومون سبعة أيام متوالية فصار الكنعانيين من الناس يصوم سبعة
أيام متوالية فلم يقد ذلك شيئاً ووقع الطاعون بالديار المصرية وكان طاعوناً مهولاً (قلت) ولم
يقع الطاعون بمصر من سنة احدى وثمانين وثمانمائة الا في هذه السنة وقد غاب الطاعون ست
عشرة سنة لم يدخل مصر وكان هـ ذا الطاعون من الطواعين المشهورة بموجب ابطائه هذه
المدة وهو الطاعون الثالث الذى وقع في دولة الاشرف قايتباى وكان مبدءاً هذا الطاعون
من حلب وكان في مدة انقطاعه عن مصر كثرت بها الزنا واللاواط وشرب الخمر وأكل الربا
وجور المماليك في حق الناس وقدر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من قوم
يظهروا فيهم الزنا إلا أخذ ذواب الفناء قال العلامة شهاب الدين بن حجر والحكمة في ذلك أن الزنا
حده ازهاق الروح في المحصن فاذا لم يقم فيه الحد يسلط الله عليهمـم الجن فيقتلونهم ولما
كان الزنا يقع من بنى آدم سرا سـ لمط الله عليهم الجن يقتلونهمـم سرا من حيث لا يرونهمـم
وقاءـدة العذاب انه اذا نزل يوم المستحق له وغيره والرجة لا تكون الا مخصوصة ثم يوم
القيامة يعنون على قدر نياتهمـم وقال ابن مسعود رضى الله عنه اذا بخش الميكال حبس
القطر واذا كثرت الزنا وقع الطاعون واذا كثرت الكذب وقع الهرج وفي جمادى الآخرة هجم
الطاعون بالقاهرة وفشا بـجـلة واحدة وقتك في الناس فتكا ذريعاً وكانت قوة عمله في
الممالك والعبيد والجواري والاطفال والغرباء ووقع في هـ ذا الطاعون أمور غريبة
وحكايات عجيبـة منها ان الكثير يبعث كل رطل باشرقيين ولا توجد وبيعت الواحدة
منها باثنى عشر نصفاً ومنها ان اسنانا كان معه خمسة أولاد قطعن الخمسة في يوم واحد
وما نوا في يوم واحد ومن العجائب أن جماعة كثيرة فروا من الطاعون لما دخل
الى مصر فتوجهوا الى أماكن عديدة فلما ارتفع الطاعون عادوا الى مصر ولم يفقد منهم
ولاً من أولادهمـم أحد فسبحان القادر على كل شئ ولما كثرت الموت عز وجود البعلبكى

وأضر ذلك بحال الناس وكفنوا موتاهم في الخمام والمحم وغير ذلك وفيه توفي برسباي
الحازندار أحد خواص السلطان والمتكلم على أوقافه وكان شابارئيسا حشما لابأس به
وفيه توفي مغلباى الشريقى ابن الطويل وكان لابأس به وهو أحد مقدمى الألوف وأصله من
ممالك الاشرف قايتباى وفيه توفي جانم بن مصطفى الذى كان نائب قلعة حاب ثم بقى
مقدم ألف بمصر وفيه توفي قيت الساقى أحد العشراوات ووالى القاهرة وكان لابأس به
وفيه توفي مغلباى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وأصله من ممالك قايتباى وفيه
توفيت بنت أريك الأمير الكبير زوجة الأمير قانصوه خمسة عشر سنة أمير خور كبير وكانت شابة
جميلة وفيه توفيت أختها بعدها بأيام وكانت بكرا وفيه توفي نامق المؤيدى أحد الامراء
العشراوات وكان لابأس به وفي رجب توفيت بنت السلطان قايتباى وكانت تسمى ست
الجزا كسة وكانت شابة جميلة مستحقة للزواج وكانت من سرينه فماتت هى وأمها فى
يوم واحد وأخرجت قدام نعلها بنتها وكانت جنابة بنت السلطان حافلة وأخرجت فى
بشخان زركش وقدمها كفارة وكان يومها مشهودا وفيه أنعم السلطان على مملوكه
جان بلاط بن يشبك بتقدمة ألف وبعث اليه بالياب وجان بلاط هذا هو الذى تسلط فيما
بعد وأنعم أيضا على مملوكه شاد بك بن مصطفى الخوخ الدوادار الثانى بتقدمة ألف ثم
حضر جانم المعروف بالمصبغة من الشام الى مصر فأكرم عليه السلطان بتقدمة ألف بمصر
وأنعم على كرتباى قريبه بتقدمة ألف وقرر ما مالى الخاصكى فى الدوادارية الثانية عوضا عن
شاد بك الخوخ بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر قيت الرحبى فى ولاية القاهرة عوضا عن قيت
الساقى بحكم وفاته بالطاعون وفيه كانت وفاة الشاب الفاضل على باى بن برقوق نائب الشام
وكان شابارئيسا حشما دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان له نظم جيد ومولده سنة ست
وستين وثمانمائة ومن شعره الرقيق قوله

عود خيار شنب * قد جاءنا بالعجب

أزهاره أبدت لنا * شامرا من ذهب

ومما مدحه به المنصورى قوله

محياء على باى بن برقوق مشرق * كطرة وسنى ليس بينهم فرق

فان يك سباقا الى الفضل والندى * فلا تعجبوا منه فوالده برقوق

ومن النكت اللطيفة قيل وقع بين الشهاب أحمد ابن الشيخ على المقرئ وبين سيدى على
باى هذابض وحشة فسطا على سيدى على باى وسماه زلاية مضافا الى اسم شخص من
الأتراك كان مضحكا تعبت به الناس ويقولون له زلاية فيرجههم فلما أشيع ذلك بين
الناس أخذ بعض شعراء العصر هذا المعنى وعمل فى ذلك مداعبة وقال

قد شبهوه بمن يدعى زلاية * وصح تشبيههم والاب برقوق
لكنهم قاتهم في الوزنسبته * فان لاسم أبيه نصفه فوق

وفيه توفي حكم كاشف منف وشاد بك كاشف قلوب ومن الخشقدمية جماعة كثيرة
منهم فان بردى الطريف وكسباى المجدى واقباى الطويل وقانصوه قر واينال الاشقر
وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليك السلطان والامراء ومات من العبيد والحوارى
والاطفال والغرباء ما لا يحصى عددهم وفي أواخر الشهر المذكور تناقص أمر
الطاعون وخف بالنسبة لما كان عليه بعد ما جرف الناس جرفا وأخلى الدور من أهالها
وقيل أحصى من مات في هذا الطاعون بمصر وورد اسمه لديوان المواريث خارجا
عن الغرباء ومن لم يرد اسمه الى الديوان فكانوا زيادة عن مائتي ألف فن ذلك بنات بكرائنا
عشر ألف بنت من مصر والقاهرة والضواحي وقد قال القائل في المعنى

زالت بحاسن مصرفي * عيني من هم ودهش

كادت بنوعش بها * أن يلحقوا بينات نعش

وقال الشيخ بدر الدين الزيتوني العوفي هذا الرجل يرثي به أهل مصر لما وقع الطاعون به وهو

وحد ومن قد حكم بالموت * ونفذ حكمه بما يختار

واحتجب عن العيون سبحانه * جل من لا تدركو الابصار

بالمات رب البشر لما * قد حكم في الكاينات باجمع

اختفوا في ذا الوجود وانحوا * مالهم من ذا القضاء مدفع

جاأخذ منهم ملاح كانوا * شبهه أقمار البدور طلع

فاندبوا يا أهل الحمى وابكوا * واجعلوا دمعة العيون مدرار

واحنوا على الذين ماتوا * واختفوا عن أعين النظر

كنت أجدا أقارب بدور طلع * وشمس تشرق على الاطلال

حنهم سما وقد كانوا * في هنا بالهواء وكثر المال

جال المات سرعه وعاندهم * اختفوا حين عاينوا الالهوال

وبقوا تحت الثرى غياب * بعد ما كانوا يروا أجهار

يا أسقف قلبي وطول حزني * عني قد غابت شمس واقار

حين أتى كأس المات للناس * وبقي ما بينهم دابر

وسقاهم في المقام شربه * حتى صار في سرهم ساير

أصحبوا في حضرة غياب * بعدما كان كل أحد حاضر

سكروا في حضرة الساقى * لما كاس الموت عليهم دار

ويقواند مانوق — دغا بوا * من شراب ماهو خـ ر خـ
 ركب الطاعون وقد طلب * وحـ ل في عـ كـ را ل اطفال
 كـم جرح قلوب وكم أفتى * من جوع لما عليهم — م مال
 كم ترك مطعون بـ قـ مطروح * كم كسر شجعان وكم أبطال
 كم رأيت مقتول بذى الوقعه * بعد كسر وما يجد اجبار
 والقضا فـ ر ق جوع الناس * كن كان في ايدى القضا ابتار
 كم رأيت مـ دـوع بسم الموت * قـ د لسع ولا يجد ترياق
 كم رأيت منصاب من افعالو * جت اليه آفة بلا تنساق
 كم رأيت نـ كـ لى وهى حيه * شعرها ناشر من الاشواق
 كم رأيت فارس بـ قـ قى ملقى * بعد ما كان فى الوجود سيار
 كم رأيت من دار خلاها الموت * ماترك فيها — ا ولا ديار
 يافه — يم انظر لى الدنيا * كيف بقت تحكى لنا بستان
 والبشرق — د أصحوافها * كلهم — م أعمار على الاغصان
 ومليك الموت بأمر الله * قد بقى فيها شبيهه جنان
 كلما انتهى الى واحد * وبلغ حـ د والى المقـ دار
 جا اليه بأمر الذى أنشاه * قطعوا من بين دى الاثمار
 نـ ألك يارب يارحمن * يا الله يا أول ويا آخر
 يا لطيف بالخلق يا حافظ * يا علميم بالذنب يا غافر
 يا بصير يا فرد يا واحد * يا سميع يا حـ ق يا قادر
 ارفع الطاعون بجاه احد * الممجد صاحب الانوار
 وانزل الرجـه ومتعنا * بالرضا والعفو يا سـ ستار
 وانا العـ وفى ولى أزجال * من نظام تحكى عقود جـ وهر
 كلما كـ ررتها تحـ لو * ما أحسن السكر اذا تكرر
 فاسـه الى ما أقول واصـغوا * يا جميع من حل دالمحضر
 وحدوا من قد حكم بالموت * ونقـ ذـ حكمه بما يختار
 واحتجب عن العيون سبحان * جل من لا تدركوا الابصار

وفي شعبان ارتفع الطاعون عن مصر والقاهرة بجله واحدة ومشى نحو بلاد الصعيد
 وفيه توفى الشيخ شمس الدين الحصانى محمد بن أبى بكر بن محمد القاهرى الشافعى الكاتب
 المجيد وكان عالما فاضـ لا عارفا بالقراآت السبع وكان امام جامع ابن طولون وكان خيرا

دينا لابس به ومولده سنة عشر وثمانماية وفيه توفي محمد الجمي الذي كان مقبلا بجامع
 كراي وكان من أولياء الله تعالى مشهورا بالصلاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان
 الفنس صاحب قشتيلة الفرنجي قد ملك غرناطة التي هي دار مملكة الاندلس وكانت
 هذه الواقعة من أعظم الوقائع المهيولة في الاسلام وفي رمضان قرروا ناصر الدين محمد الصفدي
 في وكالة بيت المال وحصل منه الظلم والعسف في الناس وفيه ثارت فتنة بين المماليك
 الجلبان بسبب تفرقة الاقاطيع التي توفرت عن المماليك الذين ماتوا بالطاعون وفي شوال
 خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تاني بك الجمالي أمير مجلس وبالأول كرتباي
 قريب السلطان وفيه تغير خاطر السلطان على صاحب قاسم فعزله وكان يومئذ ناظر
 الدولة فلما صرف عنها قرر بها عبد القادر الطويل عوضا عن قاسم شغيبته وفي ذي القعدة
 ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع المتوفرة عن مات بالطاعون في السنة المذكورة فصار
 يفرق أقطاع كل من توفي من الطباق لاهل طبقة ولا يخرج من ذلك شيئا غير أهل طبقة
 وكانت أغوات الاطباق والمماليك الجلبان يتراصون مع بعضهم بالنوبة ويحضروا
 ويعرضوا ذلك على السلطان فينعم لهم بذلك فمنهم من يكون طبقة فيها اقطاعات كثيرة متوفرة
 ومنهم من يكون فيها شيء قليل فتأخر من المماليك الجلبان بجاعة بلا أقطاع وذلك الى
 آخر خرج المماليك في السنة المذكورة سنة سبع فعرضهم السلطان فيما بعد وأخرج لهم
 أقطاع كانت متوفرة في الذخيرة ففرقها على المماليك الذين لم يخصهم شيء من الاقطاعات
 المتوفرة من الطاعون وصار الديوان يستدعيهم باسمائهم والسلطان يعطيهم ويكنى
 حتى لم يبق من جلبان قايتباي أحد بلا اقطاع الا الذين استجدوا من بعد الفصل وكانت
 الاقطاعات التي فرقت أكثرها ثلاثون ألفا وأقلها خمسة عشر ألف درهم والاقطاعات التي
 توفرت من جاعة المماليك الاينالية فرقها على خشداشينهم الاينالية فوق اقطاعاتهم والتي
 توفرت من الخشقدمية أعطاها الخشداشينهم من الخشقدمية وأعطى لبعض خشداشينه
 وبعض أولاد الناس ممن كان منزلا بالديوان وهو بالطبقة اقطاعات خفيفة واستمرت تفرقة
 الاقطاعات مدة ثلاثة أشهر وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الميدان الناصري وكان أربك
 أمير كبير شادا على العمارة حتى انتهى منه العمل وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل أربك أمير
 كبير وفتح السد على العادة وفيه اختفى تغري بردي الاستادار وقد تغير خاطر السلطان عليه
 فلما طال اختفاؤه خلع السلطان على الأمير أقبردي الدوادار وقرره في الاستادارية عوضا
 عن المذكور مضافا لما يده وفيه فرق السلطان على جميع العسكر من القرائصة
 والجلبان وأعطى لكل واحد منهم مفرسا وديعة من موجود الذين ماتوا بالطاعون
 وذلك لاجل كثرة الخيول وقلة الغلمان لخدمتها وفي ذي الحجة جاءت الاخبار من مكة

المشرفة ب وفاة الخواجا شمس الدين بن الزمن وكان من مشاهير التجار في سعة من المال وله بر
ومعروف وهو صاحب المدرسة التي بينو لاق عند الرصيف وكان ديناخيرا وكان لاباس به
وفيه توفي شيخ جبل نابلس يونس بن اسماعيل وتوفي يوسف بن بربك العجبي وكان شابا
حسنا لاباس به وتوفي علي بن الحجمة الذي كان مقيما بمصر واختن مع ابن السلطان
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم لم يحضر مبشر الحاج وصار الناس
في قلق بسبب ذلك وكان المبشر في السنة المذكورة ثاني بك الالبح أحد المماليك السلطانية
فاعرضه بعض العربان في أثناء الطريق وأعاقوه عندهم أياما وفيه توفي برهان الدين بن
النهجمان المحدث وكان انسانا حسنا لاباس به وفيه جاءت الاخبار من تغردمياط بأنه نزل
برد تحت الليل فكان قدر كل بردة مثل بيضة النعام ونزل بها بردة كبيرة فكانت زنتها خمسة
وسبعين رطلا بالمصري فقتل بسبب ذلك بها ثم وطير وغيّر ذلك وكان أمرا مهولا وفي صفر
خرج الامير اقبردى الدوادار الى جهة نابلس وخرجت تجريدة الى جهة البحيرة وكان الباش
عليها الامير أربك اليوسفي رأس نوبة النوب وعدة وافرة من الامراء العشر اوات والجنود
وفيه عاد الطاعون الى القاهرة ثانيا لكنه كان خفيفا بالنسبة لما قبل ذلك ومات به جماعة
من المماليك والاطفال ومن كان فتر قبل دخول الطاعون من القاهرة في السنة الماضية
وفيه أنعم السلطان على مملوكه قاني باي قرا الرماح بامرية عشرة ثم بعد ذلك بعدة يسيرة قرره
في نيابة صهيون وقد سعى في ذلك بمال له صورة وقاني باي هذا هو الذي بقى اميرا خور كبير فيما
بعد وفي ربيع الاول أنعم السلطان على مملوكه كسباي الشريف بامرية عشرة وفيه عمل
السلطان المولود النبوي وكان حافلا على العادة وحضر القضاة الاربعة والامراء وفي ربيع
الآخر عين قانصوه خسمائة اميرا خور كبير في امرية الحاج بركب المحمل وعين الناصري
محمد بن أربك امير كبير بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بانه في ليلة
تاسع عشر صفر سقطت صاعقة عظيمة في المسجد الشريف فاحرقت منه جانباً وتساقطت
في ثلاث الليلة عدة صواعق خارج المدينة الشريفة فلما بلغ السلطان ذلك أمر بإصلاح
ما فسد من المسجد الشريف وفي جمادى الاولى توفي بركات بن الطريف المقرئ وكان
علامة في قراآت الرياسة بالحق وفيه توفي الناصري محمد بن بربك وهو سبط الاشرف
اينال وكان رئيسا حثما من أعيان أولاد الناس وكان مفرطاً في السمن جدا وكان
لاباس به وفيه توفي الخواجا عمر بن غازي وكان رئيسا حثما في سعة من المال وكان
لاباس به وفي جمادى الآخرة خسف بجرم القبر جميعه وفيه توفي الشهابي أحمد بن
برقوق نائب الشام وهو أخو سيدي علي باي بن نائب الشام فكان بينه وبين موت أخيه
دون السنة وكان شابا حسنا جميلا لم يبلغ بعد وفي رجب ثار جماعة من المماليك

الجلبان على السلطان ووقفوا بالرميلة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وآل الامر الى
طالب نفقة من السلطان فشى بعض الامراء بينهم وبين السلطان في ذلك فوعدهم بالنفقة
بعد مضي شهر فسكن الحال قليلا ولكن استمرت الدكاكين مغلقة وكذلك الاسواق حتى
نودي لهم بعد أيام بالامان والاطمئنان وفيه وصل قاصد من عند رستم بن قراملك صاحب
العراقين وكان ملك العراقين بعداً موريطول شرحها وفيه توفي القاضي نور الدين علي بن
قاسم أحد نواب الحكم الشريف المالكي وكان عالماً فاضلاً بأس به وفيه توفي صندل
الحبشي نائب المقدم وفيه توفي برسباي أمير جندار وكان قد طعن في السن وفي شعبان
توفي شاد بك الاشقر المجدى الظاهري حقهق أحد الامراء العشر اوات ونائب نغردمياط
وشاد الحجز وكان لأس به وفيه عين السلطان قانصوه المجدى المعروف بالبرجي أحد الامراء
العشر اوات بان يتوجه قاصداً من السلطان الى ملك الشرق رستم أحد أولاد حسن الطويل
متولى العراقين وقد جرى بينه وبين اخوته ما لا خير فيه حتى توفي بعد أمور وقعت له فخرج
قانصوه المذكور بعد أيام في تجمل زائد وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان أهلها قد رجوا
النائب قانصوه الحيواوي وقد ثارت بدمشق فتنة كبيرة وفي رمضان نودي بالصوم بعد ضحوة
النهار وقد ثبت الهلال بعد طلوع الشمس بثلاثين درجة وقد أكل غالب الناس في ذلك اليوم
ولاسيما العوام فثقل عليهم الامساك في ذلك اليوم بعد الافطار وفيه جاءت الاخبار من دمشق
ب وفاة سودون الطويل الاي الى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لأس به وفيه كان
نحتم البخاري بالقلعة نخلع على القضاة ومشايخ العلم وقررت الصرر على الفقهاء ووقع في ذلك
اليوم بحث بين البرهان الدميري أحد نواب المالكية وبين بعض الطلبة فانكروا على البرهان
الدميري بما أجاب به في المسئلة وكان الختم حافلاً جداً وفي شوال كان وفاء النيل المبارك
ووافق ذلك ثاني عشر مسرى القبطي وتوجهه أربك أمير كبير وفتح السد على العادة وفيه
خرج الامير قانصوه خسمائة بركب المحمل والناصرى محمد بن أربك أمير كبير بالركب الاول
فكان لهم ما بالقاهرة يوم مشهود وطلب الامير قانصوه ذلك الطلب الذي تقدم ذكره في
التجريدة ومن غريب الاتفاق أن النيل أوفى وغالب الناس في بركة الحاج مشغولين بالحجاج
فلما بلغ أربك وفاء النيل حضر تحت الليل حتى فتح السد وعاد وفي ذي القعدة جاءت الاخبار
ب وفاة الشيخ المحدث الواعظ برهان الدين ابراهيم بن الحموي رحمه الله ورضي عنه مات بطريق
الحجاز قبل وصوله الى العقبة ودفن هناك وكان عالماً فاضلاً محدثاً بارعاً في الحديث وكان ديناً
خيراً من أهل الصلاح ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه خلع السلطان على داود بن سليمان
من أولاد ابن عمر أمير عربان هواره وقرره في امرية الوجه القبلي ببلاد الصعيد وفي ذي الحجة
توفي ابن العبيسي ناظر الاحباس وهو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد العبيسي الشافعي

وكان رئيسا حشما محمود السيرة لا بأس به وتوفي السيد محمد الشريف القادري أخو زين العابدين وكان لا بأس به

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم صعد القضاء إلى القلعة للتهنئة بالعام الجديد وصعد أيضا الشيخ جلال الدين السيوطي فلما جلس سأله السلطان عن أي سنة سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشئ مع غزارة علمه وقوة اطلاعه وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة الفقهاء ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف في هذه المسئلة بأنه قد بذل الأذان فانه سنة ولم يفعلها والاصح أنه أذن في وقت وورد في ذلك حديث وعمل في هذه المسئلة كراسا مطولا وذكر فيه أشياء كثيرة مما سنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها وفيه أنتم السلطان على جماعة من مماليكهم بأمريات عشرة منهم ماماي جوشن ومصرياي وأخو مغلباي وبرسباي العلائي واسنباي الاصم وآخرون وفيه وصل الحجاج ولم يشعروا على قانصوه جيللا ولا حدث سيرته في هذه السفارة وحكوا عنه أمورا غير صالحة فانه رعى الناس وأخذ جملتهم وترك جماعة منهم بالينبع حتى أتوا من البحر الملح فيما بعد وشال له الحجاج راية سوداء وهم داخلون البركة ومالاق الحجاج في السنة المذكورة خيرا وكانت سنة صعبة على الناس من الغلاء وموت الجمل واستمر قانصوه خمسمائة في عكس ولم يتجح أمره من بعد ذلك حتى كان من أمره ما سنده ذكره وفيه توفي الشيخ جمال الدين يوسف بن چاهين الكركي سبط الخافض ابن حجر القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا محمدا رئيسا حشما لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن العربان تغلبوا على الكرك والشوبك وحصل هناك فتن مهولة وفي صفر نزل ابن السلطان من القلعة في موكب حافل وتوجه إلى داره التي أنشأها له السلطان على بركة الفيل فأقام بها ساعة ثم عاد إلى القلعة وهذا أول ظهوره للناس ونزوله إلى المدينة وكان معه اقبردى الدوادار والجم الغفير من الجنود وكان نزوله سببا لانفلاق على الجند الكل واحد منهم خسون دینار وسموهانفقة نزول ابن السلطان وكان قاصدا بن عثمان حاضر الكي يشاع ذلك بحضوره وفيه جاءت الاخبار بوفاة ازدرم المسرطن نائب صفد الطاهري بجمهق وكان من أعيان الامراء جليلا سليم الفطرة ومات وهو في عشر السنتين وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة ازدرم نائب حلب قريب السلطان وكان انسانا حسنا لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة حلب وامرية مجلس عصر وغير ذلك من الوظائف والنيابات ومات وهو في عشر السنتين وكان في أوائل عمره في قلعة وخول وأقام على ذلك دهرًا طويلا فلما تسلطن السلطان قايتباي ظهر أنه من قرابته فجاءت اليه السعادة بغتة فأقام فيها مدة ومات وكان أصله من مماليك الطاهر بجمهق وهو ازدرم بن مزید ثم

بعد موته أرسل السلطان خلعة إلى أيناك السلحدار نائب طرابلس ونقله إلى نيابة حلب
عوضاً عن قريبه أزد مر بجكم وفاته وكان أيناك هذا أول نيابة صفد أيضاً بعد أزد مر
المسرطن وقتل في واقعة أقبردى الدوادار لما سافر إلى حلب وفي ربيع الأول توفيت خوند بنج
زوجة الأمير أربك اليوسفي رأس نوبة كبير وكانت زوجة تيم المؤيدى نائب الشام
وكانت من مشاهير الخوندات وهى والددة سيدي فرج الماضى ذكر وفاته وكانت لابأس
بها وكانت تقرب لللك الظاهر بجمعة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلاً وفيه
توفي الشيخ أحمد بن زروق المغربي المالكي وكان من أهل الصلاح والدين وفيه قبض
السلطان على بدر الدين بن الأيناك كاتب جيش الشام فضر به بالمقارع بين يديه وأمر بقطع
لسانه حتى شفع فيه بعض الأمراء فوفى من ذلك ولم يكر له ذنب يوجب ذلك ولكن خرج
خلق السلطان في ذلك اليوم جداً وفي ربيع الآخر توفي القاضي تاج الدين ابن الامام وهو
محمد بن أحمد بن محمد الامام وكان أحد نواب الحكم من الحنفية وكان غير مشكور في
قضائه وعنده خفة ورهج كما قال فيه الشهاب المنصوري

قالوا علا التاج وهو قاض * فقلت يا ضيعة الحقوق

غايته أنه تويج * ملقى على مفرق الطريق

وفيه جاءت الاخبار من نغرا الاسكندرية بأنه سقط به أثيل حتى عم الاسطحة والشوارع
مثل ثلج الشام فعند ذلك من النوادر وفيه عين السلطان أزد مر تمساح أمير حاج ركب
الحمل وعين الناصري محمد بن العلائى على بن خاص بك أمير الركب الاقل وعين يشبك
الاشقر باشا المجاورين بمكة المشرفة وفيه عين السلطان الامير ماماي بن خداداد وادار
الثاني بأن توجه رسولاً إلى ابن عثمان وقد توجه قبل ذلك مرة أو مرتين وهذا آخر قصاص
السلطان إلى ابن عثمان فشرع ماماي في عمل برق عظيم وصنع له در كبيركة الرطلى في
زمن الشتاء وصار يوقد في كل ليلة هناك وقدة حافلة وهرعت الناس إلى هناك بسبب
الفرجة وعمل الجسر وسكن به الناس أياماً في قلب الشتاء حتى عند ذلك من النوادر وكان
يعمل هناك في كل ليلة خيال ظل ومغاني عرب أو ابن رحاب المغني أو جوق المحيطين وكانت
ليالى مشهودة في القصف والفرجة حتى خرج الناس في ذلك عن الحد وأقاموا على ذلك
ثحوامن عشرين يوماً ثم سافر الامير ماماي وخرج في تجمل زائد وموكب حافل فتوجه إلى
بلاد ابن عثمان وفيه تغير خاطر السلطان على فيروز الطواشي الزمام وأمر بسجنه فسجن
في البرج الذي بالقلعة أياماً حتى شفع فيه وأطلق وسبب ذلك ان شهاب الدين الكنجي
رافع فيه عند السلطان فتغيظ عليه وفي جمادى الاولى أمر السلطان بتجديد عمارة باب
القرافة فعمره وأنشأ هناك الربوع والسبل وجاء من أحسن البناء ثم بعد مدة يسيرة أنشأ

جامعا بخطبة خارج باب القرافة فعمره فجاء في غاية الحسن وحصل به النفع للناس وفيه
 قرر بذلك الطويل في دوا دارية السلاطان بدمشق وقرر برسبای الصغیر في الجویية
 الثانية وفيه توفي القاضي محي الدين بن مظفر وهو عبد القادر بن محمد بن أحمد بن علي بن
 مظفر أحد نواب الحكم الشافعي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما محمودا السيرة في قضائه وكان
 لا بأس به وفيه توفي الشيخ الصالح سيدي علي الجبرقي وكان مقيما بالجامع الأزهر مات
 فجأة وهو بالحمام وكان رجلا مباركا وفي جنادي الآخرة كان الحريق المهول بالقلعة في
 حواصل السلطان التي عند قاعة البحرة وكان فيها خيام كثيرة فاحترق غالبها ولعبت فيها النار
 ولم يسلم منها شيء سوى خيمة المولد الشريف فقط فبقومت الخيام التي احترقت فكانت نحو
 من مائتي ألف دينار وقيل بل أكثر من ذلك ولم يعلم سبب وقوع النار هناك فقام السلطان
 بنفسه وبقى يطفي الحريق مع المماليك فأقامت النار تمل هناك ثلاثة أيام فلما طلع النهار
 صعد الامراء الى القلعة وصاروا يسلمون على السلطان بسبب ذلك الحريق وقد تأثر
 السلطان لذلك وشق عليه حرق تلك الخيام وشرع كل من طلع اليه من الامراء يشكوه
 بانه لم يبق عنده من الخيام شيء فصارت الامراء كل من كان عنده شيء من الخيام الجدد يقدمه
 للسلطان ففعل ذلك الكثير من الامراء والمباشرين ثم أشيع بعد ذلك أن النار كانت من
 مطبخ بيت الخليفة وكان الخليفة ساكنا بالقلعة داخل الحوش بجوار قاعة البحرة فعند ذلك
 رسم السلطان للخليفة بان ينزل من القلعة ويسكن بالمدينة وما حصل للخليفة خير
 بسبب ذلك ونزل هو وعياله من القلعة وسكن بالقاعة التي بطريق السيدة نفيسة رضي الله
 عنها ورجعها وكانت اشاعة النار بأنهم من مطبخ الخليفة باطلة ليس لها صحة وانما ذلك كلام
 الاعداء في حق الخليفة وفيه خسف جرم القمر خسوفاتاما حتى أظلمت الدنيا وأقام في
 الخسوف نحو من ثلاثين درجة وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بانه وقع الغلاء
 المهول حتى مات من أهلها نحو من ألفين وخمسمائة انسان من شدة الجوع وأكلوا
 الجيف والميتات وفيه أمر أربك الأمير الكبير بتجديد عمارة المدرسة المنصورية التي
 بدهايز البيمارستان وعمل على الفسقية التي بها قبة وجدديهم امنبراً وأقام بها خطبة ولم يعهد
 قبل ذلك أن أحدا من الاتابكية قبله أقام بها خطبة فعند ذلك من النوادر ولقد رام الاتابكي
 اعتمس الجباسي في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة أن يفعل ذلك
 فتعذر عليه ذلك وأفتاد بعض العلماء بأنه لا يجوز له ذلك وان فيه مخالفة لشرط الواقع
 فرجع عن ذلك فلما تولى الاتابكية قرازا الشمسي بعد أربك أبطل الخطبة منها فلما قتل قرازا
 وأعيد أربك الى الاتابكية ثانيا أعاد بها الخطبة واستمرت الى الآن وفيه ثارت ريح منجعة
 حتى ارتاع الناس منها فلما أصبح الناس اجتاز بعض الناس بالكيمان التي خلف الجحرة

فراى فى الارض أنز قدم انسان فمكان طوله فوق الذراع وقد أثر ذلك فى التراب خلف
 المجرأة فاشيع ذلك بين الناس ولا يعلم ما سبب ذلك وفى رجب كانت وفاة الشيخ صلاح
 الدين الطرابلسى وهو محمد بن محمد بن يوسف الحنفى وكان عالما فاضلا مفتيا بارعا فى
 مذهبه وتولى عدة مدارس ثم تولى مشيخة المدرسة الاشرفية التى تجامع سوق الوراقين ومات
 وهو فى عشرين سنين وكان لا بأس به وفيه قدم شخص من ماردى يقال له نورعلى وقد فر
 من رستم صاحب العراقى للذنب أوجب ذلك فانتمى الى سلطان مصر فلما حضر أكرمه
 السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر مدة طويلة حتى توفى الاشرف قايتباى ففر الى
 بلاده وفيه توفى يشبك قرقياس الحسينى الاشرفى برسباى أحد الأمراء العشر اوات
 وكان لا بأس به وفى شعبان أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية لبرهان الدين الكركى الامام
 عوضا عن صلاح الطرابلسى بحكم وقائه وفيه كانت وليمة عرس الامير جان بلاط على
 ابنة القاضي كاتب السراى من هروهى أخت البدرى كاتب السراى من هروى وكان مهتما
 حافلا وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب تونس ومدينة افريقية وهوز كريان يحيى بن
 محمد بن عثمان بن محمد بن أبى فارس الحفصى مات بالطاعون فلما توفى قرر ولده عمر فى مملكة
 افريقية عوضا عن أبيه زكريا وفى رمضان رخص سعر البطيخ العبدلى حتى يبيع كل حل
 بنصفين فضة ولولا المكس لبيع كل حل بأقل من ذلك ويبيع فى الخوانيت كل قنطار
 بنصفين فضة وفيه كانت وفاة العلاقى على بن خاص بك صهر السلطان وهو على بن خليل
 ابن حسن بن خاص بك التركى الاصل وكان رئيسا حشما دينا خيرا من أعيان أولاد الناس
 وقد كبر سنه وشاخ ومولده قبل الثلاثين والتمائة وكانت جنازته حافلة وأخرج بكفارة
 ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المؤمنين ومشت قدامه الأمراء للتربة وكان له اشتغال
 بالعلم وكان يتنظم الشعر وله شعر جيد فى ذلك قوله فى مؤذن

ومؤذن فى حسنه * أنا مغرم لأصبر

لما طلبت وصاله * أضحى على يكبر

وفيه أنعم السلطان بأمرية عشرة على جماعة من الخاصكية منهم طوغان باى الثور وتر
 القصير الذى بقى زرد كاش ثم بقى مقدم ألف وقايتباى الاشقر وآخرون وفى شوال
 كان عيد الفطر يوم الجمعة ولهج غالب الناس بزوال السلطان عن قريب وما ذاك إلا أن
 العيد كان يوم الجمعة ويخطب فى ذلك اليوم خطبتان ويدعى للسلطان فى ذلك اليوم مرتان
 فلهج الناس بأن فيه كمال سعد السلطان وهو وجه العلة فى هذه المسئلة وقد جاء فى أيام
 الاشرف قايتباى خمسة أعياد بالجمعة ولم يضره ذلك ومكث هذه المدة الطويلة ولم يؤثر فيه
 ذلك شيئا فمن ذلك كان عيد الفطر بالجمعة سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وعيد فطر بالجمعة

أيضا سنة ست وثمانين وثمانمائة وعيد نحر بالجمعة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وعيد
نحر أيضا بالجمعة سنة ست وتسعين وثمانمائة وعيد فطر أيضا سنة تسع وتسعين
وثمانمائة فهذه خمسة أعياد قدمت عليه - وهو بالجمعة وهو ثابت في مملكته لم يتزحزح
عن ملكه منذ ثلاثين سنة إلا أياما وأشهراف كان كما يقال

لا ترقب النجم في أمر تحاوله * فالتله يفعل لاجدى ولاجل
مع السعادة ما للنجم من أثر * فلا يضر لك مريح ولا زح - ل
وفيه توفى الأديب الفاضل محمد بن شاذى نجبا المجدى وكان شاعرا ماهرا وله نظم جيد فائق
في المعاني ومن شعره الرقيق قوله

ما حياقتي فمين بنى في الحشا * بيتا من الحب لو اش وشا
رشاله لحظ اذا مارنا * أنساك فيه الغنى عين الرشا
ومولده بعد النجسين والثمانمائة ومما قاله فيه الشهاب المنصورى من المديح وأجاد
أنت شاد بنعمة الشكرور * في رياض المنظوم والمنثور
وادكارى بالعنبر الرطب منه * ضائع عند طيب ذلك العبير
عجبالى مكاتب ورقى - سقى * مع أنى أحتاج للتدبير
يا ابن شاد مد صار مدحك ذكرى * قلت انى من حسنه في قصور

وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان ازدمر تمساح بالمحمل واينال الفقيه بالاول وفيه توفى تانى
بك الخازندار وكان من خواص السلطان لابأس به وفيه قرر في قضاء الحنا بلة بمكة
المشرفة الشيشى وهو قاضى قضاء الحنبلىة - الآن بمصر وفيه توفى جاني بك المجودى
الظاهرى حقه مق خشد اش السلطان وكان من الامراء العشر اوات ورأى غاية العز في أيام
السلطان قايتباى وكان لابأس به وفيه توفى الشيخ أبو الكرم المغربى وكان فاضلا في علم
الفلك ومعرفة أحواله وفي ذى القعدة توقف النبل عن الزيادة أياما حتى قلق الناس لذلك
وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على شراء القمح والشعير وغير ذلك من الغلال واستمر
النبل واقفا ورعبا نقص الذى كان زاده ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمر حتى كان الوفاء
وفي هذه الواقعة يقول الناصرى محمد بن قانصوه وهو قول ابن صادق

قلعت أصابع نيلنا * عين الذى خزن الغلال
وغدت تقول النقص كا * ن على الوفا طعنا وزال

وقال شيخنا عبد الباسط الحنفى

النبل وافي ووفى * مبشرا بالمنافع
وخازن القوت عينه * قلعت بالاصابع

وفيه كان الوفاء في آخره وحصل للناس غاية الجبر بكسره بعد أن كان قد نقص وأيس الناس من طلوعه في السنة المذكورة فتوجه أمير كبير أزبك وفتح السد على العادة وكان يوماً مشهوداً وفيه توفي عبد العظيم أحد كتاب الممالك وكان لابأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك بن حيدر نائب حياه وكان أصله من مماليك الاشرف ايتال وتولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة والامير اخورية الثانية ثم بقي مقدم ألف بمصر ثم بقي نائب حياه وكان لابأس به ومات وهو نائب حياه ودفن بها فلما مات يشبك خلع السلطان على اقبای الطويل وقرره في نيابة حياه عوضاً عن يشبك بن حيدر بحكم وفاته وفيه من الحوادث أنه وقع واقع وهو مقطوع بالجبل المقطم على جماعة من الحجارين فالتوا تحتهم ومن الممالك ثلاثة أنفار كانوا هنالك بسبب النقارة ومات تحت الواقع عدة جبال وجير كانت هناك لاجل حمل النقارة وكان وقع على حين غفلة وكان أمراً مهولاً ومن الحجائب أن شخصاً من الممالك الذين كانوا هنالك ووقع الواقع عليهم تصاب عليه شئ من الاجبار فأقام تحت الردم ثلاثة أيام فعمل له نقب وخلصوه وهو فيه الروح وعاش بعد ذلك مدة طويلة وفي ذي الحجة فتح الاتابكي أزبك سد بركة الازبكية وكان يوماً مشهوداً ثم بعد أيام صنع وقدة حافلة وحراقة نفط وعزم على ابن السلطان فنزل اليه وبات عنده في القصر المطل على البركة ومثله أسمطة حافلة وقدم له تقادم حافلة ما بين مماليك وخيول وقاش وغير ذلك ثم طلع ابن السلطان الى القلعة في اليوم الثاني وأواخر النهار ولم يشق ابن السلطان من المدينة سوى ذلك اليوم من منذ نشأ وكان مقيماً بالقلعة لم ير البحر قط وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب سمرقند وهو الملك العظيم أحمد بن أبي سعيد فلما مات تولى على سمرقند بعده أخوه محمود صاحب بلخشان وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب فرغانة من بلاد المشرق وهو عمر بن أبي سعيد وكان فيه الخير والعدل في الرعية ولما مات تولى من بعده على مدينة فرغانة أخوه أحمد

ثم دخلت سنة تسعمائة فيها في الحرم سعدت القضاة الاربعة الى القلعة للتنشئة بالعام الجديد فلما جلسوا أمر السلطان بعد قد مجلس في المدرسة الصالحية بسبب شمس الدين ابن الطواي المغربي القاضي المالكي بدمشق وكان قد حضر الى القاهرة لأمر أوجب ذلك وفيه انتهى العمل من تجديد عمارة الجامع الازهر وقد جدده الخواجه مصطفى بن محمود بن رستم الرومي وصرف عليه من ماله نحواً من خمسة عشر ألف دينار وجاء غاية في الحسن وهو على ما جدده به الآن وفيه تغير خاطر السلطان على شخص يقال له شمس الدين محمد بن عمران المقدسي وكان رفيقاً لاجد الحسيني فضرب بين يديه ضرباً مؤلماً فأطاق ذلك ومات بعد أيام قلائل وفي صفر جاءت الاخبار بوفاة يونس الاشرفي حاجب دمشق فلما

مات قررى بجوبية دمشق قانى بك نائب غزة عوضا عن يونس المذكور وفيه جاءت
الاخبار من دمشق بان الحج الشامي لما رجع الى الشام خرج عليهم في أثناء الطريق
طائفة من عربان بنى لام فاحتاطوا على الركب جميعه وسبوا الحريم ونهبوا الاموال
واسروا أمير الركب اركاس وكان أمرا مهولا فتسكد السلطان وانزعج لذلك وفيه توفى
كسباى بن أربك الساقى أحد الامراء العشر اوات وكان لابأس به وفي ربيع الاول
توفى القاضى نور الدين الصوفى الحنفى أحد نواب الحنفية وكان رئيسا حشما لابأس به
وكان من أعيان الناس وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وفيه
هجم المنسر على سوق باب اللوق وأخذ منه أشياء كثيرة من القماش والامتنعة وقتل تحت
الليل جماعة من أرباب الدرك وفيه توفى يشبك بن قصروه المعروف يشبك صاحب
وكان من الامراء العشر اوات وكان رئيسا حشما لابأس به وفي ربيع الآخر خلع
السلطان على كرتباى أخى الامير اقبردى الدوادار وقرره فى نيابة صفد وفيه توفى جاني باى
الحسنى الظاهرى حقهق أحد الامراء العشر اوات وكان لابأس به وفي جمادى الاولى قرر
عفيف الدين بن الشحنة فى قضاء الشافعية بحلب وقد سعى فى ذلك بمال له صورة وفيه قرر
مصرياى بن على باى فى نيابة قلعة حلب وفيه تعين تانى بك الجمالى فى امرية الحاج بركب
المحمل وعين كرتباى ابن أخت السلطان فى امرية الركب الاول وفي جمادى الآخرة
توفى الامير ازدمر تمساح بن يلباى الظاهرى حقهق أحد المقدمى الالوف وكان رئيسا
حشما محمود السيرة ولا سيما فى سفر الحجاز وقد سافر أمير حاج بركب المحمل عدة مرار والناس
عنه راضون والثناء عنه جيل وفيه توفى صاحب قاسم شغيته وكان من الاعيان تولى نظر
الدولة والوزارة غير ما مرة وجاء فى الوزارة على الوضع وكان كفؤا للنصب سائرا بالسداد
منقادا فى مباشرته وجرى عليه شدة كثيرة ومحن ومات وهو فى التوكل بهور بما قيل انه
كان فى الخشب حتى مات وباشردىوان الوزارة مدة طويلة وآل أمره الى أن مات شر
ميتة نقل بعض المؤرخين أن قاسم هذا كان فى مبتدا أمره نخبازا وان صلاح المكينى
اشهره فى القاهرة لما كان محتسبا ثم ان قاسم هذا صار من جملة صيارف اللعم فلما قرر شمس
الدين محمد البباوى تحشرفيه وصار من جملة المباشرين بالدولة فلما غرق البباوى تكلم فى
الوزارة هو وعبد القادر الطويل ثم ان قاسم راج أمره وترشح للوزارة حتى استقر بها
وصار من أعيان الرؤساء بمصر وباشر الوزارة أحسن مباشرة ونتج فى السداد به او قد
قيل فيه

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غدا شا كيا من لحن ألفاظه خفضا
وكم جاهل يدعى رئيس القوة * كذا الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

وفي رجب كانت وفاة القاضي شرف الدين يحيى بن البدرى حسن فانظر الاوقاف وكان رئيسا حشما لكنه أظهر للسلطان نتيجة وعادى الناس قاطبة ولا سيما الاتراك بسبب ما فرضه على البلاد لاجل الخس كما تقدم ذكر ذلك ونهب الممالك داره في بعض الركبات واستمر في عكس الى أن مات ولم يثن أحد عليه خيرا في مدة ولايته لنظر الاوقاف كما يقال
تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وفيه توفي قاضى بولاق بن قرقاس أحد نواب الخنفية واسمه عبد القادر بن أحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر الدماصى وكان يعرف بابن قرقاس وكان من أعيان الخنفية مشكورا والسيرة في قضائه وكان لا بأس به وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل عشرة أراذب قم بثلاثة دنائير حتى عد ذلك من النوادر وفيه توفي الطواشى سرور شاد الخوش وكان عنده قسوة زائدة وعسف وظلم وهو الذى أحدث بالقلعة السجن المسمى بالعرقانة من داخل الخوش وكان يحبس فيها من يختار من أصحاب الجرائم واستمر بعده الى الآن يسجن به وفيه توفي المسند عبد القادر بن الزيات المناوى وكان لا بأس به وفيه تغيظ السلطان على ولده الناصرى محمد وألبسه زنطا عتيقا وكبر خام ونزل به الى طبقة الزمام وقال لا ثغات الطبقة نوروز المجنون دعه يكنس الطبقة ويقعد على السفرة آخر الممالك وان قوى رأسه اضربه علة قوية وعامله معامل الممالك الجلبان فأقام فى الطبقة أياما حتى طلع الاتاكي أزبك وشفع فيه واستمر عنده محقوتا حتى مات وفي شعبان وصل الى القاهرة شخص حركسى وهو جلب قم وقد جاوز الستين سنة من العمر ومعه اثنتان من الاولاد وهما شباب ملاح الهيئة فذكروا أن ذلك الشيخ أخو السلطان وأنه يبيع ببلاد الفريخ وكان مقيما بها فلما حضر استسلمه السلطان وسماه قيت واستسلم أولاده وسمى أحدهما جانم والاخر جاني بك وأنزلهم بالطبقة ورتب لهم جوامك وصاروا من جملة الممالك السلطانية وفيه قدم الى القاهرة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى قاضى القضاة بها الشافعى فلما حضر جرى عليه أنسكاد وحن من السلطان وغرم مالا له صورة حتى استقر في قضاء الشافعية بدمشق على عادته وفيه توفي أحمد حزينات وكان استاذا فى فن الموسيقى وعنده فكاهة وحسن محاضرة وفيه أشيع الخبر بموت الجمجمة بن محمد بن عثمان ملك الروم بنابل من بلاد الفريخ وجرى عليه أمور يطول شرحها ومات وهو فى أسر الفريخ وقد تم سبب ذلك وفيه غرقت معتية بساحل بولاق فمات بها كثير من الناس من رجال ونساء وأطفال وبهائم وفي رمضان توعك السلطان فى جسده حتى أربف بموته ونسب قاتله وخمسائة فى مدة توعك السلطان الى أنه تقم على السلطنة فنع من الدخول على السلطان فى مدة انقطاعه ثم ان السلطان حصل له الشفاء ونودى فى القاهرة

بالزينة واستمرت الزينة أياما في شهر رمضان حتى تعطلت الناس عن البيع والشراء
وفيه أقيمت الخطبة بالجامع الذي أنشأه الأمير أربك اليوسفي رأس نوبة كبير بدرب البابا
وفيه توفي تغرى برمش الاينالي أحد الامراء العشراوات وكان لابأس به وفي شوال
ليلة عيد الفطر خرج الأمير قانصوه خسمائة مسافرا الى بعض بلاده ولم يحضر موكب
العيد فكثرت القتل والتفيل في ذلك اليوم وكان سفره برأى السلطان فلما كان يوم العيد
نارت فتنة من المماليك الجلبان وركب الكثير منهم في ذلك اليوم وتوجهوا الى دار قانصوه
خسمائة ونهبوا ما فيها وأحرقوا بعض أمانهم وأخربوا غالبها وهي الدار التي أنشأها في
قناطر السباع المطللة على الخليج الحامكي وكان الذي أثار الفتنة طائفة من المماليك
من عصابة اقبردى الدوادار فصل الاضطراب في ذلك اليوم ثم سكن الحال قليلا
وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل ثاني بك الجالى وبالا ول ابن أخت
السلطان وفيه توفي القاضي نور الدين علي بن داود الصيرفي الاسرائيلي الحنفي أحد نواب
الحكم وكان من أعيان الحنفية وكان يكتب التاريخ مجازفة لاعن قائل ولا عن راووله
في تاريخه خطبات كثيرة وجمع من ذلك عدة كتب من تاليفه فكان كما يقال

يا من يقول بأن في التاريخ كتبنا كماله

لك بالابا عن نسبة * لم تدر ما هي حامله

وكان مولده سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان لا يخلو من فضيلة وفي ذى القعدة وصل
سيف قان بردى نائب قلعة دوركي وكان غير محمود السيرة وفيه كان وفاء النيل المبارك
وتوجه الاتابكي أربك وفتح السد على العادة وكان هذا آخر فتح أربك أمير كبير السد
وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل ثمانية أرغفة من الخبز البائت بثلاثة دراهم
فلوس حتى عد ذلك من النوادر وفيه ابتدأ بالسلطان توعك في جسده وظهر عليه أشير
الموت وضرب الكرة في السنة المذكورة ضربا بهيمنة بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك من
القوة فسبحان مغير الاحوال وفيه توفي سيدي عبيد الرحمن اليمني وكان من أولياء الله
تعالى وفيه توفي اقبردى التماسيحي الظاهري حقهق وكان من الامراء العشراوات
وكان لابأس به وفيه توفي ازدمر بن مراد خجا الاشرفي برسباي وكان أحد الامراء
العشراوات وباش مكة وكان لابأس به وفيه ظهرت أعجوبة وهي أن امرأة ولدت
مولودا صورتها كصورة الفيل وله زلومة سوداء وكان بشع المنظر فلت من يومه وفيه
توفي الطواشي سرور السيفي نائب المقدم وكان لابأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة
صاحب خراسان وهو حسين بن بيقر ابن منصور وبيقر ابنه قيل انه مات بعلته النقرس
وفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة جرت كائنة عظيمة وهي أن قانصوه خسمائة لما توجه

الى أقطاعه في ليلة عيد الفطر كما تقدم توجه طائفة من المماليك الى داره ونهبوا ما فيها وأحرقوا غالبها فلما رجع قانصوه خسمائة من السفر تعمرت القلوب بالعداوة بينه وبين اقبردى الدوادار وصارت العداوة كل يوم في مزيد فلما كان يوم الخميس المذكور ركب قانصوه خسمائة ولبس آلة الحرب والتف عليه جماعة من أخصائه ونحشدا شينيه مثل قانصوه والافى وقانصوه والشامى ومن الامراء الطبختانات والعشراوات جملة كثيرة منهم برسباى الخسيف وقرقاس الشرىنى واسنباى المبشر وقايتباى المبشر أيضا وأزبك قفص وقيت الرخبي وغير ذلك من الامراء والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فلبسوا آلة الحرب وتوجهوا الى بيت الاتابكي أزبك الذى أنشأه فى الازبكىة فاجتمع هناك من العسكر ما لا يحصى فلما بلغ الامير يشبك الجالى الزرد كاش الكبير أن العسكر قد اجتمع عند أزبك حضر عنده وكل هناك أربعة أمراء مقدمين وجاء العسكر أفواجا أفواجا ولا يبقى يعلم أن كانت الركبة على السلطان أم على الامير اقبردى الدوادار فلما اشتد الامر طلع تانى بك قرا حجاب الخجاب الى السلطان ونصحه وخلا به وقال له انما هذه الركبة على السلطان وأن العسكر قائمة مع أزبك أمير كبير لاجل قانصوه خسمائة فانه كان صهره فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وخشى من اتساع الفتنة فنزل وجلس فى المقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطاني ودقت الكؤوسات حربى ثم نادى للعسكر من كان طائعا لله ولرسوله وللسلطان فليطلع الى الرميلة ويقف تحت الصنجق السلطاني فلما بلغ الامراء المقدمون ذلك طلع غراز الشمسى أمير سلاح وتانى بك الجالى أمير مجلس واقبردى الدوادار الكبير وأزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وتانى بك قرا حجاب الخجاب وجان بلاط بن يشبك وشاد بك الخوخ وبقية المقدمين والامراء الطبختانات والعشراوات فلما بلغ من بالازبكىة من العسكر أن السلطان نادى بان العسكر يطلعون الى الرميلة ويقفون تحت الصنجق صاروا فى الحال يتسحبون من هناك شيئا فشيئا ويطلعون الى الرميلة حتى لم يبق فى الازبكىة الا عماليك الامراء الذين هناك فظهرت الكسرة على قانصوه خسمائة ومن معه من الامراء وهذه أول حركات قانصوه خسمائة وكان معكوس الحركات فى سائر أفعاله كما قيل

وأخرنى دهرى وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم

فذا فلع الجهال أعلم أننى * انا الميم والايام أفلح أعلم

فبينما الاتابكي جالس بعمقه واذ بالامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النواب دخل اليه وصحبته الحاج رمضان المهتار بالطشتخانه فقال له قم كام السلطان فى خبر فقام من وقته وتوضأ وصلى ركعتين وركب وهو بتخفيفة صغيرة ولوطية بيضاء وهو فكل الازرار

فطلع صحبته الى القلعة فلما رآه المماليك الجلبان كادوا أن يقطعوه بالسيف وقيل ان
الأمير اقبردى الدوادار لكمة وشتمه فلما وقف بين يدي السلطان قام له وأمر بادخاله الى
قاعة البحرة خوفا عليه من المماليك الجلبان أن يقتلوه فلما بلغ قانصوه خسمائة ومن معه
من الامراء ان أربك أمير كبير قد عوقوه بالقلعة ركب ويوجه من على قنطرة
الحاجب واختفى من حيث لا يعلم له خبر وكذلك قانصوه الالقي وقانصوه الشامي وبقية
الامراء ممن كان من عصابة قانصوه خسمائة فلما اختفى الامراء انفض ذلك الجمع
الذي كان بالازبكية كأنه لم يكن وكان قانصوه خسمائة في السنة المذكورة جدد صور
باب السلسلة وأنشأ المقعد اطل على الرميلة والبيت وحوله أبراج موجودة به الى الآن ثم
ان السلطان نادى للعسكر أن يلقهوا آلة الحرب ويتوجهوا الى بيوتهم ونادى للناس بالامان
والاطمئنان وسكنت تلك الفتنة فلما كان يوم الجمعة صبيحة ذلك اليوم قبض بعض مشايخ
العربان على قانصوه الالقي وكان قد توجه الى برا الجيزة فقبض عليه من هناك وأحضره الى
بيت اقبردى الدوادار فقيده وأرسله الى السجن بقلعة صفة ثم ان قانصوه الشامي
أرسل يطلب من السلطان الامان فإرسل له في ذلك اليوم مندبل الامان فلما قابل السلطان
خلع عليه وقرره في نيابة حماه ورسم له أن يخرج من يومه الى السفر ثم ان الامير اقبردى
الدوادار صار يقبض على جماعة من الامراء الطبخانات والعشراوات ممن كان من عصابة
قانصوه خسمائة فقبض على قيت الرحي و برسباى الثور الشريفى فقيدهم ما توجهوا
بهم الى السجن بالصليبة ثم على جماعة آخرين منهم وهم برسباى الخسيه وقرقاس
الشريفى واسنباى المبشر وقايتباى المبشر أيضا وأربك قفص ولكن فر من أثناء الطريق
وقبض على سودون الفقيه فنفي هولاا الجماعة عن آخرهم واستمر قانصوه خسمائة محتفيا
حتى كان من أمره ما سياتى ذكره في موضعه وقد انتصف اقبردى الدوادار على جماعة
قانصوه خسمائة وبدشملهم وقتل في تلك الايام وطاش وخف الى الغاية واجتمعت فيه
الكلمة وصار صاحب الحل والعقد ليس على يده يد وكان ذلك من أكبر الفساد في حقه
كما قيل كل شئ اذا تنهاه نواها * فانتقاص البدور عند التمام
ثم ان اقبردى الدوادار فرق في تلك الايام المذكورة أخوية جزيلة على العسكر فكانت تعادل
ضحايا السلطان من بقر وغنم حتى غمر العسكر بالاحسان فكان كما يقال في المعنى
أنا أسمر والراية البيضاء الى * لالاسيوف و سئل من الشجعان
لم يحل لى عيش العداة لآنى * نوديت يوم الحـرب بالمران
هذا ما كان من أمر هولا وأماما كان من أمر أربك أمير كبير فانه أقام بقاعة البحرة ثمانية
أيام فلما كان يوم الجمعة رسم له السلطان بأن يصلى معه بالشاش والقماش على عادته فخرج

وصلى مع السلطان الجمعة فلما فرغ من صلاة الجمعة أراد أن ينزل فقبل له ان المماليك واقفة بالرميلة ومتى نزلت سقطوا ولوثوا لولا الحبال تخاف عليه السلطان وأدخله الى قاعة البصرة ثم انه اجتمع بالسلطان وقال له انما بقي لي اقامة بعصر بقة لاني المماليك الجلبان وقصدي أتوجه الى مكة المشرفة فاجابه السلطان الى ذلك فلما كان يوم السبت ثامن ذي الحجة من تلك السنة نزل الاتابكي أزيلك من القلعة وهو راكب على اكديش وعلى رأسه تخفيفة صغيرة وعليه ملوطة بيضاء من غير تقييد ولا أو جاق خلفه فتوجه الى مكة المشرفة من الطور مسافرا بالبحر الى أن يصل الى جدة ويرحل من جدة الى مكة المشرفة ورسم له السلطان أن يأخذوله يحيي معه الى مكة المشرفة وكانت نكبة بغتة على حين غفلة كما يقال

على قدر فضل المرتأى خطوبه * ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يقبىه اضطباره * فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وكانت مدته في الاتابكية نحو امان سبع عشرة سنة وسوف يعود الى الاتابكية ثانيا كما سيأتى الكلام عليه وفيه في ذلك اليوم رسم السلطان باخراج يشبك الجمالى الزرد كاش الكبير وأحد المقدمين فخرج منفيا الى القدس ولم يكن له ذنب غير أنه كان من جماعة أمير كبير وحضر يوم الزكبة فصار له ذنب وكان يشبك الجمالى من خواص السلطان ثم انقلب عليه فاقام بالقدس منفيا الى أن مات عن قريب فكان كفايل

يعتدون ذنبا واحدا ان جنيته * على وما أحصى ذنوبهم عدا

وفيه جاءت الاخبار من تونس بأن بها ثارت فتنة عظيمة وحمل السلاكر المغرب مقتلة مهولة والامر لله تعالى في ذلك

ثم دخلت سنة احدى وتسعمائة ختمها الله بخير وهي أول القرن العاشر وكان مستهلها بالاحد وهو أول أسابيع الايام وأول افتتاح العالم بالاحد فى المحرم كان خليفة الوقت الامام المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز العباسى وسلطان العصر الملك الاشرف أبو النصر قايتباى المحمدي الظاهري حقمق وقاضى القضاة الشافعية زين الدين زكريا الانصارى والقاضى الحنفى ناصر الدين محمد الاخيمى والقاضى المالكى عبد الغنى بن تقي الدين والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى * فن حوادث هذه السنة أن السلطان أحدث مكا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة ولم يعهد هذا قبل ذلك وكانت هذه الفعلة من أقبح مساويه واستمر ذلك في صحيفته الى الآن وفيه قدم على باى نائب الاسكندرية فقرر له السلطان في مقدمة ألف وصار من جملة الامراء المقدمين وفيه قدم الحاج وقد قاسى في السنة المذكورة مشقة زائدة ولم يجدوا الماء ينخل فعرج بهم أمير الحاج الى جهة عيون

موسى حتى وجدوا الماء وأخبر بعض الججاج أنه سمع وهو واقف بعرفة ما جرى بمصر من
 ركوب المماليك وغيره من الأول إلى الآخر فمد ذلك من النوادر كيف أشيع ذلك بعرفة من
 غير مخبر أتى هناك وفيه قدم للسلطان أترجة غريبة الشكل اجتمع فيها سبع عشرة أترجة
 من أصل واحد فكانت بدية الخلة جدا وفيه عاد الشيخ عبد المؤمن المجي شيخ قبة
 السلطان التي بالمرج والزيات وكان قد توجه إلى ابن عثمان قاصدا عن لسان السلطان
 وصحبته هدية حافلة إلى ابن عثمان من جلته أقاش فاخر وسبع وزرافة وبيغا جراء اللون وغير
 ذلك أشياء كثيرة فلما عاد عبد المؤمن أخبر بان ابن عثمان قد تلاشى أمره وعسكره وبطلت
 همته عن محاربة عسكره صرفه السلطان بهذا الخبر وفيه جاءت الأخبار من حلب
 بوفاة صالح الكردي حاجب حلب وشيخ الأكراد بهامات قتيلا وفيه جاءت الأخبار من
 حلب أيضا بقتل محمود بن أبي سعيد صاحب سمرقند قتله محمود بن يونس كان صاحب
 شاس وملا من بعده سمرقند وكان محمود هذا آخر ذرية تيمورك وبه زالت دولتهم كلهم لم تكن
 وهو محمود بن أبي سعيد بن أحمد بن ميرزا شاه بن تيمورك وكان من أعيان ملوك الشرق وفيه
 ترشح أمر تيموراز الشمسي بأن يلي الأتابكية وفي صفر في مستهل يوم الاثنين عمل السلطان
 الموكب وخلع على جماعة من الأمراء فقرر تيموراز الشمسي في الأتابكية عوضا عن الأتابكي
 أربك بن ططخ بحكم نفيه إلى مكة المشرفة وخلع على ثاني بك الجالي وقرره في امرية مجلس
 عوضا عن تيموراز بحكم انتقاله إلى الأتابكية وقرر أربك اليوسفي في امرية سلاح عوضا عن
 ثاني بك الجالي بحكم انتقاله إلى امرية مجلس وقرر ثاني بك قرالاية إلى رأس نوبة كبير عوضا
 عن أربك اليوسفي بحكم انتقاله إلى امرية سلاح وقرر أربك اليوسفي في امرية سلاح عوضا
 عن ثاني بك قرالاية بحكم انتقاله إلى رأس نوبة كبير وأتم في هذا الشهر بتقادم ألف
 على جماعة من مماليكهم ماماي بن خداد وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجي وكرتباي
 الأجر كاشف البحيرة وقانم قريه وأتم على جماعة كثيرة ممن هم من عصبة اقبردي بامرية
 طبخانات وعشراوات منهم اقباي الطويل وخاير بك الدوادار وطقطباي من طبقة
 الأربعين وطقطباي أيضا من طبقة الطازية وغير ذلك جماعة كثيرة يأتي الكلام عليهم في
 موضعه وفيه خلع السلطان على ثاني بك الشريفي وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا
 عن علي باي بحكم انتقاله إلى التقدمة وفيه توفي المسند شرف الدين القباني وكان من
 أهل الفضل لا بأس به وفيه خلع على الأتابكي تيموراز وقرره في نظار البيمارستان المنصوري
 فتوجه إلى هناك في موكب حافل وفي ربيع الأول خلع السلطان على شمس الدين محمد
 ابن مزاحم وقرره في نظار الاوقاف والاحباس ونظر القرافتين وكان أصله من طرابلس
 وكان غير مشكور في أفعاله وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا وهذا آخر

موالد السلطان قايتباى ولم يحضر بعد ذلك مولدا وفيه خلع على تانى بك قرا وقرره فى امرية
الحاج بركب المحمل وقرر بربك فى امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من القدس
بوفاة يشبك الجمالى الذى تقدم ذكره وكان دينيا خيرا وأصله من مماليك ناظر الخاى يوسف
ابن كاتب حكيم وورق فى دولة الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنوية منها حاسبة القاهرة
والزرد كاشية الكبرى ثم بقى مقدم ألف وجمع بين الزرد كاشية والتقدمة وسافر أمير حاج
بركب المحمل لغير مامرة وفيه وقع بين الامير اقبردى الدوادار وقرقاس بن ولى الدين
أمير اخور ثالث واستمرت العداوة بينهما تزايد حتى كان ماس سنة ذكره وفى ربيع الآخر
خلع السلطان على شاد بك بن مصطفى المعروف بالخوخ وقرره أمير اخور كبير عواض عن
قانسوه خمسة مائة بحكم اختفائه وقرر بربك المحمدى الاينالى أمير اخور تانى وقرر
صولان باى بن عيسى الاينالى فى الزرد كاشية الكبرى عواض عن يشبك الجمالى بحكم وفاته
بالقدس الشريف بطلا وقرر برقوق الساقى الاينالى فى الحاسبة عواض عن كسباى
وقرر كسباى فى الدوادارية الثانية وكان يعرف بكسباى الشريفى وقرره مصر باى
فى شادية الشراب خاناه وقرر ار كاس الحلبي فى نيابة القلعة وقرر سودون البجى فى
استادارية الصحبة وقرر بربك بن بير على فى تجارة الممالك خلع السلطان على هؤلاء فى يوم
واحد وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان
أمير المدينة وجاعته هجموا على حواصل المال التى به من قبل النذور فاستولى على
اثنى عشر ألف دينار وأخذ عدة قناديل ذهب كانت معلقة بالجرة النبوية الشريفة
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وخرج الى جهة العراق فلم يدرك وفيه أخبر جماعة من
الملكية بان زحلا قد اقترن مع المريح فى برج الجوزاء وذكروا أن هذا القران سيقع فيه
فتن عظيمة عن قريب فأجاب شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى عن ذلك بقوله

ليس القران بفاعل * كلا ولا بمؤثر

ان المؤثر من له * خلق القران ففكر

فالنعل عنه صادر * كم يامنجم تفترى

وفيه توفى بيغوت قرابن قنچى قرا الاشرفى برسباى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس
به فلما مات أنعم السلطان بامريته على تانى بك الالاج وفيه رخص المغل جدا حتى بيع كل
خسة أراد بفتح بدينار وبيعت البطة الدقيق بثلاثة أنصاف وعم الرخاء سائر البضائع وفى
جمادى الاولى رسم السلطان بقطع أيدي ثمانية أنصار ممن يحمل الدراهم الزغل وكان فيهم
شيخ قد أناف على الثمانين سنة من العمر فقطعت أيديهم وشهروا بالقاهرة وفيه توفى قايتباى
الناظر الظاهرى خشفة قدم وكان من الامراء الطبليخانات بدمشق وفيه أذن السلطان

للقاضي بدر الدين محمود بن أجايبان يتوجه الى حلب على وظيفته في قضاء الحنفية وكان قد
 حج في العام الماضي وفي جمادى الآخرة نزل جماعة من المنسر على العلائي على بن الصابوني
 ناظر الخاص وكان في تربته التي أنشأها في رأس دور الحسينية فأخذوا جميع ما كان
 عنده وجرح ابن الصابوني في يده وكانت واقعة مهولة وفيه مات يشبك دجاج المحمدى
 الظاهري بحقمق أحد العشاوات وفي رجب توفي الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عرب شاه
 الدمشقي الحنفي شيخ المدرسة الصرغتمشية وكان من أهل الفضل وكان لا بأس به وقرّر
 عوضه في مشيخة الصرغتمشية شمس الدين الغزى وفيه جاءت الاخبار بان قانصوه نائب
 دوركى شقيق قاضي المدينة سيف الدين يوسف الحنفي وقد بلغه أنه يكاتب ابن عثمان باخبار
 هذه المملكة ويدعوهم لذلك وفي شعبان كانت وفاة القاضي عبد الغنى بن الجيعان وهو
 عبد الغنى بن علم الدين شاكر وكان متولى كتابة الخزانة وكان من خيار بنى الجيعان رئيسا
 حشما موصوفا بالكرم الزائد ويحكى عنه أشياء في بره للناس ما لا يحكى عن البرامكة في
 أيامهم ومات وهو في عشر الثمانين وكانت جنازته حافلة وكان أحق بقول القائل

فلو أن البرامك عاينوه * وأنعمه نعم الخلق سقيا

فينضب جعفر ويعوز فضل * ويهلى خالد ويموت يحيا

وفيه هجم المنسر على سوق التجار بجامع ابن طولون وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا
 ما كان فيها من القماش وراحت على أربابها وفي رمضان توفي سودون اكرش الظاهري
 بحقمق أحد العشاوات وكان لا بأس به وفيه من الحوادث في الشهر المذكور أن السلطان
 نادى للعسكر بالمرض فلما طلعوا الى القلعة أحضر لهم المصحف الشريف الكبير العثماني
 وحلقهم عليه قاطبة وكذلك الامر اعيان لا يخرجوا عن طاعته ولا يخالفوه فيما يأمر
 وفيه أنفق السلطان على العسكر وقيل صدقة ففرق على المماليك القرائصة والسيقية
 الذين كانوا منزليين بالديوان قبل سلطنته هم وجلبابيه لكل واحد منهم مائة دينار والسيقية
 الذين نزلوا أيام سلطنته لكل واحد منهم خمسون دينارا ولاولاد الناس أصحاب الجوامك
 ألفين لكل واحد منهم عشرون أو ثلاثون دينارا وقيل انه فرق بعد ذلك على الخدم الطواشية
 لكل واحد منهم عشرون دينارا واثنا عشر دينارا ثم أرسل نفقة للخليفة ولبعض الامراء
 فبلغت هذه النفقة زيادة عن أربع مائة ألف دينار ولا يعلم ما سبب هذه النفقة التي أنفقت
 من غير موجب لذلك والذي أشيع بين الناس ان السلطان قال أنا لما تسلطت لم أنفق على
 العسكر شيئا فهذه في نظير ذلك والاصح ذلك لانه أنفق على القرائصة العتق والسيقية
 المئتين مائة دينار لكل واحد وعلى الذي تجدد من القرائصة السيقية في أيامه خمسين
 دينار لكل واحد وسماها صدقة والوجه الثاني ما قيل ان السلطان قهده ظهور قانصوه

خسمائة وكانت له به عناية تامة فأنفق على العسكر حتى أَرْضاهم بسبب ظهور قانصوه
خسمائة فأسلم ذلك على أقبردى الدوادار وأخذ حذره كما سيأتى ومن العجائب أن مال
هذه النفقة كان بمحمد أحضرا وهو من الخمسة أشهر التى أخذها من أجرة الاملاك
والاوقاف ومن أوقاف الجوامع والمدارس والبيمارستان ومصادر فيها طائفة اليهود
والنصارى وتجار الفرج وتجار المغاربة والبرابرة وغير ذلك من أعيان التجار ومشاهير
الناس وكان هذا المال الذى جرى من هذه الجهات تحت يد القاضى على بن الصابونى ناظر
الخاص والامير تغرى بردى الاستادار فلما خدعت فتنة ابن عثمان التى كانت سببا
لذلك لم يوفق الله تعالى السلطان أن يرد للناس ما أخذ منهم كما فعل الالاشرف برسباى
لما أخذ من أجناد الحلقة عن اقطاعاتهم بسبب تجريدة شاه روخ بن عمر تلك لما تحرك عليه
فى سنة احدى وأربعين وثمانمائة فلما بطل أمر التجريدة وحصل للالاشرف برسباى
توكل فى جسده رد لأجناد الحلقة ما كان أخذ منهم وكتب ذلك فى صحيفته الى يوم القيامة
والاشرف قايتباى جمع هذا المال من وجوه المظالم وحصل للناس بذلك مشقة زائدة
وأخرجه فى غير مستحقه لافى وجه فيه منفعة للمسلمين كما قيل

لست أعطى فى حرام * أبدا الا حراما

وفى شوال قرر عزيمته التكرورى فى نيابة تقدمه المماليك ثم بقى بعد ذلك مقدم المماليك
وفيه توفى تيم الضبع الظاهرى بجممق أحد الامراء العشر اوات وكان أخوتانى بك الجالى
أمير سلاح فلما مات تيم الضبع وقف شخص من الامراء يقال له ملاج بن ططخ الظاهرى
بجممق يطلب من السلطان اقطاع تيم الضبع فلم يوافق السلطان على ذلك فخلق ملاج
من السلطان فلما نزل ملاج الى داره شق نفسه من شدة قهره فمات هو وتيم الضبع
فى يوم واحد وقد تقدم القول على وفاة ملاج وفيه وقعت الوحشة بين أقبردى الدوادار
وبين جان بلاط وسبب ذلك ان جان بلاط طلب امرية الاخورية الكبرى وعينت له
فوق أقبردى وبأس الارض على ان يكون شاد بك الخوخ امير اخور كبير فأنعم السلطان
على شاد بك بها فحينئذ وقعت الوحشة بينهما وقد التف على كرتباى الاحمر ويشبك قر
وكان جان بلاط أعز أصحاب أقبردى وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير
المحمل الشريف تانى بك قراو أمير الركب الاوّل برديك نائب جدة وفيه توفى اركاس الحلبي
نائب القلعة وكان لا بأس به وفيه توفى محمد بن نوروز الخمدى الميقاتى وكان علامة فى فن
الميقات وفيه ظهر الامير قانصوه خسمائة وكان مدة اختفائه تسعة أشهر فلما طلع الى
القلعة رسم السلطان له بان يأخذ ثوبا بعلبكيا حتى يرق عليه قلب العسكر يعنى جاء وكفنه
تحت ابطه فلما وقف بين يدي السلطان قبل الارض وخلع عليه كاملية صوف مبنى

بسمور ورسم له بأن يتوجه الى داره ونزل من القلعة في موكب حافل وصحبته الاتابكي تمتاز
واقبردى الدوادار فأوصلاه الى داره ورجعا وفي ذى القعدة نارت فتنة كبيرة من المماليك
الجلبان ممن هم من عصابة قانصوه خسمائة فلبسوا آلة السلاح وطلعوا الى الرميلة
وحاصروا اقبردى الدوادار فلما تزايد الامر أحرقوا الربع الذى عند سوق الحلاق فلما
بلغ السلطان ركب ونزل الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل بالرميلة
فلم تخش منه المماليك وتزايد الامر ومما أخش به المماليك في حق السلطان أنه قبل ذلك عدة
طويلة كان السلطان ينام في الصيف على الدكة التى بالحوش فدخل بعض الخاصكية عليه
في الليل وقالوا له ان المماليك الذين في طبقة المطلع قد عولوا على أن ينسحبوا على السلطان
وهو راقد على الدكة فلما بلغ السلطان ذلك قام وبادر وراح من على الدكة فلما أصبح
وجد ثلاثة أسهم من الشباب في الخدة واللحاف الذى كان للسلطان بسبب النوم والتغطية
عليه فغاض السلطان لأنه فرق المماليك الذين بطبقة المطلع على الاطباق وجعل على
حائط طبقة المطلع بناء يستتر منه رؤية الحوش وقيل ان الذى فعل به ذلك ورعى هو شخص
خاصكى من أخصائه يسمى شرامنت فاحضره وضربه بين يديه نحواً من ألفي عصا حتى قيل
انه مات وضرب معه جماعة من أصحابه وسجنهم بالبرج وقطع جوامكهم وأبطل شرامنت
من الخاصكية وذلك قبل فتنة ابن عثمان مع السلطان واستمر السلطان جالساً بالمقعد الذى
بباب السلسلة الى ما بعد العصر فبلغه ان اقبردى الدوادار قد غيب من داره فعند ذلك قام
السلطان وقدم في جسده فركب وطلع الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه ورؤية الناس
له فلما دخل الى الحوش طلع الى المقعد ودخل الى البيت الذى كان به فلزم الفراش
وثقل في المرض من ليلته ولما غيب اقبردى نهب العوام داره ودور الامراء الذين من
عصبته منهم اينال الحسييف وشادبك وقانم وجانم مصبغة وغيرهم وهذه أول كسرة اقبردى
فكان كما قيل

لا تعجبوا لادهر في أفعاله * ان أضحك الباكى وأبكى الضاحكا

ثم ان السلطان تزايد به الالم وقوى عليه أمر الاسهال المفرط وعجز عن الحركة وكثر القيل
والقال بين الناس ثم ان النيل أوفى في تلك الايام فرسم السلطان لتمرار أمير كبير بان يتوجه
ويفتح السد والناس في غاية الاضمار اب ثم طلع الاتابكي تمتاز الى القلعة ولبس خلعة بسبب
فتح السد هذا كله والسلطان على غير استواء وأشييع أنه في النزع وقد غرس فلما كان
يوم الجمعة خامس عشر به طلع الاتابكي تمتاز الى القلعة ودخل على السلطان في البيت
فوجدته في السياق فقال له يامولانا السلطان ان الاحوال قد فسدت ومن رأى أن تسلطن
سیدی محمد فلم يرد السلطان له جواباً فاخذ سیدی محمد ابن السلطان ونزل به الى باب

السلسلة فأجلسه في المقعد الذي هنالك وجلس معه ليوايه السلطنة فانتظر الامير اقبردى
الدوادار أن يطلع اليه فاخفى اقبردى ولم يطلع الى القلعة في ذلك اليوم فلم يشعر غراز الا وقد
هاجته العساكر كالجراد المنتشر وذلك ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر لما بلغهما أن
غراز الا امير الكبير يباب السلسلة ومعه ابن السلطان لبسوا السلاح وهجموا ودخلوا
الميدان من عند حوش العرب وطلعوا الى باب السلسلة من الاصطبل فقبضوا على غراز الامير
الكبير وقيده وحبسوه بالبرج الذي يباب السلسلة ثم في عقيب ذلك اليوم نزلوا به وهو
مقيد بقيدين أحدهما برجليه والاخر بركبتيه وخلفه أوجاقى بخنجر فنزلوا به من
باب الميدان الذى عند الحوش وتوجهوا به من جهة المجرة الى البحر فانزلوه في الحراسة
وتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها وكان المتسفر عليه جانم بن برسباى أخو قانصوه
اللقى وبطلت الاشاعات بسلطنته فلما جرى ذلك وقع النهب في داره وفي دار اقبردى
الدوادار وجاعة من الامراء ممن كانوا في عصبة اقبردى الدوادار ثم ان قانصوه خمسمائة
وكرتباى الاحمر وجاعة من الامراء ممن هم في عصبة قانصوه خمسمائة بانوا بباب السلسلة
واشتوروا فيمن يلى السلطنة فترشح امر سيدى محمد ابن السلطان ووقع الاتفاق على سلطنته
فلما كان يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة اجتمع الامراء والعسكر بباب السلسلة
وأرسلوا خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى العزب دال عزيز فحضر وحضر القضاة
الاربعة وهم قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى وقاضى القضاة ناصر الدين محمد
الاخيمى الحنفى وقاضى القضاة عبد الغنى بن تقي المالكي وقاضى القضاة بدر الدين محمد
السعدى الحنبلى فلما تكامل المجلس تكلموا فى خلع الاشرف قايتباى بحكم أنه قد أشرف
على الموت فخلع وبايع الخليفة ولده الناصرى محمد ابى السلطنة عوضا عن أبيه الاشرف
قايتباى وشهد عليه القضاة بذلك هذا كله والسلطان فى النزاع لم يشعر بشئ مما جرى فلما
كان يوم الاحد سابع عشر الشهر المذكور من سنة احدى وتسعمائة كانت وفاة
السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى الى رحمة الله تعالى فى ذلك اليوم بعد
العصر ومات بالقلعة وأخرج صبيحة يوم الاثنين ثامن عشرى ذى القعدة وتوفى وله من
العمر نحو من ستة وثمانين سنة ومات وهو بعله الديلة واعتز به علة البطن أيضا وامتنع عن
الاكل مدة انقطاعه حتى مات وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة
وعشرين سنة وأربعة أشهر واحد وعشرين يوما بما فيه من مدة انقطاعه عند نوعك جسده
فانه تسلطن يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وتوفى يوم الاحد سابع
عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وهذه المدة لم تنق لاحد من الملوك غيره قبله وعاش
عمره كله وهو فى عز وشهامة من حين كان خاصكيا الى أن بقى سلطانا ومات فى قط ولاسجن ولا

تقيده وكانت عليه سكينه ووقار مهيب الش كل في العيون جيل الهيئة مجبلا في موكبه
كفو السلطنة وافر العقل سديد الرأي عارفا بحوال المملكة يضع الاشياء في محلها ولم يكن
مجولا في الامور بطي العزل لارباب الوظائف يتروى في الامور اياما قبل وقوعها وكان
لا يخرج أقطاع أحد من الجند الا بحكم وفاته ولا من أبناء الناس المقطعين الا بحكم وفاته
ويرسل يكشف عليه وهو ميت حتى يصدق بوفاته وكانت صفته طويل القامة عربي الوجه
مضفر اللون نحيف الجسد شائب اللحية تولى الملك وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان
موصوفا بالشجاعة عارفا بأنواع الدروسية ولا سيما في فن لعب الرمح علامة في فنه لكنه كان
محبيا لجمع الاموال ناظرا لما في ايدي الناس ولولا ذلك لكان يعدم من خيار ملوك الجرا كسة على
الاطلاق ولكنه كان معذورا في ذلك تحرك عليه في أيام سلطنته شاء سوار وحسن الطويل
وابن عثمان وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرهم وجرده عليهم عدة تجاريد كثيرة وهو ثابت على
سير مملكه ولم يتزحزح حتى قيل ضبط ما صرفه على نفقات التجاريد التي جردها في أيام سلطنته
الى أن مات فكانت نحو من سبعة آلاف ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار خارجا عن
عما كان ينفقه عند عودهم من التجاريد وهذا من العجائب التي لم يسمع بمثلهما وكان مغرما
بشراء الممالك حتى قيل لولا اطواعين التي وقعت في أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف
مملوك ومن العجائب أنه من بعده قد انحصرت مملكة مصر في ممالكه فقط دون غيرهم
وتسلطن منهم الى الآن أربعة سلاطين وكان متقيًا في نفسه لم يشرب قط خرا ولا كان
يستعمل شيئا من الاشياء المخدرة وكان له اشتغال بالعلم كثيرا المطالعة في الكتب وله أذكار
وأوراد جليلة الى الآن تتلى في الجوامع وكان له اعتقاد في الفقراء ويعظم العلماء عارفا بمقام
الناس ينزل كل أحد منزله وكان تابع الطريقة الصوفية في التقشف وكان لا يوصف بالكرم
الرائد ولا بالبخيل المفرط وكان له برّ ومعروف ووقف عدة جهات على وجوه البر والصدقة
وكانت محاسنه أكثر من مساو يه رجة الله عليه ولم يخلف من الاولاد سوى ولده محمد الذي
تسلطن من بعده وكان من سريته اصيلباي ولم يتزوج مدة عمره سوى فاطمة بنت العلائي
علي بن خاص بك واستمرت معه الى أن مات رجة الله تعالى عليه وفي أيامه توفي الاديب زين
الدين أبو الخير بن النحاس وكان من أعيان الشعراء في عصره وكانت وفاته بالشام ولم مات
الاشرف قايتباي رثاه الشيخ بدر الدين محمد بن الزيتوني بهذا الرجل قتال

يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنوا المنظر المتصور * ينصر الله العادل الناس
لمزاد الضعف بقايتباي * والوداد في غاية الامكان
ووافق مع الامير قراي * وطالع قاصدوه الى الميدان

وأتى القلعة مع كرتباى * والاماره وهدموا البنيان
 هربا فبردى وقيدها تراز * وتولى سلطانا الناصر
 من يخالف أمره ومن يعصيه * ردة مبهـور والامر للقاهر
 فولى الملك سادس العشرين * من شهر ردى القعدة طلوع شمسو
 بعد واحد من السنين تالى * تسمايه بعد انقضاء مسو
 وتوفى أبوه أخـير النهار * فى مباحو وارو حلول رمسو
 بعد مائة تسعة وعشرين عام * وأربعة أشهر بالكاتب الحاصر
 ويليه واحد وعشرين يوم * لا تزيد أول ولا آخر
 مات الاشرف والقبر صار حاويه * بعد دلسـع وبالموت وسموحاق
 وسرافيه سم الديب حائق * ما وجدلو مردى القضا تريق
 وقد أمسى مرهون بافعالو * وأنت لو آفة قضاء تنساق
 لهف قلبى عليه شجاع وقتو * والخوندات تبكى عليه باكر
 كم رأينا نكلى وهى حيه * شعـرها صار من خزنه ناشر
 لهف قلبى على الامير تراز * كان موقرو هو الامير كبير
 والدودار حولو رجال واعوان * يضربوا بالحسام ومالو كثير
 قالوا التماز ما عندنا غيرك * كن مساعد وانت النظام والمشير
 جت جماعه لقانصوه بالخـبر * خبر وبيه ركب وكان صابر
 وطلع للقلعه مسك تراز * وظفر بيه وصار عليه ظافر
 العجب فى الر كبه نهـار جمعه * من سنه كان فى الازكية القوم
 كيف يوافق شهر ردى القـعدة * والعدد فيه خمسة وعشرين يوم
 مثل يوموفى الشهر والجمعه * والعدد فيه فاعجب لهذا دوم
 والجزا من جنس العمل قالوا * وبهم—ذا صار المثل سائر
 كل من كان يحفر لانيه حفره * ما يقع فى الحفرة سوى الحافر
 الدودار وشاد بك والخسيف * هم وجانم غابوا عن الحضار
 والجمالى نظام أمير سلاح * باللقـعدو كرتباى قد صار
 هو المقدم وكشف الكشاف * ومـدير وزير واستادار
 وعلى الكل قانصوه على * خمسمايه هو الشاطر الماهر
 قد تولى أتابك العسكر * والامير كبير وهو الناظر
 خلت دوله كرقعة الشطرنج * والدودار وقانصوه فى رهان

كم رأينا يدق من الحاشية * قد تقدم عند ووصارفرزان
 لمساق الفرس يريد الفيل * غالبهم في حومة الميدان
 ضربوا شاه لما انكشف رخو * ما وجد لوفى رفته و سائر
 ماتت النفس وانقلب دستوا * وهرب مرماه وهو الخاسر
 ضربوا تحت الرمل للغياب * جودلتهم دلت على الحضرة
 ورأينا الا لى نقاخذو * فى بياضه وقد أشرفت حرة
 واجتماعوا بصحاب الاحباب * وكذا الشكال يلقى بهم نصره
 وظهر لوراية فرح فى الطريق * مع جماعة بالعز تباشير
 بانويطلع وينظر السلطان * مرحبا بالطالع وبالناظر
 اعتذارى الى سمع قولى * ان صحبى والقرب يا قولى
 يطلبونى ويقصدوا فى * وان تواتت بالعجب زيرموني
 أستحي أن أظهر ضعف نظمي * واجالى تنسب لزيته و قولى
 ولكنى أبو النجا العوفى * ان تجدنى فيما أقول حاضر
 استراعيب واربع ثواب ستري * جل من لا عيب فيه وهو الغافر
 لو تكون البحار مع الانهار * وجميع المياه وسيل الغمام
 حبر جارى وسائر الاعشاب * والنبات والشجر جميع أقلام
 والسموات والارض والاكوان * تبقى أوراق طباق ليوم القيام
 وجميع العالم يحى و كتاب * يكتبوا المدح فى النبي الطاهر
 للقيامه ما يحصوه ذر * من مديحو ووصفه الفاخر
 كان للاشرف خصال ملاح فاسمع * ما رأينا فى عصرنا مثله
 يا الذى جا يسمع بديع نظمى * خذ وحرر عنى جميع نقلى
 وان أتى لك من يطلب التاريخ * والوقائع عن الملوك قلى
 يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
 وكذا بنو المظفر المنصور * ينصر الله العادل الناصر

وأما ما أنشأه الاشرف قايتباى فى أيام دولته من البنين الفاخر فأشياء كثيرة منها أنه جدد
 عمارة المسجد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام لما احترق وأنشأ قبة
 عظيمة على القبر الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ هناك مدرسة
 مطلة على الحرم النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ مدرسة بمكة المشرفة
 عند باب السلام وعدة ربوع وأما كن بمكة المشرفة وأنشأ مدرسة بييت المقدس ومدرسة

وبسوتاودكاكين بدمشق ومدرسة بغزة ومدرسة بشغردمياط ومدرسة بشغرا لاسكندرية
والبرج العظيم الذي أنشأه مكان الفناء القديم والبرج الذي بشغر رشيد وأماما أنشأه من
البنيان بالديار المصرية فالجامع الذي بالبحراء مكان تربته وجامع بالروضة وجامع برأس
الكبش وجامع بباب الخرق عند الشيخ سلطان شاه والسبيل والمكتب الذي يقرب تحت
الربع وجامع لطيف خارج باب القرافة وجدد عمارة قبة الامام الشافعي رضى الله عنه
ورحمه وأنشأ زاوية بالبرج والزيات ومدرسة بالخانقاه وغير ذلك من الجوامع والمدارس
في أماكن شتى من البلاد وأنشأ السبيل الذي برأس سويقة عبد المنعم وأنشأ بالقاهرة
عدة زوايا وأسبلة وصهاريج وغير ذلك وعدة ربوع وحوادث في مواضع متفرقة وجعلها
وقفا على الدشيشة التي قد كان قررهابا المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وأماما أنشأ بالقلعة فالمقعد الذي أنشأه داخل الحوش والمبيتان اللذان حوله والخواصل
التي بجوار قاعة البحرة وجدد عمارة الايوان الناصري الذي بالقلعة وأنشأ مواضع كثيرة
بالقلعة وجدد عمارة قنطرة أبي المنجا والقنطرة التي بشبرمنت بالبحيرة وأنشأ هناك رصيفا
وحصل به غاية النفع في أيام النيل للسافرين وجدد عمارة قنطرة باب البحر وجدد عمارة
الميدان الكبير الذي بجوار البركة الناصرية وصرف عليه جملة مال وجدد مقام سيدي
أحمد البدوي وبناء بناء حافظا ووسعه وجدد بناء زاوية الشيخ عماد الدين رحمه الله وجدد
عمارة باب القرافة وأنشأ هناك الربوع وأنشأ مقعدا ومبيتا وحنينة بدار البقر التي تحت
القلعة وجدد عمارة جامع الرحمة الذي بغيظ جاني بك نائب جدة وأنشأ عدة ربوع بالخشابين
والبندقانيين وبالجامع الازهر وغير ذلك وله عدة أماكن قد أنشأها وحصل بها النفع
العام للمسلمين وأماما أبطل له في أيام سلطنته من شعار المملكة خدمة القصر بالشاش
والقمماش وقد قررته المملوك السالفة لاقامة الحرمه ونظام المملكة وأبطل الرمايات
التي تعمل ببركة الحبش ودخول المملوك الى القاهرة والعسكر قدماها بالشاش والقماش ويكون
يوما مشهودا وأبطل لبس الصوف بالمطعم وكان الملائ يشق من القاهرة وهو لبس الصوف
هو والامراء ويكون لهم يوم مشهود وأبطل المركب المسماة بالذهبية وكانت من شعار
المملكة ولا سيما في يوم الوفاء بالنيل وكانت المملوك تتوجه فيها الى المقياس وكان بها
ستون مقذافا وأبطل المركب المسماة بالدرمونه وكانت تحمل مغل الحرمين
الشريفين وكانت غريبة الهيئة في شكلها وأبطل دوران المحمل الرجبي في أيام
سلطنته وما كان يعمل فيه وأبطل المسيرات التي كانت تعمل في تلك الايام وكان يتفق في مدة
دوران المحمل ما لا يتحصر وأبطل في أيام سلطنته أشياء كثيرة من شعار المملكة
لم تذكرها خوف الاطالة ولكن آخر من مشى من السلاطين على النظام القديم مما ذكرناه
الظاهر خشف قدم رحمه الله تعالى وأماما عتله من المساوي فانه لما تولى السلطنة ندب

يشبك الهداد لما تولى الوزارة فقطع لحوم جماعة من الناس كانت مرتبة لا يتام ونساء
أرامل وكانت تباع ونشترى من الناس من الديوان الى آخر دولة الظاهر خشفة قدم وكانت
الوزراء تنج بالسداد لذلك ثم فعل مثل ذلك بالجوامك وقطع عدة جوامك لجماعة من
أولاد الناس والذي أبقاه أخذ منه مائة دينار من له جامكية ألفادهم وأخذ من
له جامكية ألفادهم خمسين ديناراً وذلك بسبب بدل تجريدة سوار من لم يسافر للتجريدة
وأخذ من أجرة الاملاك والاقواف من الجوامع والترب بالقاهرة وغيرها أجرة سبعة
أشهر وحصل للناس بذلك الضرر الشامل وصار لليهود والنصارى في أيامه مرتين
وصادر جماعة من أعيان التجار ومن تجار الارياض والبراسة ورحى على البلاد التي
في الشرقية شيئاً يقال له الخمس بسبب خيالة تخرج مع التجريدة الى ابن عثمان وفعل مثل
ذلك بعربان جبل نابلس ثم قطع هذا الخمس من خراج المقطعين ومنها انه كان ولي جماعة
من مماليكه عوضاً عن مشايخ العربان فخاروا أيضاً على الفلاحين وأخذوا منهم غير
العادة أضعافاً وكذلك الكشاف بقرع عليهم الاموال فيجوروا أيضاً على البلاد ويأخذوا
المال أمثالا في يومئذ ثلاثي أمر البلاد وانحط خراج المقطعين جداً ومنها أنه أحدث
مكساً على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة خارجاً عن ثمنه لمن يشتري أو
يبيع وقد تزايد الامر بعده في ذلك حتى صار على كل اردب نصفان وهو أول من أحدث
تفرقة الجامكية بحضرته وضيق على الناس ولم يفعل ذلك أحد قبله من الملوك وكان مقدم
المماليك وأحد رؤس النوب يتولى تفرقة الجامكية في الايوان ولم يشعر السلطان بذلك
فبطل ذلك واستمرت من يومئذ تنفق بحضرة السلطان الى الآن ومنها انه فعل بجماعة من
المباشرين وغيرهم الافعال الشنيعة منها شق القاني ابن المقسى وتوسيط محمد الدين
ابن البقرى الاستادار وغير ذلك مما تقدم ذكره وقطع يد ابراهيم بن فريعين صير في الجامكية
وكان في سن الشيخوخة وعاش بعد ذلك مدة طويلة وهو أقطع وقد رتب له السلطان
ما يكفيه الى أن مات وهو أول من أحدث بر دارية السلطان ولم تكن هذه الوظيفة قبل
ذلك تعرف فصارت زيادة مظلمة أخرى ومن محاسن الاشرف قايتباي رحمة الله عليه انه
كان في شدة غضبه يستحيل في الحال واضيا ويزول ما كان عنده من الحدة وهذه من أجل
الخصال وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان من خيار ملوك الترك بالنسبة لمن
جاء بعده من السلاطين ولولم يكن عنده بعض طمع لكان أجل ملوك الجراكسة وكان من
خيارهم ولكن كما يقال

ومن الذي ترضى بجباياه كلها * كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه

وقال بعض الشعراء

إذا أنت لم تتفع فضرفانما * يرحى الفتى كيمايضرو وينفع
انتهى ما أوردناه من أخبار الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار
ولمات بولى ابنه محمد .

ذكر سلطنة الملك الناصر أبى السعادات ناصر الدين محمد ابن الملك الاشرف أبى النصر قايتباى المحمودى الظاهرى

وهو الثانى والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو السادس عشر من ملوك
الجزا كسة وأولادهم بالديار المصرية تقدم أنه يبيع له بالسلطنة يوم السبت سادس عشرى
ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وقد تقدم ان قانصوه خسمائة وكرتباى الاجر والامراء
الذين يلونهم لما هجموا على الامير ترازى باب السلسلة قبضوا عليه وقيد وأرسل الى السجن
بنغرا الاسكندرية فلما جرى ذلك وقع الاتفاق على سلطنة الناصر محمد ابن السلطان قايتباى
فأحضر والخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الاشرف قايتباى من السلطنة وبايعوا ولده
من غير عهد له من أبيه ولقبوه بالملك الناصر وكنى بابى السعادات وكان تلقب بالمتصور وأولا
ثم قرر لقبه بالناصر فلما انقضى أمر المبايعه أحضر اليه شعار الملك وعى الجبة السوداء وقد
فصلت على قدره ولفت له عمامة لطيفة مناسبة له وتلقب بالسيف الحائلى وقدمت اليه
فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش وركب من سلم الحراقة وكانت مبايعته فى الساعة
الرابعة من النهار والماضى من الشروق ثمانية وأربعون درجة والطالع بالميزان فلما
ركب تقدم قانصوه خسمائة وحل التبة والطير على رأسه وقد ترشح أمره لاثنى الى الاتابكية
فركب السلطان والخليفة معه ومشى بين يديه الامراء حتى طلع من باب سر القصر
الكبير وجلس على سرير الملك وقبل له الامراء الارض وضربت له البشارة بالقلعة
ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفى حال جلوسه
على سرير الملك خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على قانصوه خسمائة وقرره أميرا
كبيرا عوضا عن ترازى الشمسى وخلع على جان بلاط بزيشيك وقرره فى الدوا دارية
الكبرى عوضا عن اقبردى الدوا دار وخلع على تانى بك الجمالى وصيره نظام الملك مضافا لما
بيده من امرية سلاح وكان القائم فى هذه الامور وتديرها كرتباى الاجر هذا كله جرى
والاشرف قايتباى فى النزاع لم يشعربما وقع من هذه الامور ولو كان واعيا لما مكن
الامراء أن يسلطوا ولده ولا كان هذا قصده وكان الملك الناصر لما تولى الملك له من
العمر نحو أربع عشرة سنة وأشهر وقد قارب البلوغ وكان مولده سنة سبع وثمانين

ونماغائة وكانت أمه بحر كسية تسمى أصلباي من مشترى الاشرف قايتباي وكان الملك
الناصر محمد هذا جيل الهيئة مليح الشكل وعنده عترسة وجراة في الامور متحر كافي
نفسه وعنده رهب وخفة وعماد حبه قول القائل

ان العناصر في سلطاننا اجتمعت * شمائل بهرت من حيين مولده
قد ناسب النار عزما والهوى خلقا * والبحر جودا وملاك الارض في يده
ولما كان يوم الاحد سابع عشرين هذا الشهر كانت وفاة الملك الاشرف قايتباي رجة
الله عليه توفي بعد العصر من ذلك اليوم وبات بالقلعة فطافت له نذراء بالقاهرة وهم يقولون
يصل غدا باكرا النهار على العبد الفقير الى الله تعالى الملك الاشرف قايتباي رحمه الله فتأسف
عليه الكثير من الناس فلما كان يوم الاثنين ثامن عشره وهو اليوم الثالث من
سلطنة ولده شرع الامراء في تجهيزه واخراجه فغسل في البيت الذي مات فيه وأخرج
نعشه قدام الدكة التي بالحوش وصلى عليه هناك ونزلوا به من سلم المدرج ومشت
قدامه الامراء والعسكر قاطبة وكانت جنازته مشهودة بخلاف من يموت من الملوك
فتوجهوا به الى تربته التي أنشأها بالقرب من زاوية سيدي عبد الله المتوفى رحمه الله
فدفن بها وانقضت مدته من الدنيا كأنهم لم تكن وزال ملكه بعد أن حكم بالبلاد الشامية
والبلاد المصرية تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر واحد وعشرين يوما وهذه المدة لم تتفق
لاحد من ملوك الترك قبله وقد قيل في المعنى

ان الذي اغتر بالدنيا وزينتها * وظل فيها بحب المال مفتونا
أتت اليه المنايا وهي مسرعة * فاصبح الجسم تحت التراب مدفونا
قد فارق الابل والاطوان وانقطعت * آماله وغدا في القبر مرهونا
خلاب اعماله ما كان من حسن * أو من قبج به قد صار مقرونا
وفي ذي الحجة فرق السلطان الملك الناصر الضحايا على العادة للعسكر وفيه أنعم السلطان
بتقديم ألوف على جماعة من الامراء منهم أزيك اليوسفي الظاهري حقمق المعروف
بقشق وكسباي الزيني ويشبك الجعي المعروف بقروقرقاس بن ولي الدين وفيه كتب
المراسيم بحضور الامراء الذين كانوا أخرجوا الى النقي من حين كانت وقعة قانصوه خسمائة
واقبردى وكتب بحضور قانصوه الشامي الذي كان قرر في نيابة حماه وقرر عوضه بنيابة حماه
اركاس أحد المقدمين بدمشق وكتب بحضور قانصوه الالقي أيضا وبقية الامراء
المنفيين وفيه ظهر تغري بردى الاستادار وكان له مدة وهو مختلف يزيد على أربع سنين
وكان قد فرخو فامن السلطان قايتباي لما تجمد عليه مال له صورة وفيه جاءت الاخبار
بقتل أحمد بن بهادر نائب قلعة صفد وكان لا بأس به وقد قتله كرتباي أخو اقبردى الدوادار

وكان كرتباى يومئذ نائب صفد فخرجت المراسيم بقبضه على يد خاصكى يقال له الماس بن
 ولى الدين فلما تحقق كرتباى ذلك ضرب عنق الماس وأحمد بن بهادر نائب القلعة وخرج
 من مدينة صفد وفيه عينت نيابة صفد لبرديك الطويل عوضا عن كرتباى بحكم صرفه عنها
 وفيه قرر القاضي عبد القادر القصري في نظر الجوالى وهذه أول وظائفه وفيه عظم أمر
 الاتابكى فأنصوه خمسمائة الى الغاية حتى انه لم يصل مع السلطان صلاة عيد النحر ولا صلاة
 الجمعة ثم أمر بانخراج عماليك اقبردى الدوادار الى أما كن شتى من البلاد وكان قد تخوف
 منهم وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى على الغزال وكان مقيما بخانقاه سرياقوس
 وفيه فرق الملك الناصر جملة أقاطيع كانت في الذخيرة من أيام الاشرف قايتباى وكانت
 نحو من ألف اقطاع ففرقت على المماليك جميعا ما بين أقاطيع ورزق وغير ذلك وفيه قرر
 جان بلاط الغورى في نيابة القلعة عوضا عن ايدكى وفيه قرر طرباى الشرىقى أمير اخور
 رابع عوضا عن تغرى بردى يونس السيسى الدوادار بحكم انتقاله الى امرية الاخورية
 الثالثة وفيه قرر السيد الشريف عبد الرحيم الجوى في كتبة سرده مشق عوضا عن محب
 الدين الاسلمى فاقام بهامدة وعزل عنها وتوجه الى ابن عثمان فأكرمه وفيه قرر بخشبباى في
 مقدمة ألف بدمشق ثم تولى نيابة حماه فيما بعد وفيه قرر كرتباى الاحمرى فى الوزارة
 والاستادارية وكاشف الكشاف مضافا لما بيده من مقدمة ألف وصار صاحب الحل
 والعقد فى ثلاث الايام فظهر أشياء كثيرة من أنواع العدل منها أنه أبطل وظيفة نظرا لوقوف
 ونودى بذلك فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وأبطل عدة مكوس ومظالم وحجر على
 البردارية والرسل والنقباء أن لا يأخذوا من الاخصام أكثر من نصفى فضة وأن أحدا
 منهم لا يقرر على أحد رهما ولودام كرتباى بمصر لحصل للناس به خير وفيه قبض على
 القاضي أبى المنصور صاحب ديوان اقبردى الدوادار فتسلمه الامير جان بلاط الدوادار وضربه
 ضربا مبرحا وقرر عليه مالا له صورة وفيه خلع على الامير اقبباى الطويل نائب غزة واستمر
 على نيابته بغزة وكان أشيع عزله لانه كان من عصابة اقبردى الدوادار فلما أراد أن يتوجه
 الى غزة أخذ معه اقبردى الدوادار فى الخفية فلما بلغ قانصوه وكرتباى الاحمر أن اقبردى
 الدوادار خرج صحبة اقبباى الطويل بعنا اليه والى الشرطة الى الخانقاه ففتشوا حوله حتى
 الحوايج خاناه وسـ ترا لله تعالى على اقبردى حتى خرج من القاهرة ولم يظفر به أحد وهذا
 كان سبب خروج اقبردى من مصر وتوجهه الى غزة وكبسوا بسببه فى ذلك اليوم عدة
 أما كن ودور بالخانقاه حتى هجموا هنالك الجوامع والزوايا وحصل الضرر الشامل
 بسبب ذلك للناس وقيل انه لما خرج من الخانقاه فتشوا سنيح الامير اقبباى الطويل
 أيضا وكان قد اختفى فى اقبردى فى الدست الكبير الزخمية لما جاء لوهاعلى الجمل فستر الله
 عليه وفيه نزل السلطان الملك الناصر من القلعة وتوجه الى القرافة فزار وعاد الى

القلعة وهذا أول ركوبه في حال السلطنة وفيه حضر الأمير خشك دى السيقى وكان مقيماً بدمشق من أيام الأشرف قايتباى رحمه الله تعالى فلما حضر أكرمه السلطان وكان من أمره ما سئذ كره في موضعه وفيه كثرت الاشاعات بوقوع فتنة فبادر الاتابكى قانصوه وقبض على جماعة من طائفة الايالة نحو ستة عشر نفرًا وأخرجوا مع نقيب الجيش شيئاً فشيئاً وتوجهوا نحو البلاد فكان منهم برديك المجدى وبرقوق ودولات باى بن عيسى وآخرون وفيه قوى الفحص والتفتيش على اقبردى الدوادار ووجهه وابسيه عدة دور فلم يجدوه ولم يعلموا أنه خرج صحبة أقبای نائب غزة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعمائة﴾ فيها في المحرم كان خديفة الوقت يومئذ الامام المتوكل على الله عبد العزيز العباسى وكان سلطان العصر يومئذ الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباى والقضاة الاربعة على الحكم الاول كما تقدم وكان الاتابكى قانصوه خمسة مائة ونظام الملك تانى بك الجمالى الظاهرى والدوادار الكبير جان بلاط بن يشبك والاستاد ار كرتباى الاخر وفيه خرج اصطمر بن ولى الدين ومعه عدة من الجند بسبب القبض على أمير الحاج تانى بك قرالاينالى فلاقاه من عجرود وقيدته وبعث به من هناك الى نغرا الاسكندرية فسجن بهامع تمر از أمير كبير كان وفيه جاءت الاخبار بقتل عساف الحبشى نائب صيدا وبغروت وكان من مشاهير الرؤساء وله شهرة زائدة بتلك البلاد وفيه كانت نفقة البيعة على الجند فأنفق على الجند على العادة ولكن لم يعط مائة دينار كاملة لغير القايتبايه وأعطى من دون ذلك لكل واحد خمسة دیناراً وأنفق على أولاد الناس ثلاثين ديناراً وفيه حضر السلطان المصطفى العثمانى وحلف عليه سائر الامراء والعسكر ولم يطلع الاتابكى قانصوه خمسة مائة ولا حلف ولا ~~كن~~ طلع بعد أيام وحلف أيماناً غير صادقة كما يقال في المعنى

خان المين وعهد الوتد قد فسحاً * ولا ترى قط صدقا خالصا نسخا

وفيه قرر دولات باى بن اركاس الساقى في نيابة البيرة وخرج اليها عن قريب ودولات باى هذا هو الذى تولى الاتابكية بمصر وفيه قبض كرتباى الاخر على شمس الدين الفرنوى امام اقبردى الدوادار وعاقبه أشد العقوبة وتسلم أيضاً المنصور وعاقبه أشد العقوبة وجرى لهما أمور يطول شرحها وما خلاص الا بعد جهد كبير وكان السلطان له عناية في الباطن بجماعة اقبردى الدوادار وفيه قبض كرتباى الاخر على جماعة من الامراء العشراوات ممن كان من عصابة اقبردى الدوادار منهم اسنباى الابرهمى المعروف بالاصم ورسباى السلحدار وجانى بن بن ازدهر المعروف بالصغير وبخشباى بن عبد الكريم وطقطبباى ابن بردبك الدوادار ومن الخاصكية تمر از جوشن واينال السلحدار وقانصوه الساقى وأبو يزيد

الصغير وآخرون غيرهم ولم يكن ذلك باختيار السلطان وفيه توفي الشيخ حزة بن محمد
 ابن حسن بن علي بن عبد الله الملقب بالشيخ الملقب بالشيخ الملقب بالشيخ الملقب بالشيخ
 بالخائنة الشيخونية وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان للخليفة بأن يطلع إلى القلعة ليسكن
 فيها كما كان ساكن من قبل وكان السلطان قايتمباي رسم له بأن ينزل ويسكن
 بالمدينة عند ما حرق حاصل الخيام كناية دم وفيه من الحوادث أن السلطان ضرب
 امرأتين يديه بالناقار وشهرت على حجارة وفي عنقه ازنجير وهو ذالم يعهد قط فلما طاش
 الملك الناصر وخف وكل كرتباي الاحرار بعة من الخالصكية يمنعون من اللعب مع أولاد
 العوام ومن كل تصرف في شيء وصارت في بك الجمالي نظام الملك يبيت عنده كل ليلة بالقلعة
 ومع ذلك ما رعى وما حصل من هذا طائل وزاد في الطيشان حتى خرج في ذلك عن الحد
 وكان منه ما سئد كره في موضعه وفيه دخل الحاج إلى القاهرة وقد نفي تاني بك قرامن بجورود
 فلما دخل المحمل طلبه السلطان عنده بالقلعة ليراه ولم يكن رآه قط قبل ذلك وفيه أنه تم
 السلطان بتقدمة تاني بك قرا على قيمت الرجب وفيه ان من جملة طيشان الملك الناصر أنه
 خرج لصلاة الجمعة وهو بغير كلوته بل بتخفيفه صغيرة فشق ذلك على الامراء وعابوا عليه
 هذه الفعلة وفي صفر خلع السلطان على قانصوه الشامي الذي كان نائب حله وقرره في
 الرأس نوبة الكبرى عوضا عن تاني بك قرا لما بقى أمير مجلس ونفي إلى الاسكندرية وفيه قرر
 في مشيخة تربة الامير يشم بك بن مهدي الدوادار الكبير كان الشيخ أبو النجاشي الفوي الواعظ
 وكان من أهل الفضل وفيه من الحوادث ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز عهد
 للشيخ جلال الدين الاسيوطي بوظيفة لم يسمع بمثلهما قط وهو أنه جعله على جميع القضاة قاضيا
 كبيرا يولي منهم من يشاء ويعزل منهم من يشاء مطلقا في سائر ممالك الاسلام وهذه الوظيفة
 لم يلقها قط سوى القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز في دولة بني أيوب فلما بلغ القضاة ذلك شق
 عليهم واستخفوا عقل الخليفة في ذلك وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط
 ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيرا فلما قامت الدائرة
 والاسنة على الخليفة رجع عن ذلك وقال ايش كنت أنا الشيخ جلال الدين هو الذي حسن
 لي ذلك وقال لي هذه كانت وظيفة قديمة وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم
 أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك وبعث أخذ العهد الذي كان كتبه للشيخ جلال
 الدين الاسيوطي وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ووقعت أمور يطول شرحها
 ثم سكن الحال بعد مدة وفيه أشيع أن الاتاكي أربك قد حضر من مكة في الخفية
 فاضطربت أحوال المالكة الجلبان وكادوا أن ينشؤا فتنة ولم يكن لتلك الاشاعة صحة
 وفيه عزل الشهابي أحمد ناظر الجيش وتولى القاضي محيي الدين عبد القادر القصري

وكان الساعى له في ذلك جان بلاط الدوادار وكان من أخصائه وفيه ابتداء الامراء
المقدمون في لبس التخفيف التي بالقرون الطوال وقد خرجوا في ذلك عن الحد وفي هذه
الواقعة يقول بعض الشعراء

يقول أميرنا الماتى دى * أنا في الحرب ذوالقرنين دعنى
أنا كبش وأعدائى نعايج * اذا برزوا فأنطعها بقى

وفيه خلع السلطان على قانصوه الاثني وقرره أميراً خور كبير عوضاً عن شادبك الخوخ
بحكم انتقاله وفيه أنعم السلطان على دولات باي السلاح بتقدمة ألف وصار من جملة
المقدمين وفيه خلع السلطان على بخشباي وقرره في نيابة قلعة دمشق بعدما كانت بيد
غيره وجرى بسبب ذلك أمور بطول شرحها وفيه جاءت الاخبار بوفاة كرتباي نائب البيرة
وكان قصد الحضور الى مصر فبات يعلبك وفي ربيع الاول خلع السلطان على الناصري
محمد بن الشهابي أحد بن العيني وقرره في نظار الجوالى عوضاً عن عبد القادر القصري
وفيه عمل السلطان المولدا نسبوى وكان حافلاً وهذا أول مولده فلما جلس بين الامراء
اعتراه النعاس حتى رش الماء على وجهه كي يستفيق وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى تربة والده فزار قبره ثم توجه من هنالك الى قبة الامير شبك الدوادار التي بالمطرية ثم
عاد الى القلعة وشق من القاهرة في موكب حافل وفيه خلع السلطان على كرتباي ابن عمه
السلطان وقرره في امرية الحاج بركب المحمل وفيه قرر قانصوه الدوادار شبك في امرية
ميسرة بحلب ثم جرى عليه بعد ذلك أمور شتى وفيه قرر قانصوه الدوادار شبك في امرية
وفيه قرر طومان باي الخازندار في نيابة الاسكندرية فأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى القاهرة
وطومان باي هذا هو الذي تسلط في ما بعد وتلقب بالعدل وفيه حضر الى القاهرة قاني
باي الرماح وكان أتاكاً بحلب وصرف عنها وفي ربيع الآخر سافر سيدي الدوادار الثاني
الى جهة غزة بسبب اقبردى الدوادار وقد ثبت أنه عند اقباي نائب غزة ثم جاءت الاخبار
بأن اقبردى الدوادار خرج من غزة هو واقباي نائب غزة وتوجه الى البلاد الشامية فتأثر
الامراء لذلك وضر بوا مشورة في أمره فوقع الاتفاق على أن يكتبوا له بأمان من السلطان
والامراء فكتبوا له أماناً وأرسلوا له وكل هذا عين الخداع وفيه قرر محمد بن أبي يزيد في نظر
البيمارستان المنصوري وكان قد عظم أمره في تلك الايام جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة
قانصوه نائب قلعة الروم وكان لا بأس به وفي جمادى الاولى نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى قبة شبك الدوادار التي في المطرية وبات بها ثم طلع الى القلعة وشق من القاهرة
وزينت له وكان يوماً مشهوداً وفيه تزايدت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة ونقل الناس
أمتعتهم من الدور فلما كثر الكلام في ذلك أحضر السلطان المصنف العثماني وطلع به الى

القلعة وحالف عليه الامراء والجند بأن يكونوا كلمة واحدة ويكونوا عباد الله اخوانا
وأن الامراء الذين هم من عصابة الأمير أقبردى الدوادار يظهرون ويكونون واياهم شيأ
واحد فوافق الاتابكي قانصوه خسمائة على ذلك وكذلك كرتباى الاحر وبقية الامراء
فلما جرى ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن الغياب الذين من عصابة أقبردى يظهرون
ولهم الأمان من السلطان فعند ذلك ظهر شادبك الخوخ الذى كان أميراً خور كبير وائنال
الحسييف الذى كان حاجب الحجاب وقائم قريب السلطان أحداً المتدمين بمصر وجانم مصبغة
فلما ظهر واوطلعوا الى القلعة خلع عليهم السلطان كوامل بسمور وذلك فى يوم الثلاثاء سابع
عشر الشهر المذكور ثم رسم لهم السلطان بأن توجهوا الى دار الاتابكي قانصوه خسمائة
التي بقناطر السباع ويقبلوا يده فتوجهوا الى هناك وقبلوا يد الاتابكي قانصوه خسمائة
ورجعوا الى بيوتهم فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم أرسل الاتابكي قانصوه خلفهم وزعم
أنه يضيفهم ويعد لهم مدة فحضر اليه شادبك الخوخ وائنال الحسييف وقائم قريب السلطان
ولم يحضر صحتهم جانم مصبغة وكان صاحب الرأى فى عدم حضوره فلما اجتمعوا عند
الاتابكي قانصوه طاولهم بالكلام ثم أحضر لهم سفرة الشراب فشرىوا ولم يجلس معهم
شادبك ثم فتحوا بينهم باب العتاب واستمروا على ذلك حتى تنصف الليل فلم يشعروا الا وقد
دخل عليهم مصر باى الثور والى القاهرة فقبض على الثلاثة وتوجه بهم الى نحو الجزيرة
الوسطى فقبل انه أغرقهم هنالك وكان هذا آخر العهد بهم كما قيل فى المعنى

لم أر أيت الغدر منهم بدا * والبغض من أعينهم لم يلاوح

فقلت للقلب ارتجع عنهم * ما قصدهم منك سوى أخذ روح

فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الاربعاء ثامن عشر به صلى الاتابكي قانصوه العشاء وركب
عن معه من الامراء والعسكري وهجم وملاك ياب السلسلة وكان قانصوه الاثنى أميراً خور
كبيراً أحوجه يدق باب السلسلة ولا ينتظر الجواب فلما كان يوم الاربعاء صبيحة ثلاث
الليلة جلس الاتابكي قانصوه خسمائة فى الحراقة التى بباب السلسلة وأرسل خلف أمير
المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز فحضر وحضر التضاة الاربعة واجتمع عنده أربعة
عشر مقدم ألف والعسكر قاطبة من الامراء والجند فلما تكامل المجلس مشوامع الخليفة
فى خلع الملك الناصر وتولية قانصوه خسمائة فخلع الناصر من السلطنة بصورة شرعية
وكتب بذلك صورة محضروا وشهد فيه جماعة كثيرة وبويع قانصوه خسمائة بالسلطنة
وتلقب بالاشرف أبى النصر على لقب اسـ تاذم الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته قبل له
الامراء الارض والعسكر قاطبة وفودى له فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من
الخاص والعام وخلع على شخص يسمى جانم أخاً قانصوه الاثنى وجعله والى القاهرة وكان

فانصوه خمسمائة محبا للناس قاطبة بخلاف اقبردى فلما لم يبق سوى أن يفاض عليه شعار الملك ويركب فرس النوبة ويحمل على رأسه القبة والطير ويصعد الى القلعة ويجلس على سرير الملك وقع عند ذلك العجائب والغرائب كما يقال في المعنى
ستقضى لنا الايام غير الذي قضت * ويحدث من بعد الامور أمور

ثم ان قانصوه خمسمائة بعث بعض الامراء الى القلعة بأن يقبض على الملك الناصر ويدخله الى قاعة الجرة فتعصب له جماعة من عماليك أبيه الذين كانوا باطباق وجداريته وكتابه وكانوا نحو من ألف مملوك وكان رأس الجلبان قانصوه خال الملك الناصر فنعوه من دخول قاعة الجرة ومن اعطائه الترس والتمجاة ولم يكن عند الناصر أحد من الامراء فقام قانصوه في محاربة قانصوه خمسمائة أشد القيام وقاتل هو والجلبان قتال الموت فلما كوفي ذلك اليوم رأس الصوة وسلم المدرج والطبلخانة وعمد قانصوه خال السلطان الى الزدخانه ففكها وأخرج منها زرديات وخوداوقسيا ونشابا وقرقها على المماليك الجلبان وكان البدرى حسن بن الطولوني نائبا بالقلعة فاحضر البخارين والحجارين فمهلوا أشياء من الطوارق والمدافع وكان عند الملك الناصر عدة وافرة من العبيد درمة ما بين بندينق رصاص ونقطة خناصر واثانصوه خمسمائة وهو بباب السلسلة أشد المحاصرة ثم ان كرتباى الاجر توجه خلف القلعة ونصب مكدلة على الجبل المقطم تجاه القلعة ورعى بها على الحوش السلطاني فلم يقد ذلك شيئا ثم ان قانصوه خمسمائة نادى في القاهرة بأن أولاد الناس النقطية تطلع الى باب السلسلة ويبيتون بها فلم يطلع اليه أحد منهم فاستمر قانصوه في المحاصرة وهو مقيم بباب السلسلة والخليفة والقضاة الاربعة والامراء عنده واستمر على ذلك يوم الاربعة والخميس فلما كان يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة وقع في ذلك اليوم واقعة مهولة وقت صلاة الجمعة وأحرق المماليك الذين بالقلعة سقيفة الاصطبل السلطاني بحرا ريق وبارود رموه عليها فاحترق الاصطبل وصار المقعد الذي بباب السلسلة مكشوفاً فخاف قانصوه خمسمائة على نفسه أن يرموا عليه شيئا من فوق وكانت سقيفة الاصطبل تمنع الرمي عن المقعد الذي بباب السلسلة فلما رأى قانصوه خمسمائة عين الغلب ركب ونزل من باب السلسلة ووقف عند سبيل المؤمنين فخر عليه بعض الرماة بكفيه وقيل ببندقية فجاءت على طرق أذنه جواز فسقط عن فرسه الى الارض وقد أغشى عليه وغاب عن الوجود فحمله الغلمان على أعناقهم وبقي لباسه يتكته بأثر للناس ورأسه مكشوفة وعليها زنت أقرع فترلوا به من الصليبية وهو على هذه الهيئة فلما وصلوا به الى المدرسة الجاولية أركبوه على حمار وهو مغمى عليه لا يدري ما جرى له فلما وصلوا به الى درب الشمسى اختفى في مكان هناك وكانت هذه الواقعة من أعجب الوقائع كما قيل

وبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

فلما انكسر قانصوه وخرج من باب السلسلة على أنحس حال نزل المماليك الجلبان من
القلعة الى باب السلسلة ونهبوا كل ما فيه من سلاح وقماش وغير ذلك ونهبوا طشتخانة
الامراء والخليفة وخطفوا عمائم القضاة ونوابهم وما سلم الخليفة والقضاة من القتل الا
السلامة وقتل في هذه الحركة جماعة من الجند وقتل شخص من الامراء العسراوات يقال
له كشبة او كانت النصر للملك الناصر على قانصوه خمسمائة على غير القياس بعد أن ملك
باب السلسلة وبايعه الخليفة وتلقب بالاشرف واجتمع عنده سائر الامراء المقدمين من
الظاهرية الحقةمية والقايتباكية وسائر العسكر من كبير وصغير وقبلوا له الارض قاطبة
فاورث الخذلان وانتصر عليه الملك الناصر وكان قد استخف به اصغر سنه وقلة عصيته فكان
كاقيل في المعنى

ولا تحقرن صغيرا ملك * وان كان في ساعديه قصر

فان السيوف تحز الرقاب * وتجزع عماتنا الابر

وقال آخر

لا تحقرن كيدا صغيرا * تموت الافاعي من سموم العقارب

وقال آخر

لا تحقرن صغيرا في مخاصمة * ان الذبابة تدمى مقلة الاسد

فلما كان يوم السبت مسمت لجمادى الآخرة طلع الخليفة الى القلعة والقضاة الاربعة
يهنئون السلطان بالشهرويه هذه النصر التي حصلت له ثم ان الخليفة أعاد الناصر الى
السلطنة وبايعه ثانيا وكان خلع من السلطنة وأقام ثلاثة أيام الى أن عاد اليها وقيل ان
الملك الناصر رشد في ذلك اليوم وثبت رشده وأباحوا له التصرف في المملكة بما يختار ثم انه
خلع على الخليفة ونزل الى داره وضربت البشارة بالقلعة وتخلق جماعة السلطان بالزعفران
وفرق على الخاصكية سلاريات حريرا صفرا بسنجا وبوشكوا بالسودا الحريرا الاصفر وفي
ذلك اليوم رسم السلطان بالافراج عن الاتابكي تراز الشمسي وتاني بك فتوجهوا بالمراسيم
الى نغرا الاسكندرية الى مغلباى الشريفي وهو الآن الزرد كاشي الكبير وكتب السلطان
أيضا مراسيم الى اقبردى الدوادار بالحضور وتوجه اليه جاني باي وفي ذلك اليوم خلع
السلطان على اينال السلحدار وقرره في ولاية القاهرة عوضا عن مصر باي الثور بحكم
اختفائه وصرف نظرا لجيش عن عبد القادر القصري وأعيد اليها الشهابي أحمد بن ناظر
الخاص يوسف وقرر البدرى محمد بن كمال الدين ناظر الجيش في نظرا لجوا الى عوضا عن
الناصرى محمد بن العيني بحكم صرفه عنها وقرر شمس الدين القزويني في نظرا لاجباس عوضا
عن محمد بن مزاحم الطرابلسي وعين الأمير سودون العجمي في نيابة الاسكندرية عوضا

عن قاني بردى البهلوان وأرسل بالقبض عليه فلما جرى ذلك وقع النهب في بيوت الامراء
الذين اختفوا لما انكسر قانصوه خمسمائة وأقامت القاهرة نحو من أربع عشرة ليلة لم يدق
فيها طبلخانات بموجب اختفائهم واضطربت الاحوال وفي هذه المدة كانت القلعة شاغرة لم
يقم بها خدمة ولا يصعد اليها أمير والاشاعات كل ليلة قاعة بوقوع فتنة وكثر القال والقليل
في ذلك وامتنع الناس من السفر الى الشرقية والغربية لتزايد فساد العربان في الطرقات
والقاهرة ما تجمعا باهلها يترقبون وقوع فتنة كبيرة وفيه من الوقائع أنه لما انكسر قانصوه
خمسمائة توجه في ذلك اليوم قانصوه الشامي ومصرياى والى القاهرة فخرج على جرائد
الخيل الى البر الحيرة وتوجهها من هناك الى نغرا الاسكندرية ليقتل الاتابكي ترازوتاني بك قرا
وكانا بالسجن بالاسكندرية كما تقدم وكان قاني بردى البهلوان أخو قانصوه خمسمائة يومئذ
نائب الاسكندرية فلم يشك بأن نائب الاسكندرية يمكنهما من قتل الاتابكي ترازوتاني بك
قرا وكان تدبيرهما في يد غيرهما فيبينهما في أثناء الطريق اذ خرج عليهما جماعة من العربان
في تروجة فتحاربوا معهم فانكسروا قبضت عليهما العربان فقتل مصرياى الشور وحررت
رأسه وعلقت على باب الاسكندرية وأما قانصوه الشامي فقبضوا عليه وأحضره الى
الاسكندرية فسجن بالبرج الذي كان فيه الاتابكي ترازو والمجازاة من جنس العمل وكانت مدة
سجن الاتابكي ترازو بالاسكندرية ستة أشهر وأياما وكذلك تاني بك قرا بعد عدة يسيرة
وأخرج من السجن معا وقد قيل

وكم من طالب يسعى لشيء * وفيه هلاك لو كان يدرى

فأقام قانصوه الشامي أياما في السجن بشغرا الاسكندرية وفيه بعث السلطان مراسيم على
يد قانصوه ودادار الائم يرشاد بك الخوخ الذي قتل بضرب عنق قانصوه الشامي فلما
وصلت المراسيم الى نغرا الاسكندرية أخرج قانصوه الشامي من برج الاسكندرية وتوجه
به الى آخر المدينة وضرب عنقه قتل وكان المشاعلى غائبا والذي ضرب عنقه كان صبي
المشاعلى وقيل انه ضربه ثلاث ضربات حتى أطاح رأسه وعذبه غاية التعذيب وذلك أن
قانصوه ودادار شاد بك الخوخ أخذ بثأر أستاذه منه وعلقت رأسه على باب الاسكندرية
وهي مشهورة فكان أول من قتل من الامراء وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية
وكان لا بأس به وفي أثناءه وصل الاتابكي ترازوتاني بك قرا فخرج الناس الى
ملاقاتهم وطلعا الى القلعة في موكب حافل وعليهما الملايط الطرح فلما قابلا السلطان
خلع عليهما ثم أعاد ترازو الى الاتابكية عوضا عن قانصوه خمسمائة وخلع على تاني بك قرا
وقرره في امرية مجلس عوضا عن أزبك اليوسفي المعروف بالخان زندار وأنعم على قاني بك
المعروف بنائب الاسكندرية وقرره من جملة المقدمى الالوف وقرر خشكلى في

استنادارية العصبة وعزل اينال السلحدار عن ولاية القاهرة وقرر بها قانصوه الفاجر
عوضا عن اينال وفيه أنعم السلطان على مصر باي الشريف شاد الشرايخانا بتمقدمة
ألف وخلع على خاله المقر السبق قانصوه بن قانصوه وقرره في شادية الشرايخانا وأنعم
عليه بامرية طبخانا وهذا أول ظهوره بمصر واشتهاره وكان من جملة عماليك السلطان
الجدارية ولم يكن خاصيا فخدمه السعد بجملة واحدة واستقر يرقى الى أن بقي سلطانا كما
سيأتي ذكره في موضعه فلما بقي شاد الشرايخانا اجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل
والعقد بالديار المصرية وصار له في لارباب الوظائف من بابيه وعوات الناس على أشغالها في
رد جوابه فهذا كله جرى وقانصوه خمسمائة من حين انكسر مختلف والاشاعات قائمة
بوقوع فتنة كبيرة وصار الناس على رؤسهم طيرة ثم أشيع بين الناس ان المماليك الذين
من عصبة قانصوه خمسمائة يقصدون قتل الاتابكي ثم راز وتاني بك قرا فرسم لهما السلطان
بأن يطلعا الى القلعة ويقميا بها حتى يـكون من الامر ما يكون فطلع الاتابكي تراز
وتاني بك قرا وأقاما في الجامع الصغير الذي هو داخل الحوش السلطاني أياما فلما كان
يوم الثلاثاء ثامن عشر جازى الاشر فظهر الاشر ف قانصوه خمسمائة من مكان في درب
المرسنة الذي عند قناطر السباع وكان قد أشيع بأنه قد خرج على وجهه من حين انه زعم من
الرميلة فلما ظهر تسامع به من كان من عصبته وأنوا اليه أفواجا أفواجا فركب من هناك
وتوجه الى الميدان الناصري الذي عند البركة وعلى رأسه صبحق فلما تسامع به العسكر
حضر عنده جماعة من الامراء من كان من عصبته واختفى يوم الهزيمة فحضر قانصوه
اللاتي وجان بلاط بن يشبك وماماي وقرقاس بن ولي الدين وقانصوه المحمدي وقيت الرحبي
وكرتباي الاحروك وباي الشريف بنى ويشبك قرفهؤلاء مقدمو ألوف وحضر من الامراء
الطبخنات والعشراوات جماعة كثيرة فلما تكاثر هناك العسكر ضاق بهم الميدان فسن
يبال قانصوه خمسمائة أن يأخذ العسكر ويتوجه الى الازبكية فتوجه الى هناك ونزل بدار
الاتابكي أربك فلم يحضر اليه من العسكر الا قليل فتلأشى أمره وبان عليه الخذلان وهو لا
ينته عما هو فيه كما يقال في الامثال الموت في طلب النار * ولا الحياة في العار

وقال آخر

فوق في الوغى عيشي لاني * رأيت العيش في أرب النفوس

فبات تلك الليلة هناك في الازبكية فلما أصبح يوم الاربعاء تسحب من كان عنده من العسكر
ولم يبق عنده منهم الا قليل ولا كثير وتوجه الامير كرتباي الاحرالى المطرية وخليج
الزعفران لاجل أخذ الخيول فانها كانت في الربيع وبلغ قانصوه خمسمائة أن المماليك
الجلبان نازلة من الطبقات وهم مشاة وقد وصلوا الى رأس البندقانيين فلما تحقق ذلك طاب
الفرس وركب هو ومن عنده من الامراء المقدمين والطبخنات والعشراوات نحو من

عشرين أميرا والطواشي فيروز الزمام ومنهم قايتباي الاقارع الزرد كاش وبرسباي
الحسيف أم - يراخور ثاني وقرقاس الشريفي المحتسب واسنباي المبشر وعزاز الشينج
ودولات باي المصارع وازد صراخاندار ودولات باي بكر كس وعرباي الحمدي كاشف
الشرقية وسودون الدوادار ووطومان باي أخوال امير جاتم وآخرون من الامراء انخر جوامن
الاز بكية به - د طلوع الشمس وهم على جرائد الخيل وتوجهوا نحو خانقاه سر يا قوس بعد
ان أخذوا خيول السلطان وغيره من الربيع وكان آخر العهد بهم وقد قتلوا أجمعين
كما سيأتي ذكره فكانت هذه ثالث كسرة وقعت لقائصوه خسمائة وكان أرشل معكوس
الحركات في سائر أفعاله لم يطب طبه وكان ذلك خذلا نال من الله تعالى له وقد قيل
في المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
فان نال بالسعي المني تم سعادته * وان حالت الاقدار كان له العذر

فلما وصل المماليك الجلبان الى الاز بكية وجدوا قانصوه قد تسحب منها وكان الاتابكي
تزاز نزل مع جماعة من الجلبان من على باب الخرق وأتوا الى الاز بكية والجماعة الثانية
مع ثاني بك قرا نزلوا وتوجهوا من البندقانيين من على قنطرة الموسكي وأتوا الى الاز بكية
من هناك فلم يجدوا بها أحدا فاحرقوا طبخانة الامير أزبك ونهبوا داره والربوع التي هناك
ونهبوا قناديل الجامع والحصر التي به وكان هناك حواصل للاتابكي فيها خيام ونشاب
فنهبوا ذلك جميعه ونهبوا دور سكان الاز بكية فكان كما يقال

غيري جنى وأنا للمعذب فيكم * فكانتني سبابة المتندم

وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه خسمائة لما خرج من الاز بكية قصد التوجه الى غزوة ليقفل
اقبردى الدوادار ولكن فاته الشنب وكان مقيما عند اقباي نائب غزوة وكان السلطان
أرسل خلفه ليحضر الى القاهرة وكان يظن أن الوقت قد صفا له بكسرة قانصوه خسمائة
فقصد التوجه الى الديار المصرية فلما خرج من غزوة ووصل الى خان يونس الذي هناك فلم
يشعر الا وقد دهمته عساكر قانصوه خسمائة ولم يكن عنده علم بذلك فاحاطوا به وكان
بينهم ما واقعة قوية مهولة فانكسر اقبردى الدوادار ودخل الى خان يونس وأغلق عليه
الباب فحاصره قانصوه خسمائة أشد المحاصرة وأحرق باب الخان وأشرف أن يظفر به
فلما رأى اقبردى عين الغلبة طلب من قانصوه خسمائة الامان فلم يعطه الامان فبينما
هو على ذلك وقد دنت الشمس للغروب واذا باقباي نائب غزوة واينال باي نائب طرابلس وشيخ
العرب بن نبيعه ومعهم جماعة من العربان والعشيرة أتوا ليتوجهوا مع اقبردى الى القاهرة
فوجدوه في المحاصرة وهو في خان يونس فكان كما يقال * في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج *

فكان بينهما واقعة لم يسمع عنها فلما حال بينهما الليل انكسر قانصوه خسمائة ومن معه من الامراء والعسكر وهذا رابع كسرة وقعت لقانصوه خسمائة فكان كما يقال والنفس لا تنتهي عن نيل مرتبة * حتى تروم التي من دونها العطب فكان أول من أسير من الامراء ماماي بن خداد فحزت رأسه بين يدي اقبردى ثم حزت رأس فيروز الزمام وحزت رأس سودون الدوادار وأما قانصوه خسمائة فمن الناس من يقول انه قتل في المعركة وحزت رأسه وأخذت فرسه والهياكل التي كان حاملها ومن الناس من يقول انه لما انكسر وحال بينهما الليل ركب فرسه وكان مجروحاً فاجاب نفسه ولم يعلم له خبر ولا صرح أنه قتل وحزت رأسه وأحضرت بين يدي اقبردى ودخلت رأسه الى القاهرة وهي على رخ وصار الناس بعد ذلك يشكون في قتله الى الآن ويزعمون أنه باق في قيد الحياة الى الآن وهذا من الأمور المستحيلة وقد قضى الامر في قتله فلما كان صبيحة يوم الواقعة صار اقبردى يقبض على الامراء الذين كانوا صحبة قانصوه خسمائة فقبض عليهم من الغيظان التي هنالك والخانات فأمسك منهم قانصوه الالفى وكسباى الزينى ويشبك قروم من الامراء الطب لخانات والعشراوات زيادة عن عشرين ممن تقدم ذكرهم فلما قبض عليهم قيدهم وقبض على جماعة من الخاصكية ممن كان صحبة قانصوه خسمائة واستمروا في أسره حتى كان من أمرهم ما سئد كره في موضعه هذا ما كان من أمر قانصوه خسمائة واقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك الناصر بعد حركة قانصوه خسمائة فانه صار مع مماليك أبيه في الضنك وهو يهدد كل يوم بالقتل حتى امتنع من صلاة الجمعة وصار الاتابكي عزاز في غاية المشقة وقد وعد بالقتل غير مأمرة وفيه في يوم السبت تاسع عشرية وقعت قلقلة بين المماليك والامراء بالقلعة فقال المماليك للامراء غيروا لقب السلطان ولقبوه بالاشرف على لقب أبيه فطال الكلام في ذلك فقالت الامراء كيف يكون هذا الاخر بعد ما خرجت عدة مناشيروهم ربعات الى البلاد الشامية باسم الملك الناصر فكيف يغير لقبه بالملك الاشرف فقال المماليك لا بد من ذلك وصمموا على قولهم فعد ذلك غير لقبه ونودي في القاهرة بان السلطان يغير لقبه وتلقب بالملك الاشرف فتعجب الناس من ذلك وصاروا لخطباء منهم من يخطب باسم الملك الناصر ومنهم من يخطب باسم الملك الاشرف وكان سبب تغير لقب السلطان أنه أخرج خراجاً من المماليك فصاروا يسمون الناصرية ومماليك أبيه يسمون الاشرفية فصارت المماليك الناصرية أرحج كفة من المماليك الاشرفية فما أطاقوا ذلك وقالوا لقبوا السلطان بالاشرف ونصير كنا أشرفية فما زالوا على ذلك حتى فعلوه وتقرّب هذه الواقعة مما اتفق للملك الصالح أمير حاج ابن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الالفى أنه تسلط أولاً وتلقب بالملك الصالح الى ان خلعه الظاهر برقوق من السلطنة

وتسلطن عوضه فلما أعيد إلى السلطنة ثانياً وخلق برقوق من السلطنة في فتنة يلغا
الناصرى ومنطاش وغيره والقبه بعد مضي ثمانية أشهر ولقبوه بالملك المنصور وقد تقدم
سبب ذلك وفيه كثرة الاضطراب بالديار المصرية وامتنع الامراء من طلوع الخدمة وكثرت
الناس القتل والقتل بأن الممالكة يقدعون الهجوم على السلطان ويقتلونه فرسم السلطان
بستباب السلسلة وباب المبدان وباب الخوش الذى إلى العرب فسدوها بالجور واستمروا
على ذلك مدة طويلة فكان الناس يطعمون إلى القلعة من باب المدرج فقط ويطعمون إلى
باب السلسلة من الباب الذى عند الصوة تحت الطبليخانات وفي رجب خلع السلطان على
ابن سيف وقرره فى امرية آل فضل عوضاً عن أبيه وفيه رسم السلطان بنى أربك قشق
الظاهرى حقه وفيه أنعم السلطان بتقادم ألوف على برديك نائب جندة ومصرياى
وقرقاس التمنى ولكن لم يتم له ذلك فيما بعد وقرر فى نيابة غرة عوضاً عن اقبای كما سيأتى
الكلام عليه وفيه أنعم السلطان أيضاً على قانى بك نائب الاسكندرية وصار من جملة
المقدمين وقرر مغلباى البجة مقدار فى الخازندارية الكبرى وفيه هجم المتسر على سوق باب
الوق وأخذوا أموال التجار وقتلوا عدة من الدكاكين وفعلاوا مثل ذلك بسوق تحت الربع
وكسر وامنه عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وفيه قبض الملك الناصر على القاضى كاتب السر
بدر الدين ابن منهر وادعاه بالطشختخاياه التى بجوار البحرة وقرر عليه أمواله لا يقدر عليها
وهذه أول نكباته وقاسى من البهدة والانكاد ما يطول شرحه واستمر بعد ذلك فى النكبات
وهى مترادف عليه شيئاً بعد شئ حتى كان فيه هلاكه كما سيأتى ذكر ذلك وكان سبب ذلك أنه
يوم مبايعة قانصوه خمسمائة كان هو المذبذب له وأظهر البشر والفرح فى ذلك اليوم فصار
له ذنب عند الملك الناصر بسبب ذلك ومن جملة ما قاساه أن الناصر لى عليه عينه فنفرت
من مكانها وكادت أن تذهب وأقام أياماً وعينه مرفودة وهو فى التوكيل به أياماً حتى أورد
ماله صورة مما قرر عليه وفيه رسم السلطان اللاتابى عزراز والامير تانى بك قرا بأن ينزل إلى
دورهما وكانا بجامع القلعة من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر كما تقدم ذكر ذلك
ونخلع عليهما ونزلا إلى دورهما فى غاية التعظيم وفيه جاءت الاخبار بنصرة أقبردى الدوادار
على قانصوه خمسمائة فلما تحقق السلطان ذلك نادى فى القاهرة بالزينة ودقت البشائر
بالقلعة وفيه فى يوم الخميس رابع رجب جاءت رؤس من قتل فى المعركة على خان يونس كما
تقدم ذكر ذلك فكان عدة الرؤس التى حضرت إلى القاهرة أربعاً وثلاثين رأساً وهى معلقة
على رماح وينادى عليها هذا جزاء من يخامر ويعصى على السلطان وكان من جملة تلك
الرؤس رأس مامى بن خداداد أحد المقدمين وكان رئيساً حشماً وافر العقل شجاعاً بطلاً
وكان من خواص الاشرف قايتباى توجه قاصداً إلى ابن عثمان غير ماهرة وتولى من

الوظائف الدوادرية الثانية ثم بقي مقدم ألف وهو الذي جسد الدار المعظمة التي بين
القصرين وصرف عليها جملة مال عظيم ومن جملة الرؤس رأس فيروز الطواشي الزمام فلم
يرث له أحد من الناس ولا أنثى عليه خيرا وكان عنده خفة وطيش ومن الامراء العشراوات
بخشباي بن عبد الكريم وقرباي كاشف الشرقية وسودون الدوادر ومن الخاصكية عدة
وافرة منهم قايتباي بن قيت الرحبي وخاير بك دوادر الا تباكي أذربك وأزبك البيري السيفي
جاني بك نائب جدة وآخرون من الخاصكية المماليك السلطانية وكان آخر الرؤس الذي
تسلطن وما كان أغناء عن هذه السلطنة فصنعوا له عيوناً من زجاج حتى يعرف بهم من بين
الرؤس وكان قانصوه خمسمائة أميراً جليلاً موصوفاً بالشجاعة وافر العقل كثير الادب
والحشمة ويقال كان أصله من ممالك الملك الظاهر خشدقدم من كتابته واشترى الاشرف
قايتباي وأعتقه فهو من عتقائه وتولى من الوظائف الدوادرية الثانية والامير اخورية
الكبرى ثم بقي أتابك العساكر بمصر ثم تسلطن وتلقب بالاشرف وأقام في السلطنة ثلاثة
أيام وخرّب بسببه عدة دور وقتل جماعة كثيرة من الامراء وكان قانصوه خمسمائة ليس له
سعد في حركانه وقتل وهو في عشر الحسين فلما عرضوا تلك الرؤس شك أكثر الناس بان هذه
ليس برأس قانصوه خمسمائة واستمر واعلى ذلك الى الآن والاصح أنهم ارأسه فأمر السلطان
أن تعلق بباب زويلة وباب النصر واستمرت الكؤوسات تدق بالقلعة سبعة أيام وكذلك يوت
الامراء المقدمين ثم ان اقبردى الدوادر أرسل يشاور السلطان في أمر هؤلاء الامراء الذين
أسروا بخان يونس فبرزت اليه المراسيم الشريفة بقتلهم أجمعين فلما وصل اقبردى الى
الخطارة سلم هؤلاء الامراء الى شيخ العرب أحمد بن قاسم بن يقر فألقى بهم الى فاقوس وقتلهم
أجمعين تحت جيزة كانت هناك ثم رموهم ببئر كانت هناك وانقضت أخبارهم وقيل ان
الذي باشر قتلهم ثاني بك أبوشامة وقتل ثاني بك أبوشامة بعد مدة يسيرة كما سيأتي الكلام
عليه ومثل ما تعمل شاة الحمى في القرظ يعمل القرظ في جلدها فكان عدة من قتل هناك من
الامراء نحو من خمسة عشر أميراً منهم مقدم وألف وثلاثة وهم قانصوه الالقي وكسباي
الزيني ويشبك قرو كان قانصوه الالقي من خواص الاشرف قايتباي وتولى من الوظائف
الدوادرية الثانية ثم بقي مقدم ألف ثم بقي أمير اخور وكسباي الزيني تولى حسيبة القاهرة
والدوادرية الثانية ثم بقي مقدم ألف ويشبك قروتولى ولاية القاهرة ثم بقي مقدم ألف ومات
بقية الامراء شرميتة حتى قيل ان العرب قطعوا أرجلهم بالخناجر حتى أخذوا منها القمود
الحديد وألقوهم هناك في بئر خراب وأما من قتل هناك من الامراء الطبغانات فالامير
قايتباي الاقرع الزرد كاش الكبير ورسباي الخسيف أمير اخور ثاني وقرقاس الشريفي
المحتسب واسنباي المبشر استادار الحجة وقرباي وقرزاز الشيخ ودولاتباي بن حركس

وازد من الخازندار ودولت باي المصارع وآخرون من الامراء العشراوات وقد تقدم
 القول على ذلك وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع وأبشعها وكان قانصوه خسمائة لما
 تسحب من الازبكية وقصد التوجه الى غزة أخذ عدة خيول للسلطان وللناس كانت
 في المرباط على البرسيم في زمن الربيع فحصل بسبب ذلك غاية الضرر وكانت تلك الايام كلها
 اضطراب وفيه أرسل السلطان الملك الناصر يستحث اقبردى الدوادار على الدخول الى
 القاهرة وكان ظن أن الوقت قد صفا له ولكن حدث بعد ذلك أمور يأتى الكلام عليها
 وفيه خلع السلطان على جوهر المعينى وقرره في الزمامية عوضا عن فيروز الرومى بحكم قتله
 كما تقدم وقرر عبد اللطيف الرومى في الخازندارية الكبرى عوضا عن فيروز أيضا وفيه أنعم
 السلطان على قانى باي الرماح بتقدمة ألف وكان أمير عشرة وولى نيابة صهيون قبل ذلك
 وفيه خلع السلطان على أبى يزيد الصغير وقرره في باشية مكة المشرفة وكان ذلك باختياره
 خوفا على نفسه من القتل والقتل وفيه من الحوادث أن عماليك الاتابكي تراز قتلوا
 شخصان من خواصه يقال له محمد البارنبالى وكان من وسائط السوء عند تراز وكان
 صاحب ديوانه ومباشره فأطاع المماليك فعليه فقطع لونه وهو جالس بباب الاتابكي تراز
 وتعصب له ثم بعض عماليك السلطان فلم يطلع من يد الاتابكي تراز في حقهم ثم شئ وراح
 القتل في كيس محمد البارنبالى وفيه ابتداء الملك الناصر في الطيش ومخالطة الاوباش
 والاطراف وحملت اليه مركب صغيرة فجعلها في البحرة ووضع بها حلوا وفاكهة وجبنا
 مقليا وصار ينزل في المركب بنفسه ويبيع كما يصنع البياعون في المتفرجات وكان كل
 ذلك خدعة له غرسه ثم انه عرض المحاييس فاطلق منهم جماعة وأمر باتلاف سبعة أنفار من
 المفسدين كانوا معهم في السجن ثم أدخلهم الى الحوش الذى قدام باب قاعة البحرة فوسطهم
 بيده وعلمه المشاعلى كيف يوسط ثم قطع أيديهم وآذانهم وألسنتهم بيده والمشاعلى
 يعلمه كيف يصنع وهذا كله من أقبح الفعال التى لا تليق بالملك ولكن قصد أن يمشى
 على طريقة الملك الناصر فرج بن برقوق وهى أن تحس طريقة وفي يوم الاحد رابع عشر
 رجب كان دخول اقبردى الدوادار الى القاهرة فزينت له ودخل في موكب حافل وطلب
 طلبا عظيما وكان له يوم مشهود ودخل معه من الامراء اقباى نائب غزة واينال باي
 نائب طرابلس وشيخه رب ابراهيم بن نديعة وجماعة من الامراء والخاصة كية
 ممن كان من عصيته وفرمعه منهم بربك المحمدى الخازندار الاينالى ودولت باي ومغلباى
 عسل فحل وجانم الاجرود فلهؤلاء من الاينالية وأما من كان من القايتباهية فهم
 اسنباي الاصم وبرسباى السلحدار وجانى بك الصغير وآخرون وأحضر صحبته جماعة
 ممن كان فرمعه قانصوه خسمائة من الخاصة كية والمماليك السلطانية ممن أسر منهم وهم في
 جنازير حديد فقصد اقبردى أن يدخل بهم قدامه وهم في جنازير وكانوا نحو مائتى انسان

فتعصب لهم خشداً شينهم وقالوا متى فعل ذلك قتلناه فرجع عن ذلك وكان أحضر معه رأس
 قانصوه الالقي وكسباى الزينى ويشبك قرالذين قتلوا فى الخطارة وقصد أن يشهرهم
 على الرماح قدامه لما يدخل الى القاهرة فلم يجسر يفعل ذلك ولكن عرضهم على السلطان
 فيما بعد فى الخفية ولم يشهر بهم أحد فلما شق القاهرة وطلع الى القلعة خلع السلطان عليه
 وعلى من جاء معه من الامراء وعلى شيخ العرب بن نبيعة ونزلوا الى دورهم ثم ان الملك
 الناصر قصد أن يفتك بالمماليك الذين حضروا وصحبة اقبردى ممن أسر على خان يونس
 فاجسر على ذلك وخشى من وقوع فتنة فأسعاه لأنه عفا عنهم وأنفق على كل واحد منهم
 عشرة دنانير وأطلقهم وخذت فتنة قانصوه وخسمائة وفيه عمل السلطان الموكب وحضر
 الاتابكي غراز وتانى بك قرا أمير مجلس واقبردى الدوادار ثم أحضر المحصف العثمانى الى
 القلعة خلف عليه الاتابكي غراز وتانى بك قرا واقبردى الدوادار ولم يكن حلفهم قبل اليوم
 بانهم لا يتخامروا ولا يعصوا ولا يركبوا على السلطان خلفوا على ذلك ثم انه خلع على اقبردى
 الدوادار وقرره فى امرية سلاح عوضا عن تانى بك الجمالى بحكم أنه اختفى وقرره أيضا فى
 الدوادارية الكبرى عوضا عن جان بلاط بن يشبك بحكم اختفائه وقرره أيضا فى الوزارة
 والاستادارية الكبرى وكشف الكشاف عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم اختفائه أيضا
 فصار كما كان يشبك بن مهدى وكان نهاية سعاد اقبردى فأقام على ذلك مدة يسيرة فحوام
 شهرين وكان من أمره ما سئذ كره فى موضعه وفيه قرر كرتباى أمير اخور كبير عوضا عن
 قانصوه الالقي بحكم قتله وفيه خلع السلطان على اقبلى نائب غزة وقرره فى رأس نوبة
 الكبرى عوضا عن قانصوه الشامى بحكم قتله بالاسكندرية وأنعم على جانم الاجرود كاشف
 منفلوط بتقدمة ألف وأنعم على برد بك المحمدى بتقدمة ألف وأنعم على كرتباى أنخواقبردى
 بتقدمة ألف وقررا ينال باى نائب طرابلس على حاله فأقام فى القاهرة أياما ورجع الى
 طرابلس على عادته وفيه رسم السلطان لكاتب السرون ناظر الجيش أن لا يخرجوا من اسيم
 سلطانية ولا مريعات ولا مناشير الا بجنهم من وراء العلامة السلطانية وأن يكتبوا أيضا وراء
 العلامة ما تضمنه ذلك المرسوم وفيه قويت الاشاعات بوقوع فتنة وأخذ السلطان فى
 تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من الدقيق والبقسمات والاحطاب والماء والعليق
 وغير ذلك وكانت الاحوال فى غاية الاضطراب وظهر غالب من كان اختفى من عصبة قانصوه
 خسمائة وانتموا الى قانصوه خال الساطان والتفوا عليه بغضا فى اقبردى الدوادار وقد
 تلاشى أمره لما عاد فى هذه المرة وصار مهددا بالقتل فى كل ليلة ولم تنفذه كلمة كما يقال

ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * فحيثما انقلبت يومابه انقلبوا
 يعظمون أحوال الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

فكان زوال اقبردى عن قريب وفي شعبان أنعم السلطان بامرية عشرة على قرا كرا البهلوان
وهى امرية قايتباى الشرفى الذى قتل بغزة وفيه حضر الى الابواب الشريفة برديك
الطويل نائب صفد فلم يأذن له السلطان بالاجتماع به ومنع من الطلوع الى القلعة عند
حضوره وقاسى من اقبردى الدوا دارغاية البهدة وفيه أمر السلطان بان تقطع الحيات التى
تصنع فى البيمارستان بحضرته حتى يتفرج عليها فاحضروها بين يديه ساعة البصرة
فقطعت بحضرته وهو ينظر اليها وخلع على رئيس الطب شمس الدين القوصى وفى وولده
والحاوى الذى أحضر الحيات وآخرين منهم وفيه أنعم السلطان على طومان باى الخاصكى
بالخازندارية وامرية عشرة وكان قد قدم من البلاد الشامية وطومان باى هذا هو
الذى تسلمت فيما بعد وتلقب بالملك العادل وكان بين امرية عشرة وسلطنته دون الاربع
سنين وفيه هجم المنسر على سوق أمير الجيوش وأخذوا منه أشياء كثيرة من عدة دكاكين
وقتلوا الغفير وراحت على أصحابها وفيه خلع السلطان على جانم المصبغة وقرره فى ججوية
الحجاب عوضا عن اينال الخسيف وفيه رسم السلطان بشنق عبدالقادر صبي القصدى
وفيه جاءت الاخبار من دمشق بقتل شمس الدين بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقى مات
مذبوحا بدمشق وهو فى داره وكان متولى قضاء الشافعية بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة
رستم صاحب العراقين وديار بكر وكان لا بأس به وفيه نارت فتنة من المماليك الجلبان
على السلطان وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت له فأنفق عليهم بعدما كانت
فتنة كبيرة بسبب ذلك فبلغت هذه النفقة نحو امان خمسمائة ألف دينار وصور فيها جماعة
كثيرة من المباشرين وغيرهم وفيه صار السلطان يخرج اقطاعات الناس والرزق بل
والاملاك ويفرقها على مماليكه الجلبان وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه قرر
السلطان تراز جوشن أمير اخورثانى وقرر قصوره فى نيابة القلعة وفيه قبض اقبردى
الدوا دار على داود بن عمر أمير هواه وقد آل أمره فيما بعد الى أنه شنق على باب شونة منفلوط
بالوجه القبلى لامور حقد ها عليه وفيه جاءت الاخبار من نواحى هرمز بان خسف بهم امدينة
كاملة باهلها وفيه أكمل السلطان النفقة على الجند والامراء وفيه توفى شهاب الدين
أحمد بن عامر المغربى المالكى شيخ تربة الاشرف قايتباى وكان عالما فاضلا صالحا متقشفا
لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن الطاعون قد وقع بمدينة غزة وهو زاحف نحو البلاد
المصرية وفيه خلع السلطان على وفاء الماوردى وقرره فى امرية دون أمير شكار وأمر له
بان يتزيا برى الاتزال ويلبس التخيفة التى بالقرون والى القصر الكم وكان عاميا
يلبس لبس العوام فعند ذلك من نواقص الملك الناصر وفيه ترايد أذى الجلبان فى حق
اقبردى وصار مهددا بالقتل فى كل يوم حتى سأل السلطان أن يوليه نيابة الشام ويخرج اليها

خوفا على نفسه من الجلبان فلم يسمح له السلطان بذلك وفي رمضان في أول ليلة منه لم يطلع أحد من الامراء ولا أفطار عند السلطان على جاري العادة وكثرت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة بسبب اقبردى فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان ركب الامير اقبردى ووافقه على ذلك تانى بك قرا أمير مجلس واقباى نائب غزوة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الجباب وجانم الابرود ككاشف منفلو ط أحد المقدمين وغير ذلك من الامراء الطبخنات والعشراوات والجم الغفير من الجند ممن كان من عصبة اقبردى فوقع في ذلك اليوم واقعة مهولة فانكسر اقبردى بعد العصر واختفى فلما دخل الليل هرب اقبردى هو ومماليكه وأخذ صحبته اقباى نائب غزوة رأس نوبة كبير فلما هرب توجه نحو الصعيد فاقام به حتى كان من أمره ما سنده ذكره وفيه توفي خالص الطواشى التكرورى مقدم المماليك وكان عنده ابن جانب وكان لا بأس به فلما مات قرر في مقدمة المماليك مثقال الحبشى البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس وأعيد الى القاهرة وفيه اشتد الحروعز وجود السقائين وتكالب الناس على الرأيا والجمال حتى تخانقوا بالعصى وبلغ سعر راوية الماء ثلاثة أنصاف وفيه من الوقائع الغريبة انه في اليوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور أمر السلطان بان تدق الكؤوسات بالقلعة وقال أنا أعمل العيد في الغد من هذا الشهر ان رأوا الهلال أو لم يروا فلما أشيع ذلك بين الناس ركب قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا وطلع الى القلعة فاجتمع بالسلطان وعرفه بأن العيد لا يكون الا اذا روى الهلال في تلك الليلة فشق ذلك على السلطان وهم يعزل القاضى في ذلك اليوم فلما دخل الليل لم ير الهلال في تلك الليلة وجاء العيد بالجمعة وكان الناصر تطير من العيد أن يجي يوم الجمعة فكان ذلك على رغم أنفه وفي شوال لم يخرج السلطان الى صلاة العيد ولا طلع الا تباكى تراز الى القلعة ولا بقية الامراء المقدمين فبعث السلطان الخلع اليهم في بيوتهم وفي أواخر ذلك اليوم طلع الخليفة ليهنى السلطان بالعيد وكان بقاعة البهرة مع الاوباش الذين يعاشرهم فلم يخرج اليه السلطان وأرسل يتشكر منه وأمره بالانصراف فعد ذلك من فواقص الملك الناصر وكان الملك الناصر في تلك الايام في غاية الطيشان وفيه أنعم السلطان على قصره بتقديم ألف بعصر وخلع على عمه قيت وقرره في نيابة القلعة عوضا عن قصره بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر ولده جانم في الزردكاشية عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان لشخص من الامراء يقال له قانصوه الساقى بأن يكون أميناً على باب القلعة عند سلم المدرج يحيط علمان يطلع الى القلعة أو ينزل منها فعد ذلك من النواذر وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ب وفاة الحافظ شمس الدين البخاوى وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن أبي بكر بن عثمان وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث وألف تاريخا فيه أشياء كثيرة من المساوي في حق الناس وكان مولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من الصعيد بأنه قد قامت هناك فتنة كبيرة بين حميد بن عمر أميرها وهوا وهوا وأخودود الماضي خبره فوقع بين حميد وبين قريبه ابراهيم فتنة مهولة يأتى الكلام عليها وفيه كانت الفتن قائمة بين طائفة بنى حرام وبنى وائل حتى أعيا جان بردى الكاشف أمرهم وخرجت اليهم تجريدة وبها عدة من الامراء ولم يفسد ذلك شيئا وفيه عين السلطان أبا يزيد الصغير بأن يتوجه الى أقبردى الدوادار للصعيد وصحبته خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش وعلى يده مراسيم شريفة لا أقبردى الدوادار بأنه على عادته في وظائفه حتى يصير له حرمة على العربان ثم حضر الى القاهرة عن قريب وكان من أمره ما سئذ كره في موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير **ركب** المحمل مصر باى أحد المقدمين وبالركب الأول الناصرى محمد بن العيسى وكان الحاج في تلك السنة قليلا وفيه سعد سليمان ابن قرطام أحد مشايخ بنى حرام الى القلعة وعلى رأسه منديل الامان من السلطان فلما مثل بين يديه لكمة قانصوه الفاجر والى الشرطة وأخذ منه منديل الامان والسلطان ساكت لم يتكلم وثار عليه جماعة من المماليك السطانية وقالوا هذا قتل خشد اشينا الذين قتلوا بالخطارة فكيف تعطونه منديل الامان فسحق ذلك على السلطان وقام من فوق الدكة وهو غضبان من المماليك وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة قانصوه الحيوى نائب الشام وحضر سيفه وكان أصله من مماليك السيفى بقمق وكان لا بأس به تولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ونيابة صفد ونيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة الشام وجرى عليه شدة دائد ومحن وأسر عندي عقوب بك ابن حسن الطويل في كائنة يشبك الدوادار مع بابندرونقى الى القدس ثم تولى بعد ذلك نيابة الشام ومات بها وهو على نيابته وكان من أجل الامراء وأعظمهم قدرا وفيه توفى الشيخ الصالح المسلك نور الدين اذاكر ابن عين الغزال وكان معروفا بالصلاح لا بأس به وفي ذى القعدة توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين السعدى وهو محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلف بن ابراهيم الحنبلى وكان عالما فاضلا عارفا بمذهبه تولى القضاء بمصر وهو فى عنفوان شبو بيته وأقام به مدة طويلة حتى مات وهو فى وظيفته وكان لا بأس به توفى وهو فى عشرين السنين فلما مات أرسل السلطان خلف شهاب الدين الشيشى وكان بمكة المشرفة فلما حضر خلع عليه السلطان وأقره فى قضاء الحنابلة بمصر وعوضا عن بدر الدين السعدى بكم وفاته وهو باق على وظيفته الى أن مات بها لكن بعد عزل واعادة وفيه ظهر قانصوه الحميدى المعروف بالبرجى أحد الامراء المقدمين وكان محتفيا من حين ركب قانصوه

خمسمائة وانكسر فلما ظهر أمنه السلطان على نفسه وأقام بداره وفيه من الحوادث
 أن القاضي أبا البقاء بن الجيعان كان طالعا إلى القلعة فصرى صلاة الفجر وخرج
 من داره فلما وصل إلى الحمام الذي هو خارج من زقاقهم خرج عليه بعض المماليك
 بخنجر فضربه في بطنه ضربة بالغة فمات من وقته وما عرف قاتله واتهم به جماعة من المماليك
 وكان رئيسا حشما فاضلا عالما عارفا بأحوال المملكة وكان مقربا عند السلطان الأشرف
 قايتباي ترقى في أيامه وانتهت إليه الرياسة وفاق على من تقدم من أقاربه وكان أدوبا حلو
 اللسان سريوسا وله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ أولاد ابن الجيعان وهو أبو البقاء محمد بن
 يحيى بن شاكر وله بر ومعرفة وهو الذي أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل به خطبة وحوضا
 وسبيلا وأنشأ هناك القصور والمناظر والغيط وصار ذلك المكان من جملة متفرجات القاهرة
 تسعى إليه الناس في زمن النيل بسبب الفرجة هناك وصار عوضا عن التاج والسبعة
 وجوه التي كانت من المتفرجات القديمة ومات أبو البقاء وقد قارب الستين سنة من العمر
 فلما مات خلع السلطان على أخيه صلاح الدين وقرره في استيفاء الجيش مضافا لما بيده
 من نيابة كتابة السر وفيه تزايد شر المماليك الجلبان وضيقوا على السلطان وصار معهم
 في غاية الضنك فأرسل يستحث أقبردى الدوادار في سرعة المجيء وفيه في رابع عشر
 الشهر المذكور يوم الخميس وصل أقبردى إلى برج الحيزة فلما تسامع به الأمر أخرجوا إليه
 قاطبة وكذلك العسكر ولم يخرج إليه قانصوه خال السلطان فتلطف به الاتابكي تمرأز حتى
 ركب معه وتوجهوا إلى نحو السواقي التي عند الهـ تدب القرب من درب الخولي فقصد خال
 السلطان أن يعتدى من هناك ويتوجه إلى أقبردى ليسلم عليه فنعاه المماليك من ذلك وقالوا له
 متى عدت ورحت إليه يقبض عليك فتخيل من ذلك ورجع من حيث أتى فعند ذلك كثر
 القتال والقتيل واضطربت الأحوال وصار العسكر على ثلاث فرق فرقة مع أقبردى الدوادار
 وفرقة مع قانصوه خال السلطان وهي الفرقة التي كانت من عصبة قانصوه خمسمائة
 فالتفوا على خال السلطان وفرقة وافرة من المماليك الجلبان مع السلطان ثم إن طائفة من
 المماليك لبسوا آلة السلاح وتوجهوا إلى بيت أقبردى الدوادار عند حدة البقر فاحرقوا
 مقعده ونهبوا رخامه وأخشابه وأبوابه وذلك قبل دخول أقبردى إلى القاهرة فلما كان يوم
 الجمعة خامس عشر الشهر المذكور عدى أقبردى من الحيزة إلى مصر فلما وصل مصلا
 خولان التي بالقرافة الكبرى لاقاه الاتابكي تمرأز وتأنى بك قرا وقد ظهر وكان مختفيا من
 حين كسرة أقبردى في شهر رمضان كما تقدم وتوجه إلى أقبردى الجمل الغفير من العسكر وكان
 أقبردى أرسل خلف جماعة من عربان عزالة وبني وائل ثم إن العربان كانوا في طلائع عسكر
 أقبردى وأتوا معه ووصلوا إلى باب الزغلة وقد كان توجه إليهم جماعة من المماليك الذين هم

من عرضى قانصوه خسمائة فالتقى معهم خير بك الكاشف وجماعة من المماليك الذين هم من عصبة اقبردى فكسروهم وطردهم هم والعرب الى أن وصلوا الجمرات التي عند باب الزغلة وصار العرب يشوشون على الناس الذين يتوجهون من هنالك ويعرفونهم ويأخذون عمامتهم وأتوا بهم وقتل في ذلك اليوم جماعة من الغلمان واثنان من المماليك السلطانية فلما كان يوم سادس عشر الشهر المذكور دخل اقبردى الدوا دار من مصلاة خولان ودخل المدينة على مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ورجعها ولم يشق من الصليبة بل توجه الى بيته من درب الخازن فلما استقر بداره أتى اليه الامراء والعسكر أفواجا أفواجا ولوحطم في ذلك اليوم وطلع الى القلعة لملكها من غير مانع وكان ذلك من عين الصواب لكن أشار عليه الاتابكي ترازبالجى الى داره والتفتت في ذلك فكان كما يقال في المعنى

وربما فات بعض الناس حاجته * مع التأتى وكان رأى لوبجلا

فلما بلغ قانصوه خال السلطان أن اقبردى دخل الى القاهرة وأحضر صحبتته عربان من بنى وائل وعزلة اضطربت أحواله ولم يكن عنده بالقلعة من العسكر الا القليل فعند ذلك طلع الى القلعة الامير كرتباى الاجر وكان محتفيا من عهد واقعة خان يونس فلما بلغ جماعة قانصوه خسمائة بأن كرتباى قد طلع الى القلعة بادروا اليه بالطلوع وكان قد حضر من الشام ممالك قانصوه الحيواى وصعدوا الى القلعة لينزلهم السلطان فى الديوان فأقاموا بالجامع وصاروا من عصبة الفوافة وكان أكثرهم رماة بالمدافع والسبقيات والبندق الرصاص وهم الذين كانوا سيبيا فى كسرة اقبردى فقويت شوكة خال السلطان بهم وبالامير كرتباى الاجر وصار جماعة المماليك طالعين الى القلعة أفواجا أفواجا وقويت الفوافة وأرسل خال السلطان خلف طائفة عربان من بنى حرام وأحضر قراجانا نائب غزة كان عربان السواملة فصارت العربان يقاتل بعضهم بعضا فلم يحصل بالطائفتين نفع بل حصل منهم غاية الضرر وصاروا يعسرون الناس ويخطفون العمام بالمطرية وبولاق ومصر العتيقة والقرافة وصاروا ينهبون التراب ووزارات الصالحين حتى مزار الامام الشافى والامام الليث رضى الله عنهم ورجعهم وأظن أن هذا هو الذى كان سيبيا فى كسرة اقبردى ثم ان اقبردى أحضر أشياء كثيرة من الانخشاب وشرع فى عمل طوارق وأحضر عدة قناطير نحاس وشرع فى سبك مكحلتين كبار وأحضر المعلم دميلىكو السبال وشرع فى سبكها وأظهر اقبردى الدوا دار فى هذه الحركة همة عالية وكان عنده من الامراء الاتابكي ترازو تانى بك قرا الاينالى أمير مجلس وكرتباى ابن عم السلطان أمير اخور كبير واقباى نائب غز قرأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الحجاب وتانى بك الشرىفى نائب الاسكندرية أحد مقدمى الالوف وجانم الأجرود أحد المقدمين وبريك المحمدى الاينالى أحد المقدمين

ومن الامراء الطبختانات والعشراوات زيادة على ثلاثين أميراً منهم مغلباى صصرق
الاشرقى برسباى وغير ذلك من الامراء واجتمع عنده الجمل الغفير من العسكر من سائر
الطوائف فكان اقبردى فى كل يوم يمد الامراء والخاصكية أسمة طة حافلة فى أول النهار وفى
اخره ثم يحضر لهم السكرو والخلواء والفاكهة والبطيخ الصيفى واستمر الحرب ثانيا بين
الفریقین وحاصر اقبردى من بالقلعة أشد المحاصرة ومنع الغلمان والعبيد أن يصعدوا الى
القلعة بشئ من الاكل وقطع آذان جماعة من العبيد وأيديهم بسبب ذلك وفى ذى الحجة
قوى عزم اقبردى على محاصرة القلعة وكان يركب كل يوم هو والتابكى غراز والامراء وعلى
رأسه الصبحى السلطانى يخفق وقد أرسله اليه الملك الناصر فى الدس وكان له به عناية فى
الباطن فصار اقبردى يظهر أنه لم يكن راكبا على السلطان وانما له غرما من الامراء
وقصده القبض عليهم هذا ما كان من أمر اقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك
الناصر فانه لم يكن عنده من الامراء سوى قانصوه خاله ثم صعد فى ذلك اليوم كرتباى الاحمر
على الفور وكان محتفيا وجلس بالمقعد الذى برأس سلم المدرج وكان الامير سودون
العجمى وجان بلاط الغورى وقافى باى الرماح وطومان باى الشرىنى ودولات باى قسرموط
وغيرهم من الامراء قد ركبوا المكاحل حول القاعة والسبقيات وركبوا المكحلة المسماة
بالجنونة على باب السلسلة وكان غالب عماليك قانصوه الحيواى نائب الشام الذى توفى
وحضرت عماليكه فى تلك الايام كلها رماة بالسبقيات والبندقيات الرصاص فاخذ
بخطايرهم كرتباى الاحمر وخال السلطان قانصوه وأنزلوهم فى الديوان السلطانى وصرفوا
اليهم الجامكية حتى انهم صاروا معهم وكانوا زيادة عن مائتى انسان وصار الحرب ثانيا
بين الفريقين فبقى مع الفرقة التى بالقلعة من باب المدرج الى رأس الصوة الى باب زويلة الى
باب النصر الى المطرية وصار مع الفرقة التى مع اقبردى من باب القرافة الى الصليبة الى قناطر
السباع الى مصر العتيقة وبولاق وصار يقتل فى كل يوم من طوائف العربان مقتلة كبيرة
من بنى وائل وبنى حرام وكانوا يدخلون برؤس القتلى آخر النهار فى شباك التبن فقتل فى هذه
المعركة من العربان نحو من ألف انسان وزيادة على ذلك فلاحول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم وكانت الاتراك تقايل مع بعضها والعربان تقايل مع بعضها فلما قرب عيبد
الاضحية فرق اقبردى على الامراء والعسكر الذين ركبوا معه عدة أبقار وأغنام كثيرة ثم
أنفق لهم جامكية ذلك الشهر والاضحية من ماله دون مال السلطان فصرف فى هذه الحركة
فوق المائة ألف دينار ويات هذا أفاده شيا ثم ان اقبردى أحضر دميلىكو السباك واستخه
فى سرعة عمل سبك المكحلة فأنخذ فى أسباب ذلك ثم ان اقبردى وزع الامراء فى أماكن شتى
بسبب - صار القلعة فكان كرتباى ابن عمه السلطان أمير اخور كير وتانى بك قرا أمير مجلس

وجاءة من العسكر في مدرسة السلطان حسن بسبب حصار القلعة فكانوا يرمون عليها فلم يفد شئ من ذلك ثم انهم رموا بالمكحلة المسماة بالمجنونة على من في مدرسة السلطان حسن فخرق المدفع شبالة المدرسة ودخل فقتل ثلاثة أنفار من المماليك الذين هناك فحصل للعسكر من ذلك زمقة وكان لهم يوم عيد الخبز واقعة قوية تشيب منها النواصي وقتل في ذلك اليوم شخص من الامراء العسراوات يقال له جان بن قايتباي وآخر من الامراء يقال له طومانباي نائب البهنا وشخص يسمى قصره نائب سنجر وكان حضر صحبة الأمير اقبردى الدوادار من البلاد الشامية وقتل عن كان بالقلعة شخص من الامراء الطبخانات يقال له برسباي اليوسفي أبو ذقن وكان من مماليك الظاهر جمع مات فجأة بالقلعة في مدة المحاصرة وكان لا بأس به فلما طال على العسكر الذين كانوا مع اقبردى أمر الحصار وأبطأ عليهم دميلاكو بفراغ المكحلة التي شرع في سبكها وصار يقتل كل يوم من جماعة اقبردى جماعة كثيرة فبقى يتسحب منهم جماعة ويطلعون الى القلعة شيئا فشيئا فبان على اقبردى أمر التلاشي فلما حيت الطائفة الفوقانية ظهر جان بلاط بن يشبك الذي كان دوادارا كبيرا وظهر الأمير قرقاس بن ولي الدين وقيت الرحبي وقانصوه المجدى المعروف بالبرجي وكان ظهروا قبل هذا اليوم عند دخول اقبردى القاهرة كرتباي الاجر ثم ظهر أزيك اليوسفي الظاهري وتانى بك الجمالى وغير ذلك من الامراء ممن كان مختفيا من حين ركب قانصوه جسمائة وانكسر فلما ظهروا واطلعوا الى القلعة قويت شوكتهم ووجدوا في القتال ولو حطم اقبردى أول يوم دخل فيه الى المدينة وطلع الى القلعة لكان ملك القلعة في ذلك اليوم من غير مانع ولم يكن بها أحد من العسكر وكانت قلوب العسكر معمرة منه بالكرب الشديد واستخف اقبردى بمن في القلعة وسمع رأى الاتابكي ترازو توجه الى بيته حتى كان ذلك سببا لقله نصرتة ولم يعلم ما وراء ذلك فاشتد أمر القتال من كان بالقلعة واستطالوا على التختانيين الذين من حلف اقبردى بالنشاب والبندق الرصاص والمدافع حتى أهلوا منهم ما لا يحصى وكان مع اقبردى مدرسة السلطان حسن وسبيل المؤمنين وسويقة عبد المنعم وصار اقبردى معه صخيق سلطانى ويقول الله ينصر السلطان الملك الناصر وكرتباي الاجر وبقية الامراء معهم صخيق سلطانى وهم يقولون الله ينصر السلطان فافكر الناس بين الفريقين ولم يبق يعلم هذه الركبة على من هل هي على السلطان أو على الامراء في بعضهم واستمر الحال على ذلك حتى كان ما سذكروه في موضعه وفيه توفى من الاعيان قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الاخميمى الحنفى وهو محمد بن أحمد بن الانصارى القاهري الحنفى وكان عالما فاضلا يقرأ بالسمع روايات وكان ضنينا بنفسه وكان امام السلطان الملك الاشرف قايتباي ثم قرر في قضاء القضاة واستمر به الى أن مات وكان موته فجأة فأخرجت جنازته ولم

يشعر به أحد من الناس بسبب تلك الفتن القائمة وفيه توفي القاضي أبو الفتح المنوفي كاتب
 الماليك ونائب جده وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة ما لا يوصف وفي
 آخر عمره قاسى شدايد ومحننا واعتراه جنون وماليخوليا واستمر على ذلك حتى مات وفيه توفي
 سيدى ابراهيم بن أبي الفضل بن أبي الوفاء وكان شابا صالحا لأبأس به وفيه جاءت الاخبار من
 دمشق بوفاة تتر بغانا الترجمان وكان لأبأس به وفيه توفي شمس الدين محمد بن الخادم الحنفى
 وكان من أهل العلم والفضل وكان لأبأس به وفيه توقف النيل عن الزيادة فى ليالى الوفاء
 وكان كل أحد مشغولا بنفسه عن ذلك والفتن قائمة وفيه فى يوم الاثنين ثانى عشرى الشهر
 المذكور الموافق لسابع عشرى مسرى وفى النيل المبارك وكسرى الثامن والعشرين من
 مسرى وقد أبطأ عن ميعاده فلما وفى شاور والامير اقبردى فى فتح السد فبعث اليه والى
 القاهرة ليفتحه فوجد الشيخ عبد القادر الدشوطى رضى الله عنه قد فتح جانباً منه قبل
 مجئى والى ولم يتوجه أحد ليتفرج على فتح السد على جارى العادة ليكون القاهرة كانت فى
 غاية الاضطراب من عدم الأمن وفساد الأحوال من هذه الشرور والفتن فكان كما قيل

أتطلب من زمانك ذا وفاء * وتنكر ذاك جهلا من بنيه

لقد عدم الوفاء به وانى * لا أعجب من وفاء النيل فيه

فلم يبق النيل سوى أيام قلائل وهبط بسرعة وشرق غاب البلاد وحصل بسبب ذلك
 الضرر الشامل ولما وقعت بمصر الفتن بين الاتراك وقعت الفتن أيضا بين العربان وأحرقوا
 القمح والشعير وهو فى الجرون ونهبوا عدة بلاد فوق الغلاء بالديار المصرية وانتهى سعر
 القمح الى ألف درهم كل اردب واستمر على ذلك مدة طويلة وكانت الأحوال فى تلك الايام
 فى غاية الفساد واستمر الحرب نابتا على ما ذكرناه من القتل والنهب حاصل والحصار ليلا
 ونهارا حاصل فى القلعة وفيه فى يوم الجمعة سادس عشرى الشهر المذكور تسحب من كان
 عند اقبردى الدوادار من العسكر بجله ولم يبق معه سوى مماليكه وبعض مماليك السلطان
 والامراء المقدمين وكان الامير جانم الاينالى كاشف منفلوط وأحد المقدمين قد جرح
 واختفى ومات من ذلك ولم يشعر به أحد ثم ان الامير اقبردى اضطربت أحواله وتشتت عنه
 جماعته بعدما كاوا عيشه وأخذوا أضحيته وجامكيته وصرف عليهم جامكية شهرين من
 ماله ولم يراعوا له حق ذلك ولا أعترف بهم ما فعله بهم فكان كما قيل فى المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالى أصدوا عنك أوزاروا

أخلاقهم حين تبلوهم أوعار * وفعلهم مائى للراء أوعار

لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أوطاروا

وكان أحسن لغالبهم وأنفق على بعضهم وأرضاهم بكل ما يمكن وبعد ذلك بعضهم رماه وطلع

الى القلعة فلما كان وقت المغرب من ليلة السبت نزل كرتباى الاحمر من القلعة وصحبته
جميع من كان بالقلعة وكان خشكلى البيسقى قد ظهر وطلع الى القلعة فنزل صحبة
الامراء امن كان بالقلعة والمماليك الكبار والصغار الذين كانوا بالطباق فزحفوا زحفة
واحدة وهجموا على جماعة اقبردى فانكسروا وفر وافهموا على من كان بمدرسة السلطان
حسن وأحرقوا بابها ودخلوا على من بالمدرسة من الامراء فأخرجوا كرتباى ابن عمه السلطان
وهو مجروح جرحا بليغا قتل منه وهو أمير اخور كبير وهرب تانى بك قرا فلم يظفر وابه وهرب
من كان بمدرسة السلطان حسن من الامراء والمماليك فذهب الجلبان جميع ما كان بالمدرسة
من طشتخانات الامراء ونهبوا بسط المدرسة والقناديل وقلعه واشبابيك القبة التى بالمدرسة
وأخذوا رخامها وأحرقوا الربع الذى عند سوق الرميلة بجوار بيته وربع يشبك الدوادار
وربع خشكلى البيسقى وسبيل المؤمنين وبعض من بيوت الصوة وغير ذلك فلما دخل
الليل ركب اقبردى فى نفر قليل من مماليكه وطلع الى الرميلة فلم يطب طبه واستمر على ذلك
طول الليل فلما أصبح يوم السبت سابع عشر الشهر المذكور وهو ذو الحجة انكسر
اقبردى كسرة مهولة ورجع الى داره وأخذ بركه وزر دخانته والطشتخاناته وخرج من داره
وعلى رأسه صنجق وقدامه طبلان وزمران ومماليكه حوله وهم لا يسون آلة السلاح وخرج
صحبته من الامراء تانى بك قرا أمير مجلس واقباى نائب غزة رأس نوبة كبير وجانم مصبغة
حاجب الحجاب وقانى بك نائب الاسكندرية وأحد المقدمين وكرتباى أخو اقبردى الدوادار
أحد المقدمين ومن الامراء الطب لخانات والعشراوات جماعة كثيرة نحو من عشرين أميرا
فن جلستهم اينال السلحدار المعروف بالصغير ومن المماليك السلطانية والسييفية نحو من ألف
مملوك فلما خرج من داره دخل من الدرب الذى عند حمام الفارقانى وخرج من الدرب الذى
تجاء المدرسة الصرغتمشية وتوجه من هناك الى بولاق وطلع على جزيرة الفيل ثم خرج الى
الفضاء وقصد التوجه الى البلاد الشامية فدخل خانقاه مسريا قوم فلم يقيم بها واستمر يحد
السير حتى وصل الى بلبيس فلم يتبعه أحد من الامراء ولا العسكر حتى خرج وتوجه الى
البلاد الشامية وجرى منه أمور يطول شرحها يأتي الكلام على بعضها فى مواضعه
والذى وقع لاقبردى الدوادار لم يقع لمتطاش الناصرى فى أيام الظاهر برقوق وكانت مدة
محاصرته للقلعة احدى ثلاثين يوما ولم يسمع بئس هذه الواقعة فيما تقدم قال بعض
المؤرخين لم يقع عصر من يوم فتحها الى الآن مثل واقعة اقبردى الدوادار فكانت من غرائب
الوقائع وفى مدة هذه المحاصرة كانت الاسواق معطلة والدكاكين مقفلة وامتنع
البيع والشراء ولم تظهر فى تلك الايام امرأة بالاسواق ولا بالطرقات وكثر القتل والنهب وكان
الناس فى أمر عظيم قيل لما طال أمر هذه الفتنة دخل على الامير اقبردى جماعة من الفقراء

الرفاعية والقادرية والاحمدية وجاعة من الصوفية سألوه أن يكف عن هذا القتال وان
يقع الصلح بين الطائفتين فأبى أقبردى ذلك ثم نزل اليه مئتمرا مقبلا على المماليك رسولاً عن
لسان السلطان بأن يكون الصلح بينهما وبين الامراء على يد السلطان فأبى أقبردى ذلك
وكان دميلاً كودفرغ من المكحلة وركبها ورمى بها أول حجر فكسر باب السلسلة فاضطرب
من كان بالقلعة وهجموا على المكحلة ودقوا بها مسماراً وكانت معيبة فلما خر قوامها فاضها
وشمت النار خرج الحجر منها على حين غفلة وانكسر أقبردى وكانت هذه ثالث كسرة
وقعت لأقبردى وكانت آخر العهد به فلم يدخل بعدها إلى مصر وقاسى شداً ومحنة
يأتى الكلام عليها فهذا ما كان من أمر أقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الاتابكي
عرازفانه كان مقيماً بالبيت الذي بجوار بيت يشبهك الدوادار الذي كان عند المدرسة
البنس قدرية وكان متوعداً كافياً جسدته فلم يشعر بكسرة أقبردى فلما أراد أقبردى أن يفر
أرسل خاف الاتابكي عزازو وأعلمه بما جرى وأراد أن يأخذه معه فابطأ عليه وخشى من
العسكر أن يجمعوا عليه ويقتلوه فأسرع في الخروج من داره وترك الاتابكي عزازف في داره
ومضى ثم ان الاتابكي لبس قاشه وركب وخرج من البيت الذي كان به فلما وصل إلى بيت
ثاني بك قرأ لاقام جماعة من المماليك الفواقة وقبضوا عليه وقصدوا قتله وأدخلوه إلى بيت
ثاني بك قرا ثم بدالهم أن يطاعوا به إلى التلعة فلما خرجوا به من بيت ثاني بك قرا ومشوا إلى
رأس الصليبة لقيه طائفة من المماليك الفواقة غير هؤلاء فقتلوه عن فرسه فوقع إلى
الارض وطمعوا به إلى دكان هناك ونزعوا ثيابه عنه وحرزوا رأسه على الدكان بالسيف فلم
تنقطع فكسروها حتى خلصت عن جثته وكان الذي قتله من أرذل المماليك السيفية يقال
له برد بك الاشقر ثم أخذ رأسه وقبض عليه من ذقنه وطلع به إلى القلعة فلما عرضت على
الملك الناصر شق عليه ذلك لكونه كان من قرابة أبيه الملك الاشرف فابتاعه الله ثم
أمر بلفها في فوطة وأرسل معها ثوبين بعلبيكين وثلاثين ديناراً ثم ان بعض جماعة الاتابكي
عرازو أحضروا له نعشاً وأخذوا فيه جثته وتوجهوا بها إلى مكان بالقرب من بيت تغرى بردى
الاستادار وخطوا رأسه على جثته وغسلوه ثم أحضروا كرتباً ابن عمه السلطان الذي قتل
في مدرسة السلطان حسن فغسلوه مع الاتابكي عزازو وأخرجوهما في يوم واحد وصلوا عليه
في مصلى باب الوزير ثم توجهوا بهما إلى تربة الاشرف فابتاعه فدفن الاتابكي عزازو داخل القبة
ودفن كرتباً ابن عمه السلطان على جانب قريب السلطان الذي كان ناظر الجوالى ومقدم
ألف وكان الاتابكي عزازو أميراً جليلاً معظماً ديناً كثيراً البر والصدقة محسناً للناس جليل
الهيئة وله آثار ومعروف منها ما فعله في الجسور التي صنعها بالغربية وهو كاشف التراب
بالغربية وكان أصل الاتابكي عزازو من مماليك الاشرف برسيلى فأعتقه وأخرج له خيلاً

وقاشا وصار من الجدارة ثم بقي خاصكيا ساقياً في دولة الاشرف اينال ثم أنعم عليه بامرية
عشرة وصار عنده من المقرين ثم نفي الى دمياط في دولة الطاهر خشقدم ثم حضر الى القاهرة
في دولة الظاهر ثم رغباً ثم ظهر انه ابن أخت السلطان الاشرف قايتباي فلما تسلطن جعله
مقدم ألف ثم بقي رأس نوبة كبير ثم بقي أمير سلاح ثم بقي أتابك لعسكر عوضاً عن أزيك بن
ططخ لما نفي الى مكة المشرفة كناية - دم وكان تراز أميراً كبيراً كان اذا جلس في أى مكان
ودخل اليه الادنى أو الاعلى يقوم له القيام الكلى ويجلسه وكان لا يجلس بمقعد الا وهو
مزور الملوطة وهو بالخلف والمهماز ولم تبزل له رجل وهو جالس وهذا من النوادر في زمننا هذا
فلما مات رثيته بهذه الايات وهى قولى مع التضمنين

أرغمت يادهر أنوف الورى * بقتل تراز وبيتم العباد
أتابك العسكر ذورأفة * بالجود قد شاع لا قصى البلاد
أخطات يا قاتله كيف قد * قتلت من يقع أهل العناد
مصيبة جلت فمن أجلها * قد أطلقت في كل قلب زناد
لكن له في قتله اسوة * الى الحسين بن على الجواد
من أودعوه الرمس ما أنصفوا * بل كان يخفى في صميم الفؤاد
فالله يأجره على ما جرى * من قتله بالعفو يوم المعاد

ومات الا تباكي تراز وهو في عشر الثمانين وكان لين الجانب واسطة خيرو كان ينظن كل أحد
انه يتسلطن وقد ترشح أمره اليها غير مأمرة وكان اذا سأله أحد في حاجة يقول له اصبر علينا
حتى يجي عوقتها وكان طامعاً في السلطنة فخابت فيه الطنون وجاء الامر بخلاف ما أماله أن
يكون فكان كما يقال

وقائل لي لما أن رأى قاتلي * من انتطارى لا مال تعطينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخترينا

وفيه جاءت الاخبار بأن أقبردى لما مر على الشرقية كادت طائفة عربان بنى حرام أن تقتله
فرجوه حتى جاءت درجة في وجهه وسبوه وسبوا قبيحا وفعلاوا به ذلك في عدة أماكن وما خلاص
منهم الا بعد جهد كبير وسبب ذلك أنه سلط عليهم بنى وائل وقتل منهم في مدة المعركة
مالا يحصى فلما انكسروا منهم انتقموا منه وجرى عليه منهم ما لا يخبر فيه فلما هرب أقبردى
وقتل تراز اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال ونزل المماليك من القلعة وعطع طوافي
المدينة وصاروا يدخلون الحارات وينهبون البيوت حتى نهبوا الربوع التى هى سكن العوام ثم
توجهوا الى حارة زويلة ونهبوها بسبب انه كان لا قبردى حاصل هناك فيه مال فنهبوا ما كان
فيه حتى قيل كان فيه ما يزيد على مائة ألف دينار غير الخيام والقماش الذى كان به ونهبوا

بيوت اليهود الذين حوله ودخل الزعر والعبيد فنهبوا القبة التي في مدرسة السلطان حسن وأخذوا الرخام التي بها والشبائيك والنحاس الذي بها والابواب ومن يومئذ تلاشى حال المدرسة الى الآن واستمر النهب والقتل دائرا ثلاثة أيام متوالية ولم يجدوا من يردّهم عن ذلك والمدينة ما تجمّعت وقد تعطلت الخطبة واقامة الصلاة من مدرسة السلطان حسن فحوا من ستة أشهر وكان كل من ظفروا به من جماعة اقبردى يقتلونه أشرف قتله ثم قبض على المعلم دميالكو وأحضروه عند الامير كرتباي الاجر فقطع رأسه وعلقها على باب السلسلة كما قيل في الامثال وربما عوقب من لاجني وقد خرجت السنة المذكورة على ما شرح فيها من الفتن والانكاد والفساد وخراب البلاد ووقع فيها الغلاء وتشحّطت الغلال وقتل فيها من الامراء نحو من خمسين اميرامايين مقدّمى ألوف وطبلخانات وعشراوات وقد تقدّم ذكر ذلك عند وقوع كل حادثة من أوائل السنة المذكورة الى آخرها حسبما أوردناه من الوقائع وقتل من الجنة دوالعرب نحو من ألف انسان فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما حصل لعسكر مصر بعد وفاة الاشرف قايتباي خير وجاءت الامور بضد ما أمّأوه من بعده فكان كما يقال

يسعى ابن آدم في قضا أوطاره * والموت يتبعه على آثاره
يألهو وكف الموت في أطواقه * كالكبش يلعب في يدي جزاره
يسعى وقد آمن الحوادث ليله * فلربما تطرقه في أسفاره
من رام ينتظر كيف تصح داره * من بعده فليعتبر برجبواره

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة فيها كان مستهل المحرم يوم الثلاثاء ووافق ذلك اليوم يوم النوروز للقبط بموجب تحويل السنة القبطية الى السنة العربية فصعد القضاة الى التهنئة بالشهر والعام الجديد وبهذه النصر التي وقعت للسلطان ولم يحضر الخليفة في ذلك اليوم بسبب انه كان متوّعكا في جسده وهو مقيم بالقلعة فنزل الى داره في محفة وكان ذلك ابتداء ضعف الموت وفي ذلك اليوم خلع السلطان على برهان الدين بن الكركي الامام وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن ناصر الدين بن الاخميمي بحكم وفاته وهذه أول ولاية ابن الكركي وخلع على الشيخ سري الدين عبد البر بن الشحنة وقرره في مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن البرهان بن الكركي فلم يقم بها عبد البر غير ثلاثة أشهر وأعيد اليها ابن الكركي مضافا لما بيده من قضاء الحنفية وفيه تخوف السلطان على نفسه من الامراء فأحضرهم المصحف العثماني وحلف عليه الامراء الذين هم من حزب قانصو وخسمائة بأنهم لا يخونونه قط ولا يفرون به ولا يركبون عليه وهذا رابع عين حلفه السلطان للامراء على المصحف العثماني وكل أيمانهم كانت كاذبة فاجرة وفيه عمل

السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء منهم المقر السميني قانصوه خال السلطان وقرره في الدوا دارية الكبرى عوضا عن اقبردى ~~بكم~~ هروبه وخلع على كرتباى الاجر وقرره في امرية سلاح وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره في نيابة حلب وخرج اليها عن قريب وفيه دخل مبشر الحاج وهو شخص من العرب وقد تأخر عن عادته ستة أيام لفساد طريق الحاج وفيه توفي الزيني قاسم بن قاسم المالكي أحد نواب الحكم وكان عالما فضلا متقنا لا بأس به وفيه قرر كشيبغا الشريفي في نيابة الاسكندرية عوضا عن اسنباي وفيه عين السلطان خاير بك أخا قانصوه بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وفيه قرر عبد القادر بن النقيب في مشيخة خانقاه سعيد السعداء وكانت عينت للسلي ولم يتم له ذلك وفيه توفي الشيخ بدر الدين محمد الوفاي وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على طرباي الشريف وقرره أمير اخورثاني وهذه أول وظائفه وخلع على دولاتباى الاجرود وقرره في ولاية الشرطة وفيه وقع الاتفاق من الامراء على عود الاتابكي أزبك وحضوره من مكة المشرفة ليلى الاتابكية عوضا عن ترازفكتبت له المراسيم بالحضور وتوجه بها طرباي الشريف الذي قرر أمير اخورثاني فخرج على الفور بسبب ذلك وفيه خلع السلطان على قانيباى الرماح وقرره أمير اخورثاني كرتباى بحكم قتله بحدسية السلطان حسن في واقعة اقبردى وخلع على قانصوه المجدى المعروف بالبرجي وقرره في امرية مجلس عوضا عن تاني بك قرا الاينالى ~~بكم~~ هروبه مع اقبردى وخلع على قيت الرحبي وقرره حاجب الحاجب عوضا عن جانم مصبغة بحكم اختفائه وهروبه مع اقبردى وخلع على طومانباى وقرره في الدوا دارية الثانية عوضا عن سيباى نائب سيس وخلع على سيباى وقرره في مقدمة ألف وهي مقدمة جانم الاجرود الاينالى كاشف منفلوط بحكم أنه خرج في واقعة اقبردى ومات عقيب ذلك وخلع على تراز الزرد كاش الكبير وقرره بها عوضا عن قيت الاحول أخى الاشرف قايتباى وقرر بيبرس في نيابة القلعة عوضا عن قيت عم الملك الناصر فعزل عن الزرد كاشية الكبرى ونيابة القلعة وقد نسب الى ميل مع عصبة اقبردى الدوا دار وقرره خلع السلطان على أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرره مقدم ألف مشير المملكة وقرر قانصوه كرت في الخازندارية الكبرى وفيه دخل الحاج الى القاهرة بعد ما قبض على أمير الحاج مصرباى في عجرود وتوجهوا به من هناك الى السجن بشغرا الاسكندرية فسجن بها وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى الدوا دار لما خرج من مصر بعد فراره استولى على غزة وملا ~~بكم~~ هروبه رأى الامراء على تجريدة اليه وفيه خلع السلطان على جان بلاط الغورى وقرره في رأس نوبة كبير عوضا عن اقباى نائب غزة بحكم فراره مع اقبردى وقرر أزبك قفص في الرأس نوبة الثانية وفيه

أشيع بين الناس ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز قد اشتد به المرض وأشرف على الموت وقد عهد بالخلافة الى ولده الشرفي يعقوب وحكم بذلك قاضي القضاة المالكي عبد الغنى بن تقي ونفذ ببقية القضاة وعهد أيضا لولده محمد من بعده أبيه يعقوب فلما بلغ ذلك ابن عمه خليل اضطررت أحواله وضائق عليه الدنيا بما رحبت وكان منتظرا للخلافة بعده عبد العزيز فلم يزل من ذلك شيء وفاته المطلوب فقدح في الشرفي يعقوب بكلمات قبيحة من نار قلبه فلم يفده من ذلك شيء ولم يلتفت اليه أحد من القضاة ولا السلطان وتولى الخلافة يعقوب على رغم أنف خليل كما سيأتي ذكر ذلك وقد قلت مع التضمن في هذه الواقعة

قالت العليا لمن حاولها * سبق المولى وقد حل عراها

فدعوا الحاسد فيها أنها * حاجة في نفس يعقوب قضاها

فلما كان يوم الخميس سلخ المحرم من سنة ثلاث وتسعمائة كانت وفاة أمير المؤمنين أبي العز عبد العزيز وهو عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ولم يل والده يعقوب الخلافة بل جده محمد المتوكل على الله وكان الخليفة عبد العزيز رئيسا حشما ذا شهامة بجبل الهيثة كفو للخلافة وافر العقل سديد الرأي وله اشتغال بالعلم وحفظ جيد مع حسن عبارة وكان عنده لبن جانب واتضاع كثير العشرة للناس وتوفي وله من العمر نحو من أربع وثمانين سنة ومولده بعد العام السابع عشر والثمانمائة وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وأياما وحضر مبايعة الملك الناصر محمد بن قايقباي الأشرف رحمه الله تعالى ومبايعة قانصو وخسمائة وكان من خيار بني العباس وكان له مشمد عظيم ونزل الملك الناصر وصلى عليه بسبيل المؤمنين ودفن بجوار مشمد السيدة نفيسة رضي الله عنها ورحمها ورحمهم داخل القبة التي بها مشاهد الخلفاء ثم بعد وفاته تولى بعده ولده يعقوب

ذكر خلافة أمير المؤمنين المستنك بالله أبي الصبر
يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله

وهو الرابع والخمسون من خلفاء بني العباس في العدد وهو الخامس عشر من خلفاء بني العباس بمصر وهو من خلاصة بني العباس لكونه هاشمي الابوين ولم يل الخلافة من هو هاشمي الابوين غير أربعة من بني هاشم وهم الامام علي كرم الله وجهه وكانت أمه هاشمية وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم ثم ابنه الحسن رضي الله عنه ورحمه وأمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم محمد الأمين بن زبيدة وكانت أمهم هاشمية

ثم يعقوب بن عبد العزيز وأمه هاشمية تسمى آمنة بنت أمير المؤمنين المستكني بالله أبي
الربيع سليمان فهو لاء الأربعة هاشميو الأبوين وغيرهم من الخلفاء كانوا من سراري مولدات
وحبس وغير ذلك وكانت صفة ولاية الشرف في يعقوب أنه لما كان يوم السبت ثالث
صفر بعث الملك الناصر خلف الشرف في يعقوب فحضر وحضر ابن عمه خليل فعرض العهد
المقدم ذكره على السلطان فشرع خليل يتكلم في حق الشرف في يعقوب بكلمات فاحشة
منها أنه قال انه قليل النظر ولا تصح ولايته فلم يلتفت السلطان الى كلام خليل وقال أهذا
أبوه كان خليفة فقل له لا فقال ما يلي الخلافة الا من كان أبوه خليفة وشرع كرتباي الآخر
وأزبك اليوسفي مشير المملكة وتغري بردي الاستادار يساعدون الشرف في يعقوب فترشح
أمره لأن يلي الخلافة وفي الحقيقة لم يكن يومئذ من بني العباس من يصلح للخلافة غير الشرف في
يعقوب في الدين والخير والصالح فاتفق رأي الأمراء على ولايته ونزل خليل من القلعة
بجني حنين فلما حضر القضاء وتكامل المجلس لم يحجج الى مبايعة ثانية لانه استقر في
الخلافة بعهد من أبيه له عند موته فاستكني القاضي الشافعي بذلك ثم أحضر اليه شعار
الخلافة فأفيض عليه وتلقب بالمستكن بالله أبي الصبر وعذاقبه هذا من النوادر وقيل ان
الشيخ جلال الدين السيوطي هو الذي كناه واقبه به هذا اللقب ومن الغرائب أنه لم يل
الخلافة من بني العباس ولا من بني أمية من اسمه يعقوب سواء فلما تمت بيعته أحضر
اليه التشريف وأفيض عليه فصار في غاية الأبهة والوقار وفي الحقيقة انه من عباد الله
الصالحين لم يعهد له صبوة من منذ نشأ الى الآن رضي الله عنه وفيه أقول مضمنا

يا أمير المؤمنين اقبل ولا * ترتجى غير الذي قد شرفك

لوأني العباس أضحي قائلا * يرحم الله الذي قد خلقك

وكان له من العمر لما تولى الخلافة نحو من خمسين سنة وقد وخطه الشيب فنزل من القلعة في
مركب حافل حتى وصل الى داره واستمر في هذه الولاية مدة طويلة حتى كان من
أمره ما سنده ذكره في موضعه وفي ربيع الأول خلع السلطان على قانصوه خاله وقرره في
الاستادارية والوزارة عوضا عن كرتباي الآخر بحكم استعفائه من ذلك وفيه جاءت الاخبار
من مكة المشرفة بوفاة السيد الشريف الحسين بن محمد بن بركات أمير مكة المشرفة
وكان رئيسا حشما في سعة من المال كفو الامرية مكة المشرفة وكان لا بأس به وفيه جاءت
الاخبار بوفاة اينال باي الابرار عيسى نائب طرابلس وكان من خلف اقبردي الدوادار وفيه
جاءت الاخبار أيضا بوفاة اينال باي وبوفاة كرتباي أخى اقبردي الذي كان نائب صفد ثم بقي
مقدم ألف بعصر وفر مع أخيه اقبردي فالت في أنشاء الطريق ودفن هناك وفيه خلع
السلطان على تغري بردي القادري وقرره في الاستادارية نائباً عن قانصوه خال السلطان

وفيه في أوائل بابه أمطرت السماء مطرا مهولا حتى وقعت منه عدة أما كن وخسف غالب
القبور التي بالقرافة والصحراء وكان من نوادر الوقائع وفيه خلعت السلطان على كرتباى
الاجر وقرره في نيابة الشام عوضا عن قانصودا الحيواى بحكم وفاته وكان كرتباى الاجر
هو الساعى في ذلك خوفا على نفسه من الملك الناصر أن يسلمط عليه المماليك الجلبان
يقتلونه وقد هم بذلك غير مامرة لاجل أن كرتباى الاجر كان يحجر على الملك الناصر
وينعه عن الافعال الفاحشة الشنيعة فكرهه بسبب ذلك وقصد قتله حتى قيل انه ذبح يوما
كبشاييده وقال هكذا أفعل بكرتباى الاجر عن قريب فلما خرج كرتباى الاجر من
القاهرة كان له يوم مشهود وطلب طلبا حافلا وفيه عين السلطان تجريدة بسبب اقبردى
الدوادار فانه لما انكسر وخرج من مصر هاربا حاصرا الشام وقصد أن ياتكها فاقدر
فنهب الضياع التي حول دمشق وخرّب غالبها وفعل مثل ذلك بضياع حلب فوقع الاتفاق من
الامراء على خروج تجريدة له فعينوا ذلك وأنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة
وبعث نفقة الامراء الذين عينوا للخروج الى التجريدة وهم قانصودا البرجى أمير مجلس
وقيت الرحى حاجب الخجاب وقانصودا الغورى أحد المقدمين وهو الذى تسلطن فيما بعد
واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وقصروه أحد المقدمين ومن الامراء اطبلخانات
والعشراوات عدة وافرة وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى بعد أن حاصر الشام نحو من
شهرين لم يقدر عليها وحاربه الامراء الذين بالشام ورموا عليه بالمداغ وفر الى حلب فلما
توجه الى حماه حاصرها وأخذ منها أموالا لها صورة فلما وصل الى حلب حاصرها نحو من
شهرين وكان اينال السلحدار يومئذ نائب حلب وكان من عصبة اقبردى فقصد أن يسلمه
مدينة حلب فوجه أهله المدينة وطرده منها وحصنوا المدينة بالمداغ على الاسوار
فعند ذلك فراقبردى ومن كان معه من الامراء والعسكر وكذلك اينال نائب حلب بحببتهم
وفروا أجمعون وتوجهوا الى على دولات والتجوا اليه فلما بلغ الامراء ذلك اضطررت
أحوالهم فوقع الاتفاق على أن يولوا جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا كبيرا نيابة حلب
عوضا عن اينال الذى كان بهما بحكم فراره مع اقبردى وفيه خلعت السلطان بعد خروج
كرتباى الاجر الى محل نيابة الشام على محمد بن العظمة وأعادته في نظارة الاوقاف وكان
الساعى له في ذلك عبد القادر بواب الدهيشة فكثرت عليه الدعاء من الناس بسببه وفيه عمل
السلطان المولود النبوى وكان حافلا وفيه في يوم الخميس ثاني عشرية كان دخول الاتابكي
أزبك الى القاهرة وقد حضر من مكة المشرفة فلما حضر خلعت عليه السلطان وأعادته
الى الاتابكية عوضا عن تراز الشمسى بحكم وفاته فكانت مدة غيبته بمكة سنتين وثلاثة
أشهر وفيه خلعت السلطان على جان بلاط الموترا أحد العشراوات وقرره في الحسبة عوضا عن

تاني بك بن حديد بحكم وفاته وفي تلك الايام اشتد الغلاء وانتهى سعر القمح الى ثلاثة اشرفية كل أردب وفيه هجم المنسر على سوق تحت الربع وسوق الحاجب وفتحوا عدة دكاكين فلما بلغ الوالى ذلك ركب ونحارب مع المنسر وقتل جماعة من أعوانه ولم يبلغ من المنسر أربا وراحت على التجار أموالها وفي ربيع الاخر يوم الثلاثاء رابعه كان خروج الامراء الذين عينوا للتجريدة فكان لهم يوم مشهود حتى ارتجت لهم القاهرة وقد تقدمهم كرتباى الاجر الذى تقرر في نيابة الشام وجان بلاط بن يشبك الذى تقرر في نيابة حلب واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر والعسكر خارجون أفواجا أفواجا وفيه ظهر تاني بك الجمالى وكان مختفيا من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر فلما ظهر خلع عليه السلطان وأعادته الى امرية سلاح عوضا عن كرتباى الاجر بحكم انتقاله الى نيابة الشام وفيه أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية الى برهان الدين بن الكركي وانفصل عنها عبد البر بن الشحنة وفيه نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها فلما أصبح شق من القاهرة فى وكب حافل وصحبه قانصوه خاله وبعض أمراء وجعل قدامه طبلين وزمرين وعبيد اسودا ترى بالنفوط قدامه على هيئة الكشاف وقد تهتكت حرمة السلطان والمملكة ولم يقع من ابناء الملوك من السواقط ما وقع للناصر هذا كما ساقى الكلام عليه فى موضعه وفيه حضر الشهابى الشيبى من مكة المشرفة وقد أرسل اليه السلطان مرسوما بالخضوع لى قضاء الحنابلة فلما حضر خلع عليه السلطان قرره فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدى وفيه نادى والى القاهرة على لسان السلطان بان أهل الاسواق والحارات يعملون عليهم دروبا فامتلأ ذلك وبنيت بالقاهرة عدة دروب منها على سوق تحت الربع وسوق أحمد بن طولون وسوق أمير الجيوش وغير ذلك من الاسواق والحارات وكانت المناسرة قد كثرت فى تلك الايام جدا وصاروا يجمعون على الاسواق والحارات ويعططون بها وفيه من الحوادث الشنيعة نادى السلطان فى القاهرة بأن الامراء المختلفين الذين هم من عصبة اقبردى يظهر ون وعليهم أمان الله تعالى وأشيع ان اقبردى قد ظهر وانه عند السلطان بالقلعة فعند ذلك ظهر برديك المعروف بنائب جده الذى كان من جملة المقدمين وظهر برديك الحمدي الاينالى وأبو يزيد الصغير وبرسباى السلحدار و برقوق المحتسب وشادبك وبيبرس وقانصوه التاجر وكرتباى الكاشف وخايريك الكاشف وقانصوه الساقى ودولات باى بن عيسى وآخرون من الخاصكية وكان قبل ذلك رسم السلطان بالاقرار عن مصر باى وكان فى السجن بشغرا الاسكندرية فحضر وحضر أيضا قنبلك أبوشامة وتانى بك الحمدي الاينالى وجانى باى وكان هؤلاء فى السجن من حين ركب اقبردى الدوادار وانكسر فلما ظهر هؤلاء كثرا القال والقيلى فى سبب

ظهورهم ثم ان السلطان صرح في قوله وقال أنا مارست بالانخراج الاصلح بينهم وبين
 الطائفة التي من عصابة قانصوه خمسمائة فلما ظهر واوطلعوا الى القلعة قرى السلطان
 ثلاث اليلة ختمة ومداسمطة حافلة وبابوا عنده فلما صلاوا العشاء أحضر عدة خلج فخلع على
 مصرباى وعينه أمير اخور كبير وخلع على أبى يزيد الصغير وعينه دوادار ثانيا وخلع على
 قنبك أبى شامة وعينه نائب القلعة وقرر آخرين منهم فى تقادم ألوف وآخرين فى امريات
 عشرة وكل هذا خفة وطيش وصيئة من الملك الناصر وقد طاش الى الغاية لما خرج
 كرتباى الاحمر الى الشام وكان يظن أنه مابق على يده يدوكل هـ ذامن عقل الصغار فكان
 كما قال المعمار

دى دولة خواطر * تسويقه معتر

خليلى وشامى * والخيارمة قصر

فلما جرى ذلك تحت الليل بلغ الامراء الذين من عصابة قانصوه ما وقع من السلطان ثلاث اليلة
 فلما طلع النهار لبسوا آلة الحرب وصعدوا الى القلعة ووثبوا على بعضهم بها وكانت فتنة
 مهولة فقتلوا الامير أبى يزيد الصغير والامير برسباى الاشقر وهرب الامير مصرباى وقتل
 قنبك أبوشامة واتسعت الفتنة وقتل فى هذه المعركة جماعة من الخاصكية وقدهم وابتقل
 السلطان لولا أنه اختفى ثم نزلوا بجيشة أبى يزيد على حمار وتوجهوا به الى داره ليغسلوه
 ويدفنوه ثم نزل جماعة من المماليك ونهبوا بعض أما كن الامراء الذين من حلف اقبردى
 ونهبوا بيت الناصرى محمد بن خاص بك لكونه كان صهرا اقبردى الدوادار فلما بلغ الاتابكى
 أربك ما جرى طالع الى القلعة واجتمع بالسلطان ولامه على هذه الافعال الشنيعة التى تصدر
 منه فلم يلتفت الى كلامه ثم نزل الاتابكى أربك الى داره وقد خدت هـ هذه الفتنة قليلا
 وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر وفى جادى الاولى وقع من الناصر
 غاية القبح فى حق الامراء المقدمين بأشياء ماسية اليها أحد وهو أنه أضاف لكل أمير مقدم
 ألف ثلاثين مملوكا من المماليك الجلبان يأخذون من اقطاعه فى كل سنة كل واحد منهم
 عشرة آلاف درهم وأضاف الى أمير كبير أربعين مملوكا لكل واحد كما تقدم وأضاف الى
 كل أمير طبخانات عشرة من المماليك يأخذون من اقطاعه كما تقدم وأضاف الى كل أمير
 عشرة خمسة مماليك يأخذون منهم كما تقدم فحصل من المماليك فى حق الامراء ما لا خيرية
 وصاروا يدخلون بيوت الامراء وهم راكبون ويشوشون على مباشرتهم بالضرب والسب
 حتى يأخذوا منهم ما قرر لهم فأضر ذلك بحال الامراء وما اطاقوا ذلك ولكن لم يطلع من
 أيديهم شئ بسبب اضطراب الاحوال فى تلك الايام فكان كما يقال

اخضع لقرء السوء فى زمانه * وداره مادام فى سلطانه

وفيه أمر السلطان بهدم كنيسة اليهود التى فى دموه فتوجه الى هناك بنفسه وهدمت

بحضرته ثم عاد الى القلعة وفيه تزوج الامير طومان باي الدوادار الثاني بنت الملك المنصور
عثمان بن الظاهر حقه ق فكان لهما هم حافل وفيه كانت وفاة شيخنا علامه العصر الشيخ
شمس الدين محمد بن أبي بكر بن حسن بن عمران بن نجيب المعروف بالقادري وكان شاعر
العصر على الاطلاق بعد الشهاب المنصوري وكان مولده بعد الثلاثة والثلاثين والثمانمائة
وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد فن ذلك قوله في ميقاتي وأجاد

في صنعة الميقات بدر نجمه * بالسعد يخدمه مدى الساعات
حجت عيون الناس كعبه حسنه * وقضت مناسكها من الميقات
وقوله في فرس محجل الثلاثة مطلق اليمين

وطرف زانه التحجيل يحكي * لمن يحكيه بالسحر المبين
جواد رام أن يخفى في نوالا * فأسبل ككمه فوق اليمين

وفيه جاءت الاخبار من مكة بانه وقع بين السيد الشريف بركات وبين أخيه هزاع فتنة
كبيرة وكادت أن تخرب فيها مكة المشرفة وفيه توفي امام الكاملية وابن امامها وكان من
عباد الله الصالحين ديننا خيرا لا بأس به وفي جادى الآخرة وقعت الوحشة بين السلطان
والامراء بل وبين خاله قانصوه بسبب ما تقدم من تلك الفتنة التي وقعت من حلف اقبردى
وقد نسب فيها السلطان الى غرض وفيه قرر يحيى بن سبع في امرية الينبع عوضا عن
دراج بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار بقتل الطواشي لؤاؤ الرومي رأس نوبة
السقاة والخازندار وكان قد خرج الى الوجه القبلي في بعض أشغال ليتوجه الى مكة
المشرفة وكان صحبته السجيني المرافع فخرج عليهم جماعة من العربان فقتلوا لؤاؤا
والسجيني ومن معهم وفيه نزل السلطان وبات في تربة أبيه وحصل منه تلك الليلة عدة
مساوي لا ينبغي شرحها وفيه جاءت الاخبار بوصول الطاعون الى قطيا وقد فشاهوا وهو
زاحف نحو الديار المصرية وفيه نادى السلطان في القاهرة ومصر بان تعلق على الخوانيت
قناديل وكذلك البيوت المطلية على الشوارع وصار يركب هو بنفسه في كل ليلة بعد العشاء
وقد امه قانوسان أكره وأربعة مشاعل ومعه أولاد عمه قيت وهما جانم وأخوه جاني بك
وقد امه عدة عبيد سود معهم بندقيات نبط وكان اذا طاف بالقاهرة بعد العشاء ورأى أحدا
يشي يقطع أذنه مع أنفه ومنهم من يضربه بالمقارع ومنهم من يوسطه فقتل من الناس جماعة
في مدة يسيرة وكان اذا مر بدار كان ولم ير عليه اقتديلا يأمر بتسميرها وهو واقف بنفسه عليها
حتى يسمروها وكل هذا خفة وطيش وقد بهل حرمة المملكة في أيامه ولم يتبع طريقة
الملوك السالفة في إقامة حرمة السلطان وصار على طريقة والى الشرطة وفيه قبض بعض
الخاصكية والمماليك على عبيد من عبيد السلطان يقال له فرج الله وكان مقربا عنده الى

الغاية فضربه وقاتلوه بالرمية فشق ذلك على السلطان وتأسف عليه ولم يقدر أن يحميه
 من المماليك فانهم كانوا يومئذ طالبيين للشرع السلطان بسبب هذه الافعال التي تصدر منه
 وفيه قرر شاه بن الجمالي في نظر الحرم الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على
 عادته فخرج الى السفرة عن قريب وأمره السلطان بأن يتوجه الى يحيى بن سبع أمير
 الدينبيع ويصلح بينه وبين أمير مكة المشرفة وكان قد وقع بينهم في تلك الايام وحشة وفي
 رجب ظهر الطاعون بالقاهرة ومات بها جماعة وفيه تخوفت خوند اصل باي أم الناصر
 على ولدها من خاله قانصوه وكانت المماليك قد انتفت عليه فأحضرت المصحف العثماني
 بين يديها في قاعة العوامية وحلفت عليه أخاها قانصوه وابنها الملك الناصر محمد بوفاء كل
 منهم ما صاحبه ولم تفد تلك الايمان شيئا وفيه خرج خير بك بن قانصوه البرجي قاصدا الى
 ابن عثمان فخرج في تجمل زائد وصرف في هذه الحركة مالا له صورة وفيه توفي الشيخ
 داود المالكي وكان من أعيان علماء المالكية من أهل العلم والدين وكان لا بأس به وفي
 شعبان تزايد أمر الطاعون بالديار المصرية ومات من المماليك والاطفال والعبيد والحواري
 جانب فلما كثرت الموت في المماليك صنع السلطان ثلاثين نعشا برسم من يموت بالقاعة وحصل
 بذلك النفع وفيه توفي آيتال الفقيه الحسني الظاهري جقمق أحد الامراء الطبليخانات
 حاجب ثاني وكان دينيا خيرا لا بأس به وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصاً من
 المماليك السلطانية مات وغسل وكفن ووضع في نعشه وحمل ليدفن فيبنيما هو في أثناء
 الطريق اضطرب وتحرك في أكفانه فوضع على الأرض وحملوا أكفانه فاستوى قائما
 وعاش به ذلك مدة وفيه توفي العزى عبد العزيز بن البرهان وكان من مشاهير الناس
 لا بأس به ومات بالطعن وفيه من الحوادث ان الصوفية الذين بالخانقاه البيرونية ثاروا
 على شيخهم الشيخ جلال الدين الاسيوطي وكادوا أن يقتلوه ثم جعلوه بأثوابه ورموه في
 القسقية وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان طومان باي الدوادار محظا عليه
 فلما تسلطن فيما بعد اختفى الشيخ جلال الدين الاسيوطي في مدة سلطنته حتى كان
 من أمره ما سئد ذكره وفيه خلع السلطان على ماماى جوشن وقرره في الخويبة الثانية
 وفيه صارت معاملة الفلوس الجدد بالعدد وبطل أمر وزنهم بالميزان وفيه تزايد شر المماليك
 وجاروا على الناس بخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الاسواق وصاروا
 يستخفون بالسلطان والامراء فيل ان بعض المماليك كان راكبا على فرس حرون فصادف
 جنازة في وجهه فجعل منها فرس ذلك المملوك ووقع الى الأرض فقمام وهاش وضرب
 الجمالين الذين كانوا يحملون الميت فلما عاين ذلك الجمالون ألقوا الميت على الأرض وهربوا
 فلما هربوا وقع المملوك في الميت وضربه بالدبوس حتى اشتفى وصار الميت ملقى على الأرض الى

آخر النهار وقد جرت هذه الواقعة في سويقة صفية وصار الطعن عمالا والمماليك جائرة في حق الناس بالاذى حتى قلت في ذلك هذه المداعبة وهي قولي

قد قلت للطعن والمماليك * جاوزت الحد في النكايه

ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكم كفايه

وكان الناس على ما ذكرناه من هذه الافعال الشنيعة والملك الناصر في طيشاته ولعبه وفيه نزل الناصر الى بولاق في ليلة سيدى اسماعيل الانبائى رحمه الله تعالى ورضى عنه وشق البحر في مركب ومعه جماعة من العوام يغنون على النداء والاجهار وكان معه أولاد عمه وهما جانم وأخوه جاني بك وأحرق تلك الليلة ببولاق حراقة نفط عظيمة وبات في المركب تلك الليلة وكانت من الليالى المشهورة وفعل مثل ذلك عدة مرار وفيه مات بالطاعون شاه بضاع بن دلغادر أمير الركان وكان مقيما بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بأن العسكر الذين توجهوا الى مواجهة اقبردى قد تبعوه الى عين تاب وتقاتلوا معه هناك ووقع بينهم واقعة عظيمة فانكسر اقبردى كسرة مهولة وقتل من عصيته جماعة كثيرة منهم اينال السهدار نائب حلب الذى كان معه وقتل على دولات معه ولدان وقتل من الخاصكية والمماليك الذين كانوا معه جماعة كثيرة وقد حارب كرتباى الاجرنائب الشام أشد الحاربة وكان قد توجه اليه صحبة العسكر الى عين تاب حتى تحارب معه وانكسروا وهرب وطلع على جبل الصوف وقيل انه لما انكسر وصعد على جبل الصوف توجه الى نحو الفرات بمن معه من الامراء والمماليك وفي رمضان تزايد امر الطاعون وقتل في المماليك والاطفال والغرباء والعبيد والجواري فتكاد زريعا حتى قيل انه انتهى الى ثمانية آلاف من الاموات فكان كاقيل

ألا ان ببحر الوبا قد طغى * وقد أرسل الطعن طوفانه

ولا عاصم اليوم من أمره * سوى رحمة الله سبحانه

ومات من الاعيان جماعة كثيرة منهم الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن العيني وكان شابا رئيسا حشما أديبا عاقلا تولى من الوظائف حسبة القاهرة ونظر الجواهرى ووكالة بيت المال وتوجه الى الحجاز أميرا ول في دولة الملك الناصر وكان عنده من أخصائه ومات بيبرس ابن حيدر الاشرفى قايتباى نائب القلعة ومات الامير جان بلاط الغورى رأس نوبة النوب وكان قليل الاذى لآس به وكان أصلا من مماليك الاشرف قايتباى ومات صنتباى المبشر الاشرفى قايتباى أحد الامراء الطب لخانات وماتت شاشة أم اقبردى الدوادار البحر كسيرة فتزل السلطان وصلى عليها وحمل نعشها فانصوه خال السلطان ومشى به خطوات وماتت أم الجمجمة بن عثمان سرية أبيه محمد بن عثمان ملك الروم وكان اسمه اچچك وكانت لآس بهم او ماتت الاشرى في أحد العشر اوات وشاد الطرانة ومات عبد القادر الالواحى بواب

الدهيشة وكان عند الملك الناصر من جملة المقربين وكانت الناس تسعى في الوظائف على يديه وفيه من الوقائع أن شخصا من المماليك الجلبان طعن فلما أشرف على الموت أحضر شهودا وأخرج بين أيديهم جملة قماش مابين بشاخين ومقاعدا ومخدات وبسط وغير ذلك ومبلغا نحو من ثلاثة آلاف دينار وأخبر أنه نهب ذلك من مكان سماء ثم قال لغلामه امض وأتني بأصحاب ذلك القماش فضى الغلام والشهود جالسون عنده فغاب ساعة ثم أحضر أصحاب القماش فعرفهم ذلك المملوك فسلمهم تلك الأموال والقماش بحضرة الشهود وسألهم المحالة فلما حالوا ووضوا مات من ليلته فعد ذلك من الوقائع ومات آخر من المماليك الجلبان فوجد عنده خمسة عشر ألف دينار فذكر غلامه أنه نهب ذلك من حاصل أقبردى الدوادار في حارة زويلة فحمل ذلك المال إلى خزائن السلطان ومات مصرى بن على باى الذى كان نائب قلعة حلب وعزل عنها وفيه رسم السلطان لما كثر الموت بعمارة سبيل المؤمنين وهى المصلى التى بالرميلة وكان خرابا من حين حاصر أقبردى القلعة وفيه جدد الامير طومانباى الدوادار الثانى ما فسد من مدرسة السلطان حسن من حين كانت واقعة أقبردى الدوادار فجدد باب المدرسة الذى كان احترق وسد شبابيك القبة وأصلح ما فسد منها وأقيمت الخطبة بأوصالة التراويح وكانت معطلة نحو من عشرة أشهر بسبب ما تقدم وفيه قبض على انسان زعموا أنه ينشئ القبور على الموتى ويسرق أكتافهم فأمر السلطان بسلب وجهه وهو حى فسلبوه من رأسه إلى رقبته وأرخواه على صدره وصار عظم رأسه ظاهرا واطفا وبه فى القاهرة ثم علقوه على باب النصر واستمر معلقا إلى أن مات ثم نودي للحفارين بحفظ أكتاف الموتى وفى آخره تناقص أمر الطاعون وكانت مدته ثلاثة أشهر ومات به زيادة على مائتى ألف انسان من كبير وصغير ومن المماليك الساطانية نحو من ألف ومائتى انسان وفى سؤال خلع السلطان على قرقاس بن ولى الدين وقرره فى رأس نوبة كبير عوضا عن جان بلاط الغورى بحكم وفاته وفيه قرر بلباى المؤيدى من جملة المقدمى الالوف بمصر وفيه فى رابع عشره وصل سودون الدوادارى أحد الامراء العشراوات وصحبته عدة رؤس ممن قتل فى المعركة التى وقعت بين أقبردى والعسكر الذين خرجوا من مصر كما تقدم فكان عدة تلك الرؤس احدى وثلاثين رأسا وكان فيهم رأس اينال السلحدار نائب حلب الذى فر مع أقبردى وفيها رأس ابن على دولات الذى قتل فى المعركة وقيل ان الذين قتلوا اثنان وثلاثون فكان لدخولهم فى القاهرة يوم مشهود ودخلت الرؤس وهى مشهورة على رماح وشقوابها من القاهرة والمشاعلى ينادى عليها فلما عرضوا على السلطان رسم بان يعلقوا على أبواب المدينة فعلفت رأس اينال ورأس ابن على دولات على باب زويلة والباقي على باب النصر وغيره وكل هذا يشق على الملك الناصر فى الباطن وكانت له عناية بأقبردى وتعصب وأخبر سودون الدوادارى ان كرتباى الاجر نائب الشام رجع الى الشام وان

جان بلاط نائب حلب رجع الى حلب وان العسكر واصل عن قريب وفيه جاءت الاخبار
أن كرتباى الاجر لما استقر في نيابة الشام استولى على نيابة قلعة الشام أيضا مضافا لما يده
من نيابة الشام وهذا الامر عزيز الوقوع جدا وفيه أمر السلطان ببناء جامع القيوم
وكان القائم في ذلك الشيخ عبد القادر الدشوطى وأرسل السلطان صحبته جماعة من
البنائين والمهندسين وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بأن كاتب السربدر الدين ابن
مهر لما توجه الى مكة أصح بين أمير مكة المشرفة وأخيه بمرسوم السلطان وجاءت الاخبار
من مكة المشرفة أيضا بوفاة برك بك نائب جدة وكان أحد المقدمين بمصر وخرج منفيا الى
مكة المشرفة بعد كسرة اقبردى فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان
لابأس به وفيه كان ابتداء الوحشة بين السلطان وخاله وصار بعض الامراء يمرى بينهما
الفتن حتى بلغ بذلك مقاصده وخيلوا الملك الناصر من خاله وخيلوا خاله منه باشياء من أنواع
الحيل والخداع وأخذوا في أسباب ما تم به الحيلة على قتل الملك الناصر وقد سعى وافي
ذلك سعى الشطار حتى كان من أمره ما سئذ كره في موضعه وقد قيل في معنى ذلك

صف بالدهاء الذى يخشى الدهاء فا * ينام خيفة ان تبدوا له الحيل

فقد يبيت بقلب ضمه أسد * ولا يبيت بقلب ضمه رجل

وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجالى وأمير
ركب الاول جان بلاط الموتر المحتسب وفيه جدد الامير قانصوه خال السلطان خطبة في
المدرسة البشيرية التى بدرب الخازن ولم يكن بها قبل ذلك خطبة فجدد الخطبة بسبب مماليكه
وكان ساكنا بالقرب منها وفيه قبض الوالى على شخص من السراق فلما عرضه على السلطان
أمر بقطع يده ورجله وألزم ذلك السارق أن يقطعهما يديه ففعل ذلك بحضرة السلطان
وفيه دخلت التجربة التى توجهت الى اقبردى الدوادار وقد حضروا من غير اذن السلطان
فشق عليه ذلك وأخذ حذره من الامراء لكونهم دخلوا من غير اذن منه وفي ذى القعدة
جاءت الاخبار من حلب بان اقبردى الدوادار لما بلغه أن التجربة عادت الى مصر عاد الى
عين تاب وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار فلما بلغ الامر ذلك أعياهم أمره
وفيه تزايد أمر العربان بالشرقية حتى خرج اليهم قانصوه خال السلطان وقرقاس رأس
نوبة كبير فلما خرج قانصوه خال السلطان سرح في بلاد الشرقية والغربية سرحا عظيمة
وغاب نحو من شهر ودخل عليه جملة تقادم حافله من الكشاف ومشايخ العربان وغيرهم
وفيه قصد السلطان أن يخرج الى مولد سيدي أحمد البدوى رحمه الله ورضى عنه فلم يمكنه
الامراء من ذلك وفيه توفي الخطيب الوزير شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عثمان المالكي
وكان من أهل العلم والفضل لابأس به وفي ذى الحجة عاد قانصوه خال السلطان من السرحة

فنادى له السلطان في القاهرة بالزينة فزينت له ثم انه دخل في موكب حافل وطلع الى القلعة
 فخرج عليه السلطان خلعة سنية فلما نزل من القلعة ووصل الى رأس الصوة لاقاه جماعة من
 المماليك السلطانية الجلبان وبأيديهم دبابيس مسحوبة فقالوا له قل للسلطان ينفق علينا
 بسبب نصرته على ابردى واستمر وياحصرونه من رأس الصوة الى أن دخل بيته الذي عند
 درب حمام الفارقاني فلما دخل الى بيته وقفوا له على الباب حتى قلع الخلعة وأكل المدة
 وأركبوه ثانيا وطلعو به الى القاعة وهو مهدهم بالقتل فلما طلع الى السلطان لم يوافقهم
 على ذلك فرد الجواب على المماليك بالمنع من السلطان فاستمروا صابرين حتى مضى عيد النصر
 وانقضى أمر تفرقة الاضحية فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة وحاصروا السلطان وهو
 بالقلعة وكان قانصوه خاله عنده فوق القلعة وتوجهوا الى بيت الاتابكي أربك فاركبوه غصبا
 وطلعو به الى القلعة فتكلم مع السلطان في ذلك فامتنع ساعة ثم انه وقع الاتفاق على أنه ينفق
 عليهم بعد مضى شهر لكل مملوك خمسة دنانير فلما نزل الاتابكي أربك من القلعة ردعاهم
 الجواب بذلك فخدمت تلك الفتنة وقلعوا آلة السلاح وفيه أخذ السلطان في أسباب جمع
 الاموال فوزع على المباشرين جانبيا وعلى قضاة القضاة جانبيا وعلى أعيان الناس من التجار
 وغير ذلك حتى على اليهود والنصارى قاطبة ومشاهير السوق والمتسبين وكان القائم في
 ذلك قانصوه خال السلطان وأعوانه وهم ناصر الدين الصفدي وكيل بيت المال وابراهيم
 المهاجري امام الامير قانصوه خال السلطان وقاني بك الدوادار خاس قانصوه خال السلطان
 في داره الذي عند درب حمام الفارقاني وأحضر المعاصير والكسارات وأحصى خوده ديد
 على النار وطلب الناس بالرسول الغلاظ الشداد فاما قاضي القضاة المالكي ابن تقي فانه
 اختفى في بيته وكذلك قاضي القضاة الحنبلي الشهاب الشيشي وطلب القاضي شهاب
 الدين أحمد فناظر الجيش فامتنع مما قرده عليه فطرح على الارض ليضرب وكذلك فناظر
 الخاص علاء الدين بن الصابوني وعلى هذافقس بقية الناس من الاعيان والمشاهير
 فجمعت تلك الاموال من الناس بالضرب والحبس والتراسيم وحصل لهم غاية المشقة بسبب
 ذلك فكثرت الدعاء على الناصر وخاله وقد تزايد الظلم والجور في تلك الايام الى الغاية حتى فرج
 الله تعالى عن قريب وكان كما قيل

وما ذابنفع الترياق يوما * اذا وافي وقدمات اللديغ

فلما تكامل جمع الاموال ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة فأعطى لطائفة المماليك
 القايته باهية لكل واحد منهم خمسة دنانير او ما عدا ذلك خمسة وعشرين دينارا وفيه ان
 من أخبار الملك الناصر التي هي في غاية البشاعة انه دخل الى حارة الروم وهجم على
 دار ابراهيم مستوفي الخاص ليلا وقبض على ولده أبي البقا ورام توسطه فالتى والدته نفسه

عليه واقتداه بألف دينار قيل كان سبب ذلك أن الناصر بلغه أن زوجه أبي البقا جيلة
 فهجم عليه بسيفها فاحفوها منه فحرق بسبب ذلك ما جرى وهذا الكلام مستفاض بين
 الناس والله أعلم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بأن المسلمين أخذوا حصن جربة من
 أيدي الفرنج وكانوا قد استولوا عليه نحو من سنة وأثمة رفكانت النصر للفرجة على
 الفرنج وفيه كثرت الفلوس الجدد بأيدي الناس حتى صار النصف الفضة يصرف بأربعة
 عشر من الفلوس الجدد وصار الدينار الذهب يصرف من الفلوس بثلاثين نصفاً وصارت
 البضائع تباع بعشرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس الجدد وأضر ذلك بحال الناس وقد وقع
 في دولة الاشرف قايتباي أن النصف الفضة وصل صرّفه بالفلوس أربعة وعشرين وفيه
 تزوج قايتباي قراًميرا خور كبير بنت يشبك الدوادار التي كانت زوجة كرتباي ابن عمه
 السلطان الاشرف قايتباي الذي قتل في واقعة اقبردى بـدرسة السلطان حسن وفيه خرج
 نوروز الخوخ أحد الامراء العشر اوات قاصدا الى كرتباي الا حزن نائب الشام وعلى يده
 مر اسيم بالعتب عليه لكونه استولى على نيابة قلعة الشام من غير إذن السلطان فتوجه اليه
 وعاد به مدة بغير طائل وفيه توفي اقباي استادار الذخيرة وكان لا بأس به وفيه جاءت
 الاخبار من مكة المشرفة بوفاة اسنباي الذي كان نائب الاسكندرية واتهم بموته كاتب السر
 لما توجه الى هناك وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم في أمر عظيم ووقع بها
 الغلاء والفناء والمصادرات وجور السلطان في حق الناس كما تقدم وأذى المماليك في حق
 الرعية وقد كان الناس في غاية الاضطراب وما كفى هذا كله حتى فشا في الناس داء يقال له
 الحب الفرنجي أعادنا الله تعالى منه والمسلمين أجمعين عنه وكرمه وقد أعيى الاطباء أمره ولم
 يظهر هذا بعصر قط الا في أوائل هذا القرن ومات به من الناس ما لا يحصى

ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة فيها في المحرم كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر
 يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز و السلطان العصر الملك الناصر أبا السعادات محمد
 ابن الاشرف قايتباي رحمه الله وأما القضاة الاربعة فالقاضي زين الدين زكريا الشافعي
 والقاضي برهان الدين بن الكركي الامام الحنفي والقاضي عبد الغني بن تقي المالكي
 والقاضي شهاب الدين أحمد بن الششيني الحنبلي وأما الامراء المقدمون فقد تقلبت
 أحوالهم بموجب ما جرى من الفتن والقتل كما تقدم في أخبار السنة الحالية فكان
 الاتابكي أزبك بن ططخ أمير كبير يومئذ وتاني بك الجمالي انطا هري چقمق أمير سلاج
 وقانصوه المحمدي المعروف بالبرجي أمير مجلس وقاني باي الرماح أمير خور كبير وقانصوه
 خال السلطان دوادار كبير واستادار كبير وكاشف الكشاف وقرقياس بن ولي الدين رأس
 نوبة كبير وقيت الرحبي حاجب كبير وبقية الامراء على حكم ما تقدم من أخبارهم وأما

المباشرون فالقاضي بدر الدين بن منهر كاتب السرو نائبه صلاح الدين بن الجيعان والقاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش والقاضي علاء الدين بن الصابوني ناظر الخصاص ووكيل بيت المال وبقية المباشرين على حكم مائة قدم وفيه من الوقائع أن النيل أوفى تاسع عشر مسرى الموافق لربيع المحرم وكان السلطان عول على أن ينزل ويفتح السد بنفسه وأخذ في أسباب ذلك فلم يمكنه الأمر من ذلك خوفاً عليه من القتل فشق عليه ذلك فلما صلي العشاء نزل من القلعة على حين غفلة وقدامه عدة فوانيس ومشاعل ومعه أولاد عمه وبعض خاصكية نحو من مائة خاضكي فتوجه إلى السد وفتحته تحت الليل ثم توجه إلى سد قنطرة قديداً رفقته أيضاً ثم عاد إلى القلعة وكل هذا تحت الليل فلما طلع النهار وجد الناس الماء في الخلمان والبرك قد غمرت بالمياه فتعجبوا من ذلك وما وقع قط في الجاهلية ولا في الإسلام أن السد فتح بالليل وقد قطع على الناس فرحتهم بيوم الوفاء وما كان فيه من القصف والفرجة المعتادة وفي هذه الواقعة يقول الناصري محمد بن قانصوه بن صادق

منذ السلطان قالوا * للورى بالكسر جبر

كسر السد بليل * فغدا للناس كسر

وفيه توجه السلطان إلى قنطرة أبي النجا وفتح سدها أيضاً فعد ذلك من النوادر وفيه ضرب السلطان الكرة بالحوش في غير موكب وكان معه بعض أمراء الطبليخانات والعشراوات منهم الأمير طومان باي الدوادار الثاني فاقتحم على أخذ الكرة من السلطان فخلق منه السلطان وضربه على ظهره بالصوبلجان غير ماهرة فكان ذلك من جملة ما حقه طومان باي حتى كان سيالاً قتله عن قريب وفيه مر السلطان من بين القصرين بعد العشاء فرأى شخصاً ماشياً في السوق وقد خرج من الحمام فقيل له هذا الرجل سكران فوسطه ولم يفحص عن أمره وراح ذلك الرجل ظمأً وكان الناصر قد ترايد شره في تلك الأيام إلى الغاية وفيه نادى السلطان لسكان بركة الرطلي بأن يوقدوا بها وقدة سبع ليال متوالية فامتلأوا ذلك وصار ينزل في المراكب ويطوف البركة هو وأولاد عمه وان رأى امرأته جميلة في بيتها هجم عليها وطلع لها من الطاق وأخذها غصصاً وضرب زوجها بالمقارع في وسط بيته فارتاب الناس منه وبقى على رؤسهم طيرة وفيه من الحوادث أنه أشيع بين الناس أن السلطان عمل له برقا حافلاً بتربة أبيه وقد عول على أن يسافر في الدس إلى نحو البلاد الشامية بسبب اقتردي الدوادار ليكون له عوناً على نصرته ودخوله إلى مصر وكان الناصر له عناية باقتردي ظاهراً وباطناً فلما بلغ الأمر ذلك توجهوا إلى المكان الذي فيه السنج ونهبوه إلى آخره وضربوا الغلمان الذين تعينوا إلى السفر مع السلطان وكادت أن تكون فتنة مهولة بسبب ذلك وقصدوا أن يلبسوا آلة السلاح وبشيرة وافتنة عظيمة ثم سكن الأمر قليلاً وفيه وصل الحاج

ودخل الى القاهرة بعد أن قاسى مشقة زائدة وعطشا وقلة أمن من فساد العربان وأشيعت
 الاخبار بوفاة يوسف بن أبي الفتح كاتب الممالك مات بمكة المشرفة وكان مجاورا بها وكان
 لا بأس به وفيه وقعت نادرة وهي أن المحمل لما دخل الى القاهرة صحبة الحاج شق المدينة
 فلما أن وصل الى جامع المارداني بركوا جل المحمل هناك وأرادوا أن ينزعوا ما عليه من
 القماش واذ بقاصد من عند السلطان يطلب المحمل وكان بقية يشبك التي بالمطرية
 فتوجهوا به اليه فشق قوا به من القاهرة ثانيا حتى رآه السلطان وهو بالقبة ثم عادوا به فشق
 القاهرة ثالث مرة فعند ذلك من النوادر التي قط ما وقعت وفي صفر جاءت الاخبار من
 البحيرة بان الجويلي ومرعى أناروا فتنة مهولة بالبحيرة ونهبوا البلاد وأسروا النساء
 وقتلوا الأطفال وأشيح ان الجويلي حلف أنه لا يمكن أحدا من أرباب الدولة أن يأخذ
 خراجا من بلاد الغربية والبحيرة في السنة المذكورة فلما تحقق السلطان ذلك عين
 تجريدة الى البحيرة فلم يوافق أحد من الامراء ولا العسكر على ذلك وكان النيل في قوة زيادته
 ثم ان السلطان نادى للعسكر بالعرض في الميدان فلما حضر العسكر لم ينزل اليهم السلطان
 وقد تخوف على نفسه فانقض ذلك الجمع وكثر القال والقال بين الناس وكانت أيام الناصر
 كلها قسنا وشروا وفيه ظهر البدرى بن منهر ككاتب السر وكان محتفيا فارسل له
 السلطان بالامن والامان وفيه قرر السلطان قانصوه حركس المعروف بابن اللوقافي
 بجويية الخجاب بدمشق وفيه قرر ابراهيم بن يحيى المهاجرى في نظر الديوان المفرد بواسطة
 قانصوه خال السلطان فانه كان امامه وفيه تودى في القاهرة من قبل السلطان بان جميع
 الخوانيت التي بالاسواق والشوارع يبيضون وجوهها ويرخفون بالدهان فحصل للناس
 بسبب ذلك غاية المشقة ثم رسم بتبييض وجوه الربوع المظلة على الشوارع وكل هذا من
 وسائل السوء التي حوله وعقل الصغار وفيه تزوج السلطان بمصر باى الحر كسية زوجة
 كرتباى أخو اقبردى الدوادار الذى كان نائب صفد ووقع بين السلطان وأمه بسبب زواج
 مصر باى ما لا خير فيه وكانت عليه كعب الشوم فاقام معهادون الشهر وقتل وفي ربيع
 الاول طلع الفضاة الاربعة للتمنئة بالشهر فلما تكامل المجلس حضر السلطان المصنف
 العثماني بين يديه وحلف العسكر قاطبة عليه ثم حلف الامراء فلما حلقوا قالوا مثل
 ما حلفنا لسلطان يحلف لنا هو أيضا أنه لا يمسك منا أحد ابغى سبب فتوقف السلطان في ذلك
 المين وكان المتكلم بين السلطان والامراء تانى بك الجمالى أمير سلاح فانه قضى المجلس على
 مانع ونزل الامراء من غير رضا فلما كان يوم الجمعة لم يطلع من الامراء أحد الى صلاة الجمعة
 مع السلطان واجتمعوا في بيت قانصوه خاله ولم يمكنوه من الطلوع الى القلعة واستمر الحال الى
 يوم الاثنين ثم ان السلطان أرسل نقيب الجيش الى طومان باى الدوادار الثاني وطرباى
 أمير اخورثانى وازدهر شاد الشراب خاناه واسنباى فقال لهم نقيب الجيش عن لسان

السلطان رسم السلطان لَكُمْ بأن تكتبوا وصية وتخرجوا في عقيب هذا اليوم وتوجهوا
الى مكة المشرفة من البحر فلم يلتفتوا الى كلام نقيب الجيش وقالوا له ما تخرج من مصر
لموضع ومهم ما يفعل بنا يفعل فعند ذلك أضمروا له السوء وتغيرت عليه خواطر الامراء
قاطبة وهو في غفلة عما يراجه وقد حقدوا عليه قبل ذلك مما يقع منه من هذه الافعال
الشيعة وصار كل أحد من الناس حاقدا عليه باطنا وظاهرا من سوء تدبيره كما قيل
ما تفعل الاعداء في جاهل * ما يفعل الجاهل في نفسه

وفيه ظهر مصر باي وآخرون من الامراء عن كانوا مختلفين من عصابة اقبردى الدوادار فلما
ظهروا طلعوا الى القلعة وهم مصر باي وقان بك أبو شامة وقانصوه التاجر وقرار جوشن
وقانصوه الساقى وآخرون من الخاصكية وكان ظهورهم بأمر السلطان وجماعة
من الاينالية منهم دولاباى بن عيسى وبرقوق الساقى فلما قابلوا السلطان خلع عليهم
وعلى خاله وأشيع بان الصلح قد وقع بين حلف اقبردى الدوادار وبين حلف قانصوه خمسمائة
وكان هذا كبر أسباب الفساد في حق الملك الناصر وأخذ عقيب ذلك بايام وفيه نزل
السلطان بقبة يشبك الدوادار التي بالمطرية فأقام بها الى آخر النهار وعاد الى القاعة وكان
هذا آخر ركوبه الى جهة قبة يشبك وفيه عمل السلطان المولد النبوى على صاحبه أفضل
الصلاة والسلام فلم يطلع الى القلعة من الامراء سوى أربك أمير كبير وتانى بك الجمالى
أمير سلاح وبعض أمراء عشر اوات والقضاة الاربعة ولم يطلع خاله قانصوه ولا أحد من
الامراء ولا حضروا المولد ووقع في ذلك اليوم من المماليك الجلبان في حق الامراء والفقهاء
مالا خيرا فيه ورجوا الامراء من الاطباق وكبوا عليهم الماء المتنجس بالاوساخ وخطفوا
عائم الفقهاء وكان يومامهولا فلما انقضى يوم المولد بعث السلطان يقول لطومان باي
دوادار تانى اخرج في هذه الساعة على جراثيد الخيل الى جهة البحيرة بسبب فساد جوبلى
ومضى نخرج طومان باي من يومه وأتى الى البرالجيزة ونصب بها خيامه فلما كان يوم الاثنين
ثالث عشر الشهر المذكور نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القناطر العشرة وكان
ذلك في أواخر التيل فعدى الى البرالجيزة وسبقه الخيام والمطبخ وكان عنده جانب كبير من
بقية احتياج المولد فلما وصل السلطان الى الوطاق نزل به ولم يكن معه سوى أولاد عمه
قيت وهما جاتم وجانى بك أخوه وجماعة من الخاصكية ولم يتوجه معه أحد من الامراء
ولا خاله فارسى أرسل أحضر أبان الخير ومعه خيال الظل وجوق مغافى العرب وبرابوه رئيس
المجبتين فأقام هناك ثلاثة أيام وهو في أرغد عيش وقد خرج عن الحد في اللهو واللحلاعة
والانشراح ومدهناك أسمطة حافلة وحملوى وفاكهة وغير ذلك وأنعم على جماعة من
الخاصكية بخيول وقماش ومال وانشرح في تلك الايام بمخلاف العادة وتلاعبت به الدنيا

كما تلاعبت بامثاله من المتقدمين فكان كما قيل

تزود من الدنيا فانك لا تدري * اذا جن ليلا هل تعيش الى الفجر
فكن من صبيح مات من غير علة * وكن من عليل عاش حيناً من الدهر
وكن من فتي يمسي ويصبح آمناً * وقد نسجت أ كفانه وهو لا يدري

فلما كان يوم الاربعاء خامس عشر الشهر المذكور أدركت السلطان تفرقة الجامكية فأذن
للخاصكية الذين كانوا معه أن يتقدموا قبله كي لا يرا حونه وقت التعدية فتقدم جماعة
منهم وراحوا الى بيوتهم فصلى السلطان العصر وركب ولم يبق معه سوى ابني عمه وبعض
سليداريته فلما ركب مر على الطالبيية وكان الامير طومان باي هناك بقصد التوجه
الى البحيرة كما تقدم ذكره فلما مر عايه خرج له طومان باي مسرعاً وعزم عليه فلم ينزل
عنده فخرج اليه بجفنة فيها لبن فاخر فوقف السلطان وهو راكب على فرسه فقد مواله
الجفنة اللبن ومعلقة فخديده الى الجفنة وأكل كل من اللبن فبينما هو يأكل والامير طومان باي
ماسك بجام فرسه فلم يشعر الا وقد خرج عايه كمين من الخيام التي هناك نحو من خمسين محلوها
وهم لا يسون آلة السلاح فاحتاطوا به وعاجلوه بالحسام قبل الكلام فقتلوه شرقتلة وجعلوا
عليه اى حلة خفاءته ضريبة على عاتقه وكتفيه فهداته وطعن في جوفه فوقع عن فرسه الى
الارض وقتلوا أولاد عمه الاثنين جانم وأخاه جاني بك وكانا شابين جيلين وقتل معهما شخص
من السليدارية يقال له أربك الغمري الخاصكي المعروف بالبواب وكان من خواص
السلطان وتقرّب هذه الواقعة من واقعة الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون وقد قتل
مثل هذه القتل له بعينها في تروجة بمكان يعرف بالجامات وذلك في سنة ثلاث وتسعين
وسبعمائة قتله مماليك أييه أيضاً وكانت قتله الملك الناصر في يوم الاربعاء بعد العصر
خامس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعمائة وقتل بارض الطالبيية وقد نسب قتله الى
طومان باي وأربك وازدحم وبعض مماليك أييه فكان كما قيل في المعنى

كنت من كربتي أفر اليهم * فهم وكربتي فأين المفر

أو كما قيل رعاة الشاة تحمي الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة هي الذئاب

فلما قتل الملك الناصر صارت جثته مرمية على الارض ومن قتل معه فلما دخل الليل حله
جماعة شيخ الطالبيية وأدخلوه مسجداً هناك وألقوه على حصيره ومن معه وهو ملطخ في
دمه ورأسه مشتبكة في جثته ببعض شئ فبات هناك في تلك الليلة فلما جاءت الاخبار الى
القاهرة بما وقع للناصر من قتله اضطربت أحوال المدينة وماجت باهلها ولبس العسكرة
الحرب وكانوا تلك الليلة في اضطراب وكان جماعة من الامراء قرروا مع الامير قانصوه خال
السلطان انه اذا قتل الناصر يكون هو السلطان بعده فتغافل عن هذه الواقعة حتى قتل
الناصر ولولا انهم اسماؤا حاله لما قدروا عليه ولا قتلوه فلما كان يوم الخميس صبيحة ذلك الامر

بعث خال السلطان ثلاثة نعوش الى الطالبية فأحضر واجشة السلطان وأولاد عمه جانم
وأخاه جاني بك وازبك الخاصكي فلما عدوا بهم من الجيزة أتوا بهم الى بيت الاشرف قايتباي
الذي أنشأه بقرب حمام الفارقاني فغسلوا السلطان وأولاد عمه والخاصكي وأخرجوا ولم
يكن معهم غير الخالين فقط فأتوا بهم الى باب الوزير فلم يجدوا من يصلي عليهم حتى أمسكوا
بعض الفقهاء وصلى عليهم ثم توجهوا بهم الى تربة الاشرف قايتباي فدفنوا الملك الناصر
على أبيه داخل القبة وأولاد عمه على جانم قريب السلطان وازبك الخاصكي وحده بعيدا
عنهم في التربة وقد رثيت الملك الناصر لمهمات بهذين البيتين وهم ما قولي

يا قمبر لا تظلم عليه فطالما * جلي بطلعته دجى الاظلام

طوبى لقبر قد حواه وكيف لا * يحكي السماء وفيه بدر تمام

وكان الملك الناصر حسن الشكل أبيض اللون عربي الوجه نحيف الجسم معتدل القامة
وكان ضعيف الخط في العلامة قتل وله من العمر نحو من سبع عشرة سنة وكان مولده سنة
سبع وثمانين وثمانمائة وكان يوصف بالكرم الزائد والشجاعة لكنه كان جاهلا عسيفا
جرى اليدهسفا كاللدهم ماضي التدبير كثير العشرة للادب باش من أطراف الناس ووقعت منه
أمور شنيعة في مدة سلطنته لا ينبغي شرحها وليس له من المحاسن الا القليل وسار في المملكة
أقبح سير ولم يقع من أبنائه المولود من السوء قط ما وقع منه في سائر أفعاله حتى جاوز الحد في
ذلك وفيه أقول

سلطاننا الناصر المفسدى * أخباره نقلها صحح

بالجهل أضحي قبيح فعل * فلم يفد شكله المليح

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحو من سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما وكانت
أيامه كلها فتناوشروا حروباً قاتمة كما تقدم ذكر ذلك من الوقائع وما كان قصد السلطان
الاشرف قايتباي أن يتسلطن ولده خوفاً عليه من ذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الناصر
محمد ابن الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار ولما قتل الملك الناصر
تولى بعده خاله المقر السبق قانصوه الدوادار الكبير

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه

ابن قانصوه الاشرفي

وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السابع عشر من
ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد وكان أصله من كسي الجنس اشتراه الأمير قانصوه
اللقبي مع جلة عماليك وقدمهم للسلطان الاشرف قايتباي في سنة ثمان وتسعين وثمانمائة

فأُتزل بالطبقة مع جملة المماليك الكتابة فاقام بهامدة يسيرة ثم ظهر انه أخو سريه السلطان
أصل باي الجركسية ام ولده محمد الذي تسلطن فأخرج له السلطان خيلا وقشا وصار
من جملة المماليك الجندارية فاقام على ذلك حتى توفي الاشراف قايتباي وتسلطن ولده
الناصر محمد فجعله خازن دار كبير وبقي يسمى خال السلطان فلما وثب قانصوه خسمائة على
الملك الناصر كما تقدم لم يكن عنده بالقلعة الا خاله قانصوه وهذا وجاعة كثيرة من المماليك
الجلبان فقام قانصوه بنصرته هو والمماليك الجلبان وقتلوا قتال الموت بعدما أرسل
قانصوه خسمائة بادخال الناصر الى قاعه البحرية وتقييده فلما انتصر الناصر على قانصوه
خسمائة خلع على خاله قانصوه وقرره أمير طبلخانات وشاد الشراب خاتاه دفعة واحدة فعظم
أمره وشاع بين الناس ذكره ولما ركب اقبردى الدوادار وانكسر وتوجه الى البلاد
الشامية خلع السلطان على خاله وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى ثم قرره
في الوزارة والاستادارية فعظم أمره جدا فلما قتل الناصر وقع الاضطراب بين الامراء فمِن
يتسلطن بعد الناصر فاجتمع الامراء بدار الظاهر فتربغا وحضر الاتابكي أزبك وبقيّة
الامراء وأشيع في ذلك اليوم أن قانصوه خسمائة في قيد الحياة فنودي له بالامان وأن
يظهر فلم يكن له هذا الكلام تأثير وبطلت هذه الاشاعات ثم قالوا للاتابكي أزبك تتولّى
السلطنة أنت خلف بالطلاق ثلاثا من بنت الملك الظاهر بانه ما يتسلطن وان يعود الى مكة
المشرقة كما كان ثم صعدوا الى باب السلسلة وحضر قانصوه خال السلطان الناصر من بيته
المشهور وصعد الى باب السلسلة ووقع الاتفاق على سلطنته وكان القائم في ذلك طوماي باي
الدوادار الثاني فأرسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم زين
الدين زكريا الشافعي والبرهان بن الكركي الحنفي وعبد الغنى بن تقي المالكى والشهاب
الششيني الحنبلي فبايعه الخليفة بالسلطنة وشهد عليه القضاة الاربعة بذلك وتلقب بالملك
الظاهر أي سعيد وذلك في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول من سنة أربع وتسعمائة
وذلك في أثناء الساعة الرابعة وهى لرحل فاحضر شعار الملك وهو الجبة والعمامة السوداء
والسيف البدوي فافيض عليه شعار الملك وقدمت له فرس النوبة وركب من سلم
المقعد الذى يباب السلسلة ومشت الامراء بين يديه وركب الخليفة معه وتقدم
الاتابكي أزبك وجل القبة والطير على رأسه وكان هو أولى بالسلطنة من كل أحد وقد فاتته
عدة مرار كما قيل

اذا رفع الزمان محل شخص * وكان سواء أولى لو تصاعد

فكم في العرس أبهى من عروس * ولكن للعروس الوقت ساعد

فلما طلع الظاهر الى القصر جلس على سرير الملك فأول من قبل له الارض الاتابكي أزبك

ثم ربيعة الامراء شـ يا فشيأ وقيل ان الذي اقبه بالملك الظاهر هو تاني بك الجمالي أمير سلاح
فلما جلس خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على الاتابكي أزيك بالاستقرار في الاتابكية
وخلع على طومان باي الدوادار الثاني وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن نفسه ثم
دقت البشار بالقلعة وبنودي باسمه في القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وفرح كل أحد
من الناس بسلطنته بغضافي الملك الناصر مما كان يفعله من الافعال الشنيعة فلما كان
وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم خطب باسم الملك الظاهر على المنابر وجاء في حال سلطنته
بأشياء على الوضع وانصلحت الاحوال في أيامه على قدر ما كان جليا فتولى الملك وله من
المرءون الثلاثين سنة وكان له عقل وافرو ثبات جنان والذي وقع له لم يقع لاحد من مبتدا
دولة الاتراك الى الآن فانه كان من دخوله الى مصر واقامته في الطبقة وحضوره من بلاد
بحر كس وامريته وسلطنته دون الست سنين وهذا لم يتفق لاحد من الاتراك قبله وكان
من جملة الجدارية في دولة الاشرف قايتباي ثم صار في دولة الناصر كما تقدم وكان له سعد
خارق من العناية الازلية في القدم كما قيل

اذا خصص الرحمن عبدا بنعمة * فكل حسود بعد ذلك مقمع

فيما طالب العليا مهلا ولا تطل * فليس بسعي المرء ما شاء يصنع

وفي حال سلطنته حضر سيف كرتباي الاجر نائب الشام لموته وقدمات الناصر بحسرة أن
يسمع بذكر موته ويقال ان الناصر رشاعا على قتل كرتباي الاجر بألف دينار قيل ان بعض
علمائه سمع في زيق الكوفية وقيل في قبة العرقية فلما لبسها وعرق سري السم فيه فورم
وجهه ووصل الورم الى قلبه فمات وقد عنت حيلة الناصر عليه وكان كرتباي الاجر أميرا
جليلا رئيسا وكان يحجر على الناصر وينهاه عن هذه الافعال الشنيعة فكرهه بواسطة ذلك
وكان الناس يصوروا ورأقا بقاعة البحرة بهيئة كرتباي الاجر وهو مسمر على جل والناس
تنسبه وكان كرتباي يصرخ في وسط مجلسه في الشام ويقول أنا من تحت حكم صبي أو امرأة
يعني الناصر وأمه ولما استقر كرتباي في نيابة الشام ملك قلعتها وطردها ونائبها ووقع منه أمور شتى
في حق السلطان الناصر يطول شرحها وفي ذلك اليوم نار جماعة من المماليك الجلبان على
ناصر الدين الصفدي وكيـل بيت المال فضر به ضريرا مبرحا حتى كاد أن يموت وفيه عمل
السلطان الموكب بالقصر وخلع على قصره وبن ايتال وقرره في نيابة حلب عوضا عن
جان بلاط بن يشـبك وأرسل الى جان بلاط خذمة ونقله من نيابة حلب الى نيابة الشام
عوضا عن كرتباي الاجر بحكم وفاته وفيه قرر الامير طومان باي في الوزارة والاستادارية
مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وفيه نار جماعة من المماليك الناصرية على الامير
طومان باي ورجوه من الطبايق وقصدوا قتله غير ماهرة وقد أشيع عنه انه كان سبيا

لقتل الناصر فلما بلغ السلطان ذلك رسم بسد جميع الطباق والشبابيك والمناور التي تطل
 على دهايا القلعة من طباق الممالك وفيه خلع السلطان على طراباي الشريف وقرره
 في الدوا دارية الثانية عوضا عن طومان باي المذكور وقررتاني بك الجمالي أحد الامراء
 العشر اوات في الخازندارية وقرر اقباي الطويل في نظر الجوالي وأنعم على بيبرس الاشقر
 بأمرية عشرة وفيه قبض الامير طومان باي على علي بن رحاب المغني وضربه بالمقارع
 وشهره بالقاهرة وهو عريان مكشوف الرأس على حمار وكان علي بن رحاب طالما أدخل نفسه
 فيما لا يعنيه وتعصب لا قيردي الدوا دار وصار يسب الامراء سببا قبيحا في المجالس جهارا
 ويهم جوهرهم الهجو الفاحش ويصرح بذلك في الساعات وهو على الدكة وكان كرتباي
 الاخر قبض عليه قبل ذلك وأراد ضربه ثم وبخه بالكلام وعفا عنه فلما زاد في هذا
 الامر ضربه طومان باي وشهره في القاهرة والمشاعلي ينادي عليه هذا جزاء من يكثر كلامه
 ويدخل نفسه فيما لا يعنيه وفيه أخذ السلطان في أسباب تحصيل الاموال لاجل النفقة
 على الجند فقرر على الشهابي أحمد ناظر الجيش مبلغا له صورة فاخفى فلما اختفى خلع
 السلطان على القاضي عبد القادر القصري وقرره في نظر الجيش عوضا عن الشهابي
 أحمد بحكم اختنائه وفيه اختفى الشهابي أحمد بن العيني بسبب مال فرض عليه
 واخفى جوهر المعيني الزمام بسبب مال فرض عليه وقبض على محسن الطواشي الخازندار
 وآخرين من الطواشية وقرر عليهم الاموال وتسلم طراباي محسن الخازندار والطواشية
 وعاقبهم واستخاص منهم الاموال حتى باعوا جميع ما يملكونه من بيوت وقاش ولم يبق
 مما قرر عليهم شيء وكان من جملة الطواشية مسك الساق وغيره من الطواشية وفي ربيع
 الآخر خرج قصره في نيابة حلب وخرج صحبته اقباي الذي قرر في نيابة قلعة الشام
 وفيه تعين قرقاس بن ولي الدين رأس نوبة كبير في امرية ركب الحمل وتعين أزبك المكمل
 أحد الامراء الطبلخانات في امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن
 اقيردي الدوا دار قد حاصر حلب أشد الحاصرة وأحرق ما حولها من الضياع وأشرف
 على أخذ المدينة وقد أتم عليه الجمل الغفير من الناس والتركان وحصل منه غاية الضرر فلما
 تحقق السلطان ذلك عين تجريدة ثقيله الى اقيردي وكان باشا العسكر تاني بك الجمالي
 أمير سلاح وبها من الامراء المقدمين قاني باي أمير اخور كبير وسودون الهجي وبلباي
 المؤيدي وجماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من العسكر فأنفق
 عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب بسرعة وفيه توجه جانم طاز الابراهيمي
 أحد العشراوات الى علي دولات بن دلغادر وصحبته خدعة وتقليد الى علي دولات باستمراره
 على امرية التركان على عادته وفيه أمر السلطان بتوسيط شخص من الممالك يقال له

الماس وقد قتل قتيلًا فوسطه السلطان بسبب ذلك وفي جمادى الاولى في يوم الاثنين عاشره
خرجت التجريدة المعينة الى اقبردى الدوادار وكان لخروجها يوم مشهود وفيه صنع
السلطان مولدا في غيرة وقتها وحضر فيه القضاة الاربعة على العادة وكان يومًا حافلًا
سلطانيا وفيه أنتم السلطان على جان بردى الاشقر الكاشف بأمرية عشرة وفيه جاءت
الاخبار من دمشق بوفاة هلال الطواشي الرومي وكان صارمة قدم المماليك وكان لابأس به
وفيه كان ابتداء نفقة البيعة على الجند وفيه جاءت الاخبار من دمشق بأن قصره الذي
قرر نائب حلب لم يدخل الى الشام وضع يده على مال كرتباى الاجر جميعه وكان مبلغا
ثقيلا نحو من سبعة وستين ألف دينار وكان هذا أول عصيان قصره واستخفافه
بالسلطان فلما بلغ السلطان ذلك تنكده لهذا الخبر وعين مشد أحد الدوادارية بالتوجه
الى قصره وان يأمره برده ما أخذ من مال كرتباى الأجر فلما توجه الى قصره لم ياتفت
الى مراسم السلطان ولا رد شيئا من المال الذي أخذوه واعتذر بأشياء لم تقبل وفيه
قبض السلطان على شخص من الحرامية يقال له ابن الوارث فقطع لسانه وكلمت عينه
بالنار ومع هذا لم يرتجع عن الحرام والسرقه وقد قبض عليه بعد ذلك وعلى رأسه عملة
والطبع في الانسان لا يتغير وفيه جاءت الاخبار بوفاة كشيغا الشريفي نائب الاسكندرية
وكان لابأس به وفيه أخرج السلطان تقديما أزبك اليوسفي بحكم أنه كبير سنه وعجز
عن الحركة فلما أخرجت عنه أنتم السلطان بهما على ازدمر بن علي باي الذي كان شاد
الشراب خانه وفي جمادى الآخرة عاد الامير طومان باي الدوادار من السرحة التي سرحها
نحو بلاد الصعيد وأحضر صحبته من الاغنام فوق الاربعة آلاف رأس زعموا أنها
من أغنام عرب عزالة وجرى فيما بعد أمور غريبة بسبب ذلك يأتي الكلام عليها وفيه
قرر السلطان أزبك المكمل في نيابة الاسكندرية عوضا عن كشيغا الشريفي وفيه كثرت
المصادرات للباشرين وأعيان الناس بسبب النفقة وقد عجز السلطان عن سدها
وفيه عين السلطان البسدرى بن مزهر كاتب السر بان يخرج الى مكة المشرفة في بعض
المهمات الشريفة وفيه قبض السلطان على الناصري بن خاص بك أخى خوندزوجة
الاشرف قايتباي فأقام في الترسيم مدة وطلب منه مال له صورة وعرض للضرب غير
مامرة وقد آل أمره الى أن يخرج أمه يرحل بالركب الاول وأمره بأن يقوم بما يحتاج
اليه من ماله ولا يأخذ من السلطان شيئا ثم قبض على اخت خوند بنت خاص بك التي كانت
زوجة اقبردى الدوادار ورسم عليها وطالبها بمال له صورة وزعم أن اقبردى أودع عندها
مائة ألف دينار وأجرى عليها ما لاخير فيه من الانكاد والضرر وفيه غمز بعض التجار على
قنبرك أبي شامة أحد الامراء وكان مختفيا في مكان في رأس حارة زويلة فكبس عليه والى
الشرطة ومعه جماعة من المماليك فلما دخلوا عليه هاش عليهم بالسيف فتكاثروا عليه

ومسكوه وقتلوه بالدار التي كان بها وكان قنبلك أبوشامة من الامراء الطبليخانات وكان من أكبر أصحاب أقبردى الدوادار وقد فاته القتل عدة مرار وكان غير مشكور السيرة في أفعاله وفي رجب أنعم السلطان على أنس باى وقرره في شادية الشراب خاتمه عوضا عن ازدمر ابن على باى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه خلع السلطان على بخشباى وقرره في نيابة حماء وخرج اليها فيما بعد وفيه قرر شخص يقال له محمد الباسطى في التكلم على جهات الحسبة وجرى من الباسطى هذا أمور يطول شرحها وآل أمره الى ان ضرب بالمقارع وشهر على جل في دولة العادل طومان باى وفي شعبان غرق محب الدين محمد بن قاضي القضاة الشافعى زين الدين زكريا قيل انه كان في مركب فغرق قدام المقياس وكان غير مشكور السيرة وفيه جاءت الاخبار بأن الامير طومان باى الدوادار لما توجه الى جهة الصعيد احتال على جيد بن عمر أمير عربان هوارة فلما نظره قتلته وحرز رأسه وأرسلها الى مصر فعلق بباب زويلة ثلاثة أيام وفيه في حادى عشره وصل خيربك أخو قانصوه البرجى الذى توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وكان الملك الناصر أرسله قاصدا عن لسانه الى ابن عثمان فأكرمه وأظهر الفرح بسلطنة الملك الناصر فلما بلغه قتله الملك الناصر شق عليه ووبخ خيربك بالكلام وفيه تغير خاطر السلطان على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية وأمر بتوسيطه حتى شفع فيه وفيه عاد الطاعون الذى كان في العام الماضى ومات فيه كثير من الناس من الغرباء عن قزو وعاد بعد رفع الطاعون وفي هذه السنة كان الطاعون خفيفا جدا وفيه جاءت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان زحفوا على بلاد السلطان وآل الامر الى أن ابن عثمان أرسل يقول لنائب حلب اعزل ابن طرغل فأجاب نائب حلب الى ذلك وعزل ابن طرغل وفي رمضان خلع السلطان على بهاء الدين عبد الرحمن بن قدامة الدمشقى وقرره في قضاء الحنبلية وصرف عنها الشهاب أحمد بن الشيشينى فأقام ابن قدامة في منصب القضاء شهر واحد وأربعة أيام وعزل عنها وأعيد الشيشينى الى القضاء ثانيا وفيه تغير خاطر السلطان على الشيخ سراج الدين عبد البر بن الشحنة ورسم بنفيه الى قوص فشفع فيه بعض الامراء من النقي فرسم له بأن يلزم داره ولا يركب ولا يجتمع على أحد من الناس وبرت عليه أمور مهولة في تلك الايام وفيه اجتمع السلطان والامراء في قاعة البحرة وضربوا مشورة في أمر أقبردى الدوادار فوقع الاتفاق في ذلك اليوم على أن أقبردى يستقر في نيابة طرابلس وان اقباى الذى كان رأس نوبة كبير يستقر في الاتابكية بدمشق وان تانى بك قرايتوجه الى القدس بطالافانفصل المجلس على ذلك وفيه تغير خاطر السلطان على جان بلاط الابيح نائب القلعة وأمر بنفيه نحو البلاد الشامية حتى شفع فيه بعض الامراء من النقي وفيه وقع للناصرى محمد بن بنت جمال الدين الاستادار كائنة عظيمة

وهي أن شخصاً اختاصم معه فشق كاه من بيت طراباي وكان يومئذ دوا داراً ثانياً فوقع من ابن بنت جمال الدين في المجلس بعض كلام في حق خصمه فبطحه طراباي بين يديه وضربه ضرباً مبرحاً حتى كاد أن يهلك وفيه قرر ابن قدامة في قضاء الخنابلة بدمشق وتوجه اليها فيما بعد وفيه في يوم الاربعاء عشر ينة كانت وفاة الاتابكي أربك بن ططخ وقد زعموا أن ولده يحيى قد سحره حتى مات وقبض على شخص يقال له القصديري وصبيه اتهم انه الذي سحره حتى مات وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان أربك من أجل الامراض قدرا وأعظمهم ذكرا وكان أميراً جليلاً في سعة من المال وافر الحرمة نافذاً للكلمة وكان أصله من عتقاء الظاهر بقمق يقال ان أصله من كتابية الاشرف برسباي واشترى الظاهر بقمق من بيت المال وأعتقه فصار من عتقائه وصاهره مرتين في ابنتيه وتولى عدة وظائف سنية بمصر وتولى الاتابكية في دولة الاشرف قايتباي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وأقام بها نحو ثلاثين سنة وكان من مبداء أمره رئيساً حشماً قرر في امرية العشرة في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ولا زال يترقى حتى كان من أمره ما ذكرناه وقاسى شداً ومحناً ونفى نحواً من أربع مرات وسجن بالاسكندرية مرتين وكان كفواً للهممات السلطانية والتجاريه وقد سافر في عدة تجاريه ويطلب الاطلاع بالحافلة وصرف على التجاريه من ماله ما لا يحصر وكان مسعوداً لحركات في سائر أفعاله ذاتهمامة وعلمهامة وأظهر العزم الشديد في قتال عسكري ابن عثمان ولم يحيى في الاتابكية بعده مثله ومات وله من العمر نحو من خمس وثمانين سنة وخلف من الاولاد ولده الناصري محمد الذي من بنت الظاهر بقمق وولده يحيى وصاهره قانصوه خسمائة في إحدى بناته وماتت معه فلما مات ترفع محمد ويحيى بين يدي السلطان فوضع السلطان يده على تركته من صامت وناطق قيسل وجد له من الذهب العين سبعمائة ألف دينار خارجاً عن البرك والخيول والقماش والتحف وخارجاً عن جهاز ابنته التي ماتت مع قانصوه خسمائة وقد قوم ذلك بنحو من مائة ألف دينار فحمل ذلك جميعه الى الخزانة الشريفة وقد نال أربك أمير كبير من الدنيا من لا عظيم ما فكان كالمقبل

أنلهو من نعيمك في قصور * وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غره أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فان سرتك يوماً * فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت منها * كعارية ترد على المعير

ولولا الذي صرفه أربك أمير كبير على التجاريه وعمارة الازبكية ما كان ماله ينحصر وكانت

تركته تعادل موجوده لار نائب السلطنة وقد تقدم ذكر ذلك ومن أراد أن يعلم علو همة
الأتاكي أزيك فليتنظر ما صنعه من عمارة الازبكية وقد أنشأها في سنة إحدى وثمانين
وثمانمائة وقد تقدم ذكر ذلك كما يقال

(١) ليس الفناء يستظل به * حتى يكون له في الأرض آثار

ومما عدا من مساوي أزيك أمير كبيرانه كان شديد الخلق صعب المراس إذا سجن أحدا
لا يطلقه أبدا وكان عنده حدة زائدة وشح في نفسه جرى اللسان مع تكبر وبطش وقد فاته
السلطنة عدة مرار فكان كما يقال

إذا منعتك أشجار المعالي * جناها الغض فاقنع بالشميم

فلما علم السلطان بموته نزل وصلى عليه وكان له يوم مشهود ودفن بتربة أستاذ الملك الظاهر
بحقمة قلما نزل السلطان وصلى عليه قيل له إن الأمير أزيك اليوسفي أمير مجلس في النزاع
وسميوت في هذه الساعة فجلس السلطان على مدورة في سبيل المؤمنين ينتظر أزيك
اليوسفي حتى يموت ويصلى عليه فلم يمت في تلك الساعة فقام السلطان وطلع إلى القلعة فلما
كان وقت العصر من ذلك اليوم توفي فيه الأمير أزيك اليوسفي فهي وصلى عليه السلطان
وطلعت جنازته من الصليبة فلما رجعوها به توجهوا به إلى مدرسته التي أنشأها ودفن بها
وكان أميراً جليلاً ديناً خيراً لئلا الجانب وكان أصله من مماليك الظاهر بحقمة وكان يعرف
بأزيك الخازندار وناظر الخاص مات وهو طرخان وقد كبر سنه وشاخ وناف عن الثمانين سنة
من العمر وكان قليل الأذى كثير البر والصدقات وتولى عدة وظائف سنية منها الخازندارية
الكبرى ثم بقي مقدم ألف ثم بقي رأس نوبة كبير ثم بقي أمير مجلس ثم مشير المملكة في دولة
الناصر محمد بن قايتباي ثم أخرجت عنه التقدمة إلى أزدهر بن علي باي فأقام على ذلك
مدة يسيرة ومات وفي شوال في يوم عيد الفطر جاءت الأخبار بأن عربان عزالة ثاروا
على الكاشف بالبحيرة فخارهم فقتلوا منه وعدوا من الوراق وطلوه وأبالقرب من شبرا
وتوجهوا من خلف الجبل الأحمر وطلوه وامن بحجر بلامه قبالة طرا ثم نزلوا بالمعصرة وهي
ضبعة هنالك فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم تجريدة فخرج اليهم في الحال فأنصوه البرجي
أمير مجلس وقرقاس بن ولي الدين رأس نوبة القنوب وقيت الرحبي حاجب الحجاب وسنباي
نائب سيس أحد المقدمين ومن الأمراء الأطباء والعشراوات منهم طراباي الشريف
دوادارثاني والجم الغفير من العسكر فلبوا آلة السلاح وخرجوا يوم عيد الفطر فتوجهوا
إلى نحو المعصرة فوجدوا هنالك عزالة نازلين فتقاتلوا معهم قتالاً عظيماً فأنكسر الأتراك
وتشتتوا وقتل من الأتراك من المماليك السلطانية نحو من خمسين مملوكاً ومن ذلك من
الغلمان والعبيد وجرح الأمير قرقاس رأس نوبة كبير في وجهه وكذلك قيت الرحبي وأما

(١) ذكر هذا البيت في صحيفة (١٨٩) من هذا الجزء مغايراً لما هنا

طراباى فقبل انه جاءته حربة في محرة ذبحته من وريده لكنه لم يمت من ذلك وجرح من
العسكر ما لا يحصى ثم ان العرب نهجوا بركهم عن آخره وتوجهوا الى نحو بلاد الصعيد فلما
جاءت هذه الاخبار الى القاهرة اضطربت وما جت فنادى السلطان للعسكر قاطبة
للخروج الى المعصرة وهم لا يسون آلة السلاح فلما وصلوا الى هناك وجدوا العرب قد
رحلوا والذين قتلوا من العسكر مطروحين على الارض فارسلوا يطلبون من القاهرة عدة
نعوش بسبب من قتل هناك فارسلوا لهم نعوشا في مراكب من البحر الى طرافا حضروا
فيها من قتل وصار العيد مثل المأتم في كل حارة نعي كايام الفصول بسبب من قتل وموجب
ذلك ان الترك استخفوا بالعرب فاكنوا لهم أكنة فخرجت الترك وخرجت العرب من
ورائهم فانكسروا وقتل منهم من قتل وكانت هذه الحادثة من الحوادث المهولة وقد قلت
في معنى ذلك

ألا قولوا لأعراب تجبروا * على حرب فهل يخشوا عقيب
سهم مليكنا أضحت نفوذا * وزجوا أن تكون لكم مصيبة

ومن الحوادث في هذا الشهر أن الامير دولاباى الفلاح أحد المقدمين خرج في يوم
الاربعاء يسيرا الى نحو الرصد فلعب هناك بالكرة وساق الفرس في أرض محجرة فقتلته
فمات لوقتته فحملوه على قفص حمال وأتوا به الى بيته حتى غسلوه وكفنوه وأخرجوه يوم
الخميس ونزل السلطان وصلى عليه ثم ان السلطان بعد أن صلى عليه توجه الى بيت طراباى
الدوادار الثاني وسلم عليه بسبب ما وقع له من عرب عزالة وفيه تغير خاطر السلطان على
قراجانائب غرة فاحضره الى القاهرة وهو فى الحديد وجرى عليه ما لا خير فيه ثم آل أمره
الى أن تولى نيابة طرسوس وقتل وفيه دخل الامير طومانباى الدوادار الكبير الى القاهرة
وكان مسافرا في جهة الصعيد فلما بلغه ما فعلت عرب عزالة كما تقدم ذكره كبس عليهم
في مكان بالوجه القبلي وقبض على جماعة منهم فحوم ثلثمائة انسان من رجال ونساء
وصغار فوصلوا بهم الى خيمة وعدوا بهم وطلعوا بهم من الصليبة قدام الامير طومانباى فكان
يوما مشهودا فوضعوا الرجال في زناجير والنساء والصغار في حبال وعلقوا رؤس من قتل
من الرجال في رقاب النساء وكانت واقعة من الوقائع الغريبة ولم يتفق مثل ذلك الا في أيام
الظاهر برقوق بما وقع لبدر بن سلام كبير عربان البحيرة وقد تقدم ذكر ذلك في أخبار
الظاهر برقوق فلما طاع الامير طومانباى الى القلعة صادف ذلك اليوم خروج المحمل من
القاهرة وكان أمير كبح المحمل قرقياس رأس نوبة كبير وبالاول الناصري بن خاص بك
فلما عرضوا عرب عزالة على السلطان رسم بتسميرهم على جمال فسمروهم وشقوا بهم من
القاهرة وكان يوما مشهودا وصارت الفرجة فرجتين على المحمل وعلى عربان عزالة ثم انهم

كلبهم وعلقوهم على أبواب المدينة على كل باب نحو من عشرة أنفار حتى على باب القنطرة
وباب الشعيرة وغير ذلك من الأبواب ثم إن السلطان رسم بأن سائر الناس يرجون العربان
بالأجارج حتى يكون من أمرهم ما يكون وقد قام الأمير طومان باي بنصرة الأتراك على العرب
بعد كسرتهم التي تقدمت وفي هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني

نحمـداً لله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذنصرنا على العرب * بالدوادار والعصب
والعرب أكثر الفساد * من عزاله وعزلوا
جو وعـداوا وشرقوا * وعلى الحرب عـولوا
واهلكوا الحرث والنسل * في الضواحي وحملوا
من عزاله عرب طغوا * عـرهم في الوغاهـب
جـتهم الترك أرخوا * واقعة تـهم بما الذهب
صار عزيزا العرب ذليل * وبقي في الوجـود عـدم
وجيع ماجرى لهم * بالمقدـر وبالحكمـم
كان مسطر على الجبين * وبهم ذاجرى القلم
نحمـداً لله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذنصرنا على العرب * بالدوادار والعصب

وهذا الرجل يقرب من الرجل الذي قاله الغباري في واقعة العرب التي كانت في سنة
أحدى وثمانين وسبعمائة في دولة الظاهر برقوق وقد وقع فيها ما يشبه ذلك وهذا الرجل الذي
تقدم من اختصاره وفيه قروش من الدين بن مناحم الطرابلسي في نظرا الاصطبل عوضا
عن يحيى بن البقرى بحكم صرفه عنها ومات يحيى عقيب ذلك وفيه جاءت الاخبار من
حلب بأن اقبردى الدوادار دخل الى حلب طائعا وقد تم الصلح بينه وبين الامراء الذين
توجهوا من مصر وسبب ذلك ان العسكر الذين توجهوا الى قتال اقبردى وجدوه بالعرش
عند على دولات فلما طال الامر على العسكر وكان الغلاء موجودا بحلب والعليق لم يوجد
أرسل قصره نائب حلب يسأل اقبردى في الصلح فتوجه اليه قاني باي الزماح أمير اخور
كبير في أمر الصلح وكان السلطان والامراء مائلين الى ذلك فلما وثق اقبردى
بذلك حضر صحبة قاني باي الزماح ودخل الى حلب طائعا مختارا فلاقاه قصره نائب حلب
وسائر الامراء الذين كانوا هناك وكان له بحلب يوم مشهود وكان الامير اقبردى متوعدا في
جسده فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك السلطان فعين له خلعة حافلة وفرسا بسرج ذهب
وكنبوش وكتب له تقليد نيابة طرابلس وماله في كل سنة ثم أخذوا في أسباب التوجه اليه

وفيه توفي برهان الدين مستوفى الخالص وكان لابأس به وفيه أرسل السلطان الأمير قمرار
 الزرد كاش إلى المقر السيفي جان بلاط بن يشبك نائب الشام يسأله في الحضور إلى مصر إلى
 الاتابكية عوضا عن أزبك بحكم وفاته فخرج قمرار بسبب ذلك وفي ذى القعدة جاءت
 الاخبار بوفاة أقبردي بن علي باي الدوادار الكبير وكان أميراً جليلاً لاريساً حشماً بشوشاً
 متواضعاً كريماً هنيئ النفس في سعة من المال مثيراً جداً وكان أصله من عماليك الاشرف
 قايتباي رحمه الله تعالى ثم ظهر أنه قريه ورقي في أيامه إلى منتهى الرياسة وتولى عدة
 وظائف سنية منها امرية السلاج والدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكشف
 الكشاف ومدير المملكة وصاحب الحل والعقد بالديار المصرية وكان قريب السلطان
 وعديله تزوج باخت خوند الخاصكية وكان وافر الحرمة نافذاً لكامة شديداً العزم شجاعاً
 بطلامقداً في الحرب تولى الدوادارية الكبرى بعد يشبك بن مهدي سنة سبع وثمانين
 وثمانمائة وأقام فيها نحواً من ست عشرة سنة وكان مشهوراً بالعطاء الجزيل على الامراء
 والعسكري وجرى عليه شدة داء ومحن ونهبت أمواله أربع مرات وقاسى من الشدة داء
 واضيق ما يطول شرحه واستمر يحارب عسكر مصر بمفرده ثلاث سنين وكان غالباً
 للعسكري وتوجه إلى آخر الصعيد ثم توجه إلى الشام وحاصرها وكذلك جاء وحلب ثم توجه
 إلى بلاد التركمان ولم ينظر فيه أحد ولم يسلم نفسه عن عجز ولا سجن قط ولا تقييد وآخر الامر
 مات على فراشه من غير أن يقتل فكان كما قيل

أنا أسمر والراية البيضاء * لالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لي عيش العداة لاني * نوديت يوم الحرب بالمران

قيل ان أقبردي لما دخل إلى حلب وأقام بها اعتريته آكلة في فمه وقيل في وجهه رعت فيه
 حتى مات بحلب ودفن عند سيدي سعد الانصاري رحمة الله عليه ثم نقلت جثته إلى
 القاهرة في أوخر صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بترتبه التي أنشأها له في الصمراء ومات
 وله من العمر دون الخمسين سنة وكان أسمر اللون مستدير اللحية أسود الشعر غير عبوس
 الوجه وكان لابأس به وكان الامراء والسلطان يخشون من سطوته فلما مات كفى كل
 أحد شره وقد قلت في ذلك مع التضمين والاقتيباس هذه الابيات

مات أقبردي الأمير وولي * بعد عز وجاهها ومالا

فاتاه من بعد ذارب دهر * نال منه من العناء ما أتالا

وقضى نحبه بغير قتال * وكفى الله المؤمنين القتالا

فلما تحقق السلطان موت أقبردي جهز مراسيم للامراء الذين كانوا أصحابه أقبردي وهم
 ثاني بك قرال الذي كان أمير مجلس وأقبای نائب غزاة الذي كان رأس نوبة كبير وجانم مصبغة

الذى كان حاجب الحجاب وقتئذ نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين بمصر فأما تانى
بك قراوا قباى فرسم السلطان لهم ما بان يتوجهوا الى القدس ويقموا به بطالين وأما جانم
مصـبغة وقتئذ فرسم لهم ما أن يتوجهوا الى الشام بطالين فاستمروا مقيمين بالشام والقدس
حتى كان من أمرهم ما سئذ كره وأما اينال الصغير السلحدار الذى كان واليا أحد العشر اوات
قيل انه قتل وقيل انه غرق في بعض الانهار وأما بقية العسكر الذين كانوا مع أقبردى
فكانت منهم جماعة كثيرة ودخل الباقون الى مصر وحدث فتنة أقبردى كانهم لم تكن بعد
ما جرت منه أمور مهولة بمصر والشام وغير ذلك وهذا ملخص واقعته وفي ذى الحجة فرق
السلطان الضحيا على العسكر وكان عيد احفلا وجاء العيد بالجمعة فلهج الناس بزوال
السلطان عن قريب وكان الامر كذلك ولم يبق الى العيد الثانى وفيه توفى الطواشى مقبل
الرومى رأس نوبة السقاة الاشرفى قباى تباى وقرره رأس نوبة السقاة عوضا عن مقبل الرومى
الطواشى محسن الحبشى الاشرفى قباى تباى وقرره رأس نوبة السقاة عوضا عن مقبل الرومى
بحكم وفاته وقد قاسى محسن هذا فيما بعد غاية الشدائد والمحن وفيه انتقل قصره من
نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن جان بلاط نائب الشام بحكم انتقاله الى الاتابكية بمصر
وانتقل دولات باى بن اركاس نائب طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قصره وقرر بلباى
المؤيدى فى نيابة طرابلس عوضا عن دولات باى وأضيف الى بلباى حجوية طرابلس مع
النيابة وفيه دخلت مسرى من الشهور القبطية فكانت زيادة النيل فى ثالث مسرى
ثلاثين اصبعاً وفى الرابع منها أربعين اصبعاً وفى الخامس منها عشرين اصبعاً وفى
خامس مسرى وكسرى فى اليوم السادس منها الموافق لحادى عشرى ذى الحجة فرسم السلطان
للامير طومانباى الدوادار الكبير بأن يتوجه ويفتح السد وكان الاتابكية شاغره
من حين توفى أزبك وكانت الامراء اغنائيين فى التجربة بسبب أقبردى فلم يكن بمصر أكبر
من طومانباى فتوجه الى المقياس فى الحراسة وفتح السد وكان له يوم مشهود وكان نيلا
عظيماً فى تلك السنة وثبت فى أوخر بابه كما قيل

وقت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد

وأنت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أباد

وفيه دخل الامراء الذين كانوا توجهوا الى التجربة بسبب أقبردى فحضر صحبتهم من كان
مع أقبردى من الامراء العشر اوات منهم اسنباى الاصم ونوروز أخو شيبك الدوادار كان
وجانم أقبى الابراهيمى وآخرون من الخاصكية ممن كان من عصبة أقبردى فأقاموا
بالقاهرة مدة يسيرة ثم عادوا الى البلاد الشامية وفيه توفى شرف الدين بن الاشقر وكان
من أعيان المباشرين وفيه توفى جلال الدين الصالحى وكان لابأس به وقاسى شدايد

ومحنافى آخر عمره وفيه جاءت الاخبار بوفاة داود باشا وزير ابن عثمان ملك الروم وكان
رئيسا حشما مدبر المملكة الرومية سديد رأى وافر العقل مشكور السيرة وفيه جاءت
الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد الغرب بين ملوك الفرنج وملوك الغرب وكانت النصره
للمسلمين على الفرنج والله الحمد وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التي بالصحرَاء وحصل
للناس منه غاية الضرر بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة بين الشريف محمد
أمير مكة المشرفة وبين أخيه هزاع واستمرت الفتنة قائمة هناك فيما بعد حتى كان
ما سذكروه فى موضعه

ثم دخلت سنة خمس وتسعمائة فيها فى الحرم كان الخليفة أمير المؤمنين المستمك بالله أبا
الصبر يعقوب العباسى الهاشمى الأتوين والسلطان الملك الظاهر أباسعيد قانصوه خال
الناصر وأما القضاة الأربعة فعلى حكم السنة الماضية وكذلك الامراء المقدمون من
أرباب الوظائف غير الأتابكية فانها عينت الى جان بلاط المقدم ذكره وكتب له بالحضور
وفيه توفى يحيى بن البقرى الذى كان ناظرا لاصطبل وصرف عنه وكان لأبأس به وفيه
تغير خاطر السلطان على القاضى علاء الدين بن الصابونى ناظر الخااص فعزله ورسم عليه
ثم خلع على شهاب الدين الرملى وقرره فى نظرا لخاص عوضا عن ابن الصابونى ولم يكن شهاب
الدين هذاتقدم لارياسة بمصر ولأولى قط تلك الوظيفة السنية وكانت ولايته من غاطات
الزمان وفى ذلك يقول شيخنا عبد الباسط الحنفى

قدولى الرملى على منصب * خاص برأس العام يا خلى

من عدم الدست ومن جهل من * يطبخ حتى انحط للرملى

وفيه استعفى هلال الرومى من تقدمه الممالك وسأل أن يتوجه الى الشام ويكون بها على
امرية عشرة فأجيب الى ذلك ثم ان السلطان خلع عليه بذلك وخلع على غيره التكرورى
وقرره فى تقدمه الممالك عوضا عن هلال الرومى وفيه توفى أزيك قفص الاشرفى قايتباى
أحد الامراء الطغتمانات الرأس نوبة الثانى ثم بعد موته خلع السلطان على أبى يزيد المجدى
وقرره فى رأس نوبة ثانى عوضا عن المذكور بحكم وفاته وفيه كانت اقامة الخطبة بالجامع
الذى أنشأه بركات بن قريبط بحارة زويلة وجاء فى غاية الحسن ولا سيما فى ذلك الخط وفيه
دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى فى تلك السنة مشقة زائدة وخرج طائفة من العربان على
الركب الغزاوى بالقرب من الشرفة فاستولوا عليه من أوله الى آخره وأسروا النساء وقتلوا
الرجال ولولا أنهم أدركهم قرقاس أمير كبير بعد أمير كعب المحمل لاخذوا جميع من فى
الركب الغزاوى وقد نهبوا أطراف الركب الأول من الناصرى محمد وكان أمير الركب
الأول الناصرى محمد بن خاص بك أخو خوند وفيه توفى الشيخ خالد الوقاد النحوى الأزهرى

الشافعي وكان فاضلا في النحو وله في ذلك عدة تصانيف وفي صفر كان دخول المقر السيفي
 جان بلاط نائب الشام فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره عوضا عن أزيك في الاتابكية
 بحكم وفاته وسكن بالازبكية فلما أقام بمصر شرع في بناء تربيته التي بجوار باب النصر وصنع
 بها جامعا بخطبة ولم تتم الا بعد موته ودفن بها وفي ثلثه توفي الشيخ الصالح الزاهد الورع
 أبو العباس أحمد بن محمد الغري رحمه الله ورضي عنه ودفن بجامعه الذي أنشأه
 بالقرب من مرجوش وباب القوس وفيه حضرت جثة اقبردى الدوادار ودفنت في تربيته
 التي أنشأها بالصحرَاء وقد نقلت من حلب الى مصر بعد دفنه في تربة سيدي سعد الانصاري
 رحمه الله ورضي عنه وفي ربيع الاول عين السلطان قانصوه كراد أحد الامراء الطبطنات
 والناظرين الثاني بأن يتوجه الى ابن عثمان ملك الروم قاصدا لخراج بعد مدة وجرى عليه
 أمور شتى من بعد ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة أيدكي حمار الاشرفي قايتباي نائب قلعة
 الشام وجرى عليه قبل موته شدة اندوحن شتى وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان
 حافلا وفيه عين السلطان الامير قانصوه البرجي الحمدي أمير مجلس أمير ركب المحمل
 وعين جان بلاط الموترا المحتسب أمير الركب الاول وفيه جاء للسلطان ولد ذكر من زوجته
 خوندجان كادي الجركسية فسماه أحمد فلما كان يوم سابعه اجتمع سائر الخوندات ونساء
 الاعيان بالقلعة وكان مهمما حافلا وحمل الزمام جوهر المعينى القبة والطير على رأس
 خوندجان كلدى وكان لها يوم مشهود وفيه تزوج السلطان بخوند مصر باي زوجة الناصر
 وكانت عليه كعب الشوم ولم يسن معها وفي ربيع الآخر جاءت الاخبار بأن قصروه الذي
 تولى نيابة الشام قد عصى وخرج عن الطاعة واستولى على قلعة دمشق كما فعل كرتباي
 الآخر واستمر العصيان يتزايد من قصروه حتى كان من أمره ما سئذ كره في موضعه وفيه
 قبض السلطان على خيربك الكاشف فأحضر في الحديد قاصر بنفيه الى قلعة المرقب فسجن
 بها ثم أطلق وجرى عاياه من الانكاد ما لا خير فيه وصودر غير مأمرة وفيه قدم البدرى
 محمود بن اجا وقد انقصل من قضاء الحنفية بحلب وأتى الى مصر واقام بها وكان من
 أمره ما سئذ كره وفيه قرر فارس المنصوري نائب دمياط في كشف الغربية عوضا عن
 خيربك الماضي ذكره وفيه قبض على سليمان بن قرطام وكان من كبار المفسدين بالشرقية
 فلما قبض عليه رسم السلطان بان يشنكلوه على باب زويلة وأقام معلقا ثلاثة أيام
 بلياليها وفيه قبض السلطان على أخت خوند بنت خاص بك زوجة اقبردى فرسم عليها
 بالقلعة وقرر عليها مالا له صورة وقد رافعها أبو المنصور مباشر اقبردى وزعم أن اقبردى
 أودع عندها مالا فقامت في الترسيم حتى أوردت ما قرر عليها وفعل مثل ذلك باختها خوند
 الكبرى زوجة قايتباي وقرر عليها مالا له صورة ووكّل بها خمسة من الطواشي حتى

أوردت ما قرر عليهم أو باعت أشياء كثيرة من قماشها وقد حصل عليها ما هو أعظم من ذلك
وهو أنه في دولة الملك الناصر محمد بن قاي تبای توجه طائفة من المماليك الجلبان إلى دارها
وقصدوا أن يجمعوا عليها ثم قالوا لبعض الطواشيية ادخلوا قولا لخوند تنفق علينا بكل
مملوك خمسون دينارا فلما بلغ خوند ذلك غيبت من البيت وكان سبب ذلك أنه أشبع عنها
أنه اتزوجت بقانصوه خمسمائة في الخفية فلما قتل قانصوه وتحشرت المماليك على خوند
وطلبوا منها النفقة كما تقدم وكان الذي تحرش على خوند جماعة من عصابة اقبردى
فلما بلغ ذلك الملك الناصر قام مع خوند قيا ماما و نادى في القاهرة لجميع العسكر حسبا
رسم السلطان المقام الشريف أن لا يتوجه أحد من العسكر إلى بيت خوند ووجه الاشراف
قاي تبای ولا يقف لها على باب وكل من خالف مرسوم السلطان شتى بلا معاودة فأنكف
المماليك عن التوجه إلى بيت خوند من حين نادى وكان تقدم ذكر ذلك في دولة الملك
الناصر وقام بنصرته بعد ما قصدت أن تسافر إلى المدينة مع أن الملك الناصر صادر خوند في
أيامه بحسن عبارة وأخذ منها جلة مال وحصل لها عقيب ذلك طلوع في وجهها واستمر
بها ذلك العارض حتى ماتت كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه وفي جمادى الاولى في
اليوم الثاني منه نزل السلطان إلى قبة يشبك الدوادار التي بالمطرية وبات بها فلما أصبح
وكب وشق من القاهرة وزينت له ثم طلع من الصليبة والامراء والمباشرون قدامه واستمر
في ذلك الموكب الحافل حتى طلع إلى القلعة وفيه قررا بن النيربي في نظار الجيش بدمشق وقد
سعى في ذلك بمال له صورة وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة الطواشي هلال الرومي
الذي كان مقدم المماليك توفي بدمشق وكان لا بأس به وفيه في يوم الجمعة ثمانية عقد للاثبات
جان بلاط على خوند أصل باي الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه وكان
العقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وكان عقدًا حافلا وفيه جاءت الاخبار من
القدس بوفاة اقباي الطويل الذي كان نائب غزوة ثم بقي رأس نوبة كبير وفر مع اقبردى
الدوادار لما انكسر وخرج من مصر وآل أمره إلى أن أقام بالقاهرة بطلا حتى مات وكان
أصله من مماليك الاشراف قاي تبای وقيل انه مات مسموما وكان شجاعا بطلا وجرى عليه
شدائد ومحن وقاسى ما لا يخفى فيه بسبب صحبته لاقبردى الدوادار وهو الذي كان سببا
لنصرته على قانصوه خمسمائة في الواقعة بخان يونس الذي بقرب غزوة وفيه قرر على بن
طرغل في نيابة عين تاب وفيه توفي شمس الدين محمد الفرغوى الذي كان امام اقبردى
الدوادار ثم بقي ناظر الاحباس وكان يكتب الخط الجيد المنسوب وقاسى من الشدائد
والحن ما لا يعبر عنه وعذبه كرتباى الاجر بأنواع العذاب وفيه توفي الشيخ أحمد المجذوب
الذي كان يجلس تحت الكوم الذي عند القنطرة الجديدة وكان من كبار الصالحين وفيه

خرج الأمير طومان باي الدوادار متوجها الى الشرقية والغربية فسر ح في البلاد نحو ما من
عشرين يوما ثم عاد الى القاهرة وقد حاش عدة خيول وجمال وأغنام من العربان وفي
رجب ترايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه خال الناصر فجلس على الدكة التي بالحوش
ونصب صحابة جديدة صنفها من المخمل المذهب وبها نول زركش فجاءت غاية في
الحسن فجلس على الدكة والصحابة على رأسه وطلع القضاء الاربعة للتهنئة بالشهر وكان
موكبًا حافلا وفي حادي عشر منه تغير خاطر السلطان على القاضي كاتب السر بدر الدين
ابن عزهر فقبض عليه وسجنه بالعرقانة ثم طلب أخاه كمال الدين محمد وقرره في كتابة السر
عوضا عن أخيه بدر الدين وفيه قرر سييأى في نيابة صهيون عوضا عن قنبل الشيخ بحكم
فراره عند ابن عثمان وخوفه على نفسه من القتل وفيه كان دخول خوندأصل باي ام
الملك الناصر على جان بلاط أمير كبير فقتل جهازها من القلعة في يوم السبت خامس عشر
وشق من القاهرة واستمر ينسحب من ضحوة النهار الى وقت الظهر وتوجهوا به الى
الازبكية فكان عدة الحمالين أربع مائة جال والبغال نحو من مائتي بغل فخرجت
له القاهرة وكان يوما مشهودا وكان فيه من الامتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون فلما
كان يوم الاربعاء تاسع عشره نزلت خوندأخت السلطان في محفة زركش وتوجهت الى
الازبكية ومشى قدامها جماعة من المباشرين منهم كاتب السر كمال الدين بن عزهر وناظر
الجيش عبد القادر بن القصر وى وصلاح الدين بن الجميعان نائب كاتب السر وآخرون
من المباشرين والطواشية وبعض أمراء عشروات وهم بالشاش والقماش وعدة واقرة من
الخاصكية فلما وصلت الى باب البيت الكبير الذي بالازبكية فرشت لها الشقق الحرير
تحت حوافر بغال المحفة ونثرت على رأسها خفاف الذهب والفضة وكان يوما مشهودا
ولكن جرى بعد ذلك أمور شتى وأنكاد مترادفة يأتي الكلام عليهم في موضعها كما يقال

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفي شعبان في يوم السبت سادسه جاءت الاخبار من القدس بقتل الأمير تاني بك قرا وكان
مقيما بالقدس كما تقدم ذكر ذلك وكان من عصبية اقتردى وفرمعه فلما استقر بالقدس
توجهت المراسيم بخنقه فخنق وهو بين أولاده وعياله وكانوا توجهوا اليه وكان قتله يوم
الاثنين عشرين رجب ودفن بالقدس فلما جاءت الاخبار بوفاة تأسف عليه الكثير
من الناس وكان أمير اجليلار رئيسا حشمالين الجانب قليل الاذى كثير الخير ومن آثاره
السبيل والصهر ييج الذي أنشأه جابرأس سويقة ابن عبد المنعم تجاه الرميطة وصرف على
ذلك من ماله مالا لا صورة فلما كل بناء ذلك قدم هذا السبيل والصهر ييج للسلطان قايتباي
فصار ذلك يعرف بسبيل السلطان ومن آثاره المسجد اللطيف الذي أنشأه بجوار بيته عند
خوخة القردى وكان أصله من عماليك الاشرف اينال ورفى في دولة الاشرف قايتباي وتولى

عدة وظائف منها تاجر المال بك والودادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ثم بقي حاجب الحجاب
ثم بقي رأس نوبة كبير ثم بقي أمير مجلس ووقع له من الشدائد والمحن ما يطول شرحه وفاته
القتل عدة مراراً و فرمى أقبردى الى البيرة وعدى الى الفرات وكان موصوفاً بالفروسية
والشجاعة ومات وله من العمر زيادة عن ستين سنة والله أعلم ولم مات رثيته بهذه
الآيات

من طالع التاريخ يوماً أوقسرا * يروى صروف الدهر عن تنبك قرا
شاع الحديث بخنقه فلاجل ذا * خنقت بعبرتها الورى مستعبدا
قد خانته ريب الزمان بفعله * والدهر ان يصفو يعود مكذرا
قد كنت أحذر من وقوع جامه * والآن دمعى كالدماء وقد جرى
لهفى عليه من أمير صارم * في يوم حرب للعداة مدحرا
لم يقتلوه فوق ظهر جواده * لكن قاتله تعدى وافتدى
بالهف قلبى قد تجرّع فقهه * وتجددت أحزانه بين الورى
بالهف قلبى كم أمير كان فى * عز وجله فأنطوى تحت الثرى
قد غادر الأمرء جور زمانهم * فالهكم للرحمن فيما قدرا
يارب فاجعل قبرهم فى روضة * واجعل برحمتك الجنان لهم قرا
وفيه جاءت الأخبار بوفاة الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى توفى بيلا دابن عثمان
وكان لا بأس به وهو الذى جدد عمارة الجامع الأزهر وصرف على ذلك ماله صورة من
ماله وكان مشكورا لسيرة وفيه طلع الاتابكي جان بلاط الى القلعة وضمن بدر الدين بن
منهر كاتب السرفان الاتابكي جان بلاط كان زوج أخت بدر الدين بن منهر فلما ضمنه
تسلمه من السلطان على مال قرره عليه فلما استقر عنده هرب تلك الليلة فى مكان بالازبكىة
فتشوش الاتابكي جان بلاط لذلك ثم غمزه على بدر الدين بن منهر فقبض عليه عقيب ذلك
وآل أمره الى كل سوء وفيه توفى ابن السلطان الماضى حديث وضعه وكانت مدة حياته
أربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً فأظهر وأعليه الحزن والأسف ودفن فى تربة بأبيه التى أنشأها
بالصغراء فكان كما يقال فى المعنى

بدا وفى حاله توارى * فبالها طلعة شريقه

جوهرة ما عملت الا * دموع عيني لها عقيقه

وفيه توفى القاضى شهاب الدين بن الصيرفى وهو أحد بن صدقة الاسرايلى الشافعى أحد
نواب الحكم بالديار المصرية وكان عالماً فاضلاً فمنا من أعيان التواب وله تصانيف ونظم
جيد ومات وقد قارب السبعين سنة وفيه جاءت الأخبار بقتل قراجا نائب سيس وكان تولى

نيابة غزة وكان موصوفا بالشجاعة وفيه توفي الناصري محمد بن أبي يزيد وكان رئيسا حثما من أعيان الناس وفيه عين السلطان نيابة حلب للامير قرقاس ولي الدين فلما قرر في نيابة حلب أخرج عنه وظيفة رأس نوبة الكبرى وقرر بها الامير قانصوه الغوري ولم يتم أمر قرقاس في نيابته بحلب وأعيه الى مقدمة ألف ووقع به بذلك أمور شتى وفي رمضان عرض السلطان المحاميس من الرجال والنساء التي بالبحر وعمل مصالح أرباب الديون وصالح عنهم أرباب الحقوق ووزن عن جماعة من ماله وأطلق في ذلك اليوم نحو من مائتي انسان وضاع للناس بعض حقوقيها ممن كان له دين على من أطلقه من المحاميس فكان كما يقال في المعنى

رام نفعاً فضر من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقاً

وفي يوم الاثنين رابع عشره عين السلطان تجريدة الى الكرك بسبب عربان بني لام وقد تقدم منهم في حق الحجاج غاية الضرر وكان باش العسكر سنباي نائب سيس أحد المقدمين وجماعة من الجند فخرجوا في أثناء ذلك اليوم مسرعين وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصره نائب الشام خرج عن الطاعة وأظهر العصيان بجملة واحدة وحضر قانصوه بن سلطان بركس المعروف بابن اللوقا صاحب دمشق وأخبر أن قصره نائب الشام صرفه عن الجبوية وقصد القبض عليه ففر منه وأخبر بان قصره نائب الشام قد استولى على قلعة الشام وعلى ما فيها من المال فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية واضطربت أحواله وأظهر أنه يخرج الى الشام بنفسه وشرع في أسباب ذلك ثم نزل الى الميدان وعرض ما عنده من الهجن وأمر صلاح الدين بن الجيعان بان يحضر قوائم مصروف الاشرف برسباي عند توجهه الى آمد وكل هذا هيئت وتهيئت على الامراء والعسكر ثم عين قاني بك أحد الدوادارية أن يتوجه لكشف الاخبار عن الحقيقة وفيه أفطر السلطان ليلة العيد بالقصر الكبير واجتمع عنده الامراء ومضربوا مشورة في أمر قصره فعد فطوره في الايوان من النوادر وفي شوال صادف أن في يوم عيد الفطر قلع السلطان الصوف في ذلك اليوم ولبس البياض وخرج الى صلاة العيد وهو راكب على فرس أبيض قرطاسي بسرج فضة بيضاء من غير طلاء وعباءة حرير أبيض وخف أبيض ومهام يزيه حتى قلع الكف تاه حتى المشاية التي في رجله كانت برغالي أبيض فعد ذلك من النوادر وكان لبس البياض فالاعليه فانه خلع من السلطنة عقيب ذلك وفيه صلى الامير طومان باي الدوادار الكبير صلاة الجمعة مع السلطان بالقلعة فلما انقضت الصلاة خلع عليه السلطان ونزل متوجها للوجه القبلي وكان في تلك الايام قويت الاشاعات بان السلطان يقصد القبض على الامير طومان باي وكان وقع بينهم ما في الباطن بسبب قصره نائب الشام وكان الامير طومان باي

متواطئ مع قصره وعلى السلطان وكان طومان باي يقصد التمهيد لنفسه حتى يتسلطن
وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد كما يقال

بت في قلوب أسود * لافي قلوب رجال

فالكيد للناس لالا * بهائم الجهال

وفيه أشارت الامراء على السلطان بان يبعث الى قصره قاصدا وعلى يده مراسيم بان
يكون على نيابة الشام وأن يسلم قلعة الشام الى نائبها ولا يؤاخذ بما فعل فعين له اقباي
الطويل ناظر الجوالى فخرج عن قريب وفيه خرج المحمل من القاهرة في تحمل زائد وكان
أمير المحمل قانصوه البرجي وبالأول جان بلاط الموترا المحنس فلما توجه الى بركة
الحاج استمر المحمل مقيما بالبركة الى خامس عشر شوال حتى عد ذلك من النواذر وسبب
ذلك أن غلمان أمير الركب الاول هربا أكثرهم وتعطلت أحواله بموجب ذلك وفيه جاءت
الاخبار بان قصره قد استولى على مدينة طرابلس وقبض على نائبها بلباي المؤيدى
وسجنه بقلعة دمشق وفي ذى القعدة خلع السلطان على قيت الرجي حاجب الخجاب
وقرره في نيابة طرابلس عوضا عن بلباي المؤيدى ولم يتم له ذلك فيما بعد وفيه خلع
السلطان على شخص من خواصه يقال له تمر بن جاسم وقرره في الحسبة عوضا عن جان
بلاط الموتروه وغائب بالجواز فلم ينتج أمره هذا وقبض عليه فيما بعد وفيه أنعم السلطان على
انس باي شاد الشراب خاناه وقرره في تقديمه ألف وفيه في ثالث عشره حضر اقباي
الطويل الذى توجه الى قصره كما تقدم فعاد الجواب على السلطان بان قصره مستمر على
العصيان ولم يدخل تحت الطاعة فعند ذلك عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى
قصره وعين بهامن الامراء المقدمين ثمانية ومن الامراء الطبليخانات والعشراوات
نحوامن ثلاثين أميرا ومن المماليك السلطانية ألفى مملوك وأظهر السلطان انه يخرج الى
الشام عقيب ذلك بنفسه وفيه جاءت الاخبار بقتل قافى بك أحد الدوادارية الذى كان
توجه الى قصره لكشف الاخبار وكان قد سافر من البحر الملح لوجوب فساد الطرقات
وفيه قويت الاشاعات ان السلطان أرسل بالقبض على الامير طومان باي الدوادار وهو
بالصعيد وكانت هذه الاشاعات من أكبر الفساد في زوال ملك الظاهر قانصوه فلما قويت
الاشاعات بذلك نادى السلطان في القاهرة بان أحد الايكة كراما فميا لا يعنيه وان الامير
طومان باي دوادار كبر على عاداته وكان ترك هذه المناداة أصوب وقد تأكد الامر بذلك
وفيه هجم المنسر على سوق الوراقين وسوق الهرامزة وكسروا عدة حوانيث ونهبوا
ما فيها وقتلوا ثلاثة من الغفراء وكان المنسر نحوامن مائة نفر مابين مشاة وركاب
ومعهم قسي ونشاب فنهبوا قاشا بنحو عشرة الاف دينار وكانت هذه من الوقائع المهولة

وفيه كانت وفاة الرئيس نور الدين بن رحاب المغنى الناشد المادخ فريد عصره ووحيد دهره
 وكان من نوادر الزمان ينظم الشعر ويلحن الخفائف بالحن غريبة وكان آخر مغاني الدكة
 في الدخول والطرب ولم يبق بعده أحد في الدخول مثله وقد رثيته بعد موته بهذه الايات
 توفى نزهة الاسماع طرا * وصار العيش منافي ذهاب
 وناحت بعده الآلات حزنا * وأظهرت الصراخ مع انتحاب
 وأبدى الدف والماصول زعقا * كمن جاء المآتم في المصايب
 وأضحى الناس في قلق ولم لا * وقد ضاق الوجود بدار رحاب

وفي آخره حضر الامير طومان باي الدوادار وكان مسافرا الى جهة الصعيد فلما حضر
 الى الجيزة خرج الامراء والعسكر قاطبة الى ملاقاته فاقام بالجيزة ولم يعد فتوجه اليه
 الامير طر باي أحد المقدمين وعلى يده صورة حلف عن لسان السلطان أنه لا يشوش عليه
 اذا قابله ولا يقبض عليه فلما توجه اليه طر باي لم يثق الامير طومان باي بذلك الحلف
 وأظهر العصيان فرجع الامير طر باي بجواب غير صالح وقد قلب على الظاهر قانصوه خال
 الناصر غالب العسكر فلما رأى أحواله مضطربة تحقق وقوع فتنة فأخذ في أسباب تحصين
 القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من البقسماط والجن وملا الصهاريج التي بالقلعة وفرق
 السلاح على محاليكه وانتظر ما يكون من الامير طومان باي فلما عدت اليه الامراء قبض
 على جماعة منهم الامير قاني باي الرماح أمير اخور كبير فلما قبض عليه شكه في الحديد
 وقبض على القاضي عبدالقادر القصرى ناظر الجيش وعلى آخرين من الامراء فلما كان
 يوم الاربعاء سادس عشر ذى القعدة عدى الامير طومان باي من معادى امبابة وطلع من
 بولاق بمن معه من العسكر وتوجه الى الازبكية بعد العصر وبات بها وكان الاتابكي جان
 بلاط ساكنا هناك فاجتمع الامراء عنده وضربوا مشورة في أمر الظاهر قانصوه فوقع
 الاتفاق على خلعه من السلطنة فلما كان يوم الخميس سابع عشر ربيع ايس العسكر آلة
 الحرب وركب الاتابكي جان بلاط والامير طومان باي وبقية الامراء من الازبكية
 وتوجهوا الى بيت الظاهر ثم بغا الذي عند سوق السلاح بالقبو فعند ذلك ركبوا وتوجهوا
 لحصار القلعة ولم يكن عند الظاهر من الامراء سوى جان بلاط الايج نائب القلعة وبعض
 أمراء عشراوات ومن الجند نحو ألف انسان واستمر الحرب ثلثين يوما ثم ثلثة أيام
 وذلك على قلة من عنده من العسكر بالقلعة وكان الظاهر قانصوه حصن القلعة وسد باب
 الاصطبل الذي من جهة باب القرافة فلما كان يوم الجمعة بعد العصر ملك الامير طومان باي
 باب السلسلة فلما كان يوم السبت تاسع عشر ربيع انكسر الظاهر قانصوه وتشتت من كان
 عنده بالقلعة فلما رأى عين الغلب دخل الحريم وتزايروا النساء ونزل من القلعة وتوجه الى

نحو الترب فاختفى فكان كما يقال

وقائلة لم دهتك الهموم * وأمرك ممثلي في الامم

فقلت ذريني على غصتي * فان الهموم بقدر الهمم

فلما انكسر الظاهر قانصوه لم يجسر الامير طومان باي أن يتسلطن وكان قدامه الاتابكي جان بلاط فاستمرت القاهرة بلاسلطان يوم السبت ويوم الاحد وقد أشيع وجود قانصوه خسمائة الذي تسلطن فنودي في القاهرة ان كان قانصوه خسمائة موجودا فليظهر وله الأمان فلم يكن لهذه الاشاعة صحة فعند ذلك وقع الخلف بين الامراء فيمن يلي السلطنة فذكر ثاني بك الجالي فلم يرض به العسكر ثم ذكر الاتابكي جان بلاط فلم يرض به العسكر فتعصب له الامير طومان باي حتى تسلطن كما سيأتي ذكره في موضعه وكانت مدة الظاهر قانصوه في السلطنة سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما وكان ملكا هينا لين الجانب قليل الاذى كثيرا البر والمعروف وكان مسلوب الاختيار مع الامراء مهمل ما يقولوا له يقول بخشي فسمته العامة بخشي كما سمو الظاهر بلباي ايش كنت أناقل له وكانت أيام الظاهر قانصوه أصحح حال من أيام الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباي وقد انصلحت أحوال البلاد الشرقية وقل الاذى من العربان وكذلك البلاد الغربية ووقع الرخاء في أيامه في سائر البضائع وانكفت المماليك عما كانوا يعملون من الاذى في أيام الملك الناصر وساس الناس في أيامه أحسن سياسة وخلع والناس عنه راضون وكانت صفته أبيض اللون يميل الى الصفرة نحيف الجسد قصير القامة أسود الشعر عربي الوجه مستدير اللحية جميل الهيئة حسن الشكل في المنظر جرح كسي الجنس قليل الكلام بالعربي الغالب عليه الجلوبية تولى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة وكان وافر العقل ثابت الجنان مع سكون وعدم رهج وأماما عد من مساويه فقتله الامير ثاني بك قرامن غير ذنب أرسل بختقه وهو بين عياله وأولاده بالقدس ومنها أنه صادر خوند الخاص بكية زوجة أستاذه الملك الاشرف قايتباي ووكل بها طواشيته حتى باعت قماشها مثل التركة وأوردت ما قرر عليها من المال وصادر أختها زوجة اقبردي ووكل بها بالقلعة وطالبها بمائة ألف دينار وزعم ان اقبردي أودع عندها مالا وصادر أخاها الناصري محمد بن خاص بك وعرضه لضرب غير مأمرة وألزمه أن يسافر أمير حاج بالركب الاول من ماله ولم يعطه شيئا كعادة أمراء الحاج من النفقة ومنها أنه ظلم جماعة من أعيان المباشرين من رجال ونساء وأخذ أموالهم غصبا وهدمها بسبب البيت الذي أنشأه على بركة الفيل لاجل أخيه قائم وفعل مثل ذلك بالترية التي أنشأها بالصمراء وضيق بها الطريق على المارين هناك وأعمى ترب الناس التي بجواره ومنها أنه كان متواطئا مع الامراء على قتل الملك الناصر محمد ابن أخته ولولا تراخيه لما قدروا على قتله ومنها أنه رسم بشنق بدر

الدين بن مزهر كاتب السرح حتى شفع فيه طومان باي الدوادار ومنها انه كان غير عفيف
الذيل على ما قيل والله أعلم انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه خال
الناصر محمد ابن الاشرف قايتباي رحمة الله تعالى عليه وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر جان بلاط ابن يشبك الاشرفي

وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن عشر من
ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد وكان أصله جركسي الجنس اشتراه الأمير يشبك بن
مهدي أمير دوادار كبير وأقام عنده مدة وحفظ القرآن ثم ان الأمير يشبك قدمه مع جلة
مماليك الى الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى ثم اخرج له خيلا وقاشا وصار من جلة
المماليك الجدارية ثم بعد مدة بقي خامكا ثم بقي دوادار سكين وسافر أمير حاج بالركب الاول
وهو خاصكي غير ماهرة ثم أنعم عليه السلطان بامرية عشرة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة
وسافر الى الجراز أمير ركب المحمل وهو أمير عشرة وقرر في نظر الخانقاه ثم توجه قاصدا الى ابن
عثمان ملك الروم في سنة ست وتسعين وثمانمائة وكان يومئذ أمير طبلخاناه تاجر الممالك
ثم بقي مقدم ألف في آخر دولة الاشرف قايتباي ثم بقي دوادار كبير اعوضا عن اقبردى في
دولة الناصر ثم قرر في نيابة حلب وخرج اليها فلما تولى السلطنة الظاهر قانصوه نقله الى نيابة
الشام عوضا عن كرتباي الاخر بحكم وفاته ثم احضر الى القاهرة وقرر في الاتابكية عوضا
عن الاتابكي أزيك بحكم وفاته ثم تزوج بخوند اصيلداي ام الملك الناصر واستمر على ذلك حتى
وثب طومان باي على الظاهر قانصوه وخلعه من السلطنة وانكسر فوقع الاتفاق على
سلطنته على كرم من الامراء والعسكر وكانت صفقة مبايعته انه لما تسحب الظاهر قانصوه
من القلعة واختفى كما تقدم اقامت القاهرة يومين بغير سلطان فلما كان يوم الاثنين ثاني ذي
الحجة صعد الامراء والعسكر الى باب السلسلة واشتروا قمين يلى السلطنة وكانت قصده
الامير طومان باي الذي تسلطن فيما بعد ولكن كان قدامه جان بلاط وتانى بك الجمالى أمير
مجلس فلم يجسر أن يتسلطن وكان العسكر غير راض بجان بلاط فوسع طومان باي الا أنه
تعصب له وسلطنه فادسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم
زين الدين زكريا الشافعي والبرهان بن السكركي الحنفي وعبد الغنى بن تقي المالكي والشهاب
الشيشيني الحنبلي فلما تكامل المجلس عملا بصورة محضر خلع الظاهر قانصوه نخلع من
السلطنة في الحال ثم ان الخليفة بايع الاتابكي جان بلاط بالسلطنة وتلقب بالاشرف وكفى

بأبي النصر على لقب استاذ الاشراف قايتباي فلما تمت بيعته أحضر اليه شعار الملك
وهو الجبة والعمامة السوداء فافىض عليه ذلك الشعار وقدمت اليه فرس النوبة فركب من
سلم الحراقة الذي يمسب السلسلة ورفعت على رأسه القبة والطيور ركب الخليفة عن يمينه
ومشت الامراء بين يديه واستمر في ذلك الموكب حتى طلوع من باب سر القصر وجلس على
سرير الملك وقبل له الامراء الارض من كبير وصغير ثم خلع على الخليفة وألزمه أن ينتقل من
يومه ويسكن بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان ملء
العيون كفو السلطنة وافر العقل سديد الرأي وفي حال سلطنته رسم بالافراج عن الامير
قاني بك الرماح أمير اخور كبير وكان مشكوكا في الحديد عند الامير طومان باي الدوادار وقد
قاسى من البهدة والالتكاد ما لا يعبر عنه وكذلك الامير طراباي عنده في الترسيم أيضا فخلع
السلطان على قاني باي الرماح وأعادته الى الامير اخورية الكبرى وأطلق طراباي وانس باي
شاد الشراب خاتاه وأبقاهما على وظائفهما ثم انه عين الاتابكية الى قصره نائب الشام
وكان يظن انه يدخل تحت طاعته وكان الامر بخلاف ذلك وقيل انه تسلطن في ساعة الشمس
وفي يوم الثلاثاء ثالثه جلس في شبك الذهبية وعرض مما يليك الظاهر قانصوه ومسح
منهم جماعة وفيه في ذلك اليوم بعث الامير طومان باي الدوادار نحو من ثلثمائة فرس من
خيوله الخاصة التي كانت عنده لما حضر من الشام وفي يوم الخميس خامسه فرق السلطان
الاضحية على الامراء والجنود ومن له عادة ثم خلع على بدر الدين بن مهنه وأعادته الى كتابة السر
وعزل أخاه كمال الدين عنها وأعيد الشهابي بن ناظر الخاص الى نظر الجيش وعزل عبد القادر
القصري وأعادته في الترسيم وقرر عليه مالا له صورة وخلع على جلال الدين بن الصابوني
وأعادته الى نظر الخاصر وعزل شهاب الدين بن الرمي عنها وسلمه الى طراباي على مال قرر عليه
وفيه خلع السلطان على قيت الرحبي وأعيد الى جوية الحجاب وبطل سفره الى طرابلس
نائبها وخلع على أربك الناشف وقرره في نيابة القلعة عوضا عن جان بلاط الابح بحكم
اختفائه ثم عين قصره الصغير بان يعض الى قصره نائب الشام بالشارة بسلطنته وظن ان
قصره يسر بسلطنته فاذا اذاع صيانا وأرسل اليه بالحضور ليلى الاتابكية فلم يجب قصره
الى ذلك وتمادى على ما هو عليه من العصيان وفيه قبض السلطان على ترقريب السلطان
الظاهر قانصوه الذي كان محتسبا ووكله وقرر عليه مالا وكذلك قبض على ثاني بك الخازندار
وقرر عليه مالا وفيه عين السلطان لدولات باي مقدمة ألف وكذلك برديك المجدى وكذلك
خاير بك أنحو قانصوه البرجي وفيه قوى الفحص والتفتيش على الظاهر قانصوه وصار
والى الشرطة في كل يوم ليلة يكبس الحارات ويجمع البيوت وحصل للناس بسبب ذلك
الضرر الشامل من الكبس والنهب فلما طال الامر قبض السلطان على الطواشي مسك

وضربه فأقربان زوجته خوندجان كلدى تعرف طريقه فبعث اليها السلطان الامير طراباى
فسألها عنه فلم تقر بشئ فاحضر اليها المعاصيرو عصرها فى رجاها فلم تقر بشئ فاحضر الوالى
وعاقب الجوارى وآخرين من جاءتها فلم يقروا بشئ ولما اشتد الامر بسبب ذلك
حضر شخص من أولاد الناس يقال له محمد بن اينال وكان ساكناً فى سوق صافية عند
الوزير المعلق فامر الامير ازدرم أحد الامراء المقيمين أن الظاهر قانصوه عنده فى بيته
فلما تحقق الامير ازدرم ذلك طاع وأعلم السلطان فارسى جماعة من الخاصكية مع والى
الشرطة الى ذلك المكان فقبضوا عليه وأركبوه على بغل وعلى رأسه زنطو عليه كبراً بيض
وأتوا به على بركة الناصرية وقاسى من البهدة والالتكاد ما لا يعبر عنه وقيل انه وقع من فوق
البغل فى أثناء الطريق وتعرض عليهم فأركبوه غصبا وكان القبض عليه فى يوم الاحد ثمانى
عشرى ذى الحجة وكانت مدة اختفائه أربعة وعشرين يوماً جرى عليه هذا كله وهو
ساكت لا يتكلم فكان كما يقال

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار

من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

واستمر على هذه الحالة حتى أتوا به الى بيت ازدرم فلما رآه قام له وأدخله الى البيت فلما
كانت ليلة الثلاثاء خامس عشرية رسم السلطان باخراج الظاهر الى ثغر الاسكندرية فسيجن
بها وقيل ان السلطان جان بلاط أنعم عليه بخمسة آلاف دينار لكونه كان صهره وزوج أخته
وكان المتسفر عليه الامير ازدرم بن على باى فأوصله الى ثغر الاسكندرية وسجنه
بها وعاود وخذت فتنة الظاهر كأنهم لم تكن وفيه قامت المماليك على الاشرف جان بلاط
بسبب نفقة البيعة فلما رأى منهم الجدا أخذ فى أسباب جمع الاموال فأطلق فى الناس
نار المصادرة وقبض على جماعة من الاعيان ووزع على قاضى القضاة ما لاه صورة فشفع
الخليفة فى قاضى قضاة المالكية عبد الغنى بن تقي فعفى عما قرر عليه انقره وفيه قبض
السلطان على الحاج رمضان المهتار وسلمه الى طراباى فعاقبه وعصره واستخلص
منه ثلاثين ألف دينار وقد صودر غير مامرة وهذه آخر مصادراته فباع جميع ما يملكه حتى
بيوته وشوارفائه وانكشف حاله بجله واحدة وكان رئيساً حشماً أقام فى مهترته
بالطشخانه نحو من ثلاثين سنة ونال من العز والعظمة فى دولة الاشرف قايتباى ما لا رآه
غيره من المهاترة وفيه اشتد الامر على الناس بسبب المصادرات وقاسى اعيان الناس من
البهدة والالتكاد ما لا يعبر عنه وكان المتكلم فى أمر هذه المصادرات بدر الدين بن منهر
كاتب السرفاظه والنتيجة لصهره الاشرف جان بلاط وحصل منه للناس غاية الضرر
الشامل وشوش على الكثير منهم وقد عقب ذلك عليه حتى كان من أمره ما سئد كره وعت

هذه المصادرة طائفة اليهود والنصارى وجماعة من أعيان التجار والطواشية منهم مسك
ومحسن ومختص وغيرهم وكانت حادثة مهولة وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على
خاير بك العلاقي أحد خواصه وعلى جانيه الحمدي الظاهري خشف قدم وعلى علي باي دودار
خشكدي البيسقي وآخرين من الخاصكية وفي ليلة الجمعة سابع عشرية وقعت
بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نصف درجة وقد شاهدوا بعض النجوم في
السماء تتناثر وفيه نزل السلطان وتوجه نحو تربة الاشرف قايتباي فزار قبره ثم توجه الى
باب النصر وكشف عن عمارة مدرسته التي أنشأها هناك ثم دخل من باب النصر وشق
المدينة ثم أتى الى بيت الاشرف قايتباي الذي أنشأه ببركة الفيل فكشف عن زوجته خوند
أم الملك الناصر وكانت مقيمة هناك فزارها ثم عاد الى القلعة وفيه أعيد الطواشي محسن
كما كان وقد قاسى من الانكاد ما لا خيره فيه وفيه كانت وفاة صاحبنا تقي الدين بن محمود أحد
أعيان الشام ودبالمدرسة الصالحية وكان رئيسا حشما عشير الناس فكلمه المحاضرة ولكنه
كان ملسنا كثيرا التعلق بالناس لا يفوته أحد من كبير وصغير وكانت أعيان الناس يخشون
من كلامه ولسانه حتى قضاة القضاة وقد هجاه الاديب زين الدين ابن النحاس بقوله فيه

قف وقفة وانتظر عند الامام ترى * جيوش أجفانه بالسود قد كسرت
ومن يؤقده نيران الحشيش غدت * عيناه ترى جارا كلما تقرت

وفي هذه السنة انقطع اللسان من مصر وهو البلسم وكان من آثار عيسى بن مريم عليهما
السلام وكانت الفرع يجيئون من أقصى البلاد حتى يشتررون من دهن هذا البلسم
ويتغالبون في ثمنه وقد أحضر حب اللسان البري من الحجاز وزرعوه بأرض المطرية وعالجوه
فلم ينبت وانقطع من مصر بالكلية كأنه لم يكن قط بعين شمس وهو أجل نبات بها وهذا لم
يتفق قط وكان قبل ظهور الاسلام عدة طويلة وكان ذكي الرائحة أشبه شئ بورق الملوخية
وكان دهنه ينفع للأمراض الباردة كوجع الظهر والركب وغير ذلك من الأمراض
البالغمية وكان يستخرج دهن هذا البلسم في رابع عشرية بشنش القبلى وكان في الزمن
القديم يحضر يوم استخراج دهنه بعض الامراء وقيل ان ازيدا الكبير وأجود ما طبخ دهنه
في برمهات وكان يزرع حبه في بؤنه الى هاتور وكان معدودا من جملة محاسن مصر وكان
انقطاعه من مصر في رأس القرن العاشر ومن حوادث هذا القرن أيضا الحب الفرنجي
أعاذنا الله منه فشا في الناس جدا وقد أعيا الأطباء أمره واستمر يعرض للناس الى الان
﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعمائة ﴾ فيها كان خليفة الوقت المستسك بالله أبا الصبر يعقوب
الهاشمي الابوين والسلطان الملك الاشرف أبا النصر جان بلاط بن يشبك الاشرفي والقضاة
الاربعة على حكم ما تقدم وكانت الاتاكية شاعرة وقد تعينت اقصره نائب الشام وفي يوم

الثلاث مستهل المحرم كان صعود خوند اصلباى زوجة الاشرف جان بلاط وهى أم الناصر
 وسرية الاشرف قايتباى وأخت الظاهر قانصوه فكان يوم صعودها الى القلعة يوما مشهودا
 فشقت من الصليبة وهى فى محفة زركش وحولها الخدام من أعيان الطواشية وقدامها
 أعيان المباشرين وجاعة من الخاصة نخومن خمسين انسانا وهم بالشاش والقماش
 وجاعة من الممالكة نخومن مائة انسان وبأيديهم العصي يفسحون الناس فاستمرت
 فى هذا الموكب الخافل حتى صعدت الى القلعة ومعها نخومن مائتى امرأة على مكارية
 وفيه فرق السلطان ثلثة البيعة على العسكر وقد جمع هذا المال من وجوه الظلم
 والمصادرات ففرق على جاعة مخصوصة من العسكر وقطع لأكثر من الجند وأولاد الناس
 وغيرهم وفى يوم الخميس ثالثه حضر قصر وه الصغير الذى كان قد توجه الى قصر وه
 نائب الشام ببشارة سلطنة الاشرف جان بلاط فلما عاد أخبر أن قصر وه نائب الشام باق
 على عصيانه ولم يدخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط ولم يلبس خلعتة ولا قبل له الارض
 فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية وكان يظن ان قصر وه يدخل تحت طاعته فجاء
 الامر بخلاف ذلك وفى يوم الجمعة رابعه صلى السلطان صلاة الجمعة وجلس بباب
 الستارة وخلع على الامير تانى بك الجمالى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه وكان
 السلطان آخر الوظيفة لقصر وه فلما تمادى على عصيانه قرر ربه تانى بك الجمالى وخلع
 على الامير طومانباى وقرره فى امرية السلاح مضافا لما بيده من الدوا دارية الكبرى
 وقرره أيضا فى الوزارة والاستادارية وكشوفية الكشف كما كان الامير يشبك بن
 مهدى فعظم أمره جدا وصار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام وفيه استمر قرقاس بن
 ولى الدين فى ولاية حلب كما قرره الظاهر قانصوه وقرر ربه بك الطويل فى نيابة طرابلس
 عوضا عن قيت الرحبي الذى كان تعين اليها وقرر قانصوه بن سلطان چركس المعروف بابن
 اللوقا فى نيابة حماه وكان قرره قبيل ذلك فى نيابة غزة ثم بطل أمر هؤلاء النواب جميعا
 وحدثت أمور بعد ذلك يأتى الكلام عليها فى موضعها وفى يوم السبت خامس المحرم
 الموافق لثمان مسرى وفى النيل المبارك وكسر يوم الاحد سادس المحرم فلما وفى توجه
 الامير طومانباى الدوا دار وفتح السد على العادة فأظهر فى ذلك اليوم غاية العظمة وفرق
 على المنفرجين نخومن مائتى مجمع حاوى ومائتى مشنة فأكهة حتى فرق البطيخ الصيفى
 ونثر للعوام فضة لما أراد أن يركب عند السد فارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان له يوم
 مشهود وكان هذا آخر فتحه للسد وعقيب ذلك تسلطن وجرت عليه أمور يأتى الكلام عليها
 فابتهج الناس يوم الوفاء لكون النيل كان وفاءه مسرعا وحصل به غاية النفع وكان نيلا
 عاليا مباركا فكان كما يقال

كان في يوم الوفا نيلنا * أتقن علم الحرف بالضبط
اذبالصباصفحات خلجانها * تجددت بالكسر والبسط

وفيه تكلم وسائط السومع السلطان في اعادة وظيفة نظرا لاقواف فلما عرضوا ذلك على الامير طومان باي لم يوافق على اعادة هذه الوظيفة وكان الملك الناصر ابطالها بواسطة كرتباي الاجر فلما توجه كرتباي الاجر الى الشام وطاش الملك الناصر بعده سعي محمد بن العظمة الذي كان ناظر الاوقاف في اعادته الى هذه الوظيفة وكان الساعي له عبد القادر البواب بواب الدهشة فقرره السلطان في نظرا لاقواف فأقام بهامدة يسيرة وضح منه الناس فشكوه للملك الناصر فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا ونفاه الى قوص وقد تولى هذه الوظيفة غير ماهرة ولم ينتج أمره وقد تولاها جماعة كثيرة منهم شخص يسمى الفار الوكيل فلم ينتج أمره وتولى به أيضا شرف الدين بن البدرى حسن فلم ينتج فيما تقرر عليه من المال وقد تولاها جماعة كثيرة ولم يكن لهم السداد وهي وظيفة شروظ لم فشكر الناس فعل الامير طومان باي الدوادار على ابطال هذه الوظيفة في تلك الايام المسيئة وفيه قبض السلطان على شمس الدين بن مزاحم ناظر الاصطبل وقرر عليه مالا له صورة يورده للخزائن الشريفة وفيه عاد سنباي نائب سيس أحد المقدمين وكان توجهه الى الكرك لقتال بنى لام وعاد من غير طائل وفيه اجتمع السلطان بالامراء وضربوا مشورة في أمر قاصر ونائب الشام فأشاروا على السلطان بأن يرسل اليه قاصدا فعين شخصا من الامراء العشر اوات وهو ازدمر الفقيه وعين معه الامير اصباي فتوجهوا اليه عن قريب وفي أثناء ذلك حضر خاير بك الكاشف الذي كان الظاهر نفاه وفر من أثناء الطريق وتوجه الى قصره وأظهر العصيان معه فلما بلغه سلطنة الاشرف جان بلاط فر من عند قصره ودخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط فلما حضر خلع عليه ووعدته بقدمة ألف وفي خامس عشره كان دخول الحاج الى القاهرة وقد حصل لهم مشقة زائدة وعوقبهم العرب حتى فات ميعاد دخولهم وفيه تعين قرباي خازن دار الامير طومان باي وأظهر للسلطان أنه يروم الصلح بينه وبين قصره وكان الامر بخلاف ذلك وانما أرسل قرباي في عمل مصلحة نفسه وقد ظهر ذلك فيما بعد وتلاعب بالاشرف جان بلاط وهو يظن أنه له من الناصحين وهو بضد ذلك كما يقال في أمثال الصادح والباغم

جهد البلاء صحة الاضداد * كأنها كى على الفؤاد

ومنها كدك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

ومنها أعظم ما يلقى الفتى من جهد * أن يقتل من جنسه بالضد

وفيه جاءت الاخبار بان قصره قد استولى على غزة وأعمالها والقدس وغير ذلك من النواحي

وفي صفر عظم أمر الامير طومان باي جدا وتصرف في أحوال المملكة كما يختار وصار
الاشرف جان بلاط معه كالحجور عليه لا يقضى أمر ادونه وفيه جاءت الاخبار من حلب بان
دولت باي نائبها أظهر الطاعة للسلطان وانه ليس مع قصره نائب الشام وهذا كله حيل
ونخداع وترتبت من الامير طومان باي حتى كل عزم السلطان عن ارسال تجريده الى قصره
نائب الشام وكانت لوايح الخذلان ظاهرة على الاشرف جان بلاط وأحواله كلها معكوسة
وصار طومان باي يجهد نفسه في الباطن وفيه توعك قاضي القضاة زين الدين زكريا وحصل
له ضعف في بصره فاعلق عليه بابه وأظهر أنه قد عزل نفسه عن القضاء فلم يلتفت السلطان
اليه فلما كان يوم الاثنين عشرين خلع السلطان على محي الدين عبد القادر بن النقيب
وقرره في قضاء الشافعية عوضا عن القاضي زكريا بحكم انفصاله عنها فكانت مدة ولاية
الشيخ زكريا في قضاء الشافعية نحو ما من عشرين سنة فانه تولى في دولة الاشرف قايتباي في
سادس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة وعزل في صفر سنة ست وتسعمائة وهذه المدة
لم تقع لاحد من قضاة الشافعية في ولاية واحدة غيره فعد ذلك من النوادر وسيعود الى القضاء
ثانيا عن قريب فلما تولى عبد القادر بن النقيب شق على كل أحد من الناس ولايته ولا مواء
السلطان على ذلك وكان يومئذ في الشافعية من هو أولى بالقضاء منه ولكن سعى بحاله
صورة حتى تولى على كره من الناس فكان كما يقال دويت

في مصر من القضاء قاض وله * في أكل مواريث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقم مجتهدا * من عـ ذله دراهم اعدله

وهو أول قضائه بمصر وقيل انه سعى بسبعة آلاف دينار حتى تولى وسيعزل عن قريب وفيه
جاءت الاخبار من جهة المغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة التي هي دار الملك
الاندلس ووضعوا فيها السيف للمسلمين وقالوا من دخل في ديننا تركناه ومن لم يدخل قتلناه
فدخل في دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على انفسهم من القتل ثم نار عليهم المسلمون
ثانيا واتصفوا عليهم بعض شيء واستمر الحرب ثائرا بينهم والامر لله تعالى في ذلك وفي ربيع
الاول نزل السلطان الى بيت الامير طومان باي وترجل ونزل عن فرسه ودخل هو واياه الى
المبيت وأقام عنده ساعة يتحدثان في أمر قصره ثم ركب وطلع الى القلعة وفيه عمل
السلطان المولد النبوي وكان حافلا وهو أول موالده وفيه في يومه عين السلطان خير بك
أخاف انه صو البرجي ومعه جماعة من العسكر وأمرهم أن يقيموا بغزة خشية من قصره
أن يطرق غزة على حين غفلة فخرج خير بك والعسكر مسرعين وفيه ماتت خوند حبيبة
ابنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر بجمعق وهي زوجة الامير طومان باي الدوادار وكانت
جنازتها حافلة وفيه عين السلطان الامير سودون العجبي أحد المقدمين وقرره في امرية
الحاج بركب المحمل وعين دولت باي قرموط والى القاهرة بالركب الاول وفيه عرض

السلطان العسكر وعين تجزيدة الى قاصروه نائب الشام وقد عادى على العصيان والخروج
عن الطاعة واضطربت أحوال البلاد الشامية وامتنع ورود القشاش والفاكهة وغير
ذلك مما كان يجلب من البلاد الشامية فلما عرض العسكر عين نحو امن التي مملوك ومن
الامراء المقدمين أحد عشر أميرا وكان الباش على هؤلاء الامراء المقر السيفي طومان باي
دواداراكبير وأمير سلاح ووزير او استادار او كاشف الكشاف ومشير المملكة ومأمع
ذلك من الوظائف وفيه عرض السلطان العسكر وأنتق عليهم وبعث نفقة الامراء ثم
استعنتهم على الخروج بسرعة ورسم لهم أن يخرجوا شيأ بعد شئ فلما كان يوم الثلاثاء
سادس عشر به خرج جماعة من الامراء الطبخاناه المعينين في هذه التجزيدة فكان
جاليش العسكر قيت الرحبي حاجب الحجاب واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وسودون
الدوادار أحد المقدمين وخرج معهم خمسة مائة مملوك من المماليك السلطانية وفيه قرر
الامير قان بردى اليوسفي في شادية الشرايخا ناه مع امرية أربعين وكان من خواص الامير
طومان باي الدوادار وقرر قلع في نيابة البيرة ثم لم يتم له ذلك وقرر في نيابة الاسكندرية ثم نفي في
دولة العادل طومان باي الى البلاد الشامية وفيه قرر الشيخ صنطباي في نظر المدرسة
السنقرية التي بباب النصر وأخرج النظر عن قاضى القضاة الشافعي بأمر السلطان
وفيه قرر السلطان أنس باي الذى كان شادا الشرايخا ناه في مقدمة ألف وكان من خواص
الامير طومان باي وفيه قرر طقطباي في كشف أسى يوط وصرف عنها يوسف النوام
وقرر جان محمدى الخشعة قديمى في كشف منفى يوط وصرف عنها حيدر السيفي أزبك
اليوسفي وفي يوم السبت مستهل ربيع الآخر خرج من تعيين من التواب المقدم
ذكرهم وهم قرقاس بن ولى الدين المعين لنيابة حلب وبرد بك الطويل المعين لنيابة
طرابلس وقانصوه بن سلطان بكر كس المعروف بابن اللوف المعين لنيابة حماة وقد تعينت
لدولت باي نائب حلب نيابة الشام عوضا عن قصره وذاقبض عليه وكانت هذه الترتيب
كلها في البطل وآل الامر الى خلاف ذلك كما بأتى الكلام عليه في موضعه وفي يوم الاثنين
رابعه خرج المقر السيفي طومان باي أمير سلاح ومأمع ذلك فلما خرج طلب طلبا حافلا حتى
رجعت له القاهرة فلما طلع الى القلعة أفاض عليه السلطان خلع حافلة وهي فوقاني حرير
ازرق بوجه أخضر بطرزيه غاوى عريض قيل كان طولها ثلاثة أذرع في عرض ذراعين
ونصف من الذهب الخالص البندقي وكان ما دخل فيه ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل قط مثله
ولاسمع بمثله ذلك وكان الاشرف جان بلاط يقاتل على رضا الامير طومان باي بكل ما يمكن
ومع هذا كان الامير طومان باي يضمه كل سوء فكان لسان حال جان بلاط يقول

أقامى الذون لنيل المتى * وياليت هذا بهذاني

وكان الأمير طومان باي باغيا على الأشرف جان بلاط فكان كما يقال
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الوري من ليس يرعى عهدا
فلما خرج كان صحبته من الأمراء المقدمين قاني باي الرماح أميراً خور كبير والأمير قانصوه
الغوري رأس توبة كبير والأمير ازدمر بن علي باي أحد المقدمين وأنس باي أحد المقدمين
فكانوا بمن تقدمهم من الأمراء المقدمين أحد عشر أميراً ومن المماليك السلطانية نحو من
ألفي مائة وزيادة وكانت هذه التجربة المعينة إلى قصره نائب الشام تعادل تجربة ابن
عثمان وقد تقدم ذكر ذلك في دولة الملك الأشرف قايتباي فلما شق الأمير طومان باي من
القاهرة كان له يوم مشهود وارتفعت له الأصوات بالدعاء وكان محبوباً للناس ولا سيما العوام
فلهج الناس بأنه سيعد سلطاناً وكان الأمر كذلك واستمر في ذلك الموكب حتى نزل بالريدية
في الوطاق فأقام به أياماً وقيل إن السلطان نزل إليه هناك في الخفية تحت الليل وجلس
عنده وتحدثا فيما يكون من أمر قصره وأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة من مال
وقاش وتحف حتى باحجار حيوانية لمنع السموم القاتلة ثم ودعه وطلع إلى القلعة وكان يظن
إن الأمير طومان باي ناصحاً له وكان الأمر بخلاف ذلك وفيه من الحوادث أن السلطان تغير
خاطره على القاضي كاتب السر بدر الدين بن مزهر فقبض عليه وعلى حاشيته وحبسه
بالعرفانة وضربه ضرباً مبرحاً غير مأمرة وسبب ذلك أن السلطان لما صادر الناس كما تقدم
ندب القاضي بدر الدين إلى ذلك فأظهر من الظلم والعسف والتشويش على الناس ما يطول
شرحه وأظهر النتيجة في ذلك للأشرف جان بلاط فانه كان صهره فكثير الدعاء عليه وأخذ
الله من الجانب الذي يأمن إليه وكان كما يقال

فكان كالمتمنى أن يرى فلما من الصباح فلما أن رآه عني

ثم أنه قرر عليه مالا وأقام في العرفانة حتى يورد ما قرر عليه من المال وكان من أمره
ما سنده في موضعه فلما كان يوم الخميس ثاني عشره خلع السلطان على صلاح الدين بن
يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره في كتابة السر عوضاً عن بدر الدين بن مزهر بحكم صرفه
عنها وهذا آخر ولايته لكتابة السر فلم يعد إليه بدر الدين بعد ذلك وفي ليلة الجمعة ثالث
عشره خسف جرم القمر خسوفاً تاماً وأقام في الخسوف إلى قريب التسبيح وغرب وهو
مكسوف وفيه توفي القاضي جلال الدين بن الأمانة أحد نواب الشافعية وهو عبد الرحمن
ابن محمد بن عبد العزيز وكان عالماً فاضلاً رئيساً حشماً وفاته منصب القضاء غير مأمرة
وهو آخر من روى صحيح مسلم عن الزكي الزكشي بالسمع وكان قد طعن في السن وقارب
التسعين من العمر وفيه نودي من قبل السلطان بإبطال ما تجدد من المكوس والمظالم
الحادثة من بعد موت الأشرف قايتباي وفيه عاد عمر باي خازن دار الأمير طومان باي

الدوادار الذي كان توجه الى قصره نائب الشام امشى بينه وبين السلطان بالصالح فلم يوافق
قصره على ذلك وفيه توفي أصباى الاشرفي قايتباى وكان أحد الدوادارية وكان لا بأس
به وفي جمادى الاولى في يوم الاثنين خامسه وصل هجان من الشام في الخفيسة وعلى يده
مكاتبات الى عرباى خازن دار طومانباى ليفرقها على الامراء فكان مضمونها أنه تسلطن بالشام
وتلقب بالملك العادل واستفاض هذا الكلام بين الناس وقتها فلما فرق عرباى المكاتبات
على الامراء خاف على نفسه ففر تحت الليل وستر الله عليه حتى خرج من القاهرة وفيه جاءت
الانخبار مفصلة بصحة ما جرى وهو أن العسكر لما وصل الى الشام نزل في مكان يسمى سمسع
بالقرب من دمشق فركب قصره نائب الشام في نفر قليل من عسكره وأظهر أنه طائع
فاطمأن له العسكر وكان غالب الامراء نحشدا شينه فلما حضر اليهم دخل معهم الى الشام
واجتمعوا في القصر الابلق الذي في الشام بالميدان ولما حضر قصره نائب الشام ذكر واه
أنه يطلع الى القلعة ويقرأ مراسيم السلطان فطلع وطلع الامراء الى القلعة فعند ذلك قرؤا
عليه مراسيم السلطان فلم يلتفت الى ذلك ثم تفاوض هو والامراء في الكلام ثم تارت فتنة
كبيرة بالقلعة ثم أمر قصره والامير طومانباى بالقبض على جماعة من الامراء وهم قرقاس
ابن ولى الدين نائب حلب الذي قرر بها وازدعر بن علي باى أحد الامراء المقدمين وخاير بك
اخو قانصوه السبرجى أحد الامراء المقدمين وسودون بن يشبك الدوادار أحد الامراء
المقدمين وقانصوه بن سلطان جركس الذي قرر في نيابة حماه وقبض على آخرين من الامراء
الطبلخانات والعشراوات فلما قبض عليهم قيدهم وسجنهم بالقلعة بدمشق وفي أثناء ذلك
حضر الى دمشق دولاتباى بن اركاس نائب حلب الشهير باخى العادل فلما حضر تعصب
للامير طومانباى وتكلم في سلطنته فاحضر قضاة الشام وكتب صورة محضري خلع
الاشرف جان بلاط من السلطنة وباعوا طومانباى من غير خليفة وتلقب بالملك العادل
أبى النصر وأحضر له شعار الملك فأفيض عليه وقيل له الامراء الارض فأول من قبل له
الارض قصره نائب الشام ثم بقية الامراء شيئا فشيئا فلما تم أمره في السلطنة عين
الاتاكية بمصر لقصره نائب الشام وعين نيابة الشام لدولاتباى نائب حلب وعين نيابة
حلب الى اركاس بن ولى الدين وعين نيابة طرابلس لبرديك الطويل وعين نيابة صفد لجانم
وقرر قيت الرحى في امرية سلاح عوضا عن نفسه وقرر قانصوه الغورى في الدوادارية
الكبرى والاستادارية والوزارة وكشف الكشاف عوضا عن نفسه وقرر قانصوه نائب
الاسكندرية في الرأس نوبة الكبرى وقرر اصطمر بن ولى الدين في الجوية الكبرى وعين
عدة امريات الوف وامريات طبلخانات وعشراوات لجماعة من عصبته ثم انه رسم بشنق
أحمد مشايخ العربان من أولاد ابن نبيلة وشنق شخصا آخر من مشايخ بني حرام يقال له ثابت

فلما تم أمره في السلطنة خطب باسمه على منابر دمشق ثم أخذ في أسباب الحضور إلى مصر
فلما سمع الأشرف جان بلاط هذه الأخبار اضطربت أحواله وضافت به الدنيا ثم أخذ في
أسباب تقرير الوظائف للأمراء الذين بمصر عوضا عن أظهر العصيان بدمشق فاستمال
فلوهم حتى يكونوا له عونا ويدخلوا تحت طاعته فاحضر لهم المصحف العثماني وحلف عليه
سائر الأمراء من كبير وصغير بعد صلاة الجمعة بحضرة الخليفة المستمك بالله يعقوب والقضاة
الأربعة وكان قاضي القضاة الشافعي عبد القادر بن النقيب ألف صورة أيمان مغلطة بالله
وبالمصحف وبالحنبل وبالعشق والطلاق ثلاثا وغير ذلك من التأكيدي في الأيمان المغلطة
وكتب ذلك في سجل ودفعه إلى صلاح الدين بن الجيعان كاتب السر ليحلف عليه الأمراء
وكان هذا سببا لا انتقام العادل من ابن النقيب لما حضر إلى مصر وتم أمره في السلطنة
فجرى على ابن النقيب منه أمر - ورهولة يأتي الكلام عليها فلما تكامل المجلس حلف
الأمراء بتلك الأيمان التي تقدمت أنهم لا يخونون ولا يغدرون ولا يعيلون مع العادل
إذا حضر خلفوا على ذلك ثم أحضر لهم عدة تشاريف فخلع على قانصوه الحمدي
المعروف بالبرجي وقرره في أممية السلاح عوضا عن طومان باي بحكم سلطنته بدمشق
وقرر خشكدي البيسقي الظاهري خشفة دم في أممية مجلس عوضا عن قانصوه البرجي بحكم
انتقاله إلى أممية سلاح وقرر مصر باي في الدوا دارية الكبرى عوضا عن طومان باي بحكم
سلطنته بدمشق وقرر سنباي نائب سيس في الأميرة اخورية الكبرى عوضا عن قاني باي
الرماح بحكم عصيانته مع طومان باي وقرر سودون الجعي في الرأس نوبة الكبرى عوضا
عن قانصوه الغوري بحكم عصيانته مع طومان باي وقرر بردك الحمدي الأياني في ججوية
الحجاب عوضا عن قيت الرجي بحكم عصيانته وقرر قانصوه الصغيري في ولاية القاهرة وقرر
ثاني بك الأبح في شادية الشراب خاناه وقرر اقباي الطويل في تجارة المماليك وقرر عمر باي
أمير شوري في استمدارية العجبة وقرر جان بردي رأس نوبة ثاني وأنعم بتقادم الوف
على جماعة من الأمراء منهم بيبرس الفهلوان وأزبك المكمل ونخشكدي الذي كان
استادار العجبة ودولات باي قرموط الذي كان والي القاهرة وأزبك الناشف وقرار جوشن
وقرار الزردكاش وقرقاس الشرابي وخير بك الكاشف وغير ذلك من الأمراء ممن خاصر
مع طومان باي ثم فرق عدة أفاطيع على الخاصكية عوضا عن كان صجبة طومان باي ثم
أخذ في أسباب تحصين القلعة فركب حولها المكاحل المعمرة بالمدايع وأصلح سورها
وأبراجها وبني فوق سلم المدرج بابا وهو موجود إلى الآن ثم بنى برجاً محيطاً على باب
السلسلة فبناه بالفص الحجر وصنع فيه مراحي وأبواباً صغارا ثم سد باب الميدان وباب
حوش العرب وباب الاصطبل الذي عند الصوة وصار ينزل في النهار مرتين يكشف على

العمارة بنفسه ثم رسم بهدم مدرسة السلطان حسن فهدم منها بعض شئ من وراء ظهر
محراب القبة فأقاموا بهدمونها ثلاثة أيام فلم يقدر واعي هدم ذلك فتكلم الامير تغرى
بردى الاستادار مع السلطان في عدم ذلك فرجع السلطان وترك الهدم وقد تأسف
الناس على هدمها لانه لم يعمر في الدنيا مثله ولو هدمها ما كان يفيد من هدمها شئ وما
كان يقدر على هدمها فكان ترك ذلك أوجب وقد ظهر بحجزه عن ذلك وفي هذه الواقعة
يقول شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى

هتكت قبة الحسن * وانتفى وصفها الحسن

ان في ذالعةبرة * لكن المستفيق من

وقال محمد بن قانصوه بن صادق سامحه الله

حسن السلطان قد هتكت * خيفة المحذور قبته

تعس الراضى بذاو غدت * مثلها في الهتك حرمة

ثم ان السلطان نقل الى القلعة من البقسماط والجبن والغنم والبقر والاوز والدجاج والقمح
والشعير وأشياء كثيرة من احتياج المطبخ ما يكفي للمحافظة نحو الشهرين ثم نادى في القاهرة
باصلاح الدروب واصلاح باب المدينة فاضطربت الاحوال وتزايدت الاقوال وكثر القيل
والقال ووزعوا قشهم في الخبايا وظن كل أحد ان هذه فتنة مهولة ما تنجلي الا عن أمور
شئ وصار الناس في رعب من ذلك وقد اشتد الامر جدا وفيه قبض السلطان على اسماعيل
زامل وشنقه على باب الميدان وسبب ذلك انه لما هرب قريباى خازن دار طومان باى الذى
تسلطن بالشام مكنه أن يتوجه الى الشام وما أعلم السلطان بذلك فشنقه لاجل ذلك وصار
له ذنب كبير ثم ان السلطان أراد أن يقبض على الامير طرباى وعوقبه بالقلعة ساعة ثم بداله
ترك هذا الامر ثم ان السلطان رسم بقطع سلالم مدرسة السلطان حسن وأمر بنقض
أما كن من دار يشبك الدوادار ونقل الى القلعة أخشابا كثيرة صنع منها عدة طوارق
وسلالم خشب وغير ذلك من آلة الحرب ثم فتح الزردخانه وفرق منها على جماعة من
الجند عدة سيوف وزرديات ولبوس وتراكس وقسي ونشاب وغير ذلك ثم فرق عليهم
عدة خيول خاص من خيول الامراء الذين خا مروا مع طومان باى فأخذ خيولهم وفرقها
على العسكر وفرق عليهم من خيوله الخاص أيضا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وأنعم على
أكثرهم بوظائف واقطاعات وفرق منالات تكتب على بياض على جميع من كان عنده
ولم يفده من ذلك شئ فكان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

وفي جمادى الآخرة في يوم الاربعاء مستهل خلع السلطان على الامير عبد اللطيف الطواشى

وقرر زماما و خازن دارا كبيرا عوضا عن جوهر المعيني بحكم وفاته كما تقدم وفيه توفي الشيخ
الصالح المعتقد سيدي عبيد القفاص وكان من الصالحين وفي يوم السبت رابعة جاءت
الاخبار بأن العادل طومان باي خرج من الشام هو وقصره نائب الشام ودولت باي نائب
حلب وجماعة من النواب والتف عليهم الجمل الغفير من عسكر الشام وعربان جبل نابلس
والعشير وغير ذلك وقد وصل الى غزة فلما تحقق السلطان ذلك علق الصنجق السلطاني على
باب السلسلة ونادى للعسكري بأن يطلع الطائع الى القلعة ومعه آلة الحرب وان سائر الامراء
تطلع الى القلعة صغارهم وكبارهم ثم رسم لقضاة القضاة بأن يطلعوا الى القلعة فطلعوا الى
القلعة وكذلك سائر المباشرين من ارباب الوظائف يطلعون الى القلعة أجمعين فامتلأوا ذلك
وظلعوا الى القلعة وأقاموا بها واحتاط في الامور بكل ما يمكن ولم يفده من ذلك شيء فكان
كما يقال

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما كان يوم الخميس تاسعه وصل العادل بن معه من العساكر الى خانقاه سرياقوس ودخل
أوائل عسكره الى القاهرة فاجت القاهرة واضطربت وقلق الاشرف جان بلاط وضافت
عليه الدنيا بما رحبت فكان كما يقال في المعنى

قد كان يرجف في لياي وصله * قلبي فكيف الآن عند صدوده

وفيه جاءت الاخبار بوصول عسكر العادل الى المطرية فخرج اليه بعض العساكر
السلطانية وتقاتلوا معهم هناك قتالا هينا ففر منهم أربك النصراوى ودخل تحت طاعة
العادل وقبل له الارض فخلع عليه العادل هناك وقرره والى الشرطة بالقاهرة ثم ان
بعض المماليك توجه الى بيت العادل الذي كان ساكنه وهو بيت الظاهر بمصر الذي عند
سوق السلاح بالقاهرة فاحرقوا مقعده ومبنيته ونهبوا منسه بعض أثاث وفي يوم السبت
حادى عشره كان دخول العادل طومان باي الى القاهرة فدخل من باب الفتوح ورفع على
رأسه صنجق خليفتي وكان معه من الامراء قاضي باي الرماح أمير اخور كبير وقاصوه
الغورى رأس نوبة كبير وقيت الرحي حاجب الحجاب وكان معه من النواب قصره
نائب الشام ودولت باي نائب حلب وبرد بك الطويل نائب طرابلس وجانم نائب حماه
وغير ذلك من الجنود والعربان والعشير فشق من القاهرة وارتفعت له الاضواء بالدعاء
وكان محب للناس قاطبة فنادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء
وان لا يشوش أحد على أحد من الرعية فتزايدت له الناس بالدعاء وكان الناس يظنون
ان العادل طومان باي يخرب مصر عن آخرها بسبب ما يقع من الفتن وان الامر يطول في
ذلك فاحصل الاكل خير وانفرج الامر عن قريب فاستمر العادل طومان باي في ذلك

الموكب وكان له يوم مشهود حتى توجه الى بيت قاني بك قرا الذي عند حمام الفارقاني فتنزل به ونزل قصره وبالأزبكية بدار الاتابكي أزبك ونزل دولات باي نائب حلب بجامع شيخو ونزل نائب طرابلس بدار أزبك اليوسفي أمير مجلس الذي كان بدرب ابن البابا بالقرب من الصليبية وتوزع الامراء والنواب الذين حضروا صحبة العادل كل واحد في مكان بالقرب من الصليبية ثم ثار الحرب بين الفريقين وعظم الامر جدا وكان القائم بنصرة العادل قصره نائب الشام فأمر بحفر خنادق في الطرقات ووراءها سور من الحجارة فخفر واخذ قاربأس الرميلة عند سويقة ابن عبد المنعم وخندقا عند حدره البقرة وخندقا عند باب الوزير وخندقا بربأس سوق جامع أحمد بن طولون وخندقا عند سوق القبو عند مدرسة السلطان حسن فكانت خمسة خنادق ثم ان العادل أحضر عدة أخشاب لاطات وجزم وصورى وأحضر جماعة نجارين فصنعوا منها عدة طوارق وسلالم وشرعوا في عمل مجانيق وسدوا غدة أما كن شتى وبنوا عليهم ادر وبأوصاروا بغلقونها ووطنوا أن هذه الفتنة يطول أمرها ففي اليوم الثالث من المحاصرة ملك قصره ومدرسة السلطان حسن وركب المكاحل المعمرة بالمدافع ووقف بها ورما على من بالقلعة بالسبعيات والبندق الرصاص فقتل من كان بالقلعة جماعة كثيرة وجرح آخرون فضعف عزهم عن القتال وبانت الكسرة عليهم ولم يكن عند الأشرف جان بلاط بالقلعة سوى الاتابكي تاني بك الجمالي والامير مصر باي والامير قانصوه البرجي وخشكلى البيسقي ونائب سيس سنباي وآخرين من الامراء المقدمين وغيرهم وكان الرماة أشاعوا عن السلطان جان بلاط لما وصل العادل الى المطرية أن يخرج اليه الاتابكي تاني بك الجمالي وآخرون من الامراء ويحاربونه وكان هذا عين الصواب لو فعلوه كما يقال في الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصة * تصيران لم تنتهزها غصه

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكاييد

ثم ان العادل قصد أن يحضر جماعة من فرسان عربان الشرقية يقاتلون معه كما فعل أقبردى الدوادار فلم يوافقهم الامراء على ذلك وقالوا هذا يحصل منه غاية الفساد فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره اشتد الحرب بين الفريقين ووقع بينهما واقعة مهولة يباب الوزير فخرج فيها شخص من الامراء الطبليخانات يقال له تهرباي الطويل استدارا للصعبة فلما جرح أغشى عليه فسقط عن فرسه فاخذوا ببسه وسلاحه وحملوا الى داره فمات بعد أيام وفي ذلك اليوم تقنطرا الامير مصر باي الدوادار بالتبانة وأخذوا فرسه من تحته ونجا بنفسه وهرب وجرح في ذلك اليوم جماعة كثيرة من الفريقين وقتل في ذلك اليوم أيضا الامير قاني بك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين قتل بكفيه وكان من عصابة الامير أقبردى الدوادار

وحضر الى القاهرة صحبة قصره ونائب الشام وكان مقيما بالشام وقتل جماعة من الخاصة في ذلك اليوم وفي يوم الاربعاء خامس عشره اسير الحرب ثائرا بين الفريقين الى يوم الخميس سادس عشره فاتفق العادل طومانباي على العسكر الذين من عصبته جامكية شهر وصادرا لاشرف ينفق الجامكية بالقلعة على من عنده من العساكر والعادل طومانباي ينفق الجامكية في بيت تاني بك قرا على من عنده من العسكر فلما تلاشي أمر لاشرف جان بلاط وترشح أمر العادل طومانباي ولاحت عليه لوائح النصر صار جماعة من الامراء والعسكر يتسحبون من القلعة وينزلون عند العادل طومانباي فنزل اليه قانصوه الفقيه وتمر الظاهري وجان بلاط الابح وقاني بك الابح وغير ذلك من الامراء والخاصة ثم نزل في ذلك اليوم القاضي عبد القادر القصري وتوجه الى العادل فخلع عليه وأقره في نظر الجيش عوضا عن الشهابي أجدناظر الجيش وكان لاشرف جان بلاط وعدا العسكر أنه ينفق عليهم مع الجامكية فلم ينفق عليهم شيئا فأنقلبوا عليه وتسحب غالبيتهم وأتوا الى العادل فرحب بهم فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خرج العادل من بيت تاني بك قرا وهو راكب وعليه سلاحي شوح احمر وفرومور وعلى رأسه تخفيفة صغيرة والامراء حوله فتوجه الى جامع شيخو ف صلى به صلاة الجمعة فارتفعت له الاصوات بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان يوما مشهودا فلما خطب الشرفي يحيى بن العباس خطيب جامع شيخو دعا في آخر الخطبة باسم الملك العادل فهي أول خطبة خطبت باسم العادل في القاهرة قبل أن يخلع جان بلاط من السلطنة وقد خاطر الشرفي يحيى بن العباس بنفسه في ذلك فعهد ذلك من النوادر فلما تسلطن العادل وتم أمره في السلطنة كتب للشرفي يحيى بن العباس جامكية في كل شهر ألف درهم في نظير ذلك وفي يوم السبت ثامن عشره وقت صلاة الفجر نزل من القلعة جماعة من الامراء العشراوات منهم جان بردى الغزالي وخاير بك الكاشف وآخرون من الخاصة فتوجهوا الى العادل ثم ان جان بلاط رسم بتفرقة الجامكية الثانية في الاصطبل الساطاني وحضر هناك العسكر وهم لابسون آلة الحرب فبينما العسكر الذين بالقلعة مشغولون بنفقة الجامكية واذا بالقلعة قد ماجت واضطربت وثارا بالجم الغدير بالرماية من الماء اليك الذين من عصبته العادل فنهبت الجامكية عن آخرها التي أنفقت بالاصطبل وكان سبب ذلك ما استفاض بين الناس أن الملك لاشرف جان بلاط كان مقيما في مدة حصاره بالقلعة بالقصر الكبير وعنده جماعة من المشايخ الصوفية ومن يعرف بالصلاحي فلما ضاق الأمر على لاشرف جان بلاط قام ودخل الى دورا حريم فأبطأ فيه ساعة طويلة فعمد الامير طراباى الى النجاة والتس فأخذهم ما ونزل بهم من القلعة وتوجه الى العادل طومانباي وأشاع ان لاشرف

جان بلاط قد هرب من القلعة فلما سمع بذلك الاتاكي قصروه وكان مقبلاً على مدرسة السلطان حسن حطم عن معه من الجند فلما كان باب السلسلة وسلم المدرج من غير مانع ولم يفد تحصين الاشرف جان بلاط شيئاً ولا بناية تلك الابراج ولا تركيب المسكحلة الكبيرة التي يقال لها المجنونة وكان هذا اخذ لانا من الله تعالى له وقد قلت في المعنى مع التضمين

تحصن خوفاً جان بلاط بقلعة * فلم تدفع الاعداء عنه المدافع

وكانت مدافعه كفارغ بندق * خلى من المعنى ولكن يفرقع

فلما كانت الكسرة على الاشرف جان بلاط وقع النهب بالقاعة في الحواصل السلطانية فنهبوا أشياء كثيرة من قماش وسلاح وخيول وغير ذلك مما نقله الاشرف جان بلاط الى القلعة من أغنام وأبقار وبسماط وسكر واحتياج المطبخ وغير ذلك ثم انه في ذلك اليوم رسم العادل بالاقراج عن القاضي بدر الدين بن مزرهر كاتب السر وكان الاشرف جان بلاط سجنه بالعرقانة وقرر عليه ماله صورة وأقام بالعرقانة مدة طويلة فأفرج عنه ونزل الى داره في ذلك اليوم فلما حصلت هذه النصر من غير قتال مهول ركب العادل طومان باي من بيت تافى بك قراو على رأسه الصنح السلطاني وصعد الى باب السلسلة من غير مانع وملكه وكان من أمر سلطنته ما سيأتي الكلام عليه في موضعه في أثناء ذلك اليوم قبض على الاشرف جان بلاط قيل وجدي مكان مهجور بدور الحرير فأمسك من هناك فلما قبضوا عليه أدخلوه الى قاعة البحرة وقيده بقميد ثقيل ووكلاويه جماعة من الخاصكية وفيهم شخص من عماليك ابردى الدوادار فصل للاشرف جان بلاط منه غاية الضرر والبهدة وما لا خفيه فكان كما يقال في أمثال الصادح والباغم

عند تمام المرء يبدونقصه * وربما ضر الحريص حرصه

﴿وهنا﴾

كم عشت في لذة عيش وهنا * فاصبر الآن لهذه المحنا

ثم نقل الاشرف جان بلاط من البحرة الى المبيت الذي يجوار المقعد الذي بالحوش فأقام نحواً من ثمانية عشر يوماً وقيل كان تأخير الاشرف جان بلاط هذه المدة لأجل ان يورد ما قرره عليه العادل من المال فلما كان يوم الاثنين خامس رجب توجهوا بالاشرف جان بلاط الى السجن بشغرا الاسكندرية فترلوا به من باب الدرفيل وقت الظهر وهو مقيده وخلقه أوجاقى يخرج فتوجهوا به من جهة الجحرا الى البحر فترلوا به في الحراقة وساروا الى الاسكندرية وكان المتسفر عليه الامير انس باي أحد المتقدمين والامير قان بردى أحد الاعراة العشراوات وجماعة من الخاصكية فتوجهوا به الى الاسكندرية ورجعوا وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ستة أشهر وثمانية عشر يوماً وكان في هذه المدة في غاية الضنك مع الامير طومان

بأى وآخر الأمر وثب عليه وخلعه من السلطنة وحاصره وهو بالقلعة نحو من سبعة أيام
فانه دخل الى القاهرة يوم السبت حادى عشر هذا الشهر وهو حادى الآخرة ومالك القلعة
يوم السبت ثامن عشر وتعب في تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من كل صنف
كما تقدم وظن ان حصار القلعة يطول فافاده ذلك شيئا وكان الاشرف جان بلاط أرشل
غليظ القلب قليل الحظ عسوف الماحصل منه في مدة سلطنته للناس غاية الضرر من
المصادرات وأخذ الأموال ولو أقام في السلطنة لحصل للناس منه غاية المشقة من الظلم
والاذى فيجمل الله تعالى به ومن مساويه ما وقع له مع اقبردى الدوادار فانه كان من أعز أصحابه
وقيل ضبط ما وهبه له اقبردى فكان يذيق عن خمسين ألف دينار ثم بعد هذا الاحسان
انقلب عليه كأنه لم يعرفه وكانت صفته أبيض اللون طويل القامة مستدير الوجه أسود
الليحة جيل الهيئة حسن الشكل تولى الملك وله من العمر نحو من أربعين سنة وكان من
خواص الاشرف قايتباى وساعده الاقدار حتى تسلطن وأقام هذه المدة اليسيرة وآل
أمره الى أن خنق وهو مسجون بالبرج كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه انتهى
ما أوردناه من أخبار الاشرف جان بلاط وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل طومانباى بن قانصوه أبى النصر الاشرفى قايتباى

وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو التاسع عشر من ملوك
الجزيرة كسوة وأولادهم بالديار المصرية وكان أصله من كسى الجنس اشتراه قانصوه الجياوى
نائب الشام وقدمه مع جملة المماليك الى الاشرف قايتباى فأقام بالطبقة مدة طويلة ثم
أعتقه وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة المماليك السلطانية جدارا ثم بقى خاصكا
حازندار كس فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ثم بقى أمير عشرة فى دولة الناصر محمد بن
قايتباى ثم قرره فى نيابة الاسكندرية فى سنة اثنتين وتسعمائة وتوجه اليها وأقام بها مدة
يسيرة ثم عاد الى مصر ثم بقى مقدم ألف دوادار كبير فى دولة الظاهر قانصوه ثم بقى أمير
سلاح ودوادار كبير واستادار ووزيرا وكشف الكشاف ومدير المملكة فى دولة الاشرف
جان بلاط ثم ثم سافر لماعصى قصره نائب الشام فتسلطن هناك وعاد سلطانا كما تقدم
فلما دخل الى القاهرة وصحبته قصره وبقية النواب قام قصره بنصرته قياما حافلا وصار
ينفق على حفر الخنادق ويشيل التراب بالقفة على رأسه وكتفه هو ومماليكه مع الفقهاء
ونصب المكاحل على مدرسة السلطان حسن ووقف الرماة بالسندى الرصاص واستمر

يحاصر القاعة سبعة أيام فلما كان يوم السبت ثامن عشر هذا الشهر انكسر الاشرف
 جان بلاط عظيم العادل وملك باب السلسلة من غير مانع فلما سست قري باب السلسلة
 قبض على قاضي القضاة الشافعي محي الدين عبيد القادر بن النقيب و وكل به جماعة من
 الاوچاقية وقرر عليه ما لاله صورة فنزلوا به وهو ماش على أقدامه وحوله اوچاقية ورسـل
 قابضين عليه من اكلامه فتقوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فسهب العوام وكادوا أن
 يرجوه حتى جاء بعض الاتراك واستمر على ذلك حتى أتوا به الى بيت على بن أبي الجود البزار
 وكان ساكنا في ربيع الاشرف برسباي الذي بالصليبة فأقام هناك في الترسيم حتى يورد المال
 الذي قرر عليه وكان قد بلغ العادل ما رتبته من الاقسام المغلظة التي حلفها الاشرف
 جان بلاط للعسكر لما بلغ ابن النقيب سلطنة العادل بدمشق فانتقم منه العادل بسبب ذلك
 وعزله عن القضاء فكانت مدته في هذه الولاية ثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوما وسيعود
 الى القضاء ثانيا عن قريب وقد قلت في ذلك

ولو أشرف منصب يا قاضيا * لكان عدل الزمان ستسرخ
 طبخوا بنا العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

ثم ان الملك العادل طلب قاضي القضاة زين الدين زكريا فلما توجهوا اليه امتنع من الحضور
 واعتذر بأنه متوعل في جسده فلا زالوا به حتى أركبوه وطلعو به الى القاعة فخلع عليه
 العادل وأعادته الى القضاء عوضا عن ابن النقيب بحكم عزله كما تقدم ثم حضر قاضي قضاة
 الحنفية ابن الكركي وقاضي قضاة المالكية عبد الغني بن تقي وقاضي قضاة الحنابلة الشهاب
 الشيشيني ثم حضر أمير المؤمنين أبو الصبر المستمك بالله يعقوب فلما تكامل المجلس
 عملوا صورة شرعية في خلع الاشرف جان بلاط وولاية العادل طومان باي فخلع جان بلاط
 من السلطنة وبايع الخليفة طومان باي بالسلطنة وجدد له مبايعة ثانية زيادة على ما يده
 من مبايعته بالشام واستمر على لقبه بالعادل الذي تلقب به بالشام وكان أولًا تلقب بالملك
 المؤيد وهو بالشام ثم تحول لقبه الى الملك العادل فلما انكسر الاشرف جان بلاط كما
 تقدم وطلع العادل الى القاعة لم يجلس بالمفعد الذي يباب السلسلة بل طلع الى القصر الكبير
 وجلس به وحضر الخليفة العباسي والقضاة الاربعة ووقعت مبايعة عليه وأقيض عليه
 شعار الملك واجتمع عليه هناك الامراء والعسكر وأرباب الدولة قاطبة واستمر على ذلك حتى
 جلس على سرير الملك ورفع الزرد كاش القبة والطير على رأسه وكان قاضي بك الجمالي أمير
 كبير محتفيا وقبل له الامراء الارض قاطبة ثم خلع على الخليفة العباسي وكان ساكنا
 بالقاعة ثم قرر قصره في الاتابكية عوضا عن قاضي بك الجمالي بحكم اختفائه فخلع عليه
 في ذلك اليوم الفوقاني الذي كان الاشرف جان بلاط صنع له عند توجهه الى دمشق وكان

فوقاني حريراً زرق بوجه مخمل أخضر بطرز يلغاي عريض طوله ثلاثة أذرع في عرض
ذراعين ونصف قيل فيه من الذهب ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل مثله قط ثم قام العادل
لقصروه وقبيل رأسه ونزل من القلعة في موكب حافل فتوجه إلى الأزبكية بدار الاتابكي
أزبك وكان هذا كله عين الخداع من العادل في حق قصره كما سيأتي الكلام على ذلك في
موضعه فكان كما يقال في المعنى

إذا رأيت شيا لاليت كاشرة * فلا تظن بان الليث يتقسم

ثم ضربت له البشار بالقلعة وفودى باسمه في القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وكان
محبباً للناس ولا سيما العوام فزينت له القاهرة سبعة أيام متوالية وخرج الناس في القصف
والفرجة عن الحد حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وصار كل أحد في فرح بسلطنته
وافرجت تلك الفتنة عن الناس عن قريب وكان يظن كل أحد أن أمر الفتنة يطول
ويتسع فالأمر إلى خير بخمود الفتنة عن قريب فكان كما يقال

ملك نداه المبتدا * للناس والمدح الخبر

أمضى لسان سيفه * حكم القضاء والقدر

فلما تم أمره في السلطنة كان أول شيء صدر منه من الأفعال الشنيعة أنه قبض على خوند
أصل باي أم الناصر ووجه الأشرف جان بلاط وأخت الطاهر فأنصوه فوكل بها عشرة
من الخدام وقرر عليها نحواً من خمسين ألف دينار و قبل عشرين ألف دينار فباعت أشياء
كثيرة من قلنسها وأخذت في أسباب وزن ما قرر عليها من المال ثم انه عزل برهان الدين
ابن الكركي عن قضاء الحنفية وقرر بها الشيخ سري الدين عبد البر بن الشحنة وهذه أول
ولايته لقضاء الحنفية وفيه قرر قرقاس المقرئ في الحسبة فلما قرر بها قبض على محمد
الباسطي الذي كان متكلماً في الحسبة في دولة الناصر محمد بن قاي تبای فلما قبض عليه
ضربه بالمقارع في يوم شديد البرد وأشهره في القاهرة على جل فأسأطاً ذلك ومات عن قريب
وكان من الظلمة الكبار وفيه خلع على اسنبای الاصم وقرره في الجوى الثانية وقرر نوروز
أخايشبك الدوادار في رأس النوبة الثانية وقرر طومان الاشرف في الامير اخورية الثانية
وقرر القاضي عبد القادر القصري في نظار الجیش وصرف عنها الشهابي أحمد بن ناظر
الخاص وفيه رسم السلطان برم ما فسد من حيطان مدرسة السلطان حسن في مدة
محاصرة القلعة فرم ذلك جميعه وفيه توفي الشرفي يونس بن محمد أيبك أحد الزيد كاشية
وكان لا بأس به وفي ليلة الخميس مسهل رجب جرى من الحوادث الغريبة ان الاتابكي
قصره طلع إلى القاعة ليبيت عند السلطان وكان يبيت بالقلعة ليلة الاثنين وليلة الخميس في
تلك الايام فلما طلع على جاري العادة وأكمل السباط وجلسوا ساعة يتحدثون قال له

السلطان قلبى خائف منك يا أمير كبير فلما صلى العشاء مع السلطان أمر بعض الخاصكية بالقبض عليه فأقاموه من مجلس السلطان وتوجهوا به الى المكان الذى أنشأه الظاهر فأنصوه بجوار الذهبية فأقام هناك أياماً ثم أمر بنخقه فخنق تحت الليل وغسل وكفن وأنزلوه من باب الدرفيل فدفن في تربة الصاحب خشدق الزمام التى بالقرب من حوش العرب وكان قصره أميراً جليلاً رئيساً حشماً مهيئاً بمجلا وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة حلب ونيابة الشام والاتبكية بمصر وكان في أيام العادل له الامر والنهي في الموكب واذا نزل من القلعة يتوجه معه الامراء الى الازبكية وجميع قراء البلد والوعاظ وعزم على سائر الامراء في ليلة وعمل أسمطة حافلة جداً وحضر عنده جميع الامراء الكبارهم وأصاغرهم وباو اعنده وأنعم في تلك الليلة على جماعة من الامراء بخيول ومال حتى استمال قلوبهم وكان يوصف بالكرم الزائد مع الشجاعة فوعد العسكر بكل جيل فقالوا اليه وعولوا في السلطنة عليه فلما بلغ العادل ذلك المجلس استغتم الفرصة وبادر بالقبض عليه ونخقه تحت الليل ودفنه فكان كما قيل في الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصة * تصيران لم تنتهزها غصة

وقد قلت في واقعة قصره عدة مقاطيع منها

اعجبوا من أمر قصره الذى * ملكه بالشام جهلا قد ترك

وأنى مصر اقبال المنى * ورماء الدهر في وسط الشرك

﴿وقولى فيه﴾

كان قصره قصيرا عمره * خانه الدهر فولى مسرعا

طلبوا التسليم منه فأبى * ثم ما سلم حتى ودعا

﴿وقولى فيه أيضا مضمنا﴾

لم ينل قصره ما أمله * من علوفاته في دهره

رام كيد الملك عادل * فرما كيد في شجرة

ولكن كان العادل باغيا على قصره ووشيت بينهما الا عادي بالكلام حتى وقع بينهما ما جرى ما جرى من القتل وكان قصره سببا لنصرته بالشام وبمصر وكان في الحصار بمصر معه بكل ما يمكن كما تقدم وكان يشيل التراب مع الفعلة على كتفه عند حفر الخنادق وقت محاصرة القلعة عند حضوره من الشام وما أبقي ممكنا في نصرته العادل على جان بلاط وآخر الامر قتله ظمأ فلم يعش الملك العادل بعده الا أياما قلائل وقتل قال على كرم الله وجهه

من سل سيف البغي قتل به وفي الامثال

البغي داع ما له دواء * ليس للملك بعده بقاء

وكان بين العادل طومان باي وبين قصره أيمان غليظة وعهود ومواثيق وما كان قصره
يظن أن العادل يخون تلك الأيمان والعهود كما قيل

وحلفت أنك لا تميل مع الهوى * أين اليمين وأين ما عاهدتني

وكان قصره عفيفا عن المنكرات شجاعا بطلا حتى النفس غير أنه كان عنده طيش
ونخفة وسلامة باطن ومات وقد قارب الخمسين سنة من العمر ووزنه الشيب فلما مات تأسف
عليه الكثير من الناس وزال حب طومان باي من قلوب الناس كأنه لم يكن ولم يستحسن
أحد منهم قتله لقصره الذي كان سببا لنصرته فنشرت عنه قلوب الرعية وكان هذا على غير
القياس كما يقال

لا تشكرن امرأ حتى تجربته * ولا تذمنسه من غير تجرب

فشكرك المرء ما لم تجربه خطا * وذمه بعد شكر محض تكذيب

ويقرب من واقعة قصره مع العادل طومان باي ما وقع لسططمر حص أخضر وقطوبغا
الفخري مع الملك الناصر محمد بن قلاوون فان سططمر وقطوبغا الفخري كانا سببا لنصرته لما
حضر من الكرك فلما تسلطن قبض عليهما وقيد سططمر وقطوبغا ولم يرع لهما وذا ثم
أمر بتوسطهما عند عودته من الكرك ولم يكن لهما من الذنب ما أوجب ذلك وهذه
الافعال ما تصدر الامن جاهل أحق بعدم مجله المجانين وكانت هذه الواقعة في سنة
ثلاث وأربعين وسبعمائة وفعل العادل هذه الفعلة مع قصره بعد ما خدعه وألبسه
الاتاكية وخلع عليه وعلى الامراء الذين كانوا معه بالوظائف السنية منهم قيت الرحى
خلع عليه وقرره في امرية سلاح وقانصوه المحمدى البرجى خلع عليه وقرره في امرية مجلس
وقانصوه الغورى خلع عليه وقرره في الدوايرية الكبرى وخلع على قاني باي الرماح
وقرره في الامير اخورية الكبرى وخلع على طراباي الشريفى وقرره في الرأس نوبة الكبرى
وخلع على طشتم وقرره حاجب الحجاب وأنعم على جماعة بامريات تقدم ألوف منهم
خضربك أخوقانصوه البرجى أنعم عليه بتقديم ألف وطبختانات وعشراوات ووظائف
عن كان في عصبته وفيه قبض السلطان العادل على نخشبای الذي كان نائب حياه
ثم بقى مقدم ألف في دولة الاشرف جان بلاط وقبض على تراز جوشن أمير اخورثاني ثم
شفع فيه بعض الامراء فقرره بججويية الحجاب بدمشق وخرج من يومه ثم قبض على
جان بردى الغزالي كاشف الشرقية وعلى جماعة أخر من الامراء العشراوات والخاصكية
من كان من عصبه قصره وفي يوم الخميس ثامن رجب قبض السلطان على الامير قانصوه
البرجى المحمدى أمير مجلس وأمر بنفيه الى مكة المشرفة بطا لا فتوجه من البحر الملح ثم قبض
على قلیج نائب الاسكندرية وبعثه الى الشام بطالا وقبض على جان بلاط المور الذي كان

محتسبا ونفاه وفيه خرج الاشرف جان بلا طمغنيا الى ثغر الاسكندرية وهو مقيد كما
تقدم وفي يوم الجمعة عاشره عقد السلطان طومان باي على خوند قاطمة ابنة العلائي على بن
خاص بك زوجة الاشرف قايتباي فعقد لها عليه بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة
العقد وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على قان بردى اليوسفي بتقدمة ألف وقرره
في الدواديرية الثانية عوضا عن طرا باي الشريفي بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى
وفيه عمل الموكب وخلع على جماعة من الامراء فخلع على دولات باي المشهور ورياحي العادل
وقرره في نيابة الشام وقرر ارقاس بن ولي الدين في نيابة حلب عوضا عن دولات باي وخلع
على جانم بن قچماس وأقرره في نيابة طرابلس عوضا عن برد بك الطويل وخلع على الامير
سنباي نائب سيدس وقرره في نيابة حماه وخلع على قانصوه الفاجر وقرره في نيابة صفد وخلع
على ملاح الاشرفي قايتباي وقرره في نيابة القدس وخلع على قصروه الصغير وقرره في نيابة
البيرة وخلع على جانم وقرره في نيابة طرسوس فلما خلع عليهم استحسنهم في الخروج بسرعة
الى محل ولايتهم فخرجوا بغير اطلاق وفيه أمر بنقي جماعة من الامراء العشراوات الى
فحوقص منهم جان بردى الغزالي وقرر قاس قراو قايتباي وآخرون من الخاصكية وقيل
انه فقد منهم جماعة وفيه في يوم السبت سادس عشره خلع السلطان على جانيك السيني
اقبردى الدوادار وقرره في شادية الشراب خاناه وقرر طوخ المحدث في نيابة القلعة وقرر
عمر باي أحد خواصه في الخازندارية الكبرى وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء
بتقديم ألوف منهم طقطباي وما ماي جوشن وفيه حضر خير بك أخو قانصوه البرجي
وكان ممن سجن بقلعة دمشق مع الامراء المقدم ذكرهم فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف
واسمعت الاتابكية شاغرة من حين قتل قصروه فرسم السلطان للامير طرا باي أن يتكلم
في جهات الاتابكية حتى يقرر فيها من يختار وفيه عزل السلطان القاضي عبد البر الحنفي
وأعاد البرهان بن الكركي فكانت مدة القاضي عبد البر في القضاء أياما وعزل عنها وقد قلت
في ذلك

ولو كان قاضي القضاة لكن * جاؤا بالعزل عن قريب

فدّة الحكم من ذلك كانت * أقصر من جلسة الخطيب

ولما أعيد قاضي القضاة برهان الدين بن الكركي الى القضاء قلت في ذلك

بتقاضى القضاة استبشرت مصرفرة * بعودته في منصب للشرائع

فدقيل من أولى بمرتبة القضا * على مذهب النعمان من كل بارع

أشار اليه بالأيادي مليكة * وأوما اليه نيلها بالاصابع

وقد سعى ابن الكركي في عوده الى القضاء بحال له صورة وفيه اختفى شيخنا جلال الدين

السيوطى وقد طلبه ليقتل به وكان بينهما حظ نفس من حين كان السلطان العادل فى الدوا دارية الكبرى وجرى بينهما أمور شتى يطول شرحها فلما اختفى قرر السلطان الشيخ يس البلبيسى فى مشيخة الخانقاه البيبرسية عوضا عن الجلال السيوطى بحكم صرفه عنها وقد جاءت الاخبار بالقبض على مغلباى زجاج حاجب دمشق ونائب قلعتها أيضا ثم ان السلطان قرر فى بجوية دمشق برديك تفاح وقرقر بن جانم الظاهر فى بجوية حلب عوضا عن قرار جوشن وكانت حيلة عليه فلما خرج أرسل بالقبض عليه ومضوا به الى القدس بطالا وفى شعبان المبارك كانت تفرقة السلطان لنفقة البيعة وفيه حضر قاصد على دولات وعلى يده مكاتبات للسلطان تتضمن أنه أرسل يشفع فى الامير ارقاس نائب البيرة وكان فرأى ابن عثمان وعاد فأقام عند على دولات حتى شفع فيه عند السلطان وفيه عول السلطان بالقبض على الامير خشكادى البيسى فلما بلغه ذلك فر من داره واستمر مختفيا حتى جرى للعادل ما جرى وفيه طلع جهاز خوند الخاصكية الى القلعة فشق من الصليبة وكان يوما مشهودا وفى يوم الاثنين رابع الشهر المذكور جاءت الاخبار من نغسر الاسكندرية بقتل الاشرف جان بلاط مخنوقا وهو بالبرج بالاسكندرية قاتل الله من فعل به ذلك وكان قد أرسل العادل مرسومه على يد مصر باى الصغير الى نائب الاسكندرية بخنقه وهو فى قيده وقيل لما أرادوا خنقه أحدث فى ثيابه وصار تخيره كالشور العظيم فلما مات غسل وكفن وصلى عليه ودفن بمقابر الاسكندرية ثم نقل بعد موته كجاساى الكلام عليه فى موضعه وكان الاشرف جان بلاط ملكا جليلا وافر العقل جميل الهيئة وكان من خواص الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنوية منها تجارة الممالك وتقديم ألف والدوا دارية الكبرى ونياية حلب ونياية الشام والاتابكية بمصر ثم تولى السلطنة وأقام بها ستة أشهر وعثمانية عشر يوما وآل أمره الى أن مات مخنوقا بالسجن وقاسى شدا دوا محنا كما يقال فى الامثال

والمرء لا يدري متى يموت * فانه فى دهره مرتهن

ولمات الاشرف جان بلاط كان له من العمر زيادة على الاربعين سنة ولمات على تلك الحالة رثيته بهذه الايات

جان بلاط بداله * طالع النخس طرده

نجمه لاح مخبرا * بعكوس مؤبده

عند ما ظن انه * نال بالملك مقصده

جاء الموت عاجلا * فى بروج مشيده

وفى يوم الخميس سابع صعدت خوند الخاصكية زوجة الملك العادل طومان باى الى القلعة

نخرجت من بيتها الذي بقنطرة سنقر وهي في محفة زركش ومشى قدامها رؤس النوب
والحجاب والخاصكية وهم بالشاش والقماش ومشى أيضا قدامها الوالى ونقيب الجيش
وعبد اللطيف الزمام وأعيان الاكابر والمباشرين منهم كتاب السر صلاح الدين بن
الجميعان وعبد القادر القصرى ناظر الجيش وعلاء الدين بن الصابونى وناظر الخاص وبقية
المباشرين قاطبة وأعيان الطواشية منهم عنبر مقدم الممالك وآخرون من الخدام وكان
معها من نساء الامراء والاعيان نحو مائتى امرأة فلما وصلت الى باب الستارة فرشت لها
الشقق الحرير تحت حوافر بغال المحفة ونثر عليها خفاف الذهب والفضة وحمل الزمام
القبة والطير على رأسها حتى جلست بقاعة العواميد والنوبة السلطانية عمالة وكان يوما
بالقاعة مشهودا واستقر المهم بالقلعة عمال ثلاثة أيام وكان لها موكب حافل لما شقت من
الصليبية وكان قدامها المجمع السلطاني والبقع وطشت وابريق بلور ومدورة زركش ولم يتفق
لاحدى الخوندات قبلها أنها نزلت من القلعة وعادت اليها على هذا الوجه سوى هذه
وخوندا صلباى أم الملك الناصر ولكن هذه أعظم وأحكم موكبا وقلت في هذه الواقعة آياتا
لطيفة المعنى

عادت خوند الى سرور ثان * مذروجت بالعدل السلطان
في وجهها الاقبال والبشر الذى * يتناولون به بكل لسان
طلعت شمس الافق ضمن محفة * تجلى كحور العين وسط جنان
في موكب يحكى مواكب قيصر * فاقت على كسرى أنوشروان
لما أتت عند الصلوة والقلعة * نثرت عليها الدر كالعقيان
عادت الى الاوطان في بشروفي * عزواقبال وصفوزمان
نالت مراتب عزها مذاقبت * عاد السرد ورجع دم السكان
واستبشرت دار بها سكنت وقد * رقصت بها طربا على العيدان
وتبسمت أزهار أغصان الربا * فرحطهم فى روضة البستان
بحر السماح غدا براحة كفها * يروى العطاش بمنهل الاحسان
وتجود من فيض الندى بكارم * فيكون منه شفاء للظمان
فاته يكفيها مؤنة حاسد * ويطيّل أياما لها بآمان
ماماس غصن فى الرياض وكلات * أيدى الغمام شقائق النعمان

وقد عرضت هذه القصيدة على خوند واستحسنها وفيه خلع السلطان على طوخ الحمدي
وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن طقطباى بحكم اختفائه وفيه قرر شمس الدين أبو النصر
فى كتابة الخزانة مشاركا لصلاح الدين بن الجميعان وفيه قبض السلطان على القاضى ناظر

الجيش عبد القادر القصري و وكل به وخلع على القاضي شهاب الدين أحمد وأعادته الى نظر
الجيش عوضا عن القصري وفيه رسم السلطان الامير خشكادي اليسقي أن يتوجه
وفيه تغير خاطر السلطان على الامير اصطمر بن ولي الدين وقصد الاخراق به لكونه صهر
اليسقي وصار محقوتا عنده وفي مستهل رمضان رسم السلطان للخليفة أن ينزل ويسكن بداره
وكان للملك الاشرف جان بلاط رسم له أن يسكن بالقلعة وفي يوم الاثنين خلع السلطان على
المقر البدرى بدر الدين محمود بن أجا الحلبي الخنقي وقرره في كتابة السر بالديار المصرية عوضا
عن صلاح الدين بن الجيعان بحكم استعفائه منها وقد تقدم للبدرى محمود أنه ولي قضاء
الحنفية بحلب غير ماهرة وكان والده القاضي شمس الدين محمد بن أجا الحلبي رئيسا حشما
من الاعيان وتولى قضاء العسكر في أيام الاشرف قايتباي وكان من خواص الامير يشبك
الدوادار ورأى الاوقات الحيدة وفيه توفى العلاق على بن الصابوني ناظر الخاص وهو على
ابن أحمد بن محمد بن سليم البكري الدمشقي الشافعي وكان رئيسا حشما وتولى عدة وظائف
سنية منها قضاء الشافعية بدمشق ووكالة بيت المال ونظر الخاص بمصر ومات وله من العمر
خمس وثمانون سنة فلما مات خلع السلطان على علاء الدين علي بن حسن الامام وكان من
جمله مباشرى الخاص وتولى نظارة الطور وكانت نظارة الخاص تعينت الى ناصر الدين
الصقدي ثم تحولت الى علاء الدين بن الامام وفيه أنفق السلطان الكسوة على العسكر
على العادة وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه قرا الذي كان كاشف الشرقية ثم
بقي نائب غزة وقرره في نيابة حلب فاستعظم الناس عليه ذلك ولما مو السلطان على هذه
الفعلة فخرج اليه بالتقليد شخص من بعض الدوادارية يقال له ايدكي وفيه قرر السلطان
في نيابة غزة على باي السيفي بن يشبك عوضا عن قانصوه الشهير بقرار جله بحكم انتقاله الى
نيابة حلب وقرر بباي المؤيدي في دوادارية السلطان بدمشق وفي نظارة الجيش بها أيضا
حتى عد ذلك من النوادر وقرر قانصوه الجبل في الاتابكية بدمشق عوضا عن قرقاس التمني
بحكم صرفه عنها وفيه مات فجأة كسباي المغربي الايتالي أحد الامراء العشراوات وكان
لابأس به وفيه تزايد شر العادل وصار يكبس البيوت والحارات بسبب الامراء الذين
اختفوا منه وهم صرباي وطقطباي وقرباي وكرتباي وخشكادي وجماعة آخرون
وصار طراباي وأنس باي وبيبرس البهلوان وقان بردي الغوري وأزبك النصراني ووالى
الشرطة يطوفون بعد العشاء ومعهم جماعة وافرة من عماليك السلطان فيشوشون على
الناس ويكبسون عليهم البيوت تحت الليل ويسبون حرعهم فحصل للناس الضرر الشامل
بسبب ذلك فما كان عن قريب حتى هرب العادل واخفى وصاروا يكبسون عليه البيوت
والحارات ويطلبونه أشد الطلب وكما يدين الفتى يدان وفيه حضرت الى القاهرة

زليخا خاتون ابنة خليل بن حسن الطويل ملك العراقين حضرت تروم الحج فأكرمها
السلطان ورسم لها بعل برق وفيه كان ختم الجارى بالقلعة واجتمع القضاة الاربعة وأرسل
السلطان خلف قانصوه الغورى أمير دوا دار كبير وقيت الرحى أمير سلاح وكان يوما حافلا
فلم يحضر قانصوه الغورى ولا قيت الرحى وقد أحسب اجماعا على السلطان من مسكه
وفيه دارت عدة طواشية على الخيل وأشيع بالعرض للعسكر وان السلطان يريد القبض
على جماعة من الجند والمماليك فتخيلوا من ذلك ولم يطلع أحد منهم الى القلعة وقد تغيرت
عليه خواطر العسكر قاطبة وفيه أخرج السلطان جماعة من مماليكه وسماهم العادلية
وقد استمر الحال في اضطراب الى يوم الاحد سلخ شهر رمضان فلبس العسكر آلة السلاح
ووثبوا على العادل وكان القائم بهذه الفتنة قيت الرحى ومصر باى فلما اتسعت الفتنة
ظهر جماعة من الامراء المختفين منهم خشكلى البيسى وجان بردى الغزالى وآخرون من
الامراء ممن كان مختفيا فلما تحقق العادل أن الركة عليه نزل الى باب السلسلة وعلق
الصنحج السلطاني ونادى للعسكر أن تطلع الى القلعة فلم يطلع اليه أحد من الامراء ولا من
العسكر ولم يكن عنده أحد من الامراء سوى الامير قان بردى الدوادار الثانى أحد المقدمين
وكان من عصبته ومن خواصه وقد أشيع بين الناس أنه سيولى الاتاكية عوضا عن
قصره وكان عنده قرقاس المقرى المحتسب وطراى باى رأس نوبة كبير وأنس باى وآخرون
من الامراء وبعض مماليك سلطانية جلس في المقعد المطل على الرملة فلم يطلع اليه أحد
من العسكر وفي ذلك اليوم وقع قتال هين وجرح الامير اقبردى في وجهه فلما كان وقت
الغروب من سلخ شهر رمضان نزل الامير قان باى الرماح من باب السلسلة ومعه ماماي
جوشن ونزل طراى باى وأنس باى فلما رأى ذلك من كان عند العادل من المماليك السلطانية
تسحبوا جميعا وامت الكسرة على العادل فلما دخل الليل قام ونزل من القلعة واختفى
وكانت ليلة عيد الفطر فاضطربت الاحوال ولا سيما في تلك الليلة وقد قلت في المعنى

في ليلة العيد أقي * سلطانا كل الضرر

فلم تكن كسرة * الا كلمح بالبصر

وكان سبب هذه الفتنة انه قد أشيع بين الناس في ليلة العيد أن السلطان قد عول على مسك
جماعة من الامراء يوم العيد وهم في الجامع فلما بلغهم ذلك وثبوا عليه تلك الليلة فلما نزل
من القلعة واختفى وقع النهب في الاصطبل السلطاني والزرذخاته فنهب منها أشياء كثيرة
بنحو من ستين ألف دينار على ما قيل فلما كان يوم العيد لم يصل أحد من الامراء صلاة العيد
واشتهغل كل أحد بما هو فيه ووقع الخلق بين الامراء فيمن الى السلطنة وكان من الامر
ما سئد كره فكانت مدة السلطان الملك العادل طومان باى بالديار المصرية ثلاثة أشهر

وعشرة أيام خارجا عن سلطنته بدمشق وكان ملكا جليلا مهيبا مجلا يولى الملك وقد جاوز
الاربعين سنة وكانت صفته طويل القامة أبيض اللون مشربا بحمرة مدقورا الوجه مستدير
اللحية أسود الشعر الغالب عليه الشقرة وكان ممثلي الجسد جميل الهيئة وافر العقل شديد
الرأى غير انه كان سفا كاللدماء عسوفانظا لما قتل الاتابكي قصروه ظلما وأرسل بختق
الاشرف جان بلاط وهو بالبرج وعول على خنق الظاهر فأنصوه أيضا وهو بالبرج ولا يكن
كان في أجله تأخير ونفي جماعة كثيرة من الامراء والخاصكية والماليك في هذه المدة
اليسيرة ولودام في السلطنة لوقع منه أمور شتى وكان يقتل غالب الامراء وثلاث العسكر
وكانت مدة سلطنته كلها شرو وروقتن مع قصرها وآخر الامر هرب واختفى واستمر مختفيا
حتى ظهر وقبض عليه وقطعت رأسه كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه وآل الامر الى
أن خلع من السلطنة وتسلطن بعده فأنصوه الغوري كما سذك في محله انتهى ما أوردناه
من أخبار دولة الملك العادل طومانباي وذلك على سبيل الاختصار وقد قلت

لله تاريخ له * كل التواريخ تحسد
كادت تذوب لقهرها * لكناها تتجلد

﴿وقلت أيضا﴾

وتاريخ يفرق كل هم * ويعت كل بشر بعد غم
اذا سرح طرفي فيه يوما * رعى شيطان أحراني بسهم

﴿وقال بعضهم﴾

اذا عرف الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * الى الحشر ان أبقي الجليل من الذكر
فكن عالما أخبار من عاش وانقضى * وكن ذا نوال واغتم أطول العمر

تم الجزء الثاني من تاريخ مصر لابن اياس المسمى بدائع الزهور في وقائع الدهور ويليه في
أول الجزء الذي بعده ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة

﴿تبينه﴾

جميع النسخ التي بأيدينا من تاريخ مصر لابن اياس تنقص أغلب مدة سلطنة الغوري وذلك
من اثنا عشر سنة وتسعمائة الى اخر سنة احدى وعشرين وتسعمائة

فهرست
الجزء الثالث
من تاريخ مصر لابن اياس

(فهرست الجزء الثالث وهو الاخير من تاريخ مصر
لابن اياس)

صفحة	
٢	سنة ٩٢٢
٦٨	ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر طومانباي
٩٩	سنة ٩٢٣
١٠١	ذكر سلطنة الملك المظفر سليم شاه ابن السلطان أبي يزيد
١٣١	ذكر ولاية الامير خير بك على مصر
١٤٧	ذكر من توجه في هذه السنة الى القسطنطينية من اعيان رؤساء الديار المصرية
١٤٩	سنة ٩٢٤
١٨٥	سنة ٩٢٥
٢٠٩	سنة ٩٢٦
٢٣٦	ذكر سلطنة الملك المظفر سليمان ابن الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان
٢٤٥	سنة ٩٢٧
٢٧٨	سنة ٩٢٨
٣١٨	ذكر ولاية الوزير مصطفى باشا على مصر عوضا عن خير بك

الجزء الاخير من تاريخ مصر

—•••—

المشهور ببداية الزهور في وقائع الدهور

أليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن إياس
الحنفى المصرى رحمه الله تعالى
آمين

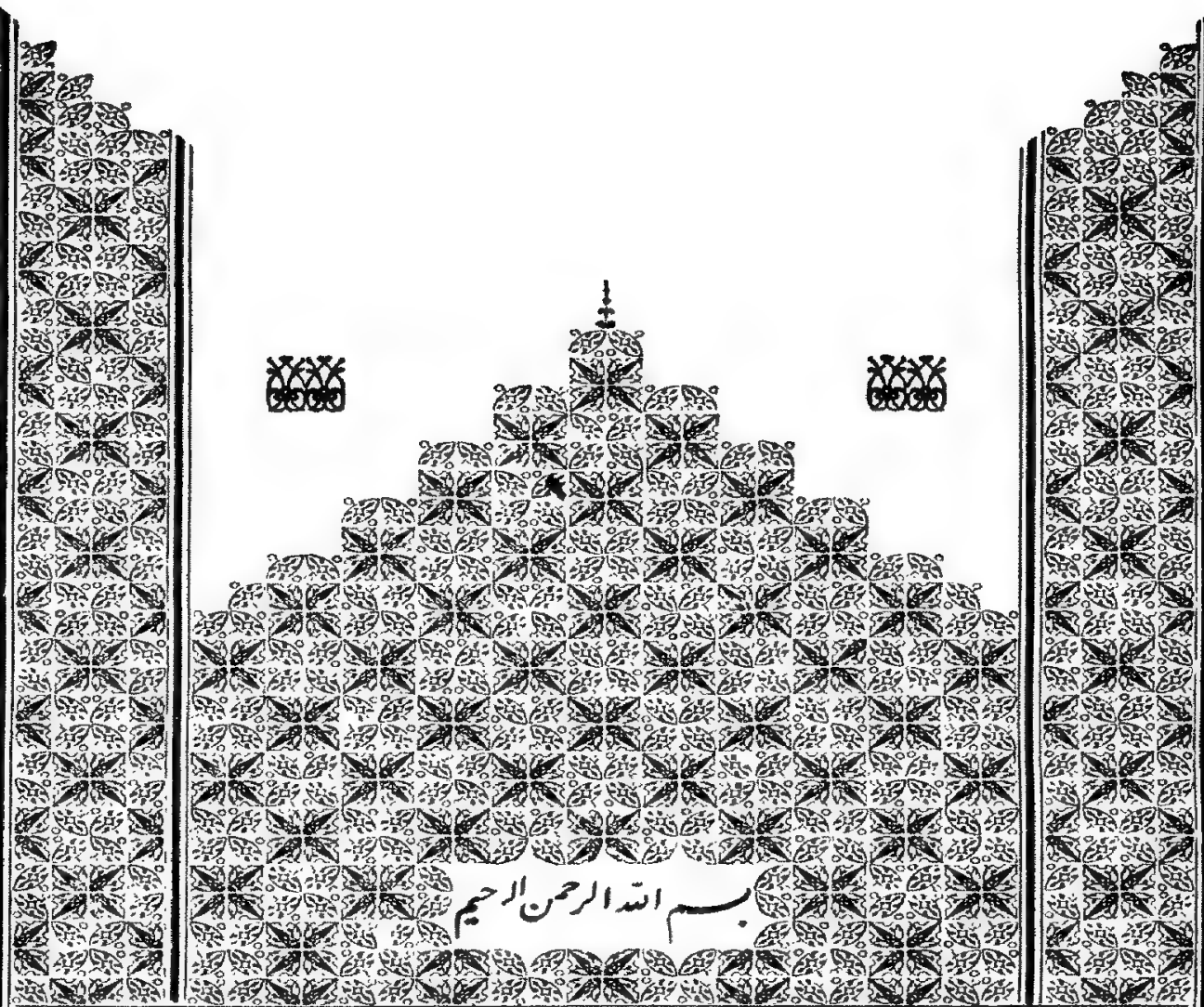
﴿طبع على نفقة الكتبخانة الخديوية﴾

(الطبعة الاولى)

بالطبعة الكبرى الاميرية ييولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٢

هجريه



مناقب الاشرف الغوري قد شرفت * على جميع ملوك الارض في الخبر
لانه العقد في جسد الملوك ولا * تقاس قط عقود الجزع بالدرر
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة المباركة فكان مستهل المحرم يوم الاثنين وكان
يومئذ خليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن أمير المؤمنين المستمسك بالله
يعقوب عز شرفهما ووسلطان مصر يومئذ الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره
(وأما السادة القضاة الاربعة) فالقاضي الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي الحنفي
قاضي القضاة حسام الدين محمود ابن قاضي القضاة سري الدين عبد البر بن الشحنة
الحلبى والقاضي المالكي قاضي القضاة محيى الدين ابن قاضي القضاة برهان الدين الدميرى
والقاضي الحنبلى قاضي القضاة شهاب الدين الفتوحى أيد الله بهم الاسلام
(وأما الامراء المقدمون) فكانت عدتهم يومئذ ستة وعشرين أميراً مقدمي ألوف منهم
أرباب الوظائف ستة وهم الاتابكي سودون الجحى أمير كبير وكانت يومئذ امرية السلاح

شاعرة والامير ار كاس بن طراباي أمير مجلس والمقر الناصري محمد نجل المقام الشريف
 أمير اخو كبير والامير سودون الدوادار رأس نوبة النوب والامير انسباي بن مصطفى حاجب
 الحجاب والامير طومان باي بن قانصوه ابن أخي السلطان أمير دوادار كبير وقد جمع بين
 الدوادارية الكبرى والاستادارية العالية وكشف الكشاف (وأما الامراء المقدمون غير
 أرباب الوظائف) فهم الامير بنحشباي بن عبد الكريم نائب طرابلس كان والامير قانصوه
 ابن كسبباي بن سلطان حر كس المعروف بابن اللوقا والامير عمر الحسن المعروف بالزرد كاش
 والامير قانصوه أبو سنة الوالي كان السيفي يشبك وقيل ان السلطان عين له مقدمة الامير
 حسين نائب جدة وتوجهت اليه البشائر بهما قبل والامير طقطباي العلاني نائب القلعة
 والامير قانصوه كرت بن عتر باي والامير جان بلاط المحمدي المعروف بالموترو والامير ثاني بك
 النجمي والامير ار زملك الشريفي الناشف والامير ثاني بك بن يشبك المعروف بالحلزندان
 والامير قانصوه يشبك المعروف برجلة نائب قطيا والامير خير بك السيفي اينال والامير
 قانصوه الفاجر والامير از بك بن طراباي المعروف بالمكحل والامير بيبرس ابن عبد الكريم
 والامير أبرك الاشرفي والامير علان بن قراجا وقد جمع بين التقديم والدوادارية الثانية
 والامير خدابردي الاشرفي نائب الاسكندرية والامير أقباي بن قانصوه وقد جمع
 بين الامير اخورية الثانية والتقدمة والامير خير بك العلاني المعروف بالمعمار
 (وأما نواب البلاد الشامية والحلبية) فالمر السيفي سيباي بن بخت نجا والمقر السيفي
 خير بك بن بلباي نائب حلب وعزاز الاشرفي نائب طرابلس وجان بردي الغزالي نائب حماه
 ويوسف الذي كان نائب القدس انتقل الى نيابة صفد ونائب غزة دولات باي وقد أضيف
 اليه نيابة القدس والكرنك مع نيابة غزة وأما الامراء الطبختانات من أرباب الوظائف
 فالامير يوسف الناصري الذي كان نائب حماه شاد الشرا بختانة الشريفة والامير مغلباي
 الشريفي الزرد كاش الكبير والامير نوروز تاجر الممالك والامير قانصوه بن دولات بردي
 استادار الحربية والامير قاني بك بن بنحشباي رأس نوبة ثاني والامير طومان باي قرا
 حاجب ثاني والامير كرتباي الاشرفي والى الشرطة والامير ازدمر المهمندار والشريفي
 يونس نقيب الجيوش المنصورة والامير بنحشباي قرا شاد الشون والامير يونس الترجمان
 وعلم المعلمين البدرى حسن بن الطولوني ولكن الوظيفة بيد ولده أحمد من حين كف بصره
 وانقطع وأما الامراء الرؤس نوب فكان يرون لم نوردهم هنا خشية الاطالة (وأما أرباب
 الوظائف من أعيان المباشرين المتعممين) فالمر القاضى المحي محمود بن أجا الحلبي كاتب
 السر الشريف ناظر ديوان الانشاء أعزه الله ونائبه المقر الشهابي أحمد بن الجيعان والمقر
 القاضى محي الدين عبد القادر الشهير بالقصروي ناظر الجيش الشريف والزني

عبد القادر وأخوه أبو بكر أولاد الملك مستوفيا ديوان الجيوش الشريف والمقر العـ لاق
على ابن الامام ناظر الخاص الشريف وناظر الاوقاف وكانت الوزارة يومئذ شاغرة من حين
عزل عنها يوسف البدرى فكان حينئذ القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة ومتكلم
في ديوان الوزارة وقد جمع بين تطارة الدولة وكتابة الممالك وكانت وظيفة الاستادارية يومئذ
بيد الامير طومان باى الدوادار والقاضى أبو البقاء ناظر الاصطبل الشريف ومستوفى
ديوان الخاص والقاضى عبد الباسط تقي الدين ناظر الزردخانه والقاضى عبد الكريم بن
الادعى مستوفى الزردخانه والقاضى زين الدين بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة
وغير ذلك من الوظائف والامير شرف الدين يونس النابلسى استادار العالية كان وناظر
الاحباش بدر الدين العيسى ونقيب الاشراف السيد الشريف افضل الدين محمد والآن
صار متحد ثنائى استيفاء ديوان الجيش الشامى والقاضى كريم الدين أخو القاضى شرف
الدين أحمد بن الجيعان والشمسى محمد بن القاضى صلاح الدين بن الجيعان متحد ثنائى
الخزائن الشريفة والشمسى محمد بن ابراهيم الشرايشى متحد ثنائى وظيفة الزمامية
والعلاقى على البرماوى متحد ثنائى جهات الديوان المفرد ووردارية السلطان وعبد العظيم
الصيرفى متحد ثنائى الشئون السلطانية وأمر العليق وغير ذلك من المباشرين وأعيان الدولة
(وأما الأعيان من الخدام الطواشية) فان وظيفة الزمامية لها مدة وهى شاغرة من حين توفى
الامير عبد اللطيف الزمام والآن الامير بشير بن مصطفى رأس نوبة السقاة والامير
مرهف بن قانصوه ساقى خوند والامير سنبل العثمانى مقدم الممالك ونائبه جوهر الرومى
والامير سرور الحسى شاد الخوش الشريف وغير ذلك من أعيان الخدام وفي هذه السنة
تكاملت خاصكية السلطان نحو ألف ومائتى خاصكى من مشترواته فقرر منهم جماعة
أرباب وظائف ما بين دوا دارية سكنين وسلحدارية وزردكاشية وأمر أخورية وسقاة وغير
ذلك من الوظائف وقد تكامل في هذه السنة من الامراء الطب لخنات والعشراوات فوق
الثلثمائة أمير وقد كثر العسكر وقلت الرزق انتهى ذلك ولما كان مستهل الشهر يوم
الاثنين جلس السلطان في الميدان وطلع اليه الخليفة والقضاة الاربعة فهنوا السلطان
بالعام الجديد ورجعوا الى دورهم ثم في ذلك اليوم نزل الزينى بركات بن موسى المحتسب
وصحبته الامير كرت باى والى القاهرة وأظهروا المناداة فى القاهرة بآلان والاطمئنان
والبيع والشراء وأن لا أحد من الناس يكثر الكلام وان كل شئ على حكمه يعنى فى أمر
المشاهرة والجماعة التى قررت على الحسبة وأن لا أحد من الناس يخرج من بعد العشاء
بسلاح ولا يتزايرو ولا يغطى وجهه فى الاسواق ومن فعل ذلك شق من غير معاودة وأن
لا أحد من الناس يحتمى على المحتسب وقد تقدم القول بأن الممالك الجلبان آثار وافتنة

كبيرة حتى حنق منهم السلطان وتوجه الى المقياس وأقام به ثلاثة أيام فشت الامراء بينه وبين عماليكه بالصلح على أن يعزل الوزير يوسف البدرى من الوزارة والامير كرتباى من الولاية والزى بنى بركات بن موسى من الحسبة ويبتل المشاهرة والمجاعة التى قررت على السوق أرباب البضائع وقد تقدم القول بما كان سبب ذلك فلما أن طلع السلطان الى القلعة وبات بها أصبح فامر بأن ينادى فى القاهرة بما تقدم ذكره ولم يفعل شيئا مما وقع عليه الاتفاق مع المماليك الجلبان فشت عليهم - م - هذه المناداة وأشيع بانارة هذه الفتنة ثانيا وكثر القال والقليل بين الناس وكانت الناس استبشرت بإبطال المشاهرة والمجاعة فلما نودى بأن كل شئ على حكمه نزل على الناس جرة بسبب ذلك وفى يوم الثلاثاء ثانى الشهر جلس السلطان فى الخوش وعرض أغاوات الطباق فلما وقصوا بين يديه وبخهم بالكلام وقال لا تسمعوا للمماليك القرانصة كلاما لانهم يرمون بئى وينكم ولا تسمتوا العدو فبينما وابن عثمان متحركا ليئنا ولا بد من خروج تجريدة له عن قريب فخصلا ومعهكم ذهبيا نفعكم اذا سافرتم والذى هو منكم متزوج يطلق زوجته حتى لا يبقى وراءكم التفاتة اذا سافرتم فى التجريدة فلما سمعوا ذلك شق عليهم وقصدوا أن يشيروا فتنة فى ذلك اليوم وتزايد الاضطراب ولهج الناس بوقوع فتنة عظيمة وقد نوع المماليك بركات بن موسى المحتسب بالقتل لانه لما نزل فى ذلك اليوم ونادى بأن كل شئ على حكمه وتخلقت جماعته بالزعفران فى عمامتهم وشق فى القاهرة تنكد المماليك الجلبان لذلك وقالوا لم يطلع بأيدىنا من الاتفاق شئ وخلق جماعته بالزعفران جكاره فيئنا والله ما نرجع حتى نقتله وقد تقدم القول بأن المماليك قالوا للسلطان سلم لنا ابن موسى المحتسب نقتله بسبب غلوا البضائع من كل شئ فى الاسواق وفى يوم الاحد سابعه توفى الشرفى يحيى ابن القاضى صلاح الدين بن الجيعان وكان شابا حسن الشكل ضخيم الجسم ومات وله من العمر نحو عشرين سنة وكانت جنازته حافلة وفى أثناء ذلك اليوم ركب الزينى بركات بن موسى المحتسب وشق القاهرة وقبض على جماعة من السوق أرباب البضائع وضربهم ضربا مبرحا وأشهرهم فى القاهرة وأشهر المناداة فى ذلك اليوم وسعر اللحم والدقيق والخبز والاجبان وسائر البضائع وكل ذلك خوفا من المماليك الجلبان وفيه حضر الى الابواب الشريفة قاصدا من عند سوارشاه الذى تعصب له ابن عثمان عوضا عن دولات فاحضر صحبته مقدمة فشرية للسلطان وجودها وعدمها سواء وهى خمسة عشر رجلا بخانى وثمان أكاديش وستة بغال من غير زيادة على ذلك وأرسل يترفق للسلطان فى مطالعته فاستشار السلطان الامراء بأن يقبل منه تلك التقديم أم يردا عليه فاقامت الامراء عند السلطان الى قريب الظهر ولم يعلم أحد ما وقع عليه الاتفاق

في ذلك اليوم وفيه خرج الامير طومان باي الدوادار وصحبته الامير ارزمك الناشف
أحد الامراء المقدمين فتوجهوا الى جهة الفيوم ليكشفوا عن الجسر الذي هناك وقد قيل
انه لما كان النيل عاليا في هذه السنة انقلب وكان السلطان قبل وقوع فتنة المماليك المتقدم
ذكرها قصداً أن يسافر الى الفيوم بنفسه ويكشف عن أمر هذا الجسر فاتم له ذلك فرسم
الى الامير الدوادار بأن يتوجه الى هناك ويكشف عن أمر هذا الجسر وفيه نادى
السلطان للعسكر بأن يطأوا الى القلعة بسبب اللحوم المنكسرة فطاع الجلم الغفير من
العسكر الذين معهم ووصول باللحم المنكسر وقد نتجمد للعسكر من اللحوم المكسورة في
ديوان الوزارة فوق أربعين ألف دينة رقتل أمر هذا على السلطان وفيه نادى السلطان بأن
الوزير يوسف البسدرى يظهر وعليه أمان الله تعالى وكان محتفياً من حين توعدته المماليك
الجلبان بالقتل فظهر في يوم الثلاثاء تاسع معه فلما قابل السلطان خلع عليه كملية بسمور
ونزل الى داره وفي يوم السبت ثالث عشره رسم السلطان بتوسيط خمسة أنفار من المنسر
الذي شاع أمره في القاهرة وقد قبض عليهم شيخ العرب بن أبي الشوارب فرسم السلطان
بتوسيطهم في ذلك اليوم وكان فيهم شخص يسمى أبو عزرائيل وهو كبيرهم فوسطهم
أربعين وفي هذا الشهر وأو الذي قبله كانت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى الولي المعتقد
سيدي محمد بن عثمان رحمة الله عليه وكان من أعيان المشايخ الصوفية وله شهرة بالصلاح
والاعتقاد بين الناس وفي يوم الاثنين خامس عشره حضر الى الابواب الشريفة الامير
قانسوة جانية وكان قد توجه الى طرابلس بسبب المشاة من العربان الذين يخرجون أمام
العسكر في التجربة فاحضر الاموال صحبته ودخلت الى الخزانة الشريفة وفي يوم الثلاثاء
سادس عشره ابتدأ السلطان بفرقة اللحوم التي كانت مكسورة للعسكر فصار يستدعيهم
واحد بعد واحد مثل فرقة الجامكية وكان فيهم من له عشرة أشهر مكسورة وفيهم من له
أربعة وفي يوم الخميس ثامن عشره كان دخول الامير قاي تباي أحد الامراء الطبليخانات
وهو قريب زوجة الاتابكي قائم التاجر على ابنة الامير طقطب باي نائب القلعة أحد المقدمين
فكان هذا العرس من الاعراس الحافلة قيل اجتمع فيه من المغنيات خمس وعشرون
رئيسة ومدوا فيه أسمطة حافلة من الاطعمة الفاخرة وصنعوا فيه شموعاً مزهرة بين
وشامات وكان من المهمات المشهورة وفي يوم الاثنين ثاني عشره دخل أمير ركب
الحاج الاول وهو المقر العلاء على ابن الملك المؤيد أحمد فخلع عليه السلطان ونزل الى
داره في موكب حافل وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره دخل الامير علان أمير حاج
ودخل صحبته المحمل الشريف وكان يوماً مشهوداً فطلع الامير علان الى القلعة وخلع عليه
السلطان خلعة سنية ونزل الى داره في موكب حافل وقد أثنى عليه الحاج خيراً كثيراً بما

فعله في طريق الجواز من وجوه البر والصدقات وقد حصل في هذه السنة للعجاج مشقة عظيمة في مغارة شعيب بسبب السيل الذي نزل عليهم هناك وهلك من الجحاح في هذه السنة جماعة كثيرة وكان معهم الغلام موجودا وكانت العربان طافشة في درب الجواز ولا سيما ما وقع للبشر في هذه السنة وقد تقدم القول بأن العربان عزوه وأخذوا كل مامعه حتى كتب الجحاح فلم يصل لاحد من حاجه في هذه السنة كتاب ولا علم لهم خبر ولما حضر الامير علان أشيع انه قبض في مكة على شخص يقال له المعلم احمد الشامي وكان أصله من عتالين الزرد خاناه فوجد معه مالا يتجرفيه في مكة فلما بلغ أمره الامير علان قبض عليه وكان له رفيق فهرب من هناك فلما دخل احمد الشامي هذا الى القاهرة أسفرت القضية عن كونه سرق العملة الضائعة التي كانت بالقلعة وسرقت من مال السلطان وهي اثنا عشر ألف دينار وقد تقدم الكلام على ذلك وأن السلطان غرّمها للمعلم يعقوب اليهودي مع علم دار الضرب فلما حضر احمد الشامي بين يدي السلطان اعترف بذلك فسلمه السلطان للوالي يعاقبه حتى يستخلص منه المال الذي أخذه ثم ان احمد الشامي أقر على شخص كان معه لما أخذ المال وهو كان بالقاهرة مقيما فلما أقر عليه خاف على نفسه من العقاب فارسل للسلطان أربعة آلاف دينار وقال هذا هو القدر الذي نأخذ من المال ولم يخصني شيء غير ذلك فلم يكتف منه السلطان بذلك ورسم عليه وشكه في الحديد حتى يحضر بقية المال وكان هذا الشخص من معلمى دار الضرب أيضا وقد ظهر هذا المال الذي سرق من دار الضرب بعد مدة طويلة فعند ذلك من جملة سعد السلطان وفي يوم الخميس خامس عشرية حضر قاصد من عند ملك الحبشة وكانت قصاصه مملوك الحبشة لهم مدة طويلة لم يدخل منهم أحد الى مصر وقد دخل قاصد من عند ملك الحبشة في دولة الملك الاشرف قايتباي وذلك في سنة ثمانين وثمانمائة ومن بعد ذلك لم يدخل قاصد من عند مملوك الحبشة سوى هذا القاصد لان بلادهم بعيدة وما لهم شغل في مصر فلما حضر هذا القاصد عمل له السلطان موكبا بالحوش من غير شاش ولا قاش كما تقدم للاشرف قايتباي فجلس السلطان على المصطبة التي أنشأها بالحوش ونصب على رأسه السحابة الزركش واصطفت الامراء عن عينه وشماله كل واحد منهم في منزلته ثم طلع القاصد من الصليبة وصحبته الامير ازدمر المهندار وجماعة من الرؤس النوب ومن المماليك السلطانية وغير ذلك وكان القاصد معه من أعيان أمراء الحبشة نحو خمسة أنفار والبقية كلهم ليسوا من الأعيان وفيهم من هو عريان مكشوف الرأس وعلى رأسه شوشة شعر وفيهم من في أذنه حلق ذهب قدر القرصة وفي أيديهم أساور ذهب وأما القاصد الكبير فذكر واثنه كان ابن أمير كبير الحبشة وقيل ان أباه هو الذي حضر في دولة الملك الاشرف قايتباي وكان على رأسه خودة مخمل أحمر وفيها

صفاً ذهب وفيها بعض فصوص وعلى رأس الخودة درة كبيرة مثمثة وعليه شايات حرير ملون وعلى بقية أمراء الحبشة شايات حرير ملون وعلى رؤسهم شدة حرير وذكروا ان فيهم شخصاً شريفاً وكان بمجموع هؤلاء الحبشة الذين حضروا الى مصر نحو ستمائة انسان وأوساطهم مشدودة بحوائص كهيئة الدنانير وكان معهم لما شقوا من الصليبة طبلين على جمل يضربون عليهم ما و كان صحبتهم - م البتركة وعليه برنس حرير أزرق وكانت أعيانهم راسية على خيول والبقية مشاة فطلعوا القلعة من سلم المدرج والبتركة ماش قدمهم فلما وصلوا الى باب الحوش كان صحبتهم - م كراسي حديد عالية وقصدوا أن يجلسوا عليها بحضور السلطان فلم تمكنهم رؤس النوب من ذلك ووقع في أيام الملك الأشرف قايتباي مثل ذلك وطلعوا معهم بكراسي فامكنوهم من الجلوس عليها بحضور السلطان فلما وصل هذا القاصد الى الحوش قبل الارض فلما وصل الى أوائل البساط قبل الارض هو ومن معه من أعيان الحبشة ولم يدخل معه قدام السلطان غير سبعة أنفس والبقية لم يدخلوا فلما قربوا من السلطان قبلوا الارض بين يديه ثالث مرة ثم قدموا كتاب ملك الحبشة قيل انه في ضمن غلاف من الفضة وقيل من الذهب فلما قرئ على السلطان وجد فيه ألفاظاً حسنة وثناء عظيم للسلطان وان قد نادنا أن نأوي الى مصر ليزور والقامة التي بالقدس فلا تمنعوه - م من ذلك فاستمروا على أقدامهم واقفين نحو خمس درج حتى قرؤا كتابهم - م ثم انصرفوا ونزلوا من القلعة فرسم لهم السلطان أن يقيموا في ميدان المهارة الذي بالقرب من قناطر السباع الى أن يسافروا وأرسل لهم خياماً ضربت لهم من داخل الميدان وكل بياب الميدان جماعة من المماليك يمنعون من يدخل اليهم - م من العوام فلما نزلوا من القلعة نزل معهم - م الى المهتمندار وجماعة من رؤس النوب فوصلوه - م الى الميدان خوفاً عليهم من العوام أن يرجوهم فكان لهم يوم مشهود فان قصاد ملوك الحبشة لا يدخلون الى مصر الا قليلاً لان بلادهم بعيدة حتى قيل ان هذا القاصد له تسعة أشهر وهو مسافر حتى دخل الى مصر ثم ان القاصد أرسل الى السلطان مقدمة لم تكن كبيرة أمراً قيل قومت بنحو خمسة آلاف دينار أو دون ذلك فلما عاينها السلطان وبخ الذي طلع به أو أحضره قوا ثم هدايا ملوك الحبشة الى الملوك السالفة مثل الأشرف برسباي والظاهر جقمق والأشرف قايتباي وغير ذلك من الملوك وأحضر له عدة توار يخ يذكرفها هدايا ملوك الحبشة الى ملوك مصر فقرئت عليه ولكن ضعف أمر ملوك الحبشة بالنسبة الى ما كانوا عليه من قديم الزمان حتى نقل بعض المؤرخين أنه كان ملوك الحبشة على نواحي النيل ستون مملكة لا ينازع بعضها بعضاً فيما بينهم - م من الاراضي التي هناك والآن قد ضعف أمرهم بالنسبة الى ما كانوا عليه من قبل ذلك وقد أرسل بعض ملوك الحبشة مقدمة للملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة

اثنى عشرة وسبعمائة فقومت بمائة ألف دينار وأكثر من ذلك حتى عدت من النوادر ثم
ان قاصدا الحبشة أقام في الميدان ثلاثة أيام وسافر هو ومن معه الى القدس ليزوروا
القمامة وفيه حضر الامير طومان باي الدوادار وقد تقدم القول على انه سافر الى جهة
القيوم هو والامير أرزمك الناشف ليكشفوا على الجسر الذي هنالك وقد انقلب من الماء
وكان السلطان قد أدان يتوجه الى هناك بنفسه فأتته له ذلك كما تقدم ذكره فلما توجه
الامير الدوادار الى هناك قرر واعي عمارته هذا الجسر نحو ثلاثين ألف دينار فلما رجع أخبر
السلطان بذلك وفيه خلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين السكندري وقرره
اماماً عوضاً عن الشيخ محب الدين الشاذلي الامام بحكم وفاته قيل ان شمس الدين
السكندري سعى في هذه الوظيفة بالف وماتت دينار حتى قرر بها وفيه احتمل السلطان
تفرقة ثمن اللحوم التي كانت منكسرة للعسكر وقيل ان السلطان أخرج من الخزائن
الشريفة خمسة عشر ألف دينار وسلمها للقاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة ليشتري
بها أغناماً لأجل تفرقة لحوم الممالك وقال ما بقيت أكرس للعسكر لحوم ما بعده هذا
اليوم وقد ثقل عليه ما صرفه للعسكر بسبب اللحوم التي كانت منكسرة لهم حتى قيل
انه صرف في حركة تفرقة اللحوم فوق الأربعين ألف دينار واستمرت الوزارة شاغرة من
حين عزل عنها يوسف البدرى وفيه نادى السلطان للعسكر بأن كل من كان له فرس
أو أكثر في الديوان يطلع يقبض ثمنه ومن حين تحقق السلطان أن ابن عثمان زاحف على
البلاد السلطانية وهو يأخذ بخيوط الممالك القرائصة ويرضيهم بكل ما يمكن وصرف لهم
اللحوم التي كانت منكسرة وأعطاهم ثمن الخيول التي كانت لهم في الديوان وفيه أخرج
السلطان جانباً من عماليكه الغورية وفرق عليهم في ذلك اليوم زرديات وسيوفاً وراكيش
وقسياناً وشباباً كانوا نحو ثلثة مائة مملوك وفيه توفي الامير قنبل بن تربك أحد الأمراء
الطليخانات وهو ابن عم التابكي أزبك وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة وفيه أرسل
السلطان الى عبد الرزاق أخى دولات والى أولاد على دولات الكبار والصغار ثمانية آلاف
دينار فقسمت بينهم وأرسل يقول لهم اعملوا به هذه النفقات برفقكم واخرجوا سافروا قبل
خروج التجريدة واجمعوا عساكركم من التركمان الى أن أضرأنا والعسكر وفيه أرسل
السلطان مكاحل حديد ومدافع وصوّنا الى نغرا الاسكندرية وسافرت في المراكب الى هناك
فكانت نحو مائتي مكحلة وقد بلغه أن ابن عثمان جهز عدة مراكب تنجى على السواحل
للبدار المصرية وفيه نادى السلطان في القاهرة بأن أصحاب الدكاكين والاملا لا يقطعون
الارض من الاسواق والشوارع فامتنوا ذلك وشرعوا في العمل لكن حصل للناس مشقة
زائدة في الصرف على ذلك لجماعة الوالى والترابة في شيل التراب وقد وقع له مثل ذلك في أوائل

سلطنته في سنة تسع وتسعمائة وقطع الطرقات قاطبة وادعى أن الاراضي قد علت وقد تقدم لي أني قلت في ذلك

في دولة الغوري رأينا العجب * وقد حملنا فوق ما لا نطيق

وقد كفى في عامنا ما جرى * من قلة الامن وقطع الطريق

وفي يوم الخميس خامس عشرية أظهر السلطان العدل وأشهر المناداة عن لسان السلطان في سواحل مصر العتيقة وبولاق بأن المكوس التي كانت تؤخذ على الغلال بطلت وكانت مظلمة عظيمة من البدع المنكرة وهي أنه كان يؤخذ على كل اردب قمح أو شعيراً أو فول يباع أو يشتري نصف فضة وكان الاشرف قايتباي أبطل ذلك فلما تسلطن ابنه الملك الناصر أعاد هذه المظلمة فلما تسلطن الاشرف قايتباي وأمره الغوري تزايد الامر حتى صار يؤخذ على كل اردب ثلاثة أنصاف من البائع والمشتري وصار يسمى الموجب ثم انتقلوا من الغلال الى أن جعلوا على البطيخ مكساً أيضاً فاستمر ذلك مدة طويلة الى أن ألهم الله تعالى السلطان ابطل ذلك جميعه وفي يوم السبت سابع عشرية كان دخول الامير الماس أحد الامراء العشر اوات على ابنة الامير قاني باي قرا أمير اخور كبير كان فكان ذلك المهم من المهمات المشهورة وحضر في هذه الوليمة الاتابكي سودون الجعي والمقر الناصري محمد بنجل المقام الشريف وسائر الامراء من كبير وصغير وكان يوماً مشهوداً وفي يوم الاثنين تاسع عشرية أكل السلطان تفرقة ثمن الخيول التي كانت للعسكر في الديوان وأكل تفرقة اللحوم التي كانت مكسورة للعسكر وعوق بعض اللحوم التي كانت منكسرة لجماعة من المباشرين الزردخانية وفي ذلك اليوم طرق السلطان أخباراً رديئة بسبب ابن عثمان فتسكك لذلك وخلا هو والامراء بضربون مشورة بينهم في أمر ابن عثمان وفي يوم الثلاثاء سلب هذا الشهر رأسه السلطان المناداة في القاهرة للعسكر بالعرض يوم الخميس وأن لا يتأخر عن العرض أحد من كبير ولا صغير فاضطربت لذلك أحوال العساكر قاطبة وفي صفر وكان مستهل يوم الاربعاء طلع الخليفة والقضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فقال السلطان للخليفة لما جلس عنده اعمل برقاً الى السفر وكن على يقظة فأنا مسافر الى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الاربعة مثل ما قال للخليفة اعملوا برقاً لكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحتي فقالوا الأمر لولانا وفي ذلك اليوم خلع السلطان على شخص من القراء يقال له شهاب الدين بن الرومي وقرره اماماً عوضاً عن عبد الرزاق بحكم وفاته وقيل انه سعى في ذلك بألف دينار حتى قرر بها وفي يوم الخميس ثانيه جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر من كبير وصغير وكتب الجميع فعرض في ذلك اليوم أربع طباق ولم يعرف من العسكر أحد وفي ذلك اليوم كانت وفاة الامير خاير بك ابن اينال أحد الامراء المقدمين ويعرف بكاشف الغربية وأصله من مماليك الامير اينال

الاشقر أمير سلاح كان وقد ساعدته الاقدار حتى صار باش العسكر ثم بقي كاشف الغربية
 ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وسافر الى الحجاز باش العسكر في التجريدة التي خرجت
 بسبب الحجازي واتصر على العربان من قبيلة بني ابراهيم فخر رؤسهم وأرسلها الى القاهرة
 وكان مسعود الحركات فلما مات نزل السلطان وصلى عليه وكانت جنازته مشهودة وكان
 في سعة من المال خلف من الموجود ما لا يحصى وفي يوم السبت رابعه عرض السلطان
 محاليلك الامير خاير بك المتوفى وأخذ منهم ما اختاره وأرسلهم الى الطباقي ثم أرسل رسم على
 دوا دار خاير بك وعلى مباشره وشكهم في الحديد وكان الامير خاير بك قد كتب وصية وبرأ
 جماعته فلم يلتفت السلطان الى وصيته وفي أثناء هذا الشهر كانت وفاة الشيخ نور الدين على
 المحلى رحمه الله وكان يعرف بقريية وكان من أعيان علماء الشافعية وله شهرة زائدة بين
 الناس ومن الحوادث في هذا اليوم ما وقع لعلم الدين جلبي السلطان وهو أنه كان ساكنا
 في الحسينية وكان السلطان رسم لوالى بأن يباشر قطع أراضي الاسواق بنفسه فلما انتهوا
 في القطع الى الحسينية جاء محاليلك الوالى الى الحسينية وأخذوا حيرام من حمام الحبالين
 يشيلوا عليها التراب الذى قطعوه فنعهم من ذلك جماعة علم الدين وتخاصموا مع محاليلك الوالى
 فجاء عبد علم الدين وقال لاستاذهم على ذلك وكان علم الدين في الحمام فقال علم الدين
 اذربوا محاليلك الوالى وامنعوهم ففتكوا بهم وضربوهم ضربا مبرحا حتى شجوا بعضهم
 وكسروا أيدي بعضهم فلما سمع الوالى بذلك ركب وأتى الى علم الدين فاغلق عليه
 علم الدين في القول ورعما سقه على الوالى فقبض الوالى على عبد علم الدين الذى ضرب
 محاليلك الوالى فوضعه في الحديد ثم طاع الوالى الى السلطان وأحضر محاليلك الذين ضربوا
 بين يدي السلطان فلما عاين السلطان ذلك شق عليه ما فعل علم الدين في حق الوالى ثم
 طاع علم الدين الى السلطان وظن أن السلطان يقوم في نصره فلما عاين السلطان علم
 الدين رسم انقيب الجيش بان يقبض على علم الدين ويمضى به الى الوالى ليوسطه وصمم
 السلطان على ذلك فقبض انقيب الجيش على علم الدين وقلع سلاريه وفك أزرار ملوطته
 وأركبه على بغلة ومضى به الى الوالى ليوسطه فاستدرك الوالى فرصة في هذه الواقعة وركب
 في أثناء ذلك اليوم وأتى الى الامير الكبير وسودون الهجي وتراعى عليه بسبب علم الدين بأن
 يطاع يشفع فيه عند السلطان من التوسيط فطلع أمير كبير فشفع فيه فقبلت شفاعته ثم ان
 الوالى ألبس علم الدين كاملية صوف بسمور وطلع علم الدين الى السلطان ليبوس الارض
 فنترفيه السلطان لما رآه وقال له الزم بيتك ولا ترفى وجهك أبدا فقبل ان علم الدين خدم
 السلطان بمال له صورة حتى رضى عليه وخدم الوالى أيضا بمال لكنه استمر منوعا من الطلوع
 الى القلعة من بعد ذلك وقد ترايد هذا الامر الفشروى حتى خرج عن الحد وكان علم الدين

لما قرره السلطان طاش وكان في خدمة السلطان من مبداء أمره حين كان أمير عشرة وكان علم الدين عنده بحجة مقدار وهو صبي أمره فلما تسلطن السلطان صار علم الدين عنده من المقربين وصار يلبس سلارى بكم قصير مثل الامراء العشراوات ويشق القاهرة والركبدار يعيش في جانبه يفسح له الطريق وخلفه بحجة مقدار وعلى كتفه فوطه حرير وهو راكب على بغلة عالية فكانت الممالك كلها رآه يلغونه في الباطن وربما توعدوه بالقتل وأمه كانت صانعة وقيل ان أصله كان من أبناء الساسة التي بالحسينية وعنده كثافة في طبعه وقلة فضيلة فكان كما قيل

نقصت عة لا وفهما * وزدت شحـ ما ولما
ورثت طالوت جسمها * ولم ترث منه علما

أو كما قيل

كأن أباه حين جامع أمه * أتاها وفي أحليـ له كوز بلغم
جفاء ثقیل الطبع فظام غلظا * ذمما ثقیل الروح واللحم والدم
وفي يوم الاثنين سادس صفر جلس السلطان بالميدان وعرض من العسكر في ذلك اليوم أربع طباق ومن الحوادث اللطيفة في ذلك اليوم أن السلطان أمر بإبطال المشاهدة والجماعة التي كانت للحبس وأشهر النداء في مصر والقاهرة بذلك وان مكس البحرين الذي كان يؤخذ على الغلال بطل فارتفعت له الاصوات بالدعاء بالنصر وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ونقطت الناس المنادين بالنفـضة على تلك البشارة الحسنة التي سرت القلوب والاسماع وكان يوما مشهودا وقلت في هذه الواقعة هذه الايات

قد جاد سلطان الورى * بعدله في القاهرة
مذرخص الاسعار مع * ابطاله المشاهـره
كم جائع من فرحة * يدعوه له مجاهـره
وكم حزين قلبه * بالكسر أضحى جابه
وقد عفا غلانا * من المكوس الجائره
وصرف اللحم الذي * أرضى به عساكره
فارتفعت أيدي الورى * له بفضل شاكره
وحازا جـرانا له * من الدنا والاخره
وقد علا تاريخه * فوق النجوم الزاهـره
لأنه في عصره * بين الملوك نادره
فيالها من سنة * خيراتها مبادره

فكم له في الخير من * أفعال برّ ظاهره
يارب فاجعل يده * لكل باغ قاهره

وكانت هذه المشاهرة من أكبر أسباب الفساد في حق المسلمين فان الوسائط السوء حسنوا للسلطان عبارة بأن يجعل على السوق في كل شهر ما لا يوردونه للمحتسب فتزايد الامر الى أن صار مقررا على السوق في كل شهر فوق ألفي دينار من هذه الجهة وغيرها من الجهات المتكلم عليهم الزيني بركات بن موسى وكان جماعة من الامراء الذين بغيرا قاطيع محتالة في كل شهر على الزيني بركات بن موسى بما يتحصل من المشاهرة والجماعة فكانت السوق تجور في أسعار البضائع ولا يجسر أحد من الناس يكلمهم فيقولون علينا مال للسلطان نورده في كل شهر فاستمر ذلك من أول دولة السلطان الى أن الهمة الله تعالى ابطالها وفيه وجد مملوك من ممالك السلطان مقتولا بباب الوزير وكان ذلك المملوك من جلبانه وكان مصارعا ولا يعلم من قتله فتسكدت الممالك بسبب ذلك وفي يوم الثلاثاء سابعه عرض السلطان الامراء المقدمين والامراء الطبليخانات والعشراوات وكان قد دار عليهم نقيب الجيش من قبل وأعلمهم أن العرض يوم الثلاثاء فطلعوا جميعا فقبل عين في ذلك اليوم من الامراء المقدمين ستة عشر أميرا وأما الامراء الطبليخانات والعشراوات فلم يعف منهم الا القليل وقال لهم الذي له عذري عوقه عن السفر يزكره لي فأعفى منهم جمعا وفي يوم الخميس تاسعه أكل السلطان عرض العسكر قاطبة ولم يعف منهم أحدا وفي ذلك اليوم خلع السلطان على القاضي بركات بن موسى وقرره ناظر الذخيرة الشريفة كما كان شمس الدين بن عوض ولم يدهد الزيني بركات الى الحسبة فنزل من القلعة في موكب حافل وصحبته الامير طومان باي الدوادار وقدامه السعاة ماشية وشق من الصليبة واستمرت الحسبة شاغرة الى الآن لم يلها أحد وفي يوم الجمعة عاشره صلى السلطان صلاة الصبح ونزل الى الميدان ثم خرج من باب الميدان الذي عند باب القرافة وتوجه من هنالك الى الروضة وعدى الى المقياس وأقام به ذلك اليوم وأشيع أن السلطان يريد أن يتوجه من هنالك الى الفيوم ليكشف عن أمر الجسر الذي انقلب هنالك من الماء وذلك لانه لم يكتف بتوجهه الامير طومان باي الدوادار والامير ارزمك الناشف الى هنالك قبل ذلك كما تقدم ذكره فصم على ذلك وتوجه فكان صحبته من الامراء المقدمين الاتابكي سودون الجمي والامير اركامس أمير مجلس والامير سودون الدوادار رأس نوبة النوب والامير انسباي حاجب الحجاب والامير طومان باي الدوادار والامير قرار الزرد كاش أحد المقدمين وبعض امراء العشراوات وثقوخسين خاصكيا وبعض جماعة من المباشرين وأقام في المقياس الى ان صلى الجمعة وعدى الى الحيزة ونصب له وطاق عند الاهرام فأقام ذلك اليوم هنالك ثم توجه الى الفيوم من تحت

الجبل ومن الوقائع الغريبة أن السلطان لما غضب على علم الدين الجلبى بسبب ما تقدم
 واستمر علم الدين ممنوعاً من طلوع القلعة قال السلطان لمحمد المتهار انظر لى جلبى يحلق
 رأسى فعرض عليه عدة جلبية فما أعجبه منهم أحد فقال له محمد بقى عندنا صبي صغيراً مرد
 يسمى عبد الرزاق أصله من باب الوزير وهو يتيم وكان يحلق لجماعة من الخدام وهو يحلق
 مليحاً فقال السلطان أحضره حتى يحلق لى فأحضره فلما حلق له أعجبته حلاقه فاستقر به
 جلبى السلطان عوضاً عن علم الدين فسافر هذا الصبي مع السلطان الى الفيوم وأنعم عليه
 بكسوة حافلة وأخرج له كديشاً وبغلة وصار جلبى السلطان فى ساعة واحدة وإذا أعطى
 لا مانع والله عند القلوب المنكسرة جابر والعبد بسـعدده لا بأية ولا يجتده فعند ذلك من
 النوادر وفى يوم الاثنين ثالث عشره خرج عبد الرزاق أخو دولات وأولاد على دولات الذين
 كانوا حضروا الى مصر فلما حضر وأرسل اليهم السلطان ثمانية آلاف دينار ليعملوا بها برقههم
 فتأهبوا وخرجوا وسافروا فى ذلك اليوم وقصدوا التوجه الى حلب وفى يوم الخميس سادس
 عشره جلس نائب القلعة ومقدم المماليك عند باب القلعة وصرفوا الحمامكية على المماليك
 والعسكر فى غيبة السلطان على جارى العادة وفى يوم الاحد تاسع عشره حضر السلطان
 من الفيوم وعدى من الجيزة فلاقاه الخليفة والقضاة الاربعة فشق من الصليبة وقدامه
 القضاة الاربعة والاتبكى سودون الجحى وسائر الامراء المقدمين وأعيان المباشرين
 وانسحبت الجنائب قدامه وطلع الى القلعة فى موكب حافل وكانت مدة غيبته فى الفيوم
 تسعة أيام فكشف على الجسر الذى هنالـك وعاد فدخل عليه تقادم كثيرة من الكشاف
 ومن المدركين ما بين خيول وأغنام وأبقار وجمال وغير ذلك من التقادم الفاخرة قبل لما
 توجه الخليفة ليسلم على السلطان لم يجتمع به هنالـك فطلع بعد العصر الى القلعة وسلم على
 السلطان وهنأه بالسلامة ومن الحوادث فى ذلك اليوم أن السلطان لما عدى من الجيزة
 كان فى ذلك اليوم رياح عاصفة فغرقت مركب قدام المقياس وقد ازدجت فيها الخيول
 وشبت على بعضها فاشيع أن المركب قد انقلبت بمن فيها ثم خمدت تلك الاشاعة عن ذلك
 الخبر وفى يوم الاثنين عشريه كان عيد النصرى وهو أول يوم من الخماسين وكانت
 خماسين مباركة لم يظهر فيها عمل بمصر ولا بأعمالها قاطبة وفى يوم الخميس ثالث عشره
 أشيع بين الناس أن النيل قد زاد ذراعين فطلع ابن أبى الرداد وأخبر السلطان أن النيل
 قد زاد نصف ذراع وكان النيل يومئذ فى اثني عشر ذراعاً وثلاث أصابع فزاد على ذلك
 نصف ذراع وكان ذلك فى شهر برمهاة وسبب هذه الزيادة أن الامطار كانت باعلى بلاد
 الصعيد فأنحدرت منها السيول الى النيل فزاد هذه الزيادة فى غير أوانها وقد وقع مثل
 ذلك فى بعض السنين الماضية وزاد فى غير أوانه بسبب السيول فحوز ذراعين وفى يوم السبت

خامس عشر به جلس السلطان في الميدان وعرض الامراء الطبليخانات والعشراوات ورؤس النوب فلما عرضهم قال لهم اعملوا برقبكم وكونوا على يقظة من السفر فاني أنفق وأخرج في جمعتي هذه فترلوا على ذلك وفي يوم الخميس سلخ هذا الشهر حضر ساع وقيل اثنان من عند نائب حلب وأخبر بان نائب حلب أرسل مطالعة على يديهم ما فلما قرئت على السلطان فاذا فيه ان شاه اسماعيل الصوفي ملك العراقين جمع من العسكر ما لا يحصى وهم زاحفون على بلاد ابن عثمان وكان في سنة عشرين وتسعمائة حصل بينه وبين سليم شاه ملك الروم واقعة مهولة وقد تقدم القول على ذلك وانكسر اسماعيل شاه الصوفي كما تقدم فاستمر الصوفي من حين جرى له ما جرى وهو في جمع عساكر واستعان بملوك التتار فقبل انه جمع الجلم الغفير من العساكر فان ابن عثمان كان قد قتل غالب عسكره في الواقعة المقدم ذكرها فلما راج امر الصوفي وجمع العساكر قصد الزحف على بلاد ابن عثمان فقبل انه كبس على جماعة ابن عثمان الذين كانوا في آمد وقد كان ملكهم امان يد الصوفي حين محاربتهم معه في الواقعة المذكورة وجعل ابن عثمان فيها نائبا من قبله فأشيع أن الصوفي كبس على من كان بآمد على حين غفلة وقتل من كان فيها من العثمانية واستخلصها من يد جماعة ابن عثمان وانصر عليهم فلما طرق هذا الخبر سمع السلطان اجتمع بالامراء في الميدان وأقاموا في ضرب مشورة بسبب ذلك الى قريب الظهر فأشيع أن السلطان قال أنا أخرج بنفسى وأقعد في حلب حتى أنظر ما يكون من أمر الصوفي وابن عثمان فان كل من انصر منهم ما على غريمه لا بد أن يزحف على بلادنا فانفض المجلس على أنه لا بد من خروج تجريدة تقيم بحلب وتحرس البلاد الحلبية وأشيع في ذلك اليوم باحضار الكشاف ومشايخ العربان والزامهم أن يشرعوا في تحصيل عشرين ألف خيال من العشيرة وفرسان العرب ويوزعوا ذلك على سائر البلاد من الشرقية والغربية وجهات الصعيد وهذا من أكبر أسباب الفساد في حق الجند والمنطعين فان الكشاف ومشايخ العربان يأخذون في هذه الحركة من البلاد المثل عشرة أمثال لا تسهم وفي ربيع الاول وكان مستهل يوم الجمعة طلع الخليفة والقضاة الاربعة وهنوا السلطان بالشهر وقيل ان السلطان أرسل شمس الدين بن ناشى وبركات بن الطريف شيخ القراء الى الخليفة وهو يقول اعمل برقبك الى السفر فانه لا بد من سفر السلطان الى حلب وانه ينفق ويخرج في شهر واحد فتسكد الخليفة لهذا الخبر وفي يوم الاحد ثلثة جلس السلطان بالميدان وعرض الامراء الطبليخانات وخاصكية الخواص وعين منهم جماعة للسفر ثم طلع ودخل الى قاعة البيسرية وفتح الخواصل وأخرج منها عدة سروج بلور وعقيق وكنايش زركش وسروج ذهب وبركستوانات فولاذ مكففة بذهب وغير ذلك وأفرد منها ما حسن بباله لاجل الطلب اذا خرج وسافر وهذا كله حتى يشاع بين الناس سفر السلطان

الى حلب وفي يوم الثلاثاء خامسه جلس السلطان بالميدان وعرض الامراء الطبخانات والعشراوات وألزم كل أمير أن يستخدم عنده مائتي شئ خمسة وشئ ثلاثة وشئ اثنان بحسب اقطاعه وقرر معهم أن بعد المولد الشريف يعرضهم قدامه بالميدان وهم باللبس الكامل والخيول الجيدة وكل من لم يفعل ذلك يخرج به عن امريته ويجعله طرخانا وفي يوم الثلاثاء المذكور نزل القاضي شهاب الدين بن البليغان نائب كاتب السر عن اسان السلطان الى أمير المؤمنين المتوكل على الله بسبب عمل برقه وقد كشفوا في الدفاتر القديمة فوجدوا أن الخليفة اذا سافر صحبة السلطان يكون جميع برقه على السلطان فيكتب الخليفة قوائم بصروف عمل للبرق فكان ذلك بعشرة آلاف دينار وقيل خمسة آلاف دينار فاخذ الشهابي أحد تلك القوائم وطلع بها الى القلعة ليعرضها على السلطان وفي هذا الشهر خلع السلطان على الأمير طراباي الذي كان قبل ذلك نائب صمد واعاده الى نيابة صمد كما كان وعزل عنها يوسف الذي كان نائب القدس فكان مكته في نيابة صمد دون السنة ثم عزل وولى طراباي المذكور وفي يوم الاربعاء سادسه جلس السلطان بالميدان وعرض مماليكه الجلبان قاطبة وعينهم الى السفر صحبته ولم يعف منهم سوى المماليك الصغار الكتابية المرد وفي يوم الخميس سابعه رسم السلطان للطواشية بأن تدور على المماليك البطالة وأولاد الناس الذين كان السلطان قطع جوامكهم بأن يطلعوا يوم السبت للعرض فالذي يصلح للسفر يعيد السلطان له جامكته ويكتبه للسفر ثم من بعد ذلك ظهرت اشاعة رد الجوامك التي قطعت فلما كان يوم السبت تاسعه جلس السلطان بالميدان وعرض جماعة من المماليك القرائصة من الشيوخ والعواجز وأولاد الناس أصحاب الجوامك فلما عرضهم عين منهم جماعة للشرقية وعين منهم جماعة مع كاشف الغربية وجماعة الى البحيرة وجماعة منهم الى الطرانة وجماعة الى المنوفية وجماعة الى منيا وجماعة الى البحيرة وألزمهم بأن يكونوا مع الكشاف لردي العربان اذا ظهر منهم فساد وحفظ البلاد في غيبة السلطان اذا سافر وقد قويت الاشاعات بسفر السلطان الى حلب ودارت الطواشية على المماليك القرائصة وأولاد الناس بسبب هذا العرض حتى عين هؤلاء الجماعة الى هذه الجهات المذكورة لاسبب رد الجوامك التي كانت قطعت للمماليك العواجز وأولاد الناس واستقرت هذه الواقعة على ما ذكرناه وفي يوم الاحد عاشره نزل السلطان وعدى الى البر بالحيرة وعرض جمال الأمير خاير بك كاشف الغربية الذي توفي ثم عاد وطلع الى القلعة ودخل الى قاعة اليسرية وعرض في ذلك اليوم بكاي وقرقلاط وجواشن وغير ذلك أشياء كثيرة من آلات السلاح من حواصل الذخيرة وفي يوم الاثنين حادى عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوي على العادة ونصب الخيمة العظيمة التي صنعها الملك الاشرف وكانت هذه

الخيمة كهيئة قاعة فيها الواوين ثلاثة وفي وسطها قبة على أربعة أعمدة قيل لم يعمل في
 الديناط لها نظيره وهي من قماش ملون وهذه الخيمة كان لا ينصبها الا ثلثة رجل من
 النواتية وقيل ان مصر وفها ستة وثلاثون ألف دينار فنصبها بالحوش ونصب الشريدارية
 في الحوش أحواض جلده مملوءة بالماء الحلو وعاقوا شوكات بالكيزان الفاخرة وزينوا
 بالآواني الصني والطاسات النحاس وأوسعوا في زينة الشرا بجانة الزينة الفاخرة أكثر من
 كل سنة ثم جلس السلطان في الخيمة وحضر الاتابكي سودون العجمي وسائر الامراء من
 المقدمين وغيرهم وحضر القضاة الاربعة وأعيان الناس والمباشرون والوعاظ على العادة
 ثم مدوا السباط وقد أوسع في أمره وكان مولدا مشهودا أبهج مما تقدم من الموالد
 الماضية وفي ذلك اليوم توفي قاضي القضاة محيي الدين بن النقيب رحمة الله عليه وهو محيي
 الدين عبد القادر بن علي بن مصلح الشافعي كان يقرب للخواجه شمس الدين بن قضا الجوهري
 وكان من أهل العلم والفضل لكنه كان جافي النفس وينسب الى شخ زائد وله في ذلك
 الامر أخبار شنيعة لم تذكر هنا لكنها شائعة بين الناس ومات وله من العمر نحو الثمانين
 سنة وكان سبب موته انه كان يعيش في الاسواق بقباب سمك فتوجه الى خان الخليلي
 فرفسه فرس فوق على نخذه فانكسر فخملوه الى خلوة التي في المدرسة المنصورية فأقام بها
 أياما ومات وكان منقضا عن القضاء وقد ولي منصب القضاء ست مرات ونفذ منه
 في هذه الست ولايات ستة وثلاثون ألف دينار وكانت اقامته في الست ولايات نحو
 سنتين وكان قليل الخط عند الناس قاطبة وكان يسعى على القضاة المتولين ولا يزال عليهم
 حتى يعزلهم ويتولى منصب القضاء فعزل به قاضي القضاة زكريا وقاضي القضاة ابن أبي
 شريف وقاضي القضاة القلقشندي وقاضي القضاة عماد الدين الطويل وبدر الدين
 المكيئي وعلاء الدين بن النقيب وكان يسمى بجمله من الأموال ولا يقيم في منصب
 القضاء غير أشهر ثم يعزل فنقدم منه مال له صورة على هذه الطريقة وقد قلت في ذلك مداخلة
 لطيفة

منصب الحكم في القضا قال لما * كشف الله ما به من هموم

زال عني ابن النقيب واني * كنت معه في قبضة الترسيم

وقيل كان متصل ابن النقيب هذا في كل يوم من وظائفه نحو أشرفيين من خبز وجوامك
 وكان يحرم نفسه من المأكول والمشرب والملبوس وفي ذلك اليوم توفي المهتار حسن
 شربدار السلطان وكان في سعة من المال وصادره السلطان غير ماهرة فلما مات ختم
 السلطان على حواصله ولم يلتفت الى أولاده وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره توفي الشيخ محب
 الدين الحلبي امام السلطان وكان من المقربين عنده وكان لا بأس به وفي يوم الخميس رابع

عشره ورد على السلطان مطالعة من عند سيباى نائب السلطان بالشام فأرسل يقول له
يا مولانا السلطان ان البلاد الشامسية مغلبة والعلية والتين لا يوجد والزرع في الارض لم
يحصد ولا ثم عدو متحرك ولا يتعب السلطان سره ولا يسافروا ان كان ثم عدو متحرك فخن له
كفاية فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر باقيا على حركة السفر الى حلب وفي يوم الاثنين
ثامن عشر خلع السلطان على الامير ارزمك الناشف أحد المقدمين وقرره أمير حاج بركب
الحمل وخلع على الامير برسباى الفيل أحد أمراء الطبخانات وقرره أمير حاج الركب الاول
فنزلا من القلعة في موكب حافل وفي هذا اليوم خلع السلطان على الامير الماس أحد
الأمراء العشر اوات ويعرف بدوادار سكين وقرره في ولاية الشرطة بالقاهرة عوضا عن
الامير كرتباى بحكم انتقاله الى مقدمة ألف وكان الامير كرتباى من أعيان مماليك
السلطان وولى كشف الشرقية وولاية القاهرة ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وقيل ان
الامير الماس سعى في الولاية بأحد وأربعين ألف دينار منها عشرون ألف دينار مجله وواحد
وعشرون يدفعها على نقدا متفرقة وفي ذلك اليوم خلع السلطان على مملوكه الامير ماماي
الصغير وقرره في نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزيني بركات بن موسى بحكم انتقاله الى
استدارية الذخيرة وكانت مدة إقامة الزيني بركات بن موسى في الحسبة إحدى عشرة
سنة الاشهر اوعزل عنها والناس عنه راضية وقيل ان الامير ماماي الصغير سعى في الحسبة
بخمسة عشر ألف دينار حتى وليها وكانت الحسبة والولاية في قديم الزمان من أقل الوظائف
ولها جماعة كثيرة من أبناء الناس والفقهاء ولكن أعظم أمرها تين الوظيفة تين في هذا
الزمان الى الغاية وصارتا من أجل الوظائف وهذه الاموال العظيمة التي يسعى بها هؤلاء
انما يستخلصونها من اضلاع المسلمين ودمائهم والامر الى الله وفي ذلك اليوم أنفق السلطان
على العسكر نفقة السفر وقد تحقق أمر خروج التجريدة فأنفق على كل مملوك مائة دينار
وجامكية أربعة أشهر بثمانية آلاف وثمان مئة سبعة دنانير ثم ان السلطان كتب أولاد
الناس قاطبة الى السقر ولم يعطهم نفقة بل أعطاهم جامكية أربعة أشهر بثمانية آلاف وكان
سبب ذلك أن القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك قال للسلطان اننا نطرنافى بعض
التواريخ ان الملك الظاهر برقوق لما خرج الى التجريدة لم ينفق على أولاد الناس شيئا فاعجب
السلطان منه ذلك وقطع نفقة أولاد الناس قاطبة فكثير عليه الدعاء من أولاد الناس
بسبب ذلك وكانت هذه الواقعة من أعظم مساويه في حق أولاد الناس وحصل لهم كسر
خاطر شديد وفي يوم الاحد سابع عشر مظهر أحمد بن الصانع الذي كان ضد الزيني بركات بن
موسى في الحسبة وكان له مدة وهو مختلف فظهر في ذلك اليوم وقابل السلطان ثم خدأ أمره
ولم ينتج مع وجود الزيني بركات بن موسى وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر توقيت خوندجان

سكرالجر كسيمة مستولدة السلطان وهي أم ولده الذي توفي في الفصل سنة عشرين وتسعمائة
وكانت دينة خيرة قايلة الأذى فلما أشيع موتها طلع الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء
وأعيان المباشرين فصلى عليها الخليفة عند باب الستارة ونزلوا بها من سلم المدرج وهي في
إشخانة زركش ونهبت الكفارة من قدامها قبل أن تنزل من القلعة ومشى الخليفة والقضاة
الأربعة وسائر الأمراء قدامها من القلعة إلى مدرسة السلطان التي في الشرايين
فدقت هناك على أولادها ولم يدخلوا بها من باب زويله بل دخلوا بها من خوخة أيد غمش
وكانت جنازتها حافلة وكثر عليها الأسف والحزن من الناس وفي يوم الخميس حادي عشر به
وقف جماعة من أولاد الناس إلى السلطان بسبب النفقة فلما وقفوا له ساعدتهم الأمير علان
الدوادار وبقية الأمراء فلم يرث لهم السلطان وقال أنا ما عندي نفقة لهؤلاء فالذي لا قدرة
له على السفر يرد الأربعة شهرا إلى جامكية التي أخذها وأنا تركته شهر أو يستريح وتنقطع
عني جامكيتهم فرد جماعة كثيرة من أولاد الناس جامكية الأربعة شهرا التي أخذوها واستمر
أمرهم مبنيا على السكوت وفي يوم الأربعاء ويوم الخميس أنفق السلطان على بقية العسكر
لنفقة وفي يوم السبت ثالث عشر به أكمل السلطان النفقة على العسكر قاطبة من
قرانصة وجلبان ونادي عليهم في الحوش أن السفر أول الشهر فاضطربت أحوال العسكر
وارتجت القاهرة وعز وجود الخيل والبغال وصار المماليك يجمعون الطواحين ويأخذون
منها الخيول والبغال والأكاديش فغلقت الطواحين قاطبة وامتنع الخبز من الأسواق
وكذلك الدقيق ووقع القحط بين الناس وخج العوام وكثر الدعا والغلت أسواق القماش
بسبب المماليك واختفى الصنائعية والخياطون واضطربت أحوال القاهرة واختفى جماعة
من التجار خوفا من المماليك واختفى طائفة من الغلمان خيفة السفر وصارت أحوال مصر
مثل يوم القيامة كل واحد يقول يارب روجي وقد عاب العسكر على السلطان هذا الرهج
الذي وقع منه ولم يش على طريقة الملوك السالفة عند خروجهم للسفر مع أنه لم يكن أمر
يستحق هذا الرهج العظيم ولا جاءت أخبار بان ابن عثمان قد وصل إلى حلب ولا جاليشه ولا
تجركه على بلاده وعابوا على السلطان أيضا عرضه عسكر مصر قاطبة في أربعة أيام وأنفق
عليهم مع العرض نفشا وأن يشاع في بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفي أن السلطان الغوري
قد عرض عساكره جميعا في أربعة أيام فينسبونهم إلى قلة وأنه ما ثم بمصر عسكر ورعا يطمع
العدو إذا سمع بذلك وما كان هذا الرأي من الصواب وهذه الأحوال كلها غير صالحة وفي
يوم السبت المقدم ذكره أرسل السلطان نفقة الأمراء المقدمين قارسل للتابكي سودون
العجمي خمسة آلاف دينار والأمير أركاس أمير مجلس والأمير سودون الدوادار رأس نوبة
التوب والأمير انسباي حاجب الحجاب لكل واحد أربعة آلاف دينار وبقية الأمراء

المقدمين الذين هم بغير وظائف لكل واحد منهم ثلاثة آلاف دينار وأين هذه النفقة من النفقة التي كان يرسلها الأشرف قايتباي للأمراء المقدمين عند خروجهم إلى تجاريد ابن عثمان فكان يرسل ثلاثين ألف دينار والأمير قرازا أمير سلاح عشرين ألف دينار وأمير محاسن مثل ذلك وبقية الأمراء المقدمين لكل واحد منهم عشرة آلاف دينار حتى عد ذلك من النواذر الغربية ولم يفعل الأشرف قايتباي ذلك إلا في آخر تجاريد ابن عثمان سنة خمس وتسعين وثمانمائة فبلغت نفقة الأمراء قاطبة دون الجند مائة ألف دينار وفي يوم الأحد رابع عشرية نزل السلطان وتوجه إلى مدرسة التي بالشرايشيين فأقام بهم إلى ما بعد العصر وأشييع أنه قد عرض موجود خوندان حواصلها كانت هناك فظهر لها موجود عظيم ما بين ذهب وفضة عين وقصوص وقاش فاخرو غير ذلك وفي يوم الاثنين خامس عشرية أنفق السلطان على الأمراء الطبليخانات والأمراء العشر اوات وصار يستدعيهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجاهلية فأعطى لكل أمير طبليخانات خمسمائة دينار وأعطى لكل أمير عشرة مائتي دينار ولم يرسل للخليفة نفقة فصل له غاية المشقة وتراعى على جماعة من الأمراء في أن يقرضوه مبلغا ربح ودخل في جهته ديون كثيرة ولم يتفق قط أن السلطان إذا سافر البلاد الشامية وصحبته الخليفة أن يخرج بلا نفقة وكانت عادة جميع السلاطين أن يركب الخليفة إذا سافر يكون على السلطان وكان يرسل إليه خمسمائة دينار لأجل جوامك أتباعه فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وشع معه في أمر النفقة وكان الخليفة مظلوما مع السلطان في هذه الواقعة ثم أنه عرض المماليك القراصة الشيوخ والعواجر وكتب منهم جماعة إلى الشرقية والغربية والصعيد وألزمهم أن يخرجوا بلا نفقة وكانوا نحو خمسمائة مملوك وفي يوم الثلاثاء سادس عشرية نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى الريدانية ورتب الفراشين كيف ينصبون الوطاق إذا برز السلطان للسفر ورتب منازل الأمراء وكيف تكون منازلهم بالريدانية وفي ذلك اليوم رسم السلطان لولده أمير اخور كبير بأن يعمل برقه ويسافر مصعبته وكان في الأول رسم له بأن يكون مقبلا بباب السلسلة إلى أن يحضر السلطان ثم بطل ذلك ورسم له بأن يشرع في عمل برقه إلى السفر وفي يوم الجمعة تاسع عشرية الموافق لسادس بشنس القبطي خلع السلطان الصوف ولبس البياض وكانت أول جمعة خوند زوجة السلطان التي توفيت فصنع لها السلطان مادة حافلة وحضر هنالك الخليفة والقضاة الأربعة وجماعة من الأمراء المقدمين وحضر قراء البلد قاطبة والوعاظ وكانت ليلة مشهودة بمدرسة السلطان التي بالشرايشيين وفي يوم السبت مسهل شهر ربيع الآخر جلس السلطان بالميدان وطلع إليه الخليفة والقضاة الأربعة فهنوه بالشهر الجديد وعادوا إلى دورهم وفي ذلك اليوم خلع السلطان على ولده المهتار حسن الشربدار

الذي تقدم ذكر وفاته وقرره في وظيفة أبيه في مهتارية الشرا بختاناه عوضا عن أبيه
بحكم وفاته وفي ثمانية فرق السلطان على ممالك الجلبان لبوس الخيل من حريم ملون
وخود وأتراس وبدلات ما بين زود وركب فولاذ وغير ذلك من آلة السلاح التي في الزردخانه
فتراجت عليه الممالك وصاروا يخطفون اللبوس الملاح بأيديهم ولا يرضون بالذي يفرقه
السلطان عليهم ففجز عن رضاهم في ذلك اليوم وكثر تنمردهم في هذه الأيام إلى الغاية
﴿أعجوبة﴾ قيل إن امرأة ولدت ولدا له راسان وأربع أيدي وأربع أرجل فلما شاهده
السلطان تعجب منه وقيل وقع مثل ذلك في زمن الامام علي رضي الله عنه ومن جملة انعام
الله تعالى على المسلمين أن السلطان أبطل سفر العربان الذين أفردهم على البلاد الشرقية
والغربية والصعيد وقد تقدم القول على أن السلطان قصد أن يأخذهم في التجريدة جماعة
من الخيالة من فرسان العرب يكونون أمام العسكر وقت الحرب فأحضر مشايخ العربان
والكشاف وأفرد عليهم نحو خمسة مائة خيال وقيل خمسة آلاف خيال فنزلوا إلى
البلاد قاطبة وصاروا يفردون على كل بلد خياليين بمائة دينار وعلى البلاد الكبيرة أربع
خيالة بمائتي دينار فلما سمع أهل النواحي من الفلاحين بذلك الأمر أخذوا البلاد وتركوا
زروعهم في الأرض ورحلوا وخرب بعض بلاد في هذه الحركة فلما بلغ الأمر ذلك وقفوا
للسلطان وشكوا له من ذلك وأن غالب البلاد تخرب وأخلاها الفلاحون وأغلظ
الأمر على السلطان في القول وقالوا له نسافر معكم ونخرب بلادنا فنأين نأكل ونستد
ديوانا إذا سافرنا فاستحي منهم السلطان وأمر بإبطال ذلك وأخرج من أسيم شريفة إلى
الكشاف ومشايخ العربان بإبطال ما كان قدر رسم به في الأول وإعادة ما أخذ من الفلاحين
بالنواحي فخرجت المراسيم الشريفة إلى البلاد بمنع ذلك ولواستمر على قوله الأول لخربت
مصر عن آخرها ووقع بها الغلاء العظيم من خراب البلاد فقلته الحمد على ذلك ومن الحوادث
في هذه المدة أن السلطان صادر راية الأمير خاير بك كاشف الغربية أحد الأمراء المقدمين
وهي زوجة الأمير تاني بك الخازن أدار أحد الأمراء المقدمين وهي التي كان وقع لها ذلك
الأمر الفاحش المقدم ذكره فلما صادرها قرر عليها ما لا ثقيلا له صورة فأرسل رسم عليها
بجماعة من الطواشية فلما تحققت ذلك شرعت في بيع جهازها وجميع ما تملكه من
صامت وناطق وكان سبب ذلك أنه لما توفي والدها الأمير خاير بك تكلم الأعداء في حقها
بأنها أخذت من موجود أيها ثلاث قدور فيها مال جزيل له جرم فأرسل خلفها فلما حضرت
بين يديه سألها عن ذلك فأنكرت وحلفت أنها ما رأت تلك القدور والذهب التي اتهموها بها
فخفق منها السلطان وقال لها أنسي ذنبك يعني أمر الصبي الذي وجدوه عندها خلف
السلطان أن لم تحضر بالمال الذي أخذته من مال أبيها ولا يغرقها وصم على ذلك فلما
جرى ذلك شرعت في بيع جهازها لتورد المال الذي قرر عليها فصارت في كل يوم سبت وثلاثاء

يحضر الزيني بركات بن موسى وجماعة من المباشرين ويبيعون قماشهم مثل التركة وقد وقع لابنة يشبك الدوادار زوجة الامير قانباي امير اخور كبير ككهذه الواقعة بعينها وصودرت وباعت جهازها وقماشها وجواربها مثل التركة وغلقت ما عليها من المال وقد تقدم ذكرها وفي يوم الخميس سادسه صرف السلطان للعساكر المتوجهة الى السفر من اللعوم المنكسرة لهم على ثلاثة أشهر لكي يتوسعوا فيها ولم يصرف للذين تأخروا بصرياً وأحالهم على الطباخين يصرفون لهم في غيبته وفي ذلك اليوم برز السلطان خيامه الى الريدانية وقد تحقق أمر سفره الى البلاد الشامية ثم نادى للعسكر في الميدان أن كل من جهز برقه ولا يبق له عاقبة يخرج ويسافرو ويتقدم قبل خروج السلطان ولكن الى الآن لم يعلق السلطان الجاليس الذي هو مقدمة الجيش اذا سافروا الى البلاد الشامية وكانت العادة أنهم اذا سافروا الى البلاد الشامية يعلقون الجاليس قبل خروجهم بأربعين يوماً فلم يمش السلطان على طريقة الملوك السالفة وفي يوم الخميس المذكور أرسل السلطان الى أمير المؤمنين محمد المنوكل على الله نفقة السفر على يد حسام الدين الالواحى بواب الدهيشة ألف دينار وكان الساعي له في ذلك الامير طومان باي الدوادار الكبير ولولا هو ما كان يرسل له شيئاً فان السلطان أرسل للقضاة الاربعة يقول لهم اعملوا برقكم ولم يرسل لهم شيئاً من النفقة وقد حصل لهم غاية الكلفة والمشقة لانه من حين سافر الاشرف برسباي الى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة لم يخرج الخليفة ولا القضاة الاربعة الى البلاد الشامية صحبة السلطان وكان للخليفة والقضاة الاربعة على السلطان عادة أنهم اذا سافروا الى البلاد الشامية يرسل لهم نفقة السفر فتغافل السلطان عن ذلك ثم بعد أيام أرسل السلطان للخليفة سيفاً مسقطاً بالذهب على يد شخص من الزردكاشية يقال له محمد العادلي وقد تقدم القول على أنه أرسل له نوبة جام جديد فكان مجموع ما حصل له من السلطان من الانعام ذهب وغير ذلك دون ألفي دينار وقد تكلف الخليفة في هذه الحركة على مصروف برقه وغير ذلك نحو الخمسة آلاف دينار وأو أكثر وفي يوم الجمعة سابعه خرجت جماعة كثيرة من عماليك السلطان وبوجهوا الى السفر نحو البلاد الشامية وقد نادى عليهم السلطان قبل ذلك أن كل من جهز برقه يخرج ويسافر قبل خروج السلطان فصار يخرج في كل يوم جماعة من العسكر شيئاً فشيئاً ولم يسافروا وفي ذلك اليوم حضر خليفة سيدي أحمد البدوي وقد حضر بطلب من السلطان فلما مثل بين يديه قال له اعمل برقك حتى تسافر صحبتي الى حلب فلما سمع ذلك تعلل وأظهر أنه ضعيف ولم يقدر يسافر فخلق منه السلطان وألزمه بالسفر ولم يقبل له عذراً وأرسل يقول لخليفة سيدي أحمد الرافعي رحة الله عليه اعمل برقك حتى تسافر صحبتي فلما تحقق القضاة سفر السلطان أخذوا في تجهيز أمرهم وعمل برقهم وعينوا معهم جماعة كثيرة من النواب فتعلقوا من أمر السفر عند ذلك فرض القضاة الاربعة مبلغاً له صورة على نوابهم على كل

واحد من النواب قد رمعين على قدر مقامه فقامت النائرة والشناعة على القضاة بسبب ذلك ولما بلغ السلطان ذلك الخبر أنكر على القضاة هذه الفعل وفيه طلع قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وصلى بالناس صلاة الجمعة ثم استأذن في الدخول على السلطان فدخل عليه وهو بالدهيشة فلما جلس بين يدي السلطان شرع يحلف له أنه لم يدخل كيسة شيء مما قررره على النواب وإنما النواب الذين عينوا للسفر قالوا نجعل كلفتنا على النواب المقيمين بمصر فلما سمع السلطان ذلك قال لا تشوشوا على أحد من النواب ولا تأخذوا أحدا منهم بالغصب فالذي يسافر من تلقاء نفسه يسافر والذي لا يسافر لا تغصبوه على السفر فبطلت تلك الحادثة الشنيعة ولله الحمد بعدما كان جماعة من النواب شرعوا في بيع قماشهم وكتبهم وقد حصل لهم الضرر بسبب ما قررره عليهم كما تقدم ذكره ولم يقع للقضاة مع نوابهم مثل ذلك لما سافر الأشرف برسباي إلى آمد وفيه عرض السلطان غلمانا البيوتات من الفراشين والبايية والركبخانه والحجارين والشربدارين والزردخانه من النفطية وغير ذلك وطلب الأمير علم الدين الذي يحكم على الطباليين والزمارين والزمنه أن يصرف على من يسافر صحبته من الطباليين والزمارين والمنقرين من كيسة وقال له أنت تأكل معلوم هذه الوظيفة عدة سنين فانفق عليهم من عندك والافعة لنا من يلى هذه الوظيفة ويفعل ذلك ثم عرض مغاني الدكة وهم أجدأ بوسننه والمحو جب والمخلاوى وأمرهم بأن يسافروا صحبته ثم عين جماعة من التجارين والحجارين وأمرهم بالسفر معه ثم عرض هؤلاء المذكورين ولم يتفق عليهم شيئا بل صرف لهم جامكية أربعة شهور لا غير ولم يعطهم نفقة وقال لهم أنتم تأكلون جوامك السلطنة كذا وكذا سنة فعند ارا دق سفركم تطلبون مني نفقة وكان قبل ذلك لما قرر القضاة على نوابهم مبلغا مساعدا للنواب الذين يسافرون أفرد شمس الدين الظريف نقيب القراء على جماعة من القراء والوعاظ والمؤذنين وأمرهم أن يسافروا صحبة السلطان كما فعل القضاة مع نوابهم وفي يوم الاحد تاسعه حضر إلى الابواب الشريفة العجي الشنقجي نديم السلطان الذي كان توجه بالافيال إلى نائب الشام ونائب حلب وقد أبطأ مدة طويلة حتى أشاعوا موته غير ما مره فظهر أن السلطان أرسله إلى شام اسمعيل الصوفي في الخفية في خبر سر بين السلطان وبين اسمعيل شاه كما أشيع ذلك بين الناس وفي يوم الاثنين عاشر ربيع الآخر خرج طلب السلطان وكان من ملخص أمره أنه أخرج الطلب من الميدان قبل طلوع الشمس ومشى به من الرميطة ونزل من حدة البقر وطلع به من الصليبة وكان ما شتمل عليه ذلك الطلب أنه جرف فيه خمس عشرة نوبة هجن بأكوار زركش وكنايش وخمس عشرة نوبة بأكوار منجل ملون وأما الخيول فثلثمائة فرس منها مائة فرس بيركسستوانات فولاذ مكفت بذهب وجواغين مكفتة بالذهب وشيء

مخل ملون ومنها ثلاث طوايل بكنايش زرکش وسروج ذهب ومنها ثلاث طوايل بعراق
وسروج بداوى وطبول بازات وكان في الطلب أربعة وعشرون تختاباً غشية حرير أطلس
أصفر وبخاوتين مخل بزکش وهما الجوشنان وكان فيه ست خراش بأغشية حرير أصفر
وكان فيه محفتان على البغال بأغشية حرير أصفر وكان بالطلب خمسة رؤس خيل خاصة
منها اثنان بأرقاب مزركش وكنايش وسروج بلور من يكة بذهب وشي عقيق وطبول بازات
بلور من يكة بذهب وكان به فرسان بكنايش وسروج ذهب عليهم اغواشي ذهب وعليها
هلات ذهب عوضاً عن الطيور وكان راكباً بالطلب بعض أمراء عشر اوات رؤس بالشاش
والقباش وبعض خدام من الطواشية وكان راكباً به من المباشرين القاضي محمود بن أجا
كاتب السر والقاضي محي الدين القصري ناظر الجديش والقاضي علاء الدين ابن الامام
ناظر الخصاص والقاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان كاتب السر والقاضي أبي اليقظة ناظر
الاسطبل والقاضي بركات بن موسى المحتسب والقاضي شرف الدين الصغير كاتب الممالك
وناظر الدولة والشرفي يونس النابلسي الاستاد ارکان والقاضي كريم الدين بن الجيعان وأولاد
الملكي وغير ذلك من المباشرين ثم جاء الصنحقي السلطاني وانجرت الكؤسات والصنحاق
السلطانية والخليفة وكان به أربعة طبول وأربعة زمور وعشرة أجمال كؤسات
وكان عادة طلب السلطان أن يكون به أربعون جمل كؤسات فشق طلب السلطان من
الرميلة واصطف العسكر والجم الغفير من الناس بسبب الفرجة على الطلب فلما امر
الطلب لم يعجب الناس واستقلوا الخيول التي به وقال من أدرك طلب الاشرف برسبای
لما خرج الى آمد كان في طلبه أربع مائة فرس من مينة بالبركة ستوانات المخل الملون والقولا ذ
وميز بعض الناس طلب يشبك الدوادار لما خرج الى شاه سوار على طلب السلطان وشكره
على هذا الطاب لانه كان مرتباً عن طلب السلطان ونزل من جهة باب الوزير ودخل
من باب زويلة وشق من القاهرة وكان يوماً مشهوداً حتى رجته القاهرة في ذلك اليوم
فاستمر ينسحب حتى خرج من باب النصر وتوجه الى الخنيم الشريف بالريدانية وفي
ذلك اليوم خرج سنيح أمير المؤمنين المتوكل على الله وكان قد امه طبلين وزمرين ونفيرا
ولم يخرج في ذلك اليوم غير طلب السلطان فقط وكانت العادة القديمة أن يخرج
السلطان عقيب طلبه ثم تنسحب أطلاب الامراء بعدهم شيئاً فشيئاً فلم يمش السلطان على
النظام القديم وخالف عوائد الملوك السالفة فانهم كانوا يعلقون الجاليس على
الطبلخانات كعادة الملوك السالفة فانهم كانوا يعلقون الجاليس ويعرضون العسكر ثم
ينفقون عليهم نفقة السفر ويستمر الجاليس معلقاً الى أن يخرج السلطان ولو بعد شهرين
وقد حكى عن الظاهر برقوق انه لما جرد الى تمر لك خرج طلبه ينسحب من باب الميدان وكان
الظاهر برقوق يرتب طلبه بنفسه وهو راكب على فرسه وفي يده طبرو يكر بفرسه من باب

الميدان الى الصوة قيل ان السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون الى البلاد الشامية عند ما تنتقل الشمس الى برج الحمل في أوائل فصل الربيع والوقت رطب وأما الغورى فانه سافر في قوة الحرو والشمس في برج السرطان فحصل للعسكر مشقة شديدة في الطريق وليس من العادة القديمة أن السلطان يشق عند خروجه القاهرة بل يخرج من الصوة وفي العود يشق القاهرة وكان السلطان الغورى لا يقتدى الا برأى نفسه في جميع الامور وفي يوم الخميس ثالث عشره اشيع بين الناس أن شخصاً من عماليك السلطان الجلبان يقال له جانم الافرنجى وكان مجرمًا عاقباً مسرفاً على نفسه خرج صحبة المماليك السلطانية الذين تقدموا قبل خروج السلطان فصار جانم هذا يخطف كل شئ لاح له ويؤذى الناس بطول الطريق فلما بلغ السلطان ذلك أرسل مراسيم شريفة الى أرباب الادراك بأن يقبضوا عليه ويشنقوه حيث وجدوه من غير مشورة فقبل انهم قبضوا عليه وشنقوه على شجرة في بليس وهو بقاشه وسيفه وتر كاشه ووضعوا علماته في الحديد الى أن أتوا بهم الى المقشرة وفي يوم الجمعة رابع عشره نزل السلطان من القلعة وتوجه الى القرافة وزار قبر الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهما وكان صحبته ولده أمير اخور كبير وقيل انه تصدق في ذلك اليوم بحال له جرم وفي ذلك اليوم برز سنيح السلطان وتوجه الى الريدانية وكذلك الامر اخرج سنيحهم فلما كان يوم السبت خامس عشره خرج السلطان الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغورى الى البلاد الشامية والحلبية والناس مدة طويلة لم يروا سلطانا خرج الى تلك البلاد على هذا الوجه من حين توجه الاشرف برسباى الى آمد وذلك في سنة ست وثلاثين وثمانمائة فكانت المدة نحو سبعة وثمانين سنة ولما كانت صبيحة يوم السبت المذكور اجتمع سائر الامراء المقدمين عند السلطان بالميدان وهم بالقاش والقاش نخاع السلطان في ذلك اليوم ميمروا طلسمين على الامير اركاس بن طراباى أمير مجلس وقرره في امرية السلاح وكانت شاغرة من حين قرر الامير سودون الجبى في الاتابكية فكانت عدة الامراء المقدمين الذين تعينوا للسفر صحبة الركاب الشريف خمسة عشر أميراً منهم أرباب الوظائف خمسة وهم المقر الاتابكي سودون بن جاني بك الشهير بالجبى والمقر السيفى اركاس أمير مجلس سلاح والمقر الناصرى محمد بن المقام الشريف أمير اخور كبير والمقر السيفى سودون الدوادارى رأس نوبة الثوب والمقر السيفى قانصوه بن سليمان حركس ثم الامير عمر الحسنى الشهير بالزرد كاش والامير علان بن قراچادو ادانانى أحد المقدمين والامير قانصوه كرت والامير جان بلاط الشهير بالموترو والامير تانى بك الشهير بالخازندار والامير بيس قريب السلطان والامير ابرك رأس الجلبان الاشرفى والامير اقباق الطويل أمير اخور تانى أحد المقدمين والامير كرت باى الاشرفى الذى كان والى القاهرة أحد المقدمين وأما الامراء الطبىخانات من

أرباب الوظائف منهم الامير يوسف الناصري شاد الشرا بختاناه والامير مغلباى والشرفى
يحيى الزردكاش الكبير والامير قانى بك بن بخشباى رأس نوبة ثانى والامير طومان باى
قرا حاجب ثانى وغير ذلك من الامراء الطبلخانات وأما الامراء العشر اوات فعين منهم
جماعة كثيرة يخرجون الى السفر بحبة الركاب الشريف وأما الامراء الذين تخلفوا
بالقاهرة فهم المقر السيفى طومان باى أمير دودار كبير ابن أخى السلطان وقد تمين أن
يكون نائب الغيبة عن السلطان الى أن يحضر والامير طقطبباى نائب القلعة أحد
المقدمين والامير ارزملك الشهير بالناشف والامير قانى بك النجمى أحد المقدمين وكان قرر
فى امرية الحاج والامير ابن بك الشهير بالملك أحد المقدمين والامير قانصوه الفاجر أحد
مقدمى الالوف والامير بخشباى أحد المقدمين وكان قد توجه الى الفيوم بسبب عمارة
الجسر الذى هناك والامير خير بك المعمار أحد المقدمين وكان مقيما بفتح رشيد
بسبب عمارة الابراج التى هناك والامير خردا بردى نائب الاسكندرية أحد
المقدمين وكان مقيما بها والامير قانصوه الشهير برجله أحد الامراء المقدمين نائب قطيا
وكان مقيما بها فلما أشرقت شمس يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر المقدم ذكره
ان صحبت اطلاب الامراء المقدمين المتوجهين بحبة الركاب الشريف فكان أولهم
طلب الامير كرت باى أحد المقدمين وهو الذى كان والى القاهرة ثم طلب الامير اقباباى
الطويل أمير اخور ثانى أحد المقدمين ثم طلب الامير تانى بك الخازندار ثم طلب الامير
ابرك الاشرفى أحد المقدمين ثم طلب الامير علان بن قراجا الدودار الثانى أحد
المقدمين ثم طلب الامير بيبرس قريب السلطان ثم طلب الامير جان بلاط الشهير
بالموتر ثم طلب الامير قانصوه كرت ثم طلب الامير قرا الحسنى الشهير بالزردكاش
ثم طلب الامير قانصوه ابن السلطان بركس ثم طلب الامير انس باى بن مصطفى
حاجب الحجاب ثم طلب الامير سودون الدودار اى رأس نوبة النوب ثم طلب المقر الناصري
محمد نجل المقام الشريف أمير اخور كبير ثم طلب الامير اركاس بن طراباى أمير مجلس
وقد قرر أمير سلاح ثم بعد ذلك مشى طلب الاتابكى سودون بن جاني بك الشهير بالجمعى
وكان طابيه غاية فى الحسن والترتيب فلما انقضى أمر الاطلاب خرج السلطان من باب
الاصطبل الذى عند السلم المدرج فخرج وقدامه النفير السلطاني المسمى بالبرغشى وهو فى
موكب عظيم قل أن يتفق لسلطان موكب مثل ذلك الموكب فكان فى أول الموكب الافيال
الثلاثة وهى منينة بافواع الزينة ثم تواف العسكر المنصور بالشاش والقباش ثم الامراء
رؤس النوب بالعصى يفسحون الناس وقد تواف الامراء الطبلخانات والامراء
العشر اوات قاطبة ثم أرباب الوظائف من المباشرين منهم المقر القاضى محب الدين محمود

ابن اجا كاتب السر الشريف والقاضي ناظر الجيش محي الدين عبد القادر القصري ومنهم
 ناظر الخاص علاء الدين ابن الامام والقاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب
 السر ومستوفي ديوان الانشاء الشريف والقاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة الشريفة
 وكاتب العساكر المنصورة والقاضي بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة واستادار
 الذخيرة والشرفي يونس النابلسي كاتب جيش الشام واستادار العالية كان والقاضي
 أبو البقاء ناظر الاسطبل المهور وأولاد الجيعان كتاب الخزائن الشريفة وأولاد الملوك
 كتاب استيفاء الجيش وكاتب الزردخانه وغير ذلك من أرباب الوظائف من المبشرين
 والشرفي يونس نقيب الجيوش المنصورة وكان حاضر هذا الموكب السادة الاشراف اخوة
 الشريف بركات أمير مكة فكانوا قدم الامراء المقدمين ثم تقدمت الامراء المقدمون
 قاطبة وصحبهم ولد السلطان المقر الناصري أمير اخور كبير والى جانبه الاتاكي سودون
 الهجي ثم من بعد ذلك تقدمت السادة القضاة الاربعة مشايخ الاسلام وهم قاضي القضاة
 الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة الحنفي حسام الدين محمود بن الشحنة
 وقاضي القضاة المالكي محي الدين يحيى الدميري وقاضي القضاة الحنبلي شهاب الدين
 أحمد الفتوحى الشهير بابن النجار ثم بعدهم أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن المستمسك
 بالله يعقوب العباسي وهو لا بس العمارة البغدادية التي بالعذبتين وعليه قباء به لبكي
 بطراز أسود حرير ولم يكن على رأسه صنّيق خليفتي وقد اختصره ذا الخليفة أشياء
 كثيرة مما كان يعمل للخلفاء المتقدمين من أقاربه ثم مشى الجنايب السلطانية فكانوا
 طوائين خيل بعراق وسروج بغواشي حرير أصفر وطبول بازات وطوائين خيل
 بكنايش وسروج ذهب ومياتر زركش وبعضهم بسروج بلور من يكة بالذهب وشي عقيق
 من يلك بفضة وقد تقدم ذكر الطلب بما شرح من وصفه قبل ذلك ثم تقدمت جماعة من
 رؤس النوب مشاة والجاويفية والطبردارية مشاة بالاطبار ولم يكن قدامه لا وطاق
 ولا شبابة سلطانية كما هي عادة السلاطين في المواكب ثم مشى البقي والجامع مغطية بالحرير
 الأصفر ومشى البخوري بالجخرة قدامه ثم أقبل السلطان الملك الأشرف قاصو الغوري
 عز نصره وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة وكان السلطان راكبا على فرس أشقر
 بسرج ذهب وكنبوش وعلى رأسه كاوته وهو لا بس قباء به لبكي أبيض بطرز ذهب على حرير
 أسود عريض قيل كان فيه خمسمائة ذهب بنادقة وكان ذلك اليوم في غاية الابهة والعظمة
 فانه كان حسن الهيئة تملأ منه العيون مجلا في المواكب وأقبل والصنّيق السلطاني على
 رأسه ومقدم المماليك سنبل العثماني خلفه وصحبته السلحدارية بالشاش والقماش
 والجلم الكثير من الخاصكية والجسدارية قد دخل من باب زويلة وشق القاهرة في ذلك

الموكب الحافل فارتحلت له القاهرة في هذا اليوم وصحبت الناس له بالدعاء من العوام وغيرهم وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان فاستمر في ذلك الموكب حتى خرج من باب النصر وكان يوماً مشهوداً ثم وصل إلى الخسيم بالريديانية ثم في عقيب ذلك اليوم نزات نحو بخانات فيها الذهب والفضة وضمن كل واحدة من الذهب العين ألف دينار خارجاً عن المعادن وقد فرغ الخزان من الاموال التي جمعها من أوائل سلطنته إلى أن خرج في هذه التجربة وقد فرغ أيضاً حواصل الذخيرة وأخذ ما فيها من التحف وآلات السلاح الفاخرة التي كانت بها من ذخائر الملوك السالفة من سروج ذهب وبلور وعقيق وغير ذلك من كنائش زركش وطبول بازات بلور ومينه وبركستوانات مكفتة واكوار زركش وغير ذلك من التحف المملوكية فنزل جماعة من كتاب الخزينة صحبة الخو بجانات وجماعة من الخزنندارية وهم بالشاش والقماش فكانت تلك الخو بجانات محملة على خمسين جلاً ثم نزات الزدخانه وهي محملة على مائة جمل وقدامها طبلان وزمران وعيدان نقر على جمال فتوجهوا إلى الوطاق وفي يوم الاحد سادس عشره أرسل السلطان نادى في القاهرة أن الرحيل يوم الجمعة حادى عشره فلا يتأخر أحد من ~~العسكر~~ الذي تعين للسفر ولا يحتاج بحجة ولا عذر ولما أقام السلطان في الوطاق عين جماعة من نواب السادة القضاة للسفر صحبة الركاب الشريف فأما نواب الشافعية فتعين منهم الشيخ زين العابدين نجمل القاضي كمال الدين الطويل والقاضي شمس الدين بن وحيش والقاضي شمس الدين التفهني امام الاميرار كاس أمير سلاح والقاضي زين الدين الظاهري فجملة ذلك أربعة من نواب الشافعية وعين من مشايخ العلم الشافعية جمال الدين الصابوني مفتي المسلمين والشيخ صلاح الدين القليوبي قارئ الحديث الشريف وسافر صحبة هؤلاء العلماء اخوة الشريف بركات أمير مكة وأما من تعين من نواب السادة الحنفية فالسيد الشريف القاضي البرديني والقاضي زين الدين الشرنقاشي والقاضي شرف الدين البلقيني والقاضي عز الدين خليل وأما نواب السادة المالكية فتعين منهم القاضي شمس الدين المسديني والقاضي معين الدين بن يعقوب وأما نواب السادة الحنابلة فتعين منهم القاضي شهاب الدين الهيمشي والقاضي شمس الدين الطرابلسي وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من مشايخ الصوفية فبنهم السادة الاشراف القادرية وخليفة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه والشيخ محمد بن كشك وخليفة سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه والشيخ عفيف الدين شيخ مشيخة السيدة نفيسة رضي الله عنها وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من أئمة السلطان فقاضي القضاة الحنفية شمس الدين السمديسي والشيخ شهاب الدين بن الرومي وأما من توجه من مشايخ القراء صحبته فالشيخ شمس الدين بن الظريف والشيخ الخواص

والرومي والشيخ حسن الطننتائي وابن القاضي خليل والشيخ أبو الفضل القار وابنا
عثمان الاثنان وأمامن سافر معه من المؤذنين فثمهم نور الدين الخواص ونور الدين
الحسني وجلال الدين وناصر الدين وأمامن توجهه صحبة السلطان من الموقعين فثمهم
القاضي رضى الدين الحلبي والقاضي عمر بن معين الدين والقاضي علم الدين العباسي
والقاضي محب الدين الظاهري وشمس الدين الجيزي وسعد الدين بن الرومي وأمامن
توجهه صحبة من كتاب الخزينة فثمهم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن الجيعان
أخو الشهابي أحمد والقاضي شمس الدين محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيعان وأما
كتاب الزردخانه فثمهم القاضي زين الدين عبد الباسط والقاضي عبد الكريم بن الادنى
وغير ذلك من المباشرين وأمامن توجهه صحبة السلطان من الاطباء فثمهم محمد بن الرئيس
شمس الدين القوصوني وهو رأس الاطباء الآن وصحبته جماعة من الاطباء ومن
الكحالين عبد الرحمن بن الشريف ومحمد بن العفيف وآخرون ومن المزينين عبد
القادر المرشدي وآخرون من الجراحيمة وأمامن توجهه صحبة من مغاني الدكة
فثمهم نور الدين المحو جب وأحمد بن أبي سنة وأحمد الحلاوي وتوجهه صحبة السلطان جماعة
كثيرة من البنائين والتجارين والحدادين كما جرت به العادة وسافر معه شيخ المشايخ المسمى
بشيخ الحرافيش وجنده وصنجه وطبله وكان هو قدام طالب السلطان لما دخل الى دمشق
كما جرت به العوائد القديمة عند خروج التجاريد ولما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر
رحل من الخيم الشريف ثلاثة من الامراء المقدمين وهم الامير كرتباي الاشرفي الذي كان
والى القاهرة وبقي مقدم ألف وكان جملة مامعه من مماليكه أربعين مملوكا والامير ابرك
الاشرفي والامير بيسرس قريب السلطان وكان جملة مامعه من مماليكه أربعة وأربعين مملوكا وفي
يوم الاربعاء تاسع عشر من رحل من الامراء المقدمين ثلاثة أيضا وهم الامير تاني بك الخازندار
وكان جملة مامعه من مماليكه اثنين وستين مملوكا والامير قانصوه كرت وكان جملة مامعه من
مماليكه اثنين وخمسين مملوكا والامير قانصوه ابن سلطان بكر كس وكان جملة مامعه من
مماليكه ستة وسبعين مملوكا وأما الامير جان بلاط الموت فكان جملة مامعه من مماليكه ستة
وثلاثين مملوكا والامير تر الزرد كاش كان جملة مامعه من مماليكه اثنين وسبعين مملوكا وفي
يوم الجمعة حادى عشر من رحل من الامراء المقدمين أرباب الوظائف الامير انسباي
حاجب الخباب وكان جملة من معه من المماليكه أربعة وستين مملوكا والاتبكي سودون العجي
وأما المقر الناصري ولد السلطان أمير اخور كبير والامير اقباي الطويل أمير اخور ثاني
فانهم لا يرحلون الا في ركاب السلطان وكان جملة مامع الاتبكي سودون من مماليكه
مائة وخمسة وثلاثين مملوكا وولد السلطان عشرين مملوكا كناية صغار الخدمة وجملة مامع

الامير اقباي الطويل من عماليكه خمسة وأربعين مملوكا فكان جملة مامع هؤلاء الامراء الذين توجها صاحببة السلطان تسعمائة وأربعة وأربعين مملوكا على ما قيل ويقال ان عدة المماليك الذين خرجوا في هذه التجربة من القرائصة والجلبان وأولاد الناس خمسة آلاف نفر على ما قيل والله أعلم وقيل تأخر بالقاهرة من المماليك القرائصة والعواجر والشيوخ والمماليك الجلبان في الطباق والقلعة وأولاد الناس نحو ألفي نفر على ما قيل وفي يوم الجمعة حادى عشره رحل من الريدانية الاتابكي سودون العجمي هو وأتباعه وعماليكه وتأخر ابن السلطان والامير اقباي الطويل أمير اخو رثاني وأشييع أنهم ما يرحلان صحبة السلطان ولما كان السلطان بالخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند نائب حلب واذ فيها ان ابن عثمان أرسل قاصدا فعوقنا عندنا وأخذنا الكتاب منه وها هو واصل لكم فوصل اليه وهو بالخيم بالريدانية ولما فكه السلطان وقرأه فاذا فيه عبارة حسنة وألفاظ رفيعة منها أنه أرسل يقول له أنت والدي وأسـ... تلك الدعاء واني ما زحفت على بلاد على دولات الاباذنك وانه كان باغيا على وهو الذي أنار الفتنه القديمة بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى بينهما ما جرى وهذا كان غاية الفساد في مملكتكم وكان قتله عين الصواب وأما ابن سوار الذي ولي مكانه فان حسن بياكم أن تبقيه على بلاد آبيه أو تولوا غيره فالامر راجع اليكم وأما التجار الذين يجلبون المماليك الجراكسة فاني ما منعتمهم وانما هم تضرروا من معاملتكم في الذهب والفضة فامتنعوا عن جلب المماليك اليكم وان البلاد التي أخذتها من على دولات أعيدها لكم وجميع ما ترومونه ويريد السلطان فعلمناه فلما سمع السلطان ذلك أحضر الامراء المقدمين وقرأ عليهم كتاب ابن عثمان فانشرح الامراء والسلطان لهذا الخبر واستبشروا بأمر الصلح والعود الى الاوطان عن قريب وكان هذا كله حيل وخداع من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد وفي عقيب ذلك اليوم حضر الامير اينال باي الدوادار سكين الذي كان توجهه الى حلب بسبب كشف خبر ابن عثمان فلما حضر وجد السلطان قد برز خيامه الى السفر وخرج من القاهرة فانحدر أن قاصدا ابن عثمان وصل الى حلب وأن ابن عثمان يقصد الصلح بينه وبين السلطان فقدم لاينال باي هنالك مقدمة حافلة ومما وقع للسلطان وهو بالوطاق أن ليلة رحيله من الريدانية خلع على الامير طومان باي الدوادار كاملية بسمو حافلة وقرر نائب الغيبة بالقاهرة الى ان يحضر وخلع على القاضي بركات بن موسى وقرر في الحسبة عوضا عن الامير ماماى الى أن يحضر ووجه الزيني بركات بن موسى المذكور متحدا في جميع أمور السلطنة وفي تلك الليلة أحضر مشاعل موقدة فطارت منها شرارة على خيمة السلطان فاحترق جانب منها فلم تتفأمل الناس بذلك بسبب السلطان فلما دخل الزيني بركات بن موسى

الى القاهرة تضاعفت عظمتها الى الغاية وصار في مقام نظام الملك وهو المنتصرف في أمور المملكة والامير الدوادار الكبير معه كاللوا ب يديره كيف يشاء وفي تلك الليلة أيضا خلع على الامير الماس وقرره والى القاهرة وأوصاه بحفظها وعدم الظلم وخلع على الامير مامى المحتسب ورسم له بالسفر معه الى حلب فرجع الامير الدوادار من عند السلطان وشق من الصليبية في موكب حافل وقدامه المنادون تنادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان لا أحد من الناس يمشى من بعد العشاء بسلاح رديشوش مملوك ولا غلام على مسبب وأن من كان له ظلامة أو حق شرعى على أحد ولم يدفعه له فعليه بباب الدوادار فارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وكان الامير الدوادار محبباً للرعية والفقراء قليل الاذى في حق الناس ولما شق الصليبية شق في موكب حافل وقدامه السعاة والسقاؤون والجمل الكثير من الناس والاتباع والمماليك السلطانية وتوجه الى منزله في ذلك الموكب وقد قلت في ذلك

لقد شرف الاكوان نائب غيبة * أمير دوادار الى النهى والامر
كريم شجاع في المعامع فارس * له نصرة في الحرب بالبيض والسمر
اذا ما اشتكى المظلوم من جور ظالم * له طاعة بالعدل تؤذن بالفجر
فيارب كن عوناً له ومساعد * على كل ما يغشاه من حادث الدهر
وأبق ابن موسى للرعية انه * كلهم زكى القلب أمن من السحر
جناب كريم ثم ناظر حسبة * ومولده قد كان في ليلة القدر
وللسادة الاشراف ينظر بالتقى * ونالهم نذاغية الفوز بالاجر
وصار لديوان الذخيرة ناظرا * وعامله في أعناق أعدائه يبرى
عزيز بمصر حاز طاعة يوسف * أعوذ به بالنجم والنور والحشر

وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الآخر رحل السلطان من الخيم الشريف بالريمانية وصحبته الخليفة والقضاة الاربعة وولده المقر الناصري أمير اخو كبير واقباى الطويل أمير اخو رثاني فصلى صلاة الصبح ورحل وتوجه الى خانقاه سرياقوس وكانت مدة اقامته في الوطاق بالريمانية سبعة أيام فلما توجه الى خانقاه سرياقوس أقام بها يوماً وليلة ورحل عنها يوم الاحد ثالث عشره وفي يوم الاثنين رابع عشره فرقت الجامكية الثالثة على العسكر الذي تأخر عصر فجلس الامير طقطباى عند سلم المدرج وصرفت الجامكية بحضرته وهذه أول جامكية صرفت في غيبة السلطان وفي ذلك اليوم رسم الامير الدوادار للامرءاء المقدمين الذين عينهم السلطان الى الشرقية والغربية بأن يخرجوا ويسافروا لاجل حفظ البلاد من فساد العربان فتوجه الامير تاني بك الى الشرقية والامير ازبك المسكحل الى الغربية والامير قانصوه الفاجر الى المنوفية والامير قانصوه أبوسنة الى

البحيرة والامير بنخشباي كان مسافرا الى جهة الفيوم بسبب عمارة الجسر الذي هنالك ثم
 نادى الامير الدوادار في القاهرة لجميع المماليك السلطانية المعينين الى البلاد بان يخرجوا
 صحبة الامراء الذين يسافرون الى الشرقية والغربية ولا يتأخر عن ذلك أحد من المماليك
 المعينة للسفر فامتلأوا ذلك وفي يوم الاثنين رابع عشرية توفي الامير نوروز تاجر المماليك
 وأحد الامراء الطبخانات وكان أصلا من مماليك الاشرف قايتباي وكان قد كبر وثقل
 في الشحم حتى عجز عن الحركة واستمر على ذلك حتى مات فأشيع أن السلطان أنعم على
 مملوكه ماماي الذي قرر في الحسبة ببرك نوروز وخيوله وبغاله ونحياسه على ما قيل والله أعلم
 وفي ذلك اليوم أظلم الجو وأرعد وأبرق وأمطرت السماء مطرا غزيرا وكان ذلك في أول بؤنة
 من الشهور القبطية فاستمر المطر عمالا ثلاثة أيام متوالية حتى عت ذلك من النواذر وقام
 عقيب ذلك رياح واصفر الجو صفرة عظيمة وقت المغرب فتفاهل الناس بوقوع فتن في الوجود
 وقد جرى فيما بعد وفي ذلك اليوم جاءت الاخبار من عند السلطان انه لما رحل من الخانقاه
 وجد في وطاقه شخص من السعادنة زعموا انه فداوى أرسله علم الدين جلبي السلطان
 الذي تغير خاطره عليه كما تقدم ذكر ذلك فقال أعداء علم الدين انه أرسل ذلك الفداوى
 ليقتل الصبي المسمى بعبد الرزاق الذي صار جلبي السلطان عوضا عن علم الدين فقبضوا
 على ذلك الرجل الذي زعموا انه فداوى وأحضره بين يدي السلطان فقرره فامكر فرسم
 بشنقه ثم ان السلطان أرسل ليقول للامير الماس والى القاهرة بان يكبس على علم الدين
 وعلى أقاربه ويقبض عليهم ويشنق علم الدين على يابه فلما بلغ علم الدين الجلبي ذلك اختفى
 وهرب من بيته ثم ان الوالي قبض على جماعة من الساسة من أقارب علم الدين ووضعهم
 في الحديد فأشيع بين الناس انه شنقوه في المقشرة أو سجنوهم حتى يحضر السلطان
 وكان قبل ذلك حرق الامراء أيضا عدة شئون دريس في الحسينية بنحو ألقي دينار فتنسبوا
 ذلك لفعل جماعة من الساسة من أقارب علم الدين الجلبي واذا وقعت البقرة كثرت
 سكاكينها واستمر الطلب الحثيث على علم الدين الجلبي الى أن ظفروا به فقبل ان الوالي لما
 هرب علم الدين أرسل مماليكه باللبس الكامل في طلب علم الدين فلم يظفروا به وفي يوم الجمعة
 ثامن عشرية خرج الامير الدوادار وسافر بسبب سد جسر الفيض وجسر ابي المنجا وقد
 أعيا الخولة سدهما وكان النيل قد زاد قبل المنادة وكان في اثني عشر ذراعا فتعب الامير
 الدوادار في سد تلك الجسور غاية التعب وكسر مراكب في أساس هذين السدين والماء
 يقوى على ما يصنعون الى ان أعان الله وسدهما ورجع وفي جادى الاولى خرج الامير
 ماماي الصغير المحتسب وسافر وخلق السلطان وخرج صحبته صبي صغير عمره ثلاث عشرة
 سنة ويقال له قاسم بن احمد بك بن أبي يزيد بن عثمان وكان عمه سليم شاه بن عثمان لما قتل أخاه
 احمد بك فرائبه قاسم هذا هو ولاؤه ودخل الى حلب في الخفية ثم جاء الى مصر وأقام بها الى

أن خرج السلطان الى جهة البلاد الشامية فأخذه صحبته ليبلغ بذلك مقاصده فلم يقدم
 ذلك شيء ولما خرج صحبة الامير ماماي خرج وقدمه جنائب وكان السلطان قد قام له
 بمصالح البرق وتكاف عنه بنحو ألفي دينار حتى يظهر أمره ويشاع ذكره في بلاد بني عثمان
 بأن في مصر من أولاد بني عثمان ولذا ذكرنا وطن السلطان أن عسكر ابن عثمان اذا سمعوا
 ذلك يخامرون على سليم شاهو يأتون الى هذا الصبي قاسم فلم يظهر لهذا الامر نتيجة ولا أفاد
 ما قصده شيئا فشق من الصليبية وعلى رأسه عمامة تركمانية وفي وسطه خنجر ملوكي وقيل
 كان في اذنه بلخشة ممتنة وصحبته جماعة من العثمانية وخرج صحبته الامير ماماي والامير
 اينال باي دوا دارسكين الذي كان قد حضر من البلاد الشامية فرسم له السلطان بالعود
 ثانيا صحبته الى حلب ومن الحوادث التي جرت في غيبة السلطان ان الامير الماس والى
 الشرطة صار يحجر على الناس ويأمرهم بأن يعروا على الحارات والازقة ودروب في أماكن
 شتى فعمروا دربا في رأس سوق الدريس ودربا في الحسينية ودربا على قنطرة الحاجب ودربا
 عند الفرايين وآخر عند خوذة القطينين وآخر عند المقدس وعدة دروب في أماكن شتى
 وسدعة نخوخ كانت بالقاهرة فصار على رأس الناس طيرة بسبب المناسر والحريق بالقاهرة
 وأمرهم بأن يعلقوا على كل دكان قنديلا وان لا يخرج أحد من الناس من بيته بعد العشاء
 ولا يمشي بسلاح ومن الوقائع اللطيفة أن الامير الدوا دار لم يشوش على أحد من أجناد
 الحلقة ولا ألزمهم بالمبيت في القلعة في غيبة السلطان وكانت العادة القديمة ان السلطان
 اذا سافر نحو البلاد الشامية تسلط نقيب القصر على أولاد الناس من نقيب الحلقة
 ويلزمهم بالمبيت في القلعة في كل ليلة في مدة غيبة السلطان الى أن يحضر من السفر
 فيحصل لهم مشقة زائدة ويقاسون تعباً شديداً بسبب طوعهم كل ليلة الى القلعة ليبيتوا بها
 بعيداً عن بيوتهم في الشتاء والذي لا يبيت يقيم له بدلا يبيت عنه بالقلعة وكان ذلك يعمل
 الى أيام الاشرف قايتباي لما كان يسافر فلم يتعرض الامير الدوا دار لمساك سفر الغوري الى
 أحد من الناس من أجناد الحلقة فكتب ذلك في صحيفة الامير الدوا دار ودعاه أولاد الناس
 الذين أبطل عنهم هذه السنة السيئة ومن الحوادث في غيبة السلطان أن شخصاً من عماليك
 السلطان الجلبان قصد أن يشتري قحاً من مركب على شاطئ البحر فلما اشتراه لم يجد تراسا
 فوجد شخصاً من الفلاحين الصاعدة ومعه جاروز كبيرة فأمسك المملوك ذلك الجار
 والركبية فلم يعطه الفلاح اياهما وتنازع معه فضربه المملوك ضرباً مبرحاً على رأسه حتى
 سال دمه فألقى الرجل نفسه في البحر فأغشى عليه فمات فعند ذلك تكاثر الناس على ذلك
 المملوك فسكوه وأتوا به الى بيت الامير الدوا دار فوضعه في الحديد وأرسله الى الوالي فلما
 بلغ خدش شينه أتوا الى بيت الدوا دار فوجدوه غائباً نحو جسر الفيض بسبب سده فقبل

للمالك ان ذلك المملوك سلمه الامير الدوادار الى الامير الماس الوالى فعند ذلك نزل من
الطبايق الجمل الكثير من الممالكة الجلبان لا يحل أن ينهبوا بيت الوالى ويحرقوه
ويطلقوا المملوك فتغافل الامير الدوادار عن أمر ذلك القتييل وراحت على من راحت
ومن الحوادث في غيبة السلطان ان شخصاً من الطواشية يقال له عنبرمة - دم طبقة
الاشرفية وكان ساكناً بالقلعة في خرائب تتركها ما بالمال وكان عنده ودائع من جوامك
للمالك فنزل عليه بعض الحرامية وهو راقد في بيته ليلا وضربوه على رأسه بالجلابات حتى
مات وأخذوا جميع ما في بيته وقتلوا عبده وجاريته ولم يقطع فيها شاتان حتى تحير الامير
طقطباى نائب القلعة من ذلك وكيف جرى في وسط القلعة والابواب تغلق من بعد المغرب
فعند ذلك من العجائب وفي يوم الثلاثاء تاسعه توفي قاضى القضاة الشافعية جمال الدين
ابراهيم ابن الشيخ علاء الدين القلقشندي رحمة الله عليه وكان من أهل الدين والعلم والفضل
وله سند عال في الحديث الشريف وولى منصب القضاء في أيام الاشرف الغورى مرتين
وكان قد كبر وشاخ وقارب التسعين سنة وكان من أعيان علماء الشافعية رحمة الله عليه
وفيه وردت الاخبار بأن السلاطنة دخل الى الصالحية في يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع
الآخر قيل انه لما أراد الرحيل منها أذن للخليفة والقضاة الاربعة أن يتقدموا الى غزة
ثم لما وصل الى قطيا لاقاه الامير قانصوه رجلاً نائب قطيا ومثله هنالك مدة حافلة وقدم له
تقدمة جيدة على ما قيل ومن الاشاعات التي أشيعت في أثناء الطريق أنه سرقت بغلة قاضى
القضاة الحنفية ثم ظهرت بعد ذلك وتكاف عليها الخيلون حتى رجعت اليه وأشيع أن
بقعة فيها قاش قاضى القضاة الحنبلي سرقت من خيمته وأشيع أنه قد سرق للسلطان جمل
عليه مال له صورة فقبض على من فعل ذلك ووسط من الجملة ثلاثة أنفار وكل ذلك اشاعات
ليس لها صحة ثم وردت الاخبار أن السلطان دخل مدينة غزة المحروسة يوم الخميس رابع
جمادى الاولى فلاقاه الامير دولابى نائب غزة ومثله مدة حافلة وقدم له مقدمة عظيمة
وقيل انه أقام بها خمسة أيام ورحل عنها وأشيع أن السلطان لما كان بغزة خلع على جمال
الدين الالواحى بواب الدهشة وقرره معلم المعلمين عوضاً عن الشهابى أحمد بن الطولونى بحكم
انفصاله عنها وكان هذا من غلطات الزمان في تولية الوظائف غير أهلها وفي يوم الجمعة تاسع
عشر طلع ابن أبي الرادى بشارة النيل المبارك فأخذ القاعدة فجاءت اثني عشر ذراعاً وهذا
من النوادر وقد بقي على الوفاء ستة أذرع هكذا نقله المقرئ في الخطط وزاد الشيخ جلال
الدين السيوطى في كتابه المسمى بـ كوكب الروضة أربعة وعشرين اصبعاً
من أيام الناصر محمد بن قلاوون ماراً والقاعدة جاءت اثني عشر ذراعاً فان في أيامه سنة إحدى
وستين وسبع مائة جاءت القاعدة اثني عشر ذراعاً وكان الوفاء سادس مسرى وبلغت الزيادة

في تلك السنة الى ما يقرب من أربعة وعشرين ذراعا فحصل للناس بسبب ذلك الضرر
الشامل واستسقطوا في هبوطه حتى هبط به دما مكث الى آخر ثوب ثم في أيام الاشرف
برسباي في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة جاءت القاعدة أحد عشر ذراعا وعشرة أصابع
وكان الوفاء ثاني مسرى وبلغت الزيادة في تلك السنة عشرين اصبعاً من الذراع العشرين
وثبت الى أواخر بابه فلما جاءت القاعدة في هذه السنة اثني عشر ذراعا حسبت الناس أن
النيل يمكث على الاراضي وقت أوان الزرع وانه يبقى في غير أوانه فحصل في هذه السنة
الأكلى خير وفي النيل في أوانه وسيأتي الكلام عليه في موضعه وفي يوم السبت سابع
عشر به توفي الأمير جاني باي من طبقة الزمامية وكان من أمراء الطبقة الخانات وأصله من
ممالك الاشرف قايتباي وكان لا بأس به وفيه أخر جوافلوسا جددوا وأبطلوا الفلوس
العتق ونادوا بان الفلوس العتق ينصفين الرطل والجدد معاددة فوقف حال الناس بسبب
ذلك وفي جادى الآخرة وكان مستهل يوم الثلاثاء توجه جماعة من نواب القضاة وأعيان
الناس الى بيت الأمير الدواداروهنوه بالشهر وفي هذا الشهر وردت الاخبار بان السلطان
دخل الى دمشق المحروسة يوم الاثنين ثامن جادى الاولى فلاقاه الأمير سيباي نائب الشام
ودخل في موكب حافل وقدامه الخليفة والقضاة الاربعة وسائر الأمراء المقدمين
وأمراء الطبقة الخانات والعشراوات وأرباب الوظائف من المبشرين والجم الكثر من
العسكر والناس ولاقاه أمراء الشام وعساكرها وحل على رأسه القبة والجلالة كما جرت به
عوائد الملوك من قديم الزمان فزينت له مدينة دمشق زينة حافلة ودقت له البشائر بقلعة
دمشق ونثر على رأسه بعض تجار الافرنج ذهباً وفضة وفرش له سيباي تحت حافر فرسه
الشقق الحرير وازدحت عليه الممالك بسبب نثار الذهب والفضة فكاد السلطان أن
يسقط عن ظهر فرسه من شدة زحام الناس عليه فنههم من نثار الذهب والفضة ومن فرش
الشقق الحرير تحت حافر فرسه فكان له بدمشق يوم مشهود ودع ذلك من المواكب
المشهود فاستمر ذلك الموكب الحفل حتى دخل من باب النصر الذي بدمشق وخرج الى
الفضاء منها وتوجه الى المصطبة التي يقال لها مصطبة السلطان وهي بالقابون القاووني
فنزله هناك ورسم ابعض حجاب دمشق بعمارتها وكانت قد تشعشت من مرور السنين وهذا
الموكب لم يتفق لسلطان من بعد الاشرف برسباي لما توجه الى الشام في سنة ست وثلاثين
وثمانمائة سوى الملك الاشرف قانصوه الغوري ثم ان السلطان أقام بالمصطبة التي بالقابون
تسعة أيام وقيل ان قاضي القضاة كمال الدين الطويل خطب بجماع بني أمية فجعتين
ولم يحضر السلطان هناك إلا الجمعة وقيل استمرت مدينة دمشق مزينة سبعة أيام
ثم ان السلطان رحل عنها وتوجه الى حصن ثم رحل عنها وتوجه الى حماة فلاقاه نائبها جان

بردى الغزالي قيل انه مدله هناك مدة حافلة أعظم من مدة أمير الشام على ما أشيع وقيل ان
السلطان لما رحل من حماه نزل بها قاسم بك بن أحمد بن عثمان الذي تقدم ذكره عند ما خرج
من مصر وسافر صحبة الأمير ماماي المحتسب ك كما تقدم وقيل انه في ليلة الاثنين رابع
عشر هذا الشهر خسف جرم القمر خسوفا فاحشاً حتى أظلمت الدنيا وأقام في الخسوف فوق
خمسين درجة وتغطي بالسواد جميعه واستمر في الخسوف الى ثلث الليل الاخير وفي يوم
الاثنين رابع عشره رسم الأمير الدوادار بشنق شخص من العربان المقسدين على قنطرة
الحاجب وقد ضبط الأمير الدوادار أحوال الديار المصرية في غيبة السلطان ضبطاً جيداً
ورسم للأمير الماس والى القاهرة بأن يطوف في كل ليلة من بعد العشاء وعين معه مائة
مملوك من المماليك الجلبان يطوفون معه كل ليلة تنزل جماعة من المماليك من طباقهم
بالنوبة ويطوفون مع الوالى الى طلوع الفجر فلم يقع في غيبة السلطان في القاهرة الا كل خير
وكان ذلك على غير قياس وكان الأمير الدوادار في كل وقت يقع الأمير الماس الوالى بسبب
ما أخذه من الناس لأجل الدروب وقد أخش في الظلم في هذه الحركة فكان يتفق مع أرباب
الادار والفقراء فيجبوا له من سكان الخطط والحارات لأجل عمارة الدروب فيجبوا له من
الناس أموالاً لها صورة فكانت الفقراء اذا وقفوا على باب أحد من السكان يقررون عليه
من الدراهم بحسب ما يختارونه من ذلك فاذا هرب صاحب الدار سمر والبواب على أولاده
وعياله حتى يحضروا يدفع لهم ما قرروه عليه والمرأة الارملة يسمر والبواب عليها ويتركوها
بالجوع والعطش حتى ترمى لهم من الطاقة اللعاف أو الراحة أو البساط أو غير ذلك فكانوا
يقررون على الفقراء من الناس شئ أشرف وشئ أشرفين وأما أعيان الناس فكانوا يقررون
عليهم شئ خمسة أشرفية وشئ عشرة أشرفية بحسب ما يختارونه ففعلوا مثل ذلك بخط
المقس وخط باب البحر وسويقة اللبن والحسينية وسوق الدريس وخط بركة الرطلى وغير ذلك
من الاماكن والخطط ففعلوا في هذه الحركة ما لم يفعلوه ناد من وجوه الظلم والفساد
وهم يزعمون أن في ذلك نفعاً للمسلمين في عمارة الدروب فيجبوا من هذه الحركة ما لاله صورة ولم
يصرفوا منه الا القليل ثم حسنوا اللو الى عبارة بأن يجبي من جامع ابن طولون الى مشهد
السيدة نفيسة الى آخر السوق الطولوني على جميع الاملا والكدكاين التي هنالك وزعموا
أنهم ينشؤ أسواراً على حدة ابن قحجة الى باب القرافة وزعموا أن ذلك يمنع هجمة العربان على
حين غفلة وكل هذا حيلة على أخذ مال الناس فشرعوا في كتب أسماء الدكاين والاملاك
التي بتلك الحارات الطولونية والقرافية فلما بلغ الأمير الدوادار زجر الماس وخط عليه
وكان أشاع ذلك على لسان الأمير الدوادار خلف الأمير الدوادار أعياناً مغالطة أنه ماله علم
بذلك وأبطل هذه الحادثة المهولة فدعاه الناس فاطبة ثم ان جماعة حاجب الحاجب قصدوا

أن ينشؤا منظمة أخرى وهي أنهم يجوبوا من مكان بركة الرطلى ما لاله صورة بسبب قطع الطين
الذى فى فم البركة فانه كان قد عـ لاجـ داحتى امتنع دخول المراكب للبركة ولما بلغ الامير
الدوادار ذلك أبطل هذه الفعلة أيضا ورسم بسد فم البركة رأسا حتى لا تدخل اليها المراكب
وفى يوم السبت تاسع عشره حضر الامير الدوادار وكان قد توجه الى النسيم ليكشف عن
الجسر الذى عمره الامير بجشـ باى هنالك فكشف عليه وعاد بعد أيام وفى غيبة السلطان
كان الامير الدوادار يركب كل يوم ومعه الامراء العشراوات الذين يصرون ويسبون نحو
المطرية وبركة الحاج فاذا رجع يدخل من باب النصر وقد امه الجمل الكثير من الامراء
والعسكر وكل هـ ذالاجـ ل العرب والفلاحين حتى لا يظنوا انه مابقى فى مصر عسكر ولا
يطعموا فى أمر العامة وكان هـ ذا من الاراء الحسنة وفى يوم الاثنين حادى عشرى بجادى
الآخرة الموافق لسابع عشرى أيب كان وفاء النيل المبارك وفتح السد يوم الثلاثاء ثانى
عشرىه الموافق لثامن عشرى أيب وقد وفى قبل دخول مسرى بأربعة أيام وكان للناس
مدة طويلة من سنة خمس وأربعين وثمانمائة مارأ والنيل وفى فى سابع عشرى أيب الا فى
تلك السنة فصنف منادى البحر هذه الكلمات يا حبيب اهنأ وطيب النيل أو فى فى أيب
وقد بقينا فى هنا يا فرحنا وكلمات أخر غير ذلك فلما وفى النيل توجه الامير طومان باى
الدوادار نائب الغيبة لفتح السد فنزل فى مركب الحراقة وتوجه الى المقياس وخلق العامود
ثم نزل من المقياس فى الحراقة المذكورة وصحبته جماعة من الامراء المقدمين الذين
كانوا يصرون منهم الامير طقطب باى نائب القلعة والامير أرزمك الناشف وآخرون من الامراء
فتوجه لفتح السد وكان يوما مشهودا فلما فتح انسعد اعدا الامير الدوادار الى بيته فى موكب
حافل وقدامه الامراء بالشاش والقماش وجماعة من المباشرين فلما فتح السد جرى الماء فى
الخلجان بعزم قوى وسر الناس فى ذلك اليوم بوفاء النيل قبل ميعاده وقد قيل فى المعنى
تفتح بماء النيل قبل وفائه * فقد طاب منه الشرب وهو لنا طاب
وقد سكبت منه الجنادل فيضها * فأضحى بلا شك حلاوته ~~سكب~~
❦ ومن الحوادث أن الامير الدوادار نائب الغيبة منع الناس أن يسكنوا الجسر الذى ببركة
الرطلى والخلجان قاطبة وعمل جسرا على خليج الزرية عندهم وردة الجبس فالأمر الجزيرة
الوسطى الى الخراب فلم يكن بها بيت ولا فتح فيها وكان ومنع المقاصفية أن ينصبوا مقصفا فى
الجسر ولا فى الزرية فلم يكر فى الجسر ولا فى الزرية بيت ولا دكان ولم يسكن المسطاح ولا
حكر الشامى ولا الزرية وصارت بيوت بركة الرطلى خاوية على عروشها ولا سيما بيوت أولاد
الجيحان وبيت كاتب السرو غير ذلك من بيوت الاعيان فحصل للناس فى هـ هذه السنة غاية
الانكد بسبب ذلك وخسر الناس كراء بيوتهم وأشيع سد خوخة الجسر فتلطف القاضى

بركات بن موسى المحتسب بالامير الدوادار في أن يسمح للناس في دخول المراكب على العادة وأن يسكنوا الجسر فأبى من ذلك وقال ان العوام يفسدون نساء الاغوات المسافرين صحة السلطان في هذه النيلية وابسته مصمما على منع ذلك ثم في أواخر النيلية شفع القاضي بركات بن موسى في خمسة مراكب للبياعين أن تدخل في البركة على العادة فدخل الحلواني والجبان والفاصكهافي والعداس والسويحاني لا غير فأقاموا أياما يسرون فلم يجدوا من يبيعون عليه فضاوا الى حال سبيهم واستمرت بركة الرطلي ليس بها ديار ولا نافخ نار فعند ذلك عمل الشيخ بدر الدين الزيتوني هذه المرتبة اللطيفة في واقعة الحال فقال

سألت الاله العرش ينعم بالنصر * لسلطان الغوري فهو أبو النصر
ملك عزيز أشرف ومظفر * مؤيد دين ظاهر كامل القدر
لغيبته أضحى على الكون وحشة * فها بركة الرطلي مدمعها بحري
يحق لنا نرى المقاصف بالبكا * خصوصاً من المسطاح مع لذة الجسر
لقد كان فيه للخليع تواصل * لعمرك ان الوصل خير من الهجر
وكان بها جـيزة طاب ظلها * فراح عليها الطير والوحش في القفر
على ما جرى للجسر ساقية بكت * وصاحت بقلب صار في غاية الكسر
ودوحته تبكي بجماعه دما * وقد أصبح الشامي يبكي على الحمر
وأضحت بيوت الجسر خالية فلا * لصاحبها سكنى ولا أحد يكرى
وقد أصبحت تلك القصور خاليا * فيا وحشة السكان من كل ذى قصر
على بركة الرطلي نوحوا وعددوا * لما حل فيها من نكال ومن خسر
فكان بها لاقادسي حـلاوة * مشبه كما يشدو من المسك والعطر
وكان بها الفكاه يسمى بمركب * بنجـوخ ورمان يبشر بالبشر
وزهر ونسرين وآس ونوفر * لها بهجة للرمطية النضر
وكان بها الجبان يقبل بمركب * فيجمع بين النار والماء في البحر
وكان بها اللادكـلين قطائف * بها عطش تسقى من الغيث بالقطر
لها رونق في العن من فستق بها * وسكرها يروى حديث أبي ذر
وكان بها الحشاش يسرد بهجة * فذق طعم الذاته صار في فـكر
وكان بها السكير في غاية الهنا * يدير كؤوس الراح في ليلة البدر
وكان بها اللرا كمين مراكب * مسترة فيها وأخرى بلاستر
وكم داخل فيها مغن ومنشد * بنغمة فم من خفيف ومن شعر
وكم آله للطرب بين عهدتها * وجنك واعواد تغرد كالقمرى

وقد درست تلك المعاهد كلها * وناحت بها الغربان واليوم في الوكر
 وشق شقيق الروض فيها ثيابه * وأرمى غصين الدوح ما فيه من زهر
 وقد لبس الشكر ورسود ثيابه * وأبدى خري الماء لطمه ما من النهر
 وسالت دموع السحب من أعين السماء * وصار ضياء الصبح كالليل اذ يسر
 وقد كسفت شمس الضحى في سمائها * وأظلم نور البدر بالخف للفجر
 جزيرتنا الوسطى خراب لانها * بها وضعوا سد الماء بها يجري
 وقد أخذوا أنقاضها لمبيعها * ولم يبق فيها من بناء سوى الجدر
 وقد أصبح النوى في غاية الضنا * ولا يلتقي فيها معاش ولا مكرى
 وباع قماش الستر منها وقاعها * وباع المدارى حيث يدري ولا يدري
 فيا مقلتي جودي بدمع تحسرا * ويام هجتي صبرا وناهيك بالصبر
 رعى الله أياما تقضت بطيها * ونحن بمصر في أمان وفي بشر
 وكان الدوادار الكبير هو الذي * أشار بهذا المنع بالنهاى والامر
 أراد به - ذا المنع صون حريم من * غدا صعبة السلطان والبنيت في الخدر
 فكان بهذا الامر أكرم صائن * حريم جميع الناس من آفة الدهر
 ولولا ابن موسى كان في البعض شافعا * وقد نال شكر الشاكرين مع الاجر
 لما سمعوا فيها بركب بائع * ولا لاح فيها من جليس على الجسر
 فياربنا - أنعم علينا بنصرة * لسلطاننا الغورى والعسكر المصرى
 وأنعم بعود الكل في خيرة - دم * الى الاهل والاوطان في غاية الخير
 وصل على المختار من آل هاشم * محمد الهادى الى الخير والبشر
 كذا الآل والاصحاب والتبع الاول * لهم غاية الاحسان في موقف الحشر
 عليهم صلاة الله ما هبت الصبا * صبا على عود وما غرد القمرى
 وناظمها العوفى يدعو لكل من * رأى عيبا يتوفى وينعم بالسنة

وفي يوم الجمعة خامس عشره توفي الشيخ تاج الدين الذي كان من أعيان مشايخ
 الصوفية وله شهرة طائلة بالصلاح والاستقامة بين الناس وكان لا بأس به وفي شهر رجب
 توفي الامير طرباى أحد الامراء العشر اوات وكان مستهله يوم الخميس فتوجه جماعة من
 فواب القضاة والكتاب والاعيان الى بيت الامير الدوادار نائب الغيبة وهنؤه بالشهر وفي يوم
 الخميس ثامنه توفي تغرى بردى المعروف بالشمشمانى وكان يدعى أنه من الامراء العشر اوات
 قيل انه كان من جملة السقافات عن عدة أقطاع ورزق مشرواته وكان في سعة من
 الرزق وكان ينسب الى شيخ زائد وبخل وفيه جاءت الانخبار بوفاة شخص من الامراء

العشراوات يقال له مسايده وكان مسافرا صحبة السلطان في التجريدة وكان أصله من مماليك
الاشرف قايتباي وفيه دخل الامراء الذين كانوا في نواحي الشرقية والغربية كما تقدم
ذكر ذلك فرجعوا عندهما وفي النيل وتقطعت الطرقات بالمياه وفيه قلق الناس بسبب
الفلوس الجدد فصارت البضائع تباع بسعرين ووصل صرف النصف الفضة بالفلوس العتيق
الى ستة عشر درهما وكانت الفلوس الجدد تصرف معاددة وهي في غاية الخفة فتضرر الناس
لذلك وغلقت الدكاكين بسبب ذلك ونشط الخبز وسائر البضائع وكادت أن تنشأ من ذلك
غلو وفيه وردت الاخبار بأن السلطان وصل الى حلب فدخلها في يوم الخميس عاشر
جمادى الآخرة فكان لدخوله يوم مشهود وقدمه الخليفة والقضاة الاربعة وسائر الامراء
مكوكبه بالشام وحلت القبة والجلالة على رأسه وكان حاملاها ملك الامراء خاير بك نائب
حلب كما فعل سيدي نائب الشام وفي حال دخول السلطان الى حلب حضر قضاة سليم شاه بن
عثمان ملك الروم فقبل أنه أرسل اليه قاضي عسكره وهو شخص يقال له ركن الدين وأحد
أمرائه يقال له قراجا باشا وصحبتهم سبع مائة عليقة فنزلوا بمدينة حلب وبلغني من الكتب
الواردة بالاخبار أن السلطان لما حضر بين يديه قاضي ابن عثمان وقراجا باشا شرع يعثيهم
على أفعال ابن عثمان وما يبلغه عنه وما جرى منه في حقه وأخذ له بلاد على دولات فقال له
القاضي وقراجا باشا نحن فوض لنا أستاذنا أمر الصلح وقال كل ما اختاره السلطان افعلوه ولا
تساوروني وكل هذا حيل وخداع حتى تبطل همة السلطان عن القتال وينشئ عزمه عن
ذلك وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد ثم ان قاضي ابن عثمان أحضر فتاوى من علماء بلادهم
وقد أفتوا بقتل شاه اسمعيل الصوفي وان قتله جائز في الشرع وأرسل يقول في كتابه
للسلطان أنت والدي وأسألك الدعاء لكن لا تدخل بيني وبين الصوفي ومن جهة مخادعة
السلطان ابن عثمان للسلطان الغوري أنه أرسل يطلب منه سكر وحلوى فأرسل له الغوري
مائة قنطار سكر وحلوى في علب بكار وهذه حيلة منه وأرسل يقول في كتابه اني لأحول عن
اسمعيل شاه أبدأ حتى أقطع اثره من وجه الأرض فلا تدخل بيننا فيما يكون في أمر الصلح
وأظهر أنه قاصد نحو الصوفي ليحارب به والامير بخلاف ذلك في الباطن وذكره الله على
القيسارية يتصد التوجه الى الصوفي ثم ان السلطان خلع على قضاة ابن عثمان الخلع
السنة وقيل ان السلطان ابن عثمان أرسل الى السلطان الغوري مقدمة حافلة وللخليفة
وأمر كبير سودون الجعي فكان ما أرسله ابن عثمان من المقدمة أربعين مملوكا وأبدان سمور
وأثواب مخمل وأثواب صوف وأثواب بعلبيكية وغير ذلك وكان ما أرسله الى الخليفة بدنين سمور
وثوب مخمل بكفوف قصب وثوبين صوف عال وأرسل اليه قاضي عسكر ابن عثمان ثوبين
صوف وسجادة وبغلة وأرسل ابن عثمان الى أمير كبير أيضا مقدمة حافلة ما بين سمور ومخمل
وصوف ومن الممالك اثنين ثم ان السلطان عين الأمير مغلباى دوادار سكين بأن يتوجه

الى ابن عثمان وعلى يده مطالعة من عند السلطان الى ابن عثمان تتضمن أمر الصلح بينهما
والامراء والعسكر منتظرون رد الجواب عن ذلك وقد انظمت هذه القصيدة في معنى واقعة
سفر السلطان من حين خروجه من مصر الى دخوله مدينة حلب فقلت

أدعوا بنصر للليك الاشرف * سلطان مصر ذي المقام الاشرف
قد قدر الرحمن نقل ركبته * نحو الشام وحسن المستظرف
اختار أن يطأ البلاد لكشفها * فعدت تجوده بجود متحف
خضعت له النواب طوعا باللقا * من غير حرب أو حسام مرهف
لو كان ذوالقرنين حيا في الوري * لاقاه بالاكرام والفضل الوفي
تاريخه فاق الملوك تعظما * فاصغى له واسمع بغير تكلف
عائنه يوم مضى في موكب * يزهو على برقوق وهو الاشرف
ركب الخليفة والقضاة أمامه * وجيوشه منها الاسود تختفي
عوذت طاعته بسورة يوسف * وجميع عسكره بأى الزخرف
في غزاة قد كان يوم دخوله * يوم الخميس بعسكر مترادف
قالت دمشق لفرحها الماء أتى * أهلا بسلطان الانام المنصف
وتهللت بالنور جبهة ربوة * لما اكتست بالزهر حلة يوسف
وحياة أجاها بصائح عدله * فأطاعه العاصى بغير توقف
واشتاقه نهر الفرات وقد أتى * تياره بالماء في عزم وفي
واستأنست حلب به مزارها * واستوحشت مصر له بتكلف
شرفت به حلب وقالت فرحة * يا حبيذا من قادم مستظرف
سلطاننا الغورى صار مؤيدا * مدحفه الرحمن بالالطف الخفي
فالله يبقيه على طول المدا * ما أسكرت ريح الصبا كالفرق
قد صار لابن اياس شعر قاله * لكن تظعى قد أتى بتضعف
ثم الصلاة على النبي المصطفى * خير البرية ياله من مسعف
والآل والاصحاب ماجن الدي * أوضاع صبح بعد دليل أوطف
وختام مسك قد شذا لمابدا * سلطان مصر ذي المقام الاشرف

وحكى أن السلطان لما دخل الى حلب رسم لقاضى القضاة كمال الدين الطويل بأن يخطب
في الجامع الكبير الذى بحلب فاجتمع الجمل الكثير من أهل حلب في الجامع المذكور فخرج
قاضى القضاة كمال الدين الطويل ورقى المنبر وخطب خطبة بليغة وأورد أحاديث شريفة
في معنى الصلح وأذن المؤذنون بالجامع وقرأ حزب السلطان هنالك دعوات الوعاظ وكان يوما

مشهودا بالجامع المذكور ولم يحضر السلطان ولم يصل صلاة الجمعة هناك كما فعل بدمشق
فعابوا عليه ذلك وكان قاضي القضاة كمال الدين يخطب بالجامع الكبير مدة اقامة السلطان
بجلب ومن الحوادث التي وقعت من السلطان بجلب انه أنعم على قانصوه نائب حلب
بتقدمة ألف وعلى يوسف الناصري شاد الشرا بجناته الذي كان نائب حماه وعلى طراباي
نائب صفد وعلى تراز نائب طرابلس ومنها انه أنفق على أولاد الناس الذين توجهوا بحبته
بلا نفقة لكل واحد منهم ثلاثون دينارا وكان رسم لهم قبل ذلك لكل واحد بخمسين دينارا
فعارض في ذلك كاتب الممالك وجعلها ثلاثين دينارا وصرف للعسكر ثمن اللحم عن ثلاثة
شهور ثم ان السلطان فرق على مماليكه الجلبان من حواصل قلعة حلب عدة سلاح لم يعبر
عنها و فرق عليهم خيولا ماله اعد دوصار ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة من مال و خيول خاص
وسلاح بطول الطريق ولم يعط المماليك القرائنة شيئا فعز ذلك عليهم في الباطن ثم ان
السلطان قرأ ختمه في الميدان الكبير بجلب يوم الخميس مع ليلة الجمعة وحضر أمير المؤمنين
المتوكل على الله والقضاة الاربعة ومشايخ الزوايا وصلى أمير المؤمنين بالسلطان في الخيمة
صلاة العصر وصلاة المغرب وأنعم السلطان في ذلك اليوم بأربعمائة دينار ومائة رأس غنم
وأنعم على قاضي القضاة الشافعي بسبعين ديناراً وعلى نوابه ومن معه من العلماء بسبعين
ديناراً والقاضي الحنفي كذلك وأنعم على القاضي المالكي بخمسين ديناراً وعلى نوابه الثلاثة
بثلاثين ديناراً وكذلك القاضي الحنبلي وأنعم على مشايخ الزوايا لكل واحد منهم خمسون
ديناراً وأنعم على الفقراء الذين سافروا بحبته لكل واحد منهم عشرة دنانير وأنعم على
القرءاء الذين حضروا هذه الخيمة من قرءاء حلب وغيرها لكل واحد خمسة دنانير وفي عقيب
ذلك أحضر السلطان الامراء المقدمي الأتوف والنواب والامراء الطبليخانات والامراء
العشراوات وحلفهم على المصحف الشريف بانهم لا يخونونه ولا يغدرونه فحلفوا كلهم على
ذلك ثم نادى للعسكر بالعرض في الميدان الذي في حلب فعرضوا وهم باللبس الكامل
وأدخلهم من تحت سيفين على هيئة قنطرة كما هي عادة الأتراك وعندهم ان هذا هو القسم
العظيم ثم ان السلطان أرسل خلف قاسم بك في حماه فلما حضر خلع عليه وأشهر أمره
بجلب ثم وردت الاخبار الى حلب بان سليم شاه بن عثمان قبض على قاصد السلطان الذي
كان أرسله الى ابن عثمان وهو الأمير مغلباي أحد الدوادارية ووضعه في الحديد وكان السلطان
جهز الأمير كرتباي الأشرفي أحد الامراء المقدمين الذي كان والي القاهرة الى ابن عثمان
وصحبته هدية حافلة بنحو عشرة آلاف دينار و خلع على قاضي عسكر ابن عثمان ووزيره قراجا
باشا الذي تقدم ذكرهما خلعاً سنياً بطر زيلغاوى عريض وأذن لهما بالعود الى بلادهما
وكان مذهبهما من الغلط من السلطان الغوري حيث أطلق قصاد ابن عثمان قبل
أن يحضر مغلباي ويظهر له من امر ابن عثمان ما يعتمد عليه ثم لما وصل الأمير كرتباي الى

عنتاب بلغه ان السلطان ابن عثمان أبي الصلح وقبض على الامير مغلباي ووضع في الحديد
بعد أن قصد شنقه فشفع فيه بعض وزرائه وقصد حلق لحيته وقد قاسى منه من البهدة
ما لا يمكن شرحه فلما تحقق الامير كرتباي ذلك رجع الى حلب وأعلم السلطان بما فعله سليم
شاه بن عثمان بالامير مغلباي وأن طوالع عسكره قد وصلت الى عنتاب وملك قلعة ملطية
وبه سناوكر كرو غير ذلك من القلاع ولما وصل الامير كرتباي بهذه الاخبار الردية الى
السلطان اضطربت أحواله وأحوال الناس وأحوال العسكر قاطبة ثم ان السلطان أتم
على الامير عبد الرزاق وولاه على اقليم أولاد دواغادر فخرج من حلب وصحبته ملك الامراء
خاير بك في موكب حافل فخرج نائب حلب وأمرأؤها وعساكرها ونزلوا عن حلب يوم
وصحبته من المشاة خمسة آلاف ماش وأنفق عليهم السلطان جامكية شهر واحد ثم خرج
بعدهم ملك الامراء سيدي نائب الشام وقران نائب طرابلس وطراباي نائب صفد ونائب
حصص ونائب غزوة فخرجوا من حلب يوم السابع عشر من شهر رجب وقد أشيع أن ابن
عثمان ماش من جهة وابن سوار ماش من جهة ثم ان السلطان نادى العسكر بالرحيل من
حلب والنزول على جيلان لقتال الباغي ابن عثمان وان السلطان والامراء عن قريب
يخرجون الى القتال والذي يريد الله هو الذي يكون وهذا ما نقل من شرح كتاب أمير
المؤمنين الى ولده أمير المؤمنين يعقوب ثم ذكر فيه عن أمر الاسعار في حلب فقال الشعير كل
اردب بسبعة وعشرين نصفاً والخبز كل رطل بثلاثة دراهم والحب بنصفين الرطل واللحم
بتسعة دراهم كل رطل مصرى والدبس بنصف فضة الرطل المصرى وتناهى سعر القمح
الى اشرقيين كل اردب والكرسنة عقيق الجبال بمائة وأربعة وعشرين درهماً الاردب ثم
ان السلطان أرسل مثالا شريفاً الى الامير الدوادار يتضمن الوصية بالرعية وان المماليك
الجلبان الذين بالطباق يكفون الاذى عن الناس ولا يشوشون على أحد من المتسبيين وان
الامير الدوادار يعرض جميع من في الحبوس قاطبة من رجال ونساء ويطلق المديونين وغيرهم
ولا يترك بالحبوس غير أصحاب الجرائم ممن عليه دم وأرسل أيضاً يقول له ان كان درب الحجاز آمناً
من العربان فجهز الحاج من القاهرة وان كان مخوفاً فلا يسافر أحد من الحاج في هذه السنة
وأرسل أيضاً مثالا شريفاً الى المماليك الجلبان الذين بالطباق بأنهم لا ينزلون من الطباق الى
المدينة ولا يشوشون على أحد من الناس قاطبة ومن يفعل ذلك يشنق من غير معاودة
فقري عليهم هذا المثال بالقلعة بين يدي الامير طقطباي نائب القلعة وأرسل بالسلام على
الامراء والعسكر قاطبة وفي شهر شعبان وكان مستهل يوم الجمعة ووافق ذلك يوم النوروز
من السنة القبطية فعند ذلك من النوادر وقد دخلت سنة قبطية في أول يوم من الشهور
العربية ولا سيما يوم الجمعة وهو يوم فيه ساعة الاجابة وفي يوم السبت خلع الامير

الدوادار على شخص من الخاصكية يقال له جاني بك القصير وهو من محاليلك السلطان
 وقرره في كشف منفلوط عوضا عن اينال بن جاني بك الذي كان بهما وقد ضعف بصره وفي يوم
 الاحد ثالثه عرض الامير الدوادار المحاميس الذين بالسجون وعرض النساء اللاتي بالحجرة
 فاطلق منهم جماعة ممن عليهم دين وصالح ارباب الديون من ماله وأرضاهم واستتاب
 جماعة من الحرامية وأطلقهم ورسم بتوسيط جماعة ممن عليهم الدم وأبقى منهم جماعة في
 السجون الى ان يحضر السلطان ثم ان الامير الدوادار تصدق على الفقراء بمبلغ له صورة ورسم
 بقراءة ختمات في جميع مساجد القاهرة وقال ادعوا للسلطان بالنصر وفي يوم الاثنين رابعه
 خلع الامير الدوادار على يوسف البدرى وأعادته الى الوزارة كما كان وهذه رابع ولاية له بالوزارة
 وفي ذلك اليوم نودي في القاهرة بسفر الحاج على العادة وكان أشيع عدم خروج الحاج في
 هذه السنة وفي يوم الثلاثاء خامسه مع ايلة الاربعاء توفي قاضي الحنفية كان برهان الدين
 ابراهيم بن الكركي وهو ابراهيم ابن الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الكركي الحنفي
 وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان الحنفية سمع على الشيخ محي الدين الكافيحي
 والشيخ سيف الدين وآخرين من علماء الحنفية وكان امام الاشرف قايتباي ورأى في أيامه
 غاية العز والعظمة وولى عدة وظائف سنية منها انه ولى مشيخة أم السلطان التي في التبانة
 ومنها استيفاء الصكبة ثم ولى قاضي قضاة الحنفية مرتين ثم ولى مشيخة المدرسة الاشرفية
 وقاسى محنا وشدا من الاشرف وكان بشوش الوجه عنده رقة حاشية ولطافة غير كثيف
 الطبع ومات وهو في عشر الثمانين وعاش سعيدا ومات شهيدا وكان في أرغد عيش من المال
 والجاه وكان سبب موته أنه كان ساكنا على بركة الفيل فنزل يتوضأ على سلم القبطون وفي رجله
 قيقاب فزلقت رجله بالقيقاب فوقع في البركة وكانت في قوة ملئها أيام النيل ولما وقع ثقلت
 عليه الثياب ثقات من وقته رحمة الله عليه ومات شهيدا وفيه خلع الامير الدوادار على
 شخص من الخاصكية يقال له نجماس وقرره في كشف المنوفية عوضا عن قانصوه الذي كان
 بها وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة شمس الدين محمد بن ناشي شيخ سوق الكتبيين وكان
 مقربا عند السلطان وقد حاز عدة وظائف سنية وفيه جاءت الاخبار بوفاة الامير يوسف
 الشهير بالمقطش الذي كان نائبا صند وعزل عنها ثم توفي بحلب وأشيع وفاة أبرك الذي كان
 كاشفا إقليم الجيزة وكان من الامراء العشراوات وأشيع وفاة جماعة كثيرة كانوا صحبة
 السلطان بسبب وخم حصل لهم فقات في غزة وفي الشام وفي حلب من الامراء العشراوات
 والخاصكية والغلمان وغير ذلك ما لا يحصى عدده ما نوا من كثرة الاوغام التي كانت معهم
 بطول الطريق وفيه جاءت الاخبار بصحة ما تقدم ذكره وان السلطان لما كان بحلب أنعم
 بتقادم ألوف على جماعة من الامراء منهم الامير يوسف الناصري شادا لشرابجخانه ومنهم

طراباي بن يشبك نائب صفد ومنهم قانصوه استادار الصحة ومنهم قانصوه الاشرفي نائب قلعة حلب ومنهم قمر از نائب طرابلس وآخرين والذي يظهر من أمر السلطان أنه كان يريد ابطال جماعة من الامراء المقدمين العواجز ويجعل هؤلاء عوضا عنهم وفي يوم الجمعة خامس عشر شعبان توفي الحاج علي البرماوي بزدادار السلطان والمتحدث على جهات الديوان المفرد وقد رأى من العز والعظمة ما لم يره غيره من البزددارية وساعدته الاقدار حتى وصل الى مالم يصل اليه غيره في هذه الوظيفة وكان سبب موته أنه طلع له شقفة في ظهره فانقطع اثني عشر يوما ومات وكان أصله من فلاحين برمة يبيع الخيام والطرح في الاسواق وهو راكب على حمار الى أن فتح الله عليه وكان لا بأس به وعنده لين جانب مع تواضع زائد وظهر له من الموجود بعد موته من الذهب العين خمسمائة ألف دينار وستمائة دينار ووجد له في مكان اثنا عشر ألف دينار ذهب عين برسيميه ووجد له من الجورة والمهارة نحو خمسة وأربعين رأسا ومن الجاموس مائة رأس ومن الغنم الضأن ألف رأس ووجد له بالواليب أربع مائة ثور وضاع له عند الفلاحين بالبلاد أكثر مما تقدم ذكره فقوم ذلك الموجود بمائة ألف دينار وفي يوم السبت سادس عشر شعبان أشيع خبر هذه الكائنة العظيمة التي طمت وعمت وزلزلت لها الاقطار وما ذاك الا ان أخبار السلطان والامير انقطع مدة طويلة ثم حضر كتاب على يد ساع مجر دمطر من عند الامير علان دوادار ثاني أحد الامراء المقدمين وضمنه ان السلطان كان يكذب في أمر سليم شاه بن عثمان تارة ويصدق أخرى الى أن حضر الامير مغلباي دوادار سكين من عنده وهو في حال نحس برتق أقرع على رأسه وعلى بدنه كبر عتيق دفس وهو راكب على اكديش هزيل وقد نهب جميع بركة وأخذت نعيوله وقاشه وأخبر أن ابن عثمان أبي الصلح وقال له قل لاساذك يلاقينا على مرج دابق وأخبره أنه وضعه في الحديد وقصد أن يخلق لحيته وقدمه الى الشنق ثلاث مرات فشفع فيه بعض وزرائه ووجه الزبل من تحت خيله في قفة على رأسه وقاسى منه من الهوان والاهوال ما لا يخبر فيه فلما سمع السلطان هذه الحكاية تحقق وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان فقبل أنه أتم على مغلباي بالف دينار وخبول وقاش في نظير ما ذهب له والذي استفاض بين الناس من أخبار السلطان انه صلى الظهر وركب وخرج من ميدان حلب يوم الثلاثاء في العشرين من رجب وصحبته أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة وكان قد تقدمه نائب الشام ونائب حلب وجماعة من النواب فخرجوا باطلا بحرية وطبول و زمور ونفوط حتى رجت لهم حاب فلما خرج السلطان من حلب توجه الى جيلان فبات بها فلما أصبح يوم الاربعاء حادى عشرى رجب رحل السلطان من جيلان وتوجه الى مرج دابق فأقام الى يوم الاحد خامس عشرى رجب وهو يوم نحس مستمر فباشعرا لاوقد دعمته عساكر سليم شاه بن عثمان فصلى السلطان صلاة أصبح ثم ركب وتوجه الى زغزغن

وتل الفارقيل ان هنالك مشهدينبي الله داود عليه السلام فركب السلطان وهو بتخفيفة
صغيرة وملوطة وعلى كتفه طبروصاريرتب العسكر بنفسه وكان أمير المؤمنين على الميمنة
وهو بتخفيفة وملوطة وعلى كتفه طبرمثل السلطان وعلى رأسه الصنجق الخليفة وكان
حول السلطان أربعون مصحفافي أيكاس حري أصفر على رؤس جماعة أشراف وفيها مصحف
بخط الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان حول السلطان جماعة من الفقراء وهم
خليفة سيدي أحمد البدوي ومعه أعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم أعلام خضر
وخليفة سيدي أحمد بن الرفاعي ومعه أعلام والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة
رضي الله عنها بأعلام سود وكان الصبي قاسم بك ابن أحمد بك بن عثمان المقدم ذكره واقفا بازاء
الخليفة وعلى رأسه صنجق حري أصفر وقيل أحر وكان الصنجق السلطاني خلف ظهر
السلطان بنحو عشرين ذراعا وتحت مقدم المماليك سنبل العثماني والسادة القضاة الاربعة
والامير عمر الزرد كاشأ حدالمقـدمين وكان على ميمنة العسكر الامير سيياي نائب الشام
وعلى اليسرة خير بك نائب حلب فقيه ل أول من برز الى القتال في الميدان الاتابكي سودون
الجمعي وملك الامر اسياي نائب الشام والمماليك القرانصة دون المماليك الجلبان فقاتلوا
قتالا شديدا هم وجماعة من النواب فهزموا عسكرا بن عثمان وكسروهم كسرة مهولة منكرة
وأخذوا منهم سبع صنماحق وأخذوا المكاحل التي كانت على العجل ورماة البندق فهم ابن
عثمان بالهروب أو بطلب الامان وقد قتل من عسكره فوق العشرة آلاف انسان وكانت
النصرة لعسكر مصر أولا وباليته تم ذلك لكنه قد بلغ المماليك القرانصة أن السلطان
قال للمماليك الجلبان لا تقاتلوا ابدا وخلوا المماليك القرانصة يقاتلون وحدهم فلما بلغهم
ذلك ثنوا وعزمهم عن القتال فبينما هم على ذلك واذا بالاتابكي سودون الجمعي قتل في المعركة
وقتل ملك الامر اسياي نائب الشام فانهم زعم في الميمنة من العسكر جانب كبير ثم ان خير بك
نائب حلب انهزم وهرب فكسر اليسرة وأسر الامير قانصوه بن سلطان حركس وقيل قتل
وقيل ان خير بك كان موالا على السلطان الغوري في الباطن وهو مع ابن عثمان على
السلطان وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد فكان هو أول من هرب قبل العسكر قاطبة وأظهر
الهزيمة وكان ذلك من الله تعالى خذلا للعسكر مصر حتى نفذ القضاء والقدر وصار السلطان
واقفا تحت الصنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادي يا أغوات هذا وقت المرواة هذا
وقت الخبذة فلم يسمع له أحد قولا وصاروا يتسحبون من حوله وهو يقول للفقراء ادعوا الله
تبارك وتعالى بالنصر فهذا وقت دعائكم وصار لا يجد له معينا ولا ناصرا فانطلقت في قلبه جرة
نار لا تطفأ وكان ذلك اليوم شديدا الحروا نعتدين العسكرين غبار حتى صاروا لا يرى بعضهم
بعضا وكانهم ارغضب من الله تعالى قد انصب على عسكر مصر وغلت أيديهم عن القتال

وشخصت منهم الابصار وقد قلت في هذه الواقعة هذه الايات

لما التقى الجيشان مع سلطاننا * في مرج دابق قال هل من مسعى
فله أجاب لسان حال قائلاً * عرضت نفسك للبلاد فاستهدف
واشتد بالجلبان رعب قلوبهم * وغدوا يقولوا أى أرض نخشى
والنهب أطمعهم لذل نفوسهم * حتى أتاهم بالقضاء المتلف
فلما اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال خاف الامير عمر الزرد كاش على الصنحقي السلطان
فأنزله وطواه وأخفاه ثم تقدم الى السلطان وقال له يا مولانا السلطان ان عسكرا بن عثمان قد
أدر كفانج بنفسك وادخل الى حلب فلما تحقق السلطان ذلك غلبه في الحال خلط فالج
أبطل شقه وأرغى خنكه فطلب ماء فأثوه بماء في طاسة من ذهب فشرب منه قليلا وألقت
فرسه على أنه يهرب فشى خطوتين وانقلب عن الفرس الى الارض فأقام نحو درجة
وخرجت روحه ومات من شدة قهره وقيل فقئت مرارته وطلع من حلقه دم أحمر فلما
أشيع موته زحف عسكرا بن عثمان على من كان حول السلطان فقتلوا الامير بيبرس أحد
المقدمين وقتلوا جماعة من الخاصكية وعلمان السلطان عن كان حوله وأما السلطان من
حين مات فلم يعلم له خبر ولا وقف له على أثر ولا ظهرت جثته بين القتلى فكأن الارض قد
ابتلعت في الحال وفي ذلك عبرة لمن اعتبر فداس العثمانية وطاق الغوري بما فيه من الامتعة
والارزاق التي كانت حوله بأرجل الخيول وفقد المصحف العثماني وداسوا اعلام الفقراء
وصناجق الامراء ووقع النهب في أرزاق عسكر مصر وبرقهم وزال ملك الاشرف الغوري
في لمح البصر فكأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير فاضمحل أمره وزال ملكه
بعد ما تصرف في ملك مصر وأعمالها والبلاد الشامية وأعمالها وكانت مدة سلطنته
خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما فانه ولي ملك مصر في مستهل شوال سنة ست
وتسعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكانت
الناس معه في هذه المدة في غاية الضنك وقد قلت في المعنى

اعجبوا للاشرف الغوري الذي * منذ تناهى ظلمه في القاهرة

زال عنه ملكه في ساعة * خسر الدنيا اذا و الاخره

وقد أقامت هذه الواقعة من طلوع الشمس الى ما بعد الظهر وانتهى الحال الى الامر الذي قد
قدرة الله تعالى فقتل في تلك الواقعة من عسكر السلطان ابن عثمان ومن عسكر السلطان
الغوري ما لا يحصى عدده فقتل من الامراء المقدمين ثلاثة وهم الاتابكي سودون العجى
وبيبرس قريب السلطان واقباى الطويل وأسروا قانصوه بن سلطان چركس وقتل سيباى
نائب الشام وعمران نائب طرابلس وطراباى نائب صفد وأصلان نائب حص وغير ذلك جماعة
كثيرة من أمراء دمشق وأمراء حلب وطرابلس وقتل من أمراء مصر جماعة كثيرة من

أمراء الطب لخنانات والعشراوات والخاصكية وأكثر من قتل من عسكر مصر المماليك
القرانصة ولم يقتل من المماليك الجلبان الا القليل فانهم لم يقاتلوا في هذه الواقعة ولا ظهر لهم
فروسية ولا جذبوا سيفا ولا هزوا رمحا فكأنهم خشب مسندة وقتل من عسكر ابن عثمان
مالا يحصى ضبطه وقتل من أمراء مصر ومن دمشق وحلب فوق الاربعين أميرا وقتل
في ذلك اليوم القاضي ناظر الجيش عبد القادر القصري وجماعة كثيرة من الجندي أبق
الكلام على ذلك في موضعه فكانت ساعة يشيب منها الوليد ويدوب لسطوته الحديد
فكان مرج دابق فيه جهنم مرمية وأبدان بلارؤس ووجوه معقرة بالتراب قد تغيرت
محاسنها وصار في ذلك المكان خيول مرمية موتى وسروج مفرقة وسيوف مسقطه بذهب
وتركستوانات فولاذ بذهب وخودوز رديات وبقج قماش فلم يلتفت اليها أحد وكل من
العسكريين قد اشتغل بما هو أهم من ذلك وقال بعض المواليا في المعنى

صنق جوادى وقد جسيبت يوم الحرب * عودى فغنت صوارم شرقها والغرب
ضربت عادة تنقط في سماع الضرب * رؤس الاعادى وترقص داخله في الحرب
ثم ان ابن عثمان زحف بعسكره وأتى الى وطاق السلطان ونزل في خيامه وجلس في المدورة
واحتوى على الطشتخانة وما فيها من الاواني الفاخرة وعلى الزردخانة وما فيها من السلاح
وعلى خزائن المال والتحف ونزل كل أمير من أمرائه في وطاق أمير من أمراء الغورى واحتوى
على ما فيها فاذا احتوى على وطاق خمسة عشر أميراً قدامى ألوف خارجا عن أمراء الطب لخنانات
والعشراوات واحتوى العسكر على خيام العسكر المصرى والشامى والحلبى وغير ذلك
كما يقال مصائب قوم عند قوم فوائد

ولم يقع قط للملوك ابن عثمان مثل هذه النصرة على أحد من الملوك قاطبة بل ان تمرلوك
زحف على بلاد ابن عثمان وحارب أحداً جدداده وهو شخص يقال له يلددم فلما حاربه
انكسر فأسره وتور ووضعه في قفص حديد وصار يحجب عليه في بلاد العجم فاطاق ابن عثمان
ذلك فابتلع فص الماس فغات وهو في ذلك القفص الحديد ولم يقع قط لأحد من سلاطين مصر
مثل هذه الكرامة ومات تحت صنيقه في يوم واحد وانكسر على هذا الوجه أبدا ولا سمع
بمثل ذلك ونهب ماله وبركه يدهدوه غير قانصوه الغورى وكان ذلك في الكتاب مسطورا
وكان السلطان والأمراء منهم أحدا يتطرق في مصالح المسلمين بعين العدل والانصاف
فردت عليهم أعمالهم ونياتهم وسلط عليهم ابن عثمان حتى جرى لهم ما جرى كما قيل في المعنى
اين الملوك الاولى في الارض قد ظلموا * والله منهم لقد أخذلى أما كنهم

ثم ان السلطان ابن عثمان تحول من مرج دابق فدخل الى حلب فلما كان من غير مانع ونزل
بالميدان الذى به فى المكان الذى كان به السلطان الغورى وهذا ما انتهى اليه من ملخص هذه

الواقعة مع ما فيها من زيادة ونقصان فهذا ما كان من أمر السلطان الغوري وابن عثمان وأما ما كان من أمر الأمراء والعسكر بعد الكسرة فانهم توجهوا الى حلب وأرادوا الدخول بها فوثب عليهم أهل حلب قاطبة وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا سلاحهم ونهبوا لهم وبرقهم ووضعوا أيديهم على ودائعهم التي كانت بحلب وجرى عليهم من أهل حلب ما لم يجبر عليهم من عسكر ابن عثمان وكان أهل حلب بينهم وبين المماليك السلطانية حظ نفس من حين توجهوا قبل خروج السلطان من القاهرة الى حلب صحبة قاضي باي أمير اخور كبير قتلوا في بيوت أهل حلب غصبا وفسقوا في نسائهم وأولادهم وحصل منهم غاية الضرر والاذية لأهل حلب فاصدق أهل حلب أن وقعت لهم هذه الكسرة فآخذوا بشارهم منهم فلما رأى الأمراء وبقيّة العسكر ذلك خرجوا من حلب على حية وتوجهوا الى دمشق ودخلوها وهم في أفسح حال لا بركة ولا قاش ولا خيول ودخل غالب العسكر الى الشام وبعضهم راكب على حمار وبعضهم راكب على جمل وبعضهم عريان وعليه عباءة أو بشت ولم يقع لهم عسكر مصر مثل هذه الكائنات فاقام الأمراء والمباشرون والعسكر في الشام حتى تكامل البقية ويظهر السلام من العاطب قيل ان الأمراء لما دخلوا الى الشام وصاروا في حر الشمس لم يجدوا ما يستظلون به حتى صنع لهم الغلمان عرايش من فروع الشجر يستظلون بها وأما ما كان من أمر سليم شاه بن عثمان فانه أقام بالميدان الذي في حلب فتوجه اليه أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاء الثلاثة وهم قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة محيي الدين الدميري المالكي وقاضي القضاة شهاب الدين الفتوح الحنبلي وأما قاضي القضاة محمود بن الشحنة فانه هرب مع العسكر الى الشام ونهب جميع بركه وقاشه ودخل الى الشام في أفسح حال قيل لما دخل أمير المؤمنين على ابن عثمان وهو بالميدان عظمه وأجلسه وجلس بين يديه فاشيع انه قال له أصلكم من اين فقال له من بغداد فقال له ابن عثمان نعيدكم الى بغداد كما كنتم والاقوال في ذلك كثيرة فلما أراد الخليفة الانصراف خلع عليه خلعة سنية من ملبسه وأنعم عليه بما له صورة ورده الى حلب ووكّل به ان لا يهرب وقيل لما دخل عليه القضاء الثلاثة المذكورون وبخّهم بالكلام وقال لهم أنتم تأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء وما منكم من أحد يرشد الى الخير لأنكم لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلها بالناس وأنتم ترون ذلك منه ولا تشكرونه وأشاعوا من هذه الاخبار العجائب والغرائب والمعول في ذلك على العصة وأخبرني من رأى سليم شاه بن عثمان انه مر بوع القامسة واسع الصدر اقنص العنق مكرّفس الاكاف مترك الوجنتين واسع العينين درى اللون وافر الاتف ملي الجسد حليق اللحية ليس له غير الشوارب كبير الرأس عمامته صغيرة دون عمامة أمراءه فلما جاء الى حلب سلمه أهلها المدينة من غير نزاع وهرب فانصوه الاشراف في نائب القلعة وتوجه

الى الشام مع العسكر وترك أبواب قلعة حلب مفتحة فلما بلغ ابن عثمان ذلك أرسل اليها شخصاً من جماعته أعرج أجروء وفي يده دبوس خشب فطلع الى قلعة حلب فلم يجد بها ما نه يريد فنفخ على الحواصل التي بها واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وتحف وغير ذلك وقد فعل ابن عثمان ذلك ليقال انه أخذ قلعة حلب بشخص أعرج وفي يده دبوس خشب وهو أضعف من في عسكره وقد قيل في المعنى

لا تحقرن ضعيفاً في محاسبة * ان النبابة تدعى مقلة الأسد

وأشيع ان ابن عثمان من حين استولى على مدينة حلب لم يدخلها غير ثلاث مرات المرة الاولى دخلها وطلع الى القلعة بسبب عرض حواصلها فلما عرضت عليه رأى ما أدهشه من مال وسلاح وتحف وكان فيها من المال نحو مائة ألف ألف دينار ورأى من الكنايش الزركش والرقاب الزركش والطبر والسروج الذهب والبلور وطبول البازات واللجم المرصعة والفصوص الممنعة والبركستوانات القولاذ الملون والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخود الفاخرة وغير ذلك من السلاح ما لم يره قط ولا فرح به أحد من أجداده ولا أحد من ملوك الروم لأن الذي جمعه الغوري من الاموال من وجوه الظلم والجور والتحف التي أخرجها من الخزائن من ذخائر الملوك السالفة من عهد ملوك الترك الجراكسة احتوى عليه جميعه السلطان سليم شاه بن عثمان من غير تعب ولا مشقة هذا خارج عما كان للامراء المقدمين والامراء الطبليخانات والعشراوات والمباشرين والعسكر قاطبة من الودائع بحلب من مال وسلاح وقاش وبرك وغير ذلك فاحتوى ابن عثمان على ذلك جميعه وقيل انه ملك ثلاث عشرة قلعة من بلاد السلطان واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك فكان الذي ظفر به سليم بن عثمان في هذه الواقعة من الاموال والسلاح والتحف وغير ذلك لا ينحصر ولا يضبط وقد قسم له ذلك من القدم واحتوى على خيول وبغال وجمال لا يحصى عددها واحتوى على خيام وبرك ولا سيما ما كان مع السلطان وامراء العساكر كما يقال في المعنى

ألا انما الاقسام تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ودخل المرة الثانية فصل صلاة الجمعة في جامع الاطروش الذي بحلب وخطب باسمه ودعى له على المنابر في مدينة حلب وأعمالها وزينت له مدينة حلب وأوقدت له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الاصوات بالدعاء وهو ما رآه عند عودته من الجامع وفرح الناس به فرحاً شديداً وانتمى اليه الخواجا ابراهيم السمرقندى والخواجا يونس العادلى والجمعي الشنقيشى وكان هؤلاء من أخصاء الغورى وكانوا مع ابن عثمان في الباطن ويكاتبونه بأحوال السلطان وما يقع من أخبار المملكة فلما فقد السلطان الغورى أظهر وأعين المحبة لابن عثمان وصاروا يحيطون على الغورى ويذكرون أخباره الشنيعة لابن عثمان وصاروا من جماعته وندوا بحسان الغورى اليهم كما يقال في المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالي أصدوا عنك أوزاروا
أخلاقهم حين تباوهم أوعار * وفعلهم منهم كركلهم أوعار
لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضاها تنحوا عنك أوطاروا

وعن كان مواسا على السلطان في الباطن خير بك نائب حلب فانه أول من كسر
عسكر السلطان وانهزم عن ميسرته وتوجه الى حماه ولما ملك ابن عثمان حلب أرسل
خلفه فلما حضر اليه خلع عليه وصار من جملة أمرائه ولبس زى التراكمة العمامة المدورة
والدلامة وقص دقنه وسماه السلطان خاين بك لكونه خان سلطانه وأطاع ابن عثمان فلما
جرى ذلك تسحبت عماليك خير بك وتوجهوا بحبة العسكر الى مصر ودخل هو تحت طاعة
ابن عثمان وهذه الواقعة تقرب من واقعة ابن العلقمي وزير بغداد لما والس على الخليفة
المعتصم بالله وملكه هولاكو بغداد وقتل الخليفة فصار ابن العلقمي مقربا عنده هولاكو ثم
انقلب عليه وقتله وقال أنت ما فيك خير لا ستأذلك فإيكون فيك الخير لي وربما يقع
لخير بك مثل ذلك ثم ان ابن عثمان دخل الى مدينة حلب ثالث مرة بسبب انه دخل بها
الحمام وأنعم على المعلم بمبلغ له صورة واستقر الخليفة والقضاة الثلاثة الشافعي والمالكي
والحنبلي في الترسيم بحلب لا يخرجون منها الى أن يأذن لهم ابن عثمان وأقام بحلب جماعة
كثيرة من أعيان الناس بعد الكسرة منهم القاضي عبد الكريم بن الجيعان كاتب الخزانة
الشريفة وعبد الكريم بن نفيرة أحد كتاب الماليك وعبد الكريم بن الادمي مستوفي
الزردخانه ورئيس محمد بن القيصوني امام السلطان الغوري والسعيد بن النزي كان قاضي
القضاة الحنفية وامام السلطان والخواص مؤذن السلطان ورفيقه رصاص المؤذن
ويحيى بن بكير ورفيقه وجماعة آخرون لم يحضروني أسماءهم الا أن هؤلاء تخلفوا بحلب
بعد الكسرة حتى يؤذن لهم وقيل لما دخل ابن عثمان الى مدينة حلب نادى فيها بالآمان
والاطمئنان والبيع والشراء وكل من كان عنده لاهراء والعسكر شيء من خيول
أو سلاح أو قماش يحضر ما عنده وان لم يحضر ما عنده ونعمز عليه شئ من غير معاودة
وأما من قتل في هذه المعركة من الامراء وأعيان الناس فالذي يحضرنى من ذلك وتحققته
الاتابكي سودون الجعي وملك الامراء سييى نائب الشام والامير قانصوه بن سلطان
جر كس وقيل لم يقتل وأسر الامير بيبرس قريب السلطان وهو صاحب المدرسة التي
بالقرب من الجودرية والامير اقباي الاشرفي الطويل أحد المقدمين أمير اخور ثاني هؤلاء
الذين قتلوا من الامراء المقدمين في هذه الواقعة وأما من قتل من النواب فتمراز الاشرفي
نائب طرابلس ونائب صفد وأصلان نائب حص وجماعة كثيرة من نواب الشام وحلب
وأما من قتل من الامراء الطبختانات فجماعة كثيرة منهم طومانباي بن قرا حاجب ثاني

وجاني بك العادل شادا لشراب خاتناه كان وقانصوه حبابية ويرد بك رأس نوبة عصاه ونوروز
 رأس نوبة عصاه وقانصوه الذي كان أستاذ دار العجبة وبخشباي قرشاد الشون وقيت
 الاحول وقرقاس المقرى توفى بالشام ويوسف المفتش الذي كان نائب صفد ومن الامراء
 العشراوات جانم المحمدى وجان بردى الذي كان كاشف الرميطة وبرسباي أحد الامراء
 العشراوات وتوفى أقباي الطويل الذي كان كاشف الشرقية وملاح الذي كان نائب
 القدس وان بردى وطرايى أخوالا تابكى قيت الرجبى وخدا بردى وقانم الاعرج وجانم
 الطويل وقايتباي أخوا صطمر وتوفى مسايده وتوفى طرايى قراوا قطوه الطويل خادم السادة
 وجان بلاط الذي كان والى قطيا وبرسباي أحد الامراء العشراوات وصهره وتوفى لاجين
 ناظر مقام سيدى أحمد البدوى بغزة وقانصوه الناصرى وطرايى الاشرفى وتوفى الامير
 اينال خازندار الامير قاني باي أمير اخور كبير وكان من أمراء الطبليخانات وغير ذلك ممن يأتى
 ذكره حتى قيل انه مات فى هذه الواقعة من أمراء مصر والشام وحلب وغير ذلك نحو أربعين
 أميرالم تحضرني أسماؤهم الآن وقتل أربك الجبجى أمير طبليخانات وقتل جان بلاط الساقى
 أمير طبليخانات وتوفى شاد بك نائب المهمن دار وتوفى الامير ياس المشطوب رأس نوبة عصاه
 من العشراوات وأمامن توفى من المباشرين فالقاضى ناظر الجيش عبدالقادر القصرى
 وقتل بوطاق السلطان وقتل محمد العفيف رئيس الكحالين وتوفى جلال الدين أحد كتاب
 الممالك بغزة عند العود وخليفة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وغير ذلك ممن
 لا يحضرني أسماؤهم وأما القاضى جمال الدين عبد الله مباشر وقف قاني باي البحر كسى
 قيل انه قتل فى الواقعة وأمامن توفى من أولاد الناس فالشرفى يونس بن قانصوه أحد أولاد
 بنت قرقاس الطبردارية وشخص يقال له محمد بن قرقاس الجمالى أحد الطبردارية أيضا
 وقتل ابراهيم قريش الشرفى يونس نقيب الجيوش المنصورة وآخرون من الاعيان ممن
 لا يحضرني أسماؤهم الآن وقتل بعد الواقعة بحلب عبدالكريم الأدمى مستوفى
 الزردخانة وقتل ابن على الزردى ومن هنا ترجع الى أخبار القاهرة بعد هذه الواقعة فانه
 لما ورد كتاب الامير علان الدوادار الثانى بما وقع من هذه الامور الممثلة فى تلك الواقعة
 وقتل الامراء والاعيان والقضاة قام العزاء والصراخ فى بيت الاتابكى سودون الجبجى وكان
 أميرادينا خيرا لى الجانب وكان يعرف بسودون بن جاني بك وكان أصله من مماليك
 الاشرف قايتباي وولى عدة وظائف سنية منها امرية مجلس وامرية سلاح والاتابكية
 واصطلى الحرب وأظهر الفروسية فى هذه الواقعة واستمر يقاتل حتى قتل على ظهر
 فرسه رجة الله عليه وقام نعى السلطان فى ذلك اليوم ونعى الامراء والاعيان الذين قتلوا
 وصار فى كل حارة وزقاق وشارع من القاهرة صراخ وبكاء بسبب من قتل من العسكر

وغيرهم ورجت القاهرة وخبجت الناس واضطربت الاحوال وكثر القتل والقتل وفي
 يوم الاحد سابع عشر شعبان وردت الاخبار على الامير الدوادار بان عربان بنى عطية
 والنعام نهبوا ضياع الشرقية وأخذوا منها نحو أربعمائة رأس غنم من غنم السلطان
 والدوادار ودخلوا وادى العباسية ولما بلغ الامير الدوادار ذلك صلى الظهر ثم ركب وخرج
 اليهم وصحبته خمسمائة مملوك فكبس عليهم قهرياً من وجهه وغنموا ما نهبوه من الاموال
 والمواشي والغلال وغير ذلك فرجع الامير الدوادار الى داره وفيه خلع الامير الدوادار على
 الزينى بركات بن موسى فشق القاهرة وأشهر النداء بالامان والاطمئنان وأن المشاهدة
 والجماعة بطالة وجميع المظالم الحادثة بطلالة وأن الزينى بركات بن موسى على عادته ولا
 يحتج عليه أحد وقد تضاعفت حرمة ونفذت كلمته فوق ما كان واجتمع معه عدة وظائف
 سنية وصار هو المتصرف في جميع أمور المملكة ليس على يده يد وفي يوم الاثنين ثامن
 عشره أنفق الامير الدوادار الجاهلية على العسكر الذين في القاهرة فجلس الامير قطبباي
 نائب القلعة عند سلم المدرج وأنفق الجاهلية هنالك والاشاعات فاشية بموت السلطان
 والاحوال مضطربة وفيه رسم الدوادار بعرض من في السجون حتى النساء اللاتي بالبحر
 فلما عرضوا عليه أفرج على جماعة كثيرة منهم جان بك دوادار الامير طراباى وكان له مدة
 وهو في السجن بالمقشرة بسبب المال الذي تبقى عليه من حين كان متحدثاً في تظير الديوان
 المفرد وأفرج عن القاضي بدر الدين بن ثعلب قاضى أسيوط وكان له مدة في المقشرة على
 بقايا من مال المصادرة وأفرج عن ولده شمس الدين وأخيه نجم الدين وأفرج عن صلاح
 الدين ابن كاتب غريب ابن أخى أبي الفضل وأفرج عن المعلم ششوايهودى الذى كان
 يهودياً وأسلم وقد تقدم سجنه وأفرج عن المعلم يعقوب الصائغ معلم دار الضرب وأفرج
 عن جماعة كثيرة من العمال والفلاحين وغيرهم حتى أفرج عن النساء اللاتي كن بالبحر
 وعن كانوا في السجون من الاعيان ولم يبق في السجون غير أصحاب الجرائم ومن عليه دم
 قديم وقطع أيدي جماعة وأطلقهم ثم وسط جماعة من المجرمين منهم شخص يقال له عبد القادر
 أبودية وآخرون منهم وقطع أيدي جماعة من الحرامية وأفرج عن القاضي صلاح الدين
 ابن أبي السعود ابن القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضى قضاة مكة وكان له مدة وهو في الحديد
 في بيت الزينى بركات بن موسى في الترسيم وأقام على ذلك مدة طويلة حتى أفرج الله عنه
 وكان سبب ذلك شخص يقال له ابراهيم السمرقندى ترفع معه عند السلطان حتى قال انه لقي
 خبيثة بمكة فيها مال كثير وأرسل السلطان أحضره على غير صورة مرضية من
 مكة ولما حضر قال له المال الذى لقيته أحضره لى فأنكر ذلك فوضعه السلطان في الحديد
 وسلمه الى الزينى بركات فأقام عنده في الترسيم في الحديد مدة طويلة بغير ذنب وفي يوم

الثلاثاء تاسع عشره خلع الامير الدوادار على الشهابي أحمد بن المنذرى حسن بن الطولوني
وأعاده الى وظيفته معلم المعلمين وكان السلطان أخرجه عنه وجعل جمال الدين الالواحى
بواب الدهيشة متكهما في العملية عوضا عن ابن الطولوني وفيه رسم الامير الدوادار نائب
الغيبة بانهم ارادوا المنادة في القاهرة بأن جميع المكوس الحادثة بطلالة وتجرى على ما كانت
عليه أيام الاشرف قايتباى من غير زيادة على ذلك فارتفعت له الاصوات بالدعاء وفي ذلك
اليوم شق الزينى بركات بن موسى القاهرة وسعر جميع الاسعار حتى الكفاة سعرها بدرهمين
الرطل وكانت باربعة دراهم كل رطل وسعر الاجبان واللحوم وفي أثناء ذلك الشهر فتح سد
أبي المنجا وكان النيل يومئذ في عشرين ذراعا ووافق ذلك ثاني عشرى توت أول الشهر
القبطية وكان الامير الدوادار في مدة غيبة السلطان يركب في كل يوم ويسير نحو المطرية
فاذا رجع يدخل من باب النصر ويشق من القاهرة وقدامه الامراء المقدمون الذين تخلفوا
بمصر والجهم الكثير من العسكر فيشق القاهرة وقدامه الساعة والبيد النفطية ومما يليكه
متقلدون بالسيوف وبأيديهم رماح بشطافات حريملون فترتج له القاهرة وترتفع له
الاصوات بالدعاء من الناس فكانت نفسه تحذنه بالسلطنة قبل وقوعها وقد عظم أمره
جدا وهابه الناس هيبة عظيمة وفي يوم الجمعة ثاني عشرى له لما تحقق موت السلطان لم تدع
الخطباء في ذلك اليوم على المنابر باسم السلطان بل دعوا باسم الخليفة فقط ولم يذكروا اسم
السلطان وبعضهم قال اللهم ولا علينا خيارنا ولا نول علينا شرارنا واستمر الحال على ذلك
مدة طويلة ومصر بلا سلطان وكذلك البلاد الشامية وفي تلك الايام وقع الفساد من
العربان في الشرقية وغديرها من البلاد فنهبوا عسدة بلاد من المنزلة وغديرها من ضواحي
الشرقية ولم يبقوا لهم مواشى ولا بقرا ولا غنما حتى أخذوا صيغة النساء وقتل من الفلاحين
في هذه الحركة ما لا يحصى عددهم وكذلك من القصاد وغيرهم وانقطعت جميع الطرقات
من المسافرين ولا سيما لما تحققت اموت السلطان وصارت مصر في اضطراب والاشاعات
قائمة بالاخبار الرديئة عما جرى للسلطان والعسكر وكان أكثر من شن هذه الغارات أولاد
شيخ العرب الامير أحمد بن بقر وجماعة من العشير وفعلا ما عظم خبره في العساكروا التجار
الذين دخلوا صحبة القتل الشامية فقتلوا من العساكروا التجار ما لا يحصى عددهم وأخذوا
أموالهم ورجالهم والذى سلم من القتل عروه وجرى على العسكر من هؤلاء العربان ما لم
يجر عليهم من عسكر ابن عثمان ووقع لهم ذلك بين قطيا والصالحية عندما وصلوا الى الأمان
وفي هذا الشهر أشيع أن المماليك الجلبان قصدوا أنهم ينزلون من الطباقي وينهبون خان
الخليلي ثم يحرقونه ويقتلون من به من تجار الاروام وقالوا هؤلاء التجار من جهة ابن عثمان
وقد شتموا باستاذنا المات فلما بلغ الامير الدوادار ذلك أحضر أغوات الطباقي وقال لهم

لا أطلب خلود هذه الفتنة الامنكم فنعوهم من النزول من الطباق ولولا الامير الدوادار قام في هذه الحركة حتى خمدت هذه الفتنة لحربت مصر عن آخرها من المماليك الجلبان وفيه اهتم الامير الدوادار بعمل طوارق خشب وكفيات وبندقيات وغير ذلك من آلات الحرب وأشيع أنه يتسلطن قبل مجيئ العسكر وكان القائم في ذلك الامير قطبباي نائب القلعة والامير علان الدوادار الثاني وفي يوم الجمعة الثانية لم تذكر الخطباء اسم سلطان في الدعاء كما فعلوا في الجمعة الماضية ومن حين ورد كتاب الامير علان بما جرى للعسكر من أمر الكسرة وأمر السلطان لم يرد من بعد ذلك أخبار صحيحة وانقطعت الاخبار عن مصر نحو أربعين يوما وكثر النقال والقيال في ذلك على أنواع شتى ومن جله ما أشيع ان جان بردي الغزالي نائب الشام منع أن يصل الى مصر أحد وعوق العسكر بالشام وفيه وردت أخبار من عند الامير حسين نائب جدة والرئيس سلمان العثماني انه لما توجهوا الى الهند صحبة العسكر المقدم ذكرهم ووصلوا الى كران وهي ضيعة من ضياع الهند أنشؤا هناك قلعة ذات أبراج فكل بناؤها في نحو خمسة أشهر ثم ان الامير حسين أرسل طائفة من العسكر نحو مكان يسمى اللحية وأرسل طائفة من العسكر الى مكان يسمى مورا وأقام الامير حسين هو وبقيّة العسكر في مكان يسمى بيت الفتية فأقاموا بها نحو شهر ثم ان الامير حسين والرئيس سلمان والعسكر توجهوا الى نحو زبيد وحاصروا صاحبها عبد الملك أخا الشيخ عامر فلكو امنه زبيد وذلك صبيحة يوم الجمعة في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فوجدوا بها من الامم ما لا يحصى عددهم ثم ذكروا في الكتاب ان الامير حسين لما أن فتح زبيد توجه الى حصار مدينة عدن وانه أشرف على أخذها ولما لم يكواز يبدأ قاموا بها شخصان من ممالك الاشرف الغوري وهما من أمراء العشراوات يسمى برسباي ومعه بعض جماعة من المماليك وأولاد الناس الذين كانوا أصحابهم والتف عليهم جماعة من العربان نحو عشرة آلاف انسان ولما ملك برسباي زبيد تسلطن بها ورتب له دوادارا وخازندارا وأرباب وظائف كعادة السلاطين وغنم منها أموالا جزيلة هو ومن معه من العسكر ولما توجه الى حصار عدن أيضا ملكها كما قيل وفي هذا الشهر عرض الامير الدوادار العسكر الذين في القاهرة وكان ذلك العرض في بيته وكان سبب هذا العرض انه بلغ الامير الدوادار أن عدة مراكب وصلت الى نغراسكندرية ورشيد فخشي أن تكون من عند ابن عثمان فبادر الى عرض العسكر وقال لهم كونوا على يقظة وعيوا برفقكم حتى يتضح هذا الخبر وانقص المجلس على ذلك فانصرف العسكر في هرج وفي شهر رمضان وكان مستهل يوم السبت توجه لبيت الامير الدوادار جماعة من نواب القضاة وهنؤا بالشهر وكانت القضاة الثلاثة والخليفة في أسر سليم شاه بن عثمان بحلب لا يمكنهم العود الى مصر

وفي يوم الاحد ثابته كان أول بابيه من الشهور القبطية قُتبت فيه النيل المبارك على عشرين ذراعاً وكان في العام الماضي أرجح من ذلك واستمر في ثبات إلى أول هاتور ثم وردت الاخبار على يد ساع بأن الامراء والعسكر دخلوا إلى الشام وهم في أنحس حال وقد ذهب بركهم ونحو لوهم وجمالهم وجميع ما يملكونه وأخبر ذلك الساعي أن أهل الشام لما تحققوا موت السلطان وثب بعضهم على بعض ونهبوا زروع الشام وأخذوا أموالهم وقتلوا منهم جماعة واضطربت أحوال البلاد الشامية غاية الاضطراب وفيه دخل قاضي القضاة محمود بن الشحنة وقد ذهب جميع بركه وكل ما يملكه وأخبر أن ابن عثمان ملك ثلاث عشرة قلعة وخطب باسمه فيها ومشى حاكمه من الفرات إلى حلب وأخبر أن الخليفة والقضاة الثلاثة في أسر ابن عثمان بحلب ولولا انه هرب مع العسكر والا كان أسره معهم وأخبر أن ابراهيم السمرقندي ويونس العادلي والعجبي الشنقي الذي كانوا من أخصاء السلطان لما مات الغوري التفوا على سليم شاه بن عثمان وصاروا من جماعته وصاروا يتقربون اليه بذكر مساوي أستاذهم الغوري وأمرائه ويظهرون له معائبهم وقبائحهم ولم يذكروا شيئاً من احسان الغوري لهم لاجل لا ولا حقيراً وكأنه لم يكن سلطاناً لهم ولا أستاذاً ونسوا جميع انعامه واحسانه اليهم ولا سيما ما أحسن به إلى العجبي الشنقي من سلاريات وشقق حرير وسمور ومال وانعامات جزيلة فلم يثمر ذلك فيهم فلما بلغ الامير الدوادار ذلك رسم للوالى أن يكس على بيت السمرقندي ويونس العادلي فتوجه اليهم والى وقبض على عيال السمرقندي ويونس العادلي وحرىهما وحاشيتهما ووضع عبد السمرقندي في الحديد وختم على حواصل السمرقندي ويونس العادلي وظهر أنهم كانوا والسجين على السلطان وكانوا يكاتبون سليم شاه بن عثمان في الباطن بأحوال السلطان وأمور المملكة وصاحب البيت أدري بالذي فيه وفي يوم الجمعة سابعه صلى الامير الدوادار صلاة الجمعة وخرج إلى ملاقات الامراء المقدمين الذين حضروا من الشام وقد بلغه وصولهم إلى بليديس فدخل القاضي محمود بن أجاك كاتب السرو هو في محفة وصحبته الشهابي أحمد بن الجيعان ودخل الامير اركاس أمير سلاح وهو في محفة عليل ودخل الامير انس باي حاجب الخجاب وتمر الزرد كاش والامير علان الدوادار الثاني وآخرون ثم دخل بقية العسكر وهم في أسوأ حال من العرى والجوع والضعف ودخلوا وأطواقهم مفككة وأظهروا الحزن على السلطان وصار الامراء والعسكر يدخلون شيئاً فشيئاً وفي يوم الخميس ثالث عشره دخل الامير سودون الدوادار رأس نوبة النوب والامير كرت قانصوه والامير جان بردي الغزالي نائب جمه ودخل المقر الناصري محمد نجل السلطان الغوري والامير جان بلاط الموترو والامير أبرك الاشرفي والامير تاني بك الخازندار والامير كرت باي وفيه تكامل دخول الامراء فسلم عليهم

الامير الدوادار ورجع الى منزله ودخل صحبتته الامير قانصوه الاشرفي الذي كان نائب قلعة حلب وهو الذي سلم القلعة بموافيقهم من المال والسلاح والقماش والكنابيش الزركش والسرورج الذهب وغير ذلك من التحف فتسلمها ابن عثمان من غير أن يحاصر القلعة فخرج قانصوه هذا والامراء الذين معه فارين الى جهة الشام مع ان قلعة حلب حصينة مانعة فلما قابله الامير الدوادار وبخه بالكلام ورسم بسجنه في البرج الذي بالقلعة واستوعده بكل سوء فلما دخل الامراء الى القاهرة اجتمع رأي الجميع على سلطنة طومان باي الدوادار وترشح امره لان بلى السلطنة فصار يمتنع من ذلك غاية الامتناع والامراء كلهم يقولون ما عندنا من سلطنته الا أنت ولا يحيد لك عن طوعا أو كرها ثم ان الامير الدوادار ركب وصحبته جماعة من الامراء المقدمين منهم الامير علان والامير انسباي حاجب الحجاب والامير غر والامير طقة طباي نائب القلعة وآخرون من الامراء وتوجهوا الى العارف بالله تعالى الشيخ أبي السعد الذي في كوم الجارح فلما تكامل المجلس عنده ذكر واه امر سلطنة الدوادار وانه امتنع من ذلك فأحضرهم الشيخ معه فهاشريفوا وحلف الامراء الذين حضروا صحبتة الدوادار بأنهم اذا سلطنوه لا يخونونه ولا يغدرونه ولا يخامرون عليه ويرضون بقوله وفعله حلف الجميع على ذلك ثم ان الشيخ حلفهم أن لا يعودوا الى ما كانوا عليه من ظلم الرعايا وان لا يشوشوا على أحد بغير طريق شرعي ولا يبددوا مظلمة وأن يبطلوا جميع ما أحدثه الغوري من المظالم ويبطلوا ما كان على الدكاكين من المشاهدة والجماعة وان يجروا الامور على ما كانت عليه في أيام الاشرف قايتباي ويمشوا الحسبة على طريقة يشيبك الجمالي لما كان محتسبا خافوا على ذلك ثم ان الشيخ ذكر للامراء ان الله تعالى ما كسركم وذلکم وسلط علیکم ابن عثمان الابدعاء الخلق علیکم في البر والبحر فقالوا له تبنا الى الله تعالى من اليوم عن الظلم ثم انفض المجلس على ذلك وخرجوا من عند الشيخ أبي السعد ودعوا أن يسلطنوا الامير الدوادار وأخذ الشيخ عليهم العهد بجميع ما حلفهم عليه بحضرته كما تقدم وترشح امر الامير الدوادار الى السلطنة وتسلطن كباي أن ذكر ذلك في موضعه * ومن هنا ترجع الى أخبار الاشرف الغوري فانه خرج من القاهرة خامس عشر ربيع الآخر من هذه السنة واستمر نافذا الكلمة وافر الحرمة الى أن دخل الى حلب وأقام بها وأرسل اليه ابن عثمان عدة قصائد بالخاخ السنية وانعم عليهم بالعطايا الجزيلة الى أن حضر مغلباي دوادار سكين الذي كان أرسله الى ابن عثمان فلما رجع من عنده وهو في غاية التحقير كما تقدم وكان السلطان أرسل مغلباي هذا الى ابن عثمان في هيئة تشهر بالشدة والقوة لابس آلة الحرب باللبس الكامل فشق ذلك على ابن عثمان وبهم دله فلما حضر الى الغوري أعلمه أن ابن عثمان قد أبي من الصلح فلما تحقق السلطان أن ابن عثمان يريد الشرمعه نادى للعسكر بالرحيل والخروج من حلب فخرج العسكر قاطبة وهم كالنجوم الزاهرة من آلة

السلاح والخيل الفاخرة وكل فارس مقوم بالف فارس من عسكر ابن عثمان ولكن الله
 تعالى يعطى النصر من يشاء فتوجهوا الى مرج دابق يوم الاحد خامس عشر رجب من
 هذه السنة فلما بلغه أن عسكر ابن عثمان قد وصل الى تل الفار ركب صبيحة يوم الاحد
 المذكور وهو يوم نحس مستقر فبرز فيه الى قتال ابن عثمان وكانت الكسرة أولا على عسكر
 ابن عثمان ثم بدل الله سبحانه وتعالى هذا الامر وعادت الكسرة على عسكر مصر ولما
 رأى السلطان عين الغلب من عسكره أراد أن يلقى فرسه ليهرب وينجو بنفسه فاعتزته
 سارقة من الرجفة فاغشى عليه فسقط عن ظهر فرسه الى الارض فطلعت روحه في تلك
 الساعة وصار ملقى على الارض فزحفت عساكر ابن عثمان فنهروا من كان حوله من الغلمان
 والسلحدارية والمماليك الجلبان وتركوا جثته على الارض فكان آخر العهد به ولم تر له جثة
 ولا عرف له مكان قبر فكانت غما ابتلعته الارض ولم يقف له أحد من الناس على خبر
 ومن العجائب انه لم يدفن في مدرسته التي صرف عليها نحو مائة ألف دينار وظن أنه يدفن
 بها على عزه وحفظ مقام فكان المدة دور خلافاً ذلك وصار مرمياً في البراري تنهشه
 الذئاب والتمور ومات وله من العمر نحو ثمانية وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته
 بالديار المصرية والبلاد الشامية خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً
 وكانت هذه المدة على الناس كل يوم كالف سنة مما يعتدون وكانت صفته انه طويل القامة
 غليظ الجسد ذو كرش كبير أبيض اللون مدقور الوجه مشحوم العينين جهورى الصوت
 مستدير اللحية ولم يظهر بلحيته الشيب الا قليلا وكان ملكاً مهيباً جليلاً مجتلاً في
 المواكب تلاءم العيون منه في المنظر ولولا ظلمه وكثرة مصادراته لارعية لكان خيار ملوك
 الجراكسة بل وخيار ملوك مصر قاطبة وكان يوم الاثنين والخميس ينزل الى الحوش
 السلطاني ويوم السبت والثلاثاء بالميدان فينزل من السبع حدرات وقدامه طوالتين
 خيل يسروج ذهب وكنائش زركش وكان يكثر في الاسفار من ركوب الخجورة بالسروج
 البتاي والركب العراض وكان يشد في وسطه حياصة ذهب عوضاً عن الشدا بعلبكي
 وكان يلبس في أصابعه الخواتم الياقوت والفير وزج والزمرد والاماس وعين الهر وكان
 مولعاً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والعنبر وكان ترفاً في ملبسه ويحب رؤية
 الازهار والقواكه ويميل الى أبناء العجم وربما كان يميل الى مذهب النسيحية من ميله الى
 معاشره الاعاجم وكان مولعاً بغرس الاشجار وحب الرياضات وسماع الاطيار المغردة ونشق
 الازهار لعطرة وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيه او كان يستعمل الاشياء المفرحة
 وكانهم ما في الاكل والشرب وكان يغوى طيور السموع وكان يعرف بقا نصوصه بن بيردى
 الغورى واستمر يرتفع في ملك مصر على ما ذكرناه من التمتع والرفاهية وهو نافذ الكلمة وافر
 الحرمة والامراء والنواب والعسكر في قبضة يده لم يختلف عليه انسان في كلمة الى أن وقعت
 الواقعة بينه وبين سليم شاه بن عثمان ملك الروم فخرج اليه كاذباً وجرى له هذه الكائنة التي

لم تقع الملك من ملوك مصر ولا غيرها من الملوك وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقد قلت في معنى ذلك

طلعت تاريخ الملوك فلم أرى * فيما سمعت حوادث مما جرى
لزالت الأيام يسد فعلها * بجائب وغرائب بين الوري
لكن هذى وقعة ماثلا * سبقت لسلطان ولا متأهرا
والأشرف الغوري كان مليكنا * لكنه قد جارفينا وافتري
والموت أوجب هزمه مع جيشه * قد كان ذلك في الكتاب مسطرا
أعماله ردت عليه بما جنى * والدهر جازاه بأمر قدرا

وكان للغوري محاسن ومساوى لكن مساويه أكثر من محاسنه * فأما ما عده من محاسنه
فانه كان رضى الخلق بملك نفسه عند العضب وليس له زيادة حدة عند قوة خلقه ومنها
انه كان له اعتقاد زائد في الفقراء والصالحين ومنها انه كان يعرف مقادير الناس على قدر
طبقاتهم ومنها أنه كان ماسك اللسان عن سب الناس في شدة غضبه ومنها انه كان يفهم
الشعر ويحب سماع الآلات والغناء وليس له هرج وكان مغرما بقراءة التواريخ والسير
ودواوين الأشعار وكان قريبا من الناس يحب المزح والمجون في مجلسه غير أنه كئيف من
حيث النظر الى ذاته وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك ولم يكن عنده شمم
ولا كبر نفوس ولا رقاعة زائدة بخلاف عادة الملوك في أفعالها * وأما ما عده من مساويه
فانها كثيرة لا تحصى منها انه أحدث في أيام دولته من أنواع المظالم ما لم يحدث في سائر
الدول من قبله ومنها أن معاملته في الذهب والفضة والفضاوس الجدد أنحس المعاملات
جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا شراء ولا معاملة في ملة من المال ومنها ما قرره
على الحسبة في كل شهر وهو مبلغ ألفان وسبعمائة دينار وكانت السوق تباع البضائع بما
يختارونه من الأثمان ولا يقدر أحد أن يكلمهم فان كلهم أحدي يقولون علينا مال السلطان
فكانت سائر البضائع في أيامه غالية بسبب ذلك وقرر على دار الضرب ما لا له صورة في كل
شهر فكانوا يضيئون في الذهب والفضة النحاس والرصاص جهارا فكان الأشرف في الذهب
إذا صنى يظهر فيه ذهب يساوي اثنا عشر نصفا وقد سلم السلطان دار الضرب الى شخص
يسمى جمال الدين فلمع في أموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين
المتقدمة حتى صار لا يلوح لأحد من الناس منها لا دينار ولا درهم فلما شق جمال الدين قرر
في دار الضرب المعلم يعقوب اليهودي فشبى على طريقة جمال الدين وقد استباح أموال
المسلمين فكان النصف الفضة ينكشف في ليلته ويصير من جملة الفلوس الحجر فاستمر الغش
في معاملته في مدة دولته الى أن مات وقد ورد في الحديث الشريف من غشنا فليس منا

ومنها انه كان يولى الكشف ومشايخ العربان على بلاد المقطعين والاقواق فيأخذ كل
منهم المثل أمثالا فضعف أمر الجند من يومئذ وتلاشى حال البلاد الشامية والحلبية وكان
يفرد عليهم الاموال الجزيلة في كل سنة فيأخذونها من الرعية وزيادة بالتظلم والعسف فكان
كل واحد من الرعية أصحاب الاقطاع والاقواق يتنقح الرحيل من بلاده الى غيرها من عظم
الظلم الذي يصيبهم من النواب ولا سيما ما حصل لعربان جبل نابلس بسبب المال الذي أفرد
عليهم لاجل المشاة عند خروج التجريدة فما حصل لاهل البلاد الشامية بسبب ذلك خير
وكان حسين نائب جدة يأخذ العشر من تجار الهند المثل عشرة أمثال فامتنعت التجار من
دخول بندر جدة وآل أمره الى الخراب وعز وجود الشاشات بعصر وعز وجود الاصناف
التي كانت تجلب من بلاد الافرنج والارز والانتاع وخرب البندرو كذلك بنادر
الاسكندرية وبندر دمياط فامتنعت تجار الفرج من الدخول الى تلك البنادر من كثرة الظلم
وكان كل أحد من أراذل الناس يتقرب الى خاطر السلطان بنوع من أنواع المظالم فقرر على
بيع الغلال قدر معلوما يؤخذ على كل اردب ثلاثة أنصاف من البائع والمشتري وكذلك
على البطيخ والرمان حتى خرج على بيع الملح وجدد في أيامه عدة مكوس من هذا النمط لم
يفعلها هنادي زمانه ولم يفتسه من أعيان التجار أحد حتى صادره وصادر أمير المؤمنين
المستسك بالله يعقوب وأخذ منه مالا له صورة ودخل في جله ديون حتى أورد ما قرره عليه
وأما من مات تحت عقوبته بسبب المال فمنهم القاضي بدر الدين بن منهر كاتب السر ومنهم
شمس الدين بن عوض ومعين الدين بن شمس الدين وعلم الدين كاتب الخزانة وغير ذلك جماعة
كثيرة من المباشرين والعمال ماتوا في سجنه بسبب المال والمصادرات ومن أفعاله الشنيعة
ما فعله مع أولاد الناس من خروج اقطاعهم ورزقهم من غير سبب واعطاء ذلك الى عماليكه
الجلبان ومنها قطع جوامك الضعفاء واليتام من الرجال والنساء والصغار وحصل لهم
الضرر الشامل بسبب ذلك ومنها أنه أرسل فك الرخام الذي بقاعة ناظر الخاص يوسف التي
تسمى نصف الدنيا فوضع ذلك الرخام في قاعة البيسرية التي بالقلعة ومنها أنه قطع معتاد
الناس من الديوان المقرر من قديم الزمان وجدد أخذ الحمايات من المقطعين من قبل ان يزيد
الذيل وتزرع الاراضي وكانت المقطعين تقاسى من الهوان والذل ما لا يحير فيه ثم ترايد
حرصه على جمع الدنيا وشحه حتى صار يحاسب السواقين الذين في سواق القلعة والخولة
الذين في سواق الميدان على الجله وروث الابقار وما يتحصل في كل يوم مما يبيعونه وقرر عليهم
مبلغا يؤدونه للذخيرة الشريفة وكانت أرباب الوظائف من المباشرين والعمال معه في غاية
الضييق لا يغفل عنهم من المصادرات يوما واحدا وكان من حين توفي الامير خاير بك الخازن دار
بإشرافه أمر الخزانة بنفسه ما يدخل اليها وما يخرج منها وما يعرضون عليه من الامور

في ذلك جميعه من الوصولات وما يصرف من الخزائن في كل يوم وكانت هذه الاموال العظيمة
 التي تدخل له يصرفها في عمائر ليس بها نفع للمسلمين ويزخر بالخيطان والسقوف بالذهب
 وهذا عين الاسراف لبيت مال المسلمين وكان يهرب من المحاكمات كما يهرب الصغير من المكتب
 وما كانت له محاكمة تخرج على وجه مرضى بل على أمور مستعجلة وكان يتغافل عن أمر
 القتلى ويدفعهم الى الشرع ويضيع حقوق الناس عليها وكان يكسل عن علامة المراسيم
 فلا يعلم على المراسيم الا قليلا فتمتع باموال الناس بسبب ذلك حتى كانت تشتري العلامة
 العتيقة بأشرف حتى تلتصق على المرسوم لاجل قضاء الحوائج ولو شر حنامساويه كلها
 لطل الشرح في ذلك انتهى * وأما من تولى الخلافة في أيامه فامير المؤمنين محمد المتوكل
 على الله نجل أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب وأما قضاة الشافعية فأولهم شيخ الاسلام
 قاضي القضاة زكريا وقاضي القضاة محيي الدين عبد القادر النقيب تولى وظيفة القضاء
 في أيامه خمس مرات وقاضي القضاة برهان الدين بن أبي شريف المقدسي وقاضي القضاة
 ابن فرور المقدسي وقاضي القضاة جمال الدين القلقشندي تولى القضاء في أيامه مرتين
 وقاضي القضاة كمال الدين بن محمد بن علي الشهير بالطويل القادري وقاضي القضاة بدر الدين
 المكيئي وقاضي القضاة علاء الدين بن النقيب ثم أعيد قاضي القضاة كمال الدين الطويل
 وقد تولى القضاء في دولته أربع مرات وأما قضاة الحنفية فالقاضي سري الدين عبد البر
 ابن الشحنة ثم القاضي برهان الدين بن الكركي ثم القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن سدي
 ثم القاضي حسام الدين محمود بن الشحنة وأما قضاة المالكية فالقاضي عبد الغني بن تقي
 الدين ثم القاضي برهان الدين الدميري ثم ولده محيي الدين يحيى ثم جلال الدين بن قاسم
 ثم أعيد محيي الدين بن الدميري ثانياً وأما قضاة الحنابلة فالقاضي شهاب الدين أحمد
 الششيني ثم ولده عز الدين محمد ثم شهاب الدين الفتوح وأما كتاب سره فالقاضي
 محب الدين الحلبي وأما نظار جيشه فالقاضي شهاب الدين أحمد بن الجمالي يوسف ناظر
 الخاص والقاضي عبد القادر القصروي وأما نظار خواصه فالقاضي علاء الدين بن
 الصابوني وأولاً ثم علاء الدين ابن الامام ثم ناصر الدين الصفدي ثم أعيد ابن الامام ثانياً وأما
 وزراءه فالامير قطب باي بن ولي الدين وجمع بين الوزارة والاستادارية ثم الامير تغري
 برمش ثم الامير يوسف البدري وأما استادارياته فالامير تغري بردي بن بلباي القادري ثم
 الامير تغريباي خازن دار الملك العادل طومان باي ثم الشرفي يونس النابلسي ثم قررا الامير طومان
 باي الدواداري في الاستادارية مضافاً لما يسده من الدوادارية الكبرى واستقر بها الى أن
 تسلطن وأما من ولي الحسبة في أيامه فالامير قرقاس المقرئ والامير جان بردي الغزالي ثم
 أعيد قرقاس المقرئ ثم الزيني بركات بن موسى ثم الامير ماما الصغير وأما أتابكيتيه
 فأولهم قيتارجي وقرقاس بن ولي الدين ودولتباي بن اركاس وسودون الجي وأما

دوا دارياته فأولهم مصر باي ثم ازدهر بن علي باي ثم طومان باي الذي تسلطن بعده وأما
 حجاب فالامير خاير بك بن باي الذي قرر في نيابة حلب والامير انسباي بن مصطفى وأما بقية
 الامراء وأرباب الوظائف فعلى حكم ما تقدم من أخبارهم وأما نوابه بالشام فالامير دولات
 باي بن اركاس ثم فأنصوه المحمدى الشهير بالبرجى وسيباي بن بختنجا وأما نوابه بحلب
 فاركاس بن طراباى وبخشبباي بن عبد الكريم وسودون بن يشبك وجانم وبشبك وابرك
 الاشرفى وعمر ازالا شرفى وأما نوابه بصفد فأنصوه بن قراوتانى باي العثمانى وسودون الدوادار
 وأما نوابه بغزة فالامير صلاح الدين الذى كان نائب القدس وأزبك الصوفى الذى كان نائب
 القدس أيضا واقباى الذى كان كاشف الشرقيه واخر من ولى بها في أيامه دولات باي
 الاعمش وقد جمع له بين نيابة القدس والسكر نيابة غزة وولى بها آخرين غير هؤلاء
 وأما ما أنشأه بالقاهرة فن ذلك الجامع والمدرسة اللذان أنشأهما عند الشرايين والوكالة
 والخواصل والربوع التى أنشأها خلف المدرسة عند المصبغة ومن أنشأه المثناة التى عمرها
 بالجامع الازهر وهى برأسين وأنشأ هناك الربع والخوانيت التى بالسوق خلف الجامع وأنشأ
 الربوع التى بمخان الخليلي وجدد عمارة خان الخليلي وأنشأ به الخواصل والدكاكين وأنشأ فى
 باب القنطرة ربعين ودكاكين وكذلك الربعان اللذان بين السورين والطاحون عند المصبغة
 وأنشأ البيت الذى فى البندقانيين لولده وتناهى فى زخرفته وأنشأ هناك ربعا ووكالة وأنشأ
 الميدان الذى كان تحت القلعة ونقل اليه الاشجار من البلاد الشامية وأجرى اليه ماء
 النيل من سواقي نقالة وأنشأ به المناظر والبحرة والمقعد والمبيت برسم المحاكات وأنشأ
 جامعا خلف الميدان عند حوش العرب بخطبة ومثناة وجدد عمارة بالقلعة منها الدهيشة
 وقاعة اليسرية وقاعة العواميد وقاعة البحرة وأنشأ المقعد القبطى الذى بالحوش وجدد
 عمارة المطبخ الذى بالقلعة وجدد عمارة سبيل المؤمنين وجعل سقفة معقودا بالحجر وأنشأ
 الربع والدكاكين التى بسويقة عبد المنعم وأنشأ الربع والوكالة التى فى الجسر الاعظم
 وجدد عمارة ميدان المهارة الذى بالقرب من قناطر السباع وبناه بالحجر القص المشهر بعد
 ما كان بالطوب اللبن وأنشأ المجرة ونقلها من درب الخولى الى موردة الحلفاء وجدد
 عمارة المقياس وأنشأ به القصر على تلك البسطة التى كانت هناك وأنشأ به المقعد المثل
 على البحر وجدد عمارة قنطرة بنى وائل والقنطرة الجديدة وقنطرة الحاجب وقنطرة
 الخرفوبى وأعلاها حتى صارت تدخل المراكب من تحتها وجدد عمارة قناطر السباع وأنشأ
 المساطب وعليها الدعائم عند قبة الامير يشبك التى بالمطرية وأنشأ بالطينة على ساحل
 البحر الملح قلعة لطيفة بها أبراج وجامع بخطبة وأنشأ بشعر رشيد سورا وأبراجا لحفظ
 الثغر وجدد عمارة الابراج بالاسكندرية وأصلح طريق العقبة ودوار حقن وأنشأ هناك

خاناً وأبراجاً على بابه وجعل فيه حواصل لاجل ودائع الحجاج وأنشأ في الازلم خاناً وجعل
 فيه حواصل مثل الخان الذي في العقبة وحفر هناك الآبار في عدة مواضع من مناهل الحجاج
 وأنشأ بمكة المشرفة مدرسة ورباطاً للجوارين والمنقطعين هنالك وأجرى عين بزان بعد
 ما كانت انقطعت من سنين وأنشأ بمكة سوراً على ساحل البحر المالح وفيه عدة أبراج
 بسبب حفظ بندرجة من القرنج وجاء هذا السور من أحسن المباني هناك وله غير ذلك من
 الآثار الحسنة عدة مبان بها نفع للمسلمين وبالجمل أن السلطان الغوري كان خيار مملوك
 الجراكسة على عوج فيه ولم يجئ من بعده أحد من الملوك يشابهه في أفعاله وعلو همته
 وعزمه في الأمور وكان كفواً تاماً للسلطنة مجتهداً في المواكب تلامذة منه العيون وأما من
 توفى في أيامه من أعيان العلماء ومشايخ الإسلام وقضاة القضاة فمنهم الشيخ بدر الدين
 ابن عبد الرحمن الديري رحمة الله عليه وكان من أعيان علماء الحنفية مفتياً مدرساً عريقاً وولي
 مشيخة الجامع المؤيدي وكان من خيار أبناء الديري وتوفى الشيخ شهاب الدين خليفة
 سيدي أحمد البدوي رحمة الله عليه وكان من أعيان مشايخ الحقيقة وجاءت الأخبار
 بوفاة قاضي القضاة الحنبلي بهاء الدين بن قدامة توفى بدمشق وولي قضاء الحنابلة بمصر والشام
 وتوفى الشيخ إبراهيم المواهي الشاذلي رحمة الله عليه وكان من أعيان مشايخ الصوفية
 وتوفى العلامة تقي الدين الأوجاقي شيخ الحديث رحمة الله عليه وتوفى الحافظ العلامة جلال
 الدين عبد الرحمن الأسيوطي وكان من أعيان علماء الشافعية بلغت مصنفاته ستمائة
 مؤلف وكان بارعاً في علم الحديث توفى في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة وتوفى
 قاضي قضاة المالكية برهان الدين الدميري سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وتوفى القاضي
 ناصر الدين محمد بن جرباش وكان من أعيان علماء الحنفية وتوفى الشيخ علاء الدين العجمي
 الشافعي شيخ تربة جاني بك نائب جدة وكان من أعيان علماء الشافعية وتوفى قاضي
 قضاة الحنابلة شهاب الدين أحمد الششيني وكان علامة في مذهبه توفى سنة تسع عشرة
 وتسعمائة وتوفى الشيخ عبد الباسط بن خليل المؤرخ وكان من أعيان الحنفية وكانت
 وفاته في ربيع سنة عشرين وتسعمائة وتوفى الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن عنان رحمة
 الله عليه وكان من أعيان مشايخ الصوفية وتوفى قاضي قضاة الشافعية كان محي الدين
 عبد القادر بن النقيب وكانت وفاته سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وتوفى قاضي القضاة
 كان جمال الدين إبراهيم بن علاء الدين القلقشندي الشافعي وكان من أعيان علماء
 الشافعية وتوفى الشيخ نور الدين علي المحلي وكان يعرف بقريبه وكان من أعيان علماء
 الشافعية وتوفى الشيخ تاج الدين الذاكر وكان من أعيان الصوفية وتوفى قاضي قضاة
 الحنفية وكان يسمى برهان الدين بن الكركي وكان من أعيان علماء الحنفية مات غريباً

في أيام دولته ومات غيره ولا جماعة كثيرة من الاعيان لم تذكرهم هنا خشية الاطالة انتهى
 ذلك ولا بأس بإيراد هذا الرجل الذي عمله الشيخ بدر الدين أبقاه الله تعالى يرثي به الملك
 الأشرف قانصوه الغوري عند وقوع تلك الفتنة المقدم ذكرها وما جرى له وهو قوله

غريت شمس دولة الغوري * وابن عثمان نجومو طلع سائر
 وبهذا رب السما قد حكم * والفلك دار ولم يزل دابر
 ابن عثمان بادام بأخذ القلاع * وينع التاجر مع الجلاب
 أن يجيبوا إلى مصر ملوك * ولا فروع سمور ولا سنجاب
 ولا وشق ولا ثعلب يجلبوا * ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
 على الصوف يا ساقه دناسين * ما يجي من عندو ولا تاجر
 والامارة جـ وللك قالوا * ابن عثمان باغى عليك جابر
 الامير الكبير سمي سودون * للعجم نسبتهو خلاف القياس
 والمقرر الأشرفي العالي * هو أمير سلاح سمي اركاس
 وبسودون رأس نوبة النواب * لورياضه مع سائر الاجناس
 وانسباى هو حاجب الحجاب * لو شجاعه في الحرب بالباتر
 ومحمدي أمير اخور * نجل سلطان أشرف عزيز ناصر
 والدوادار تاني أمير علان * وان أردت المقدمين تذكر
 ابن حركس مقدم كبير * وتقرر بالزرد كاش يشهر
 وكذا جنب بلاط معو كرتباى * وأربعين في ذى العدد واكثر
 ونبعهم من الامارة كنير * طبلخاناه بالنصر تبتبـاشر
 والعساكر معهم كـير فرسان * عشراوات من ترك تتكاثر
 شرب الكل بينهم مشورة * قالوا ملئت منا القلوب والنفوس
 نحن نخرج جميع لاجل القتال * بالجناث والسلاح واللبوس
 ونجـرد لنصرة السلطان * فكسر الروم والاراضي ندوس
 راهنوا بالنفوس وهم أقار * كل واحد دعه جتوقامر
 ولا يدري ما قد نجي في الغيب * من تقادير القادر القاهر
 خامس العشر من ربيع آخر * لتسمايه اثنين وعشرين عام
 ورخوها من هجرة الهادي * شافع الخلق في نهار الزحام
 كان خروج السلطان بتجريده * لابن عثمان طالب بلاد الشام

والاماره في نحد متوموكبين * بالماليك والطلب تتفاخر
 وخروج الجميع من القاهره * كان بتقدير الواحد القاهر
 في محقه خرج معو القاضى * كاتب السر المنتخب محمدود
 والخليفه المتوكل ولد يعقوب * هو محمد فعدوا الجبل محمدود
 وقضاة القضاة ومن معهم * كل نائب قد أبذل الجهود
 وخرج معو لاجل الخلع * ناظر الخاص الناهي الامر
 هو المباشر للخاص وهو العامل * وكذا القصري بلش ناظر
 دخلوا الشام أو كذبهم موكب * ماسعنا موكب رضى مثله
 ولا نالوا ملك ولا سلطان * في الموكب ولا أحـد قبله
 ومن الشام خرج دخل في حلب * وقطع من وعـره الى سـمه
 وسلميم شاه لما سمع أظهر * ان طبعو منها باقى حائر
 طلب الصلح أرسل لهم قاصد * باللهدايا والملبس الفاخر
 قالوا دال الصلح سيد الاحكام * من يخالف يرجع هدا في ضلال
 والامانه في محمد لال انسان * وأبى حملها عـوا الى الجبال
 وقضى ربنا بحقن الدما * وكفى الله المؤمنين القتال
 جوجـواسيس الاشرف الغورى * أعلموا نواعليهـ ما كـر
 قالوا احذر تركن الى صلحو * واعلم انه خائن عليك غادر
 حقق القول ومن حلب برز * والعساكر معو لاجل القتال
 وجد الروم مجهزين بالسلاح * والترا كيش معـره بالنبال
 ووقع بين العسكرين وقعه * للفريقين شابت لها الاطفال
 نصر الله لمصرى على الروى * وبخيلوا أضـحى عليه غاير
 ولا يدري ما قد خبي في الغيب * ولا يدري ما هو اليه صاير
 ابن عثمان كان لومـن العسكر * خلق كانوا على الشمال كامنين
 في اشتغال العسكر بنهب الروم * خرجوا في القتال لاجل اليمين
 فاستغاث الملك وبوسارقه * ارتقى على الارض عن جوادوينين
 جابن عمويبيرس واقباى الطويل * كل واحد لتصرته يادر
 والشجاعه ما تغلب الكثرة * قطعوهـم بالصارم الباتر
 جعل ربي محرك الحركات * جعل الله لكل قتله سبب
 والعجب كان في قتله الغورى * في التواريخ تكتب بماء الذهب
 تسمايه اثنين وعشرين عام * ماجرى لو خامس وعشرين رجب

نسأل الله أن يحسن العاقبة * ويعيد الراجح هو الخاسر
 يكشف العار عنا بأخذ النار * ويرد الكسره على الكافر
 انتهى التار لقة لة الغورى * ولم إلى أن أبلغ الاوطار
 والتهانى ذاك النهار عندى * ويغنوا على وتر أوطار
 بعده ما خشى غراب البين * ان زعق فى دارنا أوطار
 والمجائب فى قة لة الغورى * راح برجلو لقتلو خاطر
 وحسبنا كل الحساب الا * ماجرى لوما مر بالخاطر
 دمة العين منى على الغورى * من دماها تجرى لحزنى عين
 ارتجى عين فى الناس تساعدنى * من صباحى حتى تغيب العين
 كان عليه ترقب زمان مـلكو * والسعادة حتى أصابو عين
 الجواد غاب بين العدا أرماء * مات ودمعو من العيون غاير
 كل من غار منوبى فرحان * بعد ما كان غاير على الغاير
 ذى العساكر شهباء روضه * فيها أغصان فرسان عليها زهور
 والنسيم فى النهر فـل زرد * واذا هو كالسيف ظهر مشهور
 واللبوس من فوق الحديد تحكى * ورد أحمر بين الرياض منشور
 ومن البان شطقات غصون مذهب * وجاهها صـناجق الباتر
 وحكى الياسمين بدن مجروح * وشقيق النعمان عليه دابر
 فى سمحرب عسكر السلطان * تطلع النجم فرسان تزين اللبوس
 والاسنة تحكى شهب ثاقبه * وخودهم مثل النجوم فى الشموس
 والملاك بينهم قمر مخسوف * وحكى الرعد ضربهم فى التروس
 خلت أسهم من قوس قزح ترى * للعساكر فى ليل غبار عاكر
 والسحاب صار يطر سهام خارقة * للاعدى ولم يزل ما طـر
 ذى العساكر بستان وفيه فاكهه * ودماهم خرا العنب مدفوق
 واحد اصفر لوفو حكى مـشمش * وذا لون العناب وذا معشوق
 ما رأى حـدم مثل ذى الوقعة * لائق لى الناصر ولا برقوق
 والامارة تحكى شجر مـر * فى رياض نشر واغـدا عاطر
 والمدافـع ترى سفر جـل بكار * ولـرمان يحكى من الفحول فاخر
 كم أـلى قلبى على الغورى * وأقـلوا قلب اتفـكر
 أين سليمان وأين هو النمرود * وأين هو افرعون وأين هو اقيصر

وأين ملوك الزمان وذو القرنين * واللى يسمى ان صح الاسكندر
 وأين كسرى انوشروان واوانه * مات والاوان بعد وبقي دأثر
 كل حادث بأمر القديم راحل * والاقامة للاول الآخر
 لو يكن في هذا البلد حال * ويراهن في واجب الملعبوب
 نحن عصبه نحزن على غلبه * لما يبق دستوعليه مقلوب
 فائش تقل سلطتنا الغورى * لما جرد قتل ومات مكروب
 بعد ملكو خمسة وعشرين * تسعة اشهر بالكاتب الحاصر
 ويليه خمسة وعشرون يوم * عز كاتب حاسب أمين ذاكر
 العجب كان في قتلة الغورى * كل مقدر لا يمنع المحذور
 ويوم خروج من البلاد أوكب * ولا يدري ما في الجبين مسطور
 بالمقدر قال لولسان الحال * قد بقي من عمرك ثلاث شهور
 انتبه من رقدة الغفلة * واجل الطول من الامل قاصر
 بعد الا شهر عدة تسعة أيام * والنيب تكون في العاشر
 ذى الملك كان رئيس وهو مقدم * وابن عثمان مؤخر ولا ح كسره
 خندس الريح عليه وحل مركبو * وابن عثمان عوم وبان نصره
 غرق السفن واخرب السفان * وبسيفوا رى الجميع بحره
 من جثتهم ومن دماهم صار * بجرهم بربالجت صادر
 وتركهم لما رجع مقاع * برهم بحر بالدم حادر
 قد جلا لوعروس جال ملكو * خالق الخلق رينا ذوالجلال
 وحبالوا نوايق مع ميت * عن جواد يوم الحروب والقتال
 وزوى لوانوا موت مقهور * ولا يعرف قبره ليوم الزوال
 كم تطير بالرمال والرمال * طائر الله هو أعظم الطائر
 طار حسابو وكل ما أمل * وبه اذا طار عليه طائر
 ابتدأى في النظم والخاتم * بهدحى في المصطفى المختار
 كملو الضب والذراع والبعر * وسعت لوفى خدمتوا الاشجار
 والغزاله حديدتها مشهور * ونطق لوفى راحتها الاحجار
 والقمر انشق له نصفين * بعدما كان كامل صحيح ناير
 واشبع الجيش كلو ببعض الزاد * وجرى الماء من اصبع وفار
 ان يقولوا أبو النجا العوفى * في نظامو ما في البلد مثلو

يا الذي جاي سمع عقود نظمه * خذو حرر عنو بديع نقلوا
 وان اتالك من يطلب التاريخ * والوقايح عن الملوك قلو
 غربت شمس دولة الغوري * وابن عثمان نجمه وطلع ساير
 وبهم ذارب السما قد حكم * والفلك دار ولم يزل داير
 وهذا آخر ما انتهى اليه من أخبار دولة الملك الاشرف أبي النصر قانصوه الغوري رحمة الله
 عليه وقد افتتح أوائل دولته بمصادرات وظلم وأخذ أموال بغير حق واختتمت وأخرد دولته
 بقتل وضرب سيف وذهاب أموال وأرواح وأمور مهولة وحوادث غريبة وفتن عظيمة
 ليس لها آخر والامر الى الله تعالى من قبل ومن بعد يفعل ما يشاء ولا يستل عما يقع
 واستقر سليم شاه بن عثمان مستوليا على البلاد الشامية والخلبية ومالك قلاعه وأعمالها
 وحكم من الفرات الى الشام ثلاثة شهور ومالك ثلاثة عشر قلعة بالامان من غير حرب ولا قتال
 ومالك قبل ذلك عدة قلاع من اعمال شاه اسمعيل الصوفي والذي وقع لسليم شاه بن عثمان من
 السعد والنصرة على الصوفي وساطان مصر وأخذ أموالهم وبركهم وخبولهم واحتوائه
 على بلادهم وخزائن أموال الامراء وأموال السلطان الغوري وناهيك به اما وقع قطلا حد
 من ملوك الروم قبله ولا بعده وهذا الامر من الله تعالى وقد وعد به بذلك من القدم ان وعد
 الله حق وهو لا يخلف الميعاد

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر طومان باي

وهو السابع والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الحادي والعشرون
 من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد أقول وكان أصله من كتابية الاشرف قايتباي
 اشتراه الملك الاشرف قانصوه الغوري وكان يلوذله بقرابة فلما اشتراه قدمه الى الاشرف
 قايتباي ولهذا يدعى طومان باي بن قانصوه فصار من جملة محالبيك الكتابية واستمر على ذلك
 حتى تسلط الملك الناصر محمد بن قايتباي فأخرج له خيالا وقاشا وعلمانا وصار من
 مستخرجات الناصر ومعايقه وبقي جدارا ثم بقي خاصيكا واستمر على ذلك حتى تسلط قرييه
 قانصوه الغوري فأنعم عليه بامرية عشرة واستمر على ذلك الى سنة عشر وتسعمائة فلما توفي ابن
 السلطان المقر الناصري في الفصل الذي جاء فيها أنعم عليه السلطان بامرية طبلخاناه وجعله
 شادا لشرابخاناه عوضا عن ولده بحكم وفاته واستمر على ذلك الى سنة ثلاث عشرة وتسعمائة
 فلما توفي الامير ازدر مر بن علي باي الدوادار الكبير في جادى الاولى وهو مسافر بجبل نابلس
 خلع عليه السلطان وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن الامير ازدر بحكم وفاته فاستمر
 في الدوادارية الكبرى الى أن خرج السلطان الى التجريدة بسبب ابن عثمان فجعله نائب

الغيبة عوضا عن نفسه الى أن يحضر من السفر فساس الناس في غيبة السلطان أحسن
 سياسة وكانت الناس عنه راضية واطاعة العسكر الذين تخلفوا بمصر قاطبة وقد جمع بين
 الدوا دارية الكبرى والاستادارية العالية وكشف الكشاف ونائب الغيبة وكان يركب في
 كل يوم اثنين وخميس ويسير نحو المطرية ويدخل من باب النصر ويشق القاهرة وقد امه
 الجلم الكثير من العسكر والامراء المقدمين وقدامه سعاة وعبيد نفطية يرمون بالنفط من
 المكاحل فتخرج له القاهرة كلما شق منها وفتح السد في غيبة السلطان وكان له يوم مشهود
 ولم يزل على ذلك حتى ثبت موت السلطان الغوري ورجعت الامراء من التجريدة فوقع
 الاختيار منهم على سلطنته فامتنع من ذلك غاية الامتناع والامراء تقول ما عندنا سلطان
 الا أنت وهو يمتنع من ذلك ثم ركب هو والامير علان وجماعة من الامراء المقدمين
 وتوجهوا الى كوم الجارح عند الشيخ أبي السعود فلما جلسوا بين يديه وذكروا له ذلك تعال
 الامير طومانباي على السلطنة بأنواع من العلل منها أن خزان بيت مال المسلمين ليس فيها
 درهم ولا دينار فاذا تسلطت ما أنفق على العسكر شيئا ومنها أن ابن عثمان ملك البلاد
 الشامية وهو زاحف على مصر وأن الامراء لا يطاوعوني على الرجوع الى السقر ثانيا ومنها
 أنه اذا تسلط يغلدون به ويركبون عليه ويخلعون من السلطنة ويرسلونه الى
 السجن بشغرا الاسكندرية ولا يبقونه في السلطنة الامدة يسيرة ثم ان الشيخ أبا السعود
 أحضر بين يدي الامراء مصفا شريفا وحلف عليه الامراء الذين جاؤا بصحبته بأنهم اذا
 سلطنوه لا يخامروا عليه ولا يغدروا ولا يشيروا قسا وأنهم ينتهوا عن مظالم المسلمين قاطبة
 فلفوا كلامهم على المصنف الشريف بمعنى ذلك فلما تحالفوا ترشح امرطومانباي الى
 السلطنة وانتدب المجلس على ذلك وتوجه الامراء الى بيوتهم فلما كان يوم الجمعة رابع
 عشر شهر رمضان من هذه السنة صلى الامير الدوا دار صلاة الفجر وركب ومعه الامراء
 المقدمون وقدامه القوائيس والمشاعل فطلع الى باب السلسلة له وجلس به فلما ركب
 من بيته الذي في درب الباباشق من الصليبة وهو بتخيفة صغيرة وملوطة بيضاء وكذلك
 الامراء الذين طلوعوا بصحبته فارفعت له الاصوات بالدعاء وانطلقت النساء له بالزغاريت
 من الطيقان فلما استقر باب السلسلة أرسل خلف أمير المؤمنين يعقوب والد أمير
 المؤمنين المتوكل على الله فحضر وصحبته سيدي هرون ولد الخليفة محمد المتوكل على الله
 وأولاد ابن عمهم خليل وحضر قاضي القضاة الحنفى حسام الدين محمود بن الشحنة والقاضي
 شرف الدين يحيى بن البرديني أحد نواب الشافعية وجماعة من نواب القضاة الذين بالقاهرة
 فلما تكامل المجلس واجتمع سائر الامراء المقدمين وغيرهم من الكبار والاصاغر
 والعسكر أظهر أمير المؤمنين يعقوب وكالة مطلقة عن ولده محمد المتوكل على الله بأنه وكاله في

جميع أموره وما يتعلق به من أمور الخلافة وغيرها وكالة مفوضة وثبت ذلك على يد القاضي
شمس الدين بن وحيش فاكثفوا بذلك وكان أشيع أن يولوا الخلافة إلى أحد من أولاد
سيدى الكبير خليل فان الخليفة المتوكل على الله كان في أسرا بن عثمان ووالده يعقوب عزل
نفسه من الخلافة فلما أحضره هذه الوكالة عن ولده اكثفوا بذلك وكان قاضى قضاة
الشافعية كمال الدين الطويل في أسرا بن عثمان وكذلك قاضى قضاة المالكية محيى الدين
الدميرى وقاضى القضاة الحنبلى الشهابى الفتوحى فلم يحضره هذه المبايعة من أعيان نواب
الشافعية الا الشرفى يحيى بن البردينى فبايع السلطان الخليفة أمير المؤمنين يعقوب وشهد
عليه بذلك الشرفى يحيى بن البردينى وجماعة من نواب القضاة نيابة عن محمد المتوكل وحضر
في آخر المجلس قاضى القضاة الحنفى محمود بن الشحنة فلما تمت له البيعة أحضر والى خلعة
السلطنة وهى الجبة السوداء والعمامة السوداء والسيف البداوى فأقبض عليه شعار
الملاك وتلقب بالملك الاشرف مثل قريه الغورى ثم قدموا له فرس النوبة بغير كنبوش ولا
سرج ذهب ولا وجدوا له فى الزردخانات لاقية ولا طيرا ولا الغواشى الذهب فركب من سلم
الحراقة التى بياب السلسلة والخليفة قد امه فطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على
كرسى المملكة وقبل له الامراء الارض ودقت له البشار بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة
وارتفعت له الاصوات بالدعاء وفرح كل أحد من الناس بسلطنته وكان محببا للعوام فانه كان
لين الجانب قليل الاذى غير متكبر ولا متعبر فلما انتهى أمر المبايعة خلع السلطان على أمير
المؤمنين ونزل الى داره فى موكب حفل وزالت دولة الغورى كنهم لم تكن فسجنان من لا يزول
ملكه ولا يغير على طول المدى وقد قال محمد بن قانصوه

قد ذهب الغورى الى ربه * وذا الذى قدره الله

الملك الله فمن شاع من * عباده للملك ولاء

فلما كان وقت صلاة الجمعة فى ذلك اليوم خرج السلطان وصلى صلاة الجمعة وخطب به
الشرفى يحيى بن البردينى واستمر يخطب به فى كل يوم جمعة ثم ان الخطباء خطبوا باسمه فى
ذلك اليوم على منابر مصر فى القاهرة بعدما كانت الخطباء لم يذكروا فى الخطبة اسم سلطان
ولا يدعون له نحو خمسين يوما بل كانوا يدعون للخليفة فقط وفى هذا اليوم قبض السلطان
على قانصوه الاشرفى نائب قلعة حلب الذى سلم القلعة الى ابن عثمان من غير حرب
ولا محاصرة فلما حضر قانصوه هذا اصحبه العسكر تغير خاطر السلطان عليه بسبب ذلك
فقبض عليه وأودعه فى البرج بالقلعة حتى يكون من أمره ما يكون وفى يوم السبت خامس
عشر رمضان حضر جماعة من الامراء من تخلف بعد العسكر بدمشق فحضر الامير جان
بردى الغزالي نائب جاء وقد ترشح أمره أن يلى نيابة الشام والامير سودون الدوادار رأس

نوبة النواب والامير فانصوه كرت أحد المقدمين وكان مريضاً فلما حضروا وجدوا الدوادار قد تسلطن فعز ذلك على الامير سودون الدوادار وكان قد ركن الى السلطنة وهو بالشام فلم يتم له ذلك فلما حضروا طلعوا الى القلعة وقبلوا الارض للسلطان ونزلوا الى دورهم ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بأن أمير عربان جاءه الا مير ناصر الدين بن الحنش بلغه أن ابن عثمان أرسل چاليش عسكره وصحبته ابن سوار الذي كان تعصب له فلما وصلوا الى قابون بالقرب من دمشق لقيهم ابن الحنش وحصل بينه وبين عسكر ابن عثمان مقتلة عظيمة مهولة وقتل منهم جماعة وأطلق عليهم الماء من أنهر دمشق حتى صار كل من دخل في تلك المياه بفرسه يوحل فلا يقدر على الخلاص فهلك من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة حسبما أشيعت بذلك الاخبار وقد قلت في المعنى

قل لابن عثمان اذا قابلته * اقبل نصيحة فاصح ودع الطيش

واحذر تعارض شاميا بجهالة * نخشى عليك اللدغ من ابن الحنش

فلما دخلت الامراء دخل صحبتهم جماعة كثيرة من أعيان أهل دمشق وأولادهم وعيالهم وسبب ذلك أنه لما حصل لعسكر مصر هذه الكسرة وقتل سييأى نائب الشام واضطربت الاحوال وثب أهل الشام بعضهم على بعض ونهبوا حارة السمرة وقتلوا جماعة وأخذوا أموالهم وكذلك فعلوا بتجار الفرج الذين هناك ونهبوا أموالهم وكانت فتنة مهولة ونهبوا بيوت أعيان الناس بدمشق من القضاة والتجار فخرج غالب أعيان دمشق منها بسبب ذلك وبسبب فتنة ابن عثمان وفساد الاحوال بمصر والبلاد الشامية فلما بلغ السلطان ما فعله ناصر الدين بن الحنش مع عسكر ابن عثمان رسم له نيابة حص و قيل برزت له المراسيم الشريفة أنه اذا كسر عسكر ابن عثمان قرره السلطان في الاتاكية بدمشق فان ابن الحنش أرسل يقول للسلطان مدني ببعض عسكر وأنا أجمع العربان وثمان كسرة عسكر ابن عثمان على وكان في قديم الزمان بعض أجداد الحنش متولى على نيابة حص وفيه حضر شخص يقال له اينال الاعور وكان جان بردى الغزالي قرره في نيابة صفد فلما بعث اليه اذاداره ومباشره وثب عليهم أهل صفد ولم يمكنوهم من الدخول الى المدينة ورموا قتلوا منهم جماعة فحضر الى مصر ليلبس خلعة ويمضي الى صفد ليقصص من أهلها وفي يوم الاثنين سابع عشره أنفق السلطان الجا مكية على العسكر في الحوش وحصل في ذلك اليوم بين الامراء خلف بسبب الوظائف وحصل بين الامير علان الدوادار الثاني وبين جان بردى الغزالي تشاجر حتى خرجا فيه عن الحد وفي ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بالعرض وهم الذين كانوا مقيمين بمصر ولم يخرجوا في التجريدة بحجة السلطان ونادى أيضاً أن كل من أخذ شيئاً من نهب سلاح العسكر أو قماشهم يرده ومن لم يرد شيئاً ونمزع عليه شنتق من غير

معاودة وقد بلغه أن جماعة من الغلمان والعبيد ممن كان في التجربة تنهب أشياء كثيرة من مال وسلاح وقماش وغير ذلك ومن الوقائع اللطيفة أن السلطان لما تسلطن أمر به دم المسطبة التي كان أنشأها السلطان الغوري بالحوش أيضا عوضا عن الدكة التي كان يجلس عليها الأشرف قايتباي فهدم السلطان المسطبة وأعاد الدكة كما كانت في أول الأمر وجلس عليها وكانت قد تكسرت فاصحوها وجعل لها غشاء من الجوخ الأصفر وصار يجلس عليها للمحاضرات كما كان يجلس الأشرف قايتباي وقد قلت في المعنى

قد عادت الدكة للحكم * وانهدمت مسطبة الظلم
وصار طومانباي بين الوري * يمشي به القريب مع الغنم
فيـالـه من ملك عدله * قد شاع بين العرب والعجم

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره جلس السلطان على الدكة وعرض العسكر بالحوش وكتب منهم نحو ألفي مملوك وعين من الأمراء المقدمين الذين كانوا بمصر نحو ستة مقدمين وعين الأمير جان بردي الغزالي باشا على العسكر وقد ترشح أمره بان يلي نيابة الشام وفيه قبض السلطان على المهتار محمد الفجولي وعلى أخيه على مهتار الطش طخاناه بخدمة السلطان الغوري وقبض على جمال الدين الألواحى بواب الدهيشة وهذا كان أول حكم السلطان طومانباي وسبب ذلك أن السلطان لما تسلطن عرض الخزانة فوجدناها فارغة ليس فيها درهم ولا دينار وكان محمد المهتار وجمال الدين البواب من حين توفي الأمير خاير بك الخازن دار جعلهما السلطان الغوري متحدين في أمور الخزانة الشريفة فصارا يتصرفان فيها كيف يختارا فطاشا وركباني غير شرعيهما وما كانا يظنان أن السلطان الغوري يموت في هذا الزمان فكان ذلك من أكبر أسباب الفساد في حقهما كما يقال في المعنى

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفي يوم الخميس عشرين شهر رمضان على السلطان الموكب بالشاش والقماش وجلس على الدكة بالحوش وخلع على من يذكر من الأمراء وهم المقر السيفي سودون الشهابي الدوادار وقرره أتايكي العساكر عوضا عن سودون الجعي بحكم قتله في واقعة ابن عثمان وخلع على المقر السيفي جان بردي الغزالي وقرره في نيابة الشام عوضا عن سيباي بن بخت نجا بحكم قتله في واقعة ابن عثمان وخلع على المقر السيفي اركاس بن طراباي وقرره في امرية سلاح على عادته وخلع على المقر السيفي بخشباي بن عبد الكريم وقرره أمير مجلس عوضا عن اركاس بحكم ولايته في امرية سلاح وخلع على المقر السيفي انسباي بن

مصطفى وقرره أمير اخور كبير عوضا عن نجل المقام الشريف الغوري بحكم انفصاله عنها
 وخلع على تمار الحسنى وقرره رأس نوبة النوب عوضا عن سودون الدوادارى بحكم انتقاله
 الى الاتابكية وخلع على طقطباى العلالى نائب القلعة وقرره حاجب الحجاب عوضا
 عن انسباى بحكم انتقاله الى امرية اخور الكبرى وخلع على الامير علان بن قراجا
 وقرره أمير دودار كبير عوضا عن المقام الشريف بحكم انتقاله الى السلطنة وخلع على
 الامير ابرك الاشرفى وقرره وزير او استادار او كاشف الكشاف عوضا عن المقام الشريف
 وخلع على كرتباى الاشرفى أحد الامراء المقدمين وقرره دودار انباى مقدم ألف
 كما كان علان وخلع على مامى دودار قانى باى قرا أمير اخور كبير كان وقرره
 أمير اخور ثانى عوضا عن اقباباى الطويل بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان وخلع على شخص
 من الاتراك يقال له تنم السيفى مغلباى الساقى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن
 خد ابردى الاشرفى بحكم انه بقى مقدم ألف وخلع على شخص يقال له بخشباى الذى
 كان كاشف البهسنا وقرره فى نيابة صفد وخلع على شخص آخر من الاتراك وقرره فى
 نيابة طرابلس وخلع على شخص يقال له تانى بك الاشرفى وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن
 طقطباى بحكم انتقاله الى الجوبية الكبرى وخلع على اقطوه وقرره كاشف الشرقية
 ثم أبطل ذلك فيما بعد وخلع على الامير بشبك الفقيه وقرره خازن دارا كبير عوضا عن
 خاير بك الذى توفى وخلع على جنترو وقرره خازن دارا انباى وخلع على مامى الصغير وأقره
 فى الحسبة على حاله وخلع فى ذلك اليوم على جماعة كثيرة وقرره -م فى وظائف معلومة
 وأما أرباب الوظائف من المباشرين فخلع على القاضى محمود كاتب السر ابن أجا وأقره
 على حاله وأقر الشهابى أحمد ناظر الخاى ابن يوسف متحد ثانى نظارة الجيش عوضا عن
 القسروى بحكم قتله هناك وخلع على سائر المباشرين من أرباب الوظائف باستمرارهم
 على وظائفهم -م وخلع على نقيب الجيش وازد من المهمه مدار والماس والى الشرطة وسنبيل
 مقدم المماليك باستمرارهم على عاداتهم وفى يوم الثلاثاء خامس عشر به خلع السلطان على
 شيخ العرب الامير أحمد بن بقر باستقراره على عادته وقد حصل من أولاد أحمد بن بقر فى هذه
 السنة من الفساد ما لا يحصى -ل من بلاد الفرنج من قتل النفوس ونهب الاموال ولا سيما
 ما فعله ابن الجذامى بالعسكر لما رجع وهو مكسور وما فعله أولاد عبد الدائم بالشرقية من
 نهب الاموال وقتل النفوس ولم تنتطح فيها شاتان وخلع عليه وراحت على من راح وفى يوم
 الخميس سابع عشر به خلع السلطان على مصر باى الاقرع أحد امراء الطبلىخانات وقرره فى
 الجوبية الثانية عوضا عن طومان باى قرا بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان وخلع على تمر باى
 العادلى وقرره تاجر المماليك عوضا عن نوروز بحكم وفاته وخلع على شاد بك وقرره

شاد الشراب بخاناه عوضا عن يوسف الناصري بحكم انتقاله الى التقديمة وخلع على علي بك وقرره على تطر الجوالى عوضا عن القصري وخلع على نحر الدين بن عوض واستقر به ثالث قلم في كتابة الممالىك عوضا عن جلال الدين بحكم وفاته وخلع على حاجب الحجاب بدمشق باستقراره على عادته وفي اواخر هذا الشهر قرئ عهد السلطان بحضرة أمير المؤمنين يعقوب وقاضي القضاة الحنفي وجماعة من النواب وحضرت جماعة من المقدمين على العادة ثم ان السلطان أنعم على أمير المؤمنين يعقوب لما بايعه بالسلطنة بحصة ونصف وثلاث من شية دهب ورفاقهم عليه في ذلك اليوم بما ذكرناه وفي يوم السبت ناسع عشر به طلع ناظر الخاص بخلع العيد وعرضها على السلطان وهي مزفوفة على رؤس الخالين وفي يوم الاحد سلخ هذا الشهر حضر الناصري محمد بن بلباي المؤيدى حاجب ميسرة بدمشق وأخبر أن سليم شاه بن عثمان قدم ملك مدينة دمشق وملك قلاعها وقتل على باي الاشرف في نائب القلعة وقتل ستة وثلاثين أميراً من أمراء دمشق وغير من وجده من الرعية بالشام وحضر ابن بلباي هذا وهو في زى العرب يشترى وزنط على رأسه فلما أشيعت الاخبار في القاهرة بأن ابن عثمان ملك الشام صارت الناس في أمر مريب بسبب ذلك وقالوا ما بقي بعد أخذ الشام الامصر وجزموا بهذا الأمر وعول بعض الناس على الهروب الى جهة الصعيد فتسكده السلطان والامراء والناس قاطبة لهذا الخبر ولا سيما وانهم اليه عيد النضر والناس جرحهم طرى بسبب موت السلطان وكسرة العسكر والاشلة فائسة بسبب من قتل من العسكر وقد قلت

يا ابن عثمان كف عن أخذ مصر * بل دشرفت بخـ — سير امام
حبرنا الشافعي قذاب ولي * نجل ادريس عمدة الاسلام
هي تدعى كنانة من غـ زها * قصم الله ظهره بالحسام

وفي شوال وكان مستهل يوم الاثنين صلى السلطان صلاة العيد وخلع على الامراء ومن له عادة فخطب بالسلطان في ذلك اليوم الشرفي يحيى بن البرديني وكان موكب العيد حدثلا وفي يوم الجمعة خامسه الموافق لاربع هاتوا القبطى قلع السلطان البياض ولبس الصوف وقد عجل بلبس الصوف وفيه توفي الامير جانيخ ابراهيمي أحد الامراء الطب لجاناات وفي يوم السبت سادسه طلع الى السلطان شخص يقال له على الشعباني نقيب المحتسب وشخص آخر يقال له ابن خبير السمـ ار في الغلال فلما وقفوا بين يدي السلطان تكلما معه بأن يجعل على الحسبة مالا معيناً على الغلال أيضا ولا يحصل من ذلك ضرر للمسلمين فلم يلتفت السلطان الى كلامهم— ما وضرب على الشعباني بالمقارع وابن خبير وأشهر الشعباني في القاهرة وهو ماش مكشوف الرأس وقد ضرب بالمقارع ونودي عليه هذا جزاء من يتعاون في انشاء المظالم

في الدولة العادلة بعدما بطلت وأمر السلطان بعزل الشعباني من التحدث في أمر الحسبة
 فأقام الشعباني بعد ذلك أياما يسيرة وأُشيع موته من الضرب الذي حصل له كما تقدم وفي
 يوم الاثنين ثامن منه حضر دوا دار نائب غزة المسمى بعلي بك الاحدب وأخبر بأن ابن عثمان
 من حين دخل الشام تلاشى أمره ووقع الوخم في عسكره فصار يموت منهم في كل يوم جماعة
 وعز عندهم وجود الاقوات من الغلال والعلف وقد ضيقت عليه العربان ومنعوا عنه
 ما يجلب من الشعير والقمح والتبن وكل من خرج من عسكره الى الضياع قتله العرب
 وقد تجوّن بدخوله فابقي يمكنه الخروج منها وسارت خيول عسكره سائبة تأكل من ورق
 الاشجار وهي في غاية الحصر وفيه حضر خدابردي نائب الاسكندرية وخرج اليها ثم الذي
 قرر بها وحضر الامير خير بك المعمار الذي كان توجه الى ثغر رشيد بسبب عمارة السور
 والابراج التي هناك كما تقدم وفيه خلع السلطان على شخص من الاتراك يقال له ملباي
 المشرف وقرره في استادارية الصلبة عوضا عن قانسوه الاشرفي بحكم قتله في واقعة ابن عثمان
 وفي يوم الثلاثاء تاسعه كانت كائنة الزيني بركات بن موسى مع الشيخ أبي السعود وسبب
 ذلك أن شخصا مديبا يبيع الجلود يقال له الدرأوى مكاسا على بيع الجلود بخار عليه
 ابن موسى فوقع بينه وبين ابن موسى حظ نفس فقصه ابن موسى أن يقبض عليه فتوجه
 الدرأوى الى الشيخ أبي السعود واحتج به فأرسل الشيخ أبو السعود رسالة الى ابن موسى
 بسبب ذلك وقد شفع فيها فتوقف ابن موسى في أمره ولم يلتفت الى رسالة الشيخ وطاوله في
 أمر الدرأوى فأرسل الشيخ لابن موسى فأحضره فلما حضر عنده في كوم الجارح وبجته
 الشيخ بالكلام وقال له يا كلب كم تظلم المسلمين فخنق منه ابن موسى وقام من عنده على غير
 رضا فأمر الشيخ بكشف رأس ابن موسى وضربه بالنعال فصدمه بالنعال على رأسه حتى
 كاد ان يهلك ثم وضعه في مكان وأرسل خلف الامير علان الدوادار الكبير فلما حضر قال
 له ضعه في الحديد واطلع وشاور السلطان عليه وأعلمه بأنه يؤذى المسلمين فلما طلع الامير
 علان وشاوره في أمر ابن موسى وما جرى له مع الشيخ أبي السعود أرسل السلطان
 يقول للشيخ أبي السعود مهما اقتضاه رأيك فيه فافعله فلما ورد الجواب على الشيخ بذلك
 أمر باشا ابن موسى في القاهرة ثم يشنقوه على باب زويلة فأخرجوا ابن موسى من زاوية
 الشيخ التي في كوم الجارح وهو ماش مكشوف الرأس بكبر طاق وهو في الحديد ينادي
 عليه هذا جزاء من يؤذى المسلمين فتوجهوا من كوم الجارح الى ساحل مصر العتيقة وهم
 ينادون عليه الى أن وصل الى بيت الامير علان الدوادار الذي بالناصرية فأراد أن
 يوقع فيه بشنق أو تغريق ثم عاودوا الشيخ في أمره بأن عليه مالا للسلطان ومتى شنق ضاع
 على السلطان ماله فعفا الشيخ عنه من القتل واستمر ابن موسى عند الامير علان وهو في الحديد

حتى يكون من أمره ما يكون وكانت واقعة مهولة بين ابن موسى والشيخ أبي السعود وقد
أشرف ابن موسى في هذه الكائنة على الهلاك وقد قلت في هذه الواقعة

تعجبوا مما جرى في الوجود * بين ابن موسى كان وأبي السعود
تشاجر قد طال ما بينهما * واشتعلت نيرانه بالوقود
فصرح الشيخ بعزلانه * وأكد القول بأن لا يعود
ويغلب الله على أمره * ويرغم القاهر أنف الحسود
ليت شعري ذا الهبوط الذي * نال ابن موسى بعده من صعود

ولما جرى لابن موسى ماجرى ظهر غريمه شهاب الدين بن الصائغ وكان يسعى عليه في أيام
الغوري فلما وقعت هذه الكائنة لابن موسى انتدب إلى مرافقته ابن الصائغ وقال أنا
أثبت في جهة ابن موسى للسلطان مائة ألف دينار ثم ان ابن الصائغ توجه إلى بيت ابن موسى
وصحبته طواشية وقواسة وجاعة كثيرة وكبس على نساء ابن موسى وقبض عليهن ونهب
ما في بيوتهن من قاش وأمتعة وقبض على عبيده وعلمانه وحاشيته فلما رأى السلطان
ما قد حل به توقف عما كان فيه من أذى ابن موسى ثم ان ابن موسى قال أنا أثبت في
جهة ابن الصائغ مائتي ألف دينار وقال للأمير إعلان أرسل خلف ابن الصائغ وضعه في
الحديد حتى يعمل حسابه فلما حضر ابن الصائغ وضعه الأمير إعلان في الحديد حتى يقيم
حسابه مع ابن موسى وأما ما كان من أمر الشيخ أبي السعود فانه لما فعل بابن موسى ما فعل
قامت عليه النائرة والاشلة وأنكر عليه الناس والفقراء وقالوا ايش للشيخ شغل في أمور
السلطنة واشتغلت الناس به ولم يشكروه أحد على ما فعل بابن موسى وفي يوم الاحد رابع
عشر طلعت إلى القلعة خوند بنت الأمير أقبردى الدوادار وهي زوجة السلطان وأمها بنت
خاص بك أخت خوند زوجة الأشرف قايتباي فطلعت وقت صلاة الصبح بالنسوانيس
والمشاعل ومعها الجمل الكثير من الخوندات والستات وأعيان نساء الامراء والمباشرين
فاستمرت في موكبها حتى طلعت إلى القلعة ودخلت إلى قاعة العواميس فحمل الأمير بشير
الطواشي رأس نوبة الستارة على رأسها القبة والطير حتى جلست على مرتبتها وكان لها يوم
مشهود بالقلعة وفي يوم الاحد عرض الأمير إعلان الدوادار ابن موسى وابن الصائغ وكان قرر
على ابن موسى عشرين ألف دينار وأن يورد منها على الجامع مائة عشرة آلاف دينار فلم
يورد منها شيئا فبطحه على الأرض وضربه بنحو عشرين عصا فوعد أنه يورد ذلك القدر ثم
طلب أحمد بن الصائغ وضربه فوق أربعمائة عصا حتى كاد ان يهلك وأشيع بين الناس
موته وفي يوم الخميس ثامن عشر لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يخرج أحد من الناس قاطبة
بسبب فتنة ابن عثمان وأشيع أنه يرسل جاعة من عسكره إلى مكة المشرفة وصحبتهم كسوة

الى الكعبة فلم يثبت ذلك ثم ان السلطان أرسل الطواشي مرهف من البحر المالح وصحبته
 كسوة الكعبة المشرفة والصرر لأهل مكة المشرفة والمدينة فتوجه الى الطور ونزل
 من هنالك الى البحر وفي يوم الجمعة تاسع عشره أشيع أن الشيخ أبا السعود أرسل خلف ابن
 موسى وفكه من الحديد وأظهر أنه قدر نبي عليه وصار يتصرف في أمور المملكة من
 عزل وولاية فأنكر عليه الناس ذلك وفي يوم السبت عشره طلع الزيني بركات بن موسى
 الى السلطان على أنه يعيده الى وظائفه فلم يلتفت اليه ونزل من عنده بغير طائل وهو في
 التوكيل به حتى يعلق ما قرر عليه من المال فتوجه الى بيته وهو في غاية الذل بعد ما زينت له
 حارته في سويقة اللبن وتخلقت جماعته بالزعفران فنزل عليهم ثم خدعة بسبب ذلك وفي يوم
 الاحد حادى عشره خلع السلطان على شرف الدين بن عوض وقرره في استادارية الذخيرة
 عوضا عن ابن موسى بحكم انفصاله عنها وفي يوم الاثنين ثاني عشره نادى السلطان
 للعسكر بان يوم الثلاثاء أول النفقة وفيه وردت الاخبار من الهند بأن المراكب التي كان
 أرسلها السلطان الغوري قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع وآلات السلاح وغير ذلك
 وأنه قد وقع بين الرئيس سلمان العثماني وبين الأمير حسين نائب جدة وأن كلا منهما توجه
 الى جهة من جهات الهند وفيه خلع السلطان على شخص من الأتراك يقال له قجماس
 وكان شادا في بنها العسل وقرره في كشوفية الشرقية وأبطل من كان قررها وفيه
 أنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة فأعطى لكل مملوك خمسين دينارا فرتوها عليه
 وقالوا ببق بق وخرجوا من باب الحوش على حمية وقصدوا أن ينشؤا فتنة فأشار بعض
 الامراء على السلطان بان يرضيهم وأن ينفق عليهم كل واحد مائة دينار على جاري العادة
 فاسترد من خرج من العسكر على غير رضا ثم لما ردوا أنفق لكل مملوك مائة دينار وجامكية
 ثلاثة شهور عبارة عن مائة وعشرين ديناراً لكل مملوك فأنفق في ذلك اليوم على أربع
 طباق وأشيع أن هذا العسكر لما يخرج يقيم في غزوة هو والامراء ويحرسون المدينة الى
 أن تخرج التجريدة الكبيرة بعد الربيع وفيه أرسل السلطان بالقبض على جماعة من
 الاروام الذين كانوا في خان الخليلي وقد بلغه عنهم أنهم يكاتبون ابن عثمان بما يقع في مصر
 من أمور المملكة وعندهم جواسيس لابن عثمان فأرسل بالقبض عليهم ووضعهم في الحديد
 وفيه أشيع أن السلطان طلب ابن عثمان الصبي الصغير الذي يقال له قاسم بن أحمد بك
 ابن عثمان الذي توجه مع السلطان الغوري الى التجريدة فلما انكسر العسكر رجع مع
 الامراء الى مصر فبلغ السلطان أن جاءه يقصدون قتله فخاف عليه السلطان من
 القتل فطلع به الى القلعة وأسكنه في مكان بالبحر ورتب له ما يكفيه في كل يوم هو وجماعته
 وفيه حضر الى الابواب الشريفة الشرفي يحيى ابن الاتابكي أزبك بن ططخ وكان مقبياً بحماه

فلما ملكها ابن عثمان فرّ منها وجاء الى مصر من البحر المالح من جهة طرابلس وفيه خلع
السلطان على الامير ططباى حاجب الحجاب وجعله متحدثا في كشوفية البحيرة عوضا عن
يوسف البدرى مضافا لما يده من الجيوبية الكبرى وفي يوم الجمعة سادس عشرية حضر
الى الابواب الشريفة القاضي عبد الكريم بن الجيعان أخو الشهابي أحمد بن الجيعان
وكان في الاسر عند ابن عثمان بالشام ففرّ منه وحضر الى مصر وهو في زى جبال وعليه
بشت وعلى رأسه زنط وحضر صحبته شخص يقال له أحمد الدمياطى وهو تاجر في الوراقين
وأخبر السلطان بان ابن عثمان قد تلاشى أمره وان عساكره مختلفون عليه وان ناصر الدين
ابن الحنش ضيق عليه الطرقات وصارت العربان تقتل كل من انفر من عسكره في الضياع
وأخبر أنه ملك مدينة الشام وقلعتها وملك قلعة طرابلس وصعد وأعمالها وصار يده من
الشام الى الفرات وينيب في هذه المدن التي ملكها جماعة من أمراءه كما فعل في حلب وجاء
وحص وغير ذلك من البلاد وقيل ان ابن الحنش أرسل الى السلطان مطالعة يستحبه في
ارسال تجريدة بسرعة قبل أن يزحف ابن عثمان الى غزة ثم ان السلطان خلع على القاضي
عبد الكريم ونزل الى بيته وفي يوم الاثنين تاسع عشرية خلع السلطان على ابن خليفة
سيدى أحمد البدوى الذى قتله ابن عثمان في حلب وقرّره عوضا عن أبيه بحكم قتله فنزل من
القلعة في موكب حافل وعلى رأسه الاعلام وقدامه سائر الفقراء الاجدية وفي ذى القعدة
وكان مستهله يوم الثلاثاء جلس السلطان على الدكة بالحوش وخلع في ذلك اليوم على الشرفى
يحيى بن البردى وقرّره في قضاء الشافعية عوضا عن قاضى القضاة كمال الدين الطويل بحكم
أسره عند ابن عثمان وخلع على قاضى القضاة الحنفية حسام الدين محمود بن الشحنة وأقرّه
في قضاء الحنفية على عادته وخلع على الشيخ شمس الدين التتائى وقرّره في قضاء المالكية
عوضا عن القاضى محيى الدين الدميرى بحكم أسره عند ابن عثمان وخلع على قاضى
القضاة عز الدين الششتينى وأعادته الى قضاء الحنابلة عوضا عن شهاب الدين الفتوحى بحكم
أسره عند ابن عثمان وهذه نائى ولاية وقعت لعز الدين بن الششتينى فلما خلع السلطان على
القضاة الاربعة في يوم واحد ونزلوا من القلعة وعليهم التشاريف رجعت لهم القاهرة في ذلك
اليوم واصطفت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وقد تولى هؤلاء القضاة والقاهرة
في غاية الاضطراب بسبب ابن عثمان وفي ذلك اليوم اكل السلطان النفقة على العساكر المعينة
للتجريدة وأخذوا في أسباب عمل البرق والخروج الى غزة قيل ان السلطان أنفق على نحو
ألفى مملوك وهم المعينون للسفر وفي يوم الجمعة رابعه طلع ملك الامراء جان بردى الغزالى
نائب الشام الى القلعة فصى مع السلطان صلاة الجمعة ثم خلع عليه السلطان وجعله باشا
على العسكر المعينين للتجريدة فلما نزل من القلعة توجه الى وطاقه الذى بالريدانية وخرج

من غير طالب بل قد امه بعض جنائب خيول بعراق وطبول بازات وقدامه عبيد دنقطة
فتوجه الى الريدانية في ذلك اليوم قبل خروج الامراء والعسكر وفي يوم السبت خامسه
نادى السلطان للعساكر المعينة للتجريدة بان يخرجوا صحبة الباشا في ذلك اليوم ومن
لا يخرج يستأهل ما يجري عليه فوقف له جماعة من المماليك المعينة وقالوا لا تخرج ولا
نسا فرحتى تنفق علينا نحن جل ستة اشرفية وتصرف لنا العليق وعن اللحم المنكسر فصل
في ذلك اليوم بعض اضطراب وخروج المجلس مانع والعسكر غير راض والاحوال غير صالحة
وابن عثمان زاحف الى غزة ونائب غزة أرسل يقول ادركونا بالعسكر قبل أن يملك ابن عثمان
مدينة غزة وتعبوا في خلاص البلاد من يده وفي يوم الاحد سادسه خرج شخص من الامراء
المقدمي الالوف المعينين للسفر وصار في كل يوم يخرج منهم الى الوطاق جماعة شـ يا فشيأ
والباشا جان بردي مقيما بالريدانية حتى يكمل خروج العسكر وفي يوم الاثنين سابعه أنفق
السلطان على العسكر المعين للسفر عن اللحم عن ثلاثة أشهر رخص كل مملوك نحو أربعة
اشرفية ونصف وتسعة عليهم ليستعينوا بذلك وفي ذلك اليوم حضر شخصه ان من المماليك
السلطانية وكان في بعض الضياع عند العرب قد دخلوا مصر في هيئة الغلمان بابشات وعليهم
زفوط فأخبر ابان ابن عثمان قد تلاشى أمره وأن عساكره مختلف عليه وقد وقع بينه وبين
خاير بك نائب حلب ورعما أشاعوا قتله ولم يكن لهذا الخبر صحة في أمر ابن عثمان ولم تثبت
صحته هـ هذه الاخبار وفي يوم الاربعاء تاسعه حضر دوا دار خاير بك نائب حلب وزعم أنه قد
فر من ابن عثمان وأخبر أن ابن عثمان أرسل عسكرا نحو خمسة آلاف فارس صحبة ابن سوار
وقد أشرفوا على أخذ غزة بل أشاعوا أخذها وان نائب غزة قد هرب فاضطربت الاحوال
لهذه الاخبار وتنكد السلطان الى الغاية ونادى في ذلك اليوم بالخروج من غير تأخير ومن
تأخر يستأهل ما يجري عليه فلما كان في ذلك اليوم خرجت العسكر على وجوههم
مسرعين وأشيع سفر السلطان بنفسه وصحبته الامراء قاطبة وأنه هو الذي يلاقى ابن
عثمان بنفسه وصحبته نائب حلب أمير كبير وهو في الحديد وجماعة من أجناد الحلقة بغزة
وهم في الحديد وأرسل نائب غزة يرافعه فيهم بأنهم كاتبوا ابن عثمان بان يحضر الى غزة
ويعملكها من غير مانع فلما حضر وابين يدي السلطان حلفوا له أن هـ هذا الامر ما وقع
منهم ولا كاتبوا ابن عثمان وانما دولات باي نائب غزة بينه وبين أجناد غزة حظ نفس
فكذب عليهم بهذه التهمة الباطلة فصدقهم السلطان على ذلك وأرسل جان بردي الغزالي
نائب الشام يشفع فيهم ويرثم مما قالوه في حقهم بالباطل ففكهم السلطان من الحديد
وأرسلهم الى تقيب الجيش حتى يتبصر في أمرهم وفي يوم الخميس خلع السلطان على الامير
يوسف البدرى الذي كان وزيرا وقرره ناظر الذخيرة الشريفة ووكيل بيت المال عوضا عن

الزيفى بركات بن موسى وفي يوم الجمعة حادى عشره تزايد أمر الاشاعات بأن ابن عثمان أرسل الى غزوة عسكرا صحبة جماعة من أمراءه منهم شخص يسمى اسكندر باشا والآخر يسمى داود باشا وآخرون من أمراءه وأشيع أنهم قد ملكوا مدينة غزوة وأحرقوا منها بعض بيوت وان نائب غزوة هرب وعسكر ابن عثمان زاحف على مصر وان الاحوال غير صالحة فلما تحقق السلطان هذه الاخبار أشيع أنه يخرج إلى لقاء ابن عثمان بنفسه ونادى في ذلك اليوم بأن الزعر والصبيان الشطار والمغاربة وكل من كان محتف على قتل قتيل أو عليه دم يظهر وعليه أمان الله والعرض لهم في الميدان وان السلطان يصرف لهم الجوامك والمركوب ويكونون ضجة الزردخانات اذا سافر السلطان فلم تعجب الناس هذه المنادة لقوله ولو كانوا قتلوا القتلى يظهر واو عليهم أمان الله وكان السكوت عن هذا أجل فاضطربت الاحوال في ذلك اليوم وارتجت القاهرة وخرج العسكر المعين للسفر على وجوههم مسرعين وفي ذلك اليوم خرج الأمير خدابردى الاشرى في أحد المقدمين الذى كان نائب الاسكندرية فخرج في موكب حفل بغير طلب وقدامه الجنائب الحربية وصحبته الجمل الكثير من العسكر من مماليكه وقيل كان عنده ثلثمائة مملوك فارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة والنصرة للعسكر على ابن عثمان وقد صارت الناس في وجل بسبب ابن عثمان وفي يوم السبت ثانى عشره جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الامراء فاستحثهم السلطان على أن يخرجوا كلهم في ذلك اليوم فقال الأمير طقطباى حاجب الحجاب أنا عزمت على السفر الى البحيرة وكان السلطان قد جعله متحدثا فى كشوفية البحيرة فقالت الامراء الخروج الى قتال ابن عثمان أو جب من الخروج الى البحيرة وأنت ما خرجت صحبة السلطان الغورى لما سافر ولا نهب لك برك ولا قاش فتعلل أنه ضعيف ففصل بينه وبين الامراء فى ذلك اليوم تشاجر عظيم بحضرة السلطان وقصد المماليك الجلبان أن ينزلوا فينهبوا بيته ويحرقوه وقيل ان بعض المماليك كره وقاسى من البهدة ما لا يخبر فيه فتقرر الحال على انه يخرج الى التجربة صحبة الامراء ومنع السلطان المماليك من نهب بيته وفي ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بالعرض قاطبة وفي ذلك اليوم خرج الأمير نائب حما الذى قرر عوضا عن جان بردى الغزالي فخرج بطلب حربى وفي ذلك اليوم خرج الأمير ارزمك الناشف أحد المقدمين وطلب طلبا حرييا وكان قدامه جنائب وطبلان وعلى رأسه صفيق وصارت الامراء تخرج شيئا بعد شئ الى قتال ابن عثمان وفي يوم الاحد ثالث عشره جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر الذين كانوا مسافرين الى التجربة فكتبهم الى السفر ثانيا ولم يترك منهم الا القليل فعرض فى ذلك اليوم أربع طباق وكتب غالب من فيها من المماليك وفي ذلك اليوم عرض السلطان بحملة من خشب تجرها

أبقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانوا نحو ثلاثين بحملة أو فوق ذلك وعرض جبالا وفوقها
مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل - ل فوق ظهور الجبال وعرض طوارق
خشب بسبب الرماة بالنشاب فقوى قلب العسكر في ذلك اليوم على القتال وأظهر السلطان
أنه يخرج بنفسه إلى قتال ابن عثمان واستحث بقية الأمراء على الخروج بسرعة ولم ينفق
على الأمور شيئا وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن أنفسكم وأولادكم وأزواجكم فان بيت المال لم
يبق فيه لأدرهم ولأدينار وأنا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم
وما عندي نفقة أنفقها عليكم وفي يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالحوش
وعرض من العسكر أربع طباق وفي ذلك اليوم أشيع أن السلطان تغير خاطره على الزينى
بركات بن موسى وأعادته إلى الترسيم بعدما كان ترشح أمره إلى إعادته في وظائفه وكان سبب
ذلك أن السلطان لما حصل لابن موسى ما حصل - ل قرر عليه ما لا فلم يورد منه الا القليل وادعى
الحجز فلما جاء على السلطان أمر نفقة العسكر وخروجه - م بسرعة ضيق على أصحاب
المصادرات منهم - م ابن موسى ومحمد المهتار وجمال الدين بواب الدهيشة وآخرون ممن بقيت
عليهم - م بواقي الأموال المنكسرة ليستعين بذلك على نفقة العسكر ومن حين قرر يوسف
البدرى في وظائف ابن موسى آل أمره إلى العكس والزوال وفيه خرج الأمير قانصوه الفاجر
أحد المتقدمين وتوجه إلى السفر وفي يوم الاثنين المتقدم ذكره خرج الأمير طقة طبای حاجب
الحجاب وتوجه إلى السفر فطلب طلبا وقدماه طبلا ن وزمران وبعض جنائب كما خرج
ارزملك الناشف وفي يوم الثلاثاء خامس عشره جلس السلطان بالميدان وعرض بقية
العسكر ثم نادى في ذلك اليوم بان الأمراء وبشيمة العسكر يخرجون في هذا اليوم ومن تأخر
لا يسأل عما يجري عليه وقد خرج هذا العسكر في قلب الشتاء في وسط الاربعانية وقاسى غاية
المشقة وفي هذا اليوم خرج الأمير تاني بك النجمي أحد الأمراء المتقدمين بطلب حربي وفي
يوم الخميس سابع عشره خرج الأمير الماس والى القاهرة وبرز إلى السفر في ذلك اليوم وفيه
قبض على شخص أجمي كان يصنع السنبوسك عند قناطر السباع فوجدوه قد عمد إلى كلب
أسود سمين فذبحه وسلخه وعمل منه السنبوسك فلما قبضوا عليه أحضره بين يدي الأمير
ماماي المحتسب فضرب أجمي بالمقارع وأشهره في القاهرة والكلب معاق في رقبتة فطافوا
به في المدينة ثم سجنوه في المقشرة ولم تزل الأعجام تقع منهم هذه الفعلة الشنيعة من قبل وفي يوم
الاثنين حادى عشره وقع فيه من الحوادث ان بعض المماليك السلطانية خرجوا يسرون
نحو المطرية فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان
فقالوا لهم من أنتم قالوا نحن قصاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وكانوا نحو خمسة عشر
انسانا وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليه ثياب مخملية وراوا صاحبهم شخصا
من مصر يقال له عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتاكي سودون أجمي فلما قتل

وملك ابن عثمان حلب والشام تحشرفيه بواسطة يونس العادلي والسمرقندي فلما أرسل ابن عثمان هذا القاصدا ماجسروا يحيى بن من جهة غزاة فان نائب الشام جان بردى الغزالي كان بالقرب من غزاة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزاة فبرطل القاصد بعض العربان بماله صورة حتى أتواهم - ثم من طريق الدرب السلطاني وطلعوا بهم من التيه وأتوا بهم الى عجمود فاشعر بهم أهل مصر الا وهما في وسط المدينة فلما صادفهم هؤلاء المماليك قبضوا على القاصد الكبير وعلى جماعته وعلى محاسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على الجميع فبينما هم على ذلك اذ رأوا ثلاثة أنفار من الاروام الذين في خان الخليلى قد أتوا اليهم وسلموا عليهم وبأسوا أيديهم - ثم قبض عليهم هؤلاء المماليك وقالوا لهم من أين علمتم أن هذا القاصد يحيى اليوم حتى أتيتكم اليه ما أنتم الاجواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعد ما أشبعوهم ضربا وأتوا بالكل الى بيت الامير علان الدوادار الكبير فلما دخل القاصد بيت الامير علان قالوا له انزل عن فرسك وسلم على الامير الدوادار فلم يوافق على ذلك وأغلظ عليهم في القول ثم سل سيفه وهاش على من حوله من جماعة الدوادار فلما رأى الدوادار الكبير ذلك رسم للمماليك أن ينزلوه عن فرسه غصبا فأنزله وأخذوا سيفه منه ثم بهدوه ومن معه من العثمانية وضربوه - ثم ومسكوه - ثم وعروهم من ثيابهم ووضعوه في الحديد بعد ما قاسوا غاية البهدة من جماعة الدوادار فلما بلغ السلطان ذلك رسم للامير مغلباى دوادار سكين الذى كان أرسله السلطان الغورى الى ابن عثمان وحصل منه في حقه غاية البهدة فقال له السلطان انزل وبهدهد قاصدا ابن عثمان كما بهدولك فأخذ خشدا شينه وتوجه بهم الى بيت الامير علان على أنهم يوقعون في جماعة ابن عثمان فعلا من أنواع البهدة أو يقتلونها ثم قام بينهم الامير علان من ذلك ثم قبضوا على عبد البر بن محاسن الذى حضر صحبتهم فلما مثل بين يدي السلطان شرع يطنب في أوصاف ابن عثمان وفي تزايد عظمته فنجلة ما حكي عنه أنه لما دخل الى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة أهل مصر من جلتهم خليفة سيدى أحمد البدوى وآخرون من الايمان عن تخلفوا بحلب وأخبر أن عسكر ابن عثمان فوق الستير ألف انسان وأنه خطب باسمه من بغداد الى الشام وان معاملته ماشية من بغداد الى الشام وأنه لما دخل الى الشام وملكها شرع في عمارة سور وأبراج من القابون الى آخر مدينة دمشق وجعل في ذلك السور أبوابا تغلق على المدينة وهو في همة زائدة ويقول ما أرجع حتى أملاك مصر وأقتل جميع من بهم من المماليك الجراكسة وأخبر أن ابن عثمان يتعجب عن عسكره أياما لا يظهر فيها في هذه المدة يقتل عسكره مخلقا في المدينة ويتجاهرون بالمعاصي والفسوق وأنهم لا يصفون شهر رمضان ويشربون فيه الخمر والبوزة ويستعملون فيه الحشيش والشحيب ويقولون الفاحشة في الصبيان المردي في شهر

رمضان وان ابن عثمان لا يصلي صلاة الجمعة الا قليلا وقد أشيعت عن ابن عثمان هذه الاخبار
 الشيعة من غير ابن محاسن عن شاهد هذا من أفعال عسكره بحلب والشام فلما أظن ابن
 محاسن في أخبار ابن عثمان حنق منه السلطان وقال له أنت جاسوس من عند ابن عثمان
 أتيت لتكشف أخبارنا وتطالع به بذلك فرسم بسجنه في البرج الذي بالقلاعة فسجن به أياما
 حتى طلع الاتابكي سودون الدوادري وشفع فيه حتى أطلقه من البرج وقد قطع قلب
 العسكر بما حكاه عن ابن عثمان ثم ان السلطان رسم بشنق اثنين من العربان الذين أتوا
 بالقاصد من هذه الطريق التي كانت مخفية عليهم وأشيع أنه حضر صحبة القاصد من
 جماعة ابن عثمان نحو أربعين نفرا فاختفوا في القاهرة فلما بلغ السلطان ذلك نادى في خان
 الخليلي بأن لا أحديا وى عنده غريبا من جماعة ابن عثمان ومن غمز عليه بأن عنده أحد
 من العثمانية شنق من غير معاودة ثم ان السلطان أرسل أخذ المطالعات التي حضرت على يد
 القاصد ولم يقابلها فوجدوا معه عدة مطالعات للامراء والمباشرين وأعيان الديار المصرية
 فالذي أشيع من مطالعة السلطان أن غالب ألقاظها تركية وكان من مضمونها من
 مقامه السعيد الى الامير طومانباي أما بعد فان الله قد أوحى الى باني أملاك البلاد شرقا
 وغربا كما ملكها الاسكندر وذو القرنين ومن جملة المطالعة وعدو وعيد وتهديد وتشديد فمن
 جملة ذلك أنك ملوك تباع وتشتري ولا تصح لك ولاية وأنا ملك بن ملك الى عشرين جدا وقد
 توليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة وذكري مطالعته أشياء كثيرة من هذا النمط ثم ذكر في
 أثناء المطالعة وان أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا وكذلك
 الخطبة وتكون نائبنا بمصر ولك من غزاة الى مصر ولنا من الشام الى الفرات وان لم تدخل
 تحت طاعتنا أدخل الى مصر وأقتل جميع من به من الجراكسة حتى أشق بطوننا الحوامل
 وأقتل الأجنحة التي في بطونهم من الجراكسة وأظهر التعاضم وقوة الباس ولعل الله تعالى
 أن يخذله بسبب هذا التعاضم الرائد وفي آخر مطالعته وما كأمعدين حتى تبعث رسولا
 فلما قرئت هذه المطالعة على السلطان بكى وحصل له غاية الرعب وكانت المماليك الجلبان
 اتفقوا على أنه اذا طلع القاصد الى القلاعة يقطعونه بالسيوف فلم يطلع الى القلاعة بسبب
 ذلك وفيه أشيع بين الناس ما في مطالعة ابن عثمان من هذه الدعاوى العريضة كما تقدم
 ذكره ثم اضطربت أحوال الديار المصرية وأخذ كل أحد حذر من ابن عثمان وقالوا
 مثل ما طرقنا قصاده على حين غفلة كذلك هو يطرقنا أيضا على حين غفلة فشرع الناس
 في تحصين أماكن في أطراف المدينة وجوانبها لاختفوا فيه اذا دخل ابن عثمان الى مصر
 وبعض الناس عول على أن ينزل هو وأولاده وعياله ويتوجه الى أعلى الصعيد اذا تحقق
 محي ابن عثمان وأشيع أن خير بك نائب حلب الذي عصى ودخل تحت طاعة ابن عثمان

أرسل مطالعات الى بعض الامراء المقدمين وهو يرغبهم في الدخول تحت طاعة ابن عثمان
وشرع يطالب في محاسنه وعدله بين الرعية وانه اذا دخل مصر يبقى كل أحد من الامراء
على وظيفته وعلى رزقه وكل هذا حيل وخداع حتى يتمكن من الدخول الى مصر ثم ان
السلطان نادى للعسكر أن أول النفقة يوم الاربعاء ثالث عشر الشهر فجلس السلطان
بالخوش على الدكة وطاع العسكر لقبض النفقة فلما طلعوا أنفق عليهم لكل مملوك ثلاثون
دينارا وجامكية ثلاثة أشهر بعشرين دينارا فرموا تلك النفقة في وجهه وقالوا ما نساقر
حتى نأخذ مائة دينار لكل مملوك فالتالم يبق عندنا لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح فنزلوا
كلهم من القلعة على حية وهم على غير رضا فنفق منهم السلطان وقام عن الدكة وطلع
المعد وقال ما أقدر على مائة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك
فولوا عليكم من تختارونه في السلطنة وأنا أتوجه الى مكة أو غيرها من البلاد فوقع في ذلك
اليوم بعض اضطراب وأشيع أن بعض المماليك قال للسلطان ان كنت تعمل سلطانا فامش
على طريقة من تقدمك من الملوك وان رحت لعنة الله عليك غيرك يحبى يعمل سلطانا فسمع
ذلك باذنه منهم وأشيع أن السلطان قال للعسكر أنتم أخذتم من السلطان الغوري ثلاثين
دينارا ولم تقا تلوا شيئا وكسرت السلطان وختموه حتى قتل فنزل العسكر على غير رضا وأشيع
أنارة فتنة بين العسكر ثم انه في ذلك اليوم نادى السلطان بأن جميع الامراء من الاكابر
والاصاغر يطاعون غدا باكر النهار فان العرض عام وانفض المجلس على ذلك فلما كان
يوم الخميس رابع عشره جلس السلطان على الدكة بالخوش وطلع الامراء قاطبة والعسكر
وطلع سيدي محمد ابن السلطان الغوري فقال السلطان هذا ابن أستاذكم قد حضر
اسألوه ان كان أبوه ترك في الخزائن شيئا من المال يخبركم بذلك وان كنتم تسلطونه فانا أول
من يبوس له الارض فقالت المماليك الجبابرة نحن نساقر بلا نفقة حتى نأخذ دينار أستاذنا
وقالت المماليك القرائصة نحن مانساقر حتى نأخذ مائة وثلاثين دينارا كما أعطى من سافر
قبلنا فانفض المجلس مانعا أيضا وكثر القال والقليل في ذلك اليوم وأشيع أن بعض الامراء
قال للسلطان اعمل كما عمل الاشرف قايتباي والسلطان الغوري وخذ من الاملاك
والاوقاف والرزق والاقطاعات لتستعين بذلك على النفقة بسبب دفع العدو عن مصر فلم
يوافق السلطان على ذلك وقال ما أحدث في أيامى مظلمة أبدا فشكره الناس على ذلك ودعوا
له ولو فعل ذلك جاز وقالوا يعذر لاجل دفع العدو وما ثم في الخزائن مال ولا يمكن
وفقه الله تعالى الى فعل الخير وسطر أجرك في صحيفته الى يوم القيامة فكان كما قيل
في المعنى

لنـير أهل لاترا * لوجوهه تدعوا اليه

طوبى لمن جرت الامور * والصالحات على يديه

وفي هذا اليوم أشيع أن السلطان أرسل ية قولاً لأولاد الملك المؤيد وأولاد الملك المنصور
وأولاد الامراء الذين بعصرا عملوا برفقكم واخرجوا للسفر والذي لا يسافر منكم يقيم له بيلا
عوضا عنه للسفر وقيل وزع على جماعة من المباشرين والخدام من الطواشية مالا له صورة
مساعدة للسلطان على النفقة وشرع السلطان في بيع قماش وسلاح وتحف وذاخر ووصوف
وسمور وعلبكي وغير ذلك من الاصناف وأخذ من ابن السلطان الغوري مالا له صورة
مساعدة على النفقة وفي ذلك اليوم أشيع أن السلطان أرسل بعض الخاصكية الى الاتابكي
قيت الرحي لينة له من ثغر الاسكندرية الى ثغر دمياط وأرسل مراسيم شريفة الى الظاهر
قائمه الذي بثغر الاسكندرية ان يسكن في قاعة الملك المؤيد بالاسكندرية وأن يركب
ويصلي صلاة الجمعة مع الناس في الجامع وأن يسير نحو البساتين التي بالاسكندرية وفي يوم
الجمعة خامس عشره خرج الامير خاير بك المعماراً أحد الامراء المقدمين والامير أربك
المكحل فخر جاف ذلك اليوم الى التجريدة وطلباً أطلا باحربية وفي يوم السبت سادس
عشره طلع العسكر بسبب العرض ولم يطلع في ذلك اليوم أحد من الامراء المقدمين
واحتجب السلطان في الدهيشة ولم يخرج الى العسكر فنزلوا الى بيوتهم من غير طائل وفي
هذا اليوم نادى السلطان بان لا أحد من الناس يتجاهر بالمعاصي ولا يهودى ولا نصراني
يبيع خرا ومن شهر عليه بيع الخمر شئ من غير معاودة وكذلك البوزة والحشيش فلم يسمع له
أحد ذلك ولم ينتهوا عما هم فيه وفي ذى الحجة كان مستهل الشهر يوم الخميس طلع القضاة
الذين تولوا جديدا في الشهر الماضي وهنوا السلطان بالشهر ونزلوا الى بيوتهم وفي ذلك اليوم
نادى السلطان للعسكر بان أول النفقة يوم السبت ثالث الشهر وقد اتفق مع العسكر على
أنه يتفق لكل مملوك خمسين دينارا ويصرف ثمن اللحم المنكسر خمسة أشهر والعليق
المنكسر فتراضوا وفيه أنعم السلطان بأمرية عشرة على جماعة من الخاصكية نحو عشرة
أنفس منهم شخص يقال له خاير بك البجمة قدار وهو من خيار عماليك الاشرف قايتباي وفيه
أشيع ان السلطان خرج عن ألف دينار فرقها على الفقراء الذين في الزوايا وفي المزارات
التي بالقرافة وغيرهما من المزارات وفرق عليهم أيضا قحالك كل زاوية خمسة أراذب وقال
لهم ادعوا بالنصر للسلطان وهلاك العدو وقرأ عدة ختمات في المزارات منها عند الامام
الشافعي والامام الليث وغير ذلك من المزارات وفيه استحث السلطان أولاد السلاطين
وأولاد الامراء والمباشرين والخدام فيمقرر عليهم من المال بسبب النفقة وأشيع
أنه أخذ من ابن السلطان الغوري مالا له صورة وقيل ان السلطان الغوري كان قد
خصص ولده قبل أن يسافر الى البلاد الشامية بمائة ألف دينار هكذا أشيع وفي يوم
السبت ثالثه طلع العسكر الى القلعة ليقبضوا النفقة كما نادى فورد على السلطان في

ذلك اليوم أخبار ردية بان العسكر الذين توجهوا الى غزة قد انكسروا في يوم الاحد رابع
 عشر ذي القعدة ومن العجائب أن الواقعة الاولى التي انكسر فيها السلطان الغوري
 كانت يوم الاحد خامس عشر رجب فكان التفاوت بينهما وبين هذه الواقعة يوم واحد
 وهذا من العجائب وهذه الكسرة الثانية كانت يوم الاحد وكان من ملخص أخبار هذه
 الكسرة أن جان بردي الغزالي نائب الشام خرج الى التجريدة قبل العسكر بمدة أيام
 وصار الامراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين بتكاسل زائد فلما أبطأ على الغزالي جمع
 بعض عربان وتقدم الى غزة هو والامير ارزمك الناشف أحد المقدمين الذي ولى نيابة
 حاه ودولات باي نائب غزة وأصله من مماليك السلطان الغوري وجاءه من
 المماليك السلطانية فقاطعوا على عسكر ابن عثمان من طريق الدرب السلطاني فتلقوا
 مع عسكر ابن عثمان على الشريعة بالقرب من بيسان وكان باش العسكر العثمانية
 سنان باشا ومعه اخرون من أمراءه ومن العساكر العثمانية الجمل الكثير وكان جان بردي
 الغزالي ومن معه من الامراء في فئة قليلة من العسكر فوقع بين الفريقين هناك واقعة
 مهولة تشيب منها النواصي وكان ذلك بالقرب من بيسان فانكسر الامير جان بردي الغزالي
 ومن معه من العساكر والامراء وقتل الامير خدابردي أحد الامراء المقدمين وقتل الامير
 علي باي السيفي وازدهر الدوادار أحد الامراء الطبلخانات وأشيع موت جماعة من الامراء
 ولكن لم أقف على صحة من قتل من الاعيان في هذه المعركة وأشيع أن الامير جان بردي
 الغزالي قد جرح والامير ارزمك الناشف أيضا وقتل من المماليك السلطانية جماعة ومن
 الغلمان ما لا يحصى عددهم وقد حزت رؤسهم بالسيوف وقيل ان هذا الخبر ورد من عند الامير
 طقطباي حاجب الحجاب وكان من حين خرج الى السفر وهو مقبى بالصالحية فورد
 عليه بعض المماليك السلطانية وأخبره بذلك فطالع السلطان بما قد جرى من أمر هذه
 الحركة المهولة وأشيع أن عسكر ابن عثمان قد احتوى على بركة الغزالي وأرزمك الناشف
 لما وقعت الكسرة فلم يتركوا الهما بركا ولا خيولا ولا جالا ولا سلاحا وقد تقوى العثمانية
 ثانيا بهذه الكسرة الثانية ولم ينبج من عسكر مصر في هذه المعركة الا من طال عمره وقيل ان
 مماليك الغوري هم الذين أحسوا بالعسكر وبأدروا بالهروب حتى وقعت هذه الكسرة
 الثانية ولما تزايدت الاقوال في ذلك عين الامير سنبل مقدم المماليك بان يتوجه الى الصالحية
 ليكشف الاخبار فخرج من يومه وسافر وفي يوم الاحد رابعه وقعت حادثة مهولة وهي أن
 السلطان نزل الى الميدان واجتمع الامراء والعسكر فلم يشعروا الا وقت قامت ضجة كبيرة في
 الرميلة وأشاعوا أن عسكر ابن عثمان قد وصل الى الريدانية فقال السلطان للعسكر كم نقل
 لكم اخر جوال التجريدة ما ترضون تسافرون فاخر جوا ولاقوا ابن عثمان فلبس العسكرة
 الحرب وركبوا قاطبة ورجت القاهرة رجا مهولا ووزع الناس قاشهم في الاماكن الخفية

فلما اضطربت الاحوال ركب العسكر وتوجهوا الى الريدانية فلم يروا هناك أحدا من
العثمانية فرجع العسكر الى بيوتهم بعد ما ارتجت القاهرة وعول الناس على أن يختفوا في
فساقى الموقى ثم أسفرت هذه الواقعة عن جماعة من العربان نزولاً من الجبل وأتوا الى
الريدانية فأشاع الذي رأهم من بعد أنهم من العثمانية فانتشرت هذه الاخبار في القاهرة من
غير سبب وفي هذا اليوم أفرج السلطان عن الامير قانده والاشرفى الذي كان نائب حلب
وسلم القلعة الى ابن عثمان من غير قتال ولا محاصرة فتغـير خاطر السلطان عليه بسبب
ذلك وسجنه في البرج بالقلعة فأقام به مدة ثم أفرج عنه في ذلك اليوم وفي يوم الاثنين خامسه
دخل الامراء والعسكر الذين توجهوا الى غزة وانكسروا من عسكر ابن عثمان فدخل جان
بردى الغزالي وأرزمك الناشف وبعض امراء عشراوات ودخل العسكر وهم في أنحس
حال مما جرى عليهم من النهب والقتل أنحس من المرة الاولى فدخل بعض المماليك
السلطانية وهم راكبون على حمير وبعضهم على جال وقد نهب قاشهم وخيولهم وسلاحهم
ولم يبق لهم من القتل الا من كان في أجا له مدة وذكروا عن ابن عثمان ان مع عسكره رماح
بكلايلب يخطفون بها الفارس عن فرسه ويلقونه على الارض وذكروا عن بردى انهم رموه
على الارض ولولا غلمانة قاتلوا عنه العثمانية لكانوا حروا رأسه مثل الامير خدابردى الذي
قتل وحكوا عن عسكر ابن عثمان أنهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وأن معهم رماة
بالبنشق الرصاص على عجالات خشب تسحبها ابقار وجاموس في أول العسكر وحكوا عنهم
أشياء كثيرة من هذا النمط وحضر الامير دولاباى نائب غزة الذى كان بها وحضر أيضا الامير
بخشباى الذى كان مشد الشون أخوالا له يركب باى الذى كان والى القاهرة وكان أشيع
موته في الواقعة التى وقعت في مرج دابق فظهر أنه في قيد الحياة وكان مختفيا عند العرب
فحضر في ذلك اليوم وحضر أيضا شخص من الامراء العشراوات يقال له قرقاس الرجبى
وكان أشيع موته في الواقعة التى كانت في مرج دابق فظهر أنه في قيد الحياة وحضر أيضا
جماعة كثيرة كان أشيع موتهم فظهر أنهم في قيد الحياة فلما طلع الامير جان بردى الغزالي
والامير أرزمك الناشف الى القلعة ألبسهما السلطان سلاريات بسماور ونزلا الى منزلهما
وقد فرح كل واحد من الناس بسلامتهما لانهما فرسان الاسلام فدقت لهما البشار على
أبواب دورهما فلما حضر الغزالي ومن معه من الامراء والعسكر فظهر أمر من قتل من
الامراء العشراوات والعسكر والغلمان فصار في كل حارة نعى مثل أيام الفصول وفي ذلك
اليوم نادى السلطان للعسكر بان أول النفقة يوم الثلاثاء سادسه فلما طلع النهار بادر
العسكر بالطلوع الى القلعة فابتدأ السلطان بتفريق النفقة على العسكر فأعطى لكل
مملوك خمسة وعشرين دينارا وأعطاهم ثمن الاضحية على العادة وكان أول أسألهم بان
يعطيهم ثلاثين دينارا كل مملوك فأبوا ذلك فلما رأوا عين الجسد وأن ابن عثمان زاحف

على البلاد وقد وصل الى قطيارضوا بخمسة وعشرين دينارا نفقه ونزلوا من القلعة
وأخذوا في أسباب آلة السفر وفيه ورد على السلطان أن خيار ردية بان سنان باشا أحد
أمراء ابن عثمان الذي ملك مدينة غزة قد لعب في أهل غزة بالسيف وقتل منهم نحو ألف
انسان ما بين نساء ورجال وصغار وكان سبب ذلك أن الغزالي لما اتلا في مع سنان باشا على
الشريعة أشيع في غزة أن الغزالي قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل سنان باشا وعسكر
ابن عثمان فبادر على باي دوا دارنائب غزة وأجنداه فنهبوا وطاق العثمانية وأحرقوا خيامهم
وقتلوا من كان في الوطاق والمدينة من العثمانية نحو أربع مائة انسان ما بين شيوخ وصبيان
ومن كان بهامريضا وأحرقوا الخيام التي كانت في وطاقهم فلما ظهر ان الكسرة على عسكر
مصر وقتل من قتل من الأمراء رجع سنان باشا الى غزة فوجد من كان بها قد قتل ونهب
الوطاق فجمع أهل غزة قاطبة وقال لهم من فعل ذلك بنا قالوا على باي دوا دارنائب غزة
وأجنداه ولم نفعل نحن شيئا من ذلك فأمر سنان باشا بكبس بيوت غزة فوجدوا بها مقاش
العثمانية وخيولهم وخيامهم فقال لهم سنان باشا نحن لما دخلنا غزة هل شوشنا على أحد
منكم أو نهبنا لكم شيئا قالوا لا فقال لهم كيف فعلتم بعسكرنا ذلك فلم يأثروا بجواب ولا عذر
ولا حجة فعند ذلك أمر عسكره أن يلعبوا فيهم بالسيف فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده وراح
الصالح بالطالح وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقد قيل في المعنى

ان ترمك الاقدار في أزمة * أوجبها أجرامك السالفه

فادع الى ربك في كشفها * ليس لها من دونه كاشفه

وفي يوم الاربعاء سابعه حضر الى الابواب الشريفة جماعة من طوائف العربان من غزاة
ومحارب ومن عربان هواره وكان السلطان ألزم مشايخ العربان أن يأثروا وصحبهم جماعة
من فرسان العربان ممن هو أشجعهم حتى يتوجهوا بحبة التجريده مع العسكر فلما
حضر وانزلوا بالجزيرة واجتمع بهم الجمل الكثير من العربان ثم دخلوا الى الرميثة ونزلوا بها
حتى يعرضهم السلطان بالميدان وقد انخطأ أمر الترتل عند العرب والفلاحين بسبب هذه
الكسرات التي وقعت للعسكر وقتل ابن عثمان البلاد الشامية وثبت عند الناس أن دولة
الجزرا كسرة قد آلت الى الانقراض وأن ابن عثمان هو الذي يملك البلاد وصار جماعة من
الفلاحين اذا أتاهم قاصد من باب أسستاهم يقولون ما نقدر نعطي خراجا حتى يتبين لنا
أن البلاد لكم أو لابن عثمان فمبني نورد الخراج مرتين وقد اضطربت الاحوال برا وبحرا
والامر الى الله تعالى وفي ذلك اليوم أشيع بين الناس أن السلطان رسم بتغريق القاصد
الذي حضر من عند ابن عثمان وقد تقدم ذكر ذلك فأشيع أنهم أغرقوه ومن معه من العثمانية
تحت الليل هكذا أشيع وفيه ابتداء السلطان بفرقة الاضيحة على العسكر ولم يعط

المماليك الذين كانوا أصحاب الغزالي وانكسروا فقال لهم السلطان أنتم هربتم ولم تقاتلوا
 شيئا وخنتم الامراء حتى انكسروا وفيه أشيع بين الناس أن أوائل عسكر ابن عثمان
 قد وصل الى قطيا وقد غلبوا القلعة التي بالطينة وهرب من كان بها من أولاد الناس
 القاطنين بها وقيل لم يثبت أمر هذه الاشاعة وفي يوم السبت عاشره كان عيد النحر
 فخرج السلطان وصلى صلاة العيد وطلع الامراء بالشاش والقماش على جارى العادة
 وكان موكب العيد حافلا لكن كان الناس في غاية الوجع والخوف من ابن عثمان وقد بلغ
 الناس أن أوائل عسكره وصل الى قطيا ولا سيما ما بلغ الناس مما فعله عسكر ابن عثمان
 بأهل غزة من القتل والنهب وسبي النساء وقتل الاطفال كما أشيع ذلك وفي يوم الاثنين
 ثاني عشره أخرج السلطان الزردخانة الشريفة التي يخرجها أصحاب العسكر فجلس
 بالميدان وانسحبت قدامه العجلات الخشب التي كان صنعها بسبب التجريدة فكانت
 عدتها مائة عجلة وتسمى عند العثمانية عربة وكل عربة منها يسكنها زوج أبقر وفيها مكحلة
 نحاس ترمى بالسندق الرصاص فنزل السلطان من المقعد وركب وفي يده عصا وصار يرتب
 العجلات في مشيه بالميدان ثم انسحب بعد العجل ما يتاجل محملة طوارق نحو ألف وخسمائة
 طارقة ومحملة أيضا بارودا ورصاصا وحديد اوراقا وخشب وغير ذلك وقدام العجلات أربع
 طبول وأربع زمرور وقدامها من الرماة نحو مائتي انسان ما بين تركمان ومغاربة وبأيديهم
 صناجق بعلابكي أبيض وكندكي أحمر وهم يقولون الله ينصر السلطان وجاعة من النفطية
 ما بين عبيد وغيرهم يرمون بالنفط قدام العجلات وركب قدامها الامير مغلباي الزردكاش
 الكبير ويوسف الزردكاش الثاني وجاعة من الزردكاشية وعبدالباسط ناظر
 الزردخانة والشهابي أحمد بن الطولوني وقدامهم الجمل الكثير من التجارين والحدادين
 الذي تعينوا للسفر مع التجريدة فخرجوا من باب الميدان الى الرميلة ونزلوا من جهة القبور
 وشقة وامن البسطين ودخلوا من باب زويلة وشقوا من القاهرة فرجت لهم القاهرة في
 ذلك اليوم واصطففت الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وكان يوما مشهودا وارتفعت
 الاصوات له بالدعاء بالنصر على ابن عثمان الباغي وتباكى الناس لما عاينوا تلك العجلات
 والمكاحل والهمة العالية التي من السلطان فيما صنعها واستمر واشاقين من القاهرة حتى
 خرجوا من باب النصر وتوجهوا الى الريدانية عند تربة العادل التي هناك وأشيع أن امرأة
 قتلت في ذلك اليوم من شدة الازدحام فلما وصلت العجلات الى تربة العادل صفوهم هناك الى
 أن تخرج الامراء فكان ذلك اليوم من الايام المشهودة في الفرجة وفي يوم الثلاثاء ثالث
 عشره أشيع أن بعض الناس شفع في المماليك الذين حضروا من غزة ولم يصرف اهلهم
 السلطان الاضحية فصرفها لهم في ذلك اليوم بعدما وبنحهم بالكلام وقال اهلهم كيف

هربتم حتى كسرتهم الامراء اولم تقتالوا وبقي وجهكم أسود بين الناس وفي يوم الاربعاء
 رابع عشره حضر الى الابواب الشريفة الناصري محمد بن شمس الدين القوصوف رئيس
 الطب وكان في حلب أسيراً عند ابن عثمان فهرب من هنالك مع العربان وغرم لهم مالاً له
 صورة حتى أتوا به الى مصر فطلع وقابل السلطان في ذلك اليوم وقد غير هيئته وحلق ذقنه
 وتزيانزى العرب حتى تخلص من جماعة ابن عثمان وأخبر السلطان أنه قد بلغه عن ابن
 عثمان أن عسكره مختلف عليه وأنه مات له من الجمال والخيول ما لا يحصى عدده من الثلج
 الذي وقع بالشام وان الغلاء هناك وأن عسكره قد قلق من البرد والثلج وموت الخيول
 وأشيع في ذلك اليوم أن عسكر ابن عثمان كان في غزة ورحل عنها وقد صارت العربان
 تقتل منهم جماعة كثيرة ممن يجدونه في الضياع فيقتلونهم ويهربون في الجبال وفي يوم الخميس
 خامس عشره طاع العسكر لقبض الجامكية فقال لهم الطواشية يا أغوات ما في هذا اليوم
 جامكية البلاد خراب والعرب مشتتة في الطرقات والمدركون ومشايخ العربان ما أرسلوا
 من التقاسيط التي عليهم شيئاً فإن حصل شيء على يوم الاثنين يتفق لكم فنزل العسكر من
 القلعة وهم في غاية النكد فإن لهم ستة أشهر لم يصرف لهم السلطان من اللحم المنكسر
 شيئاً وقد تعطلت الجوامك أيضاً وفي ذلك اليوم خلع السلطان على قانصوه رجلاً أحد
 الامراء المقدمين الذي كان نائب قطيا وقرره كاشف الشرقية عوضاً عن قماس الذي كان
 بهافانه كان عاجزاً عن اصلاح أحوال الشرقية وخلع على الماس كاشف الغربية بأن يستمر
 على عادته في كشف الغربية وخلع على الامير ابرك الوزير والاستاد ارباستمراره على عادته
 وكان أشيع عزله وقد صارت أحوال الديار المصرية في هذه الايام في غاية الاضطراب من
 وجوه شتى وفي يوم الجمعة صلي السلطان صلاة الجمعة ثم خلع على الاتابكي سودون
 الدواداري وقرره باش العسكر على التجريدة وفيه حضر الامير قطباي حاجب الحجاب
 وكان قد توجه بحجة التجريدة المعينة الى غزة فاطهر أنه مريض وأقام بالصالحية فلما
 انكسر جان بردي الغزالي ورجع الى مصر أقامت بقية الامراء في الصالحية الى أن تخرج
 التجريدة التي تعينت ثانياً فلما حضر الامير قطباي دون الامراء الذين هنالك عز ذلك على
 الامراء والعسكر ونسبوه الى الهجو وصار محمقوناً عند العسكر قاطبة وفيه أشيع أن
 السلطان رسم لطوائف العربان الذين حضروا بان يرجعوا الى بلادهم وقد أشار بعض
 الامراء على السلطان ان العربان ليس لهم فائدة في خروجهم مع التجريدة فرسم لهم بالعود
 الى بلادهم وفي يوم الاحد ثامن عشره ورد على السلطان أخبار ردية بان ابن عثمان خرج
 من الشام بنفـه هو وعساكره وهو قاصد مصر وقد أشيع أنه قسم عسكره فرقتين
 فرقة تجي من الدرب السلطاني وفرقة تجي من التيه وفي أثناء هذا الشهر خلع السلطان

على الأمير اينال خازندار الأمير طراباي أحد الأمراء العشر اوات وقرره في نيابة دمياط عوضا
عن كان بها فلما بلغ السلطان هذا الخبر المتقدم أرسل أحضر الأمراء وضر بوا مشورة في
ذلك وأشيع أن السلطان يخرج إلى الريدانية ويقيم بها ويقيم العسكر فرقتين فرقة
توجه إلى ناحية عجم وود والفرقة الثانية تتوجه إلى المكان الذي جاء منه القاصد الذي تقدم
ذكره وكانت الأمراء عولوا على خروج التجريدة من أول السنة الجديدة فلما وردت
عليهم هذه الاخبار اضطربت أحوالهم ورسم لهم السلطان أن يبرزوا خيامهم في الريدانية
بسرعة ويكونوا على نقطة فان ابن عثمان قد وصل إلى غزة وقيل أنه توجه من زوريت
المقدس ثم عشي بعساكره إلى مصر وقد كثرت القال والقال في ذلك واضطربت أحوال الناس
قاطبة إلى أين يذهبون حتى تنقضي هذه الفتنة وفي ذلك اليوم رسم السلطان
لتقيب الجيش بأن يدور على الأمراء المقدمين ويقول لهم يبرزوا خيامكم بالريدانية في هذا
اليوم فخرجت خيام جماعة من الأمراء في ذلك اليوم إلى الريدانية وفي هذا اليوم نادى
السلطان بأن جميع المغاربة الذين في مصر والقاهرة يحضرون غدا للعرض وفي يوم الاثنين
تاسع عشره جلس السلطان على الدكة في الحوش وطلع الجسم السكتير من المغاربة فلما
طلعوا إلى القلعة لم يجتمع عليهم السلطان وأرسل إليهم الأمير شاد بك الأعور فقال لهم
السلطان يقول لكم عيونا منكم ألف إنسان من شجعانكم حتى يخرجوا مع التجريدة
فارسا ولا يقولون للسلطان نحن ما لنا عادة فنخرج مع العسكر ونحن ما نقاتل إلا الأفرنج
وما نقاتل مسلمين وأظهروا التعصب لابن عثمان فلما عاد الجواب على السلطان بما قاله
المغاربة عز على السلطان ذلك وأرسل يقول لهم إن لم تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان والا
فالمال بك الجلبان يقتلون كل مغربي في مصر حتى لا يخلو فيها غريبا يلوح فتزلوا من القلعة
على غير رضا من السلطان وفيه أشيع أن ابن عثمان أرسل كتابا إلى شيخ العرب أحمد بن بقر
يقول له فيه ادخل تحت طاعتنا ولا امان ولا قيننا من الصالحية وصحبته ألف أرب
شعير وأشيع أن عبد الدائم أحمد بن بقر الذي كان عاصيا توجه إلى ابن عثمان لغزة
والاشاعات في اخبار ابن عثمان كثيرة وفي يوم الاثنين المقدم ذكره نادى السلطان للعسكر
قاطبة من كبير وصغير بان يعرضوا غدا في الريدانية وهم باللبس الكامل من آلة السلاح
ثم إن السلطان نزل إلى الميدان وصلى صلاة العصر وركب من هناك وتوجه إلى الريدانية
وبات في الوطاق وهذا أول نزوله من حين ولي الساطنة وفي يوم الثلاثاء عشرينه لبس
العسكر آلة السلاح وخرجوا للعرض بالريدانية بحضرة السلطان وفي ذلك اليوم صارت
الأمراء المقدمون يخرجون إلى الريدانية وهم الأمراء الذين تعينوا للتجريدة وصاروا يخرجون
شيأ بعد شيء وهم باطلا بحرية ومما ليكم لابس آلة الحرب وهم على جرائد الخيل ثم خرج

الاتابكي سودون الدواداري وجان بردى الغزالي نائب الشام واركاس أمير سلاح وبخشبای
 أمير مجلس وانسبای أمير اخور كبير وقرر رأس فوبة النوب وعلان الدوادار الكبير وطقطبای
 حاجب الحجاب وقيل بل عفى من السفر بسبب ضعفه ولكن الاصح سفره وخرجت بقية
 الامراء المقدسي الالوف قاطبة والامراء الطب لحنانات والعشراوات قاطبة وعسا كرمصر
 ولم يبق بها من الامراء والعسكر الا القليل وهذه التجربة أكثر عسكرا من التجربة التي
 خرجت مع السلطان الغوري وكان هذا السلطان له عزم شديد في عمل هذه الحملات وسبك
 المكاحل وعمل البندق الرصاص وجع من الرماة ما لا يحصى وكانت له همة عالية ومقصد
 جميل ولعل الله تعالى أن ينصره على ابن عثمان وكان ابن عثمان باغيا على عسكر مصر وقد
 عاداهم وتعدى عليهم بغير سبب والباغي له مصرع وفيه أشيع أن السلطان رسم بان الاقبال
 الكبار يخرجون صحبة العسكر اذا تقابلوا مع ابن عثمان بعد ثلاثة أيام وفي ذلك اليوم
 لما خرج العسكر ركب السلطان من الوطاق وتوجه الى المصطبة التي بالريدانية التي تسمى
 المطعم فجلس بها واجتمع الجمل الكثير وهم لا يسون آلة السلاح وقد سدوا الفضاء واجتمع
 هناك السواد الاعظم من العوام حتى النساء وقد أطلقوا الرغاريث هناك وارتفعت
 الاصوات بالدعاء للسلطان بالنصر وكان هناك يوم مشهود فلما نظر السلطان الى العسكر
 لم يعرضهم باستدعاء هناك بل نادى بان جميع العسكر المنصور من كبير وصغير لا يتأخرو منهم
 أحدا وان العرض في الصالحية وان السلطان لا يتوجه الى الصالحية حتى يخرج العسكر
 قدامه من هناك ثم يعود الى القلعة وكان ذلك عين الصواب وفي يوم الاربعاء حادى عشر ربه
 استمر السلطان مقيما بالريدانية وخرج في ذلك اليوم بقية العسكر وقد تراءى الخروج من غير
 عذر ولا حجة والسلطان يستحثهم في سرعة الخروج ولما نزل السلطان من القلعة أخذ صحبته
 قاسم بك وهو الصبي الذي من أولاد ابن عثمان وقد تقدم ذكره فجعل له السلطان بركا
 وسنجا على انفراد و رسم له بان يسافر صحبة العسكر ويقف وقت الحرب تحت الصنجق
 السلطاني وأشيع ان سليم شاه في قلبه الواجس من هذا الصبي وقيل ان غاب عسكره مائل
 الى هذا الصبي ويقولون اذا انكسر سليم شاه مالنا الا ابن أستاذنا هذا نسا طنه عوضا عن
 سليم شاه وفي ذلك اليوم أشيع أن صاحب رودس أرسل الى السلطان ألف رام من جماعته
 يرمون بالبندق الرصاص وأرسل اليه عدة مراكب فيها بارود فدخلت تلك المراكب الى
 نغردمياط وأرسلوا يعلمون السلطان بذلك وهذه عونته من صاحب رودس الى سلطان مصر
 حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان الباغي على أهل مصر فلم يظهر لا ساعة هذه العونة
 خبر ولا نتيجة وانما هي اشاعة ليس لها صحة فيما نقل عنها ولما خرج السلطان الى الريدانية
 أشيع أنه يتوجه من هناك الى الصالحية ليلا في عسكر ابن عثمان فتمعه الامراء من

التوجه الى الصالحية وقالوا ما يقع بيننا وبينه قتال الا في الريدانية ثم ان التجار صارت تنقل
أمتعتهم وأموالهم من الدكاكين التي في الاسواق ويدخلونها في الاماكن المنسية حتى تسلم وما
سلم منها شيء وفيه تحول غالب الناس من أطراف المدينة ودخلوا القاهرة وسكنوا بها ونقل
أعيان الناس قاشهم الى التربة والى المدارس والزوايا والمزارات والى بيوت العوام التي في
الرباع لعله يسلم وما سلم منه شيء كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه وفي آخر هذه السنة توفي
الشهابي أحمد بن الأمير اسنبغا الطياري رأس نوبة النوب كان وكان الشهابي أحمد من أعيان
أولاد الناس الرؤساء وكان حشما رئيسا لآبأس به ومات وله من العمر ما قارب التسعين سنة
وكان من المعمرين في الارض وفي يوم الخميس ثاني عشره وردت الاخبار بأن ابن عثمان قد
خرج من غزة وان أوائل عسكره قد وصل الى العريش وأشييع أن السلطان رسم بحفر
خندق من سيل علان الى الجبل الاحمر والى آخر غيطان المطرية ثم ان السلطان نصب على
ذلك الخندق الطوارق والمكاحل معمرة بالمدافع وصف حولها العربات الخشب التي صنعها
بالقلاع كما تقدم ذكر ذلك ثم ان السلطان رسم للامير ماماي الصغير المحتسب بأن ينادي
في القاهرة للسوقة وأرباب البضائع من الزياتين والخبازين والجزارين بأن يحولوا بضائعهم
الى الوطاق عند تربة العادل وينشؤا هناك سوقا ويبيعوا على العسكر الذي هناك ثم ان
السلطان رسم للوالي بأن ينادي في القاهرة للعسكر الذين تأخروا بأن يخرجوا الى الريدانية
ولا يتأخروا منهم أحد فنادت المشاعلية في الحارات والازقة بأن المماليك السلطانية تخرج
في ذلك اليوم الى الوطاق وكل من تأخر منهم شتى على باب منزله من غير معاودة وجعل يكرر
المناداة في ذلك اليوم مرتين فانه قد بلغ السلطان ان جماعة من المماليك السلطانية صاروا
يتوجهون الى الوطاق في باكر النهار حتى يتطهرهم السلطان ثم يرجعون الى بيوتهم ويبيتون
بهم افش ذلك على السلطان وحجر عليهم بأن يبيتوا في الوطاق كل ليلة وفي يوم الجمعة ثالث
عشره وردت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل أوائله الى قطيا فاضطربت أحوال
الناس لذلك وفي يوم السبت رابع عشره عرض السلطان العسكر الذين بالوطاق فاجتمع
منهم الجمل الكثير فوعدهم السلطان انهم اذا قاتلوا عسكر ابن عثمان بقلب وانتصروا عليهم
ينفق على كل واحد منهم عشر أشرفيات وينعم على كل واحد منهم بسيف وترس ورسم للامير
انسباي أمير اخوربان يصلح بين زعر الصليبة وزعر المدينة وفي ذلك اليوم أشيع ان
السلطان اهتم بعمل حائط يستر بها المكاحل التي نصبها بالريدانية وأشييع ان
السلطان جعل يحمل الحجارة بنفسه مع البنائين فلما رأى العسكر ان السلطان حمل الحجارة
بنفسه صارت المماليك يحملون الحجارة ويشيلون التراب مع الفعلة في حفرة الخندق وعمل
الحائط التي تستر المكاحل ثم وردت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل الى

بليس وفي يوم الاحد خامس عشرية حضر الامير قانصوه العادلي الذي كان كاشف
الشرقية وكان السلطان قد ارسله ليكشف أخبار عسكر ابن عثمان اذ كانوا قد وصلوا الى
هناك أي الى القرب من الصالحية فلما وصل الامير قانصوه الصالحية رأى جماعة من عسكر
ابن عثمان قد وصلوا الى هناك فقبض على شخصين منهم وحز رؤسهم ما وأحضرهم ما بين
يدى السلطان وكان صحبة تلك الرؤس شخص من أبناء حلب من جماعة خاير بك نائب
حلب الذي خامر على السلطان الغوري والتف على ابن عثمان فلما وقف بين يدي
السلطان طومان باي أخبره أن الواصل اليك خاير بك نائب حلب وصحبته ابن سوار
وجماعة من أمراء ابن عثمان وأن هذا الجاليس فيه من عسكر ابن عثمان ثمانية آلاف
فارس وقد بطلت خيولهم من التعب والجوع وأن الغلام موجود في عسكره ووجدوا
مع ذلك الرجل الحلبي عدة مطالعات من خاير بك نائب حلب الى الأمراء المقدمين الذين
بصرف أخذ السلطان المطالعات التي كانت معه ووضع ذلك الرجل الحلبي في الحديد
وأشيع أن عسكر ابن عثمان لما دخل بليس نادى لأهل بليس بالامان والاطمئنان وأن
لأحد من العساكر العثمانية يشوش على أحد من أهل بليس ولا الفلاحين قاطبة ثم
أشيع أن عسكر ابن عثمان قد وصل الى العكرشة فلما تحقق السلطان ذلك أراد أن يخرج
بالعسكر ويلاقيهم من هناك فلم تمكنه الأمراء من ذلك ولولا قاهم من هناك كان عين
الصواب فإن خيولهم كانت قد بطلت من الجوع والتعب وكان غالب عسكر ابن عثمان مشاة
على أقدامهم من حين خروجهم من الشام وهم في غاية التعب فكان رجايا يكسرهم قبل أن
يدخلوا الى الخانكاه ويحصدوا العليق والمأكول والمشرب والراحة من التعب فلم يتفق
للسلطان أن يلاقيهم من هناك حتى يتمكنوا من الدخول الى الخانكاه ثم رسم السلطان
للعسكر بأن يبيتوا تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لا يسبون آلة الحرب ولا
ينامون الا بالنوبة نحو قدام هجمة تحت الليل من العثمانية وقد اشتد الرعب في قلوب
الجزراكسة من عسكر ابن عثمان فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب
أهلها بأولادهم وعيالهم وقاشهم ودخلوا الى القاهرة خوفا على أنفسهم من عسكر ابن عثمان
وكذلك غالب فلاحى الشرقية وأهل بليس قد دخلوا الى القاهرة خوفا من النهب والقتل
من العثمانية ثم إن العربان من السوالة صاروا يقبضون على كل من يلوح لهم من العثمانية
ويقطعون رؤسهم ويحضرونها بين يدي السلطان في رسم السلطان بأن تعلق على باب النصر
وباب زويلة ثم إن السلطان عرض العسكر بالريدانية وهم لا يسبون آلة الحرب حتى عرض
الأمراء المقدمين والعشراوات فحضرت الأمراء المقدمون وهم بالطبول والزمر وكان
لهم يوم مشهود بالريدانية ثم إن السلطان سار الى بركة الحاج وصحبته الأمراء والعسكر

قاطبة فسيرهم ثم رجع الى الوطاق وقدامه الطبول والزمور والنفوط فامتدت
 العساكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية حتى سدت النضاء وأشيع أن السلطان لما
 تحقق وصول ابن عثمان الى بليس رسم بحرق الشون التي في بليس وما حولها حتى الشون
 التي في الخنازكاه فأحرقوا أشياء كثيرة من التبغ والدريس وغير ذلك من القمح والشعير
 والبقول وذلك لاجل عسكر ابن عثمان حتى لا ينهبوها بسبب خيولهم فيبقى بذلك العسكر
 على القتال وفي هذه المدة صارت العربان تقطع رؤس العثمانية الذين ينظرون بهم في
 الطرقات فيرسل السلطان يعلق تلك الرؤس على أبواب المدينة ومن الحوادث في هذه
 السنة أنه أشيع أن السلطان كان جالساً في الخيمة وإذا بشخص من التركان قد دخل عليه
 وهو لا يس زنتاً أحر وفي وسطه مخمق وتركاش وقد ضرب على وجهه اناماً وكان السلطان
 في نفر قليل من الخاصكية فلما هجم ذلك الشخص على السلطان وقرب منه دفعه بعض
 الطواشية الذين كانوا واقفين بين يدي السلطان فلما س صدر ذلك الشخص وجد في
 صدره ثديين طويلين فكشف اللثام عن وجهه فاذا ذلك الشخص امرأة من نساء التراكمة
 فتوهم السلطان انها تقصد قتله فقال أخرجوها من قدامي فلما خرجت من بين يديه
 وجدوها لابسة زردية من تحت ثيابها وهي متحملة بجنين كبير من تحت ثيابها فلما
 عاينها المماليك الجلبان على تلك الحالة ضربوها بالسيف وقد تحققوا أنها هجمت على
 السلطان تريد قتله لا محالة فلما قتلوها رسم السلطان بأن يعلقوها على باب النصر فأوابها
 وهي عريانة وصاروا يسحبونها من الريدانية الى باب النصر حتى علقوها هنالك على مكان
 تجاه باب النصر واستمرت معلقة هنالك يومين عريانة وعورتها مكشوفة بين الناس ثم دفنت
 ثم ان السلطان أرسل مع دوادار الوالي رأسين مقطوعين فزعموا أن أحدهما رأس ابراهيم
 السمرقندي والاخرى رأس أمير من أمراء ابن عثمان فعلقوها على دكان عند باب زويلة
 وقد تحيل بعض العربان على ابراهيم السمرقندي وأضافه ويات عنده وكان السمرقندي
 أتى صحبة ابن عثمان فلما بات تلك الليلة عند البدوي حر رأسه تحت الليل فلما طلع النهار
 أحضرها بين يدي السلطان طومانباي وقال له الذي يأتيك برأس ابراهيم السمرقندي
 ابش تعطيه فقال له السلطان أعطيه ألف دينار فأخرج رأس السمرقندي من تحت
 برنسه وقال له هذمه رأس ابراهيم السمرقندي فلما تحقق السلطان ذلك دفع لذلك البدوي
 ألف دينار وكان ابراهيم السمرقندي أصله من المدينة الشريفة وطاف من بلاد العجم الى
 بلاد الروم وكان يعرف اللغة التركية فلما دخل الى مصر تحشرف في السلطان الغوري وصار
 من جملة أخصائه فلما جرى للغوري ماجرى وانكسر التف على سليم شاه بن عثمان وصار
 من أخصائه وقيل هو الذي حسن لابن عثمان أن يدخل مصر ويملكها ويقطع جادة

الجزء كسبة من مصر وأطعمه في ذلك حتى دخل مصر وكان السمرقندي من الظلمة
الكبار ولوعاش إلى أن ملك ابن عثمان مصر ما كان يحصل لاهلها منه خير قط وكان يرفع في
أعيان مصر أشد المرافعة فأراح الله تعالى منه الناس قاطبة وكفاهم شره وفي يوم الأربعاء
ثامن عشر ذي الحجة وردت الانخبار بأن جاليس عسكر ابن عثمان قد نزل ببركة الحاج
فاضطربت أحوال عسكر مصر واغلقوا باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب
البحر وباب القنطرة وغير ذلك من أبواب المدينة وغلقت الاسواق التي بالقاهرة وتعطلت
الطواحين وتشحط الدقيق والخبز من الاسواق ثم ان السلطان لما تحقق وصول عسكر ابن
عثمان إلى بركة الحاج زعق النفير بالوطاق فركب العسكر قاطبة وركب سائر الامراء
المقدمين والامراء الطبختانات والعشراوات وركب قاسم بك ابن عثمان فاجتمع من
الصناجق نحو ثلاثين صنيعة واجتمع من العساكر من أبواب الوطاق ومن المماليك
السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين ألف فارس ودقت الطبول والزمرور
حربا وصار السلطان طومان باي راكبا بنفسه وهو يرتب الامراء على قدر منازلهم وصف
العسكر من الجبل الاجر إلى غيط المطرية فاجتمع هناك الجمل الكثير من العسكر وكان
السلطان طومان باي له همة عالية ولو كان السلطان الغوري حيا ما كان يفعل بعض
ما فعله السلطان طومان باي لكن لم يعطه الله النصر على ابن عثمان ولم يقع في ذلك اليوم
بين الفريقين قتال ولم يبرز كل منهما إلى غيره ففقطعوا في ذلك اليوم بعض رؤس من
العثمانية وأرسلوا عاقوها على أبواب المدينة فلما كان يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة
وقعت فيه كائنة عظيمة تذهل عندها سمعها عقول أولى الالباب وتضل اهلها الا راء
عن الصواب وما ذاك الا أن السلطان طومان باي لما توجه إلى الريدانية ونصب بها الوطاق
حصن الوطاق بالمكاحل والمدافع وصف هناك طوارق وصنع عليها تساتير من خشب
وحفر خندقا من الجبل الاجر إلى غيط المطرية وقد تقدم القول على ذلك ثم ان السلطان
جعل خلف المكاحل نحو ألف رجل وجل وعليها زكائب فيها عليق وعلى أفتابها صنما جق
يض وجرت تخفق في الهواء وجع عدة أبقار بسبب جرم الجمل وظن أن القتال يطول بينه
وبين ابن عثمان أو أن الحصار يبقى مدة طويلة فجاء الامر بخلاف ذلك فلما نزل عسكر
ابن عثمان ببركة الحاج أقام بها يومين فلم يجسر السلطان طومان باي أن يتوجه اليهم ولو
توجه وقاتلهم هناك قبل أن يدخلوا الريدانية لكان عين الصواب فلما كان يوم الخميس
المقدم ذكره زحف عسكر ابن عثمان ووصل أوائله إلى الجبل الاجر فلما بلغ السلطان
طومان باي ذلك زعق النفير في الوطاق ونادى السلطان للعسكر بالخروج إلى قتال ابن
عثمان فركب الامراء المقدمون ودقوا الطبول حربا وركب العسكر قاطبة حتى سدوا

الفضاء وأقبل عسكر ابن عثمان كالجراد المنتشر وهم السواد الاعظم فتلاقى الجيشان في أوائل الريدانية فكان بين الفريقين واقعة مهولة يطول شرحها أعظم من الواقعة التي كانت في مرج دابق فقتل من العثمانية ما لا يحصى عددهم وقتل سنان باشا لالا ابن عثمان وكان أكبر وزرائه وقتل من أمراءه وعسكره جماعة كثيرة حتى صارت الجثث مرمية على الارض من سيل علان الى تربة الامير يشبك الدوادار ثم ان العثمانية تحايوا و جاؤا من كل ناحية أفواجا أفواجا كأنهم قطع الغمام ثم انقسموا فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة جاءت للعسكر عند الوطاق بالريدانية وطرشوههم بالبندق الرصاص وهجموا عليهم بهجمة منكرة فما كان غير قليل حتى قتل من عسكر مصر ما لا يعلمه الا الله تعالى وقتل من الامراء المقدمين جماعة كثيرة منهم أزبك المكحل وجرح الاتابكي سودون الدواداري جرحا بالغا وقيل انكسر نخذه فاخفى في غيط هنالك وجرح الأمير علان الدوادار فلم تكن الساعة يسيرة مقدار خمس عشرة درجة حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبرا وتمت عليهم الكسرة فثبت بهد الكسرة السلطان طومان باي نحو عشرين درجة وهو يتأمل بنفسه في نفر قليل من العبيد المائة والمماليك السليمانية فقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى فلما تكاثرت عليه العساكر العثمانية ورأى العسكر قد ذهب من حوله خاف على نفسه أن يقبضوا عليه فطوى الصنجب السلطاني وولى واخفى قيسل انه توجه نحو طرا وهذه ثالث كسرة وقعت لعسكر مصر وأما الفرقة العثمانية التي توجهت من تحت الجبل الاحمر فانزلت على الوطاق السلطاني وعلى وطاق الامراء والعسكر فنهبوا كل ما كان فيه من قاش وسلاح وخيول وجمال وأبقار وغنم ذلك ثم نهبوا المساحل التي كان نصبها السلطان هناك ونهبوا الطوارق والتساير الخشب والعربات التي تعب عليها السلطان وصرف عليها جملته من المال ولم يفد منه شيء ونهبوا البارود الذي كان هناك ولم يبقوا بالوطاق شيئا لا قليلا ولا كثيرا فكان ذلك مما جرت به المقادير والحكم لله العلي الكبير ثم ان جماعة من العثمانية لما هرب السلطان ونهبوا الوطاق ودخلوا القاهرة بالسيف عنوة وتوجه جماعة منهم الى المقشرة وأحرقوا بابها وأخرجوا من كان بها من المحاييس وكان بها جماعة من العثمانية سجنهم السلطان لما كان بالريدانية فاطلقوهم أجمعين وأطلقوا من كان في الديلم والرجبة والقاعة أجمعين ثم توجهوا الى بيت الامير خير بك المعمار أحد المقدمين فنهبوا ما فيه وكذلك بيت يونس الترجمان وكذلك بيوت جماعة من الامراء وأعيان المباشرين ومسائير الناس وصارت الزعر والغلمان ينهبون البيوت في حجة العثمانية فانطلق في أهل مصر جرة نار ثم دخل جماعة من العثمانية الى الطواحين وأخذوا ما فيها من البغال والا كاديش وأخذوا عدة جمال من جبال السقائين

وصارت العثمانية تنهب ما يلوح لهم من القماش وغير ذلك وصاروا يخططون بجماعة من الصيادين المرد والعبيد السود واستمر النهب عمالا في ذلك اليوم الى ما بعد المغرب ثم توجهوا الى شون القمح التي بمصر وبولاق ونهبوا ما فيها من الغلال حق المسلمين وهذه الحادثة التي وقعت لم تكن لاحد على بال وكان ذلك مما جرت به الاقدار في الازل وقتل في هذه المعركة ابن سوار بالريمانية ودفن على جده سوار في تربته التي تجاه يشبك الدوادر وقتل سنان باشا وزير ابن عثمان الاكبر وفي ذلك يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني

نبكى على مصر وسكانها • قد خربت أركانها العامرة
وأصبحت بالذل مقهورة * من بعدما كانت هي القاهرة

وفي يوم الاثنين سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة دخل أمير المؤمنين محمد المتوكل على الله القاهرة وصحبته وزراء ابن عثمان والجمالك كثير من العساكر العثمانية ودخل ملك الامراء خاير بك ودخل قاضي القضاة الشافعية كمال الدين الطويل والقاضي المالكي محيي الدين الدميري والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوح وكل هؤلاء كانوا في أسرا ابن عثمان من حين مات السلطان الغوري فلما دخل الخليفة من باب النصر شرق القاهرة وقدامه المشاعلية تنادى للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وان لا أحد من العسكر العثماني يشوش على أحد من الرعية وقد أغلق باب الظلم وفتح باب العدل وان كل من كان عنده مملوك يجر كسي ولا يغمر عليه وظهر عنده يشنق من غير معاودة والدعاء للملك المنظر سليم شاه بالنصر فخرج له الناس بالدعاء ولكن لم يلبثت أحد من العثمانية لهذه المناداة وصاروا ينهبون بيوت أولاد الناس حتى بيوت الربوع في حجة أنهم يفتشون على المماليك الجراكسة فاستمر النهب والهجم عمالا في بيوت الامراء والعسكر وأهل البلد ثلاثة أيام متوالية لا يترك خيلا ولا بغالا ولا قاشا ولا قليلا ولا كثيرا وما أبقوا في ذلك ممكنا ودخل في ذلك اليوم يونس العادلي وخشقدم الذي كان مشد الشون بمصر وكان قد هرب من الغوري الى البلاد العثمانية وهو الذي كان سببا لهذه الفتنة العظيمة وفي يوم الجمعة خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة وقد ترجم له بعض الخطباء في خطبته فقال وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المنظر سليم شاه اللهم انصره نصر عزيزا وافتح له فتحا بيننا يا مال الدنيا والآخرة يا رب العالمين انتهى ما أوردناه من حوادث سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وقد قلت في ذلك

نحتم العام بحرب وكدر * وجرى للناس غايات الضرر
وأناهم حادث من ربهم * كل هذا بقضاء وقدر

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فكان مستهل المحرم يوم السبت وفيه أرسل السلطان سليم شاه جماعة من الانكشارية وأوقفهم على أبواب المدينة يمنعون النهاية من نهب البيوت ولما انكسر عسكر مصر حول السلطان سليم شاه وطاقه من بركة الحاج ونصبه في الريدانية وشرعت العثمانية تقبض على المماليك الجرا كسة من التراب وفساق الموق ومن غيطان المطرية فاذا حضروهم بين يدي السلطان يأمر بضرب أعناقهم ثم ان بعض مشايخ العربان قبض على الاتابكي سودون الدواداري وأحضره بين يدي السلطان سليم شاه فلما حضروهم بين يديه وبجته بالكلام فوجدوه قد جرح وكسر فخذه وهو في حالة الاموات فلم تأخذه عليه شفقة بل أركبه على حمار وألبسه عمامة زرقاء وجرحه في وطاقه وقصد أن يشهره في القاهرة فبات وهو على ظهر الحمار وقيل خزاؤه بعد الموت وعلقوها في الوطاق وصار العثمانية يكبسون التراب ويقبضون على المماليك الجرا كسة منها وكل تربة وجد فيها مملوك يجر كسي خزاؤه ورأس من بالتربة التي وجدوه فيها من الجازيين وعلقوا رؤسهم في الوطاق فضررب في يوم واحد ثلثمائة وثلاثون رأسا من سكان الصحراء وقيل كان فيهم يابسة وأشرف فراحو ظالم الاذنبلهم وصاروا يكبسون الحارات والبيوت ويقبضون على المماليك الجرا كسة من اسطبلاتهم باليد ويتوجهون بهم الى الوطاق بالريدانية فيضربون أعناقهم هناك فلما كثرت رؤس القتلى بالريدانية نصبوا صواري وعليها جبال وعلقوا عليها رؤس من قتل من المماليك الجرا كسة وغيرهم حتى قيل قتل في هذه الواقعة بالريدانية فوق أربع مائة انسان ما بين چرا كسة وغلمان وعربان من الشرقية والغربية وصارت الجثث مرمية من سبيل علان الى تربة الاشرف قايتباي خافت منهم ثم الارض وصارت لاتعرف جثة الامير من جثة المملوك وهم أبدان بلا رؤس وأما من قتل من عسكر ابن عثمان في هذه الواقعة فلا يحصى عددهم ثم ان ابن عثمان أرسل خلف المقر الناصري محمد ابن السلطان الغوري فلما حضر ألبسه قفطانا من مخمل أنحضر مذهب وألبسه عمامة عثمانية وأعطاه ورقة بالامان له على نفسه ورسم له بأن يسكن في مدرسة أبيه التي أنشأها في الشرايشيين وأسكن الدفتر دار في بيته الذي في البندقانيين وهو أحد وزراء السلطان سليم شاه ثم توجه اليه الامير يوسف البدرى الوزير فأعطاه أمانا وألبسه قفطانا مخملا وأقره متحدثا على جهات الغربية وخلع على الامير فارس السميني قرازا وأقره كاشف المنية وغير ذلك من الجهات القبلية وخلع على الزيني بركات بن موسى وجعله متحدثا في الحسبة على أن يقرر بهما من يختاره وفي يوم الاحد ثاني المحرم أشيع أن السلطان سليم شاه نقل وطاقه من الريدانية ونصبه في بولاقي من تحت الرصيف الى آخر الجزيرة الوسطى وقد أحضر واليه مفااتيح قلعة الجبل فلم يلتفت الى

ذلك واختار الإقامة على شاطئ بحر النيل فلما كثرت العثمانية بالقاهرة صاروا يدورون في الحارات والازقة والاسواق وكل من رأوه من أولاد الناس لباساً زنياً حراً وتخفيفاً يقولون له أنت جركسي فيقطعون رأسه فلبس أولاد الناس كلهم عمامة حتى أولاد الامراء والسلاطين قاطبة وأبطالو البس التخفيف والزنوط من مصر وفي يوم الاثنين ثالث المحرم أوكب السلطان سليم شاه ودخل الى القاهرة من باب النصر وشق المدينة في موكب حافل وقدامه الجنائب المسومة الكثيرة العدد والعساكر المتراكمة ما بين مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع واسمعت سائر من المدينة حتى دخل من باب زويلة ثم خرج من تحت الربع وتوجه من هنالك الى بولاق ونزل بالوطاق الذي نصبه تحت الرصيف فلما شق من المدينة ارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة وقيل ان صفته دوى اللون حليق الذقن وافر الانف واسع العينين قصير القامة وعلى رأسه عمامة صغيرة وكان عنده خفة ورهج كثير التلفت اذ اركب الفرس وقيل انه كان له من العرحين ذال نحو أربعين سنة أو دون ذلك وليس له نظام يعرف مثل نظام الملوك السالفة وكان سي الخلق سفاكاً لدماء شديد الغضب لا يراجع في القول ولما شق من القاهرة كان قدامه الخليفة والقضاة الاربعة وجماعة من المبشرين الذين كانوا بمصر وكان ينادى كل يوم في القاهرة بالامان والاطمئنان والنهب عا ل من جماعته ولا يستمعون لمناداته وحصل للناس منه الضرر الشامل ومما أشيع عنه أنه قال في بعض مجالسه بين أخصائه وهو بالشام اذا دخلت الى مصر أحرق بيوتها قاطبة وألعب في أهلها بالسيف فقليل تلطف به الخليفة حتى رجع عن ذلك ولو فعل ذلك ما كان يجده من مانع يمنعه ولكن الله سلم والله غالب على أمره ولما زاد ضرر العثمانية في القاهرة صارت أعيان الناس والمبشرين يجعلون على أبوابهم جماعة من العثمانية يحفظون بيوتهم من النهب وصارت العثمانية يسكنون أولاد الناس من الطرقات ويقولون لهم أنتم جركسي فيشهدون الناس عندهم أنهم ما هم جركسي فيقولون لهم اشترؤا أنفسكم من القتل فيأخذون منهم بحسب ما يختارونه من المبلغ وصار أهل مصر تحت أسرهم ثم صار الزعر وعياق مضر يغزون العثمانية على حواصل الخوندات والستات فينهبون ما فيها من القماش الفاخر فانفتحت للعثمانية كنوز الارض بمصر من نهب قماش وسلاح وخيول وبغال وجوار وعبيد وغير ذلك من كل شيء جليل وظفر وياشما لم ينظفروا بها قط في بلادهم ولم يروها قبل ذلك ولا استأذهم الكبير ۞ ومن هنأ رجع الى تربة سايم شاه بن عثمان وذلك على سبيل الاختصار من أخباره بحسب ما يتيسر لي من ذلك على ما مشيت عليه طريقة التاريخ من مبتداه الى هذه الواقعة

ذكر سلطنة الملك المظفر سليم شاه ابن السلطان أبي يزيد

ابن السلطان محمد بن السلطان مراد خان ابن أبي يزيد المعروف بيلدرم ابن أرخان بن أردن ابن عثمان بن سليمان بن عثمان الكبير الشهيد بالغزاة بعد ان عاش تسعة وستين سنة وسليم شاه - ذاهو الشهير بابن عثمان من خلاصة ملوك الروم وهو الثامن والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثالث من ملوك الروم بمصر فان أول ملوك الروم بمصر اظا هرخشه قدم والثاني اظا هر ترميغا والثالث سليم خان ابن عثمان ملك القاهرة عنوة بقتل سيفه وقد حصل له سعد عظيم لم يحصل لآبائه ولا لاجداده من قبله وقد ساعدته الاقدار على بلوغ الاوطار فتصدى الى قتال شاه اسماعيل الصوفي سنة احدى وعشرين وتسعمائة فأنكسر منه الصوفي وقتل غالب عسكره واحتوى على أمواله وسلاحه من غير مانع وملك غالب بلاده التي بالعه - راقين ثم تصدى الى قتال الملك الاشرف قانصوه الغوري وتلاقى معه على مزيج دابق في رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فلم يحمل معه غير مدة يسيرة وانكسر ومات قهرا في وسط الحرب وملك سليم شاه مدينة حلب وقلعتها من غير محاصرة فلما ملك قلعة حلب أرسل اليها شخصاً من جماعته أعرج أعور وفي يده دبوس خشب وهو ماش على أقدمه فتسلم الاموال والسلاح التي كانت بها حتى قيل كان بها من الاموال السلطانية للغوري مائة ألف ألف دينار وثمانمائة ألف دينار خارجا عن السلاح والكنائش الذهب والسروج الذهب والبلور والعقيق والخلع التي بالطراز الذهب اليلبغاوى وغير ذلك من التحف الفاخرة فاحتوى على ذلك جميعه خارجا عن برك السلطان والامراء وأولادهم وبركة العساكر وخيولهم وبغالهم وبجالهم وخيامهم فاحتوى على ذلك جميعه ثم توجه الى الشام فلكها بالامان ثم نزل اليه اغات الشام بالامان فقتله وقتل معه نحو أربعين أميراً من أمراء الشام وملك قلعتها واحتوى على ما فيها من الاموال والسلاح والغلال والبارود وغير ذلك مما كان بها ثم خرج من الشام وقصد التوجه نحو الديار المصرية فتسلم طرابلس وصفد وغزة وبيت المقدس وجبل نابلس وعدة بلاد من تلك الجهات تسلم الكل بالامان من غير حرب ولا مانع ولم يتفق ذلك لاحد من الملوك قبله ثم توجه الى القاهرة فتلاقى مع الاشرف طومان باى على الريدانية فوقع بينهم قتال هين فلم يكن الا عشرين درجة وانكسر الاشرف طومان باى وولى مهزوما وقتل من العسكر ما لا يحصى عددهم وآخر الامر ملك مصر والقاهرة عنوة بقتلهم

سيفه (أقول) ومن عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه فاتح مصر سنة اثنتين وعشرين من الهجرة النبوية عنوة بقاتم سيفه لم يفتحها أحد من الملوك بعده عنوة سوى سليم شاه بن عثمان ولم يقع مثل ذلك الا بختنصر في قديم الزمان ومن هنا رجع الى أخبار ابن عثمان فانه لما نزل بالوطاق الذي نصبه في بولاق عند الرصيف أقام به الى يوم الثلاثاء رابع المحرم فلما كانت ليلة الاربعاء خامس الشهر بعد صلاة العشاء لم يشعر ابن عثمان الا وقد هجم عليه الاشرف طومان باى بالوطاق بمائة من العسكر واحتاط به فاضطربت أحوال ابن عثمان الى الغاية وظن أنه مأخوذ لا محالة وأشيع أنه هجم عليه بجمال محملة ساسا وأطلق فيها النار فاحترق بعض خيام من وطاق ابن عثمان وأوقع فيهم السيف تحت الليل فقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى عددهم واجتمع هناك الجمل الكثير من الزعر وعياق بولاق من التواتية وغيرهم وصاروا يرجون في الوطاق بالمقاليب وفيها الطجارة واستمر واعي ذلك الى أن طلع النهار فلا قامهم الامير علان الدوادار الكبير من الناصرية عند الميدان الكبير فاسعفهم وكان بين عسكر ابن عثمان وبين عسكر مصر هناك واقعة تشيب منها النواصي فلكوا منهم من رأس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب البحر والى قنطرة قديدار واستمر الحرب ثانيا بين الفريقين من طلوع الفجر الى ما بعد المغرب ثم أشيع أن العربان لما وقعت هذه الحركة تهبوا وطاق العثمانية الذي كان بالريديانية ثم ان المماليك الجراكسة صاروا يكبسون البيوت والحارات على العثمانية كما كانت العثمانية تكبس البيوت على الجراكسة ومثل ما تعمل شاة الحى في القرظ يعمل القرظ في جلدها فصاروا يدورون في الحارات وكل من يظفرون به من العثمانية يقطعون رأسه ويحضرونها بين يدي السلطان طومان باى وصار الطالب مطلوباً ولكن لم يتم لهم ذلك فلما كان يوم الخميس سادس المحرم اشتد القتال بين الفريقين ونادى السلطان طومان باى فى الناصرية وقناطر السباع للزعر والعياق بأن كل من قبض على عثمانى يأخذ عريه ويقطع رأسه ويحضرونها بين يدي السلطان ثم ان الاتراك العثمانية طردوا الاتراك من بولاق وجزيرة الفيل وملكوا هاهنا ثم ان الاتراك خرجوا وعقد قنطرة قديدار خوفا من العثمانية أن يهجموا عليهم ثم ان العثمانية هجموا على زاوية الشيخ عماد الدين التى بالناصرية وقبضوا على من بهامن المماليك الجراكسة وأحرقوا البيوت التى حول الزاوية ونهبوا القناديل والحصر التى فى الزاوية وقتلوا جماعة كثيرة من العوام وفيهم صفار وشيوخ لا ذنب لهم ثم ان العثمانية طردوا الاتراك عن الناصرية الى قناطر السباع ثم ان السلطان طومان باى نزل فى جامع شيخنا العري الذى بالصليبة وصار يركب بنفسه ويكر من الصليبة الى قناطر السباع فى نفر قليل من العسكر ثم رسم بحفر خندق فى رأس الصليبة وآخر عند قناطر السباع وآخر

عند راس الرميثة وآخر عند جامع ابن طولون وآخر عند حدة البقر ثم ان السلطان طومان باي رسم بحرق خان الخليلي فغلبه بعض الامراء من ذلك وأشيع أنه قسم العسكر الى أربع فرق فرقة الى جهة قناطر السباع وفرقة الى جهة الرميثة وفرقة الى جهة جامع ابن طولون وفرقة الى جهة باب زويلة فلم يقاتل من المماليك الجراكسة الا القليل وصاروا يختفون في الاصطبلات والزوايا خوفاً من القتال وقد دخل العرب في قلوبهم من العثمانية فما بقي يخرج منها ثم ان طائفة من العثمانية توجهوا من جهة مصر العتيقة وطلعوها من جهة باب القرافة وملكوا من باب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها فدخلوا الى ضريحها ودا سوا على قبرها وأخذوا قناديلها الفضة والشمع الذي كان عند قبرها وبسطوا الزاوية وأخذوا من مقامها شيئاً كثيراً وقتلوا أيضاً في مقامها مماليك جراكسة وغير ذلك من الناس الذين كانوا اجتمعوا بهم احياناً هربوا من المعركة ثم ان السلطان قصد ان يهدم قناطر السباع فهدم من عقدها بعض شيء ثم ان الاتراك سجنوا جماعة من العثمانية فهدموا وطلعوها الى ما آذن الجوامع فطلعوها مئذنة المؤيد وصاروا يرمون الناس بالبندق والرصاص ويعنعونهم من الدخول الى باب زويلة واستمروا على ذلك حتى طلع لهم الاتراك وقتلواهم في المئذنة أشرف قتلة ثم صارت القتلى من الاتراك والعثمانية أجسادهم مرمية من بولاقي الى قناطر السباع والى الرميثة والى تحت القلعة وفي الحارات والازقة وهم أبدان بلا رؤس هذا والعربان واقفة عند قنطرة الحاجب يعرفون الناس ويأخذون أثوابهم ويقتلونهم ويقتلون كل من يلوح لهم من العثمانية وغيرهم ولولا لطف الله تعالى لهجموا على الناس في القاهرة ونهبوا أسواقها ودورها ثم ان السلطان طومان باي نادى في القاهرة أن كل من أمسك أحداً من العثمانية وطلب منه الامان لا يقتله ويأتي به حياً ومن العجائب في هذه الواقعة أن السلطان طومان باي لما ظهر في هذه المرة بعد انهزامه في الريدانية خطب باسمه في القاهرة وكان في الجمعة الماضية خطب باسم سليم شاه بن عثمان فكان كما يقال في المعنى

لاتيئسن من فرج واطف * وقوة تظهر بعد ضعف

فاستمر السلطان طومان باي يرتفع أمره مع عسكر ابن عثمان ويقتل منهم في كل يوم ما لا يحصى من يوم الاربعاء الى طلوع شمس يوم السبت ثم ان المحرم فتكاسل العسكر عن القتال واختفوا في بيوتهم وتفرقت الامراء عنه كل واحد في ناحية واستمر السلطان طومان باي يقاتل في عسكر ابن عثمان وحده في تفرق قليل من العبيد والرماة وبعض مماليك سلطانية وبعض أمراء كالامير شاد بك الاعور وآخرين من الامراء العشراوات فلما ظهر له الغلب هرب ونوجه الى نحو بركة الحبش وكان قليل الحظ غير مسعود الحركات في أفعاله كما قيل في المعنى

قليل الحظ ليس له دواء * ولو كان المسيح له طيب

وهذه رابع كسرة وقعت لعسكر مصر مع ابن عثمان وقد غلت أيديهم - ثم عن القتال حتى نفذ القضاء والقدر وكان ذلك في الكتاب مسطورا ولما هرب السلطان طومان باي وقعت في القاهرة المصيبة العظمى التي لم يسمع بمثلا فمات تقدم من الزمان وهو انه لما هرب السلطان طومان باي صبيحة يوم السبت ثامن المحرم طفت العثمانية في الصليبة وأحرقوا جامع شيخوفا حترق سقف الايوان الكبير والقبة التي كانت به فعلا ذلك لكونه كان به وقت الحرب كما تقدم وأحرقوا البيوت التي حوله في درب ابن عزيز ثم قبضوا على الشرفي يحيى بن العداس خطيب الجامع وأحضروه بين يدي سليم شاه بن عثمان فهم بضرب عنقه فلما بلغ الخليفة ذلك ركب وأتى الى ابن عثمان وشفع في ابن العداس وخلصه من القتل ولولا أنه كان في أجله فسهة لضربوا عنقه في الحال وقاسى شدة من الطربة ثم ان العثمانية طفت في جميع الحارات والاماكن وحطوا غيظهم في العبيد والغلمان والعوام من الزعر وغيرهم واعبوا فيهم بالسيف وراح الصالح بالطالح وربعاء عوقب من لاذن له فصار جثثهم مرمية في الطرقات من باب زويلة الى الرميلة ومن الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان مقدار من قتل في هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة فوق العشرة آلاف انسان في مدة هذه الاربعة أيام ولولا لطف الله تعالى لغنى أهل مصر قاطبة بالسيف ثم ان العثمانية صارت تكبس على الممالك الجراكسة في البيوت والحارات فمن وجدوه منهم ضربوا عنقه وكذلك الجوامع الكبار والمدارس والزوايا فهجموا على الجامع الازهر وجامع الحسك وجامع ابن طولون وغيرها وقتلوا من وجدوه من الممالك الجراكسة فيها فقل قبضوا على نحو ثمانمائة مملوك ما بين امراء عشر اوات وخاصكية وممالك سلطانية فضر بوارقهم - ثم أجمعين بين يدي السلطان سليم وقيل ان المشاعلى الذى كان هناك افرنجي وقيل يهودى من الروم وكان اذا ضرب عنق أحد من الجراكسة يعزلهما وحدها وي عزل رؤس الغلمان والعربان وحدها ثم ينصب الجبان على الصواري ويعلق عليها تلك الرؤس في الوطاق الذى بالجزيرة الوسطى وكان المشاعلى اذا حزر رأس الممالك يرمى جثثهم في البحر وأخبرني من أثق به أنه شاهد جثة الامير قانصوه رجليه أحدها امرأ المقدمين الذى كان نائب قطيا وهى مرمية قدام سبيل السلطان والكلاب تنهش في مصاريه وشحم بطنه فانه كان رجلا جسيما وقتل في هذه الواقعة الامير بخشباى الذى كان قرره السلطان طومان باي أمير مجلس كما تقدم وقتل آخرون من الامراء الطب لخنانات والعشراوات والخاصكية وغير ذلك وصارت الجثث مرمية في الرميلة الى سوق الخيل ثم الى الخيميين وقد تناهشت

الكلاب أجسادهم ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط الا ما كان في زمن بختنصر
 البابلي لما أتى من بابل وزحف على البلاد بسكركه وأخربها وهدم بيت المقدس ثم دخل
 مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف انسان حتى أقامت مصر
 أربعة بن سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار فكان النيل يعلو ويهبط فلا يجدم من
 يزرع عليه الاراضى ولا ينتفع به لكن هذه الواقعة لها نحو ألف سنة وهي قبل ظهور عيسى بن
 مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هولاكو وهو المعروف بتتار لما زحف
 على بغداد وأخربها وأحرق بيوتها وقتل الخليفة المستعصم بالله واستمرت من بعد ذلك خرابا
 الى الآن فوقع لاهل مصر ما يقرب من ذلك وما زالت الايام تبدي العجائب فلما هرب
 السلطان طومانباي وقتل من قتل من الامراء والعسكر رجع السلطان سليم شاه الى
 وطاقه الذي في الجزيرة الوسطى ونصب في وطاقه صنجقين أحدهما أبيض والاخر أحمر
 وذلك اشارة عندهم لرفع السيف عن أهل المدينة هكذا عادتهم في بلادهم اذا ملكوا مدينة
 وفتحوها بالسيف عنوة وفي هذا الشهر توفي الشيخ شهاب الدين القسطلاني وكان علامة
 في الحديث وله شهرة طائلة بين الناس وكان لا بأس به وفي تلك الايام صار الخليفة المتوكل
 على الله هو صاحب الحل والعقد والامر والنهي بالديار المصرية وصارت اولاد السلاطين
 جالسة في دهليز بيته لا يعبر بهم مثل المقر العلاء على بن المؤيد أحمد وابن الظاهر خشمقدم
 وأولاد الملك المنصور عثمان وغير ذلك من اولاد الامراء وأعيان الناس من الرؤساء
 والمباشرين وجماعة من الامراء مثل قاضي بك رأس نوبة ثاني وسنبل مقدم الممالك وغير
 ذلك من الامراء في دهليز بيته لم يلتفت اليهم وصارون كدمية مضر وباع على غالب البيوت وكانت
 مراسلته ماشية في المدينة لا ترد وشفاعته كافية في كل أمر اشتد وصار هو في مقام سلطان
 مصر في نفوذ الكرامة وظهور العظمة في تلك الايام ودخل عليه من الناس أموال وتقادم
 عزيمة لم تصل لا بآئمه ولا أجداه وصارت الستات والخوندات مرمية في دهليز بيته
 لا يلتفت اليهن وصارت خوند ابنة الامير ابردى الدوادار زوجة السلطان طومانباي
 مقيمة في بيته وقد قرر عليها السلطان سليم شاه ما لا جزيل لا توردته الى الديوان فلا زال الخليفة
 يتلطف بالسلطان سليم شاه حتى حط عنها جانبها من المال الذي قرره عليها وحصل له من
 الستات والخوندات خدم جزيلة فطاش الخليفة في تلك الايام الى الغاية وظن أن هذا الحال
 يتم له وما علم أن القبان باآخه كما قيل في المعنى

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكي من عواقبها اللبيب

ومن الحوادث ان اولاد الرنكلوني الذين جرى لهم مع السلطان الغوري ما جرى ومات
 أبوه تحت الضرب وابن نور الدين المشالي الذي شنقه الغوري كما تقدم ذكره لما تغيرت الدول
 ودخل ابن عثمان الى القاهرة ونادى من كانت لظلامه يرفع أمره الى السلطان سليم ثار

أولاد الزنكافى وابن نور الدين المشالى على القاضى شمس الدين بن وحيش وقالوا له أنت كنت سبب الشنق نور الدين المشالى وضرب الزنكلونى وقصدوا أن يضوا به الى ابن عثمان ليقطع رأسه فترامى على الخليفة فى عمل المصلحة بينه وبين أولاد الزنكلونى وابن المشالى فتكلم الخليفة بينهم على أن ابن وحيش يدفع الى أولاد الزنكلونى ثلثمائة دينار و لابن المشالى مائتى دينار فأبوا من ذلك واستمرت دعوتهم باقية على شمس الدين بن وحيش الى أن يعرضوا ذلك على ابن عثمان وفى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم نادى السلطان سليم شاه بعد العصر فى القاهرة بأن الامراء المقدمين والامراء الاربعينيات والامراء العشر اوات الذين اختفوا بهـ والواقعة يظهر ون وعليهم أمان الله تعالى وقيل ان السلطان سليم شاه كتب للامراء عهدا وأمانا فى ورقة طويلة وعلقها المنادى على جريدة ونادى ايضا بأن الامراء المختفين يظهر ون ويتوجهون الى مدرسة السلطان الغورى وعليهم الامان فظهر الامير اركاس أمير سلاح والامير انسبى امير اخور كبير والامير عمر الحسى رأس نوبة النوب والامير طقطباى حاجب الحجاب والامير تانى بك الخازندار أحد المقدمين والامير تانى بك النجمى أحد المقدمين والامير قانصوه أبوسنة أحد المقدمين ومن الامراء الطب لخانات الامير مصر باى الاقرع والامير قافى بك رأس نوبة ثانى والامير شبك الفقيه دوا دار السلطان طومان باى وكان مختفيا فى الجامع الازهر فطلع بالامان وظهر من الامراء العشر اوات نحو أربعين أميرا وأكثر من ذلك وآخرون من الخاصـ كية فلما ظهر وا اجتمعوا فى المدرسة الغورية احتاط بهم جماعة من العثمانية ثم مضوا بهم الى الوطاق وأرادوا أن يخونوهم فلما قابلو السلطان سليم وبجهم بالكلام وبصق على وجههم وذكروا لهم ظلمهم وما كانوا يصنعون ثم رسم لهم بأن يطاعوا الى القلعة ويقبوا بها محتفظا بهم فطلعوا الى القلعة وفيه أشيع أن جان بردى الغزائى أرسل بطلب الامان من السلطان سليم شاه وقد وصل الى الخانكاه وصحبته جماعة من المماليك الجرا كسة الذين هربوا بعد الكسرة فأرسل له السلطان سليم شاه أمانا وفيه أشيع ان السلطان طومان باى لما هرب من الواقعة التى كانت بالصايبه ظهر بعد ذلك انه توجه الى البهنسا وأقام بها فلما ضجر من الذى قاساه من الحروب والشور أرسل القاضى عبد السلام قاضى البهنسا ليطالب له الخليفة الامان من السلطان سليم شاه وفيه أشيع ان العثمانية هجموا على مقام الامام الشافعى رضى الله عنه ونهبوا ما فيه من البسط والقناديل فى حجة المماليك الجرا كسة وكذلك مقام الليث بن سعد أيضا نهبوا ما فيه وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم دخل جان بردى الغزالى القاهرة وعلى رأسه منشور فيه أمان من السلطان سليم شاه فتوجه اليه وهو فى الوطاق وقابله هنالك وكان الغزالى لما انكسر السلطان طومان باى فى

الريدانية أشيع أنه هرب إلى عكة وقيل إلى غزة ومعه جماعة من المماليك الجرا كسة وكان
جان بردى الغزالي متواطئاً مع ابن عثمان في الباطن من أيام الغورى وكان سيال الكسرة
العسكرى مرج دابق هو وخاير بك نائب حلب وانهمز ما قبل العسكر وأشاعا الكسرة على
عسكر مصر وفي يوم الاربعاء تاسع عشر المحرم أشيع أن المماليك الذين ظهروا وصحبة
الغزالي رجعوا عليهم وقيل سجنوهم بالقلعة وكانوا نحو أربع مائة مملوك وقد ظهروا بالامان
من ابن عثمان فلما ظهروا قبض عليهم وغدربهم وكان من عادته يعطى الامان للامرأه
والمماليك ثم يغدربهم في الحال فكان لا يثق أحد منهم بالامان وفيه قرر السلطان سليم
شاه جماعة من أمراءه في الولايات على بعض البلاد منهم نائب غزة ومنهم كاشف المحلة
والشرقية والغربية فولى عدة كشف في أماكن مختلفة من البلاد وفي يوم الخميس عشرى
المحرم نادى السلطان سليم شاه في الصليبية وقناطر السباع بأن أصحاب الاملاك الذين في
الصليبية وجامع ابن طولون يخلون بيوتهم فان السلطان سليم شاه طالع إلى القلعة ليقسم
بها وصار يكرر المناداة في كل يوم بذلك فأخلى الناس بيوتهم فلما طالع إلى القلعة نادى للناس
بالامان والاطمئنان وكيف الامان وقد خرجت الناس من بيوتهم على وجوههم في أسوأ
الاحوال وانطلقت في قلوبهم حجرة نار وهجمت الطوائف العثمانية على الناس في بيوتهم
وأخرجوهم منها وسكنوا بها حتى صارت الحارات والازقة ما تنشق منهم وصاروا كالجراد
المنتشر من كثرتهم من الصليبية إلى جامع قوصون إلى قناطر السباع إلى داخل باب زويلة
وما خلا منهم موضع في المدينة وصارت الناس تسد أبوابها وتضييقها مثل الخوخ حتى
لا تدخل فيها الخيول ولم يقد ذلك شيئاً وهدموا ما بنوه وسكنوا بها ثم ان السلطان سليم شاه
طلع إلى القلعة في موكب حافل رجت له القاهرة وكان معه المماليك الذين طاعوا بالامان
وقيدوهم وأودعوهم في الوكالة التي خلف مدرسة السلطان الغورى وفي أوائل هذه السنة
كانت وفاة الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين ابراهيم بن أبي شريف المقدسى الشافعى
كان عالماً فاضلاً في مذهبه بارعاً في العلوم ورعاً زاهداً ولى قضاء الشافعية في أيام السلطان
الغورى فأقام بهم امدة وعزل عنها ثم قرره الغورى في مشيخة مدرسته وقاسى في أواخر عمره
شدائد ومحن من السلطان الغورى وأقام مدة طويلة وهو عليل حتى مات وعاش من العمر
فوق الثمانين سنة ولما أن مرض ثارت الحروب والفتن وتكاثرت الاحوال على الناس
بمصرفات ولم يشعربعوته أحد من الناس رحمة الله عليه وتوفى أيضاً البدرى حسن بن
الطولونى معلم المعلمين كان وكان رئيساً حشماً من أعيان أولاد الناس وكف بصرة قبل
موته بمدة طويلة وكان أنشأ له تاريخاً لضبط الوقائع وكان علامة في كل فن رحمة الله عليه
وفي يوم الثلاثاء خامس عشرى المحرم خلع السلطان على الشرفى يونس الاستاد ارقن طائفاً
من النخمل بالذهب وجعله متحدثاً على جهات بلاد الشرقية ليمسح البلاد ويكشف ما فيها

من اقطاعات الممالك الجراكسة وغير ذلك من الرزق والاقواف فأخذ قوائم من أولاد الجميع بمعنى ذلك ونزل الى الشرقية فما بقي من أبواب المظالم شيئاً حتى فعله بالشرقية وقرر نحر الدين بن عوض وبركات أخا شرف الدين الصغير متحدئين في جهات الغربية وقرر الزيني بركات بن موسى متحدئاً على جهات المحلة وقرر شرف الدين الصغير وأبا البقاناظر الاصطبل متحدئين في الجهات القبلية فأظهر كل منهم أنواعاً من المظالم في حق الناس بسبب الاقطاعات والرزق وأشيع أن السلطان سليم شاه أوقف أمر المناشير التي بيد أولاد الناس بسبب أقطاعاتهم فحصل لهم غاية الضرر بسبب ذلك وفي آخر هذا الشهر تشحطت الغلال وارتفع الخبز من الاسواق وسبب هذا الأمر ان العثمانية لما دخلوا القاهرة تنهبوا المغل الذي في الشون وأطعموه خيولهم - ثم حتى لم يبق في الشون شيء من الغلال ونهبوا القمح الذي كان بالطواحين واضطربت أحوال الناس قاطبة - ثم ان الاخبار تراءفت بأن طومان باي ظهر انه في الصعيد عند أولاد عمر ومنع المراكب من الدخول الى مصر بالغلال فموجب ذلك وقعت التشكيطه بمصر وأما السلطان سليم فانه لما طلع الى القلعة احتجب عن الناس ولم يظهر لاحد ولم يجلس على الدكة بالحوش السلطاني جلوساً عاماً ولم يفصل بين ظالم ومظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأسر وأخذ أموال بغير حق وكان هذا على غير القياس فانه كان أشيع العدل الرائد عن أولاد ابن عثمان وهم في بلادهم قبل أن يدخل سليم شاه الى مصر فلم يظهر لهذا الكلام نتيجة ولا مشى سليم شاه على قواعد السلاطين السالفة ولم يكن له نظام يعرف لاهو ولا وزرائه ولا أمرائهم ولا عسكره بل كانوا همجا لا يعرف الغلام من الاستاذ ولما أقام ابن عثمان بالقلعة ربطت العسكر الخيول في الحوش الى باب القلعة عند الايوان الكبير وباب الجامع الذي بالقلعة وصار روث الخيل هناك كأنه كيمان التراب على الأرض حتى سد الطريق وأخرب ابن عثمان غالب الاماكن التي بالقلعة وفكر خامها ونزل به في المراكب يتوجهون به الى القسطنطينية ولما أقام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرميلة من باب القرافة الى سوق الخيل ثم ان العثمانية نصبوا خيمة في وسط الرميلة وجعلوا فيها دنان بوزه وخيمة أخرى فيها جفان حشيش وخيمة أخرى فيها صبيان مردل اجل المحارفة كعادتهم في بلادهم وفي يوم الجمعة جاءت الاخبار من بلاد الصعيد بأن السلطان طومان باي قويت شوكته والتف عليه جماعة كثيرة من العربان واجتمع عنده من الامراء والعسكر الجرم الكثير وأشيع انه وصل اليه من نغرا الاسكندرية زردخان ما بين نشاب وقسي وبارود فلما تحقق السلطان سليم شاه ذلك أخذ حذرهم من الملك الاشرف طومان باي وصار على رأس أهل مصر طيرة مما جرى عليهم - ثم في الواقعة التي كانت بالصليبية فخشوا من مثل ذلك وفي صفر وكان مستهل يوم الاحد في يوم الثلاثاء ثالثه حضر العلاقي على ناظر الخواص وكان قد توجه الى نغرا الاسكندرية فلما حضر حضر صحبته

جماعة من المماليك الجراكسة كانوا هناك فأحضروهم في زناجير ثم أشيع بعد ذلك ان ناظر
 الخواص كان قد توجه الى ويقول لهم يا سبحان الله ان كنتم نسيتمونا فكن
 مانسينا كم وأرسل يعتب عليهم ويتحرش بهم ثم بعد ايام أشيع أن طومان باي أرسل يقول
 لابن عثمان ان كنت تروم أن أجعل الخطبة والسكة باسمك وأكون أنا نائباً عنك بمصر
 وأجعل اليك خراج مصر حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا من المال الذي أحله اليك في كل
 سنة فارحل عن مصر أنت وعسكرك الى الصالحية وصن دماء المسلمين بيننا ولا تدخل
 في خطيئة أهل مصر من كبار وصغار وشيوخ ونساء وان كنت ما ترضى بذلك اخرج ولا قيني
 في البر الحيرة ويعطى الله النصر لمن يشاء منا فلما وقف السلطان سليم شاه على مطالعة
 السلطان طومان باي أرسل خلف أمير المؤمنين والقضاة الاربعة وأحضروا جماعة من
 وزرائه وكتب بحضرتهم صورة حلف الى السلطان طومان باي وكتب ابن عثمان خطه
 عليهم او وقع الاتفاق في القلعة على ان الخليفة والقضاة الاربعة يتوجهون الى السلطان
 طومان باي بذلك الحلف على أيديهم ثم ان ابن عثمان خلع على القضاة الاربعة خلعة اسنية
 وقال لهم انزلوا في هذا الوقت واعملوا برفقكم حتى تتوجهوا الى طومان باي نحو الصعيد
 فنزلوا من القلعة على ذلك ثم ان الخليفة امتنع من التوجه الى السلطان طومان باي وقال
 انا أرسل دوا داري بردك الى طومان باي صحبة القضاة الاربعة وأشيع ان المطالعة التي
 أرسلها طومان باي الى ابن عثمان ذكر في ذيلها ولا تحسب أني أرسلت أسألك في أمر الصلح
 عن عجز فان معي ثلاثين أميراً مائة مائة ألف وأربعينيات وعشراوات ومعى من
 المماليك السلطانية والعربان نحو عشرين ألفاً وما أنا بعاجر عن قتال ولكن الصلح أصلح
 لصون دماء المسلمين ثم في عقب ذلك توجهت القضاة الاربعة وبردك دوا دار الخليفة الى
 السلطان طومان باي نحو الصعيد وفي هذه الايام قويت الاشاعات بان السلطان طومان باي
 جمع من العساكر والعربان ما لا يحصى عددهم وهو زاحف على ابن عثمان في البر الحيرة فكثير
 القيل والقال ووقع الاضطراب في القاهرة بسبب ذلك ثم أشيع ان الامير اعلان بن قراجا
 الدوادار الكبير قد توفي بالصعيد ودفن في بعض الضياع هناك وصلى عليه السلطان
 طومان باي والامراء الذين كانوا هناك وكان الامير اعلان جرح في الواقعة التي كانت
 بالريدانية واستمر عليه من ذلك الوقت حتى مات هناك وكان من خول الامراء واشجعهم
 والله غالب على أمره وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر تزايد فساد العربان بالشرقية وصاروا
 يقطعون الطريق على العثمانيه ويقتلونهم ويأخذون خيولهم ورجالهم وسلاحهم ونهبوا
 بلاد عبد الدائم بن أبي الشوارب وأحرقوها ونهبوا عدة بلاد من الشرقية منها قليبوب
 وقلعة شندة وغير ذلك من البلاد ووصلوا الى شبرى وصاروا يغدون من شبرى الى قنطرة

الحاجب فلما تزايد الامر أرسل اليهم السلطان سليم شاه تجريدة فيها من العسكر نحو ألف وخمسمائة عثماني وجعل عليهم مـ جان بردى الغزالي باشا فخرجوا من القاهرة على حية وتوجهوا الى الشرقية فاقاموا بها أياما فذهبت العربان من وجوههم وصعدوا الى الجبال فرجع العسكر ولم يلاقوهم وفي أثناء هذا الشهر وردت الاخبار من الصعيد بان القضاة الاربعة وبرديك دوا دار الخليفة وقاصدا بن عثمان مصلح الدين الذي كان أرسله معهم وجاعة من العثمانيين وصلوا الى قريب البهنسا فخرج عليهم جماعة من الجرا كسة فقتلوا العثمانية وهرب برديك دوا دار الخليفة حتى فجا من القتل ونهب جميع ماله من القماش وغيره وأشيع قتل قاضي البهنسا عبد السلام ونهبوا ما كان مع القضاة من البرك وماسلوا من القتل الابعـ مدجهد كبير فلما بلغ ابن عثمان ذلك اغتاض غيظا شديدا وتحقق ان السلطان طومان باي قد أبقى الصلح بعد أن أرسل يطلب الامان ثم ان ابن عثمان نقل وطاقه من الجزيرة الوسطى الى بركة الحبش وفي يوم السبت حادى عشرى صفر نزل السلطان سليم شاه من القلعة ومعه الجمل الكثير من العساكر ببركة الحبش وتوجهه المباشرون صحبته حتى القاضي كاتب السر وأخذ السقائين بحجم الهـم فضج الناس من العطش لأن السلطان ابن عثمان طلب جميع السقائين بحجم الهـم ورواياهم ليسافروا معه الى الصعيد بسبب السلطان طومان باي وان كان يهرب منه الى بلاد الزنج ويتبعه فوصل ثمن الراوية الماء أربعة انصاف وفي يوم السبت ثامن عشرى صفر أشيع ان أوائل عسكر السلطان طومان باي قد وصل الى ترسه بالقرب من الجزيرة فرسم ابن عثمان بعمل وحسات على شاطئ البحر بجهة طرا لاجل تعدية العسكر وكذلك فى بر مصر العتيقة وفى هذه الايام امتنع جلب البضائع التى كانت تدخل الى القاهرة من الجبن والسمن والاغنام وغير ذلك من البضائع التى كانت تجلب من الجزيرة ونواحيها وقلوب وشبرى وغير ذلك من البلاد واضطربت أحوال القاهرة جدا بسبب اقامة هذه الفتنة وفى ربيع الاول وكان مستهل يوم الثلاثاء أشيع ان جان بردى الغزالي لما خرج من بلاد الشرقية كبس على عدة بلاد منها حين وصل الى التل والزنكلون فنهب ما فيها من الابقار والاغنام والاوز والدجاج وأسرى النساء الفلاحين وأولادهم الصبيان والبنات وصاروا يبيعونهم فى القاهرة باجنس الاثمان كما فعل اقبردى الدوا دار فى الاحامدة وأولادهم فاشتري بعض الناس بتنا باربـع أشرفيات واعتهقها ووهبها الى أمها وقد رقى عليها ثم ان جان بردى الغزالي فعل فى الشرقية ما لم يفعله بختنصر لما دخل الى مصر ثم ان يونس باشا نادى فى القاهرة ان كل من اشترى شيئا من نهب بلاد الشرقية من الابقار والاغنام يردده على أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام الغزالي على فعله ذلك فى الشرقية لوما عنيقا وقد قيل فى المعنى ياد هـ ربيع رتب المعالى مسرعا * يبيع الهوان رجعت أم لم تـرج

قدّم وأخر من أردت من الوري * مات الذي قد كنت منه تستحي
 وفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول رسم السلطان سليم شاه باي الامراء الذين كانوا بالقلعة في
 الترسيم يحضرون بين يديه في الوطاق الذي في بركة الحبش فنزلوا بهم من القلعة شئ على بغال
 وشئ على حير وشئ مشاة وهم في جنازير وعليهم كبوره عتق وعلى رؤسهم كوا في بغير شاشات
 وقيل كان فيهم من الامراء المقدمين سبعة وهم ار كاس أمير سلاح وانسباي أمير اخور وعر
 رأس نوبة النوب وطقطباي حاجب الحجاب وثاني بك الخازن دار أحد الامراء المقدمين وثاني
 بك النجعي أحد الامراء المقدمين وقانصوه أبو سنة أحد الامراء المقدمين وأما الامراء
 الطبليخانات فهم ثاني بك رأس نوبة ثاني ومصرياى الاقرع والماس والى القاهرة وماماى
 الصغير المحتسب ويوسف الاشرى في الزرد كاش الثاني وآخرون من الامراء الطبليخانات لم
 تحضرني أسماؤهم الآن وأما الامراء العشر اوات بجماعة كثيرة لم تحضرني أسماؤهم
 فكان مجموع هؤلاء الامراء المقة دم ذكركهم أربعة وخسين أميراما بين مقدمى ألوف وغير
 ذلك فلما مثلوا بين يدي السلطان سليم شاه ونجهم بالكلام ثم أمر بضرب أعناقهم أجمعين
 فضرب أعناقهم في الوطاق الذي ببركة الحبش وذلك في يوم السبت خامس ربيع الأول
 وصارت أجسادهم مرمية على الارض تنهشهم الكلاب بالنهار والاضباع والذئاب بالليل
 وصارت المرأة من نساء الامراء المقدمين تبرطل المشاعلية بماله صورة حتى يمكنوها من
 نكاح لجنه زوجها فتحضر له تابوتا وجالين فيهم لموه من بركة الحبش الى المدينة فتغسله
 وتكفنه وتدفنه في تربته ان كان له تربة وتركت جثث البقية هناك مرمية تنهشها
 الكلاب وكانت هذه الكائنة من أعظم الكوائن في حق الامراء وقد ظهر وبالامان
 لابن عثمان ثم غدرهم وقتلهم فكان لا يثق أحده بالامان وليس له قول ولا فعل وقيل
 كان سبب قتل هؤلاء الامراء أن السلطان طومان باي لما قتل قاصدا ابن عثمان وجماعة
 من عسكره الذين توجهوا بحجة القضاة الاربعة لم يطلب طومان باي الامان من ابن عثمان
 فلما فعل ذلك طومان باي علم ابن عثمان أنه قد أبى من الصلح فقتل هؤلاء الامراء ظلما بعد
 أن أعطاهم الامان وكان ذلك من شدة غيظة وحنقه وقد قلت في هذه الواقعة

جل الذي أفنى عساكر مصرنا * من دولة أتراكها من بحر كس
 وأنت الينا دولة عوجا من * أولاد عثمان ذوى الفعل المسى
 قتلوا أكابرنا بابسرحية * علمت عليهم لايامهم القسى
 باليت شعري دولة الأتراك لاهل * تأتي كما كانت ونذكر مانسى
 ومن الحوادث أن السلطان سليم شاه لما قتل هؤلاء الامراء أرسل فقبض على نسائهم ورسم
 عليهم وأرسلهن الى بيت ناظر الخا ص وأشيع أنه يقصد مصادرتهن وقرر عليهم ما لا يوردنه

فاقن في بيت ناظر الخاص أياما ولم يورد من المال شيئا فنتهلوهن الى بيت الدفتر دار فقصد أن يعاقبن وقيل سجن منهن جماعة في الحجر حتى يوردن ما قرر عليهن من المال ورسم على مباشرى الامراء الذين قتلوا حتى يقيموا حساب اقطاعاتهم فاقاموا في الترسيم مدة وفي يوم الاحد سادس ربيع الاول عدى السلطان سليم الى براجيزة بسبب قتال الاشرف طومان باى وقد بلغه انه وصل الى المنوات ومعه من العربان والعسكريين والماليك الجراكسة الجمل الكثير فلما عدى الى براجيزة أقام بها الى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الاول فقتلوا على عسكر ابن عثمان وعسكر السلطان طومان باى على وردان وقيل على المنوات فكان بين الفريقين واقعة لم يسمع بمثلهما أعظم من الواقعة التي كانت بالريدانية وقيل كانت هذه الواقعة عند كوم الحمام وانكسر عسكر ابن عثمان فوق ماهرة وطردهم الاتراك الجراكسة حتى ألقوا أنفسهم في البحر وكانت الكسرة عليهم أولا وقتل منهم جماعة كثيرة ثم بعد ذلك نكثت العثمانية على الاتراك وطردهم الرماة بالبندق الرصاص فهزموهم هزيمة منكرة ووقعت الكسرة على الاتراك وولى السلطان طومان باى مهزوما فمات توجه الى قرية تسمى البوطة في أعلى تروجه وهذه خامس كسرة وقعت على عسكر مصر وكان السلطان طومان باى ليس له سعد في حركته كمارام أن ينتصر على ابن عثمان ينعكس كما يقال في المعنى اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر قطع رؤس الماليك الجراكسة وقطع رؤس جماعة كثيرة من العربان الذين كانوا مع السلطان طومان باى فلما اكتمل قطع الرؤس رسم ابن عثمان باحضار مراكب فلما حضرت وضعا فيها رؤس الذين قتلوا فلما عدوا الى بولاق صنعوا مدارى خشب وعلقوا عليها تلك الرؤس وحملت النواتية على أكتافهم ولاقتهم الطبول والزمرورونادوا في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة وشقوا بتلك الرؤس من البحر الى باب القنطرة وطلعوا بهم على سوق مرجوش وشقوا بهم من القاهرة وكان لهم يوم مشهود وقيل كان عدة الرؤس الذين قتلوا في هذه الواقعة ودخلوا القاهرة نحو ثمانمائة رأس ما بين أترالك وعربان وغير ذلك والذين قتلوا هنالك وألقوا بهم في البحر أكثر من ذلك وفي يوم الجمعة حادى عشر ربيع الاول كانت ليلة المولد النبوى فلم يشعريه أحد من الناس وبطل ما كان يعمل في ليلة المولد من اجتماع العلماء والقضاة الاربعة والامراء بالحوش السلطاني والاسمطة التي كانت تعمل في ذلك اليوم وما كان يعطى للقرابين والفقراء من الشقق والانعام في تلك الليلة فبطل ذلك جميعه وأشيع ان ابن عثمان لما طلع الى القلعة وعرضت عليه الخواصل التي بها رأى خيمة المولد فباعها للغاربة باربع مائة دينار فماتوا بها فباعوها للناس ستائروا وسفروا وكانت هذه الخيمة من جملة عجائب الدنيا لم يعمل مثلهما قط قيل ان مصر وفها

على الاشرف قايتباي ثلاثون ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكانت غاية في التجميل حين
تنصب ليله المولد الشريف وكانت كهيئة قاعة ولها أربعة لواوين وفوقها قبة بقريات
والكل من قماش وكان فيها تقاصيص غريبة وفصوص غريبة وصنائع لا يعمل إلا أن
مثلها أبدا وكانت اذا نصبت أيام المولد يحضرون بجماعة من النواتية نحو خمسمائة انسان
حتى ينصبوها في الحوش السلطاني وكانت من جملة شعائر المملكة السلطانية بالقاهرة
فابتيعت بأجنس الاثمان ولم يعرف ابن عثمان قيمتها وفقدتها المملوك من ذلك الوقت وهذه من
جملة مساويه التي فعلها بمصر وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما بلغه أن الدفتردار رسم
على نساء الامراء الذين قتلوا أنكر على الدفتردار ذلك وأمر بإطلاقهن من الترسيم وأمر أن
لا يأخذ أحد منهن شيئا ويترك لهن ما تآخر عليهن من المال فارتفعت له الاصوات بالدعاء
ولم يظهر لهذا الكلام نتيجة فيما بعد واستمرت المصادرات عمالة كما كانت بل ازدادت أضعافا
وفيه جاءت الاخبار من البهنسا بأن قاضي القضاة الحنفى حسام الدين محمود ابن قاضي
القضاة عبدا ابر بن الشحنة قد قتل هو وأخوه أبو بكر وكان السلطان سليم شاه أرسله مع
القضاة الثلاثة الى السلطان طومان باي بالبهنسا لما أرسل يطلب من ابن عثمان الامان
فكتب له أمانا وصورة حلف وأرسله على يد قاضي القضاة وأرسل محبتهم أميراً من أمرائه
وجاعة من العثمانية فلما وصلوا هناك لم يوافق السلطان طومان باي على الصلح ولم يمكنه
الامراء من ذلك وثاروا على جاعة ابن عثمان وقتلوه عن آخرهم وقتلوا عبدا السلام
قاضي البهنسا وقتلوا قاضي القضاة محمود بن الشحنة ويقال ان سبب قتله ان أخاه أبا بكر كان
عنده عترة وملاحة رقبة فلها اسماء الناس الموتر فزعوا أنه غمز على شخص من المماليك
الجزراكسة كان مختفيا في مكان فدل العثمانية عليه فهجموا على ذلك المملوك وقطعوا
رأسه فلما سافر قاضي القضاة محمود بن الشحنة الى السلطان طومان باي بسبب الامان
الذي أرسله اليه ابن عثمان سافر أبو بكر محبة أخيه محمود الى البهنسا فثارت الجزراكسة على
جاعة ابن عثمان فقتلوه هناك فكان للمملوك الذي قتل أخ هناك فغز به بعض المماليك على
أبي بكر وقالوا له هذا الذي غمز على أخيك حتى قطعوا رأسه فوثب ذلك المملوك على أبي بكر
وقطع رأسه هناك فتعصب له أخوه محمود بن الشحنة فوثبوا عليه فقطعوا رأسه أيضا ودفنا
هناك هذا ما أشيع واستفاض بين الناس من أمرهما ولما انتصر ابن عثمان على عسكر
مصر أقام في برج الجزيرة أياما وسار من هناك وتفرج على الاهرام وتعجب من بنائها وفي يوم
الاربعاء سادس عشر نادوا في القاهرة بإبطال الفلوس العتق وضربوا الناس فلو ساجدا
كل اثنين بدرهم وعليها اسم سليم شاه وكانت في غاية الخفة فتضرر الناس منها الى الغاية وفي
أثناء هذا الشهر كانت وفاة صاحبنا الناصري محمد الاشقر شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس

وكان أصيلاً عريقاً من ذوى البيوت وكان والده القاضي محب الدين الأشقر ولى تطارة الجيـش وكتابة السر بالديار المصرية وكان من أعيان الرؤساء رحمة الله عليه مات وله من العمر فوق الثمانين سنة وكان عنده لين جانب مع تواضع زائد وكان أسمر اللون جدا كانت أمه جارية حبشية مستولدة للأشقر ومن هنا ترجع إلى أخبار السلطان طومان باى فانه لما تلاقى مع عسكر ابن عثمان على المنوات وقيل بوردان انكسر عسكر السلطان طومان كما تقدم القول على ذلك فتوجه طومان باى إلى نخوت ووجه بالغبية منهزماً فلا لقاءه حسن ابن مرعى وشكر ابن أخيه مشايخ البحيرة في ضبيعة تسمى البوطة فزمعاً على السلطان طومان باى ليضيفاه وكان حسن بن مرعى بينه وبين السلطان طومان باى صداقة قديمة فركن له السلطان طومان باى ونزل عنده على سبيل الضيافة ثم ان السلطان طومان باى أحضر إلى حسن بن مرعى وشكره مصحفاً شريفاً وحلقه ما عليه أنه - ما لا يخوناه ولا يغدران به ولا يدلسان عليه بشئ من الأشياء ولا بسبب من أسباب المسك ولا يدلان عليه خلافه على المصحف سبعة أعيان بمعنى ذلك فطاب قلب السلطان طومان باى عند ذلك ونزل عندهما فلما استقر عندهما احتاطت به العربان من كل جانب وهو لا يدري بمحابه المتأذير تجري ثم انهم ما أرسلوا إلى السلطان سليم شاه أعلماه به فأرسل اليه جماعة من عسكره فقبضوا عليه ووضعوه في الحديد وتوجهوا به إلى ابن عثمان ولما رأى من كان مع السلطان طومان باى من الأمراء والعسكر أنهم قبضوا عليه تفرقوا من حوله وتشتتوا في البلاد وتمت الحيلة على السلطان طومان باى وخانه حسن بن مرعى بعد أن حلقه على المصحف الشريف وركن اليه وكان حسن بن مرعى من أعز أصحاب السلطان طومان باى وله عليه غاية الفضل والمساعدة من أيام السلطان الغورى وقام بمعاذته من المال مراراً فلم يذكر له من هذه الاخلاق شيئاً ولا أثر فيه الخير فكان كقيل في المعنى

لا تركزن إلى الخريف فهاؤه * مستوخم وهو أوه خطاف

يشى مع الأجسام مشى صديقها * ومن الصديق على الصديق يخاف

فلما أحضروا السلطان طومان باى بين يدي ابن عثمان وهو لا لبس مثل لبس العرب الهوارة وعلى رأسه زنت وعليه شاش وعلى بدنه ملوطة بأكام طوال فلما وقعت عين ابن عثمان عليه قام له ثم عاتبه ببعض كلمات فلما خرجوا به من قدامه توجهوا به إلى خيمة من الخيام فأقام بها واحتاطت به الانكشارية بالسيوف لاجل الحفظ به فأقام هناك أياماً وهو بوطاق ابن عثمان بيزانبايه وفيه وردت الاخبار إلى القاهرة بمسك السلطان طومان باى فصارت طائفة من الناس تكذب بمسكه وطائفة تصدق ذلك فأقام السلطان طومان باى في الوطاق عند ابن عثمان وهو في الحديد إلى يوم الاثنين حادى عشر ربيع الأول من تلك السنة وكان ذلك اليوم يوم الخميس وهو يوم فطر النصارى وعيدهم الا كبرفعدوا بالسلطان

طومان باي من برانبايه الى بولاق وطلعه وابنه من هالك وهو راكب على اكديش وهو في الحديد وعليه لبس العرب الهوارة كما تقدم وكانت مدة اقامته في الوطاق على تلك الحالة نحو سبعة عشر يوما واشيع أن ابن عثمان قد صدان يرسل طومان باي الى مكة ولا يقتله ثم بداله بعد ذلك ما سنذكره فلما علم ابن عثمان أن الناس لا تصدق بكسك طومان باي حنق من ذلك وعدي به الى بولاق فلما طلع الى بولاق وشق من المقس كان قد ادمه نحو أربع مائة عثمانى ورماة بالنش فطلع من جهة سوق مرجوش وشق من القاهرة فجعل يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل الى باب زويلة وهو لا يدري ما يفعل به فلما أتوا الى باب زويلة أنزلوه عن فرسه وأرخوا له الحبال ووقفت حوله العثمانية بالسيف مسلولة فلما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة وقال للناس الذين حوله اقرأوا الى الفاتحة ثلاث مرات ثم بسط يده وقرأ الفاتحة ثلاث مرات وقرأت الناس معه ثم قال للشاة على اعمل شغلك فلما وضعوا الخية في رقبتهم ورفعوا الحبل انقطع به فسقط على عتبة باب زويلة وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع على الارض ثم يعلقونه وهو مكشوف الرأس وعلى جسده شايه جوخ أحمر وفوقها ملوطة بيضاء بكلم كبار وفي رجله لباس من جوخ أزرق فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والاسف فانه كان شابا حسن الشكل كريم الاخلاق سنه نحو أربع وأربعين سنة وكان شجاعا بطلا تسمى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب بنفسه وقتك في عسكر ابن عثمان وقتل منهم ما لا يحصى وكسره ثم ثلاث مرات وهو في نفر قليل من عسكره ووقع منه في الحرب أمور لم تقع من الابطال العناترة وكان لما سافر عنه السلطان الغوري جعله نائب الغيبة عنه الى أن يحضر من حلب فساس الناس في غيبة السلطان أحسن سياسة وكانت الناس عنه راضية في غيبة السلطان وكانت القاهرة في تلك الايام في غاية الامن من المناسر والحريق وغير ذلك ولما مات السلطان الغوري عنه وتسلطن عوضه أبطل من المنظام أشياء كثيرة مما كان يعمل في أيام الغوري ولم يشوش على أحد من المباشرين في مدة سلطنته ولما وصل ابن عثمان الى الشام وقصد أن يخرج اليه قيل له ان الخزائن خالية من الاموال فقال له الامر اوجاعة المباشرين افعل كما فعل السلطان الغوري وخذ أجرة الاماكن التي بالقاهرة سبعة أشهر ونخذ من الرزق والاقطاعات خراج سنة فلم يسمع لهم شيئا وأبى من ذلك وقال ما أجعل هذا مسطرا في صحيفتي وكان ملكا جديلا قليل الاذى كثير الخير وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فانه تسلطن رابع عشر رمضان وانكسر وهرب تاسع عشر ذي الحجة وكان في هذه المدة في غاية التعب والنكد وقاسى شدة ائد ومحننا وحروبا وشروا وهجاءا وتشتت في البلدان وآخر الامر شنق على باب زويلة وأقام ثلاثة أيام

وهو معلق حتى فاحت رائحته وفي اليوم الثالث أنزلوه وأحضر واله تابوتاه ووضعوه فيه
وتوجهوا به الى مدرسة السلطان الغوري معه فغسلوه وكنفوه وصلوا عليه ودفنوه
في الحوش الذي خلف المدرسة ومضت دولته كأنهم لم تكن وقد قلت من أبيات
له في علي سلطان مصر كيف قد * ولما زال * كأنه ان يذكرا
شـنقوه ظلما فوق باب زويلة * ولقد أذاقوه الويل الاكبرا
يارب فاعف عن عظام جرمه * واجعل جنان الخلد رب له قري

وكان شقيق السلطان طومان باي من غايات سـعد السلطان سليم شاه بن عثمان ولم
يسمع بمثل هذه الواقعة فيماتة دم من الزمان أن سلطان مصر شـنق علي باب زويلة قط
ولم يعهد مثل هذا ومن عهد شاه سوار الذي كلبوه علي باب زويلة لم يعلق أحد
من له شهرة طائفة غير السلطان طومان باي ثم ان ابن عثمان لما شـنق طومان باي
صفاله الوقت وفعل به ذلك أمورا يأتي الكلام عليها ثم أخذ في أسباب
التوجه الى نحو بلاد القسطنطينية فأشيع أنه يجعل يونس باشا نائبا عنه بمصر ثم خلع
علي شخص من جماعته وقرره نائب غزة وخلع علي شخص آخر وقرره نائب القدس فخرجا
من القاهرة في أواخر هذا الشهر وقدامه ما طبلان وزمران وحنائب وخرجاني موكب
حافل وفي يوم الاربعاء ثالث عشر به صنع بهض النفطية الى السلطان نفطا وتوجه به
الى وطاقه بانبابه فأحرقوه قدامه بالوطاق ومن الحوادث المهمة انه قد أشيع أن السلطان
سليم شاه عول علي جماعة من أهل مصر من أعيانهم يرسلهم الى اسطنبول وفي يوم الجمعة
خامس عشر به أتى السلطان سليم شاه من وطاقه الذي في انبابه وعدى الى بولاق وتوجه الى
القاهرة وشق من باب الخرق ودخل من باب زويلة وتوجه من هنالك الى الجامع الازهر
وزينت له القاهرة فصلى بالازهر صلاة الجمعة وتصدق هناك بمبلغ له صورة ثم توجه الى
بولاق من الطريق التي أتى منها وكان في موكب حافل ثم بهد أيام أشيع أنه قد دخل الى حمام
الاستدار التي ببولاق فأتى من الرملة ولم يشق بولاق وكان أهل بولاق زينوا له السوق ولما
خرج من الحمام عاد من الطريق التي أتى منها وقيل انه أنعم علي الجماعي في ذلك اليوم بعشرين
دينارا وأعجبته حمام بولاق وشكرها ثم عاد الى الوطاق ثم ان جماعة من وزراء ابن عثمان
وأهل مشورته جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبون جماعة من القضاة والشهود
والمباشرين وأعيان تجار المغاربة وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطية وجماعة من
البيزارية والرسل وجماعة من السوق المتسبين في البضائع وطائفة من البنائين والتجارين
والمرجحين والمبطلين والحدادين وغير ذلك من أرباب الحرف حتى طلبوا جماعة من أعيان
اليهود فلما تكامل عرضهم في المدرسة الغورية عينوا جماعة منهم أن يسافروا الى اسطنبول

فكتبوا أسماءهم في قوائم وألزموا كل واحد منهم بأن يحضر له ضامننا يضمه فلما
أحضروا لهم الضمان أطلقوهم إلى حال سبيلهم ويأبى الكلام بعد ذلك في أمورهم وماتم
لهم في هذه الحركة وفي يوم الأحد سابع عشر به قبض الوالي على شخص من العثمانية
قيل أنه خطف امرأة من السوق وزني بها فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالي أن يقطع رأسه
فقطع رأسه في الحال وطاف بها في القاهرة وهي على رمح فظهر من ابن عثمان في ذلك اليوم
عدل عظيم لعل أن يعتبر بقية عسكره ويكفوا عن الأذى وفي أثناء ذلك الشهر وقع أن ابن
عثمان شرع في فك الرخام الذي بالقلعة في قاعة البيسرية والدهيشة وقاعة البحرة
والقصر الكبير وغير ذلك من أماكن بالقلعة وفك العواميد السماقية التي كانت في
الايوان الكبير قيل أنه قصد أن ينشئ له مدرسة في اسطنبول مثل مدرسة السلطان
الغوري فلم يتيسر له ذلك ثم صار يحيى بن بكار يركب ويأخذ معه جماعة من المرخين
فيهم جمون قاعات الناس ويأخذون ما فيه من الرخام السماقي والزرزوري الملقون فأخربوا
عدة قاعات من أوقاف المسلمين وبيوت الأمراء قاطبة حتى القاعات التي بيولا قاعات
الشهابي أجدناظر الجيش بن ناظر الخاص التي على بركة الرطبي وغير ذلك من قاعات
المباشرين والتجار وأبناء الناس والمدارس التي فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم
ووضعوا أيديهم عليها ولم يعرفوا الخلال من الحرام وفيه نادوا في القاهرة بإبطال الفلوس
العتق وضربوا للناس فلوسا جديدا خفافا جدا ففسد الناس الثلث ووقف حال الناس بسبب
ذلك فصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفلوس العتق وسعر بالفلوس الجديد وفيه
صاروا يقبضون على جماعة من مباشري الأمراء ويقولون لهم حاسبونا على خراج الأمراء
الذين قتلوا في المعركة وفي ربيع الثاني وكان مستهل يوم الأربعاء أشيع أنه قد حضر
قاصد من شاه اسمعيل الصوفي وعلى يده مطالعة لابن عثمان فلما قرأها تنكد وقصده أن
يقبض عليه فهرب ذلك القاصد من عند ابن عثمان وكان بالقياس فلما هرب
صاروا يكبسون بيوت مصر العتيقة وبيوت الروضة فلم يحصلوه لافي البرولا في البحر فحصل
لأهل مصر العتيقة غاية الضرر من كبس البيوت بسبب هروب هذا القاصد فدفن الناس
من يقول أنهم قبضوا عليه فيما بعد وقطعوا رأسه ومنهم من يقول أنهم لم يحصلوه واستمر
هاربا ومن الحوادث أن شخصا من التجار الأروام كان له دين على الزينى عبد القادر الملكي
وأخيه أبي بكر بن الملكي نحو خمسة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار فكان كلما
طالبها سوفابه ومطلاه وتماديا على ذلك مدة طويلة فشكاهما إلى الدقتر دار فأرسل خلفهما
فلما حضر الاعترفا لذلك التاجر بالقدر المذكور فأمرهما الدقتر دار بأن يدفع له ذلك
فقالا ما معننا شيء من المال ولكن يصبر حتى يبعث الله لنا بشيء من المال فتدفع له حقه

فقال لهم ما بقيت أصبر عليكم فنفق منهم الدفتردار وأمر بسجن عبد القادر وأخيه أبي بكر فسجنوا في سجن الديلم وأقام به أياما حتى سعى له ما الشهابي أحمد بن الجيعان وأطلقا من السجن ثم استرضوا ذلك التاجر حتى أفرج عنهما وفي أوائل هذا الشهر حضر قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي المالكي محيي الدين بن الدميري والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوح وكانوا توجهوا إلى نحو الهند سبب الأمان الذي توجهوا به من عند ابن عثمان إلى السلطان طومانباي ولم يقد توجه هؤلاء القضاة إليه شيئا ولما حضر هؤلاء القضاة أخبروا بصفة قتل قاضي القضاة حسام الدين محمود بن الشحنة الحنفي وأخيه أبي بكر وقد تقدم القول على سبب قتلهم ما ودفنا ههنا وفي يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى إلى المقياس وكان في ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد أن يغرق فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطأه إلى الروضة ومصر العتيقة ثم أمره طردوا السكان الذين بالروضة وبمصر العتيقة وسكنوا في دورهم فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام وكان وزراؤه يعدون إلى الروضة في كل يوم ويطلب العونه بالامور التي يقع لها في الناس من خير أو شر وفي يوم الثلاثاء سابعه توفيت ابنة الأمير يشبك بن مهدي أمير دودار وهي زوجة قانيباي أمير اخور كبير وقاست قبل موتها شدا ئد ومخنا وصوردت غير ما مرة من السلطان الغوري ومن ابن عثمان أيضا واستمرت مختلفة حتى ماتت وكانت من أعيان الستات في سعة من المال وكانت لابأس بها وفيه خلع السلطان على شخص من العلماء يقال له الشيخ شمس الدين بن يس الطرابلسي وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن محمود بن الشحنة بحكم قتله كما تقدم وفيه وقعت كائنة عظيمة لحوندا ابنة المقر ابردي الدودار وهي زوجة السلطان طومانباي وذلك انه كان عندها جارية بيضا مكرسية رقاصة فهربت من عندها وتوجهت إلى بعض وزراء ابن عثمان فعرفته بمكان حاصل سيدتها فتوجهوا إليه ونهوا كل ما كان فيه من بشاخين زركش وعنبر ومقاعد سمور ووشق وحياصات ذهب ولواؤو وجوهر مرصع وكوامل ذهب وغير ذلك من الامتعة الفاخرة وأواني بلور وأواني فضة ونحاس مكفت بالذهب وصيني موشى بلا زورد وغير ذلك فنقلوا جميع ما كان لها في الحاصل فذهب لها أشياء كثيرة بنحو خمسين ألف دينار وما قنع ابن عثمان بذلك فصادرها وقرر عليها وعلى والدتها بنت العلاق علي بن خاص بك عشرين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك القدر فحصل لها ولوالدتها الضرر الشديد وقاستا شدا ئد عظيمة ومخنا و بهدلة وتهديد بالقتل وما جرى عليها ما خير وفي يوم الجمعة سابع عشره رسم الدفتردار باخراج طائفة من اليهود ممن كان تعين إلى السفر إلى اسطنبول فخرجوا في ذلك اليوم جملة واحدة فنزلوا في المراكب وتوجهوا إلى نغر

الاسكندرية الى أن يعضوا الى اسطنبول فأخذوا نساءهم وأولادهم ومضوا وفي عقيب ذلك خرجت طائفة من البنائين والمهندسين والتجارين والحدادين والمرجين والمبطين وفيهم البعض من النصارى وطائفة من الفعلة وذلك بسبب المدرسة التي أراد ابن عثمان أن ينشئها باسطنبول مثل مدرسة السلطان الغوري وأشييع أنه أرسل طائفة من المغاربة أيضا تقسم باسطنبول وفي يوم السبت ثامن عشره خرج الى السفر لاسطنبول طائفة أخرى من نواب القضاة والشهود فمهم القاضى شمس الدين الحلبي أحد نواب الشافعية وقد قاسى من العثمانية غاية البهدة من الضرب والصك وأنزلوه المركب على رغم أنفه ومنهم الزينى زين الدين الشرقاوى أحد نواب الحنفية والقاضى شمس الدين بن جبال الدين الاتمى أحد نواب الشافعية والقاضى بدر الدين البلقينى نقيب قاضى القضاة الشافعية والقاضى شهاب الدين بن الهيثمى أحد نواب الحنابلة والشريف البردى الحنفى وآخرون من نواب القضاة الأربعة وخرج فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من تجار الشرب والوراقين منهم محمد المسكى الأسود ومن تجار الباسطية شهاب الدين الخطيب الاسمر ومن تجار خان الخليل وغيره وخرج يوسف الذى كان ناظرا لوقفه وخرج ابن شقيرة التاجر الذى يبرجوش ومن تجار الهرامزة وغير ذلك من التجار والاعيان من مشاهير الناس فهؤلاء خرجوا فى ذلك اليوم ثم تبعهم طائفة أخرى بأقى الكلام عليها وكانت هذه الواقعة من أبشع الوقائع المنكرة التى لم يقع لاهل مصر قط مثلها فيما تقدم من الزمان وهذه عبارة عن أسرار المسلمين ونفيهم الى اسطنبول وفي يوم الثلاثاء حادى عشرية أشييع بين الناس أن ابن عثمان كان فى اصبعه خاتم من الفضة وهو مرصود للقبالة وكان يتبرك به فسقط من اصبعه فى البحر وهو فى المقياس فتأسف عليه غاية الاسف وأحضر الغطاسين فغطوا عليه عدة مرار فلم يجدوه فى ذلك المكان ويقال ان هذا الخاتم كان فى ذخائر أجداد ابن عثمان حتى فقد منه وفى آخره هذا الشهر أرسل ابن عثمان يقول لأمير المؤمنين اعمل برقك حتى تسافر الى اسطنبول فلما تحقق الخليفة ذلك اضطربت أحواله وشرع فى عمل برقه وقال سافرت وأولادى معك خليل وصهرى محمد بن خاص بك فلما بلغهم ذلك تنكدوا وأجمعون وفيه نزل ابن عثمان بالرخام الذى فكه من القلعة فوضعه فى صندوق خشب ونزلوا به فى المراكب ليتوجهوا به الى اسطنبول ومن العجائب أن السلطان الغورى ظلم أولادناظر الخاص يوسف وأخذ رخام قاعته التى تسمى بنصف الدنيا وجعل ذلك الرخام فى قاعة اليسرى فسلط الله تعالى عليه بعد موته ابن عثمان ولم ينتفع به أحد من بعده والمجازاة من جنس العمل وقد خرج هذا الشهر على الناس وهم فى أمر مريب مما جرى عليهم من ابن عثمان ومن حين فتح عمرو بن العاص مصر لم يقع لاهلها شدة أعظم من هذه الشدة

وفي شهر جادى الاولى وكان مستهل يوم الجمعة ففي ذلك اليوم خرج المقر العلاءى على ابن
 الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال وكان تعين الى السفر الى اسطنبول فخرج في ذلك
 اليوم وخرج جماعة من الفقهاء وأعيان التجار مع تعين الى اسطنبول فذهب شمس الدين بن
 روق وكان القاضى بدر الدين بن الوقاد أحد نواب الخنفية تعين الى السفر الى اسطنبول فلما
 تحقق ذلك اختفى وحصل على نقيب الجيش من الدفتر دار ما لا خير فيه وبه دله وهم بضربه
 لانه كان ضامنه وفي يوم السبت ثانى الشهر عرض السلطان سليم شاه عسكره ببرالجيزة
 وعين منهم جماعة يسافرون صحبته الى نغرا الاسكندرية وأشيع سفره الى هناك وفي يوم
 الاثنين رابعه عدى ابن عثمان من المقياس الى بر مصر العتيقة وشق من جامع ابن طولون
 وطلع الى القلعة ثم عاد من يومه الى المقياس وأقام به ومن الحوادث أن شخصاً من نواب
 الشافعية قيل عنه انه زوج امرأة من نساء الاتراك لشخص من العثمانية فظهر أنهم لم تكمل
 عدة زوجها الذى مات فداس ذلك على القاضى الذى زوجها الى العثمانى فلما رفع أمرها
 الى ابن عثمان أحضر ذلك القاضى ولم يقبل له عذرا وبطحه وضربه ضرباً شديداً ثم كشف
 رأسه وألبسه عليها كرشاً من كروش البقر بروثه وركبته على حمار مقلوب وأشهره
 فى القاهرة وكان قبل ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن لأحد من قضاة مصر يعقد عقداً
 لعثمانى ولا يزوجه بأحد من نساء الاتراك وكذلك الشهود وخرج عليهم فى ذلك الى الغاية
 فلم يسمع له قضاة مصر شيئاً من ذلك وصاروا يزوجه من العثمانية بنساء الاتراك الذين قتلوا فى
 الحرب كما تقدم القول على ذلك وفي يوم الخميس سابع هذا الشهر نزل السلطان سليم شاه
 من المقياس فى مراكب هو وجماعة وقصد التوجه الى نغرا الاسكندرية وقيل كان معه
 من فرسان عسكره ألف فارس وتوجه به يونس باشا من البر على تروجه بعسكر آخر يلاقيه
 من هناك وفي يوم الثلاثاء ثانى عشر جادى الاولى خرج أمير المؤمنين المتوكل على الله
 قاصداً للسفر الى اسطنبول وخرج صحبته أولاد عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد
 وخرج صحبته الناصرى محمد بن العلائى على بن خاص بك سهر الخليفة وخرج الشرفى يونس
 ابن الاتابكى سودون العجى وآخرون من الأعيان فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك فى
 المراكب ليتوجهوا الى نغرا رشيد فحصل للناس على فقد أمير المؤمنين من مصر غاية الاسف
 وقالوا قد انقطعت الخلفاء من مصر وصارت باسطنبول وهذه من الحوادث المهولة ثم ان
 الخليفة عوم من بولاق الى رشيد ثم بعد ذلك وردت الاخبار بأن الخليفة مقيم بالمركب ببر
 بولاق الى يوم الثلاثاء تاسع عشره فعوم فى أثناء ذلك اليوم من بولاق وتوجه الى رشيد ثم بعد
 ذلك وردت الاخبار بأن الخليفة قد وصل الى نغرا رشيد وأقام به هو وجماعة من الذين سافروا
 ثم دخلوا الى نغرا اسكندرية ووجدوا الصهاريج التى بها مشحونة من الماء قبل ملاء كل

كراخسة أنصاف وذلك من كثرة الخلق الذين اجتمعوا هنالك ولا سيما لما دخل اليها عسكر
 ابن عثمان وأشيح أن السلطان سليم شاه لما دخل نغرا الاسكندرية رسم بان الجماعة الذين
 أتوا من مصر يستجئون في الخانات وفي أبراج الاسكندرية الى أن يتكاملوا ثم يسافرون
 دفعة واحدة فوضعوهم في الابراج ونساءهم في الخانات فقا سوا شقة عظيمة بسبب ذلك
 وخرج في عقيب ذلك مقدم المماليك سنبل وسافر الى اسطنبول ونائبه جوهر وقيل توجه
 سنبل الى بيت المقدس من بعد ذلك وفي يوم الجمعة ثاني عشرى جادى الاولى خرج الى
 اسقر الى اسطنبول الشهابي أحمد ناظر الجيش وابن الجمالى يوسف ناظر الخصاص وخرج
 صحبته بدر الدين وأخوه كمال الدين وخرج ناصر الدين العزى ويحيى بن الطنساوى موقع
 الدريخ وخرج جان بك دوادار طراباى وفي يوم الجمعة المقدم ذكره حضر السلطان سليم
 شاه من نغرا الاسكندرية فكانت مده غيبته في هذه السفرة خمسة عشر يوما ذهابا وايابا
 وقيل انه أقام بنغرا الاسكندرية ثلاثة ايام لاغير ودخل عليه من التقادم من مشايخ
 العربان بالغربية شئ كثير ما بين خيول وجمال وأبقار وغير ذلك فلما حضر رأى الى المقياس
 وشق من جهة الروضة بالمراكب فأنطلقت له النسوان من الطيقان بالزغاريت وفي يوم
 السبت ثالث عشر به عرض يونس باشا الذى قرر نائب السلطنة بمصر عسكر ابن عثمان
 ذلك اليوم وأشيح أن ابن عثمان قد طرقت له الاخبار الرديئة من عند الصوفى وأنه قد زحف
 على بلاده وملاك منها عدة بلاد وفي يوم الجمعة تاسع عشرى جادى الاولى خرج الى السفر
 الى اسطنبول الشيخ زين العابدين ابن قاضى القصاة الشيخ كمال الدين الشافعى الطويل
 ففكر عليه الاسف والحزن فانه كان محبب للناس وخرج زين الدين البتوفى ناظر المواريث
 أيضا وآخرون من مباشرى المواريث وخرج جماعة من الزرد كشية منهم يحيى بن
 يونس ومحمد العادلى المعروف بابن البدوية وزين الدين بن محمود الاغور وأحمد بن الهوارى
 وآخرون من صناع الزردخانه وخرج ابراهيم مقدم الدولة وخرج جماعة من مباشرى
 الخوشكانه وفي أثناء هذا الشهر توفى تقي الدين بن الطرينى كاتب الشعر بالشون
 السلطانية وكان لأبس به وفي يوم السبت سلخ هذا الشهر طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل
 المبارك وجاءت القاعدة عثمانية أذرع وستة عشر اصبعًا وكانت القاعدة فى العام المائى
 لما أخذ قاع النيل اثني عشر ذراعًا حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وفي جادى الآخرة
 وكان مستهل يوم الاحد فى ذلك اليوم كان أول المناداة على النيل المبارك فزاد ثلاثة أصابع
 وفى ذلك اليوم أشييع أن السلطان سليم شاه خلع على وزيره يونس باشا وقرره نائبًا عنه
 بمصر وأعمالها إذا سافر الى بلاده فلما تقر يونس باشا فى النيابة بمصر وأشييع سفر ابن
 عثمان فظهر جماعة كثيرة من المماليك الجراسكة وترىوا برى العثمانية ولبسوا

الطراطين والقفاطين الحرير وصاروا يخاطون العثمانية ويركبون معهم في الاسواق
يدخل النهار وفي يوم الاربعاء رابع هذا الشهر نادى السلطان في عسكره بان كل من
كان متزوجا من مصر باهراة يطلقها والا يشنق من غيره معاودة فمنهم من طلق زوجته
ومنهم من أبقاها في عصمته ومن الحوادث ان القاضى بدر الدين بن الوقاد لما تعين للسفر
الى اسطنبول وثمنه نقيب الجيش تخلص واختفى أياما فغمر عليه فقبضوا عليه من المكان
الذى كان به فلما أحضروه بين يدي الدفتر دارو بجسه بالكلام ويطحه على الارض وهم
بضربه حتى شفع فيه بعض الحاضرين وقاضى من البهدة والسب ما لا خير فيه وغرم
مالا له صورة وآخر الامر سافر الى اسطنبول والذي خاف منه قد وقع فيه وفي يوم الخميس
خامسه عدى السلطان سليم شاه من الروضة وطلع الى الرملة وعرض عسكره في
الميدان الذى تحت القلعة وعين منهم جماعة يقيمون بمصر صحبة يونس باشا وعين جماعة
يسافرون صحبته ورسم للشاة من عسكره بان يسافروا في البحر واستمر يعرض عسكره
ثلاثة أيام متواليه وفي ذلك اليوم خرج حريم ملك الامراء خاربك وحريم جان بردى
الغزالي للاقامة بحلب الى أن يأق السلطان هناك وقد قويت الاشاعات بسفر السلطان
عن قريب وفي يوم الجمعة سادس هذا الشهر خرج جماعة من المباشرين للسفر الى
اسطنبول منهم القاضى عبدالكريم أخو الشهابى أحمد بن الجيعان كاتب الخزائن
الشرينة وخرج الناصرى محمد بن القاضى صلاح الدين بن الجيعان كاتب الخزائن أيضا
وخرج الزينى عبدالقادر بن الملكى مستوفى ديوان الجيش وخرج شخص من أولاد
ابن البارزى يقال له بهاء الدين وخرج محمد المجولى مهتار السلطان الغورى بالطشختاناه
الشريفة وخرج عبدالباسط بن تقي الدين ناظر الزردخانه وولد زين الدين وخرج في
ذلك اليوم بعض نصارى من كتاب الخزينة وخرج كمال الدين بزدار الطرابية وخرج
فرج الدين البريدى رأس نوبة حاجب الحجاب وخرج فتح الدين بن خفيرة أحد كتاب الممالك
وخرج جماعة كثيرة من البزددارية والرسل وأرباب الصنائع من كل فن ممن تعين الى
اسطنبول وخرج الشهابى أحمد بن البدرى وحسن بن الطولونى معلم المعلمين وخرج يحيى
شكار دوداداروشى سوق الغزل بدر الدين وخرج ابراهيم مقدم الدولة وخرج جماعة كثيرة
غير هؤلاء في أوقات متفرقة ونزلوا في المراكب وتوجهوا الى نغرا الاسكندرية ومن هناك
يتوجهون الى اسطنبول وقيل ان عدة من خرج من أهل مصر الى اسطنبول ألف وثمانمائة
انسان وقيل دون ذلك وقيل ان السلطان سليم شاه لما أخذ من مصر هؤلاء الجماعة
أحضر غيرهم من اسطنبول يقيمون بمصر عوضا عن الذين خرجوا منها وقيل ان هذه عادة
عندهم اذا فتحو جهة أخذوا من أهلها جماعة يرضون الى بلادهم ويحضرون من بلادهم

جامعة يقيمون في تلك المدينة عوضا عن الجماعة الذين أخذوهم وفيه نادوا في القاهرة أن لا عبد ولا جارية ولا امرأة ولا صبي أمر يدخـرج إلى السوق حتى يخرج العسكر العثماني من مصر وذلك خوفا عليهم من الترك أن يخطفوه ويأسفروا بهم وفيه توجه السلطان سليم شاه إلى بئر البلسان التي بالمطرية وأضافه هناك الناصري محمد بن الرئيس شمس الدين القوصوني ومدله هنالك مدة حافلة وكذلك الشيخ دهر داش وانشرح ابن عثمان في ذلك اليوم إلى الغاية وغسل وجهه من مائها وأقام هنالك إلى ما بعد العصر ثم رجع إلى الوطاق ومن الحوادث في هذا الشهر أن الدفتردار ضيق على الناس أصحاب الاملاك بسبب أملاكهم ونذب الشرفي يونس نقيب الجيش إلى ضبط البيوت التي في القاهرة قاطبة فصار الناس يعرضون عليهم مكاتيبهم فالذي يكون من الاعيان يفرج له عن بيته ويواسي نقيب الجيش بشئ من الدراهم ويكتب على مكتوبه عرض والذي يكون جاريافي ملك الممالك الجراكسة ولم يظهر له أصحاب يكون ملكا لاسطان ويدخل إلى الذخيرة ويقرب من هذه الواقعة أن الدفتردار رسم لقاضي القضاة المنصل علاء الدين بن النقيب أن يتحدث على أوقاف الحرمين الشريفين قاطبة ورفع يد قاضي القضاة كمال الدين الطويل الشافعي من التحدث على أوقاف الحرمين الشريفين فكانت أصحاب الاوقاف يعرضون مكاتيبهم على قاضي القضاة علاء الدين ويكتب عليها عرض ثم يعضوا بها إلى الدفتردار فيخرج مراسيمهم بالأفراج عن ذلك فيقع عليهم كلفة للقاضي علاء الدين وكلفة لمراسيم الدفتردار وان لم يفعلوا ذلك ولم تخرج مراسيم الدفتردار بالأفراج عن جهات الاوقاف يضرع المبائرون والظلمة أيديهم على بلاد الاوقاف ويستخرجون منها الخراج ويروح ذلك على النظار وهذا من جملة مساوي ابن عثمان فيما فعله في أهل مصر من الانكاد والضرر الشامل لهم وفي يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة حضر الشرفي يونس النابلسي الاستادار وكان قد توجه إلى بلاد الشرقية بسبب جمع الخراج من بلاد المقطعين والأتراك والامراء الذين قتلوا في المعركة فسمع بلاد الشرقية قاطبة وحصل منه غاية الضرر وضيق على الناس في أراقاتهم من نساء ورجال ووضع يده على خراجهم بغير حق وما حصل لاحد منه خير فكان كما يقال في المعنى

مباشر في الوري لم تخف سيرته * بين الانام وما يخشى من الرب

تجوبه رجـله مما جنت يده * كأنه القط في خطف وفي هرب

وفي يوم الاحد خامس عشره حضر إلى الابواب الشريفة ابن السيد الشريف بركات أمير مكة وكان سبب حضوره أنه أتى ليهني ابن عثمان بمملكة مصر وأحضر صحبتته تقادم فآخرة وحضر صحبتته ببرد بن كسابي أحد الامراء العشر اوات الذي كان باش

المجاورين بمكة وحضر قرا كرا الذي كان محتسباً بمكة فلما حضر أشيع بين الناس أن
 حسين نائب جدة قد قتل على يد الرئيس سلمان العثماني وقيل انه أغرقه في البحر وكان
 حسين قد ظلم وجار على أهل مكة وجدة وجدة مظالم في أيام السلطان الغوري وكان من
 المفسدين في الارض فقتل كما تقدم وكان غير محب لاهل جدة ومكة ومن الحوادث أن
 النيل المبارك توقف في أثناء الزيادة واستمر في التوقف ستة أيام فقلق الناس لذلك وزاد سعر
 القمح وتشحطت سائر الغلال واضطربت الاحوال جدا ثم بعد ذلك زاد النيل المبارك اصبعها
 واحدا فسكن الحال قليلا وفي يوم الاثنين سادس عشره حضر جماعة من المباشرين
 الذين كانوا قد توجهوا الى الغربية والمنوفية والمحلة فحضر أبو البقاء ناظر الاسطبل وبركات
 أخو شرف الدين الصغير ويحيى بن الطنساوي وآخرون من المباشرين وفي يوم الثلاثاء
 سابع عشره أشيع أن يبردى باش المجاورين وقرا كرا المحتسب والمماليك الذين حضروا
 صحبتهم من مكة يريد قتلهم ابن عثمان فشفع فيهم ابن الشريف بركات من القتل فرسم أن
 يتوجهوا الى اسطنبول فخرجوا في ذلك ونزلوا في المراكب وتوجهوا الى نغرا الاسكندرية
 ومن هناك توجهوا الى اسطنبول وفي يوم الاربعاء ثامن عشره حضر الزيني بركات بن
 موسى المحتسب وحضر نخر الدين بن عوض وكانا في بعض جهات الغربية بسبب استخراج
 الخراج وعمارة الجسور التي هناك وفي يوم الخميس تاسع عشره توفيت ابنة السلطان
 طومانباي وكان لها من العمر نحو عشرين سنة وكان قد حصل لها طربة على أيها الماقتل
 وفي يوم الاحد ثاني عشره اضطربت احوال القاهرة وصارت الادراك تقف على أبواب
 المدينة ويمسكون الناس من رئيس ووضع ووضع في الحبال حتى من يلوح لهم من
 القضاة والشهود وما يعلم ما يصنع بهم فلما طلعوا بهم الى القلعة أسفرت هذه الواقعة عن أنهم
 جمعوا الناس ليسحبوا المساكين النحاس البكار التي كانت بالقلعة وينزلونها الى شاطئ
 البحر ثم يضعونها في المراكب ويضعوا بها الى اسطنبول وكان قبل ذلك بمدة نزلوا بالعامودين
 السماقي الذين قلعوهم من الايوان الذي بالقلعة فارتجت لهما الصليبة لما نزلوا بهم من
 القلعة وقاسى الناس في سحبهم ما غاية المشقة وحصل لهم من الضرب والصك
 وخطف العمائم والشدود ثم في عقيب ذلك نزلوا بالمسكاحل من القلعة وصاروا يربطون
 الرجال بالحبال في رقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو كانوا من أعيان
 الناس فحصل للناس بسبب ذلك ما لا يخفى وفي يوم الخميس سادس عشره رسم السلطان
 سليم شاه باحضار ألف رأس من الغنم ومائة جبل ومائة بقرة فلما حضرت بين يديه أمر أن
 تشرق قربانا على مجاورى الجوامع والمساجد والزوايا ومزارات الصالحين التي بالقرافة
 وغيرها من المزارات المشهورة حتى على أبواب ترب السلاطين المتقدمين ففرقوا ذلك جميعه

وصاروا يذبحون الغنم والبقر والجمال على أبواب الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على المجاورين الذين بها وقيل ان سبب ذلك ان لهم عادة في بلادهم اذا حلت الشمس في برج الاسد يفرقون هذا القربان على مجاورى الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على المجاورين الذين في بلادهم قاطبة ففعل مثل ذلك بمصر وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل في مركب وتوجه نحو الأناضول الشريف فقام عليه ريح عاصف فاقبلت به المركب في البحر فكاد أن يغرق وأغى عليه وما بقي من موته شيء وقيل انه كان سكرانا لا يعي فكان في أحله فسحة حتى عاش الى اليوم ☪ ومن الحوادث في هذا الشهر أن الخليفة لما سافر الى اسطنبول أخر جواعه نظره مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وكان ذلك في الخلفاء من قديم الزمان وكان من جلة تعظيمهم وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والزيت وكان يحصل لهم في كل يوم من الصندوق الذي تحت رأس السيدة نفيسة مبلغ له صورة من النذور التي كانت تدخل عليهم فخرج ذلك كله عنه وحصل للخليفة يعقوب والد المتوكل على الله غاية الضرر بسبب ذلك وشق عليه ذلك ولم يفده من ذلك شيء وفي أثناء هذا الشهر خرج الشرفي يحيى بن البرديني الذي كان ولي قضاء القضاة في دولة الاشرف طومان باي ولما رأى الأحوال مصطربة وبغضوا أعيان الناس الى اسطنبول سعى بماله صورة حتى قرر في مشيخة الحرم الشريف النبوي كما كان جاهين الجمال فخرج من هذا الشهر وسافر من البحر المالح وتوجه الى المدينة الشريفة من اليمن وكان من قديم الزمان لا يلى مشيخة الحرم الا الطواشية وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما كان بالمقياس أحضر في بعض الليالي خيال الظل فلما جلس للفرجة قيل ان الخيال صنع صفة باب زويلة وصفة السلطان طومان باي لما شق عليها وقطع به الحبل مرتين فانشرح ابن عثمان لذلك وأنعم على الخيال في تلك الليلة بثماتين ديناراً وخلع عليه فقطانا محججاً لامذهبها وقال له اذا سافرنا الى اسطنبول فامض معنا حتى يتفرج ابنى على ذلك وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه أنشأ له قصر من خشب بالمقياس فوق القصر الذي أنشاه السلطان الغورى فوق بسطة المقياس وصار يجلس به في اليوم الحمر وأحضر جماعة من التجارين والبنائين وشرع في بنائه حتى فرغ في أيسر مدة وقد قلت في ذلك

لوعلم الغورى أن قصره * يسكن للظفر المؤيد

أضرم فيه النار من يومه • ولم يدع في جدره جلد

وفي رجب وكان مسهله يوم الاثنين في يوم الاربعاء ثلثه توفي القاضي رضى الدين الحلبي الموقع وكان شابا حسن الشكل والهيئة وكان من أخصاء القاضي كاتب السر محمود

ابن أجاو كان من أعيان الموقعين وكان من جملة أصحاب نارحة الله عليه وكان له مدة
وهو متوعدك في جسده وكان تعين إلى سفر اسطنبول فرض عقيب ذلك فدخل انكشاري
من العثمانية فرآه مريضاً فقال له اخرج في هذا اليوم وسافر فقال له لا أستطيع القيام
فعله العثماني بالنطع الذي تحته وأراد أن يخرج من الباب فدخلوا عليه ودفعوا له سبع
أشرفيات حتى تركه ومضى فبات تلك الليلة من الرجفة التي حصلت له وفي يوم الخميس
رابعه خرج إلى السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة فتوجه إلى وطاقه الذي
بالريمانية فكان له موكب حافل وخلع عليه السلطان قفطاناً ساج مذهب وقدامه
الرماء بالنفط وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بالقاهرة وقد أشار عليه السلطان بأن
الحجازيين الذين بالقاهرة تخرج صحبته إلى اسطنبول وأشيع أن السلطان سليم شاه كتب
مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضاً عن الباشا الذي به لوجه له
هو المتصرف في أمر مكة قاطبة وأضاف له نظراً لحسبه بمكة أيضاً وأنصفه غاية الانصاف
وترايدت عظمة السيد بركات الشريف إلى الغاية وأكرم ولده غاية الاكرام وفيه ترفع
بجاعة من المباشرين مع بعضهم وانتبذ إلى عمل حسابهم الزيني بركات بن موسى والزمهم
بالعود إلى البلاد ثانياً ليغلقوا ما كان بقي عليهم من الخراج في البلاد فانهم كانوا أرسلوا خلفهم
بالاستعجال إلى سفر اسطنبول وفي أثناء هذا الشهر توفي القاضي ناصر الدين محمد بن العمري
موقع الأمير يشبك الدوادار وكان من المتمردين في الأرض ومن الحوادث أن الدقتر دار
أوقف المناشير التي في يد أولاد الناس بسبب اقطاعهم ولم يرض غيرة الاوقاف والرزق التي
بالمكاتب والمربعات الجيشية فقط فصل لأولاد الناس غاية الضرر بسبب ذلك ووضع
المباشرون أيديهم على خراجهم وراح عليهم الخراج في هذه السنة بين الفلاحين
والمباشرين وفي يوم الاربعاء عاشور رجب حضر شيخ العرب أجد بن بقر وقد أرسل إليه
ابن عثمان أماناً بالحضور فحضر وقابل يونس باشا وبقية الوزراء وكان له مدة وهو عاص في
وادي العباسة ومعه جماعة من المماليك الجراكسة وكان يحسن إليهم بالعليق وغير ذلك
من القوت وفي يوم السبت ثالث عشر رجب الموافق ثامن مسرى من شهر ربيع القبطية
أظلم الجو ظلمة شديدة وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى توحلت منه الأرض والأسواق
وكانت الشمس في برج الأسد فتعجب الناس غاية العجب من كون المطر جاء في غير أوانه
وكان قد بقي على ميعاد الوفاء أربعة وستون اصبعاً والنيل في قوة الزيادة فخشي الناس على
النيل من النقص وأشيع كسوف الشمس في ذلك اليوم وفي يوم الثلاثاء سادس
عشر تحول السلطان سليم شاه من المقياس وأتى إلى بيت الاشرف قايتباي الذي خلف جام
الفارقاني المطل على بركة الفيل فأقام به فتعجب الناس لذلك كيف ترك المقياس في ليالي

الوفاء وسكن في هذا المكان الذي بين الدروب فاختلف الناس في الاقوال بسبب ذلك ولم يعلم ما سبب تحوله من المقياس الى هذا المكان مع وجود كثرة رغبته في اقامته بالمقياس فلما سكن في ذلك المكان طفت عساكره في بيوت الناس التي حول الصليبة وأعمالها وطردها أصحابها منها وسكنوها فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفي يوم الخميس خامس عشرية طلع ابن عثمان الى القلعة ودخل الى الحمام الذي بها بالبحرة ثم رجع الى بيت الاشرف قايتباي فقبل اصطفت عساكره من الصليبة الى باب السلسلة ما بين مشاة وركاب وفيه وردت الاخبار من البحيرة بأن حسن بن مرعي محاصر مع الجويلي فارسل لهما السلطان تجريدًا الى البحيرة وعين به ألف عثمانى من عسكره ومن الحوادث المهولة أن النيل المبارك توقف ليالى الوفاء على اصبع واحد وكان مضى من مسرى ثمانية عشر يوما فاضطربت أحوال الديار المصرية بسبب ذلك ثم أشيع أن النيل قد نقص أربعة أصابع واستمر في ذلك التوقف ستة أيام وقدم مضى من مسرى احدى وعشرون يوما فاضطربت الاحوال بسبب ذلك ولولا خوف السوق من ابن عثمان لرفعوا الخبز من الاسواق وكادوا أن ينشؤا غلوة عظيمة وقد توقف النيل في هذه السنة مرتين ستة أيام في أيب وستة أيام في مسرى ولولا ان الله بعث الزيادة بعد ذلك لاكل الناس بعضهم بعضا وقال القائل في المعنى

لنطق النيل قال قولا * يشقى به غاية الشفاء

قد كثرا لجور فاعذروني * لما توقفت في الوفاء

فلما كان يوم السبت سابع عشرى رجب الموافق لثاني عشرى مسرى زاد الله في النيل المبارك اصبعًا واحدًا عن النقص الذي كان نقصه ثم في يوم الاحد ثالث عشرى مسرى القبطى الموافق لثامن عشرى رجب زاد النيل ما كان نقصه ووفي ستة عشر ذراعا واصبعًا من السابع عشر وكان النقص أربعة أصابع عن الوفاء فزاد النقص وأوفي وزاد اصبعًا من السابع عشر وذلك من فضل الله تعالى على عباده فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرى رجب الموافق لاربع عشرى مسرى فتح السد وجرى الماء في الخليج الحاكى والناصرى وقد قيل في المعنى

عجبت لنيل مصر حين وفي * على جور الانام العاديات

نخضنا في حديث النيل انكن * من جناء باوصاف الثرات

وكان الذي فتح السد في ذلك اليوم يونس باشا نائب السلطنة فلم يكن ليوم الوفاء بهجة مثل العادة وبطل ما كان يعمل في ذلك اليوم من الاسمطة التي كانت تصنع بالمقياس والجامع الحلوى ولشتمات الفساكهة التي كانت تفرق في ذلك اليوم فتزل يونس باشا في الحراسة

السلطانية وتوجه الى السد وفتحته على العادة ولكن أين الثريا من يد المتناول بالنسبة
لما كان يعمل يوم الوفاء بمصر ومن الحوادث أنه لم يدخل الماء الى بركة الرطلى سكنت
العثمانية في بيوت الجسر قاطبة وربطوا خيولهم في القواطين المظلة على البركة وأخذوا
الابواب والطيقان والدرابزانيات وأوقدوها في النار وكذلك بيوت المصطاحي وحكر الشامي
وسكنوا في بيوت الاكابر التي كانت على البركة قاطبة فامتنعت مراكب البياعين من
الدخول الى البركة وكذلك المتفرجين ومنعوا المتفرجين من الدخول الى الجسر وصاروا
يوشون على الناس بالعصى وأما الجزيرة الوسطى فانها خربت عن آخرها ولم يبق منها
الا الجدر ونقل أصحاب الاملاك سقوف البيوت والابواب والطيقان ولم يبقوا منها غير
الحيطان وأما بركة الازبكية فان التركمان نصبوا وطاقهم بها ومنعوا الماء من الدخول اليها
وأخربوا غالب بيوتها وأخذوا غالب ما فيها من الابواب والطيقان وغير ذلك من الاخشاب
وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر رجب أشيع أن حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة قد حضر
بالأمان وكان قد بقي له ادلال على ابن عثمان من حين تحيل على السلطان طومان باي
وقبض عليه فلما قابل ابن عثمان قبض عليه وسجنه بالبريج الذي بالقلعة وقبض على ابن صقر
وقبض على ابن أخي الجويلي وسجنهم بالبريج أيضا وكان شيخ العرب أحمد بن بقرأني لبقابل
ابن عثمان فلما رأى ما جرى على مشايخ العربان هؤلاء رجع بعد أن دخل القاهرة ومضى
الى الشرقية وقد شمت في حسن بن مرعي كل الناس فانه كان سببا لمسك السلطان
طومان باي حتى شتق والمجازاة من جنس العمل وفي آخر هذا الشهر توفي صاحبنا القاضي
أبو الفتح السراجي أحد نواب الخنفية رجة الله عليه وكان عالما فاضلا بارعا في النحو وكان
له شعر جيد وألف عدة كتب وكان من الافاضل في عصره عارفا بطريفة صنعة التوقيع
حسن العبارة وكان مجلسه بخط جامع ابن طولون وعاش من العمر ما قارب السبعين سنة
وكان حسن الهيئة وقلت

فوحوا على مصر لا امر قد جرى * من حادث عمت مصيبتة الوري
زالت عساكرها من الاتراك في * غمض العيون كأنها سنة الكرى
وأقنى اليها عسكر سيماء مو * خلق الذقون وليس طرطور يري
لا يعرف الاستاذ من علماته * وأميرهم بين الوري قد حقرا
جل الاله مصدقا عما حكى * في سورة الروم العظيمة أنخبرا
قدأ وعد الرحمن وعد اصادقا * أن ابن عثمان يلى وكذا جرى
ولامرب العرش سلطانا على * مصر وهذا الامر كان مقدرا
أين الملوك بمصر من ساداتها * مثل البدور تضي وكانت أنورا

يالهدف قلبي للوا كب كيف لم * تلقى بقلعتها الحزينة عسكرا
 لهفى على ذاك النظام وحسنه * ما كان فى الترتيب منه أنفرا
 لهفى على ضرب الكرات ولعبها * فى الحوش صارت فى الحضيض الى ورا
 لهفى على الشباب والرمح الذى * كانا مع الدبوس يكسر عتبرا
 لهفى على لبس الكلوة والقبيا * كانها التجميل من غير ازدرا
 لهفى على تلك التخافيف التى * كانت على الامراء ترهه ومنظرا
 لهفى على لبس الكراف بقندس * بطلت والغوا كل زنط أحجرا
 لهفى على المهـماز والخلف الذى * كانها راحـلـرب أصون للثرا
 لهفى على أعياد مصر كيف قد * أفنت تشاريفها ومتمـسـرا
 وكذا الكتايش التى قد زخرقت * كانت تشدخيولها عند السرى
 وكذا السروج المفرقات بلمعها * كانت كبرق أو كليل أقـسـرا
 لهفى على الابواب كيف تكسرت * وختل أمانها وصاحبها سرا
 لهفى على نهب القماش وبيعه * وبأبخس الاثمان صارت تشترى
 وأشيع بيع الخيمة العظمى التى * للولد النبوى أحسن ما يرى
 بيعت بأبخس قيمة عما حكى * يالهدف قلبي كم يزيد تحسرا
 لهفى على شيخو وجامعه الذى * قد كان للصلوات مجمع للورى
 درست معالمه بحرق صار من * بعد التزخرف والرياضة أغبرا
 لهفى على سوق الصليبة كيف قد * أختل حوائث به مما جرى
 لهفى على فك الرخام ونقله * من كل بيت كان زاه أزهررا
 زالت محاسن مصر من أشياء قد * كانت بهاترهو على كل القـسـرى
 لهفى على الامراء كيف تشنتوا * وختل منازلهم وعادت مقفرا
 لهفى على أترالك مصر اذ غدت * مكسورة وقلوبها لن تجبرا
 لهفى على الفرسان كيف تقطعت * أعناقهم بيد العدو اذا فترى
 صارت على الطرقات من أجسادهم * رهم حكى عيد الضحى الا كبرا
 لهفى على ذاك الحريم وهتكه * من بعد صون فى الحريم مخدرا
 وتيقت أطفال جند قد غسدت * أجسامهم نهش الكلاب على الثرا
 قتلوا باصغر بندق من شأنها * كالسم تجرى فى الجسوم ولا ترى
 لما تكبرت الجراكسة التى * كافوا بمصر أذلهم رب الورى
 لهفى على سلطان مصر كيف قد * ولى وزال كأنه لن يذكرا

شتقوه ظمأ فوق باب زويلة * ولقد أذاقوه الوبال الاكبيرا
 يارب فاعف عن عظام جرمه * واجعل جنان الخلد رب له قبرا
 يالهف قلبي للخليفة كيف قد * طردوه عن مصر بجور وافترا
 وأذيق من ذل السـؤال وفاقة الأيدي واتعاب بما قد أقهرا
 وكذا بنوعه قد أخرجوا * معه لاسطنبول وامتد السرا
 وكذلك أبناء الملوك تحيروا * عند الخروج ولم يراعوا الاوقرا
 وكذلك أعيان التجار وغيرهم * صارت دموعهم وبصرانهم
 لهفي على الشرع الشريف وحكمه * قد كان في زمن القضاة موقرا
 يالهف قلبي للشهود بمجالس * كانوا هم تقضي الحوائج للورى
 الله أكبر انما لمصيبة * وقعت بمصر ما الهام لـى يرى
 ولقد دوقت على نوار يخ مضت * لم يذكروا فيها بأعجب ماجرى
 لهفي على عيش بمصر قد خلت * أيامه كالعلم ولى مدبرا
 وأق من التـكدير ما لا يخبر * سمعت به أذن ولا عين ترى
 وتوقف النيل السعيد عن الوفا * في هذه الايام آخر ماجرى
 وتزايد الكرب العظيم لاجله * حتى وفا وبه المنادى بشرا
 قد كان هذا الانتقام بمصرنا * سبقت به الاقدار كان مقـدرا
 ياليت شعري بعد هذا كله * تنفى الهموم وترتجى فرجاترى
 يارب انا بالنبي المصطفى * والانبياء الصـكل سادات الورى
 نسألك كشفا لآمور بسرعة * واعف عن الاجرام عفوا واغثرا
 قد جاد لابن اياس شهـرقاله * لكن منه النظم يحكى جوهرنا
 ثم الصلاة على النبي محمد * والآل والاصحاب ممن بشرا
 ماماس غصن في الرياض وغردت * أطياره عند التسميم اذا سرا

وفي أول شعبان المكرم وكان مسـتله يوم الاربعاء أشيع ان شـيخ العرب
 أحمد بن بقر لما رأى أن السلطان سليم شاه قبض على حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة
 وسجنه بالبرج خاف على نفسه وخرج من القاهرة على حين غفلة وتوجه الى جهات
 الشرقية ولاقته العربان ولوث كاسل يوما واحدا القبض عليه ابن عثمان وسجنه كما
 قد فعل بحسن بن مرعى وفيه أشيع أن جماعة من العثمانية قتلوا أميرا من أمراء ابن
 عثمان وهونا ثم على فراشه وكان صاحب صنـجق ولم يعلم ما سبب ذلك وقيل قبضوا على من

فعل ذلك من العثمانية وشنق منهم جماعة من أجل ذلك وفيه أشيع أن السلطان
 سليم شاه بدله أن يعزل يونس باشا من نيابة السلطنة بمصر ويولي ملك الأمراء خير بك عوضا
 عنه لا أمر قد عتله ومن الحوادث أن ابن عثمان لما سكن في بيت الأشرف قايتباي المطل
 على بركة الفيل وجرى الماء في الخليج الحماكي أمر بسد الخليج من عند قنطرة عمر شاه
 حتى تلا بركة الفيل بسرعة وفي يوم الجمعة ثالث شعبان أشيع أن ابن عثمان قوى عزمه
 على العود إلى بلاده وخروجه من مصر فعين نخصا من أمرائه يقال له علي بك في ذلك اليوم
 وصحبته جماعة من العثمانية بسبب إصلاح الآبار في طريق غزة وتنظيف الطرقات من
 الوعر قبل خروج السلطان فلما تحقق عسكره أمر خروجه إلى السفر لاستنبول شرعوا
 في عمل برقههم ومشتري أزوادهم فارتجت لهم القاهرة بسبب ذلك وفي يوم السبت رابع
 شعبان وقعت حادثة مهولة وهو أن السلطان سليم شاه قبض على جماعة من عسكره نحو
 أربعة وعشرين إنسانا وقيل أكثر من ذلك فلما قبض عليهم رسم بشنق جماعة منهم في
 أماكن مختلفة وكلب منهم اثنين على باب زويلة واثنين على باب الصاغة واثنين بين القصرين
 والبقية عند جامع قوصون وشي في الصليبة وشي في قناطر السباع وأشيع أن سبب ذلك أن
 جماعة من الانكشارية قصدوا أن يقتلوا ابن عثمان لما كان بالمقياس فاستدرك أمره
 وتحول إلى بيت السلطان قايتباي الذي خلف جام الفارقاني وصار يقبض على من كان
 سببا لاشاعة قتله وفيه حضر الريس سلمان العثماني الذي كان قد توجه صحبة المراكب التي
 كان أرسلها السلطان الغوري إلى الهند وفيه أشيع أن الريس سلمان هو الذي أغرق
 حسين نائب جدة وكان بينهما مداومة من أيام الغوري فلما مات الغوري وظفر سلمان
 بحسين قتله على ما قيل ولما حضر الريس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان
 أسرهم من بحر الهند ممن كان يعث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون من
 هناك وأشيع أن الريس سلمان وحسين نائب جدة كانا فتحا عدة بلاد بالهند من بلاد الشيخ
 عامر وغنموا منها أموالا جزيلة لا تحصى هم والعسكر الذين توجهوا صحبتهما في أيام الغوري
 وهم من عسكر الطبقة الخامسة التي كان جدها الغوري في زمانه وفي يوم السبت حادي
 عشر شعبان كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطية وفيه أشيع أن ابن عثمان
 أرسل إلى خير بك الذي قرره في نيابة السلطنة صنجقا وتحقق الناس أنه نائب السلطنة
 عوضا عن يونس باشا وكان ابن عثمان قرره في نيابة السلطنة قبل ذلك وفيه عرض
 ابن عثمان عسكره بالميدان الذي تحت القلعة وهم لابسوا الرديات وفي أيديهم الرماح
 والأتراس وأشيع سفره أواخر الشهر إلى استنبول وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وقفت
 جماعة الوالي على أبواب المدينة وصاروا يقبضون على كل من يلوح لهم من العوام

وغيرهم فاذا قبضوا عليهم يضعونهم في الحبال وصاروا يقبضون على الناس من شطوط بولاق
 ومن شطوط مصر العتيقة وكذلك يقبضون على جمال السقائين بالروايا التي عليها فاضطربت
 أحوال الناس وغلقت الاسواق والدكاكين واختفت الناس في البيوت وكثر القيل والقال
 في ذلك فخن الناس من يقول انهم يقبضون عليهم بسبب انهم يسكنون الخيول الجنايب اذا
 سافرا بن عثمان ومنهم من يقول انهم يقبضون عليهم حتى يسافروا بهم الى اسطنبول
 في المراكب فحصل للناس الضرر الشامل بسبب هذا وأما سبب مسك جمال السقائين
 فانهم أشاعوا ان ابن عثمان اذا خرج يأخذ معه جمال السقائين بالروايا الى ان يصل الى غزة
 لا أجل عدم الماء في الطريق من هنا الى غزة فامتنعت السقاؤون من الخروج في هذه
 الايام وعز وجود الماء فضجت الناس لذلك وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام متوالية وفيه خرج
 الوالي الذي كان ابن عثمان قرره في ولاية القاهرة فخرج وبرز الى الريدانية الى ان يخرج ابن
 عثمان وفيه أشيع ان ابن عثمان اطلق الجماعة الذين كان قبض عليهم من العوام
 والفلاحين والسوقة وكان أشيع عنهم انهم يتوجهون بهم الى اسطنبول وكانوا لما
 قبضوا عليهم سجنوهم في أما كن متفرقة حتى يكون من أمرهم ما يكون ثم نادى في القاهرة
 بان لا أحد يشوش على أحد من العوام ولا من الفلاحين فسكن الاضطراب قليلا وفتحت
 الدكاكين في الاسواق ونجحت هذه الحركة قيل ان بعض وزراء ابن عثمان شفع عنده
 في اطلاق الناس الذين سجنوهم كما تقدم وفي يوم الجمعة سابع عشره توجه السلطان
 سليم شاه الى الجامع الازهر وصلى به الجمعة وتصدق في ذلك اليوم بمال له صورة ثم شق من
 القاهرة في موكب وكان ذلك آخر مواكب في القاهرة ثم رجع الى المكان الذي كان به وفي
 يوم الاثنين عشره عرض السلطان سليم شاه كسوة الكعبة الشريفة وكسوة
 ضريح النبي صلى الله عليه وسلم وكسوة ضريح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وصنع
 للمحمل الشريف كسوة وقد تباهى في كسوة الكعبة بخلاف العادة وتباهى في زركشة
 البرقع الى الغاية وكذلك في ثوب المحمل الشريف وما أبقى في ذلك ممكنا وفيه أطلق ملك الامراء
 خير بك نائب السلطنة جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة الذين كانوا في سجن الديلم
 فاطلقهم أجمعين وكانوا نحو أربعة وخمسين مملوكا وقد راج أمر المماليك الجراكسة
 قليلا وفي يوم الاربعاء ثاني عشره خرج القاضي محب الدين بن أجا كاتب السر الشريف
 وصاحب ديوان الانشاء فخرج هو ونساؤه وعياله وصهره الجالي يوسف بن الطحان
 فخرجت النساء في محائر وشقائف فلما خرج القاضي كاتب السر سكن في بيته الذي عند
 قنطرة سنقر الوزير يوسف البدرى وفي يوم الخميس ثالث عشره شعبان خرج وتوجه
 الى السفر سلطان مصر الملك المنصور سليم شاه بن عثمان فخرج من بيت السلطان قايتباي

الذي خاف حمام الفارقاني وشق من الصليبية وطلع الى الرميصة فخرج في موكب حافل
وقد امه ملك الامراء خير بك نائب حلب وجان بردى الغزالي نائب الشام وقدام العسكر
طبلان وزمران وعدة جنائب حربية وكان راكبا على بغلة صفراء عالية قيل انهم من بغال
السلطان الغوري كان يركبها في الاسفار وكان عليه قفطان مخمل أحمر وقد امه جماعة من
الوزراء منهم يونس باشا والد فتردار وبقية الوزراء والامراء والجمالكثير من عساكره ما بين
مشاة وركاب فطلع من جهة الصور ونزل من جهة تربة الاشرف قايتباي ووقف هناك وقرأ
سورة الفاتحة وأهداها اليه وكان قد امه جماعة كثيرة من الرماة بالنفوط المربعة ثم شق من
بين التربة الى تربة العادل التي بالقضاء واستمر على ذلك حتى نزل بالوطاق الذي نص به ببركة
الحاج ولوشق من القاهرة المكان يوما مشهودا ولكن خرج على حين غفلة فلم يشعر به أحد
من الناس ولما خرج من بين التربة قسم عسكره فرقتين فرقة مرت من تحت الجبل الاخر
وفرقة من تربة العادل ثم تلاقوا على بركة الحاج ولما وصل الى الوطاق لم ينزل به وتوجه على
ظهر الخاتمة فترز هناك ثم ان ابن عثمان لما رحل من مصر ترك به من عسكره من يقيم
بالقاهرة عند خير بك نحو خمسة آلاف فارس ومن الرماة بالبندق الرصاص نحو خمسمائة
رام وقرر من أمرائه شخصا يقال له خير الدين باشا وجعله نائب القلعة يقيم بها ولا ينزل
الى المدينة ومن العجائب ان مصر صارت نيابة بعد أن كان سلطان مصر أعظم السلاطين
في سائر البلاد قاطبة لانه خادم الحرمين الشريفين وحاوي ملك مصر الذي اقتضيه فرعون
الاعين حيث قال أليس لي ملك مصر وقد تباهى بملك مصر على سائر ممالك الدنيا ولكن
ابن عثمان هتك حريم مصر وما خرج منها حتى غنم أموالها وقتل أبطالها ويتم أطفالها
وأسر رجالها ويبدأ حوالها وأظهر أهوالها فلم يدخل اليها أحد من الخوارج ولا ملكها قاطب
أحد ولا جرى مثل ما جرى عليها من ابن عثمان الا ان كان في زمن يفتن مصر البابلي فقد جرى
عليها من ابن عثمان بعض ما جرى عليها من يفتن مصر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وأشيع ان ابن عثمان خرج من مصر ومعه ألف رجل محملة ما بين ذهب وفضة هذا خارجا عما
غنمه من التحف والسلاح والصيني والتحاس والمكفت والخيول والبغال والجمال وغير
ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر وأخذ منها من كل شيء أحسنه مما لم يفرح به أبأوه ولا أجداده
من قبله أبدا وكذلك ما غنمه وزرأوه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من
التهب ما لا يحصى وصار أقل ما فيهم أعظم من أمير مائة ومقدم ألف مما غنمه من مال
وسلاح وخيول وغير ذلك فمأر حلواء عن الديار المصرية الا والناس في غاية البلية وفي مدة
اقامة ابن عثمان بالقاهرة حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة
وتعطلت منها أصحابها ولم يعمل بها في أيامه بمصر وكانت مدة اقامة ابن عثمان بمصر ثمانية

أشهر الأيام - لائل ومدة استيلائه على مصر والبلاذ الشامية والحلبية من حين قتل الغوري واستيلائه على حلب إلى خروجه من مصر سنة وشهر واحد وهو مالك من الفرات إلى مصر إلى الشام ويخطب فيها باسمه وكذلك السكة على الذهب والفضة باسمه وكذلك ما حول العراق وقد وعده الله بذلك وفي مدة إقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوساً عاماً ولا رآه أحد ولا أنصف ظالم من مظلوم بل كان مشغولاً بلذته وسكره وإقامته في المقياس بين الصبيان المرد ويجعل الحكم لوزرائه بما يختارونه فكان ابن عثمان لا يظهر إلا عند سفك دماء الجراكسة وما كان له أمان إذا أعطاه أحد من الناس وأيس له قول ولا فعل وكلامه ناقض ومنقوض لا يثبت على قول واحد كقول الملوك وعاداتهم في أفعالهم وليس له سباط يعرف ولا نظام كعادة السلاطين في سباطهم كانت تجلس عليه الخاصة في كل يوم وأما عسكره فكانوا جميعاً عيونهم دنية ونفوسهم قذرة يأكلون الأكل وهم راكبون على خيولهم في الأسواق وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين يتجأهرون بشرب الخمر في الأسواق بين الناس ولما جاءهم شهر رمضان كان غالبهم لا يصوم ولا يصلي في الجامع ولا صلاة الجمعة الا قليلاً منهم ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة وليس لهم نظام يعرف لأهم ولا أمراءهم ولا وزراءهم وهم همج كالبهائم ولما خرج ابن عثمان من مصر رسم لابن السلطان الغوري بأن يسافر معه فبرز سنيحه وخرج وسافر صحبته وأشيع أن جان بردى الغزالي لما خرج مع ابن عثمان كان وعده بنبابة الشام بل قيل أنه ولاه نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة غزة ونيابة الرملة وبيت المقدس وجبل نابلس ولم يوله نيابة الشام فشق ذلك عليه ثم قرره في نيابة الشام وتوجه إليها صحبته وفي يوم السبت خامس عشرية نادى خير بك بأن المماليك الجراكسة تظهر وعليهم أمان الله تعالى فظهر منهم الجحش الكثير وهم في أسوأ حال في زى الفلاحين وعليهم زنوط قرع وبرد سود وقصان بكام بكار فاذا رأيهم أحد لا يفرق بينهم وبين الفلاحين وفيه وردت الاخبار بأن ابن عثمان قد وصل إلى بلبيس وحصل له توقع في جسده فأرسل إلى خير بك يطلب محفة فأرسل له خير بك محفة إلى بلبيس وفي يوم الاحد سادس عشرية شعبان طلع المقر السنيق ملك الامراء خير بك بن بلباي نائب السلطنة بالديار المصرية إلى قلعة الجبل فكان له موكب حافل وقدامه عدة جنائب بغواشي حراً صفراً وقدامه جماعة كثيرة من العثمانية مشاة يرمون بالنفط وقدامه الجحش الكثير من عسكر ابن عثمان فشق من الصليبية بعد طلوع الشمس وطلع إلى القلعة وأقام بها وصارت مصر نيابة بعد أن كانت سلطنة وتقلب الأحوال وكثرت الأقوال وقد قلت في خير بك لما تولى نيابة السلطنة شعراً وهو

مصر أضحت في سرور عندما * قد تولى للنيابة خير بك

فلسان الحال عنها قال * يا عمرى قد أتاني خير بك

فلما أقام خير بك بالقلعة أرسل خلف البنائين والتجارين والمبطلين ليرموا ما فسد من
أماكن القلعة ثم إن خير بك خلع على شخص من الأتراك يقال له كشبغا وقرره في ولاية
القاهرة وهو مملوكه وفيه خلع ملك الأمراء خير بك على جماعة من المباشرين وقرره في
وظائف سننية فخلع على القاضي ناظر الجيش علاء الدين ابن الامام وقرره كاتب السر
الشريف عوضا عن محمود بن أجا بكهم وتوجه الى السفر كما تقدم وقرره ناظر الجيش أيضا
عوضا عن الشهابي أحمد بن ناظر الخاص وأبقى علاء الدين في نظارة الخاص مضافا لما يده
من هذه الوظائف وقيل انه قرره في نظارة الكسوة الشريفة وجعله أمير ركب المحمل
أيضا فصار يده خمسة وظائف سننية فتضاعفت عظمتة فوق ما كان وخلع على الزيني
بركات بن موسى وقرره مدبر المملكة وناظر الحسبة الشريفة وناظر المارستان المنصوري
وناظر الذخيرة الشريفة وغير ذلك من الوظائف وتزايدت عظمتة واجتمعت الكلمة فيه
وصار عزيزا في مصر في هذه الفترة فتوجه الناس الى باب له قضاء حوائجهم وصار هو حاكم البلد
وقد قلت فيه

يا نجل موسى عدت بالبركات في * أعلى المراتب حيث كنت وأزيدا

قد كان قطعاً زال عنك ولم تزل * في السعد عمالا على رغم العدا

وخلع على الشهابي أحمد بن الجيعان وقرره نائب كاتب السر على عادته ورسم له بأن يتوجه
الى مكة من البحر المالح وكسوة الكعبة بصحبته وخلع على القاضي شرف الدين الصغير
وقرره متحدثا في ديوان الوزارة وخلع على الشرفي يونس النابلسي وقرره استادا للعالية
وصاحب الديوان المنرد وخلع على نحر الدين وأخيه شمس الدين كاتب الممالك وقررهما
في التحدث على جهات الذخيرة وخلع على عبد العظيم الصيرفي وقرره في استدارية
الشعير وغير ذلك من الوظائف فنزلوا من القلعة وهم بالقفاطين النجل عوضا عن الخلع فخلع
على هؤلاء الجماعة في يوم واحد وهذا أول تصرف خير بك في أحوال المملكة وفيه أشيع
أنه قد عقد لخيار بك على خوند مصر باي زوجة الظاهر قانصوه وفيه ظهر الزيني أبو بكر
ابن الملك وكان له مدة وهو مختلف فلما ظهر خلع عليه خير بك ففطانا فخلا وقرره في
استيفاء الجيش على عادته وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان حضر الامير قايتباي الذي
كان نائب الكرك وكان قد أرسله خير بك الى ابن عثمان بمطالعة من عنده لاجل أن جماعة
من عسكره الانكشارية ثاروا على خير بك وقالوا له رتب لنا جامكية كما كانت تأخذ الممالك
الجزا كسة واجعل لنا الجماو عليا مثل الجزا كسة فقال لهم حتى أرسل أستاذن أستاذكم
بذلك وأرسل الامير قايتباي نائب الكرك الى ابن عثمان بسبب ذلك فلما حضر ما علم

أحمد بما إذا أجاب ابن عثمان عن تلك المطالبة التي أرسلها بسبب جماعة الانكشارية كما تقدم فلما حضر قايقباي أشيع أن ابن عثمان لما دخل إلى الخطارة قطع رأس يونس باشا ولا يعلم ما سبب ذلك وكان يونس باشا أعظم وزرائه وكان لطيف الذات وعنده رقة حاشية بخلاف طبع الأتراك وكان قرره أولا في أن يكون نائبا عنه بمصر ثم رجع عن ذلك وقرر خير بك في النيابة وكان يونس باشا مقربا عند ابن عثمان إلى الغاية بخلاف بقية الوزراء ويقال إن يونس باشا هو الذي كان سببا لولاية سليم شاه على مملكة الروم دون أخوته فإزال يجتهد ويسعى حتى ولأه الروم ثم سار معه على ذلك حتى دخل إلى مصر وملكها ولكن سليم شاه ابن عثمان ليس له صاحب ولا صديق ولا أمان منه لاحد من وزرائه ولا من عسكره ومن طبعه الرجوع والخفة ويحب سفك الدماء ولو كان لولده ويقال أنه قتل أباه وأخوته لأجل مملكة الروم وآخر الأمر قتل يونس باشا لكونه صار له عليه يد قديمة وكان يونس باشا يظن أن سليم شاه يرعى له الولد القديم فكان كما قيل في المعنى

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمه

رب من ترجوه دفع الأذى * سوف ياتيك الأذى من قبله

فلما أشيع قتل يونس باشا اضطربت القاهرة وغلقت أبواب المدينة من بعد العصر وخشوا من هجمة العرب على المدينة ثم سكن ذلك الاضطراب قليلا وفي شهر رمضان كان أول يوم الخميس فلما كانت ليلة الرؤيا ركب الزينى بركات بن موسى المحتسب من المدرسة المنصورية وقد أمه القوائيس موقودة والمشاعل كذلك على العادة وكان له موكب حافل فلما كان صبيحة شهر رمضان خلع ملك الأمراء خير بك على القاضي شرف الدين الصغير وابن موسى قفطانين مجملين كما هي عادتهم في أول شهر رمضان ونادوا في القاهرة بأن لأحد يحق على الزينى بركات ابن موسى ناظر الحسبة الشريفة وفي يوم الخميس مستهل الشهر خاع ملك الأمراء خير بك على الأمير قايقباي الشهير بتائب الكرك وقرره في الدوارية وكانت شاغرة من حين مات الأمير علان الدوادار وفي يوم الخميس ثامن شهر رمضان طلعت إلى القلعة خوند مصر باي وقد تقدم القول بأن ملك الأمراء خير بك قد تزوج بها وطلعت إلى القلعة في ذلك اليوم قبل شروق الشمس وصحبتهان نساء كثيرة من نساء الأعيان وهن على حير المكارية وفي يوم الجمعة تاسع الشهر أشهروا في القاهرة أربع نسوة وهن على حير ووجوههن ملطخة بالسواد قيل أنهن كن يجتمعن عندهن الأجانب من الأتراك في شهر رمضان ويأتين إلهم بالنساء الأجنبيةات فغز عليهن وأمر خير بك باشاهن على تلك الحالة وفي يوم السبت عاشره ظهرا الأمير قانصوه العادل الذي كان كاشف الشرقية وقد أرسل إليه ملك الأمراء خير بك مندبل الأمان وصحبته جماعة من المعاليك الجراكسة فلما طلع إلى القلعة وقابل خير بك خلع عليه قفطانا مخملا ونزل

فسكن في بيت الامير قانصوه بركس الذي في حارة السقائين وأشيع ظهور جماعة من
الامراء العسراوات وفيه قابل شيخ العرب أحمد بن بقر وخلع عليه وعلى ولده بيرس
وقد التزم باصلاح جهات الشرقية ولم يتم ذلك واستمرت أحوال الشرقية في غاية الفساد من
عبد الدائم بن بقر واخوته وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان وكان أول يابه من الشهور
القبضية ثبت النيل المبارك على أربعة عشر اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً واستمر في ثبات الى
آخر أيام يابه وشرق غالب بلاد الصعيد وأكثر البلاد العالية التي لا تروى الا من عشرين
ذراعاً وكان نيلاً شحيحاً من أوله الى آخره وفيه ظهر أبو البقاء ناظر الاسطبل وكان محتفياً
فلما ظهر ألبسه خاير بك قفطاناً مخملاً وأقره على عادته متحدثاً على جهات الاسطبل الخاص
وفي يوم الاثنين المقدم ذكره عرض ملك الامراء خاير بك كسوة الكعبة الشريفة والبرقع
وكسوة مقام ابراهيم الخليل عليه السلام وكسوة شريح النبي صلى الله عليه وسلم وعدة
ستور من قبل ابن عثمان وقد تناهوا في زركشة البرقع ونسج كسوة الكعبة الى الغاية
بخلاف العادة فشقوا به من القاهرة وقدامهم هم الاعيان من المباشرين والجسم الكثير من
العساكر العثمانية ومن الرماة جماعة كثيرة يرمون بالنفوط وكان ذلك اليوم مشهوداً
فلما طلعوا الى القلعة عرضوا على خاير بك نائب السلطنة ثم رجعوا ثانياً من حيث جاؤا
وفي يوم الاربعاء رابع عشر رمضان نادى ملك الامراء خاير بك بان المماليك الجراكسة
الذين ظهروا بمصر يركبون الخيول ويشترون السلاح وكان قبل ذلك نادى في القاهرة
لتجار القبو بأنهم لا يبيعون على المماليك الجراكسة شيئاً من آلة السلاح فشق ذلك على
العثمانية ووقفوا لخاير بك في الخوش وكلهم وادوا معه ففتح باب الشر وقالوا له نحن
ما يكفينا هذا القدر الذي رتبته لنا وهو ثلاثة أنصاف في كل يوم وكل شيء في السوق غال
ثم قالوا له رتب لنا جوامك في كل شهر ألفين ولحماً وعليقاً وفرق علينا اقطاعات مثل ما كانت
المماليك الجراكسة وأغاثوا عليه في القول فقال لهم ليس لي هذا التصرف لاني انما
أنا نائب السلطنة وهذا لا يكون الا بأمر السلطان فهو الذي يفرق عليكم الاقطاعات
ويجعل لكم الجوامك واللحوم والعليق فلما سمعوا ذلك منه سبوه سباً قبيحاً وهموا بقتله
فقام ودخل البيت مسرعاً وأغلق عليه الباب دونهم فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب
بالقلعة وكادت أن تكون فتنة عظيمة وثاروا على خير الدين الذي جعله السلطان نائب
القلعة فأغلق باب القلعة واختفى ثم أشيع ان خاير بك أرسل الى ابن عثمان ساعياً يخبره
بما وقع من أمر هذه الحركة وعول خاير بك على رد الجواب عن ذلك وفي يوم الاحد ثامن
عشر رمضان نادوا في القاهرة بان المماليك الجراكسة الذين ظهروا يلبسون الزنوط
الحمر والملايط على عاداتهم ولا يتزويروا برى العثمانية ولا يخرجوا الى الطرقات وسب

ذلك انه أشيع أن جماعة من الجرا كسه يتزبون برى العثمانية ويخرجون الى الطرقات ويخطون عمام الناس وما يلوح لهم من البضائع وغيرها في حجة العثمانية فننادى خير بك تلك المناداة حتى تماز الجرا كسة من العثمانية ولم يفد ذلك شيأ وفي يوم الاثنين تاسع عشره خرج الشهابي أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرو مصلح الدين خازن دار ابن عثمان وصحبتهما كسوة الكعبة الشريفة وهي محزومة محملة على الجمال وأشيع أنهم ما يتوجهان به من البحر المالح الى جدة الى مكة المشرفة فكان لهم في القاهرة موكب حافل وكان ذلك اليوم مشهودا وخرج صحبتهما ألفا عثمانى وقدامهم طيلان وزمران ورماة بالنفط وركب قدامهما الامير قايتباي الدوادار الكبير وأعيان المباشرين فلما خرجوا من القاهرة رجعت لهم مصر فخرجوا من باب النصر وتوجهوا الى الوطاق بالريدانية وفي ذلك اليوم ثارت جماعة من العثمانية على الزيني بركات بن موسى المحتسب بسبب الفلوس الجدد فان ابن عثمان ضرب فلوسا جديدا وجعل فيها اسمه ورسم للسوقه ونادى لهم بأن يصرف كل ستة عشر جديدا بنصف فضة معاددة وكانت هذه الفلوس في غاية الخفة فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ووقف حالهم وغلقت الدكاكين فلما جرى ذلك نادى الزيني بركات بن موسى بأن النصف الفضة يصرف بأربعة وعشرين جديدا يعرف الدرهم الفلوس من الدرهمين في المعاملة فثارت العثمانية على ابن موسى وقالوا له هل مات السلطان سليم شاه بن عثمان حتى تبطل من مصر معاملته وهموا بضربه فننادى في ذلك اليوم بأن كل شيء على حاله من الفلوس كل ستة عشر جديدا بنصف فضة كما كان في الاول فأغلقت السوقه دكاكينهم ورفعوا البضائع ووقع في القاهرة بعض اضطراب وأشيع ان خير بك نائب السلطنة صنع من الخوازيق الحديد عدة وأنه بعد العيد يخوزق جماعة من السوقه على باب القاهرة فلما أشيع ذلك خافت السوقه وفتحت الدكاكين ومشوا صرف النصف بستة عشر جديدا كما كان في الاول وفي يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان نزل ملك الاهراء خير بك من القلعة وتوجه الى تربة العادل ليودع مصلح الدين والشهابي أحمد بن الجيعان فودعهم ما ورجع ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل وقدامه نحو ألفين من العثمانية وجماعة مشاة يرمون بالنفط فرجت له القاهرة في ذلك اليوم وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس فاطمبة وهذا أول مواكبه بالقاهرة من حين تولى نيابة السلطنة ثم في يوم الخميس ثاني عشرية نزل ملك الاهراء من القلعة ثانيا وتوجه الى باب الشعريه وزار الشيخ عبد القادر الدشوطي وجلس عنده ساعة فقبل ان الشيخ عبد القادر قال له استوصي بالرعية فانك تسئل عن ذلك يوم القيامة فبكى خير بك وقبل يده وخرج من عنده وعاد الى القلعة من

يومه وفي يوم السبت رابع عشر شهر رمضان ظهر الامير أرزمك الناشف أحد الامراء
المقدمين فلما طاع الى القلعة وقابل ملك الامراء خير بك ومنديل الامان على رأسه قام
له خير بك واعتنقه وأجاسه بين يديه وكان لما طاع الى القلعة لا يساري العرب وعليه زنط
وشاش وملوطة بأكام بكافألبسه خير بك فقطانا محلا بتماسيح وألبسه عامة عثمانية وكان
لما قابله معه ستة أنفار مابين أمراء عشراوات وخاصكية نخاع عليهم قفاطين مخملة ونزلوا
من القلعة الى أما كن عدت لهم وفي يوم الاربعاء ثامن عشر شهر رمضان ختم صحيح
البحاري بالقلعة وحضر ملك الامراء خير بك والقضاة الاربعة وجماعة من أعيان
العلماء والفقهاء وأعيان المباشرين فلما انقضى المجلس خلع خير بك على القضاة قفاطين
من جوخ أزرق بوجه صوف وفرق على الفقهاء والعلماء صرافيهادراهم وكان ختما حافلا
وشتان بين هذا الختم وما كان يعمل في ختم السلاطين الماضية في مثل هذا اليوم ولما سافر
سليم شاه بن عثمان وخرج من مصر اسمرت الخطبة والسكة عمالة في مصر باسمه فكان
سائر الخطباء يدعون في يوم الجمعة باسمه ويقولون وانصر اللهم السلطان الملك المنظر سليم
شاه وكذلك اسمه على الدناير والدرهم والفلوس الجدد ثم كان مستهل شوال يوم
السبت فطاع القضاة الاربعة وجماعة من أعيان المباشرين فخرج ملك الامراء خير بك
وصلى صلاة العيد بجامع القلعة ثم انه مد مئة حافلة لجماعة من العثمانية فنزلوا على ذلك
السماط مثل الصقورة فلم يبقوا منه غير العظام ولم يفضل لعلمان القلعة شئ وكان خير بك
ينظن أن الامراء الجراكسة الذين ظهر واوا الخاصكية يطلعون ويحضرون المدة فلم
يطاع له أحد من هؤلاء وخافوا ان تكون مكيدة أو حيلة وكان هذا اليوم لم يكن عيدا
بل كان في غاية الخلود في كل شئ وفي هذا العيد لم يخلع خير بك على أحد من قضاة القضاة
ولا على أحد من المباشرين قاطبة كما كانت العادة القديمة وفي يوم الثلاثاء حادي عشره
نزل ملك الامراء خير بك من القلعة وتوجه الى نحو البريم على سبيل التنزه ونصب له هناك
خياما وأراد أن يبيت على شاطئ البحر وأحضر جماعة من يعلقون السمك وقصد أن
ينشرح في ذلك اليوم هناك فصنع له السيد نقيب الاشراف مدة حافلة وأحضرها هناك
فخرج عليه اجماعة من العثمانية في أثناء الطريق فخطقوا ذلك الاكل من فوق رؤس الحمالين
فلما بلغ خير بك ذلك تنكد من العثمانية بسبب هذه الفعل ولم يكن له عند العثمانية حرمة
ولا وقار ولا مراعاة له في سائر الاحوال وفي ذلك اليوم فتح البريم بحضرة خير بك وأحضر
جماعة من الصيادين في مراكب ومعهم أسماك كثيرة فصارت القلايون تقلى من هذه
الاسماك وتطعم العسكر الذين بصحبته وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية وأقام هناك الى
ما بعد العصر ثم نزل في مركب وشق من جهة الروضة وطلع من بر مصر العتيقة الى القلعة

وفي ذلك اليوم أشيع أن السلطان سليم شاه بن عثمان أرسل مطالعة الى خير بك على يد ساع فكان من مضمونها انه وصل الى الشام ودخل اليها وزينت له لما دخلها ومن مضمون تلك المطالعة أن ابن عثمان أرسل يطلب من خير بك أربعين ألف أردب شعير وقيم يرسلها له في مراكب من البحر المالح الى الشام فالزم خير بك المباشرين بذلك فأخذوا في تجهيز ذلك وأرسله من البحر كجبرزالا مصر وفي أثناء هذا الشهر وردت الاخبار من عند الجماعة الذين خرجوا من مصر وتوجهوا الى اسطنبول بأن مر بك من المراكب التي توجهوا بها وقد غرقت في البحر المالح وغرق للناس فيها جملة مال وغرق فيها أربع مائة انسان وفيهم جماعة من الاعيان الذين خرجوا من مصر ولكن لم يثبت الى الآن أسماء من غرق فيها من الاعيان وقد أشيع انه كان فيها بيردي بن كسباي أحد الامراء العسراوات الذي كان باش المجاورين بمكة وحضر محبة ابن الشريف بركات أمير مكة وقد تقدم القول على ذلك وكان بتلك المركب قرا كز الجكي رأس نوبة عصا الذي كان محتسبا بمكة وكان بها نحو أربعين مملوكا وكانوا صحبة باش المجاورين وحضروا محبة ابن الشريف بركات أمير مكة وقد تقدم القول على ذلك وكان بتلك المركب محمد بن ابراهيم الشرايشي الذي كان ناظرا لاقواف المتعلقة بالزمامية في أيام السلطان الغوري وكان بها غير هؤلاء جماعة كثيرة من الناس فأشيع غرقهم أجمعين ولكن لم يتأكد القول بذلك الى الآن وأشيع غرق جماعة من البيزدارية الذين كانوا من مصر ليتوجهوا الى اسطنبول وأشيع أن الطاعون عمال باسطنبول وبها الوخم والغلاء وهذا ما أشيع والله أعلم بصحة ذلك وفي يوم السبت خامس عشر شوال حضر أمير من عند ابن عثمان من الشام يقال له الامير على قيل هو الذي كان واليا بالقاهرة لما كان بها ابن عثمان فخرج الامير قاي تبكاي الدواداري الى ملاقاته فدخل من باب النصر وحضر محبة جماعة كثيرة من العثمانية وجماعة من المماليك المتعلقة بملك الامراء خير بك الذين كانوا يجلب قيل انهم نحو ثلثمائة مملوك فأنزلوا هذا القاصد في بيت الاتاكي سودون الجعي الذي في قنطرة سنقر فلم تصح هذه الاشاعة وأنزلوه في مكان غير ذلك المكان الذي ذكره فأخبر هذا القاصد بان ابن عثمان دخل الى الشام وهو مقيم بها وقيل انه يشقى هناك وان أهل الشام في غاية الضنك والشدة من عسكره لانهم طردوهم عن بيوتهم وسكنوا بها وحصل منهم لاهل الشام الضرر الشامل أكثر مما حصل لاهل مصر وأخبر أن الغلاء بالشام حتى بلغ من العليقة الواحدة ستة انصاف ولا توجدوا خلت الاقوال في محي هذا القاصد في الناس من يقول جاء بسبب استعجال هذا المغل الذي أرسل يطلبه ابن عثمان ومن الناس من يقول ان ابن عثمان ولاه نيابة الاسكندرية وقيل جاء بسبب غير ذلك والاقوال في ذلك كثيرة وفي يوم الاحد سادس عشره نزل ملك الامراء خير بك من القلعة وتوجه

الى منشية المهراني بسبب وسق المراكب بالمغل الذي أرسل يطلبه ابن عثمان فقبل جهرز
من المغل نحو ثلاثين ألفا ردب قحا وشعيرا وقيل أكثر من ذلك وفي يوم الاثنين سابع
عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في موكب حافل وكان أمير ركب المحمل في تلك
السنة القاضي علاء الدين بن الامام ناظر الخاص الذي قرر في كتابة السر كما تقدم وقد خرج
الحاج في هذه السنة ركبا واحدا الاول والمحمل معا وكان الحاج في هذه السنة قليلا جدا
خوفا من فساد العربان في الطريق لانه في السنة الماضية في دولة الاشرف طومان باي
لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يحج فيها من أهل مصر أحد ولما خرج القاضي ناظر الخاص
طلب طلبا حرييا شتم على أربعة نوب هجن باكوار محمل وبعض خيول جنائب عليها
بركستوانات فولاذ وكنائش زركش وثلاثة خرائن باغشية حري أصفر ومحفة جوخ
أزرق وقدامه طبلان وزمران من غدير صبحق وقد احتفل بعمل سنيح حافل بسبب من حج
معه من العثمانية في هذه السنة ولما شق من القاهرة كان قدامه الامير قايتباي الدوادار
والامير ارزمك النشاف أحد الامراء المقدسي الالوف الذي ظهر عن قريب والامير
قانصوه العادلي الذي كان كاشف الشرقية وكان قدامه جماعة من أمراء ابن عثمان ومن
عسكره وركب قدامه سائر الاعيان من المباشرين من كبير وصغير ثم أتى بعده المحمل وقدامه
القضاة الاربعة على العادة ومن حج في هذه السنة من الاعيان قاضي القضاة محي
الدين المالكي وهو ابن الدميري فألبسه خاير بك قفطانا مخملا وقرره قاضي المحمل
وحج آخرون من الاعيان لا يحضرن في أسماؤهم الآن وقد جد ابن عثمان كسوة المحمل في
هذه السنة فصنع له كسوة فاخرة كلها زركش وكتب عليها اسمه ولما شقوا من القاهرة
كان لهم يوم مشهود على العادة القديمة هذا ما كان من ملخص خروج المحمل في ذلك
اليوم وفي يوم السبت ثاني عشره خلع ملك الامراء خاير بك على قانصوه العادلي قفطانا
مخملا بتماسيح وقرره كاشف الشرقية كما كان أولا وفي يوم الاحد ثالث عشره قبض
الوالي على خمسة أنفار من العثمانية أشيع عنهم أنهم يخطفون العمائم ويعرون الناس في
الطرق وأنها يخطفون النساء والصبيان المرد وتزايد منهم الفساد فلما قبض عليهم رسم
سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان أن يشنقوا على باب زويلة فشنق منهم اثنان على باب
زويلة وواحد على باب الشعرية وأما الاثنان فقد شفع فيهما من الشنق في ذلك اليوم
فسجنا وكانت العثمانية الذين بمصر كثير منهم الذي في حق أهل مصر من حين رحل ابن
عثمان عنهم وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاما ولا له عليهم مكرمة وفي يوم الاثنين رابع
عشر شوال توجهت الممالك الجرا كسة الى بيت الامير قايتباي الدوادار بسبب انه

وعند الممالك أنه يصرف لهم جوامك في ذلك اليوم فطلع الى القلعة واجتمع بملك الامراء
 خاير بك وأقام بالقلعة الى قريب الظهر والممالك الجراكسة في انتظاره على بابه
 فلما نزل قال لهم يا أغوات شاورت ملك الامراء عن أمركم فقال حتى نجمع المال وننفق
 عليهم الجوامك ولم يوافقهم على يوم معين فرجعوا من عنده بغير طائل وقد صارت
 الممالك الجراكسة في غاية الذل من الفقر والعري ومنهم من سأل الناس في رغيغ
 يقتات به ومنهم من يطوف في الاسواق يسأل التجار والسوقة في درهم يشترى به كبشة
 فوليا كلها فسد بجان من يعز ويذل وصاروا يعيشون في الاسواق لا خيول لهم ولا قماش
 ولا سلاح ولا بيوت تأويهم ولا اسطبلات ولا عبيد ولا غلمان وقد نظر الله اليهم بعين المقت
 جزا بما كانوا يعملون فسد بجان من قهر الجبابرة بعز سلطانه وفي يوم الاحد كان مستهل ذي
 القعدة الحرام فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء خاير بك نائب السلطنة
 بالشهر وعادوا الى بيوتهم وفي يوم الخميس خامسة خلع ملك الامراء على يوسف البدرى
 وأعادته الى الوزارة كما كان أولا فخلع عليه قنطانات مخجلة وبعضهم بقنطانات جوخ وطرطير جوخ
 أسود وعليهم عمامة مدورة وفي أرجلهم سقمات جلدي زى العثمانية فصارت الامراء
 الجراكسة والممالك السلطانية كلهم على هذه الهيئة واختلط العثمانية مع الجراكسة
 حتى صاروا لا يعرفون هذا من هذا الابشئ واحدا وهو ان الممالك الجراكسة تعرف
 بذقونهم والعثمانية بغير ذقون وقد قلت في هذا المعنى مواليا

امشى مع الدهر قدرا لجهديا غلطان * واخاع ثياب الموكب واتبع السلطان
 في لبس سقمات أو طرطورا وقفطان * وكن مع القوم في الملبوس والأوطان
 وفي يوم الاحد ثامن الشهر نزل ملك الامراء خاير بك من القلعة باكرا النهار وتوجه الى نحو
 قبلة الامير يشبك الدوادار التي بالمطرية وأقام هناك الى آخر النهار ومد في ذلك اليوم مدة
 حافلة وأهدت اليه جماعة من المباشرين مجامع حلوى ومشونات فأكهه وسكرا وخرقان
 شوى وأقفاص أوز ودجاج وغير ذلك أشياء فاخرة على أعناق الجمالين وظهور الدواب وكان
 يوما سلطانيا ولم يتم حتى وقعت حادثة وهي انه في ذلك اليوم بعد العصر نزل جماعة من العربان
 من نحو الجبل الأحمر بالقرب من سبيل علان فقطعوا الطريق على جماعة من الفلاحين
 معهم جمال محملة قمح وبطيخ فأخذوا منهم نحو أربعين جملا وذهبوا بها الى الجبل ومضوا بها
 ولم تنتطح فيها شاتان فلما بلغ ملك الامراء ذلك تنكد غاية النكد بسبب ذلك فلما ذهبت
 العرب بالجمال ألقى الفلاحون الى ملك الامراء واسستغاثوا بين يديه وبكوا فقام من وقته

وهو منكند وطلع الى القلعة بعد العصر ولم يخرج من يده شئ في رد الجبال من أيدي العربان الى أصحابها وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة حضر الى الابواب الشرقية شيخ العرب عبد الدائم ابن شيخ العرب أحمد بن بقر شيخ عربان الشرقية وقد حضر بالامان من ملك الامراء خاير بك وكان أرسل اليه منديل الامان على يد الامير قانصوه العادلي ككاشف الشرقية فلما توجه اليه صار يتلطف به في الكلام ويخادعه ولا زال به حتى أطاع وحضر صحبته وكان عبد الدائم عاصيا على السلطنة من أيام السلطان الغوري لم يدخل تحت طاعة ثم عصى على ابن عثمان فلما أرسل اليه خاير بك قانصوه العادلي بالامان حضر وقابل خاير بك وصحبته مقدمة ما بين خيول وجبال وأغنام فلما مثل بين يدي ملك الامراء خاير بك خلع عليه قفطانا مخملا ونزل من القلعة في موكب حافل وقدامه رايات زعفران وكان عبد الدائم هذا من أكبر المفسدين في الشرقية فخرّب غالب بلاد الشرقية ونهب أموالها وقطع الطريق على القوافل الواردة من الشام في مدة فتنة ابن عثمان وأخذ ما لا يحصى من أموال التجار وقتل جماعة من المماليك السلطانية وأخذ ما كان معهم من الخيول والسلاح وكذلك الامراء الجراكسة لما وقعت عليهم الكسرة في الريدانية وتشتتوا في بلاد الشرقية فصار يأخذ ما عليهم من الثياب والسلاح والخيول وغير ذلك وجع أموالا ونحفالم تجمع لا بآئ ولا اجداده وقد غنم أموال التجار وأموال العسكر من المماليك الجراكسة وغيرهم من أموال المقطعين من البلاد وعمل من المناسد في الشرقية ما لا يسمع بمثله وفي يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة وقع في القاهرة اضطراب عظيم وغلقت أبواب المدينة قاطبة حتى غلقت أبواب الدروب والخوخ التي بالحارات وأقامت الابواب مغلقة الى ضحوة النهار ثم فتمت بعد ذلك وسبب ذلك أن حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة الذي كان سببا لمسك السلطان طومان باي تحيل عليه السلطان سليم شاه بن عثمان حتى قبض عليه وقيده بقيدين وأودعه في الاعتقال في طيبة عند باب القلعة ووصل به جماعة من العثمانية يحفظونه فأقام على ذلك مدة وغافلهم وبرد القيدين ببرد حديد وتدل بحبل من السور الذي بالقلعة وهرب بعد العشاء من القلعة فلما بلغ ملك الامراء هروب حسن بن مرعي من القلعة تنكد لذلك غاية النكد وهرب حسن بن مرعي وفاز بذلك وتخوف الناس من هروبه وفيه وردت الاخبار من الشام بأنه لما أقام بها ابن عثمان وقع بها في تلك الايام وخم عظيم ومات من عسكره جماعة كثيرة من ذال الوخم وأشيع موت حلیم جلبي فقيه ابن عثمان ونديعه وأشيع موت أخى حلیم جلبي أيضا ومات من أمرائه جماعة كثيرة وانه وقع بالشام غلاء عظيم حتى وصلت كل عليقة الى خسة أنصاف ووصل سعر الرغيف الخبز نصف فضة وان عسكره تقلق من الغلاء والوخم وتفرقوا عنه في الضياع والجبال وأشيع أن

عسكر ابن عثمان خرب غيطان الشام ونهب القواكه من فوق الاشجار ورعت خيولهم في
الغيطان وأكلوا أوراق الاشجار وطردها والناس عن بيوتهم وسكنوا بها وأخربوا غالب بيوت
الشام وحصل منهم لاهل الشام غاية الضرراً أكثر مما حصل منهم في حق أهل مصر من
الفساد بها ومن الحوادث الشنيعة ما وقع في هذا الشهر من أن جماعة من المباشرين بالديوان
المفرد منهم يونس النابلسي الاستادار ونفرا الدين وأخوه أولاد ابن عوض وبركات أخو
شرف الدين الصغير وشرف الدين الكبير وأبو بكر بن الملكي مستوفى ديوان الجيش وبركات
ابن موسى وعلاء الدين ناظر الخاص وعبد العظيم استادار الشعير فهؤلاء التسعة الرهط
الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون اتفقوا على أخذ أموال المسلمين فاستباحوا أموالهم
ودماهم وما ذاك إلا أن غالب البلاد قد شرق في هذه السنة بسبب خسة النيل وكان
المباشرون التزموا بتغليق المال الذي على البلاد فلما حصل هذا الشراق ضربوا مشورة بين
بعضهم وقالوا نحن في العام الماضي أوقفنا اقطاعات أولاد الناس التي بالمناشير وأخذنا
خراجهم وفي هذه السنة أوقفوا الرزق التي بالمربعات الجيشية ونضع أيدينا على خراجها في
هذه السنة في تطير شراق البلاد فطلعوا إلى ملك الامراء خاير بك وعرضوا عليه ذلك
وحسنوا له عبارة في استخراج خراج الرزق في هذه السنة في تطير الشراق فقال لهم انزلوا
افعلوا ذلك فنزلوا من عنده وأطلقوا في الناس النار وأرسلوا العمال بالمراسيم إلى البلاد
ليستخرجوا منها الاموال من الرزق التي بالمربعات قاطبة حتى الرزق الاحباسية ولو كانت
الرزقة تشتري بمربعة شريفة فضجت أولاد الناس والنساء الارامل من هذه الحادثة المهولة
وحصل الضرر الشامل للارامل والايام والله تعالى لا يغفل ولا ينام وصار الناس يقفون
إلى ملك الامراء خاير بك ويشكون اليه ذلك فيقول لهم أنا أوقفنا المناشير والمربعات
بأمر الخنككار ابن عثمان فنزلوا من عنده في أسوأ حال وصاروا يسألون الاستادار عما
يدفعونه له حتى يفرج عن رزقهم فلا يجيبهم ولا يقضى لهم حاجة ثم ان نفرا الدين بن عوض
لاجرأ الله خيرا استدريج من الرزق إلى خراج بلاد الاوقاف التي كانت بالمكاتب الشرعية
فصار يستخرج خراج الاوقاف ويأكله على أصحابه رغماً عن أنفسهم فحصل للناس في هذه
الحركة غاية الضرر الشامل وقد اشتد الامر على الناس بسبب ذلك وكل هذا من المباشرين
وأذا هم في حق المسلمين وقد قلت في المعنى مواليا

كان ابن عثمان مذحماً مصر مثل الضيف * رحل وولى علينا كل صاحب حيف
مباشرين يجوروا في الشتاء والصيف * أطراف أقلامهم تفعل مثل فعل السيف
وفي يوم الاحد ثاني عشر ذي القعدة خرج الامير قايتباي الدوادار وعدى إلى برج الحيزة
وخرج صحبته جماعة كثيرة من العثمانية ومعهم مكاحل نحاس ومدافع نحاس وعجل

وقد أشيع أن عدة قبائل من العرب نزلو على الجزيرة فاقتتوا مع عرب عزالة وحصل
منهم غاية الفساد فخرج الأمير قايتباي وصحبته تجريدة وعسكر من الجرا كسة بسبب
العربان وطردوهم عن البلاد فخرج وأقام في الجزيرة إلى أن يتكامل العسكر وفي يوم
الاثنين ثالث عشر به اجتمع المماليك الجرا كسة في بيت الأمير قايتباي الدوادار وهو بيت
الاتابكي قرقاس الذي عند حوض العظام واجتمع القاضي شرف الدين الصغير كاتب
المماليك ولم يكن الأمير قايتباي الدوادار حاضرا بل حضر أخوه جان بك فأنفقوا على
المماليك الجرا كسة لكل واحد منهم ألف درهم وصاروا يسعونهم طبقة بعد طبقة
فأنفقوا عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء رابع عشر به وأنفقوا يوم الأربعاء ويوم الخميس
أيضا وقد ظهر من المماليك الجرا كسة اللحم الكثير فوق الخمسة آلاف مملوك وقد كانوا
موزعين في البلاد عند السلاطين وآخرين قد اختفوا في البيوت والحارات حتى خمدت
الفتنة ثم ظهر رابع ذلك وفي يوم الخميس سادس عشر به أشيع أن الأمير قايتباي
الدوادار لما توجه إلى الجزيرة بسبب فساد العربان وأقام هناك أياما حتى يتكامل خروج
العسكر وردت الأخبار بأن العسكر العثماني لما توجهوا إلى هناك وقع بينهم خلف في
بعضهم فوثبوا على باشهم وهو شخص من أمراء ابن عثمان وراموا قتله فهرب واستجار
بالأمير قايتباي فلما جرى ذلك أرسل الأمير قايتباي كاتب ملك الأمراء بما جرى من
العثمانية في حق باشهم ثم أشيع واستفناض بين الناس أن حمدا شيخ عربان عزالة قد
حضر عند ملك الأمراء خاير بك وأخبره أن العربان الذين أتوا إلى الجزيرة عدة قبائل
لا تحصى وأن العسكر الذي أرسله لا يقاوم هذه العربان الكثيرة فأنهم فوق العشرين
ألف انسان ونشأ هذا كله من حسن بن مرعي لما هرب من الحبس فأنه طاف بالعربان
وأشأه هذا الفساد ثم قال له إن لم تخرج أنت بنفسك وتدي بالجزيرة والافايق للعسكر
اتفاق بينهم فصلى ملك الأمراء خاير بك صلاة الفجر ثم نزل من القلعة وقدامه جماعة كثيرة
من الرماة بالنفوط واللحم الكثير من العثمانية ومعهم صنماجق حريرا حرقوا من الصليبية
وتوجه إلى بولاق ليعدي إلى الجزيرة وفي يوم الجمعة سابع عشر به حضر الأمير قايتباي
الدوادار وكان قد خرج باش التجريدة التي توجهت إلى العرب وأخبر أنه لم ينظر بحسن
ابن مرعي وترافع هو والعربان إلى الأودية والجبال وأشيع أن باش عسكر العثمانية هو
الذي أهمل في أمر حسن بن مرعي حتى أخلى من وجه العسكر ومضى بنجعه ودخل إلى
الأودية والجبال وفي آخر هذا الشهر وقع بين القاضي نجر الدين بن عوض وبين خشمقدم
الاشرفي مملوك السلطان الغوري الذي كان شادا لسون وهرب وتوجه إلى بلاد ابن عثمان

وكان سبب الانشاء هذه الفتنة بين سليم شاه بن عثمان وبين السلطان الغوري وقد تقدم القول على ذلك فلما دخل ابن عثمان الى مصر وملكها قرر خشف قدم هذا كاشف أسيوط مع منفلوط فلما رحل ابن عثمان عن مصر وقرر ملك الأمر خاير بك نائب السلطنة بمصر عزل خشف قدم من التحدث على أسيوط فلما حضر خشف قدم من أسيوط وقعت بينه وبين نفر الدين بن عوض فتنة بسبب الرزق التي هنالك فحصل بينهما تشاجر عظيم فتشامتوا وتساوبا قبيحا وقال نفر الدين بن عوض لخشف قدم أنت كنت سببا لوقوع الفتنة بين أستاذنا الغوري وبين ابن عثمان فتحمل خشف قدم من نفر الدين بن عوض وشق عليه ذلك فلما كان يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة طلع خشف قدم الى القلعة ووقف الى ملك الأمر خاير بك وشكى له نفر الدين بن عوض فيما قاله في حقه فتعصب له جماعة من العثمانية وأغلظوا على خاير بك في القول بسبب نفر الدين بن عوض فلما طلع ابن عوض الى القلعة يوم السبت وبجته خاير بك بالكلام وقامت عليه النائرة من أمراء ابن عثمان الذين بمصر وقالوا له هذا خلى أستاذك الغوري وهرب من عنده وجاء الى الخنككار و صار من جماعته وأنت تبهدله وتشفقه فقامت البيعة على ابن عوض بأنه شتم خشف قدم وسبه فغضب خاير بك على ابن عوض وأمر بوضعه في الحديد وأسلمه للوالي ورسم له بان يوسطه فقصد الوالي أن ينزل به من القلعة ليوسطه فقامت جماعة من المباشرين وتدخلوا على خشف قدم وأصلحو بينه وبين نفر الدين بن عوض فدخل الى ملك الأمر خاير بك وشتم فيه من التوسيط وقاسى ابن عوض في ذلك اليوم غاية البهدة من أمراء ابن عثمان بسبب خشف قدم وكان ابن عوض مستحقا لذلك فانه صار في هذه الايام من وسائط السوء ولا سيما ما فقه له في جهات الغربية ووضع يده على رزق الناس وأوقفهم واستخراج خراجهم وضاعت على الناس حقوقهم وحصل منه الضرر البالغ ولا حول ولا قوة الا بالله وفي ذلك اليوم حضر هجان بكتب الحاج وقد حضر في السابع والعشرين من ذي الحجة وأشيع عن كتب الحاج أن مكة بهم اغلاء وقد وصل الحمل الدقيق الى أربعين دينارا ووصل الارب القمح الى عشر أشرفيات ووصلت البطة الدقيق الى ثلاث أشرفيات وكذلك اشتد السعر في سائر البضائع والاصناف والغلال وذكروا أنه مات من الجمل ما لا يحصى حتى وصل كراء الموهبة الى أربعين دينارا وذكروا من هذا النمط أشياء كثيرة وان أمير مكة السيد الشريف نادى في مكة ان لا أحد من الناس يجاور بمكة تلك السنة بسبب الغلاء وأشيع عن كتب الحاج أن الشهابي أحمد بن الجيعان قد جاور بمكة وكذلك مصلح الدين خازندار ابن عثمان وغير ذلك من الاعيان والذين كانوا يهازلوا بحجة الحاج لما اشتد أمر الغلاء بمكة انتهى ما أوردناه من حوادث سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وقد خرجت هذه السنة على خير وكانت سنة صعبة شديدة على الناس كثيرة الحوادث والفتن جرى فيها

أمور شنيعة لم تجر في سالف الأزمان وقتل فيها جماعة من الأمراء والعسكر والممالك
السلطانية في فتنة ابن عثمان وقتل فيها من أهل مصر من ليس له ذنب وراح ظمأ فقتل من
الناس ما لا يحصى عددهم ولعب السيف في أهل مصر سبعة أيام وقتل فيها ثلاثة سلاطين
وهم الأشرف الغوري والأشرف طومانباي والظاهر قانص - وه قتل في البرج بشفر
الاسكندرية وتغير فيها ثلاث دول وخربت فيها دور كثيرة ونهب فيها أموال وقاش لا يحصى
وتبتم فيها أطفال وترملت فيها نساء وجرت فيها مفاصد كثيرة لم يسمع بمثلها ولم تقاس
أهل مصر شدة أعظم من هذه إلا في زمن يختنصر البابل فإنه أخرج مصر وأحرقها حتى
أقامت أربعين سنة خرابا فكان النيل يطلع ويهبط ويفرش على الأرض فلا يجد من
يزرع شيئا من أراضيها وهذا كله بتقدير الله تعالى فذال الله تعالى حسن الخاتمة ورد
العاقبة إلى خير وقد وقفت على كتاب تأليف الشيخ جلال الدين السيوطي رحمة الله عليه
ذكر فيه أن في هذا القرن بيدو الخراب في مصر في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم يتزايد
الامر إلى سنة خمسين وتسعمائة فيقع فيها فناء عظيم حتى يفتى من أهل مصر نحو النصف وقد
ظهرت علامة ذلك في هذه السنة ومن أعظم مساوي ابن عثمان إخراج أعيان الرؤساء
بالديار المصرية ونقيهم إلى اسطنبول ونحن نذكر منهم ما نيسر فنقول

ذكر من توجه في هذه السنة إلى القسطنطينية من أعيان رؤساء الديار المصرية
وهم مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله ابن المستمسك بالله يعقوب وأولاد ابن عمه سيدي
خليل وهما أبو بكر وسيدي أحمد ثم المقر العلائي علي ابن الملك المؤيد أحمد ابن الأشرف
إيثار ومن أولاد الأمراء الشرقي يونس ابن الاتابكي سودون العجمي والجناب الناصري
محمد بن العلائي علي بن خاص بك صهر الأشرف قايتباي ومن الأمراء بيبردي بن كسباي
الذي كان باش المجاورين بمكة أحد الأمراء العشراوات وقرا كز الحكمي أحد الأمراء
العشراوات وقانصوه القيم باش المدينة الشريفة وجماعة من الممالك السلطانية الذين
كانوا مجاورين بمكة المشرفة وجان بك دودار الأمير طراباي ومن أولاد الناس الشهابي
أحمد بن البيدري حسن بن الطولوني معلم المعلمين ويوسف بن أبي الفرج الذي كان نقيب
الجيش ويحيى بكار الذي كان دودار الوالي ومن نواب السادة الشافعية الشيخ زين العابدين
ابن قاضي القضاة كمال الدين الطويل والشيخ شرف الدين بن دوق والشيخ شمس الدين الحلبي
والشيخ شمس الدين بن وحيش والشيخ كمال الدين بن مظفر والشيخ بدر الدين البلقيني والشيخ
برهان الدين الانباسي والشيخ شمس الدين الحجازي والشيخ شمس الدين بن الادمي الدمياطي
والقاضي شمس الدين المقسي العزيزي والسيد الشريف الحجار والقاضي ولي الدين البتوني
ابن الشرمساحي والقاضي شمس الدين بن جمال الدين الانبيدي ومن نواب السادة

الحنفية الشيخ زين الدين الشرنقاشي والسيد الشريف البردبني والشيخ بدر الدين بن الوقاد
السعودي والشيخ بدر الدين محمد بن الرومي ومن نواب السادة المالكية الشيخ شهاب الدين
أحمد بن الفيشي والشيخ شهاب الدين الإبشادي ومن نواب السادة الحنابلة الشيخ شهاب
الدين الهيمشي والشيخ جلال الدين الطنبدي والقاضي جمال الدين الحنبلي وأما من
توجه إلى اسطنبول من المباشرين السلطانية فهم المقر الشهابي أحمد ناظر الجيش ابن ناظر
الخاص يوسف وابن أخيه بدر الدين بن كمال الدين والجناب الشمسي محمد ابن القاضي صلاح
الدين بن الجيعان أحد كتاب الخزانة الشريفة والقاضي زين الدين عبد القادر بن الملوكي
مستوفي ديوان الجيوش المنصورة والشمسي محمد البارزي ومن كتاب المماليك
وغيرهم شمس الدين محمد بن نخر الدين وسعد الدين وفرج وكريم الدين وفتح الدين من
أولاد ابن نفيرة وابن أبي المنصور ومحمد بن عبد العظيم ومحيي الدين بن بهاء الدين من
أولاد ابن البقري وأبو الحسن بن الرقيق وعبد العظيم بن غالب ومحيي بن الطنساوي
وشهاب الدين بن عبد العظيم وعبد العظيم بن تقي الدين ناظر الزردخاناه وولده زين الدين
وتاج الدين أنحوعبد الكريم اللادني وكمال الدين من أولاد ابن البقري وشرف الدين
وعلي المرجوشي وأخويونس الاستادار وابن الزكي ومحمد بن علي كاتب الخزانة وأحمد
ابن قريميط وعبد القادر بن قريميط وأبو السعادات وأفضل الدين المنوفي وناصر الدين
العزى الموقع وولي الدين ناظر المواريث وعامل المواريث وسعد الدين أنحوعلاء الدين ناظر
الخاص وبركات المنوفي وسعد الدين المنوفي ومحمد الكوير ناظر الخاص وأحمد بن حشو
البطن وابن نصر الله وكريم الدين صهر عبد الفتاح ومحمد بن أبي غالب وصفي الدين بن
الهيصم وتاج الدين بن البقري وشقيقه بركات بن سلمان وكمال الدين بن الناصري وعبد
الرحمن مباشر أمير أخور كبير وبدر الدين بن خازوقة ورقيقه وأبو الفضل مباشر الوالي ورقيقه
والعبادي ورقيقه وبدر الدين مباشر الأمير أنسباي وكمال الدين العاتق مباشر أمير أخور كبير
وآخرون من المباشرين لم تحضرني أسماءهم الآن ومن أعيان الناس المهتار محمد النجوي
مهتار السلطان الغوري كان والمهتار سليمان ومحمد بن يوسف الذي كان ناظر الأوقاف وعلم
الدين جلبي السلطان الغوري وعلي مقدم الدولة ومن الزردكاشية يحيى بن يونس ومحمد
العادلي الشهير بابن البدوية وزين العابدين بن محمود الأور وجماعة من السجوفية والصياقلة
والسباكين والحدادين ومن تجار الباسطية شهاب الدين الخطيب الأسمر وأحمد الديروطي
وأولاد ابن نفيس وعلي بن خشم ومن تجار سوق مرجوش ابن الشقيرة وأبو الفوز الحصاني
وبدر الدين شيخ سوق الغزل ومن تجار المغاربة الشيخ سالم التاجوري وسعيد اللبدي
وأبو سعيد وآخرون لم تحضرني أسماءهم من المباشرين والتجار بأسواق القاهرة وغيرها

ومن الخدم مقدم الممالك سنبل العثماني ونائبه وعثمان الرومي وشهاب الدين أحمد
الجارحي قبل مات من الرجفة قبل سنة ١٠٠٠هـ بأيام ومن البرددارية كمال الدين بن برددار
أمير كبير وعبد القادر بن المنقار وابن الشيخ محمد بن رسلان وناصر الدين واسماعيل ومحمد
الكاتب وأبو بكر وابن السميني ويحيى بن يحيى وبركات بن المبيض ومحمد بن الجيعان
وبركات النائب وسعد الدين بن الجلاق ويحيى مقدم الخصاص وحسن نائب البرماوى
والسـ وهاجى ومحمد قطارة ومحمد بن فروش شيخ جهات الأميرية وآخرون ما يحضرنى
أسماءهم الآن ومن رؤس النوب فرج بن البردينى وآخرون ومن مقدمى السقائين عبيد
وأبو الخير وابن فريخ الناروتوجه الى اسطنبول جماعة من البنائين والتجارين والحدادين
والمرخين والمبطين والخراطين والمهندسين والحجارين والفعلاء جماعة كثيرة لم يحضرنى
أسماءهم الآن وقد زعموا أن الخنكار بن عثمان يقصد أن ينشئ له مدرسة فى اسطنبول
مثل مدرسة السلطان الغورى التى بالشرايشيين وتوجه الى اسطنبول جماعة من طائفة
اليهود والسامرية ومن طائفة النصارى بانوب الكاتب بالخرائن الشريفة وأبو سعيد وأمين
الدولة ويوحنا الصغير ويوسف بن هبول وشيخ الملكيين الاسكندري وولده وآخرون من
النصارى واليهود لم يحضرنى أسماءهم فيقال ان جميع من خرج من أهل مصر وتوجه الى
اسطنبول دون الالف انسان والله أعلم بحقيقة ذلك وفيهم نسوان أيضا وأولادهم صغار
رضع ومنهم كبار ولم تقاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشدة ولا سمع بمثلها فى
التواريخ القديمة وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ففارقت الناس أوطانهم وأولادهم وأهاليهم
وتغربوا من بلادهم الى بلاد لم يطووها قط وخالطوا أقواما غير جنسهم ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وكانت سنة مشومة على الناس مباركة على المباشرين الذين بمصر وصاروا هم
الملوك يتصرفون فى المملكة بما يختارونه من الامور ولا سيما ما فعلوه فى جهات الشرقية
والغربية وجهات الصعيد ووضعوا أيديهم على رزق الناس والاقطاعات ثم استدرجوا الى
أن أخذوا أموال الناس بغير حق شرعى ثم استدرجوا ثانيا الى أن أخذوا أموال الاوقاف
وصاروا ليس على يدهم يد يشعلون ماشاؤا من هذا النمط فغنموا فى هذه السنة أموالا جزيلا من
البلاد مما أخذوه من خراج الناس فكان محجى عابن عثمان غنيمة المباشرين وبعض الافراد
الذى أودع عندهم الامراء الجراكسة والعسكر الاموال والقباش وقتلوا فى الواقعة فقتلوا
على تلك الودائع وراحت على من راحت فكان كما يقال فى المعنى * مصائب قوم عند قوم
فوائد * انتهى

❦ (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وتسعمائة) فيها كان افتتاح شهر المحرم يوم
الأربعاء فطلع القضاة الى القلعة وهنوا ملك الامراء خاير بك بالعام الجديد ثم رجعوا

الى دورهم فلما كان يوم السبت رابع المحرم شكى الناس من أذى العثمانية الذين بمصر وتزايد
منهم الفساد في حق الناس وصاروا يتوجهون الى الاماكن التي في زقاق الكحل والمسطاحي
والتي في الجسر وحكر الشامي والازبكية ويأخذون ما فيها من الابواب والسقوف
والشبابيك الحديد والطبقان ويحملونها على الجمال بين الناس على النداء والاجهار
ويبيعونها بأبخس الأثمان ولم يجدوا من يردهم عن ذلك ثم صاروا يطلعون بالنساء الى القلعة
ويتحشرون بهن في اطباق المماليك الذين بالقلعة وصنعوا بالطباق اطباق بوزة وصارت خاتمه
برسم حرافهم وصاروا يأخذون ما بالطباق من الابواب والسقوف ويطحنون بها الطعام حتى
أخربوا غالب السقوف التي بالقلعة ثم تزايد منهم الفساد حتى صاروا يخطفون النساء
والصبيان المردوعائم الناس من الطرقات والازقة والاسواق في النهار والليل وصار
الناس على رؤسهم طيرة من العثمانية ويجدون القتلى مرمية في الطرقات فلما تزايد هذا
الامر دخل جماعة من الناس الى القاضي الذي جعله ابن عثمان في المدرسة الصالحية أمينا
على قضاء مصر فشكوا له من أفعال العثمانية وما يفعلونه بالناس فلما سمع هذا الكلام
ركب وتوجه الى بيت الامير قايتباي الدوادار وأركبه وطلع به الى القلعة وأخبره وملك
الامراء خاير بك بهذه الاحوال التي تصدر من العثمانية ثم ان قاضي ابن عثمان أغلظ على
خاير بك في القول وقال له انظر في أحوال المسلمين والآن تخرب مصر عن آخرها فقد فسدت
الاحوال جدا ومتى بلغ الخنكار هذه الاخبار يرسل يضرب أعناقنا ويقول لنا كيف
كنتم عنى اخبار مصر وغفلتم عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى فلما سمع ملك
الامراء خاير بك هذا الكلام وعد القاضي والامير قايتباي الى يوم السبت حادى عشر الشهر
فاحضر الانكشارية والاصباهية وعرضهم وخص عن يفعل هذه الامنهما ثم ان خاير بك
نادى في القاهرة بان لامرأة تخرج من بيتها ولاصبى أمر دولا يتوجهون في هذا الشهر
الى السيدة نفيسة ولا الى مشهد الحسين ولا الى بين القصرين وان الدكاكين والاسواق
تغلق بعد المغرب ولا يمشی أحد من الناس بعد المغرب وفي يوم الاحد ثاني عشر المحرم
حضر من الشام من عند ابن عثمان قاصدان زعموا انهما من أعيان أمراءه وقيل ان
أحدهما أغات طائفة الانكشارية والاخر أغات الاصباهية فلما بلغ ملك الامراء
حضورهما نزل من القلعة ولاقاهما وكان لهما موكب حافل فطلعا الى القلعة
واجتمعت الامراء العثمانية والامير قايتباي الدوادار وقرأوا مطالعة الخنكار ثم أشيع أن
ابن عثمان أرسل يطلب الامير ارزمك الناشف أحد الامراء المقدمين والامير قانصوه
العادلي كاشف الشرقية والامير غريباي العادلي وأرسل يطلب جماعة من الانكشارية
وجماعة من الاصباهية الذين كان قد تركهم بمصر فكثرا القيل والقال في ذلك فلما كان يوم

الثلاثة رابع عشرة أرسل ملك الامراء خاير بك الى الامير ارزمك الناشف أحد الامراء
 المقدمين والامير قانصوه العادلي كاشف الشرقية والامير قمر باي العادلي وأرسل يطلب
 جماعة من الانكشارية وجماعة من الاصباكية الذين كان قد تركهم بعصر فكثر القاتل
 والقييل في ذلك وأرسل ملك الامراء خاير بك الى الامير ارزمك الناشف أربع مائة دينار
 وقال له هذه نفقة السفر فاعمل بها رفقك واخرج سافر فشكى ارزمك من ذلك وقال
 ايش يكفيني هذا القدر لعل برق السفر ثم ركب وتوجه الى بيت الامير قاي تباي الدوادار
 وشكى له من أمره هذه النفقة فقال له اصبر حتى أطلع الى ملك الامراء خاير بك في ذلك
 اليوم ثم في يوم الاربعاء خامس عشر أشيع بين الناس أن جماعة من الانكشارية
 والاصباكية لما تحققتوا أن الخنكار أرسل يطلبهم أظهر والعصيان وخرج بعضهم الى
 نحو الشرقية والغربية وتفرقوا في البلاد ومن الحوادث الغريبة انه في يوم الجمعة سابع عشر
 المحرم من هذه السنة أشيع واستفاض بين الناس أنه قبض على قاسم بك بن أحمد بك بن أبي
 يزيد بن محمد بن عثمان ملك الروم وقاسم بك هذا هو الذي كان قانصوه الغوري اجتهد كل
 الاجتهاد حتى أدخله الى مصر وصار ضد السليم شاه بن عثمان وكان سليم شاه يخشى من
 أمر قاسم بك هذا أن يلتف على عسكر الروم من عساكر جده ويولوه مملكة الروم وسافر
 قاسم بك هذا صحبة الاشرف قانصوه الغوري الى حلب وصنع له برقا وسنجا حافلا وجعل له
 صنيق من حرير أخضر وأجر كاهي عادة ملوك الروم وحضر الواقعة التي كانت في مرج
 دابق فلما فقد السلطان الغوري وجرى ما جرى رجع قاسم بك صحبة الامراء الى مصر
 وصار معظما عند السلطان طومان باي وحضر معه في الواقعة التي كانت بالمطرية فلما
 انكسر السلطان طومان باي هرب معه الى جهة الصعيد فلما وقع السلطان طومان باي هو
 وابن عثمان في البحيرة بالقرب من وردان انكسر طومان باي وهرب فلما قبضوا عليه
 وشنقوا حتى قاسم بك ولم يعلم له خبر مدة طويلة وقد فاته القتل مرارا عديدة وكان السلطان
 حاسب حسابه جدا ليل ونهارا وكان عسكر ابن عثمان قصدهم الخامرة عليه والتوجه
 الى قاسم بك وقد أشيع بين الناس أنه لما هرب بعد كسرة طومان باي توجه مع بعض
 العربان الى نحو الجبل الاخضر الذي باعلى البحيرة وكان قد نسي أمره فلما كان يوم
 الجمعة المتقدم ذكره أشاعوا أنهم قد قبضوا عليه في مكان عند العطف بالقرب من البرقية وقد
 نزع عليه بعض غلمان في ذلك المكان فتوجه اليه كشيغاوا الى القاهرة وشخص آخر يقال له
 جانم الجزاوي شاد الشون من خدمة ملك الامراء خاير بك وهو دوادار له الآن فتوجهها
 اليه وقبضوا عليه من ذلك المكان المذكور فلما قبضوا عليه عرووه من أثوابه وقلعوه عامته
 وألبسوه برنسا أسود وغطوا وجهه وسبب ذلك أنهم خشوا ان العثمانية متى بلغهم أنهم

قبضوا عليه وهو طالع الى القلعة يخلصونه ويقتلون من معه وتشور بين العثمانيين فتنة عظيمة وتكون سبب الزوال ملك سليم شاه بن عثمان فلما طلعوا به الى القلعة بعد العصر قريب المغرب من يوم الجمعة عرضوه على ملك الامراء خاير بك فرسم بادخاله الى سجن العرقانة الذي هو داخل الحوش السلطاني فادخلوه به وأغلقوا عليه باب السجن ثم اجتمع ملك الامراء خاير بك والامير قايتباي الدوادار ومن الامراء العثمانيين فائق بك وسنان بك ومصطفى بك وخير الدين بك نائب القلعة فلما اجتمعوا ضربوا مشورة في امر قاسم بك فقال ملك الامراء خاير بك دعوه في السجن وأرسلوا كاتبوا الخنكار في امره وانتظروا الجواب فيما يرسم به فقال فائق بك هـ ذا ما هو رأي متى بات في قيد الحياة تدخل علينا التراكمة وتقتلنا عن آخرنا وتقع فتنة كبيرة فلما دخل وقت العشاء أحضروا المشاعلى ودخلوا عليه وهو في العرقانة فخنقوه بها وكان آخر العهد به فلما أصبح يوم السبت ثامن عشره أخرجوا قاسم بك من العرقانة وهوميت ورقدوه على مسطبة بالحوش وكشفوا عن وجهه وأرسلوا خلف العثمانيين قاطبة حتى رأوه فقالوا لهم هذا قاسم بك بن أحمد بك ابن أبي يزيد بن عثمان ثم صاروا يقلبونه باطننا وظاهرا ثم شهد منهم جماعة كثيرة ان هذا هو قاسم بك ابن أحمد بك ابن عثمان ثم بعد ذلك أرسل ملك الامراء خاير بك خاف قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة الخنسي الطرابلسي وقامت عندهما البيعة بصحة معرفة قاسم بك هـ ذا فكتبوا بذلك محضرا وثبت عند قاضي القضاة ثم انهم شرعوا في تجهيز قاسم فغسلوه وكفنوه وأخرجوه قدام الدكة التي بالحوش السلطاني فصلوا عليه هناك وكان الذي صلى عليه قاضي القضاة الشافعي وكانوا أطلقوا له نذرا في القاهرة بأن الصلاة على الشاب الشهيد قاسم بك بن عثمان فانه ينزل من القلعة ثم ان ملك الامراء خاير بك أشهر المنادة في القاهرة بأن يصلى على قاسم بك بن عثمان صلاة الغيبة في الجوامع كل هذا حتى يتحقق الناس موته عن يقين فلما صلوا عليه بالحوش حملت الامراء نعشه على أكافهم ثم نزلوا به من سلم المدرج ووضعوا عامته على نعشه ورفعوا عليه علما أبيض ثم توجهوا به الى تربة الجباني فدقنوه فيها على أقاربه وكانت جنازته مشهودة وكثر عليه الاسف والحزن من الناس فانه كان شابا جميلا الصورة حسن المنظر له من العمر سبع عشرة سنة وقد قتل ظلما بغير ذنب وقد تناحرت عليه العثمانيون بالبكاء فلما دقنوه ولحدوه قطعوا رأسه بلبيل ووضعوه في علبة وتوجه بها جازم الجزاوى هي والمخضر الى الخنكار بالشام هـ ذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك وقد عدم مسك قاسم بك وقتله أعظم من مسك الاشرف طومانباي وقتله فتعجب الناس من قوة سعد سليم شاه بن عثمان من مبدئه الى منتهاه وهذا امر من الله تعالى ليس في قدرة بشر وكانت الناس

تظن ان قاسم بك هذا سبلى مملكة الروم بعد عمه سليم شاه تغابت فيه الظنون وعاجله ريب
 المنون وكان ذلك محاسن بقت به الاقدار والحكم لله الواحد القهار وفي يوم الاحد تاسع
 عشره أنفقوا الجاهلية على المماليك الجراكسة في بيت الامير قايتباي الدوادار فأنفقوا
 لكل مملوك ألفي درهم وهي جامكية شهر واحد فأنفقوا عليهم يوم الاحد ويوم الاثنين وفي
 ذلك اليوم نادى ملك الامراء خاير بك في القاهرة بأن لا أحد من الناس يخفي في بيته عثمانيا
 ولا انكشاريا من عسكر ابن عثمان وكل من خبأ عنده أحد او غمز عليه شئ على باب داره من
 غير معاودة وسبب ذلك ان الخنكار بن عثمان لما أرسل يطالب جماعة من الانكشارية
 ومن الاصباكية اختفى منهم جماعة وجماعة تفرقوا في الشرقية والغربية وتوجهوا اليها
 هاربين في البلاد وأظهروا العصيان وقد تقدم القول على ذلك وفي يوم الاثنين سابع
 عشره أشهروا المناداة في القاهرة حسب ما رسم ملك الامراء بان جميع الانكشارية
 والاصباكية يخرجون يوم الاثنين صحبة القصاد وكل من تأخر منهم شئ من غير معاودة
 فشق من القاهرة جماعة من الامراء العثمانية وقد امهم مشا على ينادى بالتركي وآخر
 ينادى بالعربي وذلك بعد الظهر فلما بلغ العثمانية ذلك اضطربت أحوالهم وخرج غالبهم
 الى نحو الشرقية وقد التفت عليهم المماليك الجراكسة وصاروا يرمون بينهم وبين الامراء
 العثمانية الذين بمصر الفتن حتى يقع بينهم الشر ويظهروا العصيان على ابن عثمان وفي
 يوم الثلاثاء ثامن عشرى المحرم دخل الحاج الى القاهرة ودخل المحل الشريف والقاضي
 علاء الدين ناظر الخصاص أمير ركب المحل وقاضي قضاة المالكية محي الدين بن الدميري
 وبقية الحاج وأخبروا أنهم قاسوا في هذه الحجة مشقة زائدة وشدة عظيمة من الغلاء
 وموت الجمال وفساد العربان في الطريق وكثرة الامطار والسيول وقلة العليق ومشى
 غالب الحاج على أقدامهم في الرجعة وقد أثنوا على ناظر الخصاص فيما فعله بالحاج في الطريق
 من البر والصدقات وفعل الخير وكان اذا رأى أحدا من الحاج منقطع عاير كبه على جاله وينعم
 عليه بالماء والبقسماط في الطلعة والرجعة فرجع الحاج وهم عنه راضون فيما فعله بهم
 وقد رفق بهم في مشى الركب بسبب المنتطعين من الحاج وقد أثنوا عليه خيرا وفي يوم
 الاربعاء تاسع عشره دخل الى القاهرة الامير قانصوه العادلي كاشف جهات الشرقية وكان
 أشيع عنه العصيان من حين عين للسفر فأتى لتبطل عنه الاشاعات فلما طلع يوم الخميس الى
 القلعة خلع عليه ملك الامراء خاير بك فقط انا من خلا مذهبها ونزل يعمل برقه وقد مضى هذا
 الشهر وعسكر ابن عثمان في خلف بينهم بسبب السفر الى الشام واستمرت الانكشارية في
 أمر العصيان عن السفر وصاروا يكسبون عليهم بيوتهم وحاراتهم ويقبضون على نساءهم
 اللاتي تزوجن بهم من مصر وحصل اهن الضرر الشامل بسبب ذلك وفي صفر الخير وكان

مستهل يوم الجمعة طاع القضاة الاربعة الى القلعة فهنؤا ملك الامراء خاير بك بالشهر
 ورجعوا الى دورهم وفي هذا اليوم خرج جماعة من الانكشارية والاصباهية من الطائعين
 منهم دون العاصين الذين هربوا كما تقدم فخرجوا صحبة القضاة الذين جاؤا اطلبهم من الشام
 حسب رسم الخنكار سليم شاه بن عثمان قيل انه أرسل يطلب ألف انسان من الاصباهية
 ومن الانكشارية أربعمائة انسان وفي يوم الاثنين رابع صفر خرج بقية العسكر العثماني
 الذي تعين للسفر وخرج الامراء المعينون للسفر وهم الامير أرزمك الناشف أحد المتقدمين
 والامير قانصوه العادلي كاشف الشرقية والامير قرباي العادلي والامير خشف قدم الاشرفي
 الذي كان شاد الشون أيام السلطان الغوري ولم يشعر بخروجهم أحد من الناس ولم يطلبوا
 طلبا على جاري العادة فلما خرجوا توجهوا الى الريدانية ونزلوا بها الى أن يرحلوا منها وفي هذه
 الايام تزايد القتل والقتيل بين الناس بوقوع فتنة كبيرة وفي يوم الثلاثاء خامس صفر خلع
 ملك الامراء خاير بك على شيخ العرب الامير أحمد بن بقر وقرره في مشيخة جهات الشرقية
 عوضا عن ابنه عبد الدائم وقد أظهر عبد الدائم العصيان ونهب منية غمروا حرقها وغيرها
 من بلاد الشرقية ووقع الاضطراب بها وطفشت العربان في البلاد بالفساد والنهب وحصل
 منهم الضرر والشامل وصار عبد الدائم رأس كل فتنة في كل دولة وقد تقدم القول على ذلك
 وفي يوم السبت تاسعه قويت الاشاعات بعصيان عبد الدائم وانه قد التف عليه عربان
 كثيرة من الشرقية والغربية وطردهوا أباه من الشرقية واضطربت أحوال الشرقية الى
 الغاية وأشيع في البلاد ان مصر مابقي فيها أحد من عساكر ابن عثمان فلما بلغ ملك الامراء
 خاير بك ذلك رسم لخير الدين بك نائب القلعة وجماعة من الامراء العثمانية بان يشقوا من
 القاهرة ومعهم الانكشارية الذين تأخروا بمصر فنزل من القلعة وقدامه من الانكشارية
 نحو ثلثمائة انسان وهم مشاة وبأيدهم مكاحل وشق من الصليبة وتوجه من بين الصورين
 وطلع من جهة سوق مرجوش وشق من القاهرة فرجحت له في ذلك اليوم ثم عاد الى القلعة
 وفيه أشيع أن ملك الامراء خاير بك أخذ في أسبواب تحصين القلعة وسد منها عدة أبواب
 وأبقى منها الابواب السكار على حكمها وقصد أن يسد بعض أبواب من القاهرة وأظهر الخوف
 والفرع ودخلت رأسه الجراب من عبد الدائم بن بقر وكثرة العربان التي اجتمعت معه وكثر
 القيل والقال في ذلك والروايات مختلفة وفيه أشيع ان الرئيس سلمان العثماني الذي كان
 في البرج بالقلعة وضعه خاير بك في الحديد وأرسله الى ابن عثمان بالشام وكثرت الحوادث في
 هذه الايام جدا وفي يوم الاثنين حادى عشره أشيع ان ملك الامراء خاير بك عين الامير
 قايتباي الدوادار بأن يخرج الى عبد الدائم بن بقر وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة
 ومن العثمانية وعرض في ذلك اليوم طائفة من العثمانية يقال لهم كليا فعرضهم في بيت سنان

باشا العثماني وعين منهم جماعة يخرجون الى التجريدة صحبة الامير قايتباي الدوادار بسبب
 عبدالدايم كما تقدم وفي أثناء هذا الشهر اشيع أن الخنكار سليم شاه بن عثمان خرج من دمشق
 وقصد التوجه الى حلب وما يعلم سبب ذلك وكثرت الاقاويل في خروجه من الشام الى حلب
 وفي يوم الاربعاء عشرين صفر عرض الامير قايتباي الدوادار المماليك الجراكسة في بيته
 الذي بين القصرين وعين جماعة منهم يخرجون الى الشرقية بسبب عصيان شيخ العرب
 عبدالدايم بن بقر وقد قويت الاشاعات بعصيانهم وقد التفت عليه جماعة كثيرة من
 العربان وفسدت احوال الشرقية قاطبة من قطع الطريق على القصاد ونهب البلاد
 ووقع الاضطراب جدا هنالك حتى كادت أن تخرب بلاد الشرقية ولما عرض الامير
 قايتباي الجراكسة وجد غالبهم مشاة على اقدامهم بغير خيول ولا سلاح فبطل أمر العرض
 والتجريدة وفي يوم السبت ثالث عشرية خرج شيخ العرب بيبرس بن بقر أخو عبدالدايم
 وصحبته الشيخ أبو الحسن بن الشيخ أبي العباس الغمري يسعون بين عبدالدايم وبين أبيه
 الامير أحمد وبين اخوته بالصلح وأشيع أن ملك الامراء خاير بك أرسل صحبته ما خلعة الى
 عبدالدايم لعله يقع الصلح على أيديهم ما وكذا جرى وفي يوم السبت مسهل شهر ربيع
 الاول حضر جاتم الجزاوي دوادار ملك الامراء خاير بك وقد قدم القول على أنه كان
 توجه الى الشام عند السلطان سليم شاه بن عثمان ببشارة قاسم بك بن عثمان فلما
 أخبر برسايم شاه بذلك سمر الى الغاية وأشيع أنه أنعم على جاتم الجزاوي بنيابة نغرا الاسكندرية
 ثم رسم له بالعود الى القاهرة وأرسل على يده خلعة الى ملك الامراء خاير بك في استمراره
 بنيابة السلطنة بمصر على عادته وأرسل خلعة الى الامير قايتباي الدوادار وقيل الى
 كشيبغا والى القاهرة لـ كونه قبض على قاسم بك بن عثمان فلما وصل القاصد
 صحبة جاتم الجزاوي الى الريدانية بات في تربة العادلي وفي هذا اليوم نزل ملك الامراء
 خاير بك من القاهرة وصحبته الامير قايتباي الدوادار والامراء العثمانية الذين بمصر
 وطائفة من الانكشارية والاصباهية وغير ذلك من الطوائف الذين تركهم ابن عثمان
 بمصر وصحبتهم جماعة كثيرة من الامراء الجراكسة والمماليك الجراكسة الذين ظهروا
 بمصر كما تقدم وخرج الجمل الكثير من العساكر العثمانية وفيهم من يرمي بالنفوط فتوجه الى
 تربة العادلي وجلس على المسطبة التي هنالك ثم ان ملك الامراء خاير بك لبس القفطان المخمل
 المذهب الذي أرسله السلطان سليم شاه بن عثمان فأشيع في ذلك اليوم أن ابن عثمان جعله
 مستمرا على نيابته بمصر على عادته وأن يجعل السكة والخطبة باسمه فلم تصح هذه الاشاعات
 فيما بعد ثم ان ملك الامراء ركب من هنالك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة
 في موكب حافل وقدامه قضاة القضاة وموجب ذلك أن هذا اليوم كان مسهل الشهر

فتوجهت اليه القضاة هنالك لينهوه بالشهر فلما رجع الى القاهرة رجعوا وصحبته وركبوا قدامه الى أن طلع الى القلعة وركب قدامه أيضا أعيان المباشرين ولاقته النصاري بالشموع في أيديهم من باب النصر فلما وصل الى بين القصرين ومر على بيت الامير قايتباي الدوادار نثرت على رأسه كبشة جيدة من الفضة فتخطفتها الناس فلما شق من القاهرة زينته له زينة خفيفة في بعض أماكن وارتفعت له الاصوات بالدعاء من بعض الناس وأشهروا النداء قدامه بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وأن لا أحد يشوش على أحد من الرعية وان كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك الامراء خاير بك والدعاء بالنصر لمولانا السلطان سليم شاه بن عثمان فضج الناس له بالدعاء قاطبة واستمرت الانكشارية يرمون قدامه بالنفوط وهم مشاة حتى طلع الى القلعة وكانوا نحو أربع مائة انسان وكان أشيع أن ملك الامراء خاير بك يستقل بمكة مصر ويجعل السكة والخطبة باسمه حسب رسم الخنكاري بن عثمان فلم تصح هذه الاشاعة وحدثت كلهم لم تكن واستمر نائباً على حكمه وكانت هذه الاشاعة من الكلام المختلق من جملة كذب الناس وصار غالب أهل مصر في هذه الايام يختلقون الكلام الكذب ويشيعونه بين الناس بما يختارونه ثم يطلونه وينقضونه ويأتون بكلام غيره والكل ليس له صحة وهو من جملة المختلق وقال القائل في المعنى

أبناء مصر متاهلهم عجب * نواتر الصدق منه مرفوض

مقالهم لا يزال مختلفا * وكله ناقض ومنقوض

ولما حضر جانيهم الخزاوي أشيع بين الناس أن السلطان سليم شاه لما أقام بالشام رسم لقاضي القضاة الشافعي محمد الدين ابن قاضي القضاة شهاب الدين بن فرفور بان يتقلد بذهب الامام أبي حنيفة ويترك مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأشيع أنه لا يحكم بالشام غير قاضي قضاة الحنفية لا غير كما هي عادة بلاد الروم وأبطل من الشام المذاهب الثلاثة فتفاعل الناس له بسرعة الزوال عن قريب بسبب ذلك وأشيع أنه أبطل الوكلاء والرسول من أبواب القضاة ونوابهم فلما بلغ ملك الامراء خاير بك ذلك رسم لقضاة القضاة بمصر أن يخفوا من نوابهم فرسم لقاضي القضاة الشافعي بخمسة من النواب وقاضي القضاة الحنفي بأربعة من النواب وقاضي القضاة المالكي بثلاثة من النواب وقاضي القضاة الحنبلي بأثنين من النواب من غير زيادة على ذلك ثم ان ملك الامراء خاير بك رسم لنواب القضاة أن يطلوا الوكلاء والرسول من المدرسة الصالحية وأن نواب القضاة لا يحكمون الا في بيوتهم من غير رسول ولا وكلاء فلم يتم هذا الامر ولم يسمع له شيء ومما وقع في هذه الايام من الحوادث الشنيعة أن شخصاً من أمراء ابن عثمان صار يجلس على دكة بياب الصالحية يسمونه المحضرو حوله جماعة من الانكشارية فكان لا يقضى أمر من الاحكام الشرعية حتى

يعرض عليه فكان يقف بين يديه الشاكي والمشتكى ويخاطبونه بترجان بينهما عن أمر
الشكاية فكان يقرر على كل محكمة في كل أشرفي ستة دراهم نقرة يأخذها نفسه من
الشاكي والمشتكى يسمون ذلك مصلمات وكان إذا أمر بشئ لا تعارضه القضاة وكان يزعم أنه
مستوفى على القضاة في الامور الشرعية وكان يضرب من يستحق الضرب ويسجن من
يستحق السجن ولا يراجع القضاة في ذلك فكان يتحصل له في كل يوم من ذلك القدر المعلوم
مال له صورة يأخذه من الشاكي والمشتكى ثم انهم أحدثوا مظلة أخرى وهي أنهم قرروا
أنصاف على كل دكان من الشهود ومحاسن القضاة الذين بمصر والقاهرة قاطبة كل شهر ستة
ويزعمون أنهم يوردون ذلك القدر لبيت مال المسلمين ويجهزونه الى السلطان ابن عثمان وقد
ضعفت شوكة الشرع في هذه الايام جدا وقد قال القائل في المعنى

يارب زاد الظلم واستحوذوا * والفعل منهم ليس يخفى عليك

ومالنا الاك فانتظرنا * ونجنا منهم ونحذهم اليك

ولما حضر الامير جانم الجزاوى دوا دار ملك الامراء خاير بك أخبر بأن السلطان سليم شاه
لما دخل الى الشام استقر بالامير جانم بردى الغزالي نائب الشام وجعل له التحدث من غزاة
الى الشام وأعمالها بولي من يختار وي عزل من يختار وأشيع أن عسكر ابن عثمان لما دخلوا
الى الشام طردوا الناس عن بيوتهم وسكنوا فيها كما فعلوا بمصر وأخربوا غيطانهم وأوزروها
وقطعوا أشجارها وأكلوا جميع فواكهها وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الاول أشيع بين
الناس بالمراسيم التي حضرت من عند الخنككار سليم شاه على يد الامير جانم الجزاوى فكان
مضمونها أنه أرسل يقول لملك الامراء خاير بك اصرف لاولاد الناس جوامكهم على العادة
وكذلك المماليك الجرا كسة وكل من له جامكية بصرفها له ويجرى الناس على عوائدهم
من كبير وصغير فشكر له الناس ذلك ودعوا له فلما بلغ اولاد الناس ذلك طلوعوا الى القلعة
وزلوا أسمائهم عند القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك حتى كل من كان له جامكية
أشرفي أو مائتادهم وأرسل يقول له احتفظ بالرعية وفي يوم الاثنين عاشره طلع المماليك
الجرا كسة الى الميدان الذي تحت القلعة وحضر كاتب المماليك شرف الدين الصغير وأنفق
على المماليك جامكية شهر واحد وبقى لهم شهران مكسوران ولم يحضر ملك الامراء تفرقة
الجامكية بالميدان بل حضر شرف الدين الصغير وجماعة من كتاب المماليك وشرع شرف
الدين كاتب المماليك يقول للمماليك يا أغوات كل من أخذ بالجامكية يعمل برقه للسفر
ويقول له اذا طلبت منك هؤلاء المماليك للسفر فاحضر بهم فترلوا من القلعة على ذلك وفي
يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الاول كانت ليلة المولد النبوى فصنع له ملك الامراء مولدا
لم يشعربه أحد من الناس فقبل أحضر عنده عشر جوخ للقريين فضجوا من ذلك وقالوا

نحن كان يدخل علينا في مولد السلطان لكل واحد منا مائة شقة فكيف تأخذ في مولد ملك
الامراء بجوخة بأشرفيين فرسم لكل منهم بجوخة بأربع أشرفيات لا غير ثم بعد العصر
مد سماط في المقعد الثاني الذي بالحوش ليس بكبيراً ثم تخاطفته العثمانية في لمح البصر وبات
غالب الفقهاء بلا عشاء وابن الحسام من المنجل بالنسبة لما كان يعمل في مولد السلاطين
الماضية من الاسمطة الحافلة والشقق الحريراتي كانت تدخل على المقرين والوعاظ
ولاسيما ما كان يعمل في مولد السلطان فانصوه الغوري فكان يصرف على مولده فوق
الاربعة آلاف من الدينير ويحضر عنده في تلك الخيمة المعظمة التي لم يسمع الزمان بمثلاً أبداً
القضاة الاربعة ومن الامراء المقدمين أربعة وعشرون أميراً مقدم ألف غير بقيمة الامراء
والعسكري وهم بالشاش والقباش فأين هذا النظام من ذلك النظام العظيم فيا أسفى على تلك
الايام كأنها منامات أحلام وقد قال القائل في المعنى

يادهر ربع رتب المعالي مسرعاً * يبيع الهوان رجحت أم لم ترج
قدم وأخر من أردت من الوري * مات الذي قد كنت منهم تستحي

وفي يوم السبت خامس عشر ربيع الاول خلع ملك الامراء خير بك على الزينى بركات بن
موسى المختسب واستقر به أمير ركب المحمل الشريف وكانت هذه الوظيفة لا يستقر بها
الأمير مقدم وامرى ان هذه الوظيفة قد هانت حتى سامها كل مفلس فخلع عليه
قطانا مخملاً مذهباً ونزل من القلعة في موكب حافل وقدامه أعيان المباشرين والامراء
العثمانية وجاعة من الامراء الجراكسة والمماليك الجراكسة فرجت له القاهرة في ذلك
اليوم وزينت له الدكاكين بالشموع وعلقت له الاجال بالقناديل ولاقتهم مشايخ العربان
من بني هلال وكاشف الشرقية ومشى قدامه جاعة من الانكشارية شحوماتى انسان
يرمون بالنقوط ومشى قدامه جاعة من القواسة نحو ثلثمائة انسان ومشى قدامه
السقاؤون يرشون الماء بطول الطريق ومشى قدامه الضوية بالمشاعل وعليها القوط الزركش
ومشى قدامه جميع الرسل قاطبة وبأيديهم العصي ولا قام الشعراء والشباية السلطانية
مثل مواكب السلاطين ولا قام المغاني من النساء بالطارات وانطلقت له النساء بالزغاريت
من الطيقان وساق قدامه البرجاس عربان بنى حرام وكان ذلك اليوم من الايام المشهودة
قل ان يقع لاحد من الامراء مثل ذلك فلهج الناس بهذا الموكب وقالوا لعل هذا نهاية سعد
الزينى بركات بن موسى ولم يقع مثل هذا الموكب للملك المظفر سليم شاه بن عثمان لما دخل الى
القاهرة حين ملكها فلما نزل الزينى بركات بن موسى الى داره أنعم على الانكشارية بثلثمائة
دينار فحصل لكل واحد منهم أشرفى وأنعم على القواسة والسقاين أيضاً بمبلغ جيد وقد
قلت في هذه الموكب أبياتاً

ان ابن موسى لم تزل حركته * تأق بسعد خارق بين الوري
عايته في موكب حفل فلا * سمعت به أذن ولا عين ترى
في يوم سبت شرفوه بخلعة * فاق الملوك وصاريهم منظر
لما استقر أمير محمل سرتنا * واستبشرت لقدمه أم القرى
وتفامل الخلاج أن بكعبه * يلقوا الرخا والامن عن بشر
ياربنا فأطل بقاء بنعمة * تحمد بها الركان عاقبة السرى

وفي يوم الاحد ثالث عشرية أنفق ملك الامراء على جماعة من الامراء الجرا كسة فأعطى
لكل أمير طبخانات أربعين دينارا وأعطى لكل أمير عشرة عشر أشرفيات وقيل خمسة
وعشرين أشرفيات في نظير أفاطيعهم ولحومهم وعليقهم وأعطى المماليك الجرا كسة لكل
واحد منهم ألف درهم من غير زيادة على ذلك وفي يوم الاثنين رابع عشر ربيع الاول
وافق ذلك اليوم دخول أول يوم من الخماسين وهو يوم عيد النصارى وفطرهم ومن جملة
انعام الله تعالى انه لم يقع في هذه الخماسين طاعون بمصر ولا غيرها من البلاد وفي ذلك اليوم
كانت وفاة صاحبنا الناصري محمد بن منكلي بغا وكان موته فجأة وكان لطيف الذات
فكده المحاضرة حسن العبارة في كلامه رقيق الطباع عشير الناس وكان لا بأس به وفي هذا
الشهر حضر الناصري محمد المعروف بابن الورد لاعب الشطرنج وكان بالشام من حين
أرسل خلفه السلطان سليم شاه وكان السلطان أرسل له مبلغا له صورة يتسفر به فلما
توجه الى الشام وجد الخنكار غير منشراح بسبب الصوفي فأقام مدة بالشام ثم استأذن
السلطان في عوده الى مصر فأذن له بالعود الى مصر فأخبر الناصري محمد بن الورد أن قصاد
الصوفي قدموا على ابن عثمان وهو بالشام من مكان غير الطريق السالك فاشعر بهم ابن
عثمان الا وهم بين يديه فدفعوا اليه مطالعة من عند الصوفي وتقدمة حافلة فلما قرأ تلك
المطالعة وجد فيها عبارة لطيفة والفاظا رقيقة تتضمن أمر الصالح بينه وبين الصوفي ونعته
ينعوت عظمة في المطالعة فلما قرأ المطالعة اضطرب لذلك وقال هذا كله مخادعة من
الصوفي حتى يبطل عزمي عن ملاقاته ثم يطرقني على حين غفلة كما فعلت أنا مع السلطان
الغوري فرحل من الشام على الفور وقصدا توجه الى حلب وقال لوزرائه أنا أعلم من
حيل اسمعيل الصوفي ومخادعته ما لا تعلمونه فكان كما يقال في المعنى

توقع كيد من خاصمت يوما * ولا تركز الى ودا لا عادي
فان الجرح ينكث كل حين * اذا كان البناء على فساد

ثم أشيع أن ابن عثمان لما دخل الى حلب أخذ في أسباب تحصين المدينة ثم قبض على جماعة
من أهل بانه ووسه من كان مشهورا بالفساد فشد منق منهم جماعة ثم أشيع أنه صادر جماعة

من أهل حلب وأفرد عليهم الأموال الجزيلة وحصل لأهل حلب منه ومن عساكره غاية الضرر والامر لله واستهل شهر ربيع الآخر وكان أوله يوم الاحد ففي يوم الخميس خامسه قدم الى الابواب الشريفة مصلي الدين بك خازن دار ابن عثمان وكان توجهه الى مكة من البحر الملح صحبة الشهابي أحمد بن الجيعان فلما نزل ببركة الحاج خرج الامير قايتباي الدوادار الى ملاقاته وكذلك أعيان المباشرين فلما طلع الى القلعة وقابل ملك الامراء خلع عليه ونزل الى منزله في موكب حافل وقدمه الامراء العثمانية والجراسية والكثيرون من العساكر وفي يوم الثلاثاء عاشره وقعت حادثة غريبة وهي أن ملك الامراء خير بك أشهر النداء في القاهرة بأن كل من رأى كلبا يقتله ويعلقه على دكانه فبادر الناس بالقبض على الكلاب وصارت التراكية يسكون الكلاب من الطرقات ويوسطونهم بالسيوف نصفين فقتلوا في ذلك اليوم ما لا يحصى من الكلاب حتى قيل انهم قتلوا في ذلك اليوم فوق الخمسمائة كلب على ما أشيع وصار العياق يسكون الكلاب من الحارات والازقة ويقتلونهم أشرقته وصاروا يعلقونها على الدكاكين ولم يعلم ما سبب ذلك ثم أشيع بأن عادة التراكية في بلادهم باسطنبول اذا كثرت عندهم الكلاب في المدينة يقتلون منهم جانباً كبيراً في أيام الخميس يزعمون أن بذلك يخف الطاعون من المدينة فصارت عندهم عادة ثم استمر السيف يعمل في الكلاب يوماً وليلاً حتى هجت الكلاب مما دهاها الى الترب والعصراء وقد قلت في المعنى

تأملوا ما جرى بمصر * من حادث عم بالعذاب

فصار في الترف في دماء * فكيف يرعوادم الكلاب

فلما تزايد الامر في قتل الكلاب طلع الزيني بركات بن موسى المحتسب الى ملك الامراء خير بك وشفع في الكلاب من القتل وقال لملك الامراء لا تعرض لقتل الكلاب لان أربك أمير كبير تعرض لقتل الكلاب التي كانت بالازبكية فلم يعش بعد ذلك غير سنة واحدة ومات فرجع ملك الامراء عن قتل الكلاب ونادى في القاهرة مرة بأن يرفعوا القتل عن الكلاب وكل من قبض على كلب يطلعه الى حال سبيله فدعا الناس للزيني بركات بن موسى الذي شفّع في الكلاب من القتل ثم سكن الاضطراب الذي كان بالقاهرة بسبب قتل الكلاب وفي هذه الايام أشيع أن ملك الامراء أخذ في أسباب تحصين القلعة وسد منها أبوابها وحصن الابراج التي بها وركب عليها المكاحل وشرع في عمل عجلات وعمل مكاحل ومدافع وعمل نشاب ولم يعلم ما سبب ذلك ثم أشيع أن ملك الامراء أحضر مصفا شريفاً وأحضر الامراء العثمانية الذين بمصر وحلفهم بأنهم لا يخونونه ولا يغدرونه وأن يكونوا هم وایاه على كلمة واحدة ثم انه حلف الامير قايتباي الدوادار بمعنى ذلك فأقام الامراء في

القلعة على ذلك الى بعد الظهر وهم في ضرب مشورة بينهم ومن الوقائع الغريبة
أنه في يوم الثلاثاء سادس عشر وقعت نادرة وهي أن شخصاً طهر بالنصارية وزعم أنه
السلطان قانصوه الغوري وصار يفسد عقول الفلاحين ويقول لهم أنا السلطان الغوري
وصار يكتب كتاباً ويرسلها الى مشايخ العربان وهي مخلقة بالزعران فصدق غالب
الناس بان السلطان الغوري قد ظهر وهو في قيد الحياة فامتلات القاهرة رقبهم هذه
الاشاعة فلما قويت أخبارها هذا الرجل أرسل ملك الامراء بالقبض عليه من النصارية
فتبضوا عليه وأحضروه بين يدي ملك الامراء فلما مثل بين يديه عرفه وكان نصب
عليه قبل ذلك وهو نائب وادعى أنه قانصوه خسمائة الذي تسلطن وأفسد عقول الناس
أيضاً بحلب فضربه ملك الامراء في حلب بالمقارع وقطع أنفه ثم أتى الى مصر وأشاع
أنه الامير محمد بك قريب السلطان الغوري الذي قتل في غزاة الفريخ وقد نصب بسبب
ذلك وأخذ من الكشاف ومشايخ العربان حلة تقادم وقد قرب الى عقولهم أنه الامير
محمد بك قريب السلطان فقبض عليه السلطان الغوري وضربه ومجنته بالمقشرة فقام
بها مدة وقيل كان أصله من القواسمة ببعض جهات دمشق فلما سافر السلطان الغوري
الى حاب واستقر الامير طومان باي الدوادار نائب الغيبة أطلقه من المقشرة مع حلة
من أطلقه فلما ادعى أنه السلطان الغوري وقبض عليه ملك الامراء خاير بك وقال له أنا ما
قطعت أنفك في حاب وقلت لي اني تبت عن الكذب على الملوك ثم انه رسم بتكليمه على باب
الشعرية فنزلوا به من القلعة وربطوا رجلاه في ذنب أسكديش وصار يهتبه على
وجهه الى باب الشعرية والمشاغلة تنادي عليه هذا جزاء من يكذب على الملوك فرجت له
القاهرة في ذلك اليوم وكان يوماً مشهوداً في الفرجة عليه والناس تقول قدمه سكو السلطان
الغوري فلما وصل الى باب الشعرية كلبوه على الباب بين البرجين فاستمر مكلياً ثلاثة أيام
لم يمت فلما بلغ ملك الامراء انه لم يمت الى الآن رسم بأن ينزلوه ويوسطوه فأنزلوه ووسطوه
عند باب الشعرية في مفرق الطرق بعد أن قاسى أنواع العذاب ودفنوه ومضى أمره وكفى
الناس شره وفيه كانت كائنة الشيخ أبرك الرومي وقد تغير خاطر ملك الامراء عليه فوضعه
في الحديد وقيل ضرب بالمقارع وأشيع أنه قصد شنته فشفع فيه بعض الفقراء ولم يعلم
ماذنبه حتى تغير خاطر خاير بك عليه وقد اختلفت الاقوال في أمره وكان عنده تحشراً في
الاكابر وآخر الامر وقع في هذه الكائنة المهولة وفي يوم الاربعاء سابع عشر نزل ملك
الامراء من القلعة وعدى الى الروضة وأقام بالمقياس وكان صحبته الامير قايتباي الدوادار
وجاعة من العثمانية وأضافهم ضيافة حافلة ومدلهم أسعطة وطواري وسبب ذلك أن
ملك الامراء خاير بك كان بينه وبين الامير قايتباي وحشة وقد صار بعض الوسائط يرمي

بينهما الفتن ثم ان ملك الامراء خاير بك حلف الامير قايتباي الدوادار على مصحف شريف بأن يكون هو واياه على كلمة واحدة ولا يخون بعضهم بعضا وقد تقدم القول على ذلك فلما تحالفوا زال ما كان بينهم من الوحشة وكان نقل الى ملك الامراء أن الامير قايتباي الدوادار متفق مع المماليك الجرا كسة على زواله وكانت هذه فتنة من الاعداء ثم أشيع بين الناس أن الشيخ ابراهيم كان يسعى بينهما الفتن وينقل الكلام الباطل فصنع ملك الامراء تلك الوأمة في المقياس وعزم على الامير قايتباي وجماعة من الامراء العثمانية وأقام ملك الامراء بالمقياس الى آخر النهار فأرسل اليه الزيني بركات بن موسى هنالك مدة حافلة على رؤس الحمالين وصار كل واحد من المباشرين يهدي اليه شيئا من المأكول الفاخر وكان يوما سلطانيا ثم عاد ملك الامراء الى القلعة بعد العصر من يومه وفيه حضر شخص من حلب بهلوان ونصب في بركة القرع التي بالجسنية صواري وحبالا وكان يوم الجمعة فاجتمع الجمل الكثير من الحلاق فلما صعد على الحبال أظهر أشياء غريبة في صنعة البهلوانية وهو واقف على الحبال منها انه نصب له أدماج وسية ورجي بالنشاب في السية وهو واقف على الحبال ومنها أنه مشى على الحبال وهو مقيد وعيناه مربوطة بخزقة ومنها أنه مشى على الحبل وفي رجله قيقاب وتحتة ألواح صابون ورجي في الأدماج وهو واقف على سيوف مسلولة ومنها أنه مشى على الحبال مقلوبا وهو مغني العيينين وأظهر من هذه الألعاب العجائب والغرائب وكان لمصر مدة طويلة من أيام الاشرف برسباي لم يدخلها مثل هذا في صنعة البهلوانية وكان هذا البهلوان يدعى يوسف وقيل انه من أبناء حلب وقيل انه نشأ باللاذقية وكان شابا جميل الصورة وله عبيد علمهم صنعة البهلوانية يعيشون على الحبال أيضا ويظهرون الفنون الغريبة مثله وفيه حضر الزيني طيلان رأس نوبة وكان توجه الى مكة المشرفة من البحر المالح صحبة مصلح الدين بك والشهابي أحمد بن الجيعان وكان أشيع عنه أنه توجه الى اسطنبول مع جملة من توجه هناك فلم يصب ذلك وانما كان توجه الى مكة وحضر من البحر المالح أيضا وفيه توفي العلاقي علي بن طوغان الذي كان دوادار الاشرف قانصوه خسمائة وكان من أعيان أولاد الناس وكان رئيسا حشمه الى الجانب سيوسافي أفعاله وقاسي في آخر عمره شداثد ومحننا بسبب قانصوه خسمائة وفيه حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه فلما حضر أشيع بين الناس أن السلطان مقيم بحلب وأرشاه اسماعيل الصوفي متحركا على ابن عثمان وهو في جمع كبير من العساكر وان ابن عثمان أخذ حذر منه وأشيع بين الناس أن نائب الشام جان بردي الغزالي تحايل على ناصر الدين ابن الحنش شيخ الاعراب والبقاع وغير ذلك من جهات دمشق فلما تحايل عليه وقعت حيلته عليه قتله وقتل شخصا آخر من مشايخ العربان يقال له ابن الحرفوش وكان

ناصر الدين بن الحنشل كثير العصيان على نواب حلب بل وعلى سلاطين مصر أيضا وكان لما
ملك ابن عثمان دمشق استنع من المقابلة به فتحايل عليه جان بردى الغزالي حتى أخذه بغتة
وقتل وحر رأسه هو وابن الحرفوش وأرسل رأسهما إلى ابن عثمان وهو بحلب فعند ذلك من
جملة سعد بن عثمان ولولا تحيل الغزالي على قتل ابن الحنشل بحيلة صعدت من يده لما قدر
على قتل ابن عثمان أبدا وقد عجز عن ذلك سلاطين مصر وفيه أشيع أن الحنكار سليم شاه
لما توجه إلى حلب أرسل سيدي محمد بن السلطان الغوري إلى اسطنبول وأرسل
صحبه آخرين من أمرائه يحفظون به إلى أن يدخل إلى اسطنبول وأشيع أن الحنكار
لما دخل إلى حلب أقام بهامدة وحصن سورها وأبراجها وأبوابها وعمر فيها ما يحتاج إليه من
العمارة وقتل من أهل حارة بانقوسة جماعة من شرار أهلها وقيل وزع على جماعة من أعيان
حلب مالا له ضرورة وعمل فيهم الباطل فلما بلغه أن شاه اسمعيل الصوفي يقصد أن يزحف على
البلاد الحلبية أخذ يتلافى خواطرا أهل حلب ورفع عنهم ما أحدثه عليهم من المظالم وقد
تقدم القول أن ابن عثمان لما كان مقيما بدمشق طرقتة قصاد الصوفي على حين غفلة
من طريق غير الطريق السالك وهي أسربة قليلة السالك وهي طريق يقال لها الحلوية
بالقرب من تدمر فاشعر ابن عثمان الأوهام بين يديه فقال لهم لم لا أتيتهم من الطرق السالك
فقالوا له إن شاه اسمعيل الصوفي أرسل إليك عدة قصاد ونوابك الذين في البلاد يقتلونهم فقال
لنا توجهوا من هذه الطريق ثم قدموا إليه مطالعة الصوفي فأشيع أن مضمونها أنه أرسل
يتفرق له في المطالعة ونعته فيها نبوءة عظيمة بأنك ملكك البلاد والعباد وملكك مصر
وصرت خادم الحرمين الشريفين وأنت الآن أسكندر عصرك والماضي بيننا لا يعاد
فتوجه أنت إلى بلادك وأتوجه أنا إلى بلادى ونصون دماء المسلمين بيننا ومهما كان
قصدك فعلته لك فلما وقف السلطان على مطالعة الصوفي قال لوزرائه إن هذه الهدية التي
أرسلها إلينا وهذا الكلام الذي في المطالعة كله حيل وخداع حتى يبطل عزى عن ملاقاته
ويطرقى على حين غفلة كما فعلته قصاده فتبيل أنه أخذ الهدية التي أرسلها وقتل القصاد
وما أبقى منهم سوى كبيرهم فكان كما قيل في أمثال الصادح والباغم
وان من يستنصح الأعدى * يردونه بالغش والفساد

ثم إن ابن عثمان لما وردت إليه قصاد الصوفي وهو بالشام رحل عنها وتوجه إلى حلب وأقام
في أسباب تحصينها كما تقدم وفي جادى الأولى وكان مستهل الشهر يوم الثلاثاء
طلع القضاة إلى القاعة وهذا ملك الأمراء بالشهر وعادوا إلى منازلهم وفي يوم الأربعاء
نائبه توفيت زوجته الأمير قايتباى الدوادار وهي سريه الملك الأشرف طومانباى التي
تدعى نالباى فلما ماتت دفنت في حوش مدرسة السلطان الغوري وفي يوم الخميس ثلثه

قدم القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر وكان توجه إلى مكة المشرفة
 من البحر المالح صحبة مصلح الدين خازن دار ابن عثمان فسبقه مصلح الدين وتأخر بعده مدة ثم
 حضر فلما حضر طلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء فذاع عليه قنطارنا أجر مجمل مذهبا
 ونزل من القلعة في موكب حفل وقدامه علاء الدين بن الإمام كاتب السر وأعيان المباشرين
 من أرباب الوظائف وركب قدامه نقيب الجيش الشرقي يونس وجماعة من الأمراء
 العثمانية ومن الأمراء الجرا كسة فزينت له حارة البندقانيين وأوقدوا له الشموع على
 الدكاكين وتحلفت جماعته بالزعران وكان ذلك اليوم مشهودا بالقصف والفرجة
 وفيه رسم ملك الأمراء بالافراج عما يدي أولاد الناس والنساء من المربعات التي كانوا
 أوقفوها من أول السنة ولم يعضها المباثرون فحصل لأولاد الناس الضرر الشامل بسبب
 ذلك وعمل المباثرون بحيلة مال له صورة وأمضوا للناس الافراج عن رزقهم واقطاعاتهم
 ونفعوا الناس غاية النفع ولم يشعر ملك الأمراء بشئ من ذلك وفيه وقعت حادثة شنيعة
 وهي أن شخصاً من العوام كان أصله مؤذنا فدخل في بعض الغيطان وقطع عيدان خيار
 شنبرو وضعها في قفة فقبض عليه الخولي وحصل بينهما مشاجرة فأغلظ عليه الخولي وأتى به
 إلى بيت الوالي وقص عليه أمره فطلع به الوالي إلى ملك الأمراء وعرضه عليه وهو حامل
 القفة التي فيها الخيار الشنبر فلما علم ملك الأمراء بذلك وكان ملك الأمراء خرج على بيع
 خيار الشنبر وصار يشتريه على ذمته ويتجرفه ثم إن ملك الأمراء رسم للوالي بشئ ذلك
 الرجل الذي سرق خيار الشنبر فاشهره في القاهرة حتى أتى به إلى التظيرة التي بزقاق الكحل فشنتقه هناك وأقام
 رقبته وشق به من القاهرة حتى أتى به إلى التظيرة التي بزقاق الكحل فشنتقه هناك وأقام
 ثلاثة أيام وهو مصلوب لم يدفن وراح الرجل ظمأ على بعض عيدان خيار شنبرو مات ساوياً
 أربعة انصاف فتأسف الناس عليه كيف راح ظمأ على شئ ما يستحق هذا كله وكان له
 أولاد وزوجة وكان ملك الأمراء يبيت يسكر طول الليل ويصبح في خبال السكر يحكم بين
 الناس بما يقول له عقله ولم يظهر العدل في محاكماته قط منذولى على مصر وفي يوم الثلاثاء
 خامس عشره في تلك الليلة تحسف القمر وأقام في الخسوف ثمانية وأربعين درجة وفيه
 أنفق ملك الأمراء الجامكية على الأمراء الطبخانات وعلى الأمراء العشر اوات وعلى
 المماليك الجرا كسة فأعطى الأمراء الطبخانات كل واحد أربعين ديناراً وأعطى
 الأمراء العشر اوات كل واحد منهم خمسة وعشرين ديناراً كما أنفق عليهم في الشهر
 الماضي وأنفق على المماليك كل واحد منهم ألفي درهم على العادة وأنفق على أولاد الناس
 ممن نزل اسمه في الديوان فأنفق على العسكر جامكية شهرين كانت منكسرة لهم في الديوان
 من غير لحوم ولا عتيق وفي يوم السبت تاسع عشره توفيت والدته الشهابي أحمد بن الجيعان

وكان لها جنازة حافلة وفي يوم الاحد عشر يه وقعت حادثة مهولة وهي أن ملك الامراء
 خير بك كان عين جماعة من الانكشارية والاصباكية أن يسافروا الى الخنكار بحلب
 صحبة مصلح الدين فلما قصد مصلح الدين السفر هربت الانكشارية والاصباكية في تلك الليلة
 وكسروا أبواب القلعة ونزلوا منها على حمية وتوجهوا الى مصر العتيقة فنزلوا في المراكب
 البكار ثم أخذوا جماعة من النواتية وسافروا في المراكب وقصدوا أن يتوجهوا الى جهة
 الصعيد فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل يقول للامير قايتباي الدوادار أن يخرج في هذه
 الساعة وسافر خلف الانكشارية وكل من ظفرت به منهم اقتله فصلي الامير قايتباي صلاة
 الصبح وركب وخرج على حمية وصحبته الامير جانم الجزاوي والامير علي العثماني وجماعة
 كثيرة من المماليك الجراكسة وجماعة من العساكر العثمانية فعقدوا الى بر الجزيرة فأقاموا
 فيه ذلك اليوم حتى تكامل خروج العسكر وخرجوا أفواجا فوافوا جرت لهم القاهرة
 في ذلك اليوم وكثر القتل والقتيل في ذلك اليوم بين الناس بسبب ذلك واضطربت أحوال
 العثمانية في بعضهم وصاروا فرقتين فرقة مع ملك الامراء وفرقة منهم عليه ثم ان الامير
 قايتباي رحل من الجزيرة هو والعسكر وتوجه الى نحو الميمون بالقرب من جزيرة بنى على
 فتلاقوا هناك مع الانكشارية والاصباكية الذين هربوا هناك ثم ان الزينى بركات بن موسى
 المحتسب رسم له ملك الامراء خير بك بان يتوجه الى مصر العتيقة ويسكن مراكب
 ويرسل فيها زوادة للامراء والعسكر الذين توجهوا الى الميمون فأوسق عدة مراكب فيها
 زوادة ما بين بقسمات وجن حالوم ورزومن وعسل وغير ذلك من الزوادة وأرسل ذلك الى
 العسكر ثم في يوم الاربعاء ثالث عشر يه وردت الاخبار بان الامير قايتباي الدوادار قد
 انتصر على الانكشارية والاصباكية الذين هربوا فلما تلاقوا معه عند جزيرة بنى على
 تصدى الى قتالهم الامير جانم الجزاوي والامير علي العثماني فحاصروا الانكشارية في
 المراكب ورموا عليهم بالمدافع والبنادق الرصاص فأحرقوا مراكبهم فطلبوا الامان من
 الامير علي والامير جانم الجزاوي وقد وقع غالبهم في البحر فغرق من غرق وقبضوا على الباقي
 وأسروهم فجزوا رؤس جماعة منهم وكانوا نحو ستمائة وثلاثين رأسا وأسروا الباقين بالحياة
 ثم ان الامير قايتباي أرسل تلك الرؤس والاسارى الى ملك الامراء في مراكب فلما
 طلعوا بهم اعلقوها على مدارى كجفعه لوابر رؤس الجراكسة والمجازاة من جنس العمل فلما
 طلعوا بهم الى القلعة قصد ملك الامراء أن يعلق تلك الرؤس على أبواب المدينة فشق ذلك
 على بنية العثمانية ومنعوا ملك الامراء عن ذلك وأما بقية الانكشارية الذين أسروا بالحياة
 فقطعوا رؤسهم أجمعين فقليل كانت عدة الانكشارية الذين قتلوا والذين هربوا والذين
 غرقوا نحو مائة وخمسين انسانا ومن العجائب أن التراكمة كانت في العام الماضي تقتل

أولاد الجرا كسة فمما قريب صارت المهالك الجرا كسة تقتل التراكمة في الليل والنهار وهذا عجيب وقد ورد في بعض الاخبار لا تكرر هو الفتن فان فيها حصاد المنافقين وقد قيل في المعنى

لا تكرر هو الحرب ان فيه * حصاد نذل مع الخبيث
فسـترـيح ومـسـترـاح * منه كما جاء في الحديث

وفيه خرج مصلح الدين خازندار ابن عثمان الذي قدم من مكة فتوجه الى الريدانية وقصد السفر الى الخنكار ابن عثمان وقد أشيع أن ابن عثمان كان قد أرسل خلفه فلما أقام بالريدانية نزل اليه ملك الامراء وودعه ثم رجع ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل وارتفعت له الأصوات من الناس بالدعاء واستمر على ذلك حتى طلع الى القلعة ثم ان مصلح الدين أقام بالريدانية أياما ثم عاد الى القاهرة فأشيع أن سبب ذلك أن قاصد صاحب اليمن قد وصل الى الطور وصحبته تقدمت حافلة الى السلطان سليم شاه بن عثمان فلما بلغ ذلك ملك الامراء أرسل استرد مصلح الدين الى القاهرة حتى يدخل الى القاهرة قاصدا صاحب اليمن ويأخذ صحبته مع التقدمة ويعضي الى الخنكار فهذا كان سبب رجوع مصلح الدين الى القاهرة وفيه رسم ملك الامراء للقضاة بان يتوجهوا الى مقام الامام الشافعي رضي الله عنه ويقرؤا هناك ويدعوا الله تعالى بالنصر للسلطان سليم شاه على اسمعيل الصوفي فتوجه قضاة القضاة الى مقام الامام الشافعي رضي الله عنه وقرؤا هناك نختمة وقرؤا أجزاء الربعة على الحاضرين فقرؤا أجزاء الربعة عشر مراراً وأهدوا ثواب ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ثم الى السلطان سليم شاه ودعوا له بالنصر على الصوفي وفي يوم السبت سادس عشرية حضر الامير قايتباي الدوادار والامير جانم الجزاوي والامير علي بك العثماني وكانوا توجهوا الى الميرون بسبب محاربة الانكشارية الذين هربوا كما تقدم فلما انتصروا عليهم وقتلواهم رجعوا وطلعو الى القلعة فخلع عليهم ملك الامراء ونزلوا الى منازلهم وفيه حضر الى القاهرة الامير أرزمك الناشف أحد الامراء المقدمين وكان لما ظهر أرسل الخنكار طلبه وهو يطلب فتوجه اليه هو والامير قانصوه العادلي والامير عمر باي العادلي وأقام عنده مدة ثم رسم له بالعود الى القاهرة وكان أشيع بين الناس أن ابن عثمان قرره في الاتابكية بمصر فلما حضر لم يظهر له هذه الاشاعة نتيجة واستمر بطالام مقيما بمنزله ولما حضر حضر بصحبته الامير شاد بك نائب المهتمدار والامير جانم الطويل أحد الامراء العسراوات وكان أشيع موتهم بما يرجح دابق فلما ظهر انهم في قيد الحياة حضر الى مصر وفي آخر هذا الشهر كثرت الاشاعات بان عربان السوا لم قد حضر منهم ما لا يحصى وقد قصدوا حرب ابن بقر وأظهروا غاية الفساد بالشرقية

وفي جادى الآخرة كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع قضاة القضاة الى القلعة وهنؤا ملك
الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الخميس ثامنهم ملك الامراء بقراءة سبع
ختمات واحدة في مقام الامام الشافعى وواحدة في مقام الامام الليث وواحدة في مقام
الشيخ عمر بن الفارض وواحدة في مقام الشيخ أبى الحسن الدينورى وواحدة في مقام
الشيخ أبى الخير الكليانى رضى الله عنهم أجمعين وواحدة في المقياس وواحدة في الجامع
الازهر ورسم بان يهدوا ابواب ذلك للسلطان سليم شاه بن عثمان فانه خرج الى ملاقاته اسمعيل
شاه الصوفى فلما قدم رسول صاحب اليمن وعلى يده مقدمة حافلة للسلطان ساهم شاه بن
عثمان استمر القاصد مقيما بالقاهرة الى أن سافر صحبة مصلح الدين كما سيأتى الكلام على
ذلك وفي يوم الاحد حادى عشر هذا الشهر طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل وأخذ قاع
النيل فجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع أنقص من السنة الحالية بذراعين
وسبعة أصابع فانه كانت القاعدة في السنة الحالية ثمانية أذرع وستة عشر اصبعاً وفي يوم
السبت سابع عشره طرق ملك الامراء أخبار رديئة بان عربان السوالم قد طفشت حتى
وصلت الى بركة الحاج ووصل أوائلهم الى المطرية فلما بلغ ملك الامراء ذلك تنكدوا ورسلا
الى الامير قايتباى الدوادار يقول له اخرج فى هذه الساعة واطرد العربان فخرج من يومه
هو والمالِك الجراكسة وجماعة من العثمانية ورماة من الانكشارية فرجت لهم
القاهرة فى ذلك اليوم فخرجوا وهم سائقون الى بركة الحاج فقبل حصل بين الترك والعربان
عركة يسيرة فقتل فيها جماعة من العربان وأسروا منهم جماعة وقطعوا رؤس أربعة ثم
رجع الاثرالى بعد المغرب وقد وقعت خيولهم وبعض منها تفرقع من العطش ومازأوا خيراً
فهربت العربان من وجوههم وصعدوا الى الجبل ثم رسم ملك الامراء بشنق من أسر
منهم على باب قنطرة الحاجب وعلقوا عليه تلك الرؤس التى قطعوها من العربان وقيل قتلوا
من الاثرالى جماعة ورجعوا من غير طائل من العربان وفى يوم الاربعاء حادى عشره
وقعت حادثة شنيعة وهى أن شخصاً يقال له حسين وكان طشنة دار عند الامير نوروز
أحد الامراء المقدمين ثم بقى فى طشتخانات السلطان الغورى وهو رجل شيخ مسن زعم أنه
رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له امض الى سليم شاه بن عثمان وقل له يرجع الى
بلاده ويكف القتال عن المسلمين بسبب اسمعيل شاه الصوفى وادعى أن ابن عثمان دفع اليه
مالاً له صورة فلم يقبله منه ثم أن ذلك الرجل الى ملك الامراء خاير بك وقص عليه تلك الرؤية
فتهاون خاير بك بكلامه ثم أن ذلك الرجل قال لملك الامراء ارجع عن مظالم العباد أنت
والمباشرون خربت مصر بظلمكم ثم سب المباشرين بحضرة خاير بك سباقياً وقال لبركات
ابن موسى أنت لو حججت فى هذه السنة ما يقبلك النبي صلى الله عليه وسلم فلما تزايد فى

القول حنق منه ملك الامراء فاضرب عنقه فاضرب عنقه في الميدان وقيل ان ذلك
الرجل تكلم بكلام كثير وأظهر أنه كشف له عن أمور تأتي في أواخر هذه السنة
من الاحوال فان كان صادقا فمما قاله وادعاه من هذه الاخبار التي ذكرها فسوف تقع
ويظهر أثره أو صلاحه أو كذبه وفيه أشهر ملك الامراء النداء في القاهرة بأن لأحد من
الحجاج يسافر في البحر المالح ولا يرسل له أحوال من البحر وموجب ذلك فساد العربان في
الطرقات وعيث الفرنج في سواحل البحر المالح وفي يوم الخميس ثاني عشر به خرج مصلح
الدين خازن دار ابن عثمان وتوجه الى نحو الريدانية وقصد السفر الى الخنكار ابن عثمان
فخرج وقت صلاة الصبح وصحبته الامير قاي يتباي الدوادار وأعيان المباشرين والامراء
العثمانية فكان له موكب حافل ثم خرج بعده مقدمة حافلة أرسلها ملك الامراء الى
الخنكار هو وولده سليمان بك الذي باسطنبول فكان ماشية عليه تلك المقدمة من
الخيول أربعين فرسا خاصات عليها عبي قلعي يصحبها أربعون فرسا من الاكاديش واثنتان
وأربعون جلا محملة قماشاً محزومة قيل ضمنها تفاصيل سكيل سكندرية وأبدان منزلاوية
وقماش فارسكوري وغير ذلك من شاشات وازر وزغير ذلك من مقاطع خشبي وخام رفيع
وغير ذلك ومن حملتها أربعة وستون جلا محملة سكر ارض من صناديق جريد بأغشية
لباد أيضاً قيل جلة ذلك أربع مائة قنطار وقيل أن ملك الامراء كره السكر ثانياً وجعل
فيه المسك والعنبر الخام ومن جلة المقدمة جمال محملة عصفرا وحناء وغير ذلك ومن
جلة المقدمة اجمال شقادي ضمنها مرطبات أشربة مربي وأشبيع أن ملك
الامراء أرسل الى الخنكار ابن عثمان جالا عليها مال من خراج مصر عن سنة ثلاث
وعشرين وتسعمائة ولم يعلم ما قدر ذلك فلما مضت مقدمة ملك الامراء طلع في عقيب ذلك
تقدمة صاحب اليمن وهي مقدمة حافلة تشتمل على شاشات وأرز وتحف ومعادن ولؤلؤ
وفصوص ووطايشة وغير ذلك فلما مضت مقدمة صاحب اليمن طلعت مقدمة الامير علي بن
عمر صاحب جهات الصعيد وهي مقدمة حافلة منها مائتا قنطار سكر ورقيق ما بين عبيد
وجواري وخيل وجمال وغير ذلك أيضاً حافلة قصلح للولك وفي يوم الجمعة ثالث عشر به
رحل مصلح الدين من الريدانية وتوجه الى الخانقاه وأشبيع انه لما كان مصلح الدين
بالريدانية سرق من تحت رأسه بقجة قماش قيل ان فيه مبلغاً له صورة وفي يوم الجمعة
الذكر كور طرق ملك الامراء أخبار رديئة بأن حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة أظهر
العصيان وخرج عن الطاعة والتفت عليه عربان قبائل البحيرة وغيره فلما تحقق ملك
الامراء صحة هذا الخبر نزل الى الميدان قبل صلاة الجمعة وعرض المالك الجراكسة
والعسكر العثماني فكتب من الفريقين نحو وخسمائة انسان ما بين انكشارية ورماتوعين

صحبتهم عشر عجلات تكون قدام العسكر وعين الامير قايتباي الدوادار باش المماليك
 الجراكسة وعين امير اخور باش العثمانية وفي هذه الايام اضطربت احوال ملك
 الامراء جدا وقد بلغه أن العربان طردوا اسماعيل بن الجويلي عن أرض البساط وملكوها
 منه واضطربت احوال الغربية الى الغاية واضطربت أيضاً احوال الشرقية بسبب
 عربان السواحل وعبد الدائم بن بقر واخوته واضطربت أيضاً احوال جهات الصعيد وقد
 ضاعت مصالح المسلمين بينهم وخرّب من الشرقية والغربية عدة بلاد وظهر الفساد والفتن
 برا وبحرا والامر لله تعالى وفي يوم السبت رابع عشر به أرسل شكر أخو حسن بن مرعي
 شخصاً من أقاربه يطلب الامان له من ملك الامراء فأرسل اليه ملك الامراء منديل الامان
 وصورة حلف على يد القاضي نقر الدين بن عوض وأرسل اليه قفطان حرير مخلا وخلع
 على شخص من أقارب حسن بن مرعي الذي جاء يطلب الامان من ملك الامراء وفي يوم
 الاحد خامس عشر به خرجت التجريدة التي كانت تعينت الى حسن بن مرعي وكان باش
 العسكر امير اخور أخا ملك الامراء وصحبته جماعة من العثمانية ما بين انكشارية ورماة
 بالسندق الرصاص وخرج حبة العسكر تلك العجلات التي عينت لهم وكانت عدتها عشر
 عجلات وخرجت طائفة من المماليك الجراكسة وتوجهوا الى البحيرة وصحبتهم الامان
 والخلعة الى شكر بن مرعي وفي هذا الشهر وردت الاخبار من مكة بأن عدة مرابك فيها
 افرج يعبثون في البحر الملح ويقطعون الطريق على المسافرين في البحر وأرسل السيد
 الشريف مطالعة الى ملك الامراء بأن يرسل له تجريدة بسرعة وقد خشي على بندر جدة
 ان تطرقه الفرنج على حسين غفلة ويملكونه من المسلمين وفي يوم الثلاثاء سابع عشر به
 نزل ملك الامراء الى الميدان الذي تحت القلعة وعرض العسكر وعين منهم جماعة
 يسافرون الى جدة بسبب حفظ البندر فلما عرض العسكر كتب منهم جماعة ما بين
 چراكسة وأولاد ناس ومغاربة وغير ذلك وكان مجموع ما كتبه من العسكر في ذلك اليوم
 نحو مائتين وخمسين انساناً وأنفق في ذلك اليوم على طائفة المغاربة على حكم ما كان يتفق
 عليهم السلطان الغوري فترلوا من القلعة وشرعوا في أسباب عمل برقهم الى السفر وأما بنية
 العسكر فلم يتفق عليهم شيئاً وقد صبر حتى يرد عليه من مكة خبر آخر في أمر النرج يعقد
 عليه وفي شهر رجب وكان مستهل يوم الجمعة طلع النضارة لاربعة وهنوا ملك الامراء
 بالشهر وعادوا الى دورهم وفي يوم الاثنين رابعه حضر جانبك دوادار الامير قايتباي
 والامير بخشي باي قرا الذي كان شاد الشون والقاضي عبد الفتاح وآخرون من المباشرين
 وكان هؤلاء توجهوا نحو الشرقية بسبب انهم مسحوا جهات الشرقية وميزوا الشراقي من
 الري ومسحوا الاقاطيع والرزق وعملوا بالبائع والذراع في الشرقية وجاروا على المقطعين

في المساحة ثم انتقلوا من الرزق والافاطيع الى جهات الاوقاف فمسخوها وماروا ينزلون الى البلاد ويفردون عليها المال ويضعون الفلاحين في الحديد بعد الضرب المؤلم ويقرروا على كل بلد ما يختارونه من الاموال فخبوا من الشرقية في هذه الحركة فوق المائة ألف دينار وخرب في هذه الحركة غالب بلاد الشرقية ورحل منها الفلاحون وكان هذا أكبر أسباب الفساد في حق الناس فعمت هذه الحادثة أصحاب الرزق والافواق من الرجال والنساء حتى الارامل والايام والمستحقين وقد تعطلت الاوقاف بسبب ذلك وكان هذا كله بواسطة ملك الامراء خير بك فانه كان سببا لذلك فعنده ذامن جملة مساويه في حق أهل مصر وحصل في هذه الحركة غاية النفع للباشرين الذين تكلموا في أمر هذه المساحة بالشرقية والامر لله وحده وفي يوم الاثنين طدى عشره أشهر ملك الامراء خير بك المناداة في القاهرة بان الممالك الجراكسة لا يلبس زبوطا ولا يعيشون ببقايا في الاسواق ولا يجلسون على المساطب في الحارات ولا على أبواب الجوامع وكان ملك الامراء سامح لهم أولا في ذلك ثم ضيق عليهم ومنعهم من هذه الافعال فيما بعد وفي يوم السبت سادس عشره رسم ملك الامراء بشنق شخص عجمي فشنق وكان هذا الشخص تاجر في سعة من المال فلما حضر من بلاد الشرق ومعه متجرب عال له صورة طمع ملك الامراء في ماله وزعم أنه جاسوس من عند شاه اسمعيل الصوفي حضر ليكشف عن مصر وأحوالها ويطالع الصوفي بذلك فشنقه ظلما واحتاط على جميع أمواله وجعل له ذنبا انه جاء من عند الصوفي جاسوسا وفي يوم الاربعاء عشره حضر شيخ العرب شكر أخو حسن بن مرعي شيخ جهات البحيرة القاضي نحر الدين بن عوض وقد تدم القول بأن ملك الامراء كان أرسل له مندبيل الامان على يد ابن عوض فأطاع وحضر الى القلعة وقابل ملك الامراء فخلع عليه قفطان حرير ونزل من القلعة وتوجه ليحضر أخاه حسن بن مرعي فتوجه الى نحو قليب وصحبته القاضي بركات المحتسب ليحضر حسن بن مرعي وأرسل له ملك الامراء مندبيل الامان على يد القاضي بركات المحتسب ثم في أثناء ذلك اليوم حضر حسن ابن مرعي ودخل القاهرة وعلى رأسه مندبيل الامان وصحبته جماعة من العثمانية وأمير اخو اخو ملك الامراء والزني بركات المحتسب ونحوه والدين بن عوض وجماعة كثيرة من العربان فشق من القاهرة ومندبيل الامان على رأسه فلما طلع الى ملك الامراء بالقلعة وقابله خلع عليه قفطانا مخلا مذهبيا ونزل من القلعة في موكب حافل وكان أشيع أن ملك الامراء سيقبض عليه فانه وقع في ذنب عظيم وسبب ذلك انه كان مسجوناً بالقلعة من حين قبض عليه الخنككار وجننه به فقتل من هنالك ليلا وهرب واستتر في عصيان وهجاج مدة طويلة وكثر القيل والقال بسببه والتف عليه جماعة كثيرة من عربان الغربية فلما

طلع وقابل ملك الامراء وخلع عليه بطايت تلك الاشاعات التي كانت تشاع بين الناس
بسبب عصبانيته وفي يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب كانت وفاة صاحبنا الشيخ بدر
الدين محمد بن محمد الزيتوني العوفي رحمة الله عليه وكان أحد ثواب السادة الشافعية وكان
فاضلا عارفا بصناعة القضاء والتوقيع ماهر في الخطب وكان فكه المحاضرة كثيرا مشرة
للناس وكان علامة في فن الزجل وكان ينظم الشعر على فنون وهي الشعر والدوبيت
والموالي والموشحات وكان له شعر جيد وتنظم ارجوزة مفيدة في النقة وشرحها شرحا على
الافاضة مفيدا في معناه ومن شعره الرقيق قوله ملغزا في اسم خيرة

ياسائي عن اسم من * خدوده كالغندم

في خدوده وثغره * وفي فؤاده المغرم

وكان مولده سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وذلك في شهر شعبان في سادسه فكانت مدة
حياته اربعاً وتسعين سنة الا يوماً فلما مات حضر القضاة الاربعة وصالوا عليه وكانت له
جنازة حافلة ودفن بجوش تربة الصوفية رحمه الله تعالى ولما توفي الشيخ بدر الدين الزيتوني
رثاه ولده القاضي بدر الدين محمد بهذه القطعة الزجل اللطيفة وهي قوله

يحق لي أن أرى لموت والدي * كان أفصح النظام وعقل ورجح

في درج الا كفان للقيام اندرج * واجب على فقدو بعزمي أصبح

كان والدي في فن الازجال تقصدا * حفاظ مصر والكل يبه يعتنون

وفي جميع العلوم مالونظير * فقيه مدرّس في جميع الفنون

يدري الاصول والنحو عرب خطيب * ومنطقي في الصرف عاقل مصون

جا الموت خدوا واصبحت بين الوري * فريدو جمع الناس بحزني تنج

ويندبوا همي عليه بالفراق * وما جرى من جفن غيني الفريح

قوموا بنا جمع المسوا الى الصحاب * نرى الذي قد كان وكان في الدهور

زين الوجود مالو وجود في الوري * عارف بفن الشعر والكل زور

أصحابنا زيدوا النواح والنحيب * على أديب يدري أصول البهور

مثلاً أحدي بحسن زجل في الانام * ولا موشح لوود وبيت صحيح

والفرق ظاهر مثل صبح الدجى * ما بين قاضي الكل والزمر ربح

كان في الادب ناظم وناثر فصيح * وقد حوى جله محاسن ملاح

ان قلت في التحرير حري النظام * بل سيد ولما تعدد النصاح

أو عن تر العبسي نهار الجمال * أو نشر حاتم طي عند السماح

وما شماغ رقتوا في البديع * وقس ما ينقاس بنطقوا الفصح

وسائر الحفاظ تراهم — م لديه * ما يقتدوا — الا بقولوا الصحيح
يامن روى الاخبار كان والدى * مختص بالآداب وكان لى مفيد
مفتاح ابواب الرزق للذيق فرج * وجهه سرور كعبه مبارك سعيد
مختار فعل الخير بشير الفرح * مرشد ومحسن كل ما فيه مليم
ياقوتيا الخط و بجوه — رانى * فرقو صباح ظاهرو وجهه وصبح
كان آخر النظام وبحرا العلم * وروض تربه زاهر بديع الصفات
ونقلدان مع راح وريحان وروح * جمع ضريح و ذى المعاني الشتات
كيف لا أحرك للضريح ساكنى * وابكى عليه طول الحيا للامات
ومشتكى حزنى وروضى الترب * والنسقل والراح الذى لم يريح
والروح والريحان وما قد — دم * من الوجود موجود بذال الضريح
بعدد على الدوم قد ألت النواح * والحزن عن يعقوب ورثت النعيب
أصحت من مانوح سفينى غريق * والدمع طوفان ما طفالى لهيب
يارب هب لى صبرا يوب عليه * وارسل اليه رحمه بطمه الحبيب
قلبي من اجل وصار بحزنى كليم * والدمع لوفى صحن خدى مسيح
وناغريق محروق بنار الخليل * وشبه اسماعيل بحزن فذبح
قد نظم الجوهر بتأليف كتاب * حاوى علوم الفقه سهل البيان
رقد شرح لشرح واضح مفيد * وصار لويه تذكرا بطول الزمان
وقال دخيرة لى ليوم النشور * أسمك كنه ربي فى فسح الجنان
دار النعيم فيها مقسم لم يزل * ما بين أشجار و كوث ريسج
والحور والولدان وما يشتهيه * من النواكه مع مقام فسح
ونا بن زيتونى عريقا لنسب * يارب الارباب يا لطيف يا خبير
اجبر بلطفك كسر قلبي الحزين * يا جابر العظم الرميم الكسير
واعطف على يحزنو الورى * وما تعسر فاجعلولى يسير
مدح المجد للخلائق شفا * به يمدى قلبي ويوأس — ترج
ونا أريد أم — مدح محمد عسى * يطقى لهيبي واهدى بالمدح
صلوا على المختار حبيب الاله * من أرس — لوالله للخلائق شفيع
يوم القيامة والخلائق زمر * يانوا لا دم يقول ما أس — طامع
اشفع تشفع فى امتك يسمع الـ * مولى ويغفر كل ذنب قبيح
ويدخلوا الجنة كذا قد ورد * عن النبي مسند حديث صحيح

وفي هذا الشهر توقف النيل وسلسل في الزيادة وصار يزيد في كل يوم اصبع وتارة اصبعين
وقدمضى من مسرى عشرة أيام ولم يصل النيل الى عشرة أذرع فاضطربت أحوال الناس
في تلك الايام وتشحطت الغلال وبلغ سعر البطة الدقيق اثني عشر نصفا فعند ذلك رسم ملك
الامراء بان ينزل الوالى ويكبس الروضة فنزل هو وجماعة من الامراء العثمانية وكبس
الروضة وفك الخيام التي كانت بهم واشهر المذاذة هناك بان لأحد يتجهر بالمعاصي ولا يجمع
جوعا ولا ينصب خيمة على شاطئ البحر ومن يفعل ذلك يشنق على باب داره من غير معاودة
في ذلك فانكف الناس عن التجاهر بالمعاصي بالروضة فنزل في ذلك اليوم غالب الناس من
الروضة وفي شهر شعبان وكان مستهل يوم الاحد طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء
بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الاثنين تاسع الشهر كانت وفاة الشيخ الصالح القطب
العارف بالله تعالى الورع الزاهد الناسك الشيخ محي الدين عبد القادر ابن الشيخ الصالح
العارف بالله تعالى حسن ابن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين المدعو شرف الدين
موسى الدشوطي رحمة الله عليهم أجمعين وكان الشيخ عبد القادر شافعي المذهب مجذوبا
واعيا وكان مكشوف الرأس وكان دائما شعره في رأسه وعلى جسده مجة خشنة دائما
وكان سوا حال لا يتخذ له سكنا ولا زوجة ولا ولدا ولا عيالا وكان يتغذى بالقرقيش والزعر
دائما وكان لا يأكل طعام اللحم الا قليلا وكان مهيبا معظما عند الملوك والسلطين
وأعيان الناس وكانت رسالته عندهم لا ترد وكان في أواخر عمره حصل له كفاف في عينيه
واستمر على ذلك حتى مات وقد عاش من العمر نحو ثمان وثمانين سنة أو فوق ذلك وكان
محبيا للناس وكانت النذور التي تدخل عليه من عند الاكابر ينشئ بها جوامع بخطب
ومساجد وله عدة جوامع ومساجد في أماكن شتى ولما توفي ارتجت له القاهرة ونزل ملك
الامراء والعثمانية والامير قايتباي الدوادار والقضاة الاربعة وأعيان الناس وأرباب الدولة
وخرج نعشه من بيت المعلم حسن الصياد المهندس خارج باب الشعرية ورفعت له الاعلام
على نعشه وحضر أطفال المكاتب وعلى رؤسهم المصاحف ومشوا حول نعشه واستمر على
ذلك حتى وصل الى مدرسته التي أنشأها تجاه سيدي يحيى البلخي فدفن بها وكانت جنازته
حافلة بركة الله عليه وكان بقية السلف من الاولياء وفي هذا الشهر قبض ملك
الامراء على يوسف البدرى الوزير ورسم عليه وعلى زوجته وعلى عياله وعلمائه وحاشيته
وقرر على يوسف البدرى ماله صورة وعلى زوجته وجماعته ونمادى أمره في المصادرة
حتى ذهب ما يملكه جميعا من صامت وناطق حتى باع أثاث البيت من قطارميز وزلع حتى
الحصر وغير ذلك واستمر في المصادرة نحو شهرين هو وزوجته وهم في الترسيم وعياله وآخر
الامر أرسلوه الى اسطنبول وسياق الكلام على ذلك في موضعه وفيه نادى ملك الامراء

في القاهرة للبشرين والعمال بانهم لا يستخرجون من بلاد الشرقية والغربية عن سنة
أربع وعشرين وتسعمائة شيئاً إلا بمرسوم من عند ملك الامراء فاضطربت أحوال المسلمين
والمبشرين وكثر بينهم القيل والقال بسبب ذلك وفي يوم الجمعة ثالث عشرة الموافق
لسابع عشر مسرى وفي النيل المبارك الستة عشر ذراعاً ولم يزد من الذراع السابع عشر
شيئاً فلم يفتح السد في ذلك اليوم وفي يوم السبت رابع عشرة وفي النيل المبارك وزاد اصبعاً
من السابع عشر ففتح السد في ذلك اليوم فلما وفي نزل ملك الامراء وتوجه الى المقياس
وخلق العمود ومد هناك مدة حافلة وحضر الامراء العثمانية ثم نزل في الحراسة وصحبته
الامراء العثمانية وتوجه الى السد وفتحه وكان يوماً مشهوداً وأوكب وهو طالع الى القلعة
موكباً حافلاً وكان وفاء النيل في هذه السنة على غير القياس لانه كان نيلاً شحيحاً وسلسل
في الزيادة وتوقف أياماً وتشحطت أسعار الغلال جميعها ثم وفي بعد ذلك فقرح به كل أحد
من الناس وكان الامر كما قاله المعمار

النيل وفي رزال الهم وانفجرت * عنا الهموم وهان الفرح ثم رعى
وراح خزانة للنيل يتظـره * فاستكثر الماء في عينيه ثم عى

ومن الحوادث في يوم وفاء النيل أن شخصاً من العثمانية غرق في البحر فتكده ملك الامراء
والعثمانية بسببه وفي يوم الثلاثاء سابع عشر حضر قاصد من البحر من عند الخنكار
ابن عثمان ولم يعلم ما قد جاء فيه وما سبب مجيئه وكثر القيل والقال في ذلك ثم ظهر
من بعد ذلك ما جاء بسببه وسند ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ولما فتح السد وجرى
الماء في الخلدان لم تسكن البيوت التي في الجسر ولا التي في المصطاحي ولا حكر الشامي فشكى
أصحاب الاملاك من ذلك الى والى القاهرة فنادى للناس في الجسر بأن يسكنوا وعليهم أمان
الله تعالى والذي لا يسكن في بيته ولا يعمر يضرب عليه ملك الامراء نكده ويضير ملكه
فصار يكرر تلك المناداة للناس ثلاثة أيام متوالية فسكن في الجسر بعض بيوت ودخل
بركة الرطلي بعض مراكب البياعين وأما الجزيرة الوسطى فانها خربت عن آخرها ولم يبق
منها غير الجدر ورسوم البيوت لا غير وابتاع أصحاب الاملاك بيوتهم أنقاضاً وكان السلطان
الغوري قد دخل الجزيرة بجسر عنده قطرة مودة الجبس فتلاشى أمر الجزيرة الوسطى
من يومئذ دخلت بيوتهم من السكان وكانت من أجل متفرجات الديار المصرية وكان
مبتدأ منشئها في دولة الاشرف ايتال سنة اثنتين وستين وثمانمائة ولا زالت الناس تنشي
فيها الاملاك الجميلة الى سنة احدى وعشرين وتسعمائة فتلاشى أمرها وخرت جملة
واحدة لما دخل ابن عثمان الى القاهرة وجرى منه ما جرى ونزل في الجزيرة على رملة البحر
فصار عسكره يخرب بيوت الجزيرة ويأخذ سقوفها وأبوابها وطيقاتها فخرت بالكلية

من يومئذ وانقطع الرجاء من عمارتها ناديا والاصل في ذلك انها استت على غير تقوى
 وكانت بقعة فسق وزنا فالأمرها الى الخراب سريعا وفي يوم الاثنين ثالث عشرى هذا
 الشهر وافق ذلك اليوم يوم النوروز والنيل في ستة عشر ذراعا ولم يدخل في الذراع السابع
 عشر وكان من مبتداه الى منتهاه ذيلانين وفي يوم الثلاثاء رابع عشر به توفي سودون
 نائب دمياط وهو أحد الامراء العسراوات مات بطلا وفي شهر رمضان وكان مستهل يوم
 الاثنين طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء باصوم ثم عادوا الى دورهم ولم تدخل
 شهر رمضان كانت الاسعار مشحطة في سائر البضائع وقد تناهى سعر القمح الى اشرفيين
 كل اردب والبطيخة الدقيق الى اربعة عشر نصفًا والسكر تناهى سعره الى اربعة
 وعشرين اشرفيا كل قنطار والقطر النبات بخمسة أنصاف كل رطل والقطر المكرر
 باربعة أنصاف كل رطل والعسل النحل بثلاثة أنصاف كل رطل والعسل الاسود بنصفين
 كل رطل والسمن بثلاثة أنصاف كل رطل والجبن المقل بثلاثة أنصاف كل رطل والجبن
 الخالوم بنصفين كل رطل والجبن الازرار الذي في مائه بنصف فضة كل رطل وتشحط اللحم
 الضاني واللحم البقرى حتى صار لا يوجد الا قليلا فابتاع اللحم الضاني بثمانية عشر كل
 رطل والبقرى بثمانية كل رطل وابتعت الخمر المشبك من القادري بخمسة أنصاف
 كل رطل والمنفوش بستة كل رطل وعمت هذه التشحيط سائر البضائع وسائر الحبوب
 حتى انضروا بسبب ذلك ان الزينى بك كان موسى كان مشغولا بعمل برق الجواز وقد
 أهمل أمورا حسبة ولم يلتفت اليها فخارت السوق على الناس وهم في أمر حزين بسبب
 هذه التشحيط التي وقعت في تلك الايام وكادت الناس أن يأكل بعضهم بعضا وفي يوم
 السبت ثالث عشره جالس ملاك الامراء في المقعد الذي بالحوش فتكاثرت عليه المماليك
 الجرا كسة في المقعد فخنق منهم فقال لانكشارية الذين حوله اضربوهم واطردوهم
 من المقعد فلما سمعوا منه ذلك ضربوا المماليك الجرا كسة بالعصى على وجوههم ضربا
 فاحشا فجاءت ضربة على أكتاف جاني بك دوا دار الامير فايتباى الدوا دار فارتفع كتفه
 فحصل للمماليك الجرا كسة في ذلك اليوم كسر خاطر ونزلوا من القلعة على أقيح وجهه ثم
 في عقيب ذلك اليوم طلع المماليك الجرا كسة الى الميدان بسبب تفرقة الاطلاق فحضر
 القاضى شرف الدين الصغير ككاتب المماليك وفرق الاطلاق فاعطى الجماعة من
 المماليك فدان طين ونصف وبعض فدانان وبعض نصف فدان فتضرر المماليك من ذلك
 وقالوا ايش يكفيننا النصف فدان وشكوا من ذلك فسهبهم القاضى شرف الدين سباقيجا
 وقال لهم يا كلاب يا زرايين أنتم بئى انكم باب والارأس حتى تتكلموا ويضتم وجوهكم

في ايش حتى تستحقوا اطلاقات وبعدهم غاية اليهم - دلة فنزلوا من الميدان على أقبح وجه
وقد قلت أيتها في هذا المعنى

لما تكبرت الجراكسة التي * كانت بعصر أذلهم رب الورى

وأذاقهم ذل السؤال وفاقاة الأيدى وأديهم بما لهم وجرى

وفي هذا الشهر وقعت بين ملك الامراء وبين الامير قايتباى الدوادارقتنة وصار كلما طاع
اليه يعقته وسبب ذلك ان شخصا من عربان السوالم كان عند قايتباى فأرسل خاير بك اليه
انكساريا أخذ من عنده ووضع في الحديد فصار بينهما حظ نفس في الباطن وفيه قدمت
الاخبار من اسطنبول على يد شخص من العثمانية وصار يشرق مراسيل على عيال من توجه
الى اسطنبول فذكروا في كتبهم وفاة جماعة كثيرة من أهل مصر عن توجهه الى اسطنبول
لم تحضر في أسماؤهم الآن وأشيع أن الخنكار لما رحل عن حلب الى بلاد على دولات نزل
بمرعش وأقام بهامدة ثم رحل من هناك وتوجه الى اسطنبول وهي القسطنطينية العظمى
محل كرسي مملكة ابن عثمان فقيل ان أمير المؤمنين محمد المتوكل على الله لما بلغه مجيء
الخنكار خرج من اسطنبول ولاقاه هو وأولاده وعلمه والعلاء على ابن الملك المؤيد وأولاد
الامراء الذين هناك والمباشرون وأولاد الجليخان الذين هناك وأولاد الناس من أهل مصر
الذين توجهوا الى اسطنبول فلما وقعت عين الخليفة على ابن عثمان أراد أن ينزل له عن فرسه
خلف عليه الخنكار ومنعه من النزول اليه وقيل انه عظمه غاية التعظيم وأما بقية أعيان
أهل مصر الذين هناك فلم يلتفت اليهم لما خرجوا اليه ولا قوه هكذا أشيع بين الناس وكانوا
يظنون أن الخنكار اذا دخل الى اسطنبول يفرج عنهم ويرسم لهم بالعود الى مصر فلم يخاطب
منهم أحدا ولم يلتفت اليهم وأشيع أنه لما دخل الى اسطنبول دخل في موكب حافل فأقام
ثلاثة أيام ورحل عنها وتوجه الى بلد من أعمال مملكته يقال لها أدرنة فأقام بها وسبب
ذلك أنه لما دخل الى اسطنبول وجد به افناء عظيم او قد فتك بها الطاعون فتكاعظوا
ومات به من عسكره ما لا يحصى وقيل مات من أهل مصر عن توجهه الى اسطنبول نحو من
ثمانين انسانا منهم أعيان وغير أعيان ولكن لم أقف على حقيقة أسماء من مات هناك
من الأعيان وسيظهر فيما بعد من توفي هناك من الأعيان ومن العجائب أن الفلكية
وأرباب النجوم - كروا بأن سليم شاه ابن عثمان ما بقي يدخل الى بلده اسطنبول فكذبهم الله
تعالى فيما قالوه ودخلها وأقام بها أياما وبطلت أقوالهم الكاذبة كما يقال في المعنى

لا ترقب النجم في أمر تحاوله * فالله يفعل لا جدى ولا حل

مع العادة ما للنجم من أثر * فلا يضرك مريخ ولا زحل

وقيل بلغ الخنكار أن شاه اسماعيل الصوفي طرد عسكر ابن عثمان عن البلاد التي كان

ملكها واستناب بها جماعة من العثمانية فطردوهم الصوفي عن بلادهم واستخلصها من أيديهم فلما بلغ ابن عثمان ذلك خرج من اسطنبول مسرعاً وأقام بأدرنه حتى يرى ما يكون من أمر شاه اسماعيل الصوفي هكذا أشيع بين الناس والله أعلم بحقيقة ذلك وفي يوم الخميس مع ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان صنع الزيني بركات بن موسى مسaire حافلة وركب معه جماعة من المباشرين فشق من القاهرة بعد صلاة العشاء بأربعين درجة وقدامه انكشارية وقواسمه ومشاة بنو انيس ومشاعل كثيرة فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وارتفعت له الاصوات من العوام بالدعاء وكانت من الليالي المشهودة وارتجت له القاهرة في تلك الليلة وكان محبب للناس قاطبة وفيه وقع من الحوادث أن شخصاً من العثمانية كان في خان الخليلي قد قبض على شخص من العوام زعم أنه سرق من جيبه أربعة أنصاف فلما قبض عليه طلع به إلى ملك الأمراء فلما أوقفه بين يديه قص عليه قصته وما فعله به في خان الخليلي وأنه قبض على يده وهي في جيبه وأخذ من جيبه وهو ماش أربعة أنصاف فلما سمع ملك الأمراء ذلك رسم للوالي أن يقطع يده فقطع يده وعلقها في رقبتيه وأشهره في القاهرة فتأسف الناس عليه كيف قطعت يده على أربعة أنصاف وقد راحت ظمأ وقد تقدم القول أن ملك الأمراء عشق رجلاً على عيدان خيار شنبو وكان ملك الأمراء يصح وهو مخجور يحكم بين الناس بالعسف والظلم مما لا يسوغ الشرع الحكم به وكان الغالب عليه الجهل وقلة الدين في أفعاله كلها وفي يوم الخميس خامس عشرية حضر شيخ العرب عبد الدائم بن بقرو وكان ملك الأمراء أرسل إليه مندب الأمان وخلعة بانيس تتقرفي شياخة الشرقية فلما حضر وقابل ملك الأمراء تقام اليه والده شيخ العرب الأمير أحمد بن بقرو ومسك ابنه عبد الدائم من طوقه بين يدي ملك الأمراء ثم التفت إلى ملك الأمراء وقال له يا ملك الأمراء متى أطاقت هذا صار في ذمتك إلى يوم القيامة وأخرب الشرقية عن آخرها فتعصب للأمير أحمد خير الدين بك نائب القلعة وقال للملك الأمراء إذا كان أبوه يشككونه فكيف تطلعه أنت فسأعده على ذلك سنان باشا فوسع ملك الأمراء لأنه وضعه في الحديد وسلمه إلى خير الدين نائب القلعة ثم إن ملك الأمراء قبض على جماعة عبد الدائم الذين كانوا حضروا صحبتته قاطبة وكانوا نحو ثلاثين نفر من أعيان العربان ووضعهم في الحديد وأرسلهم إلى السجن ثم أحضر قنطان حريراً وأحضر وخلعه على الأمير بيبرس ابن الأمير أحمد بن بقرو وقرره في مشيخة الشرقية عوضاً عن عبد الدائم وقد سر بمسك عبد الدائم كل أحد من الناس فإنه كان من المفسدين في الأرض ووقع منه أمور شنيعة من حين دخل ابن عثمان إلى مصر وقطع الطريق على القوافل التي تأتي من الشام وقتل التجار وأخذ أموالهم وقتل جماعة كثيرة من الممالكة الجراكسة الذين كانوا قد طفشوا في البلاد وأخذ

سلاحهم وخيولهم وقد فعل من هذه الافعال القبيحة ما لا يحصى ووضع يده على خراج بلاد
الاقواق واستخرجها وفعل من هذا النمط أشياء كثيرة ثم ان ملك الامراء أرسل ضرب
الحوطة على موجود عبد الدائم من صامت وناطق حتى على سواقيه وزرعه ومواسيه
وثيرانه وأبقاره وغـ ير ذلك والذي خبت لا يخرج الانكدا وفي يوم السبت سابع عشرين
شهر رمضان ثبت النيل المبارك على ستة أصابع من تسعة عشر ذراعا وهبط سريعا ولم يزد
في بابه غير خمسة أيام ونقص وكان نيل الشيخا من مبداه الى منتهاه وفي ذلك اليوم نزل ملك
الامراء وشق من القاهرة وقد بلغه أن قاصدا حضر من عند الخنككار ابن عثمان فنزل الى
ملاقاته فلما شق من القاهرة ضجت اليه العوام من قلة الخبز في الاسواق وانطلقت الاسـ سن
في حق ملك الامراء بالكلام الفج وقالوا له انظر في أحوال المسلمين بنور الله تعالى ولا يصير
ذلك في ذمتك فتسلك ملك الامراء في ذلك اليوم الى الغاية وكان صحبته الزيني بركات
ابن موسى المحتسب فقاسى في ذلك اليوم من ملك الامراء ما لا خيري فيه وقال له قد غفلت
عن الناس حتى صارت غلوة بمصر ثم ان ملك الامراء علم اطلع الى القلعة رسم بفتح شونتين
وأن تفرق على الطحانين ففعل ذلك وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر رمضان أرسل ملك الامراء
أمير علم الى بيت الامير قايتباي وقال له قد رسم لك ملك الامراء أن تدق على بابك في هذه
الليلة طبلخانات وكووسات فلما سمع ذلك الامير قايتباي أرسل يقول للملك الامراء أدق
الطبلخانات على بابي دائما والافى هذه الليلة فقط فلما عاد الجواب الى ملك الامراء قال قل له
في هذه الليلة فقط فلما باغ الامير قايتباي ذلك لم يوافق على دق الطبلخانات على بابه في هذه
الليلة فقط وقال أدق الطبلخانات على بابي ليلة واحدة حتى تضحك على الناس وامتنع من
ذلك ولم يدق الطبلخانات على بابه في تلك الليلة وقد بطل أمر دق الطبلخانات على أبواب
الامراء من حين دخل ابن عثمان الى مصر وقد قات في ذلك

له في على الكاسات قد دقت على * باب بسعيد أميره قد بشرا

وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الاربعاء فخرج ملك الامراء وصلى صلاة العيد في جامع
القلعة وخطب به قاضي القضاة كمال الدين الشافعي وانقض موكب العيد دكائه لم يكن ولم
يخلع فيه ملك الامراء على أحد من أرباب الوظائف ولا على قضاة القضاة ولا على أحد
من المباشرين ولا على الامير قايتباي الدوادار وبطل ما كان يعمل في يوم العيد من تلك
المواكب الجليلة والخلع المقرات والتشاريق السنية وبطلت تلك الطرز اليلغاوية
العراض والفوقانيات الحريرا الخضرو بطلت أشياء كثيرة كانت من شعار الملكة
ووقع لي في المرثية التي قلته في مصر ابيات في معنى ذلك وهي

له في على أعياد مصر كيف قد * أفنت تشاريفها ومتمسرا

وكذا الكنايش التي قد زخرفت * كانت تشد خيولها عند السرى
وكذا السروج المفرقات بلمعها * كانت كبرق أو كليل أقصرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد * كانت بهاتر هوء إلى كل القرى
ثم نزل الزيني بركات بن موسى من القلعة في موكب حافل وقد دامه الملا لية والمشاعل بالقوط
الزركش عليهم أو الانكشارية بالنفوط قد دامه والقواسمة قد دامه شاة فشق من القاهرة في
ذلك الموكب وفي يوم الخميس ثانی شوال طالع جماعة من أعيان المباشرين إلى القلعة على
جاری العادة فلما تكاملوا أخرج إليهم ملك الأمراء مرسوم الخشكار ابن عثمان الذي أرسله
على يد صوباشي من العثمانية الذي تقدم ذكر حضوره من البحر المالح وكان من مضمون
ذلك المرسوم أنه أرسل يطلب خمسة من المباشرين يتوجهون إلى اسطنبول وهم العلائي
على ناظر الخواص الشريفة والشرفي يونس النابلسي والقاضي بركات أخو القاضي
شرف الدين الصغير كاتب الرجوع والقاضي نضر الدين بن عوض والقاضي أبو البقاء ناظر
الاسطبل وأرسل يطلب الأمير يوسف البدری الوزير الذي كان كشف الغربية وأرسل
يطلب الشرفي يونس نقيب الجيش فلما تحققوا ذلك اضطربت أحوالهم ورسموا عليهم
بالقلعة وقالوا لهم اكتبوا وصاياكم ويوم الجمعة تسافرون من البحر ثم في ذلك اليوم خلع ملك
الأمراء على القاضي شهاب الدين بن الجيعان واستقر به في كتابة السر عوضا عن علاء
الدين ناظر الخناس وخلع على القاضي شرف الدين بن عوض أخى نضر الدين واستقر به
في كتابة الخزانة ومتحدثا في جهات الشرقية وخلع على القاضي بركات بن موسى وقرره
في الحسبة على عادته وجعله متحدثا على الاستادارية عوضا عن يونس النابلسي وأشرك
معه الشرفي يونس النابلسي استاداره ملك الأمراء وخلع على القاضي أبي بكر بن الملك
وقرره على عادته مستوفي ديوان الجيش وخلع على يوسف بن نقيب الجيش واستقر به في
نيابة الجيش عوضا عن أبيه فخلع على هؤلاء الجماعة في يوم واحد ونزلوا من القلعة وعليهم
القفاطين الحرير وفي يوم السبت رابع شوال نزل ملك الأمراء من القلعة وسار نحو بركة
الحاج وصحبته الأمير قايتباي الدوادار والأمير سنان باشا وفائق بك وجماعة من الأمراء
العثمانية وجماعة من المماليك الجراكسة ولما وصل إلى سبيل إعلان ساق قد دامه
الركاب بالخيول الجنائب وماقت معهم خيول الأمراء فسبق فرس الأمير قايتباي الدوادار
فرس سنان باشا قيل إن هذه عادة عند العثمانية أنه في أيام العيد يخرج الخشكار ويسير
في النضاء ويسوقون قد دامه بالخيول فمن سبق فرسه ينعم عليه الخشكار بمائة دينار والذي
تقصر فرسه عن السباق ينعم عليه ببطيخة وهذا من أنواع المماجنة فأنشراح ملك الأمراء
في ذلك اليوم إلى الغاية وفيه قبض ملك الأمراء على الخواجا شهاب الدين أحمد بن
أبي بكر السكندري ووضعه في الحديد وقرره عليه مالا له صورة وأشيع أن الخشكار

أرسل بطليمه الى اسطنبول فاضطربت أحواله بسبب ذلك الى الغاية وفيه خلع على محي الدين بن يوسف بن أبي اصبح وقرره على عادته استادار الذخيرة الشريفة وفي يوم الجمعة عاشره حضر القاضي شرف الدين الصغير كاتب الممالك الى الميدان وعرض جماعة من أولاد الناس ومن المماليك وكتب منهم جماعة بأن يتوجهوا الى عقبة أيلة ويقموا بالازل فكتب منهم جماعة في ذلك اليوم نحو ستين انسانا أو فوق ذلك فصل لأولاد الناس بسبب ذلك غاية الضرر لاجل قلة العليق وكانت القاهرة في تلك الايام في غاية الانشحات من قلة العليق وعدم الجمال بسبب خروج الحجاج وفي يوم السبت حادى عشره نزل ملك الامراء وجلس بالميدان وعرضت عليه كسوة الكعبة الشريفة ومقام ابراهيم والمحمل وشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا وفي يوم الاحد ثاني عشره أشيع أن ملك الامراء أفرج عن القاضي نور الدين على القيومي الخنقي وكان له مدة وهو في الترسيم بالقلعة بسبب مكتوب ثبت عليه وكان غير محمود السيرة في أفعاله وجرت له وقائع كثيرة وفي يوم الاثنين ثالث عشره أنفق ملك الامراء على العساكر الذين تعينوا للعقبة والازل فاعطى لكل واحد منهم مائة مكية ثلاثة أشهر مجلاوهى عبارة عن ستة آلاف درهم وقيل رتب لكل واحد منهم في كل يوم رطلين بقسمه ما تصرف لهم في العقبة ورسم لهم بأن يجيؤا مع الحجاج اذا حضروا الى القاهرة وتوجه هذا العسكر الى هناك لاجل حفظ ودائع الحجاج وملاقاتهم التي تتوجه لهم من مصر فان العربان تزايد فسادهم في حق الحجاج وأرسلوا يطلبون لهم نجدة عند عودهم الى مصر وفي يوم الاربعاء خامس عشره رسم ملك الامراء بشنق عشرة أنفار من جماعة عبد الدائم بن بقر فأنهم كانوا من المفسدين فشنقوا وعلقوا في أما كن شتى من القاهرة فشنق في قنطرة الحاجب وشى في رأس الحسينية وشى في باب النصر وقد وسطوا منهم جماعة وشنقوا منهم جماعة وشى خوزقوهم وفي يوم الجمعة سابع عشره شوال أنزلوا من القلعة جماعة من المباشرين ممن كانوا في الترسيم وقد تقدم القول أنهم توجهوا بهم الى اسطنبول فأنزلوهم من القلعة بعد صلاة الصبح منهم من هورا كب على بغلة ومنهم من هورا كب على جمار فشقوا بهم من الصليبة وتوجهوا بهم الى بولاق وحولهم جماعة من الانكشارية مشاة بالسيوف في أوساطهم والصوباشي الذي هو متسفر عليهم راكب قدامهم فكثرت عليهم الاسف والحزن والبكاء من الناس فكانت عدتهم سبعة أنفس وهم القاضي علاء الدين بن الامام ناظر الخاص والشرقي يونس النابلسي الاستادار والقاضي بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب الممالك والقاضي نحر الدين بن عوض والقاضي أبو البقاء ناظر الخاص والاسطبل والشرقي يونس نقيب الجيش والامير يوسف البدرى وزير الديار المصرية وأصله من مماليك الامير يشبك بن

مهدي الدوادار كان قدّمه للاشرف قايتباي ولا زال يترقى حتى رأى من العزوالعظمة غاية
 العلاء وجرى عليه بعد ذلك شدايد ومحن وآخرا الامر نفي الى اسطنبول فلما وصل هوّلا على
 بولاق نزّلوا بقصر ناظر الخاص الذي هناك حتى تنتهي أشغالهم فحصل لنساء القاضي أبي
 البقاء والقاضي أبي البركات كاتب الرجوع على أزواجهن غاية الحزن فقاموا بالنعيم وودّوا
 عليهم بالطارات وكذلك زوجة يوسف البدرى وبقيّة المباشرين وكانت هذه الحادثة من
 أشنع الحوادث التي لم يقع قط مثلها فيما مضى من الزمان فاستمرّوا بقصر ناظر الخاص
 يولاق الى يوم الاثنين عشري شوال فنزلوا وتوجّهوا الى نغراس كنندرية وكان هوّلاء
 المباشرين لما صفاهم الوقت طاشوا وصاروا كأنهم هم الملوك بمصر يتصرفون في أمور
 المملكة بما يختارونه ليس على يدهم يد واستغرقوا في اللذات وعكفوا على شرب الخمر
 وسماع الزمور ولم يتفكروا في عواقب الامور فاستمرّوا على ذلك حتى طرقتهم الاخبار
 الرديّة وأحاطت بهم كل رزية فكانوا كما قيل في المعنى

من يرتشف صفوا الزما * ن يغص يوما بالكدر

ثم في عقيب ذلك سافر الى اسطنبول الناصري محمد بن الورد لاعب الشطرنج ورفيقه
 الشهابي أحمد الاسكندراني وقيل ان الخليفة كار سليم شاه أرسل يطلبهما الى اسطنبول على
 لسان الخواجه يونس العادلي وأرسل لهما مبالغه صورة بسبب كافة السفر وعمل الزوادة
 ويتال ان جماعة من المباشرين الذين توجهوا الى اسطنبول سألو أملاك الامراء بأن يعطوه
 مالا له صورة ويعقبهم من السفر الى اسطنبول فما قدر على ذلك وفي يوم السبت ثامن
 عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل عظيم وكان أمير الركب الزيني
 بركات بن موسى المحتسب تخرج بطلب حافل فكان ما شتمل عليه الطلب خمسة عشر نوبة
 من الهجن عليها كوارمايين مخمل لون وجوخ أصفر وبعض جنائب بيركستوانات
 فولاذ وطلبول ومخفتين جوخ لنسائه وثلاثة خرائن على العادة وكاسات على العادة وطبلين
 وزمرين وعلى رأسه صنجق عثماني حرير أحمر وركب صحبته جماعة من المباشرين
 الذين تأخروا بمصر وهم الشهابي أحمد بن الجيعان والقاضي شرف الدين الصغير كاتب
 الممالك والقاضي تقي الدين أبو بكر بن الملكي والناضي عبد العظيم الصيرفي وآخرون
 من المباشرين وكان قدّامه انكشارية ورمات وقواسة نحو مائتي انسان فلما شق من القاهرة
 دعاله العوام وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم مشهودا
 فلمهج الناس بان ذلك سيكون آخر سعه وخرج في هذه السنة حجاج كثيرة وغالبهم فلاحون
 وريافة واشييع ان العربان وقفت لهم في الطريق وان الغلاء موجود معه هم من حين
 خرجوا من مصر وكذلك العليق كان مشحونا فلما خرج الحجاج وقف جماعة من أولاد

الناس والممالك الذين عينوا الى العقبة الى ملك الامراء وشكوا له من عدم الجبال وانها لم توجد فرسهم بابطال جماعة منهم نحو ثلاثين انسانا وكان الذين تعينوا في الاول نحو ستين انسانا وفوق ذلك وأشيع ان ارباب الادراك من العربان وقفوا الى القاضي بركات بن موسى بسبب عاداتهم من الصررفنة فرفيم ومنهم ومنهم فخرجوا من عنده على غير رضا وقيل ان ناظر الخاص لما حج في السنة الخالية أنتم على العربان وأرباب الادراك بالف جوحة حتى رجع بالحاج وهو سالم وبيض وجهه عند الناس وفي شهر ذي القعدة وكان مستهل يوم الجمعة طمع القضا الاربعة للثبته بالشهر فلما تكامل المجلس وقع تشاجر بين قاضي القضاة المالكي محي الدين يحيى الدميري وبين قاضي القضاة نور الدين على الطرابلسي الحنفي فتفاوضا الكلام في ذلك حتى خرجا عن الحد بسبب وقف الامير يشبك بن مهدي الدوادار الكبير فانه شرط في وقفه النظر والتكامل للامير تغري بردي الاستادار وانه يدخل من شاء ويخرج من شاء من المستحقين ويستمر ذلك حتى يتوفى الامير تغري بردي فسعت ابنة الامير يشبك عند قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة في ابطال ما كان شرطه والدها للامير تغري بردي ويجعل لها النظر على ذلك والتحدث على وقف والدها فحكم بنفسه في ذلك وقد ساعدها على ذلك السلطان الغوري فلما ثبت ذلك على يد القاضي عبد البر وحكم بحافيه ابطال ما كان شرطه الامير يشبك لتغري بردي فلما توفى قاضي القضاة عبد البر وتوفيت ابنته يشبك سعى جماعة من معاتيق يشبك الدوادار لتغري بردي فحكم بصحته وتبع في ذلك شرط الواقف فلما جرى ذلك عز على بقية القضاة ذلك لكونه نقض حكم قاضي القضاة عبد البر فحضر في ذلك اليوم شخص من أولاد عبد البر وقال لقاضي القضاة نور الدين الطرابلسي انتقض حكم شيخ الاسلام عبد البر وأنت من بعض طلبته وساعده قاضي القضاة على ذلك وحط عليه ملك الامراء خاير بك وكان المجلس كله عليه فباوسعه في ذلك المجلس الا انه قال رجعت عن حكمي وأبقيت حكم قاضي القضاة عبد البر على ما كان عليه فشهدوا عليه في ذلك المجلس بابطال ما كان حكمه به فعد ذلك منقصة في حق قاضي القضاة نور الدين الطرابلسي ولامه الناس على سرعة نقضه لحكمه في الحال فعد ذلك من النوادر الغريبة وصارت الوحشة عمالة بين قاضي القضاة المالكي والحنفي في الباطن فنزل قاضي القضاة الحنفي من القلعة في ذلك اليوم وهو في غاية التعب وفي عقيب ذلك عزل قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل نوابه أجمعين ولم يبق منهم سوى أربعة أنفس لا غير فاستمر واعي ذلك مدة ثم انه فوض لجماعة من أعيان نوابه عن اختياره وفي مستهل هذا الشهر خلع ملك الامراء على القاضي عبد العظيم الصيرفي وقرره في نظر الحسبة عوضا عن الزيني بركات بن موسى الى ان يحضر من الحجاز فلما ولي القاضي عبد العظيم أمرا الحسبة

اظهر النتيجة العظمى في انحطاط سائر أسعار البضائع بعد ما كانت تشحط الاسعار
 في تلك الايام وصارت غلوة كبيرة بمصر واضطربت أحوال الناس وارتفع الخبز من
 الاسواق وغلقت الطواحين وارتجت القاهرة بسبب ذلك وكان عقيب ذلك خروج الحجاج
 وسافر المحتسب بخارت السوق على الناس في سائر البضائع فلما ولي القاضي عبد العظيم
 صار يطوف القاهرة كل يوم ثلاث مرات وشرع يضرب الطحانيين والخبازين ضربا مبرحا
 ويشهرهم في القاهرة وصار يوعدهم هم والزياتين بالشنق والخوزقة حتى انحطت
 أسعار البضائع قليلا وسكن ذلك الاضطراب الذي كان بمصر ثم رسم للجبانين
 والسماكين بان يقدوا بالسيرج الطرى دائما وكتب قسائم على المعصرانيين ان
 لا يصنعوا الزيت الحلو أبدا ثم نادى في القاهرة بتسعير اللحم الضاني والبقرى والحب
 وسائر البضائع ثم سعر الدقيق وجعل كل بطة بثلاثة عشر نصفًا وكانت البطة الدقيق
 وصلت الى ستة عشر نصفًا فنفع الناس غاية النفع بعد ما صار بمصر غلوة شديدة
 فارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة ثم أحضر القزازين والتجار وعمل معدلهم
 في بيع الغزل والمقاطع الخام وسائر القماش الأبيض قاطبة فهابت التجار والسوق
 ودخل في الحسبة دخولا مهولا وصار له حرمة وافر وكلمة نافذة وفيه توفي الأمير ماماي
 أمير اخورثاني كان وكان من الامراء الطيخانات وأصله من مماليك الأمير ثاني باي
 أمير اخور كبير وكان موته فجأة على حين غفلة وقيل انه كان صعبة جماعة من العثمانية
 فوقع بينهم تاشاجر فضربه أحدهم فمات في ليلته وفيه ثارت العثمانية على ملك الامراء
 وقالوا له زد في جوامكنا والا اعطنا دستور ان يرجع الى بلادنا فاته اشتقنا الى بلادنا وعيالنا
 وان في مصر غلاء وكل شيء غال وهذه الجوامك ما تكفيها فوعدهم انه يرسل يشاور الخنكار
 وأمهاهم الى شهرين وكان القائم في هذه الحركة جماعة الاصباهية وفيه قدمت
 الاخبار من بلاد الصعيد بان قد فشى الموت هناك في الابتكار والاغنام فمات منها ما لا يحصى
 عدده ووقع مثل ذلك بالشام ونواحيها ووقع مثل ذلك بجهات الشرقية والغربية وزيادة على
 ذلك ان الدودة رعت البرسيم من أرض الجيزة وغيرها من الاراضي التي زرعت بدريا ووقع
 في أواخر هذه السنة شحيرة عظيمة في سائر الغلال وفي يوم الاربعاء سادس رسم ملك
 الامراء بشنق ستة أنفار من جماعة عبد الدائم بن بقر فشنقة وفي عدة أماكن وفي
 يوم السبت تاسعه نودي في القاهرة بأن لا أحد من الناس يصنع خيال الظل ولا مغاني عرب
 ولا غير ذلك ولا يبطى برفقة عريس الى بعد العشاء ولا يعيش في الاسواق من بعد العشاء وان
 الاسواق تغلق من بعد المغرب وسبب ذلك أن العثمانية صاروا يشوشون على الناس في الليل
 ويخطفون المائم والثدود ويخطفون النساء والمردان من الطرقات ليلا ونهارا وحصل

للناس منهم غاية الضرر الشامل وصارت الممالك العثمانية تؤذى الناس وصارت الطرقات
من بعد المغرب مقفرة من قلة السالكين وصار على الوجود نخدة وفيه قدمت الاخبار
من نغرا الاسكندرية بان الجماعة الذين توجهوا هناك من المباشرين لما نزلوا في المراكب
وسافروا في البحر المالح غابوا فيه ثلاثة ايام ثم عادوا الى نغرا رشيد وسبب ذلك أنه في تلك
الايام نار ريح عظيم فرد المراكب من حيث جاءت فأقاموا في رشيد اياما حتى طاب الريح ثم
سافروا وقصدوا التوجه الى اسطنبول وفيه أرسل القاضي بركات بن موسى المحتسب
يطلب من ملك الامراء تجريدة تلاقيه من الازم عند عودا للحجاج فان العربان شوشوا على
الحجاج وأخذوا منهم جمالا محملة بجماع عليها من الاحمال وحصل منهم غاية الفساد في حق الحجاج
فلما بلغ ملك الامراء ذلك نزل الى الميدان وعرض جماعة من العساكر وعين تجريدة
تلاقي الحجاج من الازم فكتب جماعة من المماليك الجراكسة وجماعة من العسكر
وجماعة من أولاد الناس واستحثهم في سرعة الخروج الى الازم وفي يوم الاثنين خامس
عشرية نزل ملك الامراء من القلعة بعد صلاة الصبح وعدي الى بر الجزيرة وتوجه الى نحو
شبرامنت وقناطر العشرة وذلك على سبيل التنزه فصنع له الشهابي أحمد بن الجيعان هناك
مدة حافلة وكذلك القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان صحبة الامير قايتباي
الدوادار والامير ارزمك الناشف وستان باشا وقاتق بك وجماعة من الامراء العثمانية
وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فاستمر هناك الى ما بعد العصر وركب وعدي
من بر الجزيرة وطلع الى القلعة وأشيع انه كان بين ملك الامراء وبين الامير قايتباي الدوادار
خط نفس في الباطن فعزم عليه هنالك وزال ما كان بينهما من تلافى الوحشة وطابت الخواطر
منهما وفي يوم الجمعة سلخ الشهر خرج الامير قايتباي الدوادار وسافر الى نحو العباسية
وسبب ذلك أنه تغيب من المماليك الجراكسة من خدائنه لاجل تفرقة الاضحية فانها
كانت غالية ومشحونة ولا توجد وفي شهر ذي الحجة وكان مستهل يوم السبت طلع
القضاة الاربعة الى القلعة وهنالك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وفي يوم الخميس
سادس خرج العسكر المعين الى الازم وكان باش هذه التجريدة شخص يسمى اياس تخرج
مع العسكر وفيه قدمت الاخبار من الصعيد بان الامير علي بن عمر خرج يغزو صاحب
النوبة وان الصعيد احواله مضطربة وفي يوم الجمعة سابعه خرج الامير جانم الجزاوي
دوادار ملك الامراء وقصد التوجه الى نحو بلاد الشامية وسبب ذلك أن ملك الامراء
أرسل على يده تقة دمة حافلة الى شخص من امراء ابن عثمان يقال له برى باشا وكان من
أعيان امراء ابن عثمان وكان مقيما على البيرة وقيل بحلب فلما خرج الامير جانم الجزاوي
ووصل الى العكرشا وردت عليه الاخبار بان هناك بان الامير برى باشا الذي خرج بسببه

قد توجه الى نحو اسطنبول وقد تغلب عليه العسكر الذين كانوا على البيرة من الغلاء وشدة
البرد فرجع الى اسطنبول الى أن يذهب الشتاء فلما تحقق الامير جانم الحزاوي رجوع
الامير برى باشا الى اسطنبول أرسل يشاور ملك الامراء في أن يرجع الى مصر أو يسافر الى
حلب فرسم له ملك الامراء بالعود الى مصر فرجع من العسكر شاو صحبته التقدم
التي عينت لبرى باشا ومن الحوادث أن ملك الامراء رسم للوالي بأن ينادى في القاهرة
بسد قناطر الخروبي الثلاثة فوزعوا سده هذه القناطر على السكان الذين بيوتهم فوق
السور فحصل للسكان الذين بيوتهم فوق السور غاية الضرر من مصروف العمارة على ذلك
وأشيع سد قناطر السباع أيضا وقنطرة الموسيقى ولم يعلم ما المقصد من ذلك فسدوا قناطر
الخروبي الثلاث بالحجارة فعد ذلك من النوادر الغريبة وكثر القيل والقال في ذلك وفي يوم
الاثنين عاشره كان عيد التحرف لم يفرق ملك الامراء على أحد أخصية لاعلى الامراء ولا
على العسكر وقطع ضحايا الفقهاء والمباشرين حتى ضحايا الزوايا والمزارات التي في القرافة
وغيرها وقال أنا ما أمشي الاعلى طريقه ابن عثمان في مأثراً نعاله وقطع الاخصية التي
كانت تفرق في الاعياد وفي أواخره هذا الشهر وقع بين ملك الامراء وبين الاصباكية من
عسكر ابن عثمان وقالوا له أعطنا دستور النصارى الى بلادنا فانا اشتقنا الى بلادنا وعيالنا
فقال لهم حتى أرسل أشاور الخنكار فقالوا نحن مانصبر حتى تشاوروا غلطوا على سنان باشا
في القول وقالوا له هذا كله شغلك فانفق معهم ملك الامراء أنه بعد مضي الشتاء يأذن لهم
بالسفر والعود الى بلادهم انتهى ما أوردناه من أخبار سنة أربع وعشرين وتسعمائة
وخرجت عن الناس على خير وكانت سنة كثيرة الحوادث منها حصة النيل ووقوع الغلاء في
سائر البضائع والغلال واستمرت هذه التشكيطه تزيد الى أواخر السنة ووقع من الحوادث
نفي المباشرين الى اسطنبول وغير ذلك حوادث كثيرة تقدم ذكرها

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وتسعمائة وكان مستهل الشهر يوم الاثنين فطاع القضاة
الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالعام الجديد ثم عادوا الى درهم وفي يوم مستهل الشهر
أمطرت السماء مطرا غزيرا فتفاءل الناس بان ذلك العام يكون مباركا خصبيا وفي يوم الخميس
رابع المحرم وصلت من ملك الامراء نائب الشام جان بردى الغزالي الى ملك الامراء خاير بك
تقدمة ليست بعظيمة أمر وهي أربعة رؤس خيل وثمانية شقاف تشتمل على بطاريير
ضمنها مخال وفي بعض الشقاف كثرى وتفاخ وسواقه وأرسل ملك الامراء جان بردى
الى الامير قايتباي الدوادار فرسا وأربع شقاف ومثل ذلك للامير ارزمك الناشف ومثل
ذلك الى جماعة من الامراء العثمانية فشكروا له ذلك وفي يوم الجمعة خامس المحرم حضر
مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة لهم غير أن معهم الغلاء الشديد وموت الجمال فوصل

كرام الجبل الى مائة وعشرين دينارا وأن مكة فيها غلاء شديد ونزل غالب من بهامن
 المجاورين بسبب الغلاء وان العربان جائرة في الطرقات وكانت سنة صعبة شديدة على
 الحجاج وفي يوم الاحد سابع المحرم قدمت الاخبار من قطيا بأن والى قطيا وهو شخص من
 الاتراك يقال له قان بردى وأصله من مماليك الظاهر برقوق وقيل من مماليك الغورى
 قانصوه أرسل اليه ملك الامراء انكشاريين يطالبانه بمال قطيا فلم يعطهما شيئا فأغلظا
 عليه في القول وقالاه نأخذك معنا في الحديد الى ملك الامراء فبطحهما على الارض
 وضربهما بالمقارع حتى أشرفا على الموت وقيل مات أحدهما من الضرب وقال لهما
 امضيا الى أستاذكما وقولاه ايش ما طلع من يدك افعله فحضر أحدهما وأخبر ملك الامراء
 بذلك فلما سافر من قطيا أخذوا الى قطيا ماله وغلته وتوجه الى جان بردى الغزالي في غزاة
 بسبب ملاقاته الحاج وقيل كان عند والى قطيا جماعة كثيرة من المماليك الجرا كسة فلما
 توجه الى الغزالي توجهوا معه اليه فلما بلغ ملك الامراء ذلك خلع على شخص من الاتراك
 وقرره في ولاية قطيا عوضا عن قان بردى بحكم غيبته كما تقدم وفي يوم الاربعاء سابع عشره
 ركب عبد العظيم الصيرفي نائب المحتسب ونادى في القاهرة بأن أبواب الدكاكين من
 السوق ييضمون دكاكينهم ويزخرفونها بالدهان ويبيضون آلات الخماس التي عندهم في
 الدكاكين لاجل محيى القاضى بركات بن موسى المحتسب من الحجاز وفي يوم الاربعاء
 المتقدم ذكره وقعت حادثة مهولة وهى أن ملك الامراء نزل من القلعة وتوجه الى نحو بركة
 الحبش وعزم على ورد بش دوادار نائب الشام الذى حضر بالتقدمة فصنع له هناك مدة
 حافلة ونصب سييى له هناك سحابة عظيمة وحضر عنده الامير قايتباى الدوادار وجماعة
 من الامراء الجرا كسة وحضر جماعة من الامراء العثمانية منهم سنان باشا وفائق بك
 وحضر الامير كشيبغا والى القاهرة وجماعة من المماليك الجرا كسة فلما انقضى أمر
 المدة أحضر ملك الامراء سفرة الشراب فلما دارت عليهم الكاسات وطلع الخمر في رؤسهم
 طفع ما كان في قلوبهم من الغدر فقال فائق بك لكشيبغا والى الجرا كسة خائنون وأجرى
 ذكر جان بردى الغزالي بما لا يليق فقال له كشيبغا الله يعلم من هو الذى خان منا نحن أو أنتم
 وقد كتبتم أمانكم في أوراق وقرتموها على الامراء ووضعوها على رؤسهم وطلعوا اليكم
 بالامان فغدرتمهم وقتلتموهم فنحن أو أنتم ثم ترايد بينهم ما الكلام الفج حتى خرجا في
 ذلك عن الحد فوثب فائق بك على كشيبغا والى بنحجر ليقتله فجاءت الضربة في قفطانه
 فانخرق فوثب كشيبغا على فائق بك ليقتله فحال بينهما الحاضرون ثم ركب كشيبغا وركب
 جماعة من المماليك الجرا كسة وسلاسيه وفهم وركب جماعة من العثمانية وسلاسيه وفهم
 وقصدوا الوثوب على بعضهم وكادت ان تكون فتنة عظيمة تذهب فيها الارواح فتسكدهم ملك

الامراء لذلك وركب على الفور وحال بين الفريقين وخذت هذه الفتنة قليلا ورسم للعثمانية
 أن يعضوا على طريق مصر العتيقة ومضى هو والامراء الجرا كسة على طريق القرافة
 واستمر على ذلك حتى طلع الى القلعة من الميدان فمأى نفسه في القلعة وفي عينه قطرة
 وقد اضطربت أحواله وخاف أن هذه الفتنة تتسع فقبل أنه حلف لا يشرب خرا في هذه
 السنة واستمرت النفوس معلقة بالعداوة بين فائق بك وبين كشيغا الوالي وهـ هذه الحادثة أول
 حوادث سنة خمس وعشرين وتسعمائة ثم إن ملك الامراء بعـد وقوع هـ هذه الحركة
 انشجب عن الناس ثلاثة أيام لم يظهر لاحد من شدة نكده مما قاساه في ذلك اليوم وفي يوم
 الاثنين ثاني عشرية خرجت المدورة الى بركة الحاج بسبب الملاقة فلما أقامت
 المدورة هناك يوما ويلة أشيع أنها رجعت الى القاهرة وسبب ذلك أن الزيني بركات بن
 موسى أرسل هجانا الى ملك الامراء وأخبره أن الحجاج وصلوا الى عيون القصب وأنهم في
 غاية ما يكون من الانكاد بسبب موت الجمال والغلاء وموافقة فتنة العربان مع ذلك فتسكد
 الناس لذلك ورجع من كان طلع الى بركة الحاج من الملاقين وفي يوم السبت سابع
 عشرية حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وحضر صحبته الناصري محمد
 الجلي مهمندار ملك الامراء الذي كان توجهه صحبة المقدمة المتقدمة ذكرها وهي التي
 أرسلها ملك الامراء الى ابن عثمان وحضر قاصدا الامـير علي بن عمر شيخ عربان جهات
 الصعيد وكان قد توجهه صحبة المقدمة التي أرسلها الى ابن عثمان فلما بلغ ملك الامراء
 وصول القاصد الى سرياقوس نزل من القلعة وتلقاه من تربة العادلي التي بالطرية وخرج
 صحبته الامراء العثمانية والامراء الجرا كسة وأعيان المباشرين والعسكر العثماني
 والانكشارية قدامه مشاة يرمون بالنفوط فلما وصل الى تربة العادلي نزل وجلس على
 المسطبة التي هناك ثم حضر القاصد وأخرج قفطانا مخملا بتماسيح على أحر أرسله اليه
 الخنكار ابن عثمان بالاستمرار على نيابة مصر فلبسه ملك الامراء وقبل الارض مرارا
 وأرسل قنطانات تماسيح الى فائق بك وسنان باشا وخير الدين بك نائب القلعة وأرسل قفطان
 تماسيح الى الامير قايتباي الدوادار واستمراره في الدوادارية فلبسه ثم ركب ملك الامراء من
 هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة في موكب حافل ولقاء قضاء القضاة الاربعة من
 باب النصر ثم مشى طائفة النصارى قدامه بالشموع وكان ذلك يوم السبت فلم تحضر طائفة
 اليهود في ذلك اليوم واستمر في ذلك الموكب الى أن طلع القلعة وكان ذلك اليوم مشهودا فلما
 أقام القاصد أياما أشيع بين الناس أنه حضر يطلب طائفة الاصباية التي بمصر وأشيع
 أن الخنكار ابن عثمان أرسل مقدمة حايلة الى الامـير علي بن عمر شيخ عربان الصعيد
 وأرسل اليه قفطان تماسيح باستمراره على عادته ورسم بأن المقدمة والقفطان تموجه اليه

صحبة قاصده الى الصعيد فتضاعفت عظمة الامير على بن عمر بسبب ذلك وفي يوم الاحد
 ثامن عشرية نزل الحاج بالبركة وحضر المحمل الشريف صحبة القاضي بركات بن موسى
 المحتسب أمير الحاج فتغدى في بركة الحاج وتوجه الى مدرسة السلطان الغوري فلما
 طلع النهار من يوم الاثنين تاسع عشرية ركب من هناك وطلع الى ملك الامراء وقابله فخلع
 عليه قفطانا مخملا أجرمذهبا ونزل من عنده وشق القاهرة في موكب حافل وقدامه جماعة
 من الانكشارية مشاة يرمون بالنفوط فكانوا يخومائي انسان فشق الزينى بركات من
 القاهرة وهو لابس عمامة هوارية على زنط وهو ضارب لثاما ثم أشيع بين الناس أنا الحاج
 قاسوا في هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء وموت الجمال وقلة العليق وكانت سنة صعبة
 شديدة بفساد العربان والغلاء وقد منعوا مبشر الحاج من الدخول الى القاهرة ثم أشيع
 وفاة الطواشي الامير بشير رأس نوبة السقاة وكان قد توجه الى المدينة الشريفة من حين
 دخل ابن عثمان الى القاهرة فتوجه صحبة قاضي القضاة الشرفي يحيى بن البرديني شيخ
 الحرم النبوي فأقام هناك الى أن مات ودفن بالمدينة وأشيع موت آخرين من الاعيان وكان
 غالب الناس قطع وجزم بعد دم عود الزينى بركات بن موسى الى القاهرة فانه جل ما لا يطيق
 حيث طلع الى الحجاز أمير حاج وكانت هذه الوظيفة لامراء المقدمين وكانت هذه السنة
 شديدة صعبة من فساد العربان في طريق الحجاز وشدة الغلاء وموت الجمال فأعانه الله على
 ذلك ورجع مع السلامة وفيه وقعت حادثة غريبة وهي أن جماعة من الاصباهمية غاروا
 على صبية فلما توجهت الى غيرهم كبسوها بالوالي في ذلك المكان الذي كانت فيه وزعموا
 انها كانت عند شخص نصراني فقبضوا عليها وعلى ذلك النصراني فلما عرضوا على ملك
 الامراء رسم بان تعري المرأة من أثوابها وتكتف أيديها وأرجلها وأن تربط من رجلها
 في ذنب كديش وتسحب على وجهها من الكدشين الى باب زويلة ففعلوا بهم اذالك وشقوا
 بهامن القاهرة وقصدوا شنعها على باب زويلة فقبل انها ماتت في أثناء الطريق وقيل بل
 غرقوها في البحر عند الجزيرة الوسطى وقدمضى أمرها وقد قاست ما لا يخبر فيه حتى ماتت
 واستهل شهر صفر يوم الثلاثاء فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر
 ثم عادوا الى دورهم وفي أوائل هذا الشهر قدمت الاخبار من ثغر الاسكندرية مع بعض
 تجار البنادقة أن جماعة من المباشرين الذين خرجوا من مصر وتوجهوا الى اسطنبول في البحر
 المالح لما وصلوا الى قريب جزيرة اقر يطش خرج عليهم طائفة من الفرنج الروادسة الذين
 هم أشد طوائف الفرنج فتحاربوا مع الجماعة العثمانية الذين خرجوا صحبة المباشرين فقتلوا
 منهم جماعة ومن جملتهم الخواجا هاشم وكان من أبناء العجم وكان من أنخصاء ملك الامراء
 خاير بك وكان قرره في نظر المارسهتان ونظر جهات الجوالى فقتل في هذه المعركة وكان

قصده أن يتوجه الى الخنكار صحبة المباشرين فلما خرجت عليهم الفرنج تحارب معهم حتى قتل في المركب التي كان فيها الشرقي يونس النابلسي الاستادار والقاضي بركات كاتب الرجوع أنحو القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان به هذه المركب يوسف البدرى الوزير والناصرى محمد بن الوزد لاعب الشطرنج ايضا فلما خرج عليهم الفرنج رموا على مركبهم بالمدافع فانخرقت وغرقت وغرق كل من كان فيها من المباشرين وغيرهم فغرقوهم وأموالهم التي كانت معهم جميعها فغرق الشرقي يونس النابلسي الاستادار وبركات كاتب الرجوع ويوسف البدرى الوزير ومحمد بن الوزد لاعب الشطرنج وقيل سلم من الغرق مع رفيقه أحمد الاسكندراني ثم أشيع بان المركب التي كان به اعلاء الدين ناظر الخصاص ونقر الدين بن عوض والقاضي أبو البقاء ناظر الاسطبل والشرقي يونس نقيب الجيش وأحمد الاسكندراني لاعب الشطرنج سلمت من الغرق فسار بها الهواء الى نحو جزيرة اقريطش فخرجوا وهم عراة حفاة مكشوفوا الرؤس ومشوا نحو سبعة أيام حتى أعيوا من المشى وتورمت أقدامهم وأشرفوا على الموت مرارا وأما الشرقي يونس نقيب الجيش فانه مرض هناك ومات ودفن بجزيرة اقريطش وأما اعلاء الدين ناظر الخصاص فانه مرض وعجز عن المشى حتى حمله بعض الفرنج على كتفه وكذلك أبو البقاء ناظر الاسطبل ونقر الدين بن عوض فاستمروا على ذلك سبعة أيام حتى وصلوا الى صاحب جزيرة اقريطش فلما رآهم أحسن اليهم وكساهم وأقاموا عنده مدة طويلة ثم جهزهم وأرسلهم الى اسطنبول هكذا أشيع والعلم لله تعالى فلما ثبت موت هؤلاء المباشرين خرج نعيم وطيف بالقاهرة ودقوا عليهم بالطارات وكان هؤلاء المباشرون ترايد ظلمهم على أولاد الناس وضيقوا عليهم بسبب أرزاقهم وأوقافهم واقطاعاتهم ولا سيما ما فعله نقر الدين بن عوض في جهات الغربية من وجوه الظلم فكثر عليهم الدعا من الناس وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكان كما يقال في المعنى

فاستغن بالسمع عن مرآهم وعظة * فأصبحوا لا ترى الامساكنهم

وصاروا يفتحون على الناس أبوابا من المظالم شيئا بعد شيء ووضعوا أيديهم على البلاد قاطبة حتى على الاوقاف التي على الجوامع والمساجد والزوايا وضاع على الناس خراجهم وحصل لهم الضرر الشامل ثم انهم أبطلوا الاقطاعات التي بالنواشير وأدخلوها في ديوان السلطان ثم في السنة الثانية أوقفوا الرزق التي بالربعات الجيشية التي بيد أولاد الناس والنساء وغير ذلك وصاروا يضعون أيديهم على بلاد الاوقاف ويستخرجون منها الاموال ولا يفرجون عنها الا بعد جهد كبير لن يأخذون برطيله وكانوا اذا قرروا مع ملك الامراء شيئا من أمر البلاد يطاوعهم على الفساد ويقول لهم افعلوا ذلك وهو في أيديهم

مثل اللواب يدورونه كيف شاؤوا وكان الوقت قد صفا لهم وصاروا يتصرفون في أحوال
المملكة بما يختارونه فأخذهم الله أخذاً ويلاً ولم يجدوا لهم من الله سبيلاً وتكثرت
معايشهم بعد الصفا وخانهم الدهر بعد الوفا وقدقات

إذا صفا الدهر يوماً * إلى الشكدر يرجع

هل من لبيب تراه * بأيسر الرزق يقنع

فليعتبر من يشاهد * لمصرع بعد مصرع

وفيه قدمت الاخبار من دمشق بان الحاج الشامي قد استولت عليه الاعراب وعوقوه عن
عن الدخول الى البلاد الشامية ونهبوا أموالهم وجالهم وغنموا منهم أموالاً الهامورة
فلما بلغ الامير جان بردى الغز الى ذلك خرج الى العربان من يومه وخرج صحبته نائب غزة
بعساكر غزة ونائب الكرك فاقتتل مع العربان وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة وغنم
أموالهم وما كانوا غنموه من الحاج الشامي وهو شني لا ينحصر فاحتاط على جميع ما معهم
وهربوا من وجهه الى الجبال وخلص ما كانوا أسروه من رجال ونساء وصبيان وعلمان
فكان له الشكر على ذلك وفيه تزايد الضرر من الاصباهية في حق الناس وصاروا
يخطفون النساء من الطرقات وكذلك الصبيان المرد حتى قيل انهم خطفوا امرأة عند سلم
المدرسة المؤيدة تحت دكان الذي يبيع الكعك والناس ينظرون اليهم وهم يفسقون بها
فلم يجسر أحد من الناس أن يخلصها منهم ثم صاروا يقطعون الطرقات على نساء المسلمين
وعلى البياعين وصار أهل مصر منهم في غاية الضنك والامر لله تعالى وفي يوم الاثنين
ثامن عشرية نزل ملك الامراء الى الميدان وأحضر سنان باشا اغات الاصباهية وقد صار
بينه وبينهم وحشة بسبب جوارحهم فكان يأخذ من ملك الامراء المال ولا يصرف لهم
شيئاً فلما وقع الحساب وجد في جهته لهم أحدًا وعشرين ألف دينار فاعترف انها في جهته
وسمى وصلها الى الخنكار فحصل بينه وبين الاصباهية في ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك
فقات الاصباهية لانه طواسنان باشا من جوام ككنا شيئاً من الآن واصرفوا النامثل
جوامك الممالك في كل شهر على البساط ثم في يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء سلخ الشهر عرض
ملك الامراء الاصباهية قتل ما وجد عند سنان باشا وجد في جهة فائق بك من المال وقال
مثل قوله فكثير بينهم القيل والقال بسبب ذلك وقد دبت عقارب الفتن بين الاصباهية
وبين سنان باشا وفائق بك وأعدوا سنان باشا بالقتل غير مأمرة وفي شهر ربيع الاول
وكان مستهل الشهر يوم الخميس طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهذا ملك الامراء بالشهر
ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الاثنين خامس الشهر نزل ملك الامراء الى الميدان وعرض
الاصباهية وعلم من فقد منهم ومن بقى ثم ظهر له ما كان يأخذ من سنان باشا وفائق بك من

جوامك الاصباحية وليس لهم وجود فظهر زيفه في هذه الحركة وفي يوم الخميس ثامن الشهر قبض ملك الامراء على طيلان رأس قوية وضربه بين يديه بالمقارع في الحوش ضرباً مبرحاً وكان سبب ذلك أن أخت السلطان طومان باي رافعته وذكرت أن السلطان طومان باي أودع عنده ثمانية آلاف دينار فأنكر طيلان ذلك وحلف أنه ما أودع عنده شيئاً من ذلك فلما تزايد الامر من أفواه الناس بسبب هذه الودعة وصار طيلان ينكر ذلك حتى حقق منه ملك الامراء وأمر بضربه بالمقارع وهو لم يقرب بشئ فنزل من القلعة وهو في الترسيم حتى يحقق ذلك وفي يوم الاحد حادى عشره مع ليلة الاثنين كان المولد الشريف النبوى جلس ملك الامراء في المقعد الذى في الحوش السلطاني واجتمع عنده بعض المباشرين وخير الدين نائب القلعة وبعض امراء عثمانية واجتمع عنده من القراء والوعاظ ثلاث عشرة جوقه ثم فى أواخر النهار مد سماء طالا يسمن ولا يغنى من جوع وأين هذا مما كان يعمل في موالد من تقدم من السلاطين ثم انه خلع على الوعاظ قفطانا واستردها بقدرهين وفي يوم الاثنين ثانى عشره خلع ملك الامراء على مملوكه برسباي واستقر به أمير ركب الحاج الشريف فنزل من القلعة فى موكب حافل وفي يوم الخميس خامس عشره حضر قاصد من عند نائب حماه وصحبته مقدمة حافلة الى ملك الامراء وأشيع أن الامير جان بردى الغزالي نائب الشام قد قبض على أربعة من مشايخ عربان جبل نابلس منهم قراجان طراباى فلما قبض عليهم خز رؤسهم وأرسلها الى الخندق كارباً درنه فلما فعل ذلك اضطربت أحوال جبل نابلس وصارت العربان ينهبون الضياع التى حول جبل نابلس ويقتلون أهلها وتزايد الغلاء بالشام من قلة الجالب اليها وفي يوم الثلاثاء عشره قدمت الاخبار من الغربية بأن اينال السيفى طراباى كشف الغربية قد احتال على حسن بن مرعى وأخيه شكر شيخى عربان الغربية وهما اللذان كانا سببا لمسك السلطان طومان باي وقد تقدم ذكر ذلك فعزم اينال على حسن ابن مرعى وأخيه شكر فى مكان بالقرب من سنهور فأتي اليه وأمناه وظننا أن ذنبهما قد نسي مما قد فعلاه فكان كما يقال فى المعنى

قالت ترقب عيون الحى إن لها * عينا عليك اذا ما نمت لم تنم

فلما أقام عنده ذلك اليوم متدلهما مدة حافلة ثم بعد ذلك أحضر لهما سفرة الشراب فلما شربا ودخلا فى السمر هجم عليهم ما جماعة من المماليك الجراكسة ممن كانوا عند اينال فعاجلوا حسنا وشكرا بالاسام قبل الكلام فقطعوا رؤسهما واشتفوا منهما حتى قيل ان بعض المماليك الجراكسة شرب من دمهما وبعضهم جزل لحومهما بالسيف والمجازاة من جنس العمل وكما تدان تدان وفي يوم الاربعاء حادى عشره حضر الى القاهرة رأس حسن ابن مرعى ورأس شكر فرسم ملك الامراء للوالى أن يعلقوهما على باب النصر وقيل ان

رأس حسن بن مرعي لما دخلوا به أو برأس شكر غلقوه ما في رقبة فرس السلطان
 طومان باي الذي كان راكبا عليهم الما قبضوا عليه في تروجه فصد في أن هذا الفرس
 كان تحت حسن بن مرعي لما أتى إلى اينال فعد ذلك من النوادر الغربية وقيل إن عيال
 السلطان طومان باي لما علقت رأس حسن وشكر على باب النصر أظهر وأفي ذلك
 اليوم الفرخ والسرور وأطلقوا الزغاريت وتخلقوا بالزعفران وأشييع أن أخا حسن بن
 مرعي كان مختفيا بالقاهرة لما قتل أخواه فغرز عليه فقبضوا عليه من بيت بعض أصحابه
 وفي يوم الجمعة ثالث عشر به قدمت الأخبار من نغردمياط بأنه قد وصل إلى النغر قاصدا من
 البحر أرسله الخنكار ابن عثمان يطلب سنان باشا وفائق بك فلما سمعوا ذلك تنكد الهذا
 الخبر وقالوا الملك الامراء خير بك هذا كله شغل أنت تكاتب فينا الخنكار في الدس
 وترافع فينا عنده فلما وردت الأخبار بمجي القاصد من دمياط رسم ملك الامراء
 خير بك للقاضي بركات بن موسى بالتوجه إلى ملاقاته فخرج إلى قليوب ورحى على البلاد
 من الشرقية والغربية أبقاراً وأغناماً وأوزاً ودجاجاً جمع في هذه الحركة فوق ألف رأس
 من الغنم غير البقر والأوز والدجاج فدعا القاضي بركات بن موسى للقاصد في قليوب مدة حافلة
 فأشييع أنه صنع له في تلك المدة أربع مائة رأس غنم ومثلها أوز ومثلها دجاج وخمس مائة مجمع
 حلوى وقيل ألف مجمع ثم مد له في أبي الغيث مدة ثانية مثل الأولى فلما وصل القاصد إلى
 هناك فاذا هم أميران أحدهما يسمى اسكندر باشا والآخر يسمى فرحات بك وصحبتهما من
 الغلمان نحو مائة إنسان فلما انتهى أمر المدة أحضر القاضي بركات بن موسى بين أيديهم ما
 وقال له الخنكار يسلم عليك ويقول لك يرض الله وجهك حيث رجعت بالججاج سالمين
 بخلاف ما جرى على الحاج الشامي فقام وقبل الأرض عدة مرار وكشف رأسه فلما
 وصل القاصد إلى شبري خرج الأمير قاي تبای الدوادار إلى ملاقاتهم وجماعة من الامراء
 الجراكسة فسلموا عليهم ورجعوا إلى دورهم وفي يوم الثلاثاء سابع عشر به دخل القاصد
 إلى القاهرة وقت صلاة الصبح فطلعوا على الجزيرة الوسطى وأتوا من باب الخرق وأتوا إلى
 تحت الربع وتوجهوا على القربيين فأنزلوهم في بيت الاتاكي قرقاس بن ولي الدين الذي
 عند حوض العظام فأنزلوا به اسكندر باشا وأنزلوا فرحات بك في بيت الأمير كسباي
 المحتسب الذي عند مدرسة سودون بن زاده فدخلهما القاضي بركات بن موسى هناك مدة
 ثلاثة لكل واحد منهم ما على انفراده واستمروا هناك يوم الثلاثاء سابع عشر به وطلع
 القضاة الأربعة إلى القلعة واجتمعوا معك الامراء وقروا مطالعة الخنكار فكان من
 مضمون تلك المطالعة طلب سنان باشا وفائق بك وخير الدين نائب القلعة وأرسل يقول للملك

الامراء خاير بك بأن توصى بالجزا كسة وأن يصرف لهم جوامكهم على العادة ولحومهم
وعليهم وأن يتطرق في أحوال المعاملة ويزيل عنها الغش من الذهب والفضة وأن يحفظ
الثغور فلما تحقق سنان باشا وفائق بك أن السلطان أرسل يطلبهما اضطربت أحوالهما
وهموا بقتل ملك الامراء خاير بك وعلما أن هذا كله مما كان يرأسل به الخنكار يشكو
له منهم فاخفى ملك الامراء في الحريم ثلاثة أيام لم يظهر لاحد من الناس حتى أشيع أنه
قد هرب من القلعة فاضطربت أحوال القاهرة ووزع الناس أمتعتهم في الخواصـل
ولهجوا بوقوع فتنة عظيمة تخرب فيها القاهرة وتنهب عن آخرها من الاصباهية والكلية
فأقامت الناس على وجل ثلاثة أيام ثم طلع القاضي بركات بن موسى الى ملك الامراء
وقال له ارسم للوالى بأن ينادى في القاهرة للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء
وأن الاسواق والدكاكين تفتح وأن لا أحد يكتر كلامه ولا يتحدث في شئ لا يعنيه
ومن تكلم في شئ لا يعنيه يشنق من غير معاودة فطاف الوالى في القاهرة وأشهر النداء
بذلك وصار ملك الامراء على رأسه طيرة من الاصباهية فبنى حائطاً تجاه باب الستارة
وصارت الاشاعات قائمة بوقوع فتنة عظيمة من الاصباهية وكانت عدتهم نحو ألفى انسان
غير الكلية وصاروا يركبون في كل يوم ويقفون في الرميـلة ويسبون ملك الامراء سباً
فيحاويهمون بالهجوم عليه وفيه قدمت الاخبار من الشرقية بقتل شيخ العرب على
الاسمر ابن أبي الشوارب وقد احتال عليه كاشف المنوفية وعزم عليه وأسكره وهجم عليه
دوادره فقتله بغتة ولعب فيه بالسيف فلما جرى ذلك خاف شيخ العرب حسام الدين
ابن بغداد على نفسه فاخفى مدة أيام وقد قوى عزم الممالك الجزا كسة من حين
قتل الامير اينال كاشف الغربية حسن بن مرعى وشكراً أخاه وفيه تغير خاطر ملك الامراء
على يونس الجلبى قيل ان أصله فلاح من الشرقية فبقى استاداراً وكان له مقدار عند ملك
الامراء بسبب انسحاب المال على الحمام ككية فبطحه في الحوش وضربه ضرباً مبرحاً
نحو ستمائة عصاً فنزل الى بيته وهو مبطوح على حمار فأقام أياماً ومات من الضرب
وفي شهر ربيع الآخر في يوم الاثنين رابعه وقعت فتنة عظيمة بالقلعة بين الاصباهية
والانكشارية من عسكر ابن عثمان قتل فيها من الاصباهية شخص و قيل اثنان فرسم ملك
الامراء للانكشارية بأن يقيموا بالقلعة دائماً ولا ينزلوا الى المدينة فبطل أمر الانكشارية
الذين كانوا يجلسون على أبواب المدينة وتشكى الناس في خلاص الحقوق منهم
فرسم لهم ملك الامراء بأن يسكنوا باطباق الممالك التي بالقاهرة ولا ينزلوا الى المدينة أبداً
وكان يحصل منهم غاية الفساد في حق الناس من خطف النساء والصبيان والضيافات
والبضائع من أيدي المتسبين وضح الناس من ذلك وفيه أشيع ان سنان باشا وفائق بك

قد برز أخيامهم في الراية بسبب السفر إلى اسطنبول وأُشيع أن سنان وفائق يتوجهان من البحر وبركهم يتوجه من البر وفي يوم الاثنين حادى عشره خرج سنان باشا وفائق بك وتوجهوا إلى بولاق وشق من الصليبة في موكب حافل وقدامهم ما الاصباهية قاطبة والانكشارية وأبس كل منهم ما فقطنا من حبال وقيل أنعم على كل واحد منهم بألف دينار فاستقر معهم ما العسكر العثماني حتى أنزلوهم في المراكب من بولاق وساروا في البحر إلى نهر دمياط ومن هنالك نزلوا في الاغربية وفي يوم الجمعة خامس عشره انتهى العمل من الجامع الذي أنشأه المقر الشهابي أحمد بن الجيعان الذي عند بركة الرطلي بالقرب من حدرة الفول وخطب به في ذلك اليوم وكان مسجدا قد عياني في دولة الناصر محمد بن قلاوون سنة أربع وأربعين وسبعمائة ودفن به الشيخ خليل الرطلي وهو الذي تنسب اليه بركة الرطلي فاستقر على ذلك حتى خرب في حده صاحب سعد الدين بن ابراهيم البشيرى في دولة الملك المؤيد شيخ فأقام مدة طويلة وجعل به خطبة لكونه كان بجوار بيته الذي بالبركة فاستقر على ذلك إلى أن خرب وأقام مدة طويلة وهو خراب في حده بناء القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر في هذه السنة فاجتمع به في ذلك اليوم القضاة الاربعة وأعيان الناس من المباشرين وغيرهم وخطب به ذلك اليوم قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل فخطب به خطبة بليغة في معنى انشاء الجوامع فلما انقضى أمر الصلاة حضر الشهابي أحمد بن الجيعان زبادى صيني فيها مكرنحو عشرين زبديه فطاف بها على الناس ثم قامت جماعة من المنشدين وأنشدوا قصائد في انشاء هذا الجامع من نظم جمال الدين السلموني الشاعر وعبد اللطيف الدنجي وغيرهما من الشعراء ثم ان الشهابي أحمد بن الجيعان قرر به هذا الجامع حضورا من بعد العصر وصوفية وجعل شيخا للحضور الشيخ نور الدين علي بن ناصر شيخ حضور الشافعية وشيخا للحنفية هو شهاب الدين أحمد بن الصائغ وقرر شيخ الحديث الشريف الشيخ شمس الدين الضيروطي وفي يوم الاحد سابع عشره أُشيع أن المملوك الذي قتل على الامراء أبي الشوارب قد قبض عليه الكاشف وأحضره إلى ملك الامراء فرسم بشقه فشنق على باب زويلة وقيل ان أصله من مماليك الاتابكي سودون الدوادار فأرضى ملك الامراء مشايخ العربان بشقه هذا المملوك وفي يوم السبت ثالث عشره وقعت فتنة كبيرة بين الاصباهية والانكشارية فأغلقت ابواب السلسلة وباب الميدان في ذلك اليوم واستقر الشرع بالبين الفريقين إلى ما بعد الظهر فنزل الكيخية الكبير ليصلح بين الفريقين فضر به فولد هاربا وفي يوم الاثنين خامس عشره كان يوم فطر النصراني وهو أول الخراسين واستهل شهر جمادى الاولى يوم السبت فطلع قضاة القضاة إلى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم ومن الحوادث في ذلك

اليوم أن ملك الأمراء أحضر طائفة الانكشارية الى القلعة ورسم لهم أن يحضروا بمكاحلهم والبندق الرصاص الذي عندهم فلما أحضروا ذلك رسم ملك الأمراء بادخال تلك المكاحل والبندق الرصاص في الزردخانة ورسم للانكشارية بأن يقيموا في الاطباق التي بالقلعة ولا ينزلون الى المدينة أبدا فشق ذلك عليهم الى الغاية وانتصفت عليهم طائفة الاصباكية وفي يوم الاربعاء خامسة نزل ملك الأمراء في مركب وعدي الى المقياس فأقام به الى آخر النهار ثم توجه في المركب الى قصر ابن العيني الذي بمنشية المهراني ثم توجه من هناك الى بولاق وأقام بالسبتية ثم طلع الى القلعة في أواخر النهار وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية وفيه خلع على القاضي شرف الدين الصغير والقاضي شرف الدين بن عوض واستقر في التحدث في جهات الشرقية عوضا عن يونس الذي كان استاد اراومات تحت العقوبة وفي يوم الاحد تاسعه خرج القاضي بركات بن موسى المحتسب الى مساحة بلاد الصعيد واستخراج المغل الذي به او كانت هذه وظيفة الامير شبك الدوادار والامير اقبيردي الدوادار وغيرهما من الدوادارية فخرج في مركب حافل وقدامه الانكشارية يرمون بالنفوط وسافر معه جماعة من المماليك الجراكسة وفعل في أمر السنج والخيام والبرك ما عجز عنه الأمراء المقدمون وقد ساعدته الاقدار على بلوغ الاوطار ورأى من العز والعظمة في دولة ابن عثمان ما لم يره في دولة السلطان الغوري وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي الشيخ الصالح المعتقد عبد الرحمن البهنساوي الذي كان مقيما بالمدرسة البروقية وكان للناس فيه اعتقاد وفيه عرض ملك الأمراء خاير بك طيلان رأس نوبة وضربه بين يديه بالمقارع ثانيا وبسبب ذلك أنه تأخر عليه ألفا دينار مما كان تقرر عليه من المال الذي يورده ثم بعد الضرب أرسله الى سجن الديلم فأقام به وفيه قبض ملك الأمراء على جماعة من اليهود من معلى دار الضرب ومن الصيارف وسبب ذلك أن معاملة السلطان ابن عثمان في الذهب والفضة قد ذهبت وفسدت وصارت كلها غشا وزعلا فقبض على معلم دار الضرب وألزمه بأن يورد الى الخزانة الشريفة مائة ألف دينار وأن المعلمين بدار الضرب قاطبة يتوجهون الى نحو اسطنبول أو يلتزمون باصلاح المعاملة فلما جرى ذلك أغلظ عليه جماعة من اليهود وقالوا له أرنا مرسوم الخشكاران كان أرسل يطلبنا الى اسطنبول وأقاموا أياما بالسجن حتى يكون من أمرهم ما يكون وفيه تغير خاطر ملك الأمراء على الامير كشمبغا والى القاهرة فخنق كشمبغا من ملك الأمراء فلما نزل الى بيته أغلق الباب وطرد النقباء عن بابه ورفع دكته وأقام أياما لم يخرج من بيته فنزل اليه الامير جانيم الجزاوي وطاع به الى ملك الأمراء وقابل به فخلع عليه قفطانا مخملا ونزل الى داره على عادته بعدما كان أشيع وقوع فتنة عظيمة وقيل انه أورد الى ملك الأمراء ستة آلاف دينار وفيه أشيع أن ملك الأمراء خاير بك قد

ضرب زوجته خوند مصر باي الجركسية ضرب بامبر حاتي كادت أن تموت ولم يعلم ما سبب ذلك وكثر في ذلك القال والقييل وفي يوم الاثنين سادس عشرية حضر من عند الخنكار أولاق يبشر بجي عسكر عوضا عن الاصباهية الذين بمصر وقد عين الخنكار عسكرا وهو في أدريه بأن يحضر والى مصر وزعمهم هذا القاصد أنه أتى من أدريه الى مصر في أحد وعشرين يوما وكانت الاصباهية قد تقافوا من الإقامة بمصر فجاء هذا الأولاق يبشر بجي العسكر حتى تطمئن الاصباهية بذلك وفي شهر جمادى الآخرة وكان من شهر يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الثلاثاء تاسعه توفي طيلان رأس نوبة وقد نال من الضرب بالمقارع كما تقدم فاستمر عليل حتى مات وكان من وسائط السوء ظالماء سوفان جملة أعوان الظلمة وفي يوم الثلاثاء سادس عشرية حضر قاصد أيضا من عند الخنكار وأخبر أن الفرنج قد تحركت على الخنكار وأرسل يقول للملك الامراء بأن يحفظ الثغور ويحصن ثغر الاسكندرية وثغر دمياط بالمكاحل وآلة السلاح وغير ذلك وفي يوم السبت عشرية طلع ابن أبي الرداد بيشارة النيل وأخذ القناع فجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين أصبعا أدرج من العام الماضي بعشرة أصابع وكانت الزيادة أول يوم خمسة أصابع فتقابل الناس بذلك وفي يوم الاثنين ثاني عشرية حضر شخص شريف من عند ابن عثمان وزعم أنه قد قرره في نقابة الاشراف وأظهر مرسوم الخنكار بذلك وأشيع أن الخنكار أرسل يطلب الاصباهية بأن يتوجهوا الى اسطنبول فأخذوا في أسباب عمل برقهم وفي يوم السبت سابع عشرية خلع ملك الامراء على القاضي عبد العظيم واستقر به في التحدث في نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزيني بركات ابن موسى وكان مسافرا نحو الصعيد كما تقدم وكان سبب ذلك أن ابن موسى لما سافر الى الصعيد جعل شخصا من العثمانية متحدثا عنه في الحسبة الى أن يحضر من السفر فضاءت أحوال المسلمين في هذه الايام ووقع الغلاء بالديار المصرية وتشحطت الغلال وعز وجود الخبز في الاسواق وتناهى سعر الارذب القمح الى ألف درهم وتناهى سعر البطة الدقيق الى عشرين نصفا وعز وجود الشعير والقول والتبن فضج الناس من ذلك وعز وجود الاجبان والسمن والشيرج وغير ذلك فتوجه طائفة من الترك الى بيت ابن موسى وضربوا المباشرين والرسل الذين على الباب وهرب الترك كافي الذي كان يتحدث في الحسبة ثم ان الترك كان توجهوا الى بيت القاضي عبد العظيم وهجموا عليه في حريمه وأخذوه وأركبوه غصبا وطلعوابه الى ملك الامراء وقالوا له ان لم يزل هذا الحسبة والاختراب بمصر على أيامك وتنب المدينة عن آخرها فوسع ملك الامراء الا أن أحضره فقطانا وأفاضه عليه واستقر به ناظر الحسبة عوضا عن ابن موسى فنزل من القلعة بعد العصر وشق من القاهرة قوارت ففقت

له الاصوات بالدعاء من الناس وكان محبباً لاهل مصر قاطبة ففرح كل أحد من الناس بولايته وظهر الخبز في ذلك اليوم على الدكاكين وتفاؤل الناس بكعبه بالرخاء وسكن ذلك الاضطراب الذي كان فيه الناس قليلاً وفي هذه الايام توقف النيل عن الزيادة أياماً فقلق الناس لذلك وفي يوم الاثنين سلخ الشهر ثارت طائفة من الاصباكية على الامير جانم الجزاوى وهو نازل من القلعة وعينوا له الضرب وقالوا له قل للملك الامراء قدمتمنا من الجوع فحن ونحيلنا من قللة الموجود فلا نتلق في الاسواق خبزاً ولا شعيراً فاما يا اذن لنا بالسفر أو يكفيننا من القوت فما خلاص منهم الامير جانم الجزاوى الا بعد جهد كبير وذكروا أن لهم ثلاثة أشهر جامكية مكسورة في الديوان وفي شهر رجب وكان مستهل يوم الثلاثاء طلع القضية الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وقد قلق الناس من أمر الاصباكية ثم ان النيل استمر في التوقف لم يزد شيئاً فأمر ملك الامراء بإبطال المحرمات من النيذ والحشيش والبوزة ومنع بنات الخطا من عمل الفواحش ثم ان الولى قبض على امرأة يقال لها انس وكانت ساكنة في الازبكية تجمع عندها بنات الخطا لاني يعملن الفاحشة وكان عليها مبلغ مقرر يورده كل شهر للولى وكان أمرها مشهوراً فرسم ملك الامراء بتغريقها هي وامرأة أخرى يقال لها بدرية زوجة أحد من الناس يقال له البغيضى كانت ماشية على طريقة أنس هذه في جمعها البنات الخطا فلما قبض الولى على أنس توجه بها الى قصر ابن العينى الذى في المنتسبة وغرقها هنالك بعد العصر فاجتمع الجلم الكثير من الناس بسبب الفرجة عليها وكان يوماً مشهوداً فغرقت على النداء والاجهار وراح الله تعالى المسلمين وطهرت الارض منها وفي يوم الجمعة رابع الشهر صلى ملك الامراء صلاة الجمعة بالقلعة ثم نزل منها وتوجه الى المقياس وقرأ هنالك ختمه ومد مدّة حافلة للفقراء واستمر النيل سبعة أيام لم يزد فيها شيئاً وأشيع أنه نقص أربعة أصابع فقلق الناس لذلك ووقع الغلاء في سائر البضائع والاصناف وفي يوم السبت خامس رجب زاد الله في النيل المباركة أصبعاً واحداً بعد أن وفي النقص فقرح الناس بذلك وسكن الاضطراب الذي كان بمصر قليلاً وفي ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه

قد أصبح الخزان مذكراً * ذا النيل بعد النقص في بوسى

وقد غدا يقرأ على قبحه * قراءة تنسب للـسـوى

فلما زاد النيل هذا الاصبع وسكن الاضطراب شرع القاضى عبد العظيم المحتسب في تسعير البضائع قاطبة فانصلحت احوال الديار المصرية قليلاً ووقع الرخاء وتفاؤل الناس بكعبه بالخير وقد قلت في المعنى

يا قاضياً قد غدا بالله محتسباً * على الاعادى ولا يخشى من الباس

رنخت أسعارنا من بعد ما غليت * وحرث حسن الثامن ألسن الناس

لما وليت زاد النيل وانفجرت * وقد خزي كل خزان ودراسي
 ان زال هذا الغلام من مصر لا عجب * فكم بكم أخضر يزهو على الآس
 ومن الحوادث أنه في يوم الخميس عاشر رجب وقعت واقعة شنيعة وهي ان اسكندر بك أحد
 أمراء ابن عثمان الذي كان حضرا الى مصر عوضا عن سنان باشا لما أقام بمصر صار يعارض
 قضاة القضاة في الاحكام الشرعية فوقع بينه وبين نور الدين على الميموني نقيب قاضي القضاة
 الشافعي ثم انه في يوم الخميس رسم بعزل على الميموني من النقابة ولم يكتف بذلك حتى انه تكلم
 مع ملك الأمراء في نفيه فنفاه الى دمنهور وأخرجته من يومه ثم ان ملك الأمراء رسم بإبطال
 نقباء قضاة القضاة الأربعة فعزل من النقابة شهاب الدين أحمد بن سيرين نقيب قاضي
 القضاة الحنفي وعزل نقيب قاضي القضاة المالكي شمس الدين الدميري وعزل من النقابة
 ابن قاضي القضاة الحنبلي ومنع جماعة من الوكلاء ومن الرسل أيضا وحصل لقضاة القضاة
 منه غاية الضنك بسبب نقبائهم وقد تقدم القول ان ملك الأمراء لما وقف النيل سبعة
 أيام أمر بإبطال بيوت الحشيش وبيوت الخرة وبيوت البوزة وغرق أنس التي كانت تجمع
 عندها بنات الخطا اللاتي كن يعملن الفاحشة من أمر الزنا فلما زاد النيل رجع كل شيء
 على حاله وسبب ذلك أن العثمانية تعصبوا في إعادة ذلك فان أكثرهم كان يبيع البوزة في
 الدكاكين ورسم ملك الأمراء بأن أولاد أنس لا يعارضون فيما يفعلون من جمع بنات
 الخطا كما كانت تفعل أمهم أنس وفي هذا اليوم قدمت الاخبار من حلب بأن الخنكار
 أرسل عسكريا يقيمون بمصر عوضا عن الاصباهية الذين كانوا بها وفي يوم السبت ثاني
 عشر رسم ملك الأمراء بشنق شخص سروجي فشنق عند باب خان الخليلي وسبب ذلك
 انه كان له عبد فباعه لبعض المماليك الجراكسة فهرب وخدم عنده بعض التركان ثم ان
 السروجي توجه الى سيدي أحمد البدوي فصادف ذلك العبد هناك فقبض عليه وأحضره
 الى القاهرة فهرب ذلك العبد من بيت السروجي وأتى الى الترككافي وادعى أنه لم يكن في
 ملك السروجي وأنه معتوق فطاع الترككافي وقص خبر العبد على ملك الأمراء فاحضر ذلك
 السروجي وأخبر أنه قد باعه لمالوك الجراكسة وقتل في الواقعة ومضى أمره فلم يثبت
 للسروجي عليه حق فأغاظ السروجي على ملك الأمراء في القول فخنق منه ملك الأمراء
 ورسم بشنقه فشنق عند خان الخليلي فقبل ان السروجي سأل ملك الأمراء أن يفدى نفسه
 من الشنق بخمسمائة دينار فأبى ملك الأمراء من ذلك وشنق فراح ظلما وفي يوم الاثنين
 رابع عشر وقعت حادثة مهولة وهي ان جماعة من الكملية والاصباهية وقفوا الى ملك
 الأمراء يطلبون منه جوامكهم عن ثلاثة أشهر واذن لهم بالسفر الى بلادهم فلم يلتفت اليهم
 فنزلوا من عنده ووقفوا بالرميلة فلما طلع الأمير جانم الجزاوي أحاطوا به وضربوه وأنزلوه

عن فرسه وأرادوا قطع رأسه فهرب ودخل الى الميدان وهو مكشوف الرأس فوقف في وجوههم شخص من أمراء الجرا كسة يقال له الامير بنخشباى الذى كان كاشف البهنسا فرموا غبنهم فيه فضر به بالسيف حتى أشيع موته فملوه وأدخلوه الى باب السلسلة وفيه بعض نفس ثم ان الكلية استمر وابلر ميلة طالبين ثم امع الجرا كسة وانفتح بينهم باب الشر بسبب جانم الحزاوى ثم أنزلوا الامير بنخشباى الى بيته فأقام الى يوم الاحد عشر به ومات وقد جرح فى رأسه جرحا بالغا ومات به وأشيع أن ملك الامراء كتب محضرا بأن الكلية قتله وأرسل ذلك المحضر الى الخنكار بادرنه ثم حضر جماعة من الامراء الجرا كسة وصلوا على الامير بنخشباى وكانت له جنازة حافلة وصنعوا قدومه كفارة وفيه قدمت الاخبار من حلب بوفاة القاضي محب الدين محمود ابن القاضي شمس الدين محمد بن أجا الحلبي وكان رئيسا حشما أصيلا عريقا قاضيا لى قضاء الخنفية بحلب ثم ولى كتابة السر بالديار المصرية وأقام فى هذه الولاية ست عشرة سنة وهو عزيز فى مصر نافذ الكلمة وافر الحرمة وهو آخر كتاب السر بالديار المصرية ولم يوجد بعده من يناظره فى الرياسة والتعظيم والنظام ومشى مشى الرؤساء المتقدمين فى كتابة السر (١) وكان مولده سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ومات وهو فى ست وأربعين سنة وكان كثيرا الامراض فى جسده وأكثرا قامة فى داره والناس تسعى اليه فى أشغالها ولما مات رثاه الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوم به هذه المراثية

ألا فى سبيل الله نجى أجا الذى * يكل اذا عتت فضائله الفكر
فضائله كالزهر والزهر ذكراها * ومنظرها اذ فيها النشر والبشر
كنجم بأفق الملك كان كم اهتدى * به من بلبل الهم ضل به الحجر
كتابة سر الملك ماتت لكونها * به خمت والسر من بعده جهر
لذا كان محمودا وبالقلب ذكره * رعى الله محمودا له الحمد والشكر
فن مثل محمود ومن مثل قلبه * وذا القلب مدوح يلذ به الذكر
لقد كان كالنعمان فى العلم والسفا * وفى الفخر نعم العلم والجود والفخر
له فكرة كانت تديره * بدائع لفظ نظم ابداعها الدر
لعمرك ما فى الفصل والوصل مثلها * بيان معانيها رب الجاسر
أرى الله منه الروح روحا فضلا * عليه وريحانا وزيد له الاجر
وصير قبراضه خير روضة * يطيب به افيه له الف والنشر

وفى يوم الخميس رابع عشر به نارت الاصباهية على ملك الامراء وطلعوا الى الرملة ووقفوا

(١) فى الشذرات ان محمود بن اجا ولد سنة ٨٥٤ وتوفى فى العشر الاول من رمضان سنة ٩٢٥

بهم فأغلقوا في وجوههم باب السلسلة وباب الميدان فصاروا يسبون ملك الامراء سبافاحشا
 وكان سبب ذلك أنه كان لهم ثلاثة أشهر جامكية منكسرة فأنفق عليهم شهرين وتأخر شهر
 واحد فقالوا ما نساقر حتى تنفق علينا الشهر المنكسر والانزلنا فنهينا المدينة وشوشنا على
 الناس فوقع الاضطراب بالقاهرة وغلقت الاسواق والدكاكين في ذلك اليوم ثم ان
 الاصباكية توجهوا الى بيت الامير قايتباي الدوادار وأركبوه من بيته غصبا وطلعوا به الى
 ملك الامراء وطلعوا أيضا بالامير كشيبغا الى قاجعة بملك الامراء وحدث ما في امر
 الاصباكية بان يتفق عليهم ذلك الشهر الذي تأخر لهم فتوقف في ذلك ثم رسم لهم بان يتفق
 عليهم ذلك الشهر فيما بعد وأخذوا في أسباب عمل برقهم والتوجه الى اسطنبول وفيه
 أشيع أنه حضر من اسطنبول جماعة ممن كان بهم امن السيوفية والحدادين والبنائين
 والتجارين والمرخين وغير ذلك من الصنائع وأشيع أن الخنكار أنشأ له هناك جامعا وحاميا
 فلما انتهى العمل منهما وقفوا له وقالوا له ان خافنا أولادنا وعيالنا وقد أنهيتم العمل الذي رسم به
 الخنكار وما بقي لنا شغل فرسم لهم بالعود الى بلادهم وكتب لكل واحد منهم ورقة بعدم
 المعارضة له وحضر معهم أيضا الجمالي يوسف ابن نقيب الجيش بن أبي الفرج وشخص
 من أقارب ابن الطولوني وقد أقاموا لهم خمنا باسطنبول بان يتوجهوا الى مصر ويقتضوا
 اشغالهم ثم يعودوا الى اسطنبول وأخبر الجمالي يوسف بوفاة جماعة كثيرة من الاعيان
 الذين توجهوا من مصر الى اسطنبول ولم تحضر في أسماؤهم واستهل شهر شعبان بيوم
 الخميس فطلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم
 الثلاثاء سادس الشهر حضر القاصد الذي أرسله الخنكار يطلب الاصباكية وقد أرسل
 عسكريا محبة ذلك القاصد عوضا عن الاصباكية فلما وصلوا الى الريدانية رسم لهم ملك
 الامراء بان يطلعوا من بين التراب ولا يشقوا من القاهرة قبل ان عدتهم دون ألف نفس
 والباشا الذي عليهم يقال له قراموسي فلما وصل تحت القلعة أنزلهم ملك الامراء بالميدان
 الذي تحت القلعة فنصب خيامه به وصارت التركمان الذين حضروا محبته يجمعون على
 الناس في بيوتهم ويسمكونون بها فلما كان يوم الاثنين ثاني عشره خرج اسكندر بك
 وخرج محبته الاصباكية الذين كانوا بمصر قاطبة فكان هو والباشا عليهم فشق عليه خروجه
 من مصر وكان هو المشار اليه في أمور الديار المصرية وصار يعارض قضاة القضاة في الاحكام
 الشرعية فقلق الناس منه الى الغاية حتى بعث الله تعالى بالفرج وأخرجه من مصر عاجلا
 فلما خرج اسكندر نزل اليه ملك الامراء وودعه وأنعم عليه بأشياء كثيرة من مال وخيول
 وزوادة وغير ذلك ولما دخلت هذه الطائفة من التركمان الى مصر صارت الناس تضيق
 أبوابها حتى لا يدخل منها ركب لاجل التركمان وفي يوم الاربعاء رابع عشره رسم ملك

الامراء بشنق سبعة أنفار من طائفة الكهنة قتلهم الذين قتلوا الامير بنحشباى
كما تقدم فشنق منهم ستة أنفار على شجرة النبق التي عند مدرسة السلطان حسن والاخر
شنق عند باب النصر فشنق ذلك على الكلية ولم يطلع من أيديهم شئ وفي يوم الجمعة سادس
عشر شعبان كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك تاسع عشر مسرى ففتح السد يوم السبت
سابع عشر شعبان الموافق لعشرى مسرى فاوفى الله الستة عشر ذراعا وزاد من الذراع
السابع عشر اصبعين وفتح السد في العام الماضى ليلة النصف من شعبان فكان التفاوت
بينهما يومين وقد قال الناصرى محمد بن قانصوه

شاهدت عند النيل يوم الوفا * حرزا عظيما جانب الشط

للعين والنظرة فيه غدت * كتابة بالكسر والبسط

فلما طلع ابن الرداد وأخبر ملك الامراء بوفاء النيل المبارك نزل من القلعة وتوجه الى
المقياس ونحلق العامود ومدة هناك مدة حافلة ثم قدموا له المركب الغراب الذى كان عمره
السلطان الغورى فنزل فيه وتوجه الى نحو السد الذى عند رأس المنشية ففتحه وأظهر
التعظيم في ذلك اليوم وفرق المجامع الحاوى والمنشآت الفاكهة وكان ذلك اليوم مشهودا من
كثرة المراكب والنوطة والطبول والزمر ثم ركب ملك الامراء من هناك وتوجه الى
القلعة ثم توجه الامير كشبة الى ففتح السد الذى عند قنطرة السد وفتح سد قنطرة قديدار
ورجع الى داره وكان يوما مشهودا وقد عمت هذه الفرجة كل الناس وفيه أنفق
ملك الامراء الجامكية على الممالك الجرا كسة فأنفق لهم شهرين وكان لهم جامكية
أربعة أشهر مكسورة ثم ان القاضى شرف الدين الصغير عوقب جوامك جماعة من أولاد
الناس بسبب ذلك وفيه تغير خاطر ملك الامراء على جان بك كاشف الشرقية فارسل
بالقبض عليه واحضاره في الحديد وقد كثرت فيه الشكاوى من الناس واستغاثوا من ظلمه
فلما حضر بين يدي ملك الامراء وبخه بالكلام ثم وضع جنزيرا في عنقه وقيده في رجليه
وأرسله بحبته جماعة من الانكشارية الى الشرقية ورسم باشهار المناداة في الشرقية بان
من ظلمه جان بك كاشف الشرقية عليه بملك الامراء يخلص حقه ثم عزل جان بك من كشف
جهات الشرقية وقرر شخصا من الاتراك يقال له اياس وكان دوادارا بخدمة خير بك
المعمار قديما وقد تعين باش العسكر الذى كان قد تعين الى جدة ولم يتم له ذلك ثم ان ملك
الامراء فى عقيب ذلك أرسل بالقبض على اينال السيفى طراباى كاشف الغربية وأحضره فى
الترسيم واستمر على ذلك الى الآن لم يخلص من الترسيم وفي أواخر هذا الشهر قدمت
الاخبار من مكة المشرفة بوفاء ابنة العلائى على بن خاص بك وهى أخت خوندزوجة
الاشرف قايتباى وكانت رئيسة حشمة فى سعة من المال وقد تزوجت بعدة أمراء مقدي

ألف وهي حلة الاشرف طومانباي جاورت بمكة وتوقفت هناك وفي يوم الخميس آخر الشهر كانت ليلة رؤية هلال رمضان فتوجهه قضاة القضاة الى المدرسة المنصورية التي بين القصرين وحضر القاضي عبد العظيم المحتسب فلما روى الهلال وانقض المجلس قام القاضي عبد العظيم وركب من المدرسة المنصورية فلاقته القوانييس والمشاءل من هذا النوع وعلقت له القناديل على الدكاكين ومشت قدما به الشموع والسقاؤون بالقرب كما كان يصنع القاضي بركات بن موسى المحتسب فاستمر في هذا الموكب الحافل من بين القصرين الى بيته الذي في باب النصر والرسول قدما به الشموع الموقودة وكانت تلك الليلة من الليالي المشهودة في الفرجة والقصف وفيه يقول الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوه

كعب عبد العظيم كعب رخاء * ريح تسعيره الرخاء رخاء
باشرا الحسبة الشريفة في المح * ل فراح الغلا وجاء الرخاء
من كذا كعبه لدى المحل خصب * فهو طب للداء فيه دواء
دام فيها مدبر الحكم بالحكم * مة ما قابل الصباح المساء

واستهل شهر رمضان يوم الجمعة فطلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ومما وقع في ذلك اليوم ان قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل تكلم مع ملك الامراء في ذلك المجلس بسبب نقيبته نور الدين علي الميموني وقد تقدم القول أن ملك الامراء انفاه الى دمنهور فلما كلمه القاضي كمال الدين بسبب ذلك رسم باعادته الى مصر بشرط أن يكون بطالا ولا يكلم في النقابة بباب القاضي أبدا ومنع بقية القضاة أن يجتمعوا له ثم نقيباء على أبوابهم ثم انقض المجلس على ذلك وقامت القضاة وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطية سنة خمس وعشرين وتسعمائة الخارجية وفيه قدمت الاخبار من مكة بأن في البحر المالح قبالة جدة نحو أربعين مركبا من مراكب الفريج يعبثون بالتجارة ويقطعون عليهم الطرقات فلما بلغ ملك الامراء ذلك عرض جماعة من الممالين الجراكسة وغيرهم وعين منهم نحو ثلثة مائة عمالوك وكلمية يتوجهون صعبة الجراح وقيمون بجدة خوفا من ان يطرقتهم بعض الفريج على حين غفلة وفيه أشيع بين الناس ان قاسم الشرواني الذي كان اسستقر في نيابة جدة جمع المال الذي تحصل من جدة فوضع يده عليه وأخذ المال كله التي كانت هناك والسلاح ونزل في مراكب وتوجه نحو بلادهم من قسنتكدم ملك الامراء هذه الاخبار الردية وفيه حضر شخص يقال له كنيته أرسله ابن عثمان يقيم بمصر عوضا عن اغات الانكشارية الذي كان بمصر فانه أراد الحج في هذه السنة الى بيت الله الحرام وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان قبض

على شخص من تجار الوراقين يقال له المحلاوى وكان قبيح السيرة مشهوراً بكل الربا وقد
أنهم وافى حقه أنه يبيع الخمر والمجون للتركة كما ن في شهر رمضان وقد شهد عليه جماعة
من الوراقين بذلك فلما عرض على ملك الأمراء بالميدان رسم بتسليمه الى الوالى حتى يحرر
ما يكون من أمره فتسلمه الوالى ونزل به الى داره ليعاقبه حتى يقرب بما قيل عنه من بيع الخمر
والمجون وقد أوعده ملك الأمراء بالشنق بعد العيد فلما نزل به الوالى الى بيته قصد ان
يكتب محضراً بسيرته فجاء اليه جماعة من الانكشارية من أصحاب المحلاوى الذين كان
يبيع لهم المجون فذهبوا الى الوالى من ذلك وأغلظوا عليه في القول ثم توجهوا الى سوق الوراقين
وضربوا التجار الذين تعصبوا على المحلاوى وقصدوا نهب التجار فاعلقوا الدكاكين قاطبة
فلما كان يوم الاربعاء عشرين رمضان طلع التجار الى ملك الأمراء وأخبروه بما جرى من
الانكشارية فحقق منهم ورسم للوالى بأن يوسط المحلاوى على باب الميدان فوسطه هناك
مسيراً ولم تنتطح في ذلك شأنان ثم قبضوا على عبد المحلاوى فادعى أنه قد اعتقه أسناده
قبل أن يتوسط فقطع الوالى أذنه وأطلقه الى حال سبيله فعند ذلك من الحوادث الموهلة وما
كان يجب على المحلاوى توسط فراح ظملاً وفي يوم الجمعة ثاني عشرية وقع من الحوادث
أن ملك الأمراء كان وضع في الرميطة عند القماحين تجاه سبيل المؤمنين فلقين خشب فخل
كهيفة المشنقة ووضع فيها حباً لاوكلا ليب حديد بكاراً وأشيع بين الناس ان ملك الأمراء
يقصد بعد العيد أن يشنق جماعة من مشايخ العربان ويشنق جاني بك كاشف الشرقية
واينال كاشف الغربية ويشنق جماعة من الكملية والانكشارية فجاءوا الى تلك المشنقة
ورموا الاخشاب التي هناك وقطعوا الكلا ليب والحبال ثم توجهوا الى بيت كمشبة الوالى
وقصدوا أن يهجموا عليه ثم ضربوا النقباء الذين على بابه ثم توجهوا الى الوراقين وقصدوا
أن يقتلوا الجماعة الذين كانوا تعصبوا على المحلاوى حتى وسطوه وكادت ان تكون فتنة
عظيمة وياؤوا على ما كانوا عليه من طلب الشرع مع ملك الأمراء وفي يوم السبت ثالث عشرية
نارت الكملية والانكشارية وطمعوا الى الرميطة وقصدوا نهب الممالك الجرا كسة وكان
الامير قايتباى الدوادار واقفا قدام باب السلسلة فلما رأى التركة كان ويزيد الامر منهم سل
السيف هو ومن معه من الأمراء الجرا كسة وقصدوا ما قاتلهم وأغلظ التركة كان على
الممالك الجرا كسة وقالوا لهم ايش أنتم واقفون تتفرجوا علينا نحن في بعضنا نفقتنا ايش
أدخلكم بيننا ثم انفض ذلك الجمع على غير رضا ونزل كل أحد الى داره ثم ان التجار نقلوا
أمتعتهم من الدكاكين خوفاً من النهب واختفى غالب تجار سوق الوراقين المعينين الذين كانوا
تعصبوا على المحلاوى وفي يوم السبت المذكور توجه جماعة من الانكشارية والاصباهية
الى بيت شخص من تجار الوراقين يقال له كريم الدين البلدى فنهبوا كل ما فيه وقبضوا على

أولاده ونسائه وعبيده وجواريه ولم ينظفروا به ثم أشيع انهم قبضوا على جماعة من الوراقين ووضعوهم في الحديد وقيل انهم من تعصبوا وشهدوا على المحلاوى بما قيل عنه فتأكد جميع التجار لهذه الواقعة وصار على رؤسهم الطيرة من التركان وحولوا أمتعتهم من الدكاكين وصارت الناس على وجل خوفا مما يأتى منهم واستقر التركان على ما هم عليه من اقامة فتنة عظيمة والامر لله تعالى وفي يوم الاثنين خامس عشر به نادى ملك الامراء بالقاهرة بان القلمى شيخ سوق الوراقين يظهر وعليه أمان الله تعالى وان لم يظهر بعد ثلاثة أيام ونزع عليه يحرق المكان الذى هو فيه والحارة أيضا واستقر كشيبة الوالى مختفيا لم يظهر وقد عين التركان القتل الخمسة من تجار الوراقين وشخص من تجار الجملون يقال له ابن ظلام وهم الذين شهدوا على المحلاوى بما تقدم وتعصبوا عليه واستمر الاضطراب عمالا بسبب ذلك وفي يوم الثلاثاء سادس عشر به حضر القاضى بركات بن موسى المحتسب وكان مسافرا نحو الصعيد بسبب ضم الغلال وغير ذلك وكان له نحو خمسة أشهر وهو مسافر فلما طلع وقابل ملك الامراء خلع عليه فقطانا مخملا ونزل الى داره فزينت له سويقة الابن ودكاكين الحشاشين وفي يوم الاربعاء سابع عشر به خلع ملك الامراء على الامير كشيبة الوالى وأعيد الى الولاية وكان له عدة أيام وهو مختف لم يظهر بسبب واقعة المحلاوى وقد وقع بينه وبين الكملية فتنة وعينو الالقتل فاخفى وأغلق عليه أبوابه أياما فلما تلا فى ملك الامراء انحوا طر التركان وأرضاهم وزاد فى جوامكهم وخذت تلك الفتنة ظهر كشيبة وخلع عليه واستقر على عادته فعز ذلك على التركان ولما حضر القاضى بركات بن موسى المحتسب ضمن ابن ظلام شيخ سوق الجملون وخلصه من الحديد وألبسه فقطانا مخملا وأقره شيخ الجملون كما كان وضمنه فى مال له صورة يورده الى ملك الامراء وكان ابن ظلام صهر القاضى بركات بن موسى فبذل معه المجهود حتى خلصه وفى يوم الخميس ثامن عشر رمضان خرج العسكر المعين الى بندر جدة فخرجت تلك التجربة فى ذلك اليوم وهم ما بين ممالك جراكسة وتركان وكانت عدتهم نحو ثلثمائة انسان من الفريقين وكان الباشا عليهم شخصا من العثمانية يقال له أغات الكملية وقيل انهم يتوجهون الى السويس وينزلون من هناك فى المراكب الى البحر المالح حتى يصلوا الى جدة وقد كثرت الاشاعات بسبب فساد الفرنج وعيبتهم فى البحر على التجار وقد جاؤا نحو بندر جدة وفى شهر شوال وكان مستهل يوم الاحد طلع القضاة الاربعة الى القلعة وصلوا مع ملك الامراء صلاة العيد ثم نزلوا الى دورهم وبطل ما كان يخلع فى ذلك اليوم من الخلع على قضاة القضاة والامراء والمباشرين وأرباب الوظائف قاطبة وزال ذلك النظام العظيم من مصر كأنه لم يكن أبدا وفى يوم الخميس خامس شوال وافق ذلك اليوم أول يوم من بابه فيه ثبت النيل المبارك على

ثمانية أصابع من عشرين ذراعا وكان أرجح من نيل العام الماضي بذراعين وأصبعين فإنه ثبت في العام الماضي على ستة أصابع من سبعة عشر ذراعا وهبط سريعا فشرق غالب البلاد وفي يوم الاثنين تاسع شوال جلس ملك الامراء بالميدان وعرض عليه كسوة الكعبة الشريفة والمحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفي يوم الجمعة ثالث عشر شوال انتهى العمل من مدرسة الشيخ الدشوطي رحمة الله تعالى عليه التي بالقرب من حדרه القول تجاه زاوية الشيخ يحيى البلخي وخطب في ذلك اليوم بمواجهة هناك الامراء العثمانية والامير جانم الجزاوي وقضاة القضاة الاربعة وأعيان المباشرين ومشاهير الناس فلما كان وقت الصلاة صعد المنبر قاضي القضاة الشافعي كمال الدين النابيل وخطب خطبة بليغة في المعنى فلما انقضى أمر الصلاة أحضر الامير جانم الجزاوي زبادى صيني ضمنها سكر وشي اقسمه فطاف بهم على الحاضرين وكان يوما مشهودا وجاءت هذه المدرسة في غاية الظرف وذلك ببركة الشيخ عبد القادر الدشوطي رحمة الله عليه وفي يوم الخميس تاسع عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل عظيم وكان ذلك اليوم مشهودا وكان أمير ركب المحمل في هذه السنة الامير برسباي دوادار ملك الامراء فطلب طلبا حافلا يشتمل على محاسن كثيرة كما هي عادة الاطلاب القديمة وشق من القاهرة في موكب حفل وقدامه جماعة من الامراء الجرا كسة والعثمانية وأعيان المباشرين والجم الكثير من العثمانية والانكشارية يرمون بالنفوط وجماعة من القواسمة وخرج صحبته سنيح عظيم من الزاد والماء وكانت الحاجة قليلة لاجل غلوا العليق والكراء تشحط في هذه السنة الى الغاية وفي شهر ذي القعدة وكان مستهل يوم الثلاثاء طلع القضاة الاربعة الى الساعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان وأشيع بين الناس أن سبب حضوره هذا القاصد أن الخليفة محمد المتوكل على الله لما توجه الى اسطنبول توجه صحبة أولاد ابن عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد فوقع بينهما وبينه هناك فتنازعوا الى الخنكار وقالوا انه لما كان بمصر قعد على ودائع كثيرة ما بين مال وقاش أو دعه عنده الامراء الذي قتلوا وأخذ من خوندزوجة السلطان طومانباي وأمهامالا كثيرا وكذا أخذ من نساء الامراء المقدمين الذي قتلوا من الاموال ما لا يحصى ولم يطالع الخنكار على شيء وتكلم في حقه بالبائع والذراع وما أبة وفي ذلك تمكنا فاعتدى الخنكار على الخليفة المتوكل على الله وانحط قدره عنده وساعدت الوزراء أولاد خليل عند الخنكار وكان الخليفة لما أقام باسطنبول أظهر فتكازا ثدا واشترى له جوارى يضربن بالخنوك ثم اند قطع معلوم أولاد ابن عمه فشكوه الى الخنكار فخنق على الخليفة وأمر بأن جهاتهم تقسم ثلاثة أثلاث بين الجميع بالسوية فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم على ذلك فلما حضر القاصد

رسم على مباشرة الخليفة وعلى دوا داره بربك وقال لهم أقيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل
 بغاية الانصاف وفي يوم السبت خامسه جلس الامراء بالمقعد الذي بالحوش السلطاني
 وحضر قدامه مصارعان وهما شخص يقال له الشاطر أبو الغيث الزريكشى وخصمه شخص
 أعجمى شنيع المنظر في خاقته فتصارع مع الزريكشى فغلب الزريكشى ورماه الى الارض
 وركب فوقه وعصره في الارض حتى كاد يموت فانتصر عليه وغلب أبو الغيث وألبس ملك
 الامراء الأعجمى قفطان حرير ونزل من القلعة وقدامه طبلان وزمران وجماعة من
 العثمانية وشق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفي يوم الاحد مع ليلة الاثنين رابع عشره
 خسف جرم القرحسوف فافاحشا حتى أظلم منه الجو وأقام في الخسوف فوق أربعين درجة
 وقد خسف أول ما أشرق عند طلوعه واستمر يتزايد في الخسوف حتى مضى من الليل جانب
 كبير ووقع مثل هذا الخسوف في السنة التي مات فيها السلطان الغوري وكان بين موته
 وبين الخسوف نحو شهرين وجرى ما جرى من الاهوال عقيب ذلك ونسأل الله اللطيف في
 هذا الخسوف الثاني وفي يوم الاربعاء سادس عشره نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه
 الى خليج الزعفران وسبب ذلك أن الامير كشيغا الوالي صنع له هناك مادة حافلة وأضافه
 فنزل اليه وأقام هناك الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وكان قبل ذلك بيوم توجه الى قصر
 ابن العيني الذي بالمنشية وقيل انه أقام هناك الى ما بعد العصر وعاد الى القلعة من يومه
 المذكور وفي يوم الاثنين حادى عشره وقع بين خير الدين نائب القلعة وبين قراموسى أغات
 الاصباھية بحضرة ملك الامراء بالقلعة فتنه وسبب ذلك أنا وقعت فتنة كبيرة بين
 الانكشارية وبين الاصباھية وصار في كل ليلة يوجد في الازقة والطرفات جماعة مقتولون
 بالسيوف فعز ذلك على قراموسى وقال لنائب القلعة خير الدين هذا كله في ذمتك أنت الذي
 أطعمت الانكشارية في حق الناس حتى صاروا يخطفون النساء والصبيان ويخطفون
 عمام الناس بأيديهم ويعرونهم ويقتلونهم ويخطفون بضائع السوق والخسكار ما يدري بشئ
 من ذلك وان بلغه ذلك فما يحصل لك خير ثم في عقيب ذلك صار الكيخيه أغات الانكشارية
 يركب في كل يوم ويشق من القاهرة فان وجد في طريقه انكشاريا يأخذ عصاه ويكسرها
 ويقول له اطلع الى القلعة واقعد في الطبقة ولا تنزل الى المدينة أبدا وقيل انه منع الناس
 ان لا يشتركوا أحدا من الانكشارية مطلقا واستمرت الفتنة ماثرة بين الاصباھية
 والانكشارية الى الآن وكل من ماعلى حذر من رفيقه ومما وقع في الشهر من
 الحوادث أن جماعة من المماليك الجراكسة نحو عشرة مماليك قيل فيهم شخص من
 قرابة الامير قانصوه ابن الامير جركس وشخص آخر كان والى قلوب خر جوا على حين
 غفلة وقصدوا ان يتوجهوا الى الامير جان بردى الغزالي نائب الشام فلما وصلوا الى قطيا

قبض عليهم نائب قطيا ووضعهم في الحديد وأرسل كاتب ملك الامراء فيهم فأرسل اليه ملك الامراء جماعة من التركمان ليحضروهم فلما وصلوا الى قطيا أظهر واحد منهم من عند ملك الامراء الى نائب قطيا بان يضرب برقايمهم أبجعين فامتثل ذلك وضرب رقاب العشرة بماليك وكان فيهم شخص من العربان يرشدهم الى الطريق فضرب عنقه أيضا وكان قتلهم في مكان بين الصالحية وقطيا يسمى حيرة والعاقولة فلما أشيع هذا الخبر شق ذلك على جماعة من المماليك الجراكسة وشق ذلك على نائب الشام أيضا وقعت الوحشة بينه وبين ملك الامراء خائبك من يومئذ ودبت بينهم ماعقارب الفتنة وفي يوم الاثنين ثامن عشر به كانت وفاة الكاتب المجيد أبي الفضل محمد السنباطي المعروف بالاعرج قيل انه مات فجأة على حين غفلة وكان له حظ ومن الحوادث العجيبة الغريبة التي لم يسمع بمثلا ما وقع في أواخر هذا الشهر وأشيع واستفاض بين الناس أن قانصوه خسمائة الذي تسلطن قد ظهر بعدمضي هذه المدة الطويلة وانه باق في قيد الحياة وقد تغيرت هيئته وصار له ذؤابة شعر في رأسه وقد ابيضت لحيته فكان من ملخص هذه الواقعة أن شخصا من أبناء العجم كان يرسل الى ابنة قانصوه خسمائة التي كانت زوجة انسباى حاجب الحجاب ويقول لها أنا بولك فترسل اليه ما ينفعه فاقام على ذلك مدة طويلة ثم انه حضر اليها تحت الليل صحيفة طواشي فطلع الى باب السلسلة وكانت تزوجت بأمير اخور كبير مملوك ملك الامراء فلما فشا أمره ولم يعرفه أحدا من حاشية ابنة قانصوه خسمائة بلغ ذلك زوج ابنة قانصوه خسمائة فقبض عليه ووضع في الحديد وسجنه في البرج الذي يباب السلسلة حتى يعرضه على ملك الامراء ويتبين ما يكون من أمره وقد أنكر ذلك الناس قاطبة فان قانصوه خسمائة له نحو ثلاث وعشرين سنة من حين قتل عند خان يونس الذي بالقرب من غزة وكان من أمره ما كان مع الامير اقبردى الدوادار وقطع رأسه هناك وأرسلها الى الناصر محمد ابن الاشرف قايتباي وعلمت على باب زويلة فكان أمر وجوده من الامور المستحيلة التي لا تقبلها العقول السليمة بعد هذه المدة الطويلة وفي شهر ذي الحجة وكان مستهله يوم الخميس طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم فلما كان يوم السبت ثلثه نزل ملك الامراء الى الميدان وجلس به وأحضر مماليك الاشرف قايتباي ثم أحضر ذلك الشخص الذي زعم أنه قانصوه خسمائة فاذا هو شخص أعجمي مربوع القامة أبيض اللحية وله ذؤابة شعر في رأسه فقال ملك الامراء للحاضرين من مماليك الاشرف قايتباي أهذا قانصوه خسمائة الذي كنتم تعهدونه فقال العسكري قاطبة ليس هذا قانصوه خسمائة وهذا قصير القامة أخضر اللون ثم ان ملك الامراء ضيق على ذلك الشخص الذي زعم انه قانصوه خسمائة فقال له ملك الامراء ما جئت على ذلك قال

الفقر والفاقة وقلة ما في اليد فلما اعترف بذنبه رسم ملك الامراء بتوسيطه ثم بداله أن يضرب عنقه بين يديه في الميدان فضرب عنقه ومضى أمره ثم أحضروا له تابوتا فحملوه فيه ليغسلوه ويكفنوه ويدفنوه فخدمت هذه الاشاعة التي أشيعت بسبب قانصوه خمسمائة وكان غالب الناس الذين ليس لهم عقول صدقوا بذلك وقد تبين أن ذلك الرجل نصاب شيطان أخذ من ابنة قانصوه خمسمائة خمسمائة دينار ويقول لها أنا أبوك وكان ينصب على الناس ويقول لهم أنا قانصوه خمسمائة ويبلصهم غير ماهرة فاراح الله الناس منه وفي يوم الخميس ثامن من شهر رجب خرجت تجريدة الى الازم تلاقى الحجاج وكان بها نحو مائة مملوك وكان الباشا عليهم اياس كاشف الشرقية وصحبه جماعة من الانكشارية يرمون بالبندق الرصاص وكان الباشا عليهم شخص من العثمانية وفي يوم السبت عاشره كان عيد النصر وكانت الاضحية في غاية الغلو وقد لا توجد فلم يضح من الناس الا القليل وكان اللحم البقري يباع في تلك الايام بنصف فضة كل رطل فلم يفرق ملك الامراء على أحد من الناس أضحية في هذه السنة وقطع أضحية الزوايا قاطبة وعادة الفقهاء والاراء قاطبة كما فعل في السنة الماضية وفي يوم الاحد ثامن عشره نزل ملك الامراء من القلعة وعدي برا الحيزة وتوجه الى نحو شـ برامنت على سبيل التنزه فاقام هناك من يوم الاحد الى يوم الثلاثاء وأخذ معه خياما كثيرة وسنجا وصنع له هناك القاضي شرف الدين الصغير مدة حافلة وكان صحبه جماعة من الامراء العثمانية وغير ذلك من المماليك الجراكسة فلما رجع من شـ برامنت أقام بالقلعة ثلاثة أيام ثم عزم عليه الامير كمشبغا والى في خاليج الزعفران ومد له هناك مدة حافلة وأقام عنده الى ما بعد العصر ثم عاد الى القلعة في يومه وكان نهرا شعت وغبار وهوى مريسي فلم يتهنا بالفرجة في ذلك اليوم وفيه حضر قاسم الشرواني الذي كان نائب جدة وجرى منه ما جرى كما تقدم ذكره فارسل ملك الامراء خلفه وأحضره في الحديد فأحضره الشريف بركات أمير مكة في البحر الملح فلما حضر سجنه ملك الامراء بالمرقانة التي هي داخل الحوش السلطاني الى أن يكون من أمره ما يكون وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بالأم من والسلامة وان الوقفة كانت عندهم بالجمعة وان الاسعار انحطت عما كانت عليه قليلا وأخبر المبشر أيضا أنه لما دخل الحاج الى مكة تارت فتنة عظيمة بين عبيد أمير مكة بركات وبين جماعة من العثمانية وقتل من الشريقيين نحو عشرة أنفار ثم خمدت تلك الفتنة وزال الشر قليلا بعد ما كاد أن يتسع وفيه توفي صاحبنا الشرفي يحيى ابن الناصري محمد الازبكي الذي كان اغات الغوري فاشيع بعد موته أنه وجد له من الذهب العين عشرة آلاف دينار فعد ذلك من النوادر فان أباه محمد الازبكي لم يكن في سعة من المال ولا أجداده ولا أقاربه وفي يوم الخميس سلخ هذا الشهر توفي الشيخ جلال الدين عـ د الرحمن ابن الشيخ زين الدين قاسم المالكي وكان

عالمًا فاضلا علامة في مذهبه ولى قضاء المالكية في أيام السلطان الغورى أخذها عن قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن أبى شريف وفى ذلك اليوم وقع بالقلعة خطابا هين وهو أن ملك الامراء وقف له طائفة من الممالك الجراكسة بسبب أن لهم جامكية شهرين مكسورة فلما وقفوا اليه وبخهم بالكلام وطفش فيهم وقال لهم لازتم حتى أوقعتم بينى وبين نائب الشام وأنتم تغدوا وتروحوا وتشكونى عنده فقام الامير قايتباى الدوادار وجعل يرفع للممالك ويقول له هؤلاء ممالكك وعبيدك وانما يفعلون ذلك من الجوع والقلّة فقال ملك الامراء والله والله لولا أنا ما خلى الخنكار منكم علوا كايوح على وجه الارض فاني شفعت فيكم من القتل فقال له الامير قايتباى الكل صار وارعتك ولهم أولاد وعيال وقدمسهم الفقرو والفاقة والآن يطلبون صدقة الخنكار وصدقتك فرسم لهم بشهر واحد يصرف لهم من جامكيتهم وكان لهم شهران مكسوران في الديوان انتهى ذلك وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير وهم مرتابون من الغلاء وقلة الامن وجور التركان عليهم وتناهى سعر الاردب القمح الى ثلاثة أشرفية واثناعشر نصف اكل أردب والبطّة الدقيق بأشرفى وخمسة أنصاف وقد تشحطت الاسعار في سائر البضائع من الماء وكل المشرب وصارت التركان يخطفون عمائم الناس من فوق رؤسهم جهارا ولم يجدوا من ينفعهم من ذلك ويقطعون الطريق على المتسربين والضيافات التي تطلع من البلاد وصاروا يخطفون النساء والمرء من الطرقات كل يوم من بين الناس ولم يجدوا من يخلصهم من أيديهم وحصل للناس من أيديهم غاية الضرر ووقف الحال بسبب المعاملة من الفضة فانها كلها غش ونحاس وزغل وصار الاشرفى القايتباى يصرف بخمسة وستين نصف فضة والسوق لا تقبل من الفضة الا القليل وكذلك الفلوس الجدد وقاسى أهل مصر في هذه السنة شدة عظيمة ما قاساها قط أحد من الناس والامر لله تعالى من قبل ومن بعد انتهى ما أوردناه من أخبار سنة خمس وعشرين وتسعمائة

ثم دخلت سنة ست وعشرين وتسعمائة فيها في المحرم كان مستهل الشهر يوم السبت فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالعام الجديد ثم رجعوا الى دورهم وفى يوم الثلاثاء رابعه كان ختان ولد قاضى القضاة المالكي يحيى ابن قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم الدميرى رحمة الله عليه فكان له في ذلك اليوم زفة حافلة رجت لها القاهرة فشت من الجامع المؤيدى الى المدرسة الصالحية ومشى فيها أعيان الرؤساء من المباشرين والتجار ومشاهير الناس وغيرهم من الاعيان وأوقدت له الشموع على الدكاكين وكان يوم مشهودا وفى أوائل ذلك اليوم مدت مدة حافلة حضرها الامير جانم الجزاوى وجاعة من الامراء العثمانية ومن الامراء الجراكسة وغير ذلك وفى يوم الاثنين رابع عشرين دخل الحاج الى

القاهرة صحبة المحمل الشريف وأمير الحاج الأمير برسباي وقد أتى عليه الحجاج خير بما فعله في طريق الحج وكان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق واستهل شهر صفر يوم الأحد فطلع القضاة الثلاثة إلى القلعة وهنأوا ملك الأمراء بالشهر ولم يطلع قاضي القضاة الشافعي وكان مريضاً منقطعاً بداره له مدة طويلة لم يركب وفيه وقع من الحوادث أن ملك الأمراء عزل الشريف يحيى بن التاج عن مشيخة الحضور بالجامع المؤيدي واستقر بشخص من أبناء العجم وقيل من العثمانية عوضاً عن يحيى بن التاج وكان ذلك الشخص عارياً عن العلم والفضيلة ليس له شهرة بين الناس فقامت الاشلاء على ملك الأمراء من العلماء والفقهاء وأنكروا عليه أنه عزل يحيى بن التاج عن مشيخة الحضور بالجامع المؤيدي من غير جنة ولا سبب وقرروا من هو من غير أهائهم لم يكن يستحق ذلك وهذا من البدع المنكرة وفي يوم الخميس خامسه نزل ملك الأمراء من القلعة وصحبته الأمير قايتباي الدوادار وجماعة من الأمراء الجرا كسة ومن الأمراء العثمانية وجماعة كثيرة من المماليك الجرا كسة نحو خمسمائة مملوك وقيل أكثر من ذلك ومن الاصباكية والكلمية والانكشارية الجمل الكثير وعدة رماة بالبندق الرصاص وأشيع عنه أنه يقصد التوجه نحو البلاد الشرقية فصرى صلاة الصبح ونزل وشق من القاهرة وشق من بين التراب واستمر سائراً والأمراء والعسكر حوله حتى نزل بالعكرشا ثم توجه إلى شيبين ثم توجه منها إلى مرصقة وقد اختلفت الأقوال في ذلك فمن الناس من يقول أنه خرج يسرح في الشرقية على سبيل التنزه والفرجة ومن الناس من يقول أنه خرج بسبب محاربة عربان السوالم والاول أصح فخرج صحبته سائر المباشرين قاطبة فلما كان يوم الثلاثاء عاشره حضر القاضي بركات بن موسى من عند ملك الأمراء وعليه عمامة هوارية وقد خلج عليه فقطانا مخجلاً مذهباً وحضر صحبته ستة أنفار يؤود قد سلخوا وحشوا اتبنا فقبل انهم من عربان السوالم فاركبوهم على خيول وعليهم ركستوانات مخجل وألبسوهم جوحاً وشاشات على زفوط فوق رؤسهم وقد امهم اثنا عشر رأساً مقطوعة وهي على رماح قيل انهم من أعيان عربان السوالم فشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهوداً فعلقوا جماعة من المساوخين ومن الرؤس على باب زويلة وعلقوا الباقي على باب النصر وكان من ملخص هذه الواقعة ما أشيع واستفاض بين الناس أن اياس كاشف الشرقية تحيل على مشايخ عربان السوالم وأرسل لهم بالامان فركبوا له وحضروا اليه فصنع لهم ضيافة فلما استقروا عنده أرسل اعلم ملك الأمراء بذلك فأرسل اليه القاضي بركات بن موسى ومعه جماعة من المماليك الجرا كسة فتوجهوا نحو عربان السوالم وخرج صحبتهم عربان البلاد المجاورة من منية جل والجوسق والمحرقة وغير ذلك فوقعوا مع السوالم وكان بينهم واقعة مهولة فانكسرت السوالم وقبضوا على بقية مشايخهم ثم ان العسكر والعربان نهبوا ونجس

السوالم عن آخره وغنمو امنه ما لا يحصى من جمال وخيول وسلاح وقماش ونحاس ومصاغ وغير ذلك من عبيد وجوارح حتى أخذوا نساءهم وأولادهم فلما وقعت هذه الكسرة على السوالم هرب من بقي منهم الى الاودية والجبال فلما جرى ذلك سلخ الكاشف مشايخهم وأرسلهم الى القاهرة كما تقدم ذكر ذلك قيل كان فيهم من هو من أولاد قراجا بن طراباى شيخ جبل نابلس وأشيع أن ملك الامراء رحل من جهة مصر صفة ونووجه الى بنها العسل وأرسل سنيحه ومطبخه الى القلعة وأشيع عوده الى القاهرة وفي يوم الاربعاء حادى عشره رجع ملك الامراء الى القاهرة فأتى من جهة قنطرة الحاجب ودخل من باب الشعرية وخرج من باب القنطرة وطلع على سوق مرجوش وشق من القاهرة فى موكب حافل وقدامه جماعة من الانكشارية الرماة وقدامه بعض جنائب ولاقاه الشعراء والشباب بالسلطانية من باب الشعرية وكان عليه قفطان جوخ أحر وكان قدامه ما اصطاده من الكراكي والاوز والعراقي فاستقر فى ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة وكان يوم ما مشهودا وكانت مدة غيبته فى هذه السرحة سبعة أيام بلياليها ثم دخل بعده شيخ العرب نجم شيخ العائد وهو فى الحديد وقد نسبوا اليه انه كان متواطئ مع عربان السوالم وهو من أغراضهم فقبض عليه ملك الامراء ووضع فى الحديد حتى يكون من أمره ما يكون ولم يكن فى نزول ملك الامراء الى الشرقية خير للناس فرعى العسكر زرع البلاد وقدمت له مشايخ العربان نحو أننى رأس غنم فوزعوا ذلك على بلاد الشرقية وأحضروا له من شيبين ستمائة أردب شعير وذلك غير التقادم من خيول وجمال وغير ذلك من ذهب عين فوق العشرة آلاف دينار وقيل ان ملك الامراء كان فى هذه السرحة لا يصحون من السكر ايلالا ولا نهرا حتى أشيع عنه انه أخذ معه أربعين بغلا وهى محملة تبيذا اقريطشى فكان فى نزوله هناك غاية الضرر فى حق الناس ولولا أنهم أخذوا عرب السوالم بحيلة لما قدروا عليه ثم أبدا انتهى ذلك وفى يوم تاريخه عاين مؤلف هذه الوقائع بالمشاهدة حضور القاضى بركات بن موسى المحتسب وطلوع ملك الامراء فى ذلك الموكب المقدم ذكره فلما طاع ملك الامراء الى القلعة قدمت الاخبار من الشرقية بان عربان السوالم لما حصلت لهم تلك الكسرة توجهوا الى الصالحية ونهبوا ما فيها وأحرقوها بما حولها من الضياع وحصل منهم غاية الضرر الشامل وهذا كله من سوء تدبير اياس كاشف الشرقية فانه استعجل بقتل مشايخ عربان السوالم وكانوا من نوابغ أعيان السوالم فسلخ الجميع ومنها انه نهب نجعهم وأخذ أموالهم ومواشيهم وأسرحهم حتى قيل انه أسرستين امرأة من أعيان نساءهم وأسرا أولادهم فلما طغشوا فى البلاد أرسل ملك الامراء يقول للكاشف أطلق نساء السوالم وأولادهم الذين عندك من كل بدوقدا استدرك ملك الامراء ما وقع منه فى حق مشايخ عربان السوالم وقد أشيع أمر هذه الفتنة من كل جانب واستمرت أرباب

هذه الدولة في آراءه معكوسة ليس لاحد منهم رأى سديد ولا له مستشار يرجع اليه وصار كل
منهم يشير برأى غير صواب ويتكلم بكلام غير مفيد وقد ضاعت الحكمة بينهم وآل أمر
مملكة مصر الى الخراب وكل هذا من سوء تدبيرهم وقلة معرفتهم وعدم تجارتهم للبلاد وروقلة
نظرهم في العواقب مما يؤول أمره الى خيراً وشر فנסأل الله تعالى اصلاح الحال وحسن
الخاتمة وانجاح هذه الفتن عن قريب وفي يوم الجمعة ثالث عشرة خلع ملك الامراء على
أنخي نجم واستقر به شيخ العايد عوضاً عن أخيه نجم وقد بلغه أن أحوال الشرقية قد
اضطربت الى الغاية وثار بها العربان للفساد فلما خلع عليه خرج من يومه الى الشرقية
بسبب هذا الفساد وفي يوم السبت رابع عشرة أرسل ملك الامراء تجريدة الى الشرقية
وعين بها نحو مائة مملوك من الجراكسة وغيرهم وعين جماعة من الكلية والاصبهاية
وجامعة من الرماة الانكشارية وجهاز عجلات تخرج صحتهم اذا خرجوا وقيل ان اياس
كاشف الشرقية محاصر مع العربان في بليس وقد أرسل يطلب نجدة بسرعة وأشيع أن
عربان نجم شيخ العايد لما أمسك صاروا يعرفون الناس في رأس المطرية وعند تربة العادلى
وفيه أشيع أن جماعة من الانكشارية هجموا على سوق النحاسين وأخذوا ما فيه من
النحاس لأجل أن يسبكوه مكاحل البندق الرصاص فحصل للتجار الضرر الشامل من ذلك
وكانت حركة هؤلاء الجماعة الذين قتلوا من عرب السوالم من أكبر أسباب الفساد في أحوال
المملكة وانهم لو أبقوه في قيد الحياة وسجنوهم لكان ذلك عين الصواب وأرجى لخود هذه
الفتن ولكن عجلوا بقتلهم حيث ظفروا بهم فكان كما يقال في المعنى

أمور تفعلك السفهاء منها * ويكي من عواقبها اللبيب

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرة خرجت التجريدة التي عينها ملك الامراء الى السوالم وكان
الباشا عليها شخصاً من أمراء العشراوات يقال له جان بردى الاشقر الذي كان كاشف البحيرة
أنحوتنم الذي كان خازن دار الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباي وكان بهام من المماليك
الجراكسة وغيرهم مائة مملوك وتوجه قبل ذلك الى كاشف الشرقية ستون مملوكاً يقيمون
عنده من خرجت التجريدة في ذلك اليوم وتوجه من بهام المماليك الى خانقاه سرياقوس
وفي يوم السبت حادى عشر به حضر اياس كاشف الشرقية وصحبته جماعة ممن بقى من أعيان
عربان السوالم وقد أتوا الى اياس طائعين بعد أن رأوا عين الغلب فأحضرهم الى ملك الامراء
فلما قابلوه خلع عليهم وأقرهم في مشيخة عربان السوالم عوضاً عن قتل منهم وخذت فتنة
السوالم وكان ذلك على غير القياس من أمر هذه الفتنة وفي شهر ربيع الاول وكان مستهل
يوم الاثنين طلع القضاء الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم
وفي ذلك اليوم قدم قاصد من عند الخنكار سليم شاه ابن عثمان وقد حضر من البحر المالح

الى ثغر الاسكندرية فلما طلع الى القلعة قرأ امراسيم الخنكار على ملك الامراء وأشيع
بين الناس ان الخنكار أرسل يقول لملك الامراء أن يتوصى بالمماليك الجراكسة ويصرف
لهم جوامكهم ولحومهم وعاليقهم والاضحية والكسوة على العادة وأشيع أنه أرسل يقول
لملك الامراء كل من شوش من التركمان على أحد من الرعايا يشنقه من غير معاودة وأرسل
يا امر ملك الامراء بأن ينادى للناس بقطع الطرقات والشوارع والاسواق قاطبة فأخذ
الناس في أسب باب ذلك وشرعوا في قطع الطرقات ثم أشهروا المناداة في القاهرة على لسان
الخنكار حسب رسم بأن لا أحد من الانكشارية ولا من الاصباكية يشوش على أحد من
الناس ومن فعل ذلك باحد يسكه من طوقه ويتوجه به الى خير الدين نائب القلعة فأشهر
المناداة بذلك أربعة مشاعلية اثنان يناديان بالتركي واثنان يناديان بالعربي وهم قدام الامير
كشبعوا الى القاهرة وأظهروا العدل في ذلك اليوم وليته دام ثم أشيع بين الناس أن
الخنكار لما أرسل الى ملك الامراء بطلب سنان باشا وفائق بك بان يحضراهما والاصباكية
الى اسطنبول سافروا فلما وصلوا هناك أحضر الخنكار سنان باشا بين يديه وأمر يشنقه
فأقام مصلوبا ثلاثة أيام لم يدفن وأشيع أن طائفة من الاصباكية الذين كانوا بمصر وأرسل
طلبهم لمادخلوا الى مدينة اسطنبول ضرب رقاب أربعة اصباكية منهم من أشيع عنه
الفساد بمصر من جماعة سنان باشا وأشيع أن الخنكار أرسل يحط على ملك الامراء خاير بك
بسبب تراخيه في حق طائفة الانكشارية والاصباكية حتى جاروا على الناس وصاروا
يشوشون على الرعية وقد بلغ الخنكار ما يصنعونه بمصر من خطف النساء والمردو بضائع
المتسبين وخطف ضيافات الناس فلما حضر القاصد في ذلك اليوم وقرأ امر سوم الخنكار
بحضرة قضاة القضاة شهدوا بأن ملك الامراء ناظر في مصالح الرعية والناس عنه راضية
وكانت هذه الشهادة عين الرياء واتباع الجاه لأجل المناصب ثم ان ملك الامراء قصد أن
يكتب محضرا و يأخذ عليه خط القضاة الأربعة بان مصر في غاية العدل والرخاء والامن فلم
يوافقه القضاة على ذلك وقالوا نكتب خطوط أيدينا على شيء باطل ويبلغ الخنكار بخلاف
ذلك فتحشى على أنفسنا منه أن نذكر أن مصر في غاية العدل والامن والرخاء وان التركمان لم
يشوشوا على أحد من الرعية وهذا باطل لا يجوز فرجع عن ذلك وفي يوم الخميس حادى
عشره عمل ملك الامراء المولد الشريف النبوى بالقلعة وجلس في المقعد الذي بالحوش
السلطاني وحضر القضاة الأربعة على حكم السنة الماضية وفيه قدمت الأخبار من مكة
المشرفة بأنه وقع بين الشريف بركات أمير مكة وبين نائب جدة أغا الكلمية الذي يسمى
الكيفية واضطربت أحوال مكة الى الغاية وفي يوم الاحد رابع عشره خلع ملك الامراء
على الامير جانم الجزاوى كاشف البهتسا والفيوم وقرره أمير الحاج بركب المحمل فنزل من

القلعة في موكب حافل وفيه كانت كائنة الامير جان بردى الاشقر أحد الامراء
العشراوات وهو أخوتهم الذي كان نائب الاسكندرية قيل انه عزم عليه شخص يسمى عمر
الظاهرى فلما دخل عليهم الليل وقع بينهما شاحرة فثارت في ذلك المجلس فتنة كبيرة فقتل
فيها جان بردى الاشقر ولا يعلم من قتله من الحاضرين وقبضوا على من كان حاضرا واختفى
عز صاحب البيت وكانت واقعة مهولة فلما بلغ ملك الامراء ذلك شق عليه قتل جان بردى
الاشقر فانه كان صاحبه فاختفى في الفحص على من كان سببا لقتله والزعم الوالى باحضار عمر
الذى قتل في بيته وفيه أخرج ملك الامراء تجريدة الى نغرا الاسكندرية بسبب عبث
الفرنج هنالك بالمسافرين وكان بهامن العسكر نحو مائة انسان ما بين عماليك وراكسة
وأولاد ناس وعثمانية وغير ذلك وفي شهر ربيع الآخر وكان مستهل الشهر يوم الثلاثاء
طلع قضاة القضاة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الخميس
ثالثه خرج الامير جانم الجزاوى الى السفر وقصد التوجه الى اسطنبول فخرج في موكب
وصحبه الامراء الجراكسة والمباشرون وأرباب الدولة من الامراء العثمانية وقد أرسل
ملك الامراء صحبته مقدمة حافلة الى السلطان الملك المظفر سليم خان وكان ما اشتملت عليه
تلك المقدمة على ما قيل من الخيول الخاص خمسين فرسا وفيها بغلة قيل مشتراها خمسمائة
دينار ومن القماش الحرير والتفاصيل السكندرية أشياء كثيرة ومن الشاشات المايخي أشياء
كثيرة منها ما طوله مائة وعشرون ذراعا وأرسل اليه ملك الامراء من جلة هذه المقدمة
خمس مائة قنطار سكر معمولة بمسك ومن الاشربة والمرببات أشياء كثيرة وأرسل اليه من
الفصوص والمعادن واللؤلؤ أشياء كثيرة ومن الصيني اللازوردى والشفاف أشياء كثيرة
وغير ذلك من التحف الغريبة مما يهدى للولك وفيه قدمت الاخبار من تونس ببلاد الغرب
بانه قد وقع بها فتنة عظيمة بين صاحب تونس وبين الشيخ محمد بن تليس صاحب بصرت
وكانت بينهما واقعة عظيمة في أوائل صفر وقتل في هذه المعركة نحو أربعين ألف انسان
وأخرا الامراء انتصر السلطان حسن بن محمد صاحب تونس على ابن تليس وغنم منه غنائم
جزيلة ما بين مال وقماش وسلاح وخيول وجمال وغير ذلك وفيه نزل ملك الامراء الى
بولاق وأقام بها الى قريب الظهر فاحضر اليه القاضي بركات بن موسى المحتسب هنالك
مدة حافلة ما بين خرفان شوى وقد وره ريسة ومأمونية وفاكهة وحلواء ومشوم ثم ان ملك
الامراء عرض المراكب الاغربة التي أنشأها ولعبت قدومه في البحر وانشرح في ذلك اليوم
الى الغاية ونصب له سحابة في الجزيرة التي تجاه انبابة وكان يوما مشهودا وفي يوم الاثنين
حادى عشر به كان عيد النصر وهو أول يوم في الخامس وكانت خمسين مباركة لم يظهر فيها
الطاعون بمصر ولا في غيرها من الثغور وفيه توفي شرف الدين الجويني الذي كان مباشر
ديوان الامير ازدهر الدوادار وباشرا أيضا ديوان الامير كسباى المحتسب وكان لا بأس به

ومما وقع من الحوادث الشنيعة ان امرأة مسلمة كسبت مع شخص يهودى فلما شاع
 أمرهما قبض على اليهودى وعلى المرأة وعلى المكارى الذى اركب المرأة وقبض على شخص
 اسكافى كان واسطة بين المرأة واليهودى فلما عرض أمرهم على ملك الامراء أمر بضربهم
 بالمقارع وسجن المرأة بالحجرة وسجن اليهودى بالديلم حتى يكون من أمرهم ما يكون وفيه
 قدمت الاخبار من حلب ان عبد الرزاق أخا على دولات وثب على ابن أخيه سوار وقد
 التفت عليه جماعة من التركان البيضاء والاكراد فصل بينهما واقعة مهولة فقتل بها جماعة
 كثيرة من التركان وأشيع قتل سوار في المعركة وقدم ملك عبد الرزاق من سوار الى بلستين
 والمرعش وغير ذلك من البلاد واستمرت الحرب ثائرة بين الفريقين ثمانية أيام وانتصر
 عبد الرزاق على سوار ثم خدت هذه الاشاعات من بعد ذلك كأنها لم تكن واستهل شهر
 جمادى الاولى يوم الخميس فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم
 عادوا الى دورهم وفي هذا الشهر ترايد أمر الغلام بالديار المصرية وبلغ سعر القمح ثلاث
 أشرفيات كل أردب وبلغ سعر الاردب الشعير أربع مائة درهم والقول ستمائة درهم كل أردب
 وشطح السعر في سائر الحبوب وبلغ كل رطل من أربعة أنصاف والشيرج ثلاثة أنصاف
 كل رطل والاجبان قاطبة في غاية الغلو واللحم الضأنى كل رطل بثمانية عشر درهما واللحم
 البقرى كل رطل بستة عشر نقرة وبلغ سعر السكر ثمانية أنصاف كل رطل وبلغ سعر
 العسل الاسود كل رطل ثلاثة أنصاف وبلغ سعر الصابون كل رطل خمسة أنصاف وعلى هذا
 فقس سائر البضائع والغلال وغير ذلك حتى بلغ سعر الراوية الماء أربعة أنصاف وعم هذا
 الغلاء أنواع القماش قاطبة البيضاء والملون والحرير والصوف والجوخ وغير ذلك من
 القماش وسبب ذلك الغش في المعاملة من الذهب والنضة وصار الاشرفى البرسبى يصرف
 بثلاث أشرفيات فضة والاشرفى القايتباهى يصرف بأشرفيين وثمانية أنصاف والاشرفى
 الغورى يصرف بأشرفيين وأربعة أنصاف وكذلك الاشرفى العثمانى ضرب الخنكار وأما
 الفضة فجميعها في غاية الغش والفساد وصار الناس في أمر مريب بسبب ذلك وقد تغيرت
 أحوال الديار المصرية تغيرا فاحشا الى غاية وفوق ذلك جور التركان في حق أهل مصر من
 الخطف والنهب وأخذ أموال الناس بغير حق وخطف النساء والمرد من الطرقات ومن
 الوقائع الغريبة كائنة الشيخ محمد الرشيدى الذى كان ناظر الكسوة وناظر الجوالى وغير
 ذلك من النظارات وكان الخنكار قرره في ذلك وقد سعى له حليم جلبي في ذلك وكان من جماعة
 الخنكار فاستمر على ذلك ثم سعى الرشيدى من عند ملك الامراء فاخرج عنه ما كان
 بيده من النظارات فحصل له غاية العهر فاخفى وخرج في الدس صعبة بعض الهجانة على انه
 توجه الى الخنكار يشكوه ملك الامراء الذى أخرج عنه النظارات التى كان الخنكار

قرر فيها فلما وصل الى قطيا قبض عليه نائب قطيا وعلى الهجان الذي كان صحبتته وقال له أمعك من رسوم ملك الامراء فقال انما رسم لي مشافهة فضيق عليه نائب قطيا فاعترف الرشيدى انه خرج هارباً من ملك الامراء فقبض عليه نائب قطيا ووضع في الحديد وأشيع انه شفق الهجان هنالك وأرسل الرشيدى في الحديد الى ملك الامراء فلما وقف بين يديه ويخجل بالكلام وقال له أنت تتوجه الى الخسكار وتشكوني له ثم ان ملك الامراء رسم بسجن الرشيدى في العرقانة التي هي داخل الحوش السلطاني وفيه أرسل ملك الامراء بالقبض على شخص يسمى محرات مقدم كاشف الغريبة وقد كثرت فيه الشكاوى من الفلاحين وأشيع عنه انه ضرب شخصاً من الفلاحين حتى مات تحت الضرب فلما مثل بين يدي ملك الامراء أمر بتوسيطه فوسطوه في باب زويلة وفي ذلك اليوم رسم ملك الامراء بشنق اثنين من الكلمية لأمر أو جب ذلك ومن الحوادث أنه في يوم الثلاثاء سادسه وقع للامير قاييتباي الدوادار واقعة مهولة وهي أنه سار الى نحو المطرية وعاد فلما دخل من باب النصر وجد عند وكالة الصابون بعض الانكشارية قد أخذ من شخص يبيع الصابون خمسة أرطال ودفع اليه غانية أنصاف وكان الصابون قيمته أشرفيا فلما رأى صاحب الصابون الامير قاييتباي الدوادار تعلق بلجام فرسه وقص عليه قصته وكان الانكشارى ضرب صاحب الصابون حتى أدى وجهه فأرسل الامير قاييتباي مع صاحب الصابون بعض عماليه الى الانكشارى لعله يعطى صاحب الصابون شيئاً فوق ذلك القدر فلما قابل ذلك المملوك الانكشارى أغلظ عليه المملوك في القول فحنق منه الانكشارى فضرب المملوك على وجهه فأدماه ثم ان المملوك ضربه على وجهه بدبوس فأدماه فانسعت الفتنة بينهما فحضى الانكشارى الى أصحابه وأعلمهم بما جرى له مع مملوك الدوادار فاجتمع الجمل الكثير من الانكشارية وتوجهوا الى بيت الامير قاييتباي الدوادار وهجموا عليه وبأيديهم سيوف مسلولة وقصدوا أن يحرقوا بيته وينهبوه فاخفى منهم فلما بلغ الكيفية أغاث الانكشارية ركب ورد الانكشارية وخمدت تلك الفتنة فلما بلغ ذلك ملك الامراء شق عليه ذلك ولام الامير قاييتباي الدوادار على ما فعله ثم ان ملك الامراء أرسل طالب المملوك الذي ضرب الانكشارى وأثار هذه الفتنة فلما مثل بين يديه أمر بضربه فضربه ضرباً مبرحاً وسجن بالعرقانة فسكن ذلك الاضطراب قليلاً وصار الامير قاييتباي على رأسه طيرة من الانكشارية وهو مهذب بالقتل منهم في كل يوم وزعم الانكشارى الذي ضرب أنه سقط منه خنجر مفضض وسيوف وادعى انه كان معه ثلاثون ديناراً فسقطت منه فدفع اليه الامير قاييتباي الدوادار عشرين ديناراً على ما أشيع ~~هـ~~ كذا قيل وصار الامير قاييتباي لا يأمن على نفسه أن يطلع القلعة وحده وكان يركب في كل يوم ومعه جماعة

كثيرة من الممالك الجراكسة ويتوجه الى قرية يشسبك التي بالمطرية ويقوم بها الى آخر
النهار ثم يعود الى داره ومعه الممالك الجراكسة فاستقر على ذلك أياما ثم خدت تلك الفتنة
ولله الحمد وفي يوم الجمعة تاسعة قدمت الاخبار من حلب بأن خارجيما من التركمان يقال له
جلال المهتدي قد تصدى لمحاربة الامير علي بن شاه سوار والنفت عليه جماعة كثيرة من
التركمان وكان جلال هذا من قرية بالروم يقال لها علاق شري بوز فكان بينه وبين الامير
علي بن سوار واقعة مهولة وقتل من التركمان بها نحو ثلاثة آلاف انسان وأشيع ان الامير علي
ابن سوار قد جرح في وجهه بطبروا وتصبر ابن سوار على ذلك الخارجى الذي يقال له جلال
المهتدي وفر منه الى بلاده فخلع ملك الامراء على الهجان الذي أتى بهذا الخبر ثم خدت
هذه الاشاعة كأنهم لم تكن وفي ليلة الخميس خامس عشره خسف جرم القمر وأظلمت
الدنيا فأقام في الخسوف نحو ساعة ثم انجلي عنه ذلك الخسوف وفي ذلك اليوم قبض
القاضي بركات بن موسى المحتسب على أخى محمد بن خبير وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن
يهلك ثم أشهره في بولاق وكان سبب ذلك انه حجزعلى بيع الفول وصار يشتره على ذمته
ويخزنه فسطح سعر الفول في تلك الايام وكان أخوه محمد بن خبير متحدثا في أمر الغلال التي
كانت ترد من البلاد قاطبة وكان محبة بابا الامير جاني الحزاوى فجار على الناس بسبب بيع
الغلال فخنق منه القاضي بركات بن موسى وضربه كما تقدم ومن الحوادث الشنيعة أن ملك
الامراء كان سمر الذهب العثماني أن يصرف بأشرفيين وكان قبل ذلك يصرف بأشرفيين
وخسة أنصاف وصار البيع يعين ببيع بالذهب وبيع بالفضة فووقت أحوال الناس بسبب
ذلك ثم ان ملك الامراء نادى في القاهرة بأن لا أحد من الناس يرد معاملة الفضة وكل من ردها
شنق من غير معاودة وكانت الفضة يومئذ في غاية الغش كلها نحاس اذا باقت ليلة واحدة
تنكشف كلها وكانت الانكشارية تدخل الاسواق وترمي تلك الفضة النحاس على التجار
فكل من ردها شيئا تنهب دكانه ويضرب ذلك التاجر حتى يأخذها غصبا على رغم أنفه
فيأخذون منه أشرفيا ذهبيا ويعطونه أشرفيين من تلك الفضة النحاس فحصل للناس في
ذلك غاية الضرر والشامل وفي يوم الجمعة سادس عشره خطب في مدرسة الست خديجة ابنة
درهم ونصف التي بالقرب من جامع التركمانى عند طاحون السدر فاجتمع هناك قضاة
القضاة الاربعة وأعيان المباشرين وأعيان الناس وخطب بها في ذلك اليوم قاضى القضاة
الشافعى كمال الدين الطويل وكان ذلك اليوم مشهودا وكان أصل هذه المدرسة قاعة
أنشأها الدرهم ونصف ثم بدلا ابنته خديجة أن تجعلها مدرسة فأنشأت بها المحراب
وجعلت بها منبرا ومشدنة وجعلت فيها خلاوى للصوفية ثم انما وقفت عليها جميع
جهاتها الخلفة عن والدها فجاءت من محاسن الزمان وكان ذلك عين الصواب وقصدت بذلك

الاجرواثواب وفي هذا الشهر قدم جماعة كثيرة من اسطنبول ممن كان نقي اليهامن الاعيان بالديار المصرية منهم كمال الدين بن معين الدين الموقع وابن نصر الله وهرعي الذي كان من جماعة الاتابكي سودون العجي وأحمد الضيوطي ومحمد بن فروش شيخ جهات الاميرية وحضر محمد بن ابراهيم الذي كان متحدثا على الزمامية وحضر محمد بن القاضي نخر الدين بن العفيف الذي كان كاتب الممالك وحضر محمد بن علي كاتب الخزانة وحضر ابن العريضي وحسام الدين بواب الدهيشة وآخرون منهم لم يحضر في أسبوعهم الا ن والكل فروا من اسطنبول من غير اذن من الخسكار ابن عثمان وحضر جماعة من السـيوفية والحدادين والنجارين والبنائين والمرجين وغير ذلك ممن كان توجه الى اسطنبول فحضر الكل هاربين من غير علم السلطان فلما حضر وأشيع موت ابن شقيقة التاجر الذي من سوق مرجوش وأشيع موت جماعة كثيرة هنالك من أعيان أهل مصر قبل ذلك وقدمت الاخبار بوفاة جان بك دوا دار الامير طراباي وكان من وسائط السوء وتوفي محمد بن يوسف الذي كان ناظر الاوقاف وكان من وسائط السوء أيضا وتوفي محمد المسكي الذي كان من سوق الوراقين وتوفي هنالك جماعة كثيرة لم يحضر في أسبوعهم الا ن وفيه قبض ملك الامراء على شخص من اليهود الصيارفة من جماعة المعلم يعقوب اليهودي فضر به بالمقارع ثم قطع يده وعلقها في عنقه وأشهره في القاهرة وكان سبب ذلك ما أشيع عنه انه يشتري الفضة النحاس المغشوشة ويضعها في الجامكية وقد قلق العسكر من ذلك وفي يوم الخميس ثاني عشر به كان دخول الشرقي يحيى ابن الامير طراباي رأس نوبة النوب على ابنة الامير بيبرس ابن بنت سيرين ولست اعلم اسم أبيه ولا جده وهو يزعم انه ينتسب الى الملك الظاهر برقوق بقوله فكان كما يقال في المعنى وما هو الا كالعقاب فامه * معلومة وله أب مجهول

فـان له مهـم حافل من المهمات المشهورة فصرف على الخيوز في السباط ألف دينار وذبح فيه اثني عشر بقرة ومن الخيل ثلاثة رؤس ومن الغنم مائة رأس ومن الدجاج ألف طير ومن الاوز مائتي زوج وصرف على الشمع المزهر مائة دينار وصرف على الخيام والتعاليق أربعين ديناراً وعلى السقائين عشر أشرفيات وكان له زفة حافلة مشي فيها جماعة من الامراء الجراكسة والامراء العثمانية فشوا فيهما من بيت الامير قايتباي الدوا دار الى بيت القاضي عبد العظيم الذي عمل فيه العرس وكانت ليلة حافلة وفيه رسم ملك الامراء بشـنق شخص من عمال البلاد فشنق على قطرة الحـاجب بعد العصر وكان سبب ذلك ما أشيع عنه أنه زور مراسيم على لسان بعض المباشرين باستخراج الرزق التي بالغربية فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل أحضره فلما حضر أمر بشـنقه من يومه فشنق بعد العصر وأراح الله الناس منه واستهل شهر رجب ادى الاخرة يوم الجمعة فطلع القضاء الاربعة الى

القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الاثنين رابعة قدم قاصد من
 البحر الملح وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليم خان ابن عثمان فكان من مضمونها
 انه ارسل يطلب الامير كشـبغا والى القاهرة وقد بلغه ما فتحه من ابواب المظالم بمصر وقد
 كثرت فيه الشكاوى من الناس عند الخنكار فطلبه من ملك الامراء عدة مرار وهو
 يتناسى عليه فلما رأى الطلب حثيثا فى امره فباوسعه الا ان ارسله فخرج على وجهه فى أثناء
 هذا الشهر وساء الى اسطنبول من البردون البحر وكان من وسائط السوء ظالم اغشوما
 عسوفاسفا كاللدماء استباح أموال المسلمين ودماهم فلم يتأسف لخروجه أحد من الناس
 وفرح غالب الناس لخروجه من مصر وكان أصل كشـبغا هذا من مماليك ملك الامراء
 روى الجنس سىء الخلق شديد البأس فلهمج الناس بعد دم حوده الى مصر وفي يوم الثلاثاء
 خامسه توفيت الست فضل العزيز وكانت يومئذ متزوجة بالشيخ عبد المجيد الطربى
 فكانت لها جنازة مشهورة ومن الحوادث الشنيعة ما وقع للشيخ عبد المجيد الطربى بسبب
 القتل الذى قتل واتهم موافقه جماعة واتسعت هذه الكائنة حتى كان أن تخرب دياره
 فى هذه الحركـة وأمرها مشهور بين الناس بما وقع له بالمحالة واتصل خبرها بملك
 الامراء وكان من أمرها ما يطول شرحه وتعصب لابي الصبي الذى قتل الشيخ عبد الله بن
 الغمرى وآل أمر هذه الكائنة الى مال له صورة غرمه الشيخ عبد المجيد الطربى وفيه
 قدمت الاخبار من دمشق بأن نائب الشام الامير جان بردى الغزالى تغير خاطره على
 قاضى القضاة الشافعى ولى الدين محمد بن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن فرفور
 الدمشقى فقام بقتل القاضى ولى الدين غـير ما مرة فقرر منه واختفى مدة طويلة ثم ظهر
 بعد ذلك بمدينة حلب قيل انه كاتب ابن عثمان بما وقع له مع الغزالى فأرسل اليه
 مرسومه بأن يلى قضاء الشافعية بحلب فاستقر بها وأرسل أحضر عياله وأولاده من
 دمشق وتزوج بالست حامية زوجة القاضى محمود كاتب السربى أجاوصار صاحب الحل
 والعقد بمدينة حلب فشق ذلك على جان بردى الغزالى نائب الشام ولولا ان تدارك القاضى
 ولى الدين وفعل ذلك لقتله الغزالى لا محالة وكان سبب الوحشة بينه وبين الغزالى ان الغزالى
 قبض على شخص من المباشرين فوجد معه ثلاث مطالعات متوجهها الى الخنكار
 احداها بخط القاضى ولى الدين الشافعى والاخرى من عند شخص يسمى المظفرى شيخ
 المدرسة التى أنشأها الخنكار بدمشق والاخرى من عند نائب دمشق فكان من مضمون
 تلك المطالعات عدة شكاوى الى الخنكار فى الغزالى نائب الشام بأنه قد أظهر العصيان
 وهو يعمل فى برق عظيم وقد التفت عليه جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فلما بلغ
 ذلك القاضى ولى الدين فر من الشام ونحتمى حتى ولى قضاء حلب وأمره مشهور وصار

الغزالي في قهر من القاضي ولي الدين وقيل انه شق المظفرى وشنق الهجان الذي وجدت معه تلك المطالعات ولو ظفر بالقاضي ولي الدين لشنقه أيضا وفي يوم الجمعة خامس عشره توفي محي الدين البليسي أحد نواب الشافعية وكان لابأس به وفي يوم الاثنين ثامن عشره توفيت زوجة المقر الشهابي أحمد بن الجيعان وكانت حركسية الجنس تدعى شهدار وكانت بديعة في الحسن والجمال من أجل النساء حسنا فافتتن به المقر الشهابي أحمد ابن الجيعان حتى شغلته عن أحوال المملكة قيل انها كانت تحسن الضرب بالسبع آلات المطربة وهي الجنبك والعود والصنطير والقانون والدرج والكمنجا والصيني وكان أصل شهدار هذه من جوارى ابنة الأمير شيبك بن مهدي الدوادار الكبير فادعت انها معتوقة فتزوجها الشهابي أحمد بن الجيعان وأمهرها مائتي دينار ودخل عليها فأحبها حباً شديداً دون نساؤه وافتتن به إلى الغاية وأقامت عنده مدة طويلة ثم تبين بعد ذلك انها في رق ابنة الأمير شيبك الدوادار ولم تقعت وصار الحق فيها إلى بنت الأمير شيبك الدوادار فاشتراها المقر الشهابي أحمد بن الجيعان من الورثة بخمسمائة دينار وقامى بسببها مشقة عظيمة زائدة فأقامت عنده مدة ثم انها مرضت وتزايدت بالمرض حتى ماتت فحصل له عليها حزن شديد وتأسف عليها حتى كاد أن يموت من الحزن واستقر مقمياً بالتربة أياماً وبادر إليه الناس بالتعزية والسلام عليه وصنع عدة ما تم واجتمع هناك القراء والوعاظ وعمل فيها الشعراء عدة مرثيات بديعة قيل لما توفيت زوجة زين الدين عمر بن الوردى أنشأ يقول

إذا ما زوجة الانسان ماتت * غابقت لمسكنه سكينه

وكيف بطيعة نظم ونثر * ولايت لديه ولا قرينه

ويقرب من هذه الواقعة التي وقعت للشهابي أحمد بن الجيعان ما وقع ليزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك ان أحد الخلفاء الأموية قد اشترى جارية مولدة من مولات البصرة وكانت تسمى حبابة اشتراها بألف دينار وكانت تشتمل على جملة من المحاسن منها انها كانت تضرب بالعود والجنبك والقانون وسائر آلات الطرب وتحسن الغناء الجيد وتنظم الشعر وتحسن العربية ولها خط جيد وتلعب بالتردو والشاطرنج وكانت بديعة الجمال فافتتن بها يزيد بن عبد الملك وأحبها حباً شديداً حتى انها شغلته عن أمور الخلافة والنظر في أحوال الرعية فاتفق له في بعض الايام انه توجه إلى بستان في دمشق وصحبته تلك الجارية وقال لوزرائه وحبابه اذا كان الغد فلا يخبرني أحد منكم بشئ من أمور المملكة ولا بكتاب يرد من سائر الجهات قاطبة فلما استقر بالبستان أحضر سفرة الشراب ودارت بينهم السكاسات ولم يكن في المجلس غير يزيد وحظيته حبابة فبينما هما في أرغد عيش اذ تناولت حبابة رمانة لتأكلها فشرقت بحجة من الرمان فوفقت في حلقة فانحنقت واضطربت

اضطرابا شديدا فخرجت روحها في الوقت والساعة فلما عاين يزيد ذلك كادت روحه أن
تزهق من حسده وتأسف على حباية غاية الأسف قيل للمامات أقامت سبعة أيام لم تدفن
وهي بين يديه يشاهدوها ويقبلها ويقول ما نظرت في عيني أحسن من اليوم فلما جافت
وتغيرت هيئتها ركب اليه أقاربه وابن عمه وعنه فوه على ما فعله وأخذوا تلك الجارية ولشوها
في نطع ودفنوها واستمر يزيد في التأسف والحزن حتى مات بعدها عدة يسيرة انتهى ذلك
وفي هذا الشهر اضطربت أحوال القاهرة وغلقت الأسواق بسبب المعاملة في الذهب
والفضة وجعل ملك الأمراء على الأسواق انكسارية بسبب صرف الدنانير الذهب بأكثر
من أشرفيين فضة وأشيع أن شخصا جازيا من الديارفة صرف أشرفيا ذهبيا بأشرفيين
فضة وخمسة أنصاف فرسم ملك الأمراء بأشهاده في القاهرة وخزم أنفقه وعلق فيه الميزان
ثم شنقه فراح ظلما وفيه توفي محمد الرئيس فتات العنبر رئيس المحبطين وكان أسستاذ في
صناعة الخيال وكان فاق على بريوه في هذا الفن وفي يوم الاثنين خامس عشرية قدم ابن
الشريف بركات أمير مكة وهو الذي يسمى تقيته وصحبته صهره عرار فلما حضر خرج
أمراء الجراكسة والأمراء العثمانية إلى ملاقاته فدخل القاهرة في موكب حافل وقدامه
الانكشارية يرمون بالنفوط فلما صعد إلى القلعة تلقاه ملك الأمراء من وسط الخوش
السلطاني وبالغ في إكرامه إلى الغاية وخلع عليه قفطانا وخلع على من معه من العربان
وأترلهم في مكان أعداهم وفيه توفي الأمير طقطباي استأدار الصحبة أحد الأمراء
العشراوات فلما مات دفنه ملك الأمراء في مدرسته التي بباب الوزير واستهل شهر رجب
يوم السبت فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنؤا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى
دورهم وفي ذلك اليوم قرئ كتاب الشريف بركات أمير مكة بحضرة القضاة فكان من
مضمونه أنه أرسل يطلب من ملك الأمراء استنقرار قاضي القضاة الشافعية بمكة صلاح
الدين بن ظهيرة على عادته فأجيب إلى ذلك ثم عين في ذلك اليوم قاضي مالكي وقاضي حنبلي
إلى المدينة الشريفة وانقض المجلس على ذلك وفي يوم الأربعاء خامس رجب طلع ابن
أبي الرداد بشارة النيل المياول وجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع وكانت في العام
الماضي أربع من ذلك بعشرة أصابع وفي يوم الخميس سادسه رسم ملك الأمراء بشنق
شخص من أعيان الإصباكية وكان من أكبر المفسدين يخطف النساء والمرد والعائم الظهر
الاجر ولا يجدم من يردده عن ذلك فلما كثرت فيه الشكاوى تعصب على شنقه ملك
الأمراء وقرأ موسى أحد أمراء ابن عثمان وقام في ذلك غاية القيام وأغلظ على ملك الأمراء
في القول وقال له الخنكار ما يدري بشئ من ذلك فلما شنق ذلك الشخص عز على الإصباكية
وتأسفوا عليه وأترلوه عن المشنقة وغسلوه وكفنوه ودفنوه وقيل شنق معه في ذلك

اليوم اثنان من الاصباكية وكان من كبار المفسدين وهما اللذان توجهوا الى بيت شاد البراس
ونهبوا ما فيه وسبوا حريمه ولم يكن له ذنب يوجب ذلك وتقدم القول على هذه الواقعة وفي
يوم الثلاثاء طأدى عشره خرج قاسم الشرواني الذي كان نائب جدة وعزل عنها وحررت عليه
شداثد ومحن وسجنه ملك الامراء بالعرقانة وقيده ثم ان الخنكار ابن عثمان أرسل طلبه
فتوجه الى اسطنبول وسافر اليه في ذلك اليوم ومن الحوادث في هذا الشهر ان ملك
الامراء تكلم مع القضاة الاربعة بأن يخففوا من نوابهم وأغاظ عليهم في القول فاقتصر
قاضي القضاة الشافعي على خمسة عشر نائبا وأما القاضي الحنفي فانه عزل نوابه كلهم
واقصر على اثنين وهما شهاب الدين بن شيرين وابن بنت البدرى محمد بن الدهان الذي كان
شيخ الجامع المؤيدى فاما القاضي المالكي فاقتصر على سبعة من النواب وأما القاضي
الحنبلي فاقتصر على سبعة من النواب أيضا ولم يتم ذلك فيما بعد وحصل للنواب في هذه
الحركة غاية الضرر وكان سبب ذلك أن نائبا من نواب القاضي الحنفي طلب امرأة الى
الشرع قامتت من الحضور فقبض عليها لقاضي وضربها نحو ثمانين عصا وقع له مثل
ذلك مرتين ثم ان امرأة طلعت وشكته الى ملك الامراء فقتل القضاة بسبب نوابهم وما
يفعلونه وقال لهم اعزلوا جماعة من نوابكم المباحيس وفيه توفي الامير ماماي الساقى أحد
الامراء العشر اوات الطب الخانات وكان أصله من عماليك السلطان الغوري وكان رئيسا
حشمه بالأس به فنزل ملك الامراء وصلى عليه وكانت جنازته حافلة وفي يوم الثلاثاء ثامن
عشره كان ختان ولدا القاضي شهاب الدين أحمد بن شيرين أحد نواب الحنفية فكان له زفة
حافلة مشى فيها أعيان الناس من المباشرين وغير ذلك واستهل شهر شعبان يوم الاثنين
فصعد القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفيه كانت كائنة
محب الدين بن أصيل الكفيف فكان من ملخص واقعة أنه كان يئده مشيخة المدرسة
الشيخونية والجمالية أخذها بنزول شخص من القضاة عنها فأقامت يئده مدة ثم انتدب له
من رافعه وقال له شرط الواقف أن تكون مشيخة الجمالية لاعلم علماء الشافعية وأنت
شخص غار عن العلم فأخرج به ملك الامراء وقرره بالشيخ الاسلام زين الدين زكريا الشافعي
فشق ذلك على محب الدين بن أصيل وحصل له غاية البهدة من ملك الامراء وقصته
مشهورة بما جرى له وفيه وقعت كائنة عظيمة للامير الماس أخى أمير اخور كبير قرقاس
ابن ولي الدين وكان من ملخص هذه الواقعة أنه كان عند الامير الماس مملوك عايق بتر يارزى
العثمانية ويخرج بالليل يقطع الطريق ويختطف العمام وقد وجدنا هذا المملوك يقطع
الطريق في بولاق وغيرهما من الاماكن فقال ملك الامراء هذا مملوك من فصيل له مملوك
الامير الماس فقال له ملك الامراء ائش ما كنت ترجع مملوكا عن الفساد فقال الماس

ما كان يسمع لى فقال ملك الأمراء ايش ما كنت شكوت لى وانا كنت أنصفك منه فطال
 بينهم الكلام ثم ان الأمير الماس أغلظ على ملك الأمراء فى القول فحنق منه فبطحه على
 الأرض وضربه ضرباً مبرحاً حتى عاين الموت قيل لضربه عشرة نوب ثم رسم بنفيه الى
 منفلاوط وقيل الى قوص ثم رسم بتسليم ذلك المملوك الى الوالى ليعاقبه وخرج الأمير
 الماس منفياً من يومه وفيه قبض ملك الأمراء على شخص من الصيارف الحجازيين
 وكان يجلس عند شخص بسوق الباسطيين فلما قبض عليه رسم بشنقه فشفع فيه
 خير الدين نائب القلعة وغرم مبلغه صورة حتى سلم من الشنق ولا ذنب عليه يوجب
 ذلك سوى انه خالف المناداة وصرف أشرف ياذها بخمسة وخسين نصفاً بزيادة خمسة أنصاف
 فكاد أن يشنق ظملاً وفيه رسم ملك الأمراء بشنق خمسة أنفار مسكهم شيخ العرب ابن
 أبى الشوارب زعم أنهم كانوا من أكابر المنسروا أعيان المفسدين فلما قبض عليهم ابن
 أبى الشوارب أرسل كاتب ملك الأمراء بذلك فأرسل اليه القاضى بركات بن موسى
 المحتسب فأحضرهم الى القاهرة فرسم ملك الأمراء بشنقهم فشنعوا وشنق فى ذلك اليوم
 شخص من الناس زعموا انه سرق أزاراً ونقاباً وشعرية فراح ظملاً وكان ملك الأمراء عجولاً
 فى أمر القتل وفيه نزل ملك الأمراء وسار الى نحو بلبس ثم رجع من هناك ودخل من
 باب النصر وشنق القاهرة فلما شنق منها لم يدع له أحد من الناس بالنصر ولا زعرت له
 النساء من الطيقان بل أغلظ عليه بعض العوام وقال له انظر فى أحوال المساكين بالشفقة
 بسبب الخبز والدقيق وسائر الاسعار فان البضائع متشعبة وفى يوم الثلاثاء تاسعه توفى
 القاضى شمس الدين محمد بن عبد الكافى أحد نواب الشافعية وكان من أعيان النواب وكان
 ضخماً الجسد دمثاً قلاباً بالشحم جداً وفى يوم الاربعاء عاشره كان أول مسرى من المشهور
 القبطية ففيمه زاد الله فى النيل المبارك عشر أصابع فسر الناس بذلك وكان فى أول الزيادة
 صار يسلسل فى الزيادة أصبعاً صبعاً على عشرة أيام متوالية ثم فى اليوم الثانى من مسرى
 زاد الله فى النيل المبارك خمس عشرة أصبعاً فى دفعة واحدة فسر الناس بذلك الى الغاية وفى
 يوم الاحد مع ليله الاثنين كانت ليلة النصف من شعبان فأقرأ ملك الأمراء فى تلك الليلة
 ختمه بالقلعة واستدعى القضاة الاربعة فلما تكامل المجلس شرع قاضى القضاة
 محيى الدين يحيى بن قاضى القضاة برهان الدين الدميرى المالكى يتكلم مع ملك الأمراء بان
 يشفع فى القاضى نور الدين على الفيوم وقد تقدم القول أن ملك الأمراء تغير خاطره
 عليه فنفاه الى دمنهور وأقام بهامدة طويلة فلما شفع فيه القاضى المالكى رسم باحضاره
 من دمنهور وكان أحد نواب الحنفية فكثرت فيه الشكاوى وكان غير محمود السيرة

ثم في ذلك المجلس شفع قاضي القضاة المالكي أيضا في شمس الدين محمد السرماسي فتوقف
ملك الامراء في امره قليلا وعدله جلة مساوي فلا زال قاضي القضاة يتلطف به حتى
رضى عليه وكان منعه أن يعمل قاضيا أو شاهدا ويلزم بيته دائما فكتب عليه قسامة بذلك
فرضى ثم ان قاضي القضاة شفع في نور الدين علي الحسيني المعروف برصاص المؤذن بان
تعادله وظائفه التي كانت في المدرسة الغورية وكانت خرجت عنه لما توجه الى
اسطنبول وأقام بها فلما شفع فيه رسم له باعادة وظائفه التي كانت بالغورية وكان قاضي
القضاة المالكي عنده ملك الامراء من المقرين وكان يحضر مجلس محاكماته في كل
يوم سبت ويفصل المحاكمات بحضرة ملك الامراء ورأى في أيامه غاية العز والعظمة فوق
ما رآه قاضي القضاة الحنفي عبد البر بن الشحنة في أيام الملك الاشرف فانصوه الغوري فعقد
من النوادر اطاعة ملك الامراء لقاضي القضاة المالكي في جميع ما كلمه فيه في ذلك
المجلس بالاجابة ولم يرد له شفاعته في ذلك المجلس في امر من الامور وفيه قدمت الاخبار
من اسطنبول بأن الامير جانم الحزاوي لما وصل الى اسطنبول قابل الخنكار وقبل منه
الهدية التي أرسلها معه ملك الامراء وأكرمه الى الغاية وأذن له بالعود الى مصر وهو واصل
عن قريب وأشيع في الاخبار الواردة من اسطنبول أن جماعة من الاعيان تسحبوا من
اسطنبول منهم القاضي علاء الدين ناظر الخصاص علي ابن الامام وأخوه محمد والقاضي
أبو البقاء ناظر الاسطبل وأخوه يحيى أولاد ابراهيم المستوفي وبهاء الدين بن البارزي
وجلال الدين بن الشبراوي وآخرون من المباشرين الذين هنالك فلما بلغ الخنكار تسحبهم
من اسطنبول شق عليه ذلك وأرسل خلفهم اثنين شاويشاق قبضوا عليهم من أثناء الطريق
ووضعوهم في الحديد وقاسوا من البهدة والاختراق بهم ما لا يمكن شرحه ودخلوا بهم الى
اسطنبول وهم مشاة في الحديد ثم سجنوهم ولا يعلم ما جرى لهم بعد ذلك وفيه قدمت
الاخبار من بلاد المغرب بأن الفرنج توجهوا الى مدينة جربة وهي من أجل المدن ثم ان
جماعة من ملوك الفرنج حاربوا من بهامن ملوك الغرب فكان بين الفريقين واقعة مهولة قتل
بها من الفريقين نحو ثلاثين ألفا وكانت النصره لصاحب جربة على ملوك الفرنج وغنموا
منهم أشياء كثيرة وفي يوم السبت عشرية نخلع ملك الامراء علي ابن الشريف بركات أمير
مكة وخلع علي صهره عرار وأذن لهما بالعود الى بلادهما فكان لهما موكب حافل فلما
شقا من القاهرة كان صحبتهما الامراء الجراكسة والامراء العثمانية والجم الكثير من
الانكشارية يرمون بالنفوط وكان يوما مشهودا وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرية كان
ختان أولاد قاضي القضاة الحنبلي شهاب الدين الفتوح المعروف بابن النجار فكان له زفة
حافلة مشى فيها جماعة من الاعيان لكن قصر وصفها عن زفة أولاد قاضي القضاة

محي الدين الدميري المالكي وابن الحسام المنجلي ومن الحوادث الشيعة أن شخصاً يقال له
 محي الدين بن مثرى البرزداد له ابنة صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين وكان أبوها سافراً
 المراغة بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها وكان على رأس تلك البنت كوفية
 ذهب فوقفت تلعب مع الصغار في الحارة وكان لهم جار صبي أمر ديمبل صنعة القريات
 فلعبت عيئه على الكوفية الذهب التي على رأس البنت فلعب بعقلها وقال لها أمك في
 السيدة نفيسة وأرسلت تطلبك هناك فذهبت معه وأخذته عبد أسود فلما مضوا توجهوا
 بتلك البنت إلى تربة خراب خلف مزار السيدة نفيسة فذبحوها هناك وجرأوا القوها
 في فسقية موتى هناك وأخذوا الكوفية التي على رأسها وتركتها تعبط في دمها
 فأقامت هناك يوماً وليلة فكثرت النفثيس عليها من أمها وأبيها فنزل أبوها إلى السوق وأوصى
 التجار على الكوفية الذهب التي كانت على رأس ابنته فاذا رأوها قلياً يؤتم بها فيمنعها هوى
 الصاغة وإذا بالصبي الأمر الذي أخذ الكوفية وذبح البنت في الصاغة ومعه الكوفية
 فأشهرها في المناداة فتناهى سعرها إلى أربعين أشرفياً فقال له بعثك فقال له الدلال أحضرك
 ضامنة فلم يجد من يضمه فقبضوا عليه وأحضر وأبأ البنت فقبض عليه وتوجهوا إلى
 باب الأمير كشـبغا فلما عرضوه على الوالي خربه بعض عصي فأقر أنه أخذ الكوفية عن
 رأس البنت وذبحها ورماها في فسقية موتى خلف مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها فقالوا
 له امض معنا وأرنا ذلك المكان الذي ربيت فيه فخرج معهم وهو في الحديد وأتى بهم إلى
 تلك الفسقية التي رماها بها فنزل أبو البنت إليها فوجدها راقدة وهي مذبوحة وفيها بعض
 روح ولم يقطع وردها من الذبح فحملها وطلع بها من تلك الفسقية فلما بلغ ملك الأمراء
 ذلك أرسل فأحضر الجميع بين يديه وقصوا عليه قصة الصبي وما جرى له مع البنت فزن عليها
 ملك الأمراء وقال لها من فعل بك هكذا فأشارت إلى الصبي والعبد الأسود الذي على باب
 البيت الذي منه البنت وأحضر واللبنت من قطب لها مكان الذبح الذي برقيتها وعاشت
 بعد ذلك وبرتت من الذبح فعد ذلك من الحجاب والنوادير الغريبة قيل إن البنت لما
 رماها الصبي في الفسقية وهي مذبوحة حكّت لأمها وقالت لما بت في الفسقية دخلت
 على امرأة وعلى وجهها برفع وقالت لا تخافي أنا السيدة نفيسة وغدا أخلصك من هذا
 المكان ثم مسحت الدم من رقبتى فأنقطع في الحال وسكن روعى مما كنت فيه وهذه الواقعة
 قد اشتهرت في القاهرة وفي شهر رمضان وكان مستهل يوم الثلاثاء طلع القضاة
 الأربعة وهنؤا ملك الأمراء بالشهر ثم رجعوا إلى دورهم وفي ليلة الرؤيا توجه القاضي
 بركات بن موسى المحتسب إلى المدرسة المنصورية التي بين القصرين واجتمع القضاة الأربعة
 هناك فلم تثبت رؤيا الهلال إلا بعد العشاء فلما رجع القاضي المحتسب إلى داره لاقاه ابن

عوض بالفوانيس وعدة مشاعل كثيرة وكانت له ليلة حافلة ومن المجائب أن النيل المبارك كان على وفاء ولم يتأخر عابه غير أربع أصابع فأشيع بعد العصر أن النيل نقص في تلك الليلة أصبعين فاضطربت أحوال الناس بسبب ذلك وكان قد مضى من مسرى أحد وعشرون يوماً ولم يف النيل وكانت أسوار الغلال والبضائع كلها في غاية الارتفاع فكان كما يقال في المعنى

رب وف النيل انا * منه في كرب وبلوه

ما بقي للناس صبر * يحملون اليوم غلوه

فاستمر النيل في هذا التوقف على أربع أصابع وقيل نقص بعد ذلك أربع أصابع فاستمر على ذلك خمسة أيام لم يزد فيها شيئاً فرسم ملك الأمراء قضاء القضاة ومشايخ العلم ومشايخ الصوفية بأن يتوجهوا إلى المقياس ويتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء في وفاء النيل فتوجه القاضي القضاء الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي الحنفى الطرابلسي والقاضي المالكي محيي الدين الدميري والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوحى ومن مشايخ الصوفية الشيخ محمد المنير وغير هؤلاء من مشايخ الصوفية فلما توجهوا هناك وبأول المقياس نقص النيل في تلك الليلة أصبعين فصار النقص ستة أصابع ثم نقص عشرة أصابع وكان تأخر عن الوفاء على أربع أصابع ونقص من بعد ذلك عشر أصابع فصار النقص أربع عشرة أصبعاً عن الوفاء فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجهوا إلى المقياس وكان قد مضى من مسرى ستة وعشرون يوماً فأقام ملك الأمراء في المقياس ذلك اليوم وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء فقروا فيها عشرين دوراً ثم قرأ صحيح البخارى هناك وأشيع أن ملك الأمراء فرق هناك على الفقهاء مالا له صورة وأحضر الاطفال الايتام وفرق عليهم مبلغاً له صورة وأحضر من الآثار الشريفة القمص من المدرسة الغورية ووضعهم في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذي بها وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله تعالى بالزيادة فأقام ملك الأمراء في المقياس إلى قريب الظهر ثم طلع إلى القلعة فلما طلع أمر بإطلاق من في السجون من الرجال والنساء والاطفال فأطلق منهم نحو ثمانين إنساناً ونزل إلى القرافة وزار من بهامن الصالحين وفرق على الزوايا التي هناك مالا له صورة وفعل من وجوه البر والصدقات أشياء كثيرة وما أبقى في ذلك ممكناً فلما كان يوم الأربعاء الموافق لتاسع عشرى مسرى عول ملك الأمراء على أن يخرج إلى الاستسقاء وصحبته الناس قاطبة يوم الخميس وقد ترايد قلق الناس إلى الغاية واشتد الأمر عليهم بسبب نقص النيل عند ليالي الوفاء وقد قال القائل في المعنى

بمسرى النيل ما أوفى فخبوا * ودب القحط فينا من أيب

ولم أنزع الخلق لاني * وجدت الله أشفق من أبي بي
وفي هذه الواقعة يقول الأديب البارع الناصري محمد بن قانصوه بن صادق وقد أجاد
حيث قال

أسبل النيل من عيوني عبره * مذراني من النقص عبيره
يا لها عبرة ثوت بفؤادي * ورمت بالهموم في القلب جره
شهر مسرى تسع وعشرون يوما * فيه فات الوفا فين المسره
ربنا اللطيف بالخلق في النيل واطلق * بزيادته من النقص أسره
واشرح الصدر بالوفامتك واسبل * يا سميع الدعا بفضلك ستره
واجعل الارض منه في خير خصب * ورخاء واجبر بلطفك كسره

فلما كان يوم الاربعاء تاسع عشر مسرى طلع ابن أبي الرداد الى ملك الامراء بعد الظهر
وبشره بأن النيل قد زاد من النقص ثلاث أصابع فسر ملك الامراء بذلك وقيل أنعم عليه
بمائة دينار ووفرس وألبسه قفطانا مخملا مذهبا وأنعم على الصبي الصياح الذي ينادى على
البحر بجوخة حمراء فلما أشيع ذلك سر به الناس قاطبة وانطلقت النساء بالزغاريت من
الطيقان وكانت فرحة عامة لجميع الناس قاطبة فلما كان يوم الجمعة حادي عشر رمضان
الموافق لاول أيام النسي عزاد الله في النيل المبارك خمسة أصابع فسر الناس بهذه الزيادة
وقد تأخر عن الوفاء ست أصابع فكانت مدة توقفه عن الزيادة ثمانية أيام متواليه حتى
أيس الناس من طلوعه في هذه السنة ثم في ليلة السبت وفي الله الستة عشر ذراعا وفتح السد
في يوم السبت ثاني عشر شهر رمضان الموافق للثاني من أيام النسي وأوفي الله الستة عشر
ذراعا وأصبعين من السابيع عشر وقد فات الوفاء عن ميعاده حتى مضت مسرى ودخلت
أيام النسي ولكن تقدم ان النيل تأخر عن الوفاء الى سادس أيام النسي وذلك في سنة أربع
وتسعين وسمائة وبلغت الزيادة في تلك السنة ستة عشر ذراعا ثم هبط سريعا ولم يثبت
فشرقت البلاد ووقع الغلاء واتفق مثل ذلك ان النيل وفي في آخر أيام النسي وفي سنة ثلاث
عشرة وسبع مائة وكان نيلاً شحيحاً لم يثبت وشرقت البلاد ووقع الغلاء فنقل ذلك الشيخ
جلال الدين السيوطي رحمة الله عليه فلما وفي النيل نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه
الى المقياس وخلق العامود ونزل في الحراقة وفتح السد وكان يوماً مشهوداً كما وقع له في السنة
الخالية وكان الوفاء على غير القياس مما جرى على النيل في هذه السنة وقد قال الناصري محمد
ابن قانصوه بن صادق وأجاد حيث قال في المعنى

الحمد لله زاد النيل وانشرحت * صدورنا وأرانا بشره فرحا

والقلب أصبح بعد الكسر منجيرا * والامر أمسى عقيب الضيق منفسجا

﴿وقال آخر﴾

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن السر قالوا العنومأمول

ستر الاله علينا لا يزال فما * أحلى تهتكنا والستر مسبول

وفي يوم الاربعاء سادس عشر رمضان كان أول النور وزو هو أول يوم من السنة القبطية وهي سنة ست وعشرين وتسعمائة خراجية ففي ذلك اليوم زاد الله في النيل المبارك سبع أصابع فاو في الله السبعة عشر ذراعا واصبعا من الذراع الثامن عشر فسر الناس بذلك وفي يوم السبت سادس عشر به قدمت الاخبار بأن الامير جانم الجزاوى قد وصل الى قطيا وقد تقدم القول أنه كان توجه الى السلطان سليم خان ابن عثمان وصحبته مقدمة حافلة من عند ملك الامراء الى الخسكار ابن عثمان فلما قابله أكرمه وخاع عليه وقبل منه ثلاث التقدمة فأقام هناك مدة ثمان ان ابن عثمان ريسم للا مير جانم بعوده الى مصر وكان أكثر الناس جزموا بعوده الى مصر فجاء الامر بخلاف ذلك فلما أشيع وصوله الى قطيا خرج أعيان الناس الى ملاقاته وخرج الامير نادى بالدين محمد المهمندار والامير برسباى الدوادار وسائر المباشرين قاطبة فلما كان يوم الاحد سابع عشرى رمضان ختم صبح البخارى بالقلعة على العادة وفرقت الصرر على الفقهاء ومن له عادة وخلق على قضاة القضاة وفي يوم الاثنين ثامن عشر به دخل الامير جانم الجزاوى الى القاهرة ونزل بتربة العادلى وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر به نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى تربة العادلى ونزل على المصطبة التى هنالك ولبس خلعة الخسكار التى أرسلها له على يد الامير جانم الجزاوى باستمراره فى النيابة بمصر وهى قفطان بتماسيح على مخمل أحمر فركب من هنالك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل وقدامه جماعة من الامراء الجراكسة ومن الامراء العثمانية والعساكر الاصباهية والانكشارية مشاة يرمون بالنفوط ولا قام طائفة من النصارى وبأيديهم الشموع موقدة ولا قام الشعراء والشبابة السلطانية ولما وصل الى قبة الامير شبك التى فى رأس الحسينية لا قام القضاة الاربعة فكان القاضي الشافعى عن يمينه والحنفى عن يساره والمالكي والحنبلى قدامه والامير جانم الجزاوى قدامه وعليه قفطان مخمل مذهب كان ألبسه له الخسكار فاستمر فى ذلك الموكب الى أن طلع الى القلعة وكان يوم ما مشهودا فكانت مدة غيبة الامير جانم الجزاوى فى اسطنبول عند الخسكار ستة أشهر وقيل انه قابل الخسكار فيها مرة واحدة وأما ترجمة الامير جانم الجزاوى فهـو جانم بن يوسف بن اركامس السيفى قانى باى الجزاوى نائب الشام كان من أعيان أبناء الناس وقد رقى فى دولة ملك الامراء خاير بك حتى صار صاحب الحل والعقد بمصر

وصار في مقام أمير كبير بمصر ولما استقر الامير جانم الجزاوى في داره أشيع بين الناس أنه
أخبر أن الخنكار ابن عثمان تغير خاطره على الخليفة محمد بن يعقوب المتوكل على الله الذي
نوجه الى اسطنبول فلما تغير خاطره عليه أخرجه من اسطنبول على غير صورة مرضية
وهو في غاية ما يكون من البهدة ونفاه الى مكان عسري سمي السبع قليات قيل ان بينه
وبين اسطنبول سبعة أيام وهذا المكان الذي يضع فيه الخنكار أمواله وتحفه لكونه
في غاية التحصين وقد اختلف في سبب تغير خاطره عليه فمن جملة الاقوال ان أولاد ابن عمه
خليل رافعوه بسبب اقطاع الخلافة أن يعطيهم منها الثلث يأخذ هو الثلثين فأبى من ذلك
الثاني أن الخليفة طاش هناك وصار ينهم العيش جهارا واشترى له جواري يضربن له
بالخنول وقتك في البسط والانشراح غاية الفتك فبلغ ذلك الخنكار فتغير خاطره عليه وكان
الوزراء مساء دين أولاد عمه خليل ومحطين على الخليفة الثالث أن جماعة كثيرة من
أهل مصر ممن كان باسطنبول تسحبوا من هنالك منهم بدر الدين ابن القاضي كمال الدين ناظر
الجيش وتسحب آخرون من الاعيان فخشيت الوزراء أن الخليفة يتسحب من هنالك فضايقوا
عليه والله أعلم وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الخميس فطلع القضاة الاربعة وصلوا مع
ملك الامراء صلاة العيد وخطب بهم قاضي القضاة الشافعي خطبة بليغة وكان موكب
العيد موكبا حافلا وفي يوم الاحد رابع شوال جلس ملك الامراء بالدهيشة وأرسل خلف
القضاة الاربعة وأرسل خلف أعيان التجار ومشايخ الاسواق بسبب أمر المعاملة في
الذهب والفضة فلما تكامل المجلس قام ملك الامراء ودخل الاشرفية التي بجوار الدهيشة
ودخل معه القضاة الاربعة وأرسل خلف الامراء العثمانية وهم قراموسى وفرحات وخير
الدين نائب القلعة والقاصد الذي حضر صحبة الامير جانم الجزاوى فلما دخلوا الى الاشرفية
لم يدخلها غير هؤلاء ولم يأذن للامراء الجرا كسة بالدخول معهم ثم ان القاصد أخرج
مرسوم الخنكار الذي أرسله صحبة الامير جانم الجزاوى فأجلس القضاة الاربعة على أربعة
كراسى وأجلس الامراء العثمانية على أربعة كراسى وقرئ عليهم مرسوم الخنكار وذلك
على طريقة النسق العثماني وكانت ألفاظ ذلك المرسوم باللغة التركية فكان من مضمونه
ما أشيع بين الناس أنه قد أرسل يأمر ملك الامراء بالتوصية بالرعية غاية الوصية وأن
يصرف للمال الجرا كسة جوامكهم ولحومهم وعليقهم على العادة القديمة وأرسل يقول
لملك الامراء أن يتوصى بأولاد الناس قاطبة وكل من كان له جامكية وقطعت بردها اليه
وأرسل يقول له في اصلاح المعاملة من الذهب والفضة فأحضر وامن حل تلك الالفاظ
التركية التي في المرسوم فكان ههنا معناه ثم ضربوا مشورة في أمر المعاملة فأشار
الحاضرون على ملك الامراء أن يبقى كل شئ على حاله من أمر المعاملة - تي يراجع الخنكار

في ذلك مرة أخرى بأن الذهب والفضة ينقص في هذه الحركة الثلث فخرج ملك الامراء ورسم باشهار المناداة في القاهرة مرة بأن كل شيء على حاله وأن الاشرف في العثمانى والغورى لا ينصرف بأكثر من خمسين نصفافضة من غير زيادة على ذلك وان النصف الفضة الخماس يرى وماعدا ذلك يمضى ثم انفض المجلس على ذلك ونزل القضاة الى دورهم وسكن الاضطراب قليلا في أمر المعاملة وفي يوم الجمعة تاسع شوال قدم من البحر المسالخ الى ثغرا الاسكندرية جماعة نحو تسعة أنفار ممن كان أسروا وتوجهوا الى اسطنبول فحضر في ذلك اليوم الشيخ بدر الدين محمد السعوى المعروف بابن الوقاد أحد نواب الخفعية كان وحضر الشيخ كمال الدين الذى كان برندا والامير طومانباى وحضر كمال الدين العاتق مباشر أمير اخور كبير وحضر زين الدين حامل المزة وحضر القاضي كريم الدين المجولى أحد نواب الشافعية كان وحضر الخواجا عمر بن معزوز المغربي وحضر المهتار بدر العادلى والخواجا زين الدين العجمي ويوسف مناخير والمعلم حسين معلم الحدك بدار الضرب وكان هؤلاء باسطنبول وشكوا الى الوزراء بأن وظائفهم التى بمصر خرجت عنهم وتعطلت جهاتهم وأخذ الناس أموالهم بموجب غيابهم فى اسطنبول فقال لهم الوزراء أقيموا لكم ضمانا وتوجهوا الى مصر صحة جماعة من الانكشارية واشكوا على جهاتكم ووظائفكم وارجعوا الى اسطنبول على وجه الصيف ففعلوا ذلك وحضروا الى مصر وصحبتهم الانكشارية وفيهم من ترك أولاده وعياله باسطنبول الى أن يرجع اليها ثم فى عقيب ذلك أشيع أنه حضر أيضا من اسطنبول جماعة منهم شمس الدين بن الموفق المباشر وفرج بن البريدى والطواشى مسك وقيل ان الطواشى أقام بالشام عند الغزالي نائب الشام ورتب له ما يكفيه كل شهر ومحمد بن على كاتب الخزانة وآخرون حضروا فى الخفعية وصاروا يتكلمون من اسطنبول شيئا بعد شيء ويحضرون وكل ذلك من غير علم الخنكار فآله يلطف بهم وفي يوم الجمعة سادس عشره الموافق لاول يوم من بابه ثبت النيل المبارك على خمس أصابع من تسعة عشر ذراعا وكان فى العام الماضى ثبت على ثمانية أصابع من عشرين ذراعا فكان هذا النيل أنقص من النيل المائى بذراع وثلاث أصابع وكان نيل اشجع آمن مبتدأ زيادته الى حين هبوطه وقد شرق غالب البلاد واشتد أمر الغلاء بالديار المصرية وتكالت الناس على مشترى القمح وارتفع القمح من السواحل وصار اذا وصلت مركب قمح لا تباع ولا تشتري الا بافراج من عند المحتسب ولو كان ضيافة أو من الخراج فحصل للناس الضرر الشامل وارتجت القاهرة بسبب منع القمح ووقع الاضطراب الشديد فكادت أن تكون غلاوة كبيرة وفي يوم الاحد ثامن عشره وفى شخص من الامراء الطبخانه يقال له مامى الصغير ودفن فى المدرسة الغورية وفي يوم الاثنين تاسع عشره

خرج المحمل الشريف من القاهرة في نجم عظيم وكان أمير المحمل الأمير جانم كشف
منفلوط والبهنسا فطلب طلبا حافلا على العادة القديمة كعادة الامراء المقدمين وخلع
على الأمير باباي أحد الامراء العشر اوات واستقر به في مشيخة الحرم النبوي عوضا عن
الشرفي يحيى بن البرديني بحكم انفصاله عنها وكان قاضي المحمل في تلك السنة الشيخ فتح الدين
أبو الفتح الوفاي المالكي أحد النواب بل من أعيانهم فحصل للحاج به غاية النفع ولم يحج في
هذه السنة من الاعيان الا القليل وكان أكثر الحاج فلاحين وريافة من البلاد وفي
شهر رذى القعدة وكان مستهل يوم السبت طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر
ثم عادوا الى دورهم وفي يوم مستهل وقع لقاضي القضاة الحنفى الطرابلسي بين يدي ملك
الامراء بعض توبيخ بسبب نائبه كمال الدين بن زريق وقد انه ~~كشفت~~ رخصه في مكتوب
ظهر أنه زوره وجرى بذلك أمور بطول شرحها فصل للقاضي بعض مقت من ملك الامراء
فما وسعه الا أنه عزل كمال الدين بن زريق بحضرة ملك الامراء عزلا مؤبدا مادام حيا وانقض
الجلس على ذلك وفي ذلك اليوم رسم ملك الامراء باشمار المناداة في القاهرة بسبب المعاملة
في الذهب والفضة فاطلق أربعة مشاعلية في القاهرة ومصر العتيقة بأن الاشرف في الذهب
العثماني والغوري يصرف بخمسين نصفا من غير زيادة على ذلك وان الاشرف في الذي هو ضرب
جمال الدين يصرف باثنين وأربعين نصفا وان الفضة على حالها لا يرتفع منها الا النصف
المكشوف وكل من خالف في ذلك شتم من غير معاودة فسكن الاضطراب قليلا به هذه
المناداة بعدما كان أشيع بابطال هذه المعاملة كلها وتخسر الناس من اموالها الثلث فتعطل
الناس من البيع والشراء أياما وغلقت الاسواق فلما نادوا بابقاء كل شيء على حاله سكن
الرهج الذي كان فيه الناس قيل ان ملك الامراء أرسل يشاور الخنكار ابن عثمان في
أمر المعاملة اذا بطلت يخسر الناس من أموالهم الثلث والامر في ذلك معول على الجواب
وفي يوم الاحد ثاني الشهر رخلع ملك الامراء على شخص من العثمانية يقال له الأمير على
الكينجي أغات الانكشارية واستقر به في ولاية القاهرة عوضا عن كشيغا الذي كان والي
القاهرة وتوجه الى اسطنبول كما تقدم وفي يوم الخميس سادسه نزل ملك الامراء من القلعة
وتوجه الى الروضة ونصب له خياما في خرطوم الروضة تجاه قصر ابن العيني فنزل هناك
وكان صحبته جماعة من الامراء العثمانية والقاصد الذي حضر مع الأمير جانم الجزاوي
والامير قايتباي الدوادار وبعض أمراء من الجراكسة والجم كثير من الاصـباهية
والانكشارية فلما استقر هناك أحضر اليه القاضي بركات بن موسى المحتسب مدة حافلة
قيل صرف عايتها نحو خمسمائة دينار فمن جـله ذلك أربعون خروفاشوي وأربعمئة مجمع
حاي وعدة مطابق ضمنها مامونية سكب ومامونية جوية مخشوة بسكر وسنبوسك بسكر

ورخامية بسكر وسمك على أنواع مختلفة وأشياء غير ذلك مونة وأجال بطيخ صيني وعبیدی
وأطنان قصب وأجال قشطة وبطط جلاب وأجال موز وغير ذلك وما أبقى يمكننا صنع
في هذه المدة من الأشياء التي تصلح للولاء فشكره ملك الأمراء على ذلك وأثنى عليه بحضرة
الأمراء وكان القاضي بركات المحتسب على المهمة نافذ الكلمة مسعودا لحرركات في سائر
أفعاله وقد وقع له أشياء غريبة لم تقع لاحد قبله من المباشرين ولا غيرهم ولا سيما ما كان
يصنعه للسلطان فأقام ملك الأمراء إلى ما بعد العشاء ثم عدى من هنالك وطلع إلى القلعة
وانقضى ذلك اليوم السلطاني وفي يوم السبت ثامن وقعت كائنة مهولة وسبب ذلك أن ملك
الأمراء اجلس للحاكمات على العادة فعرض عليه ثلاث محاكمات في ذلك اليوم الاولى أن
شخصا من الشهود يقال له شمس الدين محمد البساطي كان يجلس على رأس حارة زويلة وكان
يخطب في جامع ابن قرييط الذي في حارة زويلة فجاءت إليه مبايعة جارية حبشية كانت على
ملك شخص من النصاري فابتاعها الشخص من الفرنج فهربت وأتت إلى بيت الوالي وقالت
له أنا جارية مسلمة كنت عند شخص نصراني فباعني لشخص أفرنجي وقصد أن يسافر بي
إلى بلاد الفرنج فهربت من عنده وأتيت إليكم فعرض الوالي هذه الواقعة على ملك
الأمراء خاير بك فطلب النصرائي البائع فهرب وهرب الفرنجي المشتري فقبض على
شخص كان واسطوق على شمس الدين البساطي وقيل على النصرائي والافرنجي فيما بعد
وعوقبا وقرر عليهم أمال له صورة فلما وقف شمس الدين البساطي بين يدي ملك الأمراء قال
له ليس ما سألت الجارية إن كانت مسلمة أو غير مسلمة فاختلط في الكلام وتلجلج لسانه عن
الجواب فاشتد غيظ ملك الأمراء عليه فرسم بقطع يده اليمنى فقطعت وأن يشهر في القاهرة
ففعل به ذلك وكان حاضرا في المجلس قاضي القضاة المالكي محيي الدين الدميري والقاضي
شهاب الدين ابن شيرين أحد قوابل الحنفية والقاضي شمس الدين العبادي والامير ارزمك
الناشف وجماعة من الأمراء العثمانية فلم يجسر أحد منهم أن يشفع فيه أشد غضب ملك
الأمراء عليه وكان يومامهولا والمحاكمة الثانية عرض عليه شخص يقال له محمد بن عز الدين
كان أبوه من جملة رسل الصالحية وكان يعرف بابن بابه وكان ابنه قبيح الصورة والسيرة مشهورا
بتزوير المراسيم عن لسان المباشرين وسبقت له وقائع كثيرة عن لسان الأكبر ف قيل أنه
زور مرسوما على لسان القاضي شرف الدين بن عوض فقبض عليه ابن الغياني وأحضره
بين يدي ملك الأمراء فكثرت فيه من الناس الشكاوى فرسم بأن يشنق فشنق وشهر في
القاهرة وهو مخزوم الأنف ومقطع الأذان فأراح الله تعالى العباد منه فإنه كان كثير
النصب والحيل وتحكي عنه الغرائب والمجائب في أمر الحيل والنصب والسرقة والمحاكمة
الثالثة عرض عليه شخص من الفلاحين سرق ثورا فرسم بأن يخوزق وتقطع أنفه وآذانه

وان يركب على النور ويشهر في القاهرة ثم يخوزق وكان ملك الامراء عجولا في أمر القتل
وقد شفق وخوزق ووسط في أيام ولايته على مصر ما لا يحصى من الناس والغالب راح ظلموا
من غير ذنب وكان ملك الامراء شديد النسوة صلبا في الامور جدا وكان الامر كما قيل
في المعنى

احذرتعاشر من يكن طبعهم * ظلم الوري دأبا وان أحسنوا
لقول رب العرش سبحانه * في محكم الذكر ولا تركنوا

وفي يوم الخميس ثالث عشره رسم ملك الامراء بشفق ثلاثة أنفار من القواسة كانوا حراسا
على قصب فأتى اليهم بعض التركان ليسرق من القصب فضربه أحد القواسة فجاءت
الضربة صائبة فمات ذلك التركاني فلما بلغ خشد دأشينه ذلك توجهوا الى شبرى ونهبوا
ما فيها ثم قبضوا على القواسة وعرضوهم على ملك الامراء فرسم بشفقهم فشنقوا في ذلك
اليوم ومضى أمرهم ويقال انهم أخذوا ظلم ليس هم الذين قتلوا التركاني والذين قتلوه هربوا
ولم يحصلوهم وراحوا ظلموا وراحت في كيسهم وقد وقع لملك الامراء ان يقتل ثمانية أنفس في
هذه الجمعة فشنق منهم جماعة وخوزق منهم جماعة واقترحوا لهم العذاب حتى صاروا
يخوزقونهم من أضلاعهم وراح غالبهم ظلموا والامر لله تعالى وفي يوم الجمعة رابع
عشره أرسل ككاشف الشرقية اثنين من العربان المنسدين قطاع الطريق فرسم ملك
الامراء بشفقهم ما فشنقا وقد وقع لملك الامراء أنه شفق وخوزق في هذا الشهر جماعة
كثيرة بخلاف العادة وفيه أشيع أن صبيانا صغيرا قعدوا يلعبون في بعض الحارات فعمل
واحد منهم ملك الامراء وأخروا الى القاهرة ونادوا أن لا أحد يخرج من بعد العشاء فقام
بعض الصغار وخطف عمامة أخرى عبت عليه فقبضوا عليه وأحضروه بين يدي الذي جعلوه
ملك الامراء فرسم للذي أقاموه واليا بأن يقبض عليه ويخوزقه فدقوا له عصا في الارض
وأقعدوه عليها غصبا فخنقهم من قال ان الصبي مات من وقته ومنهم من قال لم يمت فلما جرى
ذلك تهاربت الصغار الى حال سبيلهم وقد هان القتل في هذه الايام حتى عند الصغار وهذه
الواقعة لم تثبت الا اشاعات وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره قدمت الاخبار بأن الفرنج قد
أتوا الى ساحل بيروت وحاصروا من بها فكسروهم وملكوا مدينة بيروت وأقامت معهم
ثلاثة أيام فلما بلغ ملك الامراء نائب الشام جان بردي الغزالي ذلك عين دوا داره ومعه الجم
الكثير من العساكر فتوجهوا الى بيروت واقتتلوا مع الفرنج وكان بين الفريقين واقعة
مهولة قتل فيها ما لا يحصى من الفرنج وأسروا منهم ثمانمائة انسان وغنموا منهم أشياء كثيرة
من سلاح وقماش وغير ذلك وقيل أسروا جماعة من أولاد ملوك الفرنج وملكوا ثلاث
برشات من كبار مراكبهم وكانت النمرة عايم للغزالي نائب الشام بعد ما ملك الفرنج

يبروت فطردهم عنها بعون الله تعالى ومن الحوادث العظيمة الغربية ما وقع يوم الاربعاء
تاسع عشر ذي القعدة من سنة ست وعشرين وتسعمائة أنه قدم قاصد من البحر المالح وعلى
يده مرسوم من عند السلطان سليمان ابن السلطان سليم شاه بن عثمان بان السلطان سليم شاه
قد توفى الى رحمة الله تعالى وحضر صحبة القاصد مطالعة من عند الرئيس شمس الدين محمد
التوصوفي الى صهره فاذن القاضي القضاة محيي الدين بن الدميري تتضمن أخبار موت السلطان
سليم شاه بن عثمان وهي الاخبار الصحيحة فاخبر أن السلطان سليم شاه خرج بتصيده
فرجع من الصيد وهو ومتوعك في جسده وقد طلعت له فرخة جرفتا ألم لها ولزم الفراش
أياما وثقل في المرض واشتد عليه الامر جدا فمات في يوم الخميس تاسع شوال سنة ست
وعشرين وتسعمائة فلما مات كتم موته عن العسكر ثلاثة أيام ولم يدفن وكان ولده سليمان
غائب عن اسطنبول فلما حضر وجد جثته في السيرة حتى دخل الى اسطنبول وجلس على
سرير الملك أشيع موت أبيه سليم شاه فاحضره في محبته وهو مصبر وصالوا عليه ومشت
الوزراء والعسكر قاطبة قدما له وكان دفنه يوم الاحد ثاني عشر شوال أو يوم الاثنين كما
قيل ودفن على جده السلطان محمد بن عثمان في مدرسته باسطنبول ومضى الى رحمة الله
تعالى كأنه لم يكن وزال عنه الملك في طرفة عين فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفي
ذلك يقول ناصر الدين محمد بن قانصوه بن صادق في المعنى

عظم الله أجركم * في ما ليك الوري سليم

عنه قد زال ملكه * وغدا في الثرى رميم

وتوفى الملك المتظفر سليم شاه وله من العمر نحو سبعة وأربعين سنة على ما أشيع ذلك ووقع له
من الامور الغربية ما لم يقع لاحد من آباءه ولا أجداده بل ولا لاحد من ملوك الشرق ولا
ملك الغرب ولا غيرهم فانه زحف على شاه اسماعيل الصوفي ملك العراقين وحاربه فكسره
وقتل من عساكره ما لا يحصى حتى قيسل قتل فوق الخمسين ألفا وملك بلاده وطرده عنها ثم
تحرش بسلطان مصر ولا زال يخادعه ويظهر أنه تحت طاعته حتى خرج اليه وغدر به
وحاربه وانكسر منه وفقد وقد طرقه على حين غفلة وجرى عليه منه ما جرى كما تقدم ذكر
ذلك فلك مدينة حلب وقلعتها في خمس درج واحتوى على أموال السلطان الغوري التي
كانت بقلعة حلب من غير مانع ثم توجه الى دمشق فملكها وملك قلعتها من غير مانع في
أسرع من طريقة عين ثم توجه الى الديار المصرية وحارب السلطان طومان باي فكسره
وقتل غالب عسكر مصر من المماليك الجراكسة وقتل من الامراء ما تقدم ذكره وملك
الديار المصرية في نحو عشر درج ومن أراد أن يتظر ما وقع منه بالديار المصرية فليتنظر الى

الجزء الخامس من تاريخنا بدائع الزهور في وقائع الدهور وكانت مدة استيلائه على حلب والشام ومصر أربع سنين وخمسة أشهر وهو يخطب باسمه على منابر حلب وأعمالها ودمشق وأعمالها ثم يخطب باسمه في الديار المصرية وأعمالها وثورها وضرية السكة باسمه في هذه المدة وكان استيلائه على مدينة حلب في أواخر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة واستولى على دمشق في سلخ رمضان واستولى على الديار المصرية في المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فكانت مدة إقامته في القاهرة نحو ثمانية أشهر ومن مسهل المحرم إلى أواخر شعبان واستقر بخيار بك نائباً عنه بمصر وأمامه مدة استيلائه على مملكة الروم من حين توفي والده السلطان أبو يزيد إلى الآن فنحو تسع سنين الأشهر إرفان والده أبو يزيد توفي في ثاني جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان استيلائه على مملكة الروم في حياة والده بإشرافه وأقام مريضاً ملازماً للفرش مدة طويلة فيقال أنه عجز على أي شيء وقتله لأجل الملك ثم أنه خنق أخاه قرط وقتل أخاه أحمد وظن أن الوقت قد صفا له فتلا عبت به الدنيا كما تلا عبت بغيره من الملوك ودهاه الموت الذي لا يدفع بقوة ولا حيلة وقد صار في رمسه رهين الذنوب لا يعلم أهو في نعم أو في عذاب وقد رثيته بهذه الآيات

لابن عثمان قصة فاسه عوها * وأعجبوا من صنع ربى تعالى
ملك الشام للفرات وأضحى * فأنكفى الانام روحاً ومالا
وأراد الدخول في كل مصر * قلت هيات رمت هذا محالا
طردته عنها سهام الدياجى * بدعاء فيها يفسوق النبلا
بعد ما جار في الانام بقتل * من جيوش يدك منها الجبالا
منذ جاروا وبالعوا في أذاهم * قد سألتنا الإله يكشف حالا
فاستجاب الدعاء ومن عايناه * بانفراج الهوم جل تعالى
وأنتنا أخبـاره بزوال * صيرت رشده حقيقا محالا
كم ملوك أذاها به دعر * وسطافهم موأفى الرجالا
لهف قلبى على ملوك تغافوا * من سطا سيفه وطال اشتعالا
ذلت الروم بعدما قددهاهم * موت أستاذهم وشاعوا المقالا
زال عناءه وتهدون حرب * وكفى الله المؤمنين القتالا

وفي ذلك اليوم أشيع موت ابن ملك الأمراء الذى كان مقيماً باسطنبول وكان رهيناً عند ابن عثمان من حين استولى أبوه على نيابة السلطنة بمصر ولما تحقق ملك الأمراء موت السلطان سليم شاه أظهر الحزن والأسف وشق أثوابه ولبس السواد وكذلك الأمير قراموسى ونحير الدين نائب القلعة وفرحات وسائر الأمراء العثمانية لبسوا السواد حتى الأمير قايتباى

الدوا دار لبس السواد ووضع على رأسه شدا أزرق وأظهر الحزن وفي يوم الخميس عشريه
رسم ملك الامراء بأربعة مشاعلية تنادى في القاهرة اثنان يناديان بالتركي واثنان يناديان
بالعربي ترجوا على الملك المظفر سليم شاه وادعوا بالنصر للملك المظفر سليمان شاه فارتجت
القاهرة في ذلك اليوم وتحققوا موت سليم شاه من غير شك وقالوا سبحان من هذا الجبارة وأما
المماليك الجراكسة فتزايد عندهم الفرح والسرور واستبشروا بالفرح كما يقال
* مصائب قوم عند قوم فوائد * فاستمرت الامراء وهم لابسون السواد ثلاثة أيام
متواليه وهم يظهرن الحزن على سليم شاه ابن عثمان وكان موته من الغرائب على حين غفلة
ولو عاش وصفاله الوقت ما حصل لاحد منه خير فكنى الله الناس شره انتهى ما أوردناه من
أخبار دولة الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان وذلك على سبيل الاختصار وقد وقع فيها من
العجائب والغرائب ما لم يقع في غيرها من الدول

ذكر سلطنة الملك المظفر سليمان ابن الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان

وهو التاسع من ملوك الترك وأولاده هم بالديار الرومية من بنى عثمان استولى على الروم
بالقسطنطينية العظمى يوم الاحد ثاني عشر شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس
على سرير الملك بعد وفاة أبيه سليم شاه وصار مملوكا على المملكة الرومية والديار المصرية
وما مع ذلك من الممالك قبل استولى على الملك وله من العمر نحو ثمانية وعشرين سنة وله
أولاد ذكور وبنات وقيل عنه انه من ذوى العقول وفيه أقول

سرنا لما ولي سلطنة * ابن عثمان وصرنا في أمان

وارثا للملك عن أجداده * فهو في الملك سليمان الزمان

(١) وأما ترجته فهو سليمان بن سليم شاه الذي أخذ مصر عنوة بالسيف ثم والده سليم أبو يزيد
ولد سنة احدى وخسين وثمانمائة وولى على مملكة الروم وجلس على سرير الملك يوم السبت
تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة ويوفى سنة ثمانى عشرة وتسعمائة
وكانت مدة سلطنته ببلاذ الروم نحو ثلاث وثلاثين سنة ثم والده السلطان محمد وهو أول
ملك لقب بالسلطان من ملوك الروم ولد سنة خمس وستين وسبعمائة وكانت مدة حياته نحو
ستين سنة ثم والده مراد خان ويدعى غازى أيضا ولد سنة عشر وسبعمائة وكانت مدة
سلطنته بمملكة الروم احدى وثلاثين سنة وعاش من العمر نحو ثمانية وستين سنة ثم والده
أبو يزيد المعروف بيلدرم وبيلدرم باللغة التركية اسم البرق وهو الذى أسره تيمرلنك ووضع

(١) هذه العبارة من أولها الى آخرها فيها مخالفات كثيرة لما ذكر المؤرخون فليكن ذلك معلوما

في قفص من حديد وطاف به في البلاد يهيج عليه وكانت وفاته في القفص الحديدي سنة
 خمس وثمانمائة وكانت مدة مملكته على بلاد الروم تسع سنين أو نحو ذلك ثم أبوه أورخان
 عاش نحو ثمان وستين سنة ثم أبوه علي اردن ثم أبوه عثمان الثاني ثم أبوه سليمان ولد
 في بلاد الروم وكانت مدة استيلائه هو وعثمان الثاني على مملكة الروم من سنة سبع وثمانين
 وستمائة واستمر على ذلك حتى قتل في الغزاة ببلاد الفرنج وخلف ابنه سليمان فهو هؤلاء كلهم
 من نسل عثمان الثاني فأطلق عليهم ملوك الروم من بني عثمان وهم تسعة بالعدد وأما
 بعدهم الكبير عثمان فقال بعض المؤرخين انه ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة وعاش
 تسعا وستين سنة وأن أصله من عرب الحجاز من وادي الصفر بالقرب من المدينة النبوية
 فلما وقع الغلاء بالمدينة خرج منها عثمان فارا إلى بلاد قرمان فترحل هناك وكان شجاعا بطلا
 فتزايروا أهل قونيا وكان ملك الروم يومئذ يد طائفة يقال لهم السلجوقية فصار
 عثمان في خدمة الأمير علي بن قرمان فعظم أمر عثمان عنده ومشى على طريقهم وتكلم
 باللغة التركية وصار له أتباع كثيرة وأعوان وعدة عساكر نحو عشرين ألفا فعند ذلك خرج
 عن طاعة السلجوقية والقرمانية وصار له عدة بلاد افتتحها وصار يغزو بلاد الفرنج في
 كل سنة ويغنم أموالهم ففتح عدة حصون تلي خليج القسطنطينية ولا زال ملك بني عثمان
 يكثر وجنودهم تكثر وأظهروا العدل في الرعية وعمروا التكايا والزوايا والخوانق
 وكان عثمان يحب العلماء ويقرب الصالحاء وكان طويل القامة أسمر اللون أقي الأنف
 وقيل عاش عثمان هذا نحو سبعين سنة ومات شهيدا في بعض غزوات الفرنج وهو جد
 بني عثمان قاطبة قال الشيخ تقي الدين أحمد المقرئ لم يكن في أبناء عثمان من يلقب بملك
 ولا بسultan بل كانوا إذا كانوا منهم أحدهم ملوك مصر وعظمهم يقول لهم الخنكار
 أو الأمير فلان وقال المقرئ انهم ينسبون إلى أبي مسلم الخراساني صاحب دعوة
 خلفاء بني العباس الذي تعصب لهم ونزع الخلافة من يد الاموية وجعلها إلى العباسية
 انتهى ما أوردناه من نسب ابن عثمان وهذا هو النسب الصحيح عنهم والله أعلم بحقيقة
 ذلك ومن هنا ترجع إلى خبر الملك المظفر سليمان بن سليم شاه ابن عثمان فالذي أخبر به
 القوصوني في كتابه ان السلطان سليمان لما جلس على سرير الملك أظهر العدل في
 الرعية فأرسل أحضر الخليفة من المكان الذي كان سجنه فيه والده سليم شاه فأحضره
 إلى اسطنبول كما كان ورتب له في كل يوم ستين درهما وأفرج عن علماء الدين ناظر الخاص
 وعن جماعة كثيرة من المباشرين الذين كان سجنهم والده وأفرج عن جماعة من التجار
 الاعجم الذين كان والده سجنهم وزعم أنهم من عند الصوفي وأخذ منهم حريابنصواني
 عشر ألف دينار فلما آل إليه الملك أفرج عنهم وأعاد لهم الحرية الذي كان أخذهم والده

منهم ورسم لهم بالعود الى بلادهم وذكروا عنده أشياء كثيرة من العدل من هذا النمط وفي يوم الجمعة حادى عشرية رسم ملك الامراء بان يصلى على السلطان سليم شاه ابن عثمان صلاة الغيبة يجامع القلعة وسائر جوامع القاهرة وأن يدعى للسلطان سليمان على المنابر ومضى أمر السلطان سليم شاه كأنه لم يكن وفي يوم السبت ثاني عشرية تودى في القاهرة بالزينة ثلاثة أيام متواليه بسبب سلطنة الملك المظفر سليمان فزينت مصر والقاهرة زينة حافلة حتى داخل الاسواق وغالب الحارات ولا سيما خان الخليلي فان تجارهم زينوا زينة عظيمة وصار الامير على الكيخية والى القاهرة يطوف في كل يوم عدة مرار وقد امه جماعة من الانكشارية وهو ينادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان لا أحد يشوش على أحد من الرعية وصار يأمر بتقوية الزينة ويضرب أصحاب الدكاكين بسبله وفي ذلك يقول الناصري محمد بن قانصوه بن صادق

زينت مصر وأضحت * بعد حزن في تهاني
مذغدت بعد سليم * لسليمان الزمان

ومن الحوادث أن طائفة من الانكشارية قصدوا أن ينهبوا حارة زويلة وقيل جرت العادة عندهم اذا مات السلطان ينهب العسكر حارة اليهود فقصد طائفة الانكشارية أن يفعلوا ذلك فنعهم خير الدين نائب القلعة وقراموسى وفرحات من ذلك فغضبوا منهم وتوجهوا الى بركة الحبش على أنهم يدخلون على حمية وينهبون القاهرة عن آخرها فترددت الرسل بينهم وبين ملك الامراء على انه يتفق على طائفة الانكشارية لكل واحد منهم مائة دينار فتراضوا على ذلك وعلى انه لا يتفق على طائفة الاصباهية ولا الكلية شيئا فتقرر الحال على ذلك ثم في يوم السبت المقدم ذكره أرسل ملك الامراء الى الامير قايتباى الدوادار قفطان حرير صارى وشاش خسينى ثم ان ملك الامراء صار يتراضى نحو اطراف الممالك الجراكسة فانفق عليهم جامكية شهرين دفعة واحدة وصار القاضى شرف الدين الصغير يأخذ بخواطير الممالك الجراكسة أيضا ويخطبهم يا أغاوات بعدما كان يقول يا كلاب يا زرايين وقد أقامت الممالك الجراكسة صدورها من حين سمعوا بعوت سليم شاه ابن عثمان وفي يوم الاثنين رابع عشرية أشيع ان طائفة الاصباهية وقفوا الى ملك الامراء وقالوا مثل ما أنفق على الانكشارية أنفق علينا أيضا فقال لهم الانكشارية مما ليك الخسكار وأنتم خدامه وما عندى ما أنفقه عليكم فنزلوا من عنده على غير رضا وأشيع أنهم يقصدون نهب الزينة فبادر الناس بفك الزينة ووقع الاضطراب في ذلك اليوم وفي يوم الثلاثاء خامس عشرية أنفق ملك الامراء على الانكشارية فقط فأعطى لكل واحد منهم أربعين أشرفيا ذهبيا تصرف بمائتين أشرفيا فضة وأعطى الصوباشية أغوات

الانكشارية لكل واحد منهم مائة دينار فشق ذلك على الاصباهية والكلية وأشيع اقامة
فتنة وفي يوم الاربعاء سادس عشرية حضر قاصد من عند نائب الشام الامير جان بردى
الغزالي يقال له خشة قدم اليحياوى وهو أحد الامراء العشر اوات بدمشق وكان أمير جكار
عند قانصوه اليحياوى فلما حضر بين يدي ملك الامراء دفع اليه مطالعة نائب الشام
جان بردى الغزالي ومطالعة الى الامراء فلما قرئت اضطربت أحواله ولم يعلم ما فى تلك
المطالعات فانزلوا القاصد فى بيت الامير جانم الجزاوى فأقام عنده فى الترسيم وهو محتفظ به
ثم أشيع أن ملك الامراء من حين حضر قاصد نائب الشام الغزالي وهو منسكد وشرع فى
تحصين قلعة الجبل وركب على أبراجها المكاحل ووزعت أعيان الناس أمتعتهم فى
حواصل وتزايد القيل والقال بين الناس فى أمر جان بردى الغزالي نائب الشام وأشيع
عصيانته بالشام وقد جمع من العساكر ما لا يحصى ثم فى يوم الخميس سابع عشرية رسم
ملك الامراء ان طائفة الانكشارية يقيمون فى القلعة فى الطباق ولا ينزلون الى المدينة وان
طائفة الاصباهية يسكنون حول القاعة وبالقرب من بيت قراموسى ففعلوا ذلك وفى يوم
الجمعة ثامن عشرية خرج قاصد من عند ملك الامراء يقال له أمير شيخ فأرسل على يديه
مطالعات الى السلطان سليمان بن عثمان يعزى به فى والده السلطان سليم شاه ويهنيه باستقراره
فى الملك عوضا عن أبيه ثم أشيع أن ملك الامراء أرسل قاصد نائب الشام وهو خشقدم
اليحياوى الذى حضر وعلى يديه المطالعات فأرسله الى السلطان سليمان وصحبه ثلاث
المطالعات الواردة من عند نائب الشام فقبل أرسله فى الحديد وتوجه أمير شيخ الى البحر الى
نغر الاسكندرية ومن هناك توجه من البحر المالح الى اسطنبول ثم أشيع بعد ذلك ان
القاصد قد أغرقوه تحت الليل وكان اخراعه دبه والله أعلم بحقيقة الحال وبما استفاد
بين الناس من أمر واقعة نائب الشام جان بردى الغزالي انه تسلطن بالشام وقبل له العسكر
الارض وخطب باسمه على منابر دمشق وضربت السكة باسمه على الذهب والفضة فلما
تحقق ملك الامراء ذلك أرسل يعلم السلطان سليمان بن عثمان بما وقع من نائب الشام
من سلطنته بالشام وأرسل اليه المطالعات التى وردت عليه بما جرى منه وصار الامر موقوفا
على الجواب عن ذلك وقد تحقق عصيان نائب الشام وخروجه عن الطاعة وفى شهر ذى
الحجة وكان مستهل يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر
فلما تكامل المجلس أحضر ملك الامراء مصحفا شريفنا ووضع على كرسي وحضرت الامراء
الچراكسة والامراء العثمانية فتقدم الامير ارزمك الناشف وحلف أنه يكون تحت طاعة
السلطان سليمان كما كان تحت طاعة والده سليم شاه وانه لا يخون ولا يغدر ولا يخامر
عليه خلف على ذلك بحضرة القضاة الاربعة ثم تقدم الامير قايتباى الدوادار خلف بمعنى

ما حلف به الامير ارزمك الناشف ثم صارت الامراء الجرا كسة يحضرونهم - م اثنتان اثنتان
ويحلفون على المصحف بمعنى ذلك ثم قام شخص يقال له قراجا الطويل وقال يا ملك الامراء
متلما حلفنا لامراء العثمانية يحلفون لنا هم أيضا فقال ملك الامراء واجب علينا ذلك
فتقدم ملك الامراء وحلف على المصحف وأوسع في الفاظ الحلف وأكد في ذلك ثم تقدم
قرا موسى وحلف على المصحف وكذلك فرحات وخير الدين نائب القلعة والكيفية الكبير
اغاث الانكشارية فلما تكامل الحلف رسم ملك الامراء أن ينادى في القاهرة بالعربي
والتركي بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان التجار تفتح دكاكينها وان لا أحد يكثر
كلاما ولا يدخل فيما لا يعنيه ولا يتقل له قاشا الى داره والدعا بالنصر للسلطان سليمان ابن
عثمان فلما نودي بذلك سكن الاضطراب الذي كان بين الناس قليلا وفي ذلك اليوم عرض
على ملك الامراء شخص من النصارى قيل عنه انه وقع في حق النبي صلى الله عليه وسلم
بكلام فاحش وشهد عليه بذلك فحكم القاضي الحنفي بقتله فضرب عنقه تحت شباك
المدرسة الصالحية ثم ان العوام أحرقوه بالنار حتى صارت جثته رمادا ومن الحوادث
الغريبة وال نوادر العجيبة انه أشيع أن بحر النيل زاد في هذه الايام بعد ما قدم مضى من
هاو ترصفه نحو ثلاثة أذرع حتى قيل بقي على علام الوفا ستة عشر أصبعافعد ذلك من
ال نوادر الغريبة التي لم يقع مثلها فيما مضى من الزمان ولم يحصل بهذه الزيادة نفع للناس بل
أغرقت الزروع التي زرعت على الشطوط والامتعة وهذا من جلة عجائب صنع الله تعالى
فكان كما يقال في المعنى

النيل أفرط فيضا * بفيضه المتتابع

فصار عما دهانا * حديثا بالاصابع

ثم أشيع من بعد ذلك أن النيل قد دخل الى خليج الزيرية من عند قصر ابن العيني فتطير
الناس من ذلك ثم أشيع ان الماء دخل الى الخليج الناصري وفاض حتى دخل الى بركة
الرطلي وغرق الزرع الذي كان به فعد ذلك من النوادر الغريبة وأشيع أن جهات المنوفية
غرق ما كان زرع بها وهي عدة أفدنة كثيرة وكذلك غرق غالب البراسيم التي بالجيزة وما
حصل بهذه الزيادة للناس خير وفيه أفرج ملك الامراء عن نجم شيخ العايد وخلع عليه
وأعاده في مشيخة العايد كما كان أولا وخلع على أربعة أندار من عربان السوالم وقرر معهم
أن يجمعوا من العربان ما يقدرون عليه بسبب ملاقاته نائب الشام جان بردي الغزالي فانه
تزايدت الاخبار بسلطنته بالشام وقد تلقب بالملك الاشرف صاحب الفتوحات وزينت
له دمشق ثلاثة أيام وأوقدت له الشموع على الدكاكين وقبل له الامراء الارض وقد جمع
العسكر الكثير وهو قاصد نحو الديار المصرية وفي يوم الاربعاء ثالث شهر ذي الحجة توفي

الامام العالم العامل شيخ الاسلام والمسلمين مفتي الانام في العالمين بقية السلف وعمدة الخلف عالم الوجود على الاطلاق ومن ذكره قد شاع في الآفاق فهو آخر علماء الشافعية بالديار المصرية وانتهت اليه رئاسة الشافعية فهو شيخ الاسلام زين الدين زكريا بن محمد ابن محمد الانصارى السنيكي الشافعي رحمة الله عليه كان مولده في سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات وله من العمر مائة سنة وستين بعدها وكان رئيسا حاشما في سعة من المال وولى قضاء الشافعية في دولة الاشرف قايتباي وأقام بها نحو عشرين سنة ومات وهو معزول من القضاء وقد كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة وحضر مبايعة خمسة من السلاطين وهم الناصر محمد بن قايتباي وخاله الظاهر رقا نصوه والاشرف جان بلاطو والعدل طومان باي والاشرف الغوري وولى تدريس قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه وولى في آخر عمره مشيخة مدرسة الجمالية وكان يده عدة تداريس وألف الكتب الجليلة في العلوم المفيدة وأفقي ودرس بالقاهرة نحو ثمانين سنة وانتفع منه غالب الناس وخلف ولدا ذكرا من جارية سوداء فلما بلغ ملك الامراء وفاته أرسل اليه ثوبا بعلبكيا وخمسين دينارا على يد الامير جانم الجزاوي وحضر غسله وتكفينه والصلاة عليه وأخرجت جنازته من عند المدرسة السابقة ومشى في جنازته قضاة القضاة وأعيان الناس وصلوا عليه في سبيل المؤمنين ونزل ملك الامراء وصلى عليه وحمل نعشه من سبيل المؤمنين أول ما طلعوا وكانت جنازته حافلة فلما صلوا عليه توجهوا به الى مقام الامام الشافعي رحمة الله عليه ودفن عند الشيخ محمد الحبشاني تجاه قبر الامام الشافعي رضى الله عنه فكان أحق بقول القائل حيث قال

لقد عظمتم رزيتنا فنبه * لها عم — را ونم جنح الليالي
فلا زالت ذو والاق — دار تلقي * من الايام أنواع السكال
وكم جذت المنون على رجال * وجندلت الكماة بلاقتال
وداني ليس يشفيه دواء * وجرى لا يئول الى اندمال
به الايام — كانت قصارا * فويلي من لياليها الطوال
وكان ذنحيرتي فيها وكثرى * وكان هدايتي عند الضلال
لقد درست دروس العلم حزنا * وقد ضل الجواب عن السؤال
ودق الناس أبواب الفتاوى * وقد وصلوا الى باب الصيال
بكال العلم حتى التكوأضحى * مع التصريف بعدل في جدال
بكت أوراقه بيض المواضي * دما ويرا — سم العوالى
وعين دواته عمشت وآلت * عينا لا تداوى بال — كتحال
تذكرت المعارف في عياني * وتميزى غدا في سوء حال

وما عوّضت من بدل وعطف * سوى تو كيد سقى واعتلال
 فيا قبر أثوى في—هتهنى * فقد حرت الجليل مع الجمال
 سقاء الله عيننا سلسبيل * وأسبغ ما عليه من الظلال
 وبؤاه من الفردوس فضلا * ورقاه الى الغرف العوالى

وفي يوم الاربعاء المقدم ذكره توفي الشيخ شمس الدين محمد البساطى الشاهد الذى قطع ملك
 الامراء يده فراح ظلم ابلا ذنب أوجب ذلك وأشيع أن ملك الامراء أرسل اليه مائة دينار
 على انه يحال له على ما وقع منه فأبى من أخذ المائة دينار وقال حتى أقف أنا واياهم بين يدي الله
 تعالى وقيل ان يده التى قطعت استمرت عنده الى أن مات فدفنت معه فمات شهيدا وفي يوم
 الثلاثاء تاسع ذى الحجة قدمت على ملك الامراء اخبار رديئة بان العربان نزلوا على قطيا
 ونهبوا ما فيها واستمر النهب عمالا من قطيا الى الخطادة وطفشت العربان فى الشرقية
 واضطربت أحوالها وأشيع أن شيخ العرب أحمد بن بقر أرسل حريمه وأدخلهم الى القاهرة
 ووزع أمواله وقاشه ومواشيه خوفا من النهب فى البلاد وقد وردت عليه أخبار غير
 صالحة وصار القيل والقال فى كل يوم عمالا بين الناس والاخبار الكذب أكثر من الصدق
 وفي يوم الاربعاء عاشره كان عيد الحرف فوقع فى هذا العيد أمور غريبة بسبب الاضحية فبلغ
 سعر كل بقرة فوق الثلاثين دينارا وشئ منها يبيع باربعين دينارا ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم
 من الزمان ويبيع الحروف الكبير عشرة أشرفية وشئ يائى عشرة فعد ذلك من النوادر
 الغريبة وسبب هذا أن الأشراف الذهب العثمانى صار يصرف بخمسين نصفان من الفضة
 وأما الماملة من الفضة فان غالبها نحاس وأكثرها غش فوقف حال الناس بسبب ذلك وصار
 الشئ يباع بمثلين وصار كل من البضائع وغيرها يباع باغلى الاثمان وموجب ذلك قلة
 البقر والاغنام فى هذه الايام وصارت الابقر تجلب الى دمشق وتباع هناك باغلى الاثمان
 فان الابقر التى بدمشق دخل فيها الثناء وقل نسلها هناك جدا وفى يوم الاثنين خامس عشره
 خرج الامير ناصر الدين محمد الجلبى المهمندار وتوجه الى نحو نغرا الاسكندرية بسبب
 تفقد الابراج التى هناك خوفا من القرصنة أن يطرقوا النغر على حين غفلة وقد ترايد عبث
 النرج فى البحر المالح وقد طمعوا فى أخذ البلاد من حين مات السلطان سليم شاد ابن عثمان
 وفيه أشيع أنه حضر ساع من البلاد الشامية وعلى يده مطالعة الى ملك الامراء فقال له ان
 كان معك مطالعات الامراء فاظهرها علينا فانكر الساعى ذلك فحنق منه ملك الامراء وضربه
 ضربا مبرحا وجننه وهو لم يقرب شئ من المطالعات وفى يوم الجمعة تاسع عشره أشيع ان أمير
 شيخ الذى أرسله ملك الامراء الى السلطان سليمان ابن عثمان بهنيه بالملك ويعزى به فى أبيه
 السلطان سليم شاه أنه رجع الى نغرا الاسكندرية وأنه وجد البحر المالح قد امتلأ بجراكب

الفرنج فلم يستطع التوجه منه الى اسطنبول ورجع الى نغرا الاسكندرية وأرسل يعلم ملك الامراء بما وقع له وفي يوم الاحد حادى عشر به نزل ملك الامراء الى الميدان الذى تحت القاعة وعرض سنيحه وعرض العربات وهى العجلات التى صنعها وفرق على الممالك سلا حاورما وغير ذلك ورسم لهم بان يعملوا برقههم بسبب ملاقاته نائب الشام الامير جان بردى الغزالى ورسم للعسكر العثمانى أن يعملوا برقههم أيضا وفي يوم الاثنين ثانى عشر به رسم ملك الامراء للممالك الجرا كسة بان يعملوا برقههم أيضا ويجهزوا أموالهم بسبب السفر فتوجهوا الى سوق القبول وجامع قوصون واشتروا ما يحتاجون اليه بسبب السفر وأشيع أن ملاك الامراء أمر طائفة الاصباغية والكلية بأن يخرجوا الى الصالحية و يقيموا بها الى أن يخرج العسكر فامتنعوا من ذلك وقالوا نحن لا نخرج الا فى ركاب ملك الامراء اذا خرج وان لم يخرج ما نخرج فوقع الخلاف بينهم فى هذا الامر وكثر القال والقال بين الناس وان ملك الامراء أنفق على الانكشارية وأعوانهم ولم ينفق على الاصباغية ولا على الكلية شيئا فحنقوا منه وفيه أشيع أن اليهود حوّلوا جميع قاشهم من حارة زويلة وبنوا على أزقتها نحو خاقصار وقد أخذوا حذرهم من النهب وكذلك أعيان المباشرين وأن شخصا من الامراء العشر اوات يقال له جان قليج وهو الذى كان نائب قطيا حضر فى مجلس لهو فلما سكر نقي من ملك الامراء كلاما لم يقله فلما بلغ ملك الامراء ما قاله جان قليج رسم للامير قايتماى الدوادار بان يدع جان قليج عنده فى الترسيم حتى يعرضه عليه ويحقق ما قاله عنه فاستمر فى الترسيم عند الامير قايتماى وفيه أشيع أن ملك الامراء ملا الصهاريج الكبار التى بباب السلسلة وملا عدة صهاريج بقلعة الجبل وأخذ فى تحصين القلعة بكل ما يمكن وطلع الى القلعة باجمال بقسمات وأرزوق وشعير ودقيق وغير ذلك وأرسل طلب من ابن قريبط المتحدث على شبرى خمسين ثورا من النيران الكبار بسبب سحب المكاحل التى على العجل والعربات وأشيع أن ملك الامراء طلب شيخ المغاربة وقال له احضر لى ألقى مغربى من شجيمان المغاربة وهذه الواقعة تقرب من واقعة السلطان جان بلاط لما تسلطن العادل طومانباى بالشام ودخل هو وقصره نائب الشام الى القاهرة وقد تقدم ذلك فى الجزء الثانى وكان الاشرف جان بلاط حصن القلعة أعظم من هذا الحصين ولم يفده منه شيء وانكسر وأخذت منه قلعة الجبل فى خمسة أيام ثم قبض عليه ونفى الى نغرا الاسكندرية وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر به نودى فى القاهرة بان أولاد الناس ومن عصر من الاروام يطلعون الى القلعة للعرض بين يدي ملك الامراء فصار جماعة من خان الخليلي من الطبائخين ومن يعمل السراميج ومن يعمل السنبوسك يطلعون الى القلعة ويكتبون أسماءهم فى الديوان ويسمون أنفسهم الكلية ويتزيون بزيتهم وصار العسكر ملفقا من سائر

الطوائف والاجناس فني سبيل الله خيار السبيل ثم ان طائفة الاصباهية والكلية تغلبوا على ملك الامراء وقالوا نحن ما نخرج الى قتال نائب الشام الا برسوم من عند السلطان سليمان ابن عثمان ونحن ما علينا الا حفظ درك القلعة والمدينة فان دخل اليينا نائب الشام حاربناه فوقع الخلف بين العسكر العثماني وبين ملك الامراء بسبب ذلك وكان من حين توفي السلطان سليمان بمملكة الروم لم يرسل الى ملك الامراء خلعة الاستمرار فطمع فيه كل أحد بسبب ذلك وصارت الاخبار في كل يوم ترد على ملك الامراء بان جان بردى الغزالي نائب الشام قد زحف وخرج من الشام في عسكر كثيف وقصد نحو الديار المصرية ومعه طائفة كثيرة من الاكراد ومن عربان جبل نابلس ومن عربان بني عطاء وبني عطية وغير ذلك من طوائف العربان وغيرهم من عساكر دمشق وفيه قدمت الاخبار بان عربان بني عطاء وبني عطية اتفقا مع عربان طائفة السوالم وكسروا طراباي بن قراجاشيخ عربان جبل نابلس وكان ملك الامراء خلع عليه وعلى جماعة من مشايخ عربان جبل نابلس وأنعم عليهم بمال له صورة على أنهم يلاقون جان بردى الغزالي ويحاربونه قبل أن يدخل الى القاهرة وفيه قدمت الاخبار بأن جماعة من عربان الغربية ناروا على كاشف الغربية فهرب منهم وأرسل يع لم ملك الامراء بذلك ليعين له ثم تجريدة وفيه حضر شيخ العرب بيبس بن بقر وقابل ملك الامراء فخلع عليه وكان أشيع عصيانه وفيه عرض ملك الامراء من بالسجون فاطلق منهم م عشرين انسانا وقيل صالح جماعة منهم م ممن عليهم م الديون وقام بذلك من ماله وفيه قبض ملك الامراء على شخص من الغلمان كان عند جان بردى نائب قطيا الذي تسحب منها فلما قبض عليه ومثل بين يديه قال له أخبرني عن أحوال الغزالي كيف تساطن فقال ما عندي منه علم وكان أشيع عن ذلك الغلام أنه أتى من عند الغزالي بمطالعات الى الامراء الذين بالقاهرة فلما أنكر الغلام ذلك حنق منه ملك الامراء ورسم بتوسيطه فوسطه عند باب السلسلة قريب المغرب ومضى أمره وفي يوم الخميس خامس عشرية حضر مبشر الحاج وأخبر أنه حصل للحجاج مشقة عظيمة بسبب الغلام في سائر الاصناف والبضائع ومات من الحجاج جماعة كثيرة وأشيع الشفاء الجميل على أمير الحاج جانم الكاشف وفيه قدم الخبر بان نائب الشام جان بردى الغزالي توجه الى حلب بمن معه من العساكر وحاصر المدينة أشد المحاصرة وقد حاربها أهل حلب وتعضبوا عليه ولم يمكنوه من أخذ المدينة وقد انفصلت هذه السنة عن الناس وهم في أمر مرير من استمرار الغلاء مع قلة الأمن والفتن القائمة في البلاد الشامية والحلبية وكثرت القتل والقتل بين الناس بسبب جان بردى الغزالي فانه أشيع عنه أنه تساطن بالشام وتلقب بالملك الأشرف ومن معظم حوادث هذه السنة موت الخنكار سليم شاه ابن عثمان فان موته كان من العجائب والغرائب

ولا سيما ما جرى منه في حق أهل مصر من الفعائل الشنيعة مما تقدم ذكره ومن لطائف
 صنائع الله تعالى أنه لم يقع في هذه السنة طاعون ولا غيره في البلاد الشامية ولا أعمال الديار
 المصرية انتهى ما أوردناه من أخبار سنة ست وعشرين وتسعمائة
 ثم دخلت سنة سبع وعشرين وتسعمائة فاستهل المحرم يوم الأربعاء فطلع القضاة
 الأربعة إلى القلعة وهنؤا ملك الأمراء بالشهر والعام الجديد ثم عادوا إلى دورهم
 وفي ذلك اليوم حضر قاصد من عند السلطان سليمان نصره الله تعالى وعلى يده مراسيم
 شريفة فكان من مضمونها أن ملك الأمراء خير بك على عادته في التيابة بالديار المصرية
 ثم أنه أشيع أن السلطان سليمان أرسل يقول لملك الأمراء أنه عين تجريدة عظيمة إلى نائب
 الشام جان بردى الغزالي وأرسل يقول لا تخرج تجريدة نحن نكشفك أمره وفيه قدمت
 الأخبار بأن جاليش عسكر نائب الشام لما توجه إلى حلب وحاصر المدينة أنكر ذلك
 الجاليش ثم أشيع أن عربان الكرك قد استولوا على مدينة الكرك ورفعوا يد جماعة نائب
 الشام وقد انتدب إلى محاربة جان بردى الغزالي شخص من عربان جبل نابلس يقال له
 جغيا شيخ عربان الكرك وفي رابع الشهر وقعت كائنة عظيمة لشخص من الأتراك يقال له
 اياس قيل أنه من مماليك الأمير يشبك الدوادار رسم ملك الأمراء بتوسطه فوسط في
 الرمي له وكان سبب ذلك أنه كان في مجلس أهو وحضر في ذلك المجلس جماعة من
 الأصباكية فخط اياس في الكلام مع الأصباكية في ذلك المجلس فقال بلغني عن ملك الأمراء
 أنه يقصد أن يتسلطن بمصر كما تسلطن الغزالي بالشام فلما حضر جماعة من الأمراء
 العثمانية عند ملك الأمراء قالوا له بلغنا أنك تقصد أن تتسلطن بمصر كما تسلطن الغزالي
 بالشام فقال لهم ومن نقل عن ذلك قالوا شخص من الأتراك يقال له اياس فأمر بإحضاره
 فلما حضر قال له من قال لك عني أني أقصد أن أتسلطن فقال له اياس أنا سمعت ذلك من
 العوام فقال له ملك الأمراء أحضري من نقل عن ذلك فأنقذ اياس ووثقه من ذلك
 واضطربت أحواله وصار لا يدري ما يقول فأخذ الأمير قايتباي الدوادار يرفع له خاله
 فطفش فيه ملك الأمراء وكاد أن يفتك به ثم إن ملك الأمراء رسم للوالي بأن يقبض على
 اياس المذكور فقبض عليه ونزل به من القلعة إلى الرميلة فوسطه بسوق الخيل وراح ظمأ
 من غير ذنب يوجب عليه ذلك فإن أكثر الناس كانوا يخطون في ذلك من حين أشيع سلطنة
 جان بردى الغزالي بالشام واستمر اياس مرصيا في الرميلة والكلاب تنهش بجنه في الليل
 ورسم أن لا أحد يدفنه وكان اياس شيخا مسنونا وله أولاد وعمال ولكن اشتد غضب ملك
 الأمراء عليه في ذلك اليوم فعد ذلك من مساوي ملك الأمراء وفي يوم الثلاثاء سابعه وقع
 من ملك الأمراء ما هو أشنع من ذلك وهو أنه رسم بتوسط محمد بن شمس الدين محمد الفرغوي

وسبب ذلك أن ابن الفروى قبض على فلاح وسجنه فانه كان مباشرا وقف السلطان حسن
 فلما سجن ذلك الفلاح حمل بعض أقارب الفلاح على الفروى شخصاً من العثمانية فكلم
 الفروى في خـلاص ذلك الفلاح فلم يوافق ابن الفروى على اطلاقه فاغلظ عليه العثماني
 في القول وسببه فقال ابن الفروى عن قريب يحضر جان بردى الغزالي نائب الشام
 وتخرجون على ايشمه فطلع العثماني وشكا الى ملك الامراء ما قاله فاحضر ابن الفروى
 وقال له **ك**يف تقول عن قريب يحضر الغزالي ويتسلطن بمصر فأنكر ابن الفروى
 ذلك فأحضر العثماني جماعة ممن كانوا حاضرين فشهدوا على ابن الفروى بأنه قال ذلك فخلق
 منه ملك الامراء ورسم بتوسيطه فوسط في الرملة وراح ظمأ كما وقع لياس وكان ابن
 الفروى هذا من أعيان الناس امام الامير اقبندى الدوادار والامير يشبك اله وادار وفيه
 صار ملك الامراء يتصدق على الاطفال بالمكاتب قاطبة لكل طفل أربعة أنصاف فنشرك
 ماله صورة وصارت الاطفال يقرؤن له الفاتحة ويهدون في صحيفة ملك الامراء وصار
 يتصدق على الزوايا والمزارات التي بالقرافة ويتصدق على المجاورين بالجامع الازهر فقليل
 انه صرف من ماله في هذه السنة نحو خمسة مائة دينار وفيه عزل كاشف الشرقية اياس
 واستقر عوضه شخص من الاتراك يقال له جانيك وقد تقدم أنه ولي كشف الشرقية قبل
 ذلك وفي يوم الخميس ثالث عشر بطرق ملك الامراء أخبار رديئة بان العربان قد زحفوا
 على قطيا وقد وصلوا الى الصالحية فتسكدهم ملك الامراء لذلك وعين لهم تجريد فخرج اليهم
 طائفة من الاصباهية وطائفة من الكلمية فتوجهوا اليهم على الفور من يومهم وكثر القاتل
 والقتيل بسبب العربان وغيرهم وفي يوم الاحد سادس عشرى المحرم دخل الحاج الى القاهرة
 مع الامن والسلامة صحبة الامير جانم أمير ركب المحمل ودخل قاضي المحمل الشيخ أبو الفتح فتح
 الدين الوفاقي المالكي ودخل صحبته الشيخ شرف الدين يحيى بن البرديني شيخ الحرم النبوي
 وكان السلطان سليم شاه قرره في مشيخة الحرم النبوي فسعوا عليه فعزل واستقر به الامير
 بكاي كما تقدم ذكر ذلك فلما عزل الشرفي يحيى بن البرديني عن مشيخة الحرم حضر صحبة
 الحاج وأشيع أن الحاج قاسي في الرجعة غاية المشقة من الغلاء وموت الجمال وتعرضت
 لهم جماعة من العربان فتقاتلوا مع الامير جانم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة
 فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جانم وأثنوا عليه بكل جميل وشالوا له الراية البيضاء
 في بركة الحاج وفي شهر صفر وكان مستهل يوم الجمعة صعدا للقضاة الاربعة الى القلعة وهنوا
 ملائكة الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفيه جاءت الاخبار بان الاصباهية والكلمية
 الذين توجهوا الى الصالحية بسبب محاربة العربان ظهر منهم غاية الفساد وصاروا ينهبون
 الضياع التي حول بليس والصالحية يأخذون ما فيهم من الدجاج والاوز والشعير والتبن

فضج أهل الضياع من ذلك فأقن الفلاحون وشكوا إلى ملك الأمراء أن التريكان نهبوا
مغلهم وفسقوا بنسائهم وبناتهم فلما بلغ ملك الأمراء ذلك أرسل خلف الأصبا هية
والكلية فحضروا إلى القاهرة ولم يحصل لهم نفع وفيه رسم ملك الأمراء بشئ شخص
يقال له الحاج ياقوت وكان من جملة تجار الزرايين وله شهرة وهو في سعة من المال فقتل من
غير ذنب بوجوب ذلك وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى بولاق وكشف على
المرآكب التي عمرها غنائم فازلواها إلى البحر قدمه ثم رجع وشق من القاهرة وارتفعت له
الاصوات بالدعاء وكان يوماً مشهوداً وفيه خرج الأمير جان بك أخو الأمير قايتباي
الدوادار فتوجه من البحر وسافر نحو البلاد الشامية ليكشف أخبار نائب الشام جان بردي
الغزالي وغير ذلك من الأشغال السلطانية وفيه انقطعت الأخبار من البلاد الشامية
وامتنعت القوافل والمسافرون من الدرب السلطاني وانكمت أخبار نائب الشام جان
بردي الغزالي واستمر على ذلك ثلاثة أشهر وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ومنع
القوافل وجلب البضائع من البلاد الشامية واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت فطلع
القضاة الأربعة إلى القلعة وهنؤا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم وفي يوم الثلاثاء
رابعه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى بركة الحبش والبريم فأقام هناك إلى ما بعد
الظهر فإرسل القاضي بركات بن موسى المحتسب خمسة رجال ما بين خرفان شوي وحلوى
وفاكهة وغير ذلك من مجامع نعمهم أمانوية وسنبوسك بسكر وغير ذلك أشياء فاخرة ثم إن
ملك الأمراء نزل من هناك في الحراقة وتوجه إلى الروضة وكشف على المرآكب التي عمرها
هناك ثم شق من البحر وطلع من عند قصر ابن العيني وتوجه من هناك إلى القلعة فانطلقت له
النساء بالزغاريت من الطيقان وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية ومن الوقائع اللطيفة ما وقع
في يوم الأحد التاسع الشهر وذلك أنه وقع بين شخص من أرباب الفن يقال له محمد الأوجاق
ويعرف أيضاً بالشرابي وشخص يقال له محمد بن سرية فوقع بينهما مارهان في فن المويسيق
فقال محمد بن سرية أنا أعرف قطعة من الفن ما سمعها أحداً من أهل مصر قط فقال محمد
الأوجاق إن كان حقا ما تدعيه فنجتمع مشايخ أرباب الفن ونجتمع مغاني البلد قاطبة
ويكون ذلك يوم الأحد في وسط بركة الرطلي وكان ذلك في زمن الربيع فلما كان يوم الأحد
يوم الميعاد حضر جماعة من أرباب الفن وحضر مغاني البلد قاطبة وأتوا إلى بركة الرطلي
فجلسوا في وسطها واجتمع هناك الجلم الكثير من المتفرجين وكان ذلك اليوم مشهوداً فغنى
كل واحد من المغنين في ذلك اليوم نوبة من أحسن ما عنده من الغناء وابتهج الناس في ذلك
اليوم غاية البهجة وأما محمد بن سرية فإنه احتج بأنه ضعيف ولم يحضر وقال الرهان باق إلى
يوم الأحد الثاني فظهر عليه العجز ولم يف بمآدعاه مما تقدم فكان كافي

كل من يدعي بما ليس فيه * كذبه شواهد الامتحان

فانفض ذلك الجمع وعند ذلك اليوم من النوادر في الفرجة والقصف وفي يوم الاثنين عاشره
 اشيع أن قاصدا حضر من عند السلطان سليمان وعلى يده خلع الاستمرار الى ملك الامراء
 حضر القاصد وصحبته الامير شيخ والامير على المحضر و برسباى استاد دار العصبة مملوك ملك
 الامراء الذي كان أرسله الى السلطان سليمان بن عثمان يهنئه بالملك ويعزيه في موت أبيه
 السلطان سليم شاه فلما حضر طلعوا الى القلعة ومعهم مرسوم مختوم من عند السلطان
 سليمان بن عثمان فاجتمع بالقلعة الامراء العثمانية والامراء الجراكسة وقرئ عليهم مرسوم
 السلطان سليمان وهو مكتوب باللغة التركية فكان من مضمونه أن السلطان أرسل
 يقول لملك الامراء انه فوض اليه نيابة مصر وما معها من الثغور والاعمال يعزل من يعزل
 ويولي من يولي ولم يرسل اليه خلع الاستمرار فعزل ذلك على ملك الامراء وكثر بسبب ذلك
 القيل والقال بين الناس وفي يوم الثلاثاء حادي عشره كان المولد الشريف النبوي بالقلعة
 على حكم ما ذكرناه في السنة الماضية وفي يوم الخميس ثالث عشره نودي في القاهرة عن اسان
 ملك الامراء خاير بك بأن من كان له حاجة الى الشام أو غزاة يتوجه الى هناك فان الدرب
 السلطاني قد انفتح وكان الدرب السلطاني له نحو أربعة أشهر لم يسلط ولم تجب منه القوافل
 حتى عزت البضائع التي كانت تجلب من هناك وذلك بسبب عصيان نائب الشام جان بردى
 الغزالي وأشيع ان جماعة من العربان أوقعوا مع جان بردى الغزالي وانكسر منهم وهرب
 فقصد ملك الامراء أن يعلم الناس بان الدرب قد انفتح وسلط وفيه خلع ملك الامراء على
 قراموسى أحد امراء ابن عثمان وقرره في نيابة غزاة فخرج اليه في يوم الخميس وسافر وفيه
 قدمت الاخبار من الشام بأن السلطان سليمان بن عثمان أرسل الى نائب الشام جان بردى
 الغزالي عساكر عظيمة وصحبتهم ابن سوار فاوقعوا مع الغزالي في ثاني عشرى صفر وكان
 بين الفريقين واقعة مهولة على حلب فانكسر منهم وهرب الى حماة فتبعوه واقتتلوا معه
 ففر منهم وهرب وقصد التوجه الى الشام وقطع قناطر الرستى فتبعوه فكان بين الفريقين
 واقعة عظيمة خارج مدينة دمشق فقتل في تلك المعركة نحو عشرة آلاف انسان وقيل أكثر
 من ذلك ما بين عربان ومماليك وجماعة من عوام الشام وفيهم أطفال وصغار من أهل
 ضياع الشام وغير ذلك ممن حضر تلك الواقعة فكانت هذه الواقعة تقرب من واقعة تترامك
 لملك الشام وجرى منه ما جرى من قتل ونهب وسبي وحرقت ضياع وما أبقوا في ذلك ممكنا
 وليس الخبر كالعيان والذي قتل تحت أرجل الخيل لا ينحصر و آخر الامراء انكسر نائب
 الشام الغزالي كسرة مهولة وقبض عليه وقتل وحزت رأسه وأرسلت الى اسطنبول مع رؤس
 جماعة من أصحاب الغزالي ممن كان من عصيته ونهب وطاقه وبركه عن آخره وكانت

من الوقائع العظيمة التي لم يسمع بمثلهما وكانت مدة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين وأربعة أشهر إلا أياما و زال كآته لم يكن وكان الغزالي عنده رهب وخفة زائدة أهوج الطبع ليس له رأى سديد رهاج في الامور ليس له تأمل وكان ولي نيابة الشام وهو في غاية العظمة والحرمة الوافرة والكلمة النافذة وقد أصحح الجهات الشامية في أيامه حتى مشى الذئب والشاء سوا كما يقال في المعنى

يا أيها الملك الذي سطواته * في البيد يخشى ذئبها من شاتها
ولما كان بالشام التف عليه بالجمل الكثير من العساكر ما بين عربان جبيل نابلس والكرك وغير ذلك والتف عليه جماعة كثيرة من المماليك الجرا كسة وصاروا يخرجون من مصر في الخفية ويتوجهون اليه والتف عليه طائفة من الاكراد والتركان حتى اجتمع عليه اثنا عشر ألف مقاتل وفيهم رماة بالسند والرصاص نحو خمسة مائة رام وقيل أكثر من ذلك فعند ذلك حدثتة نفسه بالسلطنة وثورته بالجهلة قد سلطان وتلقب بالملك الاشرف وقبلوا له الارض هناك وخطب باسمه على المنابر في جمعتين بدمشق وكل ذلك عين الغلط منه وكم من عجلة أعقبت ندامة فكان كما قيل في المعنى

والنفس لا تنهى عن نيل مرتبة * حتى تروم التي من دونها العطب
ولما تحقق ملك الامراء أن الغزالي قد تسلط بالشام وقبلوا له الارض هناك اضطربت أحواله وسرت المماليك الجرا كسة بذلك واستبشروا بالفرج ويا فرحة مامت (أقول) وكان أصل جان بردى الغزالي من مماليك الاشرف قايتباى اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة المماليك السلطانية ثم ان الامير تغرى بردى الاستادار قرره شادا في ضيعة بالشرقية يقال لها منية غزال فنسب اليها وقيل له الغزالي مضافا لاسم تلك الضيعة ثم ان الاشرف قايتباى جعله جدارا وقرره في كشف الشرقية ثم بقى أمير عشرة في أواخر دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم بقى محتسب القاهرة في دولة السلطان الغورى ثم قرره في جوية الحجاب بحلب فخرج اليها من يومه وذلك بعد واقعة مصر باى لما انكسر ثم ان الغورى نقله من جوية الحجاب بحلب الى نيابة صفد وذلك في سنة سبع عشرة وتسعمائة ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة حماه الى أن توجه السلطان الغورى الى حلب وانكسر وجرى له ما جرى فرجع الغزالي صحبة العسكر الى مصر فوجه الاشرف طومانباى قد تسلط عن عوضا عن الغورى فاستقر بالغزالي نائب الشام وقد تقدم القول على ذلك فلما ملك السلطان سليم شاه ابن عثمان مصر أقره على عادته في نيابة الشام وجعل له التحديث على الشام وحماه وحصصه صيدا وبيروت وبيت المقدس والرملة والكرك وغير ذلك من الاعمال الشامية والطارا بلسية فلو وقع بذلك لكان خيرا له فكان كما يقال في الامثال السائرة

من شرب بكأس الطمع شرقبه وفي يوم الاحد ثالث عشر به قدمت الاخبار بانه وصل
قاصد من عند السلطان سليمان ابن عثمان فلما تحقق ملك الامراء ذلك نزل من القاعة
وتوجه الى تربة العادلي وبات بهم الاجل ملاقة القاصد الذي حضروا وكان ملك الامراء ارسل
القاضي بركات بن موسى المحتسب الى الخانكاه ليمدله مدة هناك فلما كان يوم الاثنين
رابع عشر به نادى ملك الامراء في القاهرة بالزينة بسبب دخول القاصد في زينة حافله
فلما دخل القاصد لاقاه ملك الامراء من هناك ودخل هو وياهم من باب النصر وشق من
القاهرة في موكب حافل وقدامه العسكر قاطبة من الجرا كسة والعثمانية وقدامه جماعة
كثيرة من الانكشارية وهم يرمون بالنفوط ودخل قدامه عشرة رؤس على رماح
زعوا النهار رؤس مشايخ عربان ممن كان من عصبة نائب الشام جان بردي الغزالي فشق من
القاهرة هو والقاصد وكان يوم ما مشهودا وفي يوم السبت سلخ الشهر قدم قاصدا آخر من عند
السلطان سليمان ابن عثمان وأشيع أنه أتى الى ملك الامراء بخلة الاستمرار فلما وصل الى
تربة العادلي نزل اليه ملك الامراء ولاقاه من هناك فجلس على المصطبة التي هناك فألبسه
القاصد الخلة وهي قفطان مخمل أحمر بتماسيح مذهب ثم قام من هناك هو والقاصد ودخل
من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل أعظم من الموكب المقدم ذكره وركب
قدامه قضاة القضاة الاربعة وهم كمال الدين الطويل الشافعي وعلاء الدين علي الطرابلسي
الحنفي ومحيي الدين يحيى الدميري المالكي والشهابي أحمد الفتوح الحنبلي وركب قدامه
الامراء الجرا كسة قاطبة والامراء العثمانية ومشت قدامه الانكشارية والكمالية وهم
يرمون بالنفوط ومشت قدامه طائفة النصاري بالشموع الموقدة واصطف الناس له على
الدكاكين بسبب الفرجة وكانت القاهرة مزينة في قوة الزينة وعلقوا له أحبالا وتريات معمرة
بالقناديل الموقدة بطول المدينة وأوقدوا له الشموع على الدكاكين ولا سيما ما فعله تجار
الوراقين من الشموع الموكيات الكبار وأطلقوا له الجماهر بالعود القاري ومرشات الماورد
المسك ثم ان جماعة من التجار نثروا على رأسه الفضة في عدة أما كن من المدينة وارتفعت له
الاصوات من الناس بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من كل جانب من البيوت
والدكاكين وفرشت له الشقق الحرير تحت حافر فرسه من عمد خان مسرور واستقر في هذا
الموكب الحفل حتى طلع الى القاعة وعاليه خلة الاستمرار من عند السلطان سليمان ابن
عثمان وهي بتماسيح مذهب على مخمل أحمر وكان ذلك اليوم مشهودا في الفرجة والقصف فلما
طلع الى القاعة خلع على الامير قايتباي الدوادار قفطانا مخملا ونزل الى منزله ثم نادى للناس
بفك الزينة وقد أقامت الناس مزينة نحو عشرة أيام وتكلف الناس بسبب ذلك كلفة
عظيمة من وقيد وقناديل ومشتري زيت وحصل في هذه الزينة من التركان غاية الفساد من

خطف النساء والصبيان المردوا والتجاهر بأفعاصي ليلا ونهارا حتى خرجوا في ذلك عن الحسد ولا سيما ما كان يفعل في دار الخليلي من الفسق وقد ابتهج الناس بهذه الزينة غاية البهجة وفي هذه الواقعة يقول صاحبنا الناصري محمد بن قانصوه بن صادق يدح السلطان سليمان ابن سليم شاه ابن عثمان عز نصره وأجاد حيث قال

الحمد لله أضحى الملك مبتسما * من بعدما كان أبدي وجهه كظما
وكيف لا يك يبيدي وجهه كظما * علي سليم وقد أضحى يرى رما
وصار بهدس سليم لابنه وغدا * من السرور به بالبشر مبتسما
وافتر عن شنب الفتح المبين فم * نصر العزيز له بالسعد فيهما
قد قطعت رؤوس الأعداء شزية * وسيفه ملث منه البطاح دما
وكيف لا وسليمان مدبره * بخاتم الملك منه مذهب احتما
وصار من كعبه فينا الغلام رخا * والخوف أمانا بنا والنور زال عما
والنيل قد زاد في هاتور من فرح * به وروى أراضى مصر بعد ظما
وكان أبطالتوت بالوفا حزنا * علي سليم وما روى البلاد دما
ومصر من فرح في زينة رقصت * لما رأت رخاها كعبه علما
وأصحت جنسة من سعد خير بك * بعد الخيم ونادى العدل من ظما
وكيف لا وهو خير قد أحل بها * لولم يكن هو خير قط ما حكا
يا أيها الملك الممدوح دم فرحا * وانتظر لقصد عبيد يشكي ألما
فأنت بالطب أدري من سؤاليه * ومن سؤالي في حكمه حكما
لازمت من ابن قانصوه الوفي ترى * مشفا بدمج مبدع حكما
والجود كالجوديم منك من خلع * نيابة عن سليمان له حكما
وموكب الملك يبيديه وأنت بها * كما رأيت بعصره والسرور غما
وأنت في فرج تبسو وفي فرح * والملك مبتسم منه ترى نهما
وكوكب السعد يسرى في سما شرف * عليك في سائر الاوقات محكما
وقائلا حامدا مذكرا مبتسما * الحمد لله أضحى الملك مبتسما

انتهى ذلك وقد مضى هذا الشهر عن الناس على خير وكان كثيرا الحوادث ووقع فيه أمور غريبة وأحوال عجيبية ولا سيما ما وقع بالبلاد الشامية من الفتن العظيمة من القتل والنهب وحرق الضياع وذهاب الغلال وسبب ذلك عصيان نائب الشام جان بردي الغزالي واطهاره للسلطنة ووقع مثل ذلك بجماعه وحص وغير ذلك من البلاد الشامية واستهل شهر ربيع الآخر يوم الأحد ففي ذلك اليوم بلغ ملك الامراء قدوم قاصدوهو

الثاني من عند السلطان سليمان ابن عثمان قد وصل وعلى يده خلعة نائبة لملك الامراء وهذا القاصد يقال له الامير على فلما تحقق ملك الامراء وصوله نزل اليه من القلعة ولا قاه من عند تربة العادلي ولبس الخلعة هناك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل وصحبته الامير على الذي حضر ولم يكن صحبته من القضاة سوى قاضي القضاة المالكي محي الدين يحيى بن الدميري وكان هذا الموكب على حكم الموكب الذي تقدم ذكره ومن العجائب أن ملك الامراء أوكب ثلاثة مواكب حافلة وشق من القاهرة ثلاث مرات في مدة سبعة أيام فعد ذلك من النواذر الغربية وفي يوم الاثنين ثاني هذا الشهر خرج الامير قرا موسى العثماني الذي قرر في نيابة غزة فخرج من بين التراب ولم يشق من القاهرة وخرج صحبته الجلم الكثير من الاصباكية ومن التجار فان الدرب السلطاني كان له مدة طويلة وهو منقطع من السالك من حين جرى من الغزالي ماجرى الى أن أشيع قتله وفي يوم الاثنين تاسعه كانت وفاة صاحبنا القاضي محب الدين بن أصيل وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت وكان قد كف بصره قبل وفاته مدة طويلة وحصل له شداثد ومحن ومات وهو في غاية القهر بسبب خروج مشيخة المدرسة الجالية عنه الى الشيخ زكريا وقد تقدم القول على ذلك وفي يوم الاربعاء حادى عشره توجه ملك الامراء الى قبة الامير يشبك الدوادار التي بالمطرية على سبيل التبره فصنع له المقر الشهابي أحمد بن الجيعان هناك مادة حافلة وكذلك الخواجاهاشم ناظر المارستان وما أبقى في ذلك ممكنا ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الامراء في يوم السبت رابع عشره رسم بقطع ثلاث رؤس من أعيان المماليك الجرا كسة فقطع رؤسهم في ذلك اليوم تحت شبالك الدهيشة وأشهر تلك الرؤس على الرماح ثم علقها على باب زويلة ففهم شخص يسمى ماماي الساقى وشخص يسمى قان بك الاشقروهم من مماليك السلطان الغورى وكان سبب ذلك أن هؤلاء المماليك كانوا بالقاهرة وكان ملك الامراء يحسن اليهم غاية الاحسان فلما أشيع عن جان بردى الغزالي نائب الشام أنه تسلطن هناك وتلقب بالملك الاشرف تسحب هؤلاء المماليك من مصر وتوجهوا الى الشام ودخلوا تحت طاعة الغزالي فلما انكسر الغزالي وقتل وجرى له ماجرى حضر هؤلاء المماليك واختفوا في القاهرة فغمر عليهم فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل الوالى فقبض عليهم وأحضرهم بين يديه فلما مثلوا بين يديه وبجهم بالكلام فأغلظ عليه في القول ماماي الساقى فخنق منه فرسم بقطع رقابهم بين يديه ورسم للوالى بان كل من كان عند الغزالي من المماليك وحضر الى مصر بواسطة من غير اذن ولو كان من الامراء واشتد غضب ملك الامراء في ذلك اليوم بحيث انه حم جسده في ذلك اليوم ولزم الفراش وانقطع عن المحاكمات ثلاثة أيام وأشيع أنه قد طلع له تساليك في مشعره واشتد الالم عليه وانقطع عن الخروج وصار يتصدق على الزوايا

والمزارات بحال له صورة وصار يذبح الذبائح من الابقار على أبواب الجوامع الكبار ويتصدق
 بلحومها على المجاورين بالجوامع والزوايا وفي يوم الثلاثاء سابع عشره نودي بالقاهرة عن
 لسان ملك الامراء معاشر كافة الناس ان كل من كان عنده مملوك من المماليك الجراكسة
 ممن كان عند الغزالي نائب الشام وأخفاه ولم يقربه يشق على باب داره من غير معاودة
 وصارت هذه المنادة تتكرر في كل يوم ثلاث مرات نحو ثلاثة أيام على لسان أربعة
 مشاعلية اثنان بالتركي واثنان بالعربي وقد اضطربت الاحوال في هذه الايام الى الغاية
 بسبب جان بردي الغزالي نائب الشام فمن الناس من يقول انه باق في قيد الحياة وأن الرأس
 التي قطعت غير رأسه ومن الناس من يقول انه قتل في الواقعة التي كانت على القابون
 وحزت رأسه وأرسلت الى اسطنبول والاصح أنه قتل على القابون وهي ضيعة من الشام
 وهذه الواقعة تقرب من واقعة قانصوه خمسمائة لما شك الناس في قتله وفي يوم الخميس
 تاسع عشر ربيع الآخر كانت وفاة أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب ابن أمير المؤمنين
 عبد العزيز المتوكل على الله وكان مولده سنة احدى وخمسين وثمانمائة وأمه تسمى آمنة
 وهي ابنة أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان بن محمد المتوكل على الله فهو هاشمي الابوين
 وكان رئيسا حشما دينا خيرا صالحا ليل الجانب متواضعا ولي الخلافة في دولة الملك الناصر
 محمد بن قايقباي الاشرف وأقام فيها احدى عشرة سنة ونصفا وبايع أربعة من السلاطين
 ثم صرف عن الخلافة في دولة الاشرف الغوري وعهد الى ولده محمد المتوكل على الله وقاسى
 شدائد ومحن وقد تقدم ذكر ذلك وحصل له ضعف في بصره وكان لا يقرأ ولا يكتب وكان
 رجلا مباركا لم يعهده صبوقة قط ومات وله من العمر نحو ثمانين سنة أو دون ذلك وكان ولده
 غائباً باسطنبول من حين نفاه السلطان سليم شاه ابن عثمان ولما مات رثاه الاديب البارع
 ناصر الدين محمد بن قانصوه بن صادق بهذه المراثية فقال

رشق الموت في مراحي القلوب * من قسى الجوى سهام الكروب
 ياله من سهام كرب عظيم * في مراحي الحشا برى مصيب
 صيرت دورنا خرابا وصرنا * بعد عز أذلة للخطوب
 ياله من مذلة بعد عز * صيرتنا من عظمها في لغوب
 أين خير الانام والآل والص * وأين الملوك أهل الحروب
 قد قضى الله بالممات عليهم * مثل ما قد قضى على يعقوب
 الذى كف من فراق مناه * وتلقى البلاء عن أيوب
 غاب عنه ابنه فبات يحزن * كذا من يطيق فقد الحبيب
 ابن عبد العزيز أعنى أمير المؤمنين * الحبيب وابن الحبيب

صاحب العهد والخلافة والعق * دمع الحل والالوا والقضيب
 قلت صبرا على الذي حل * لما * قد أشان في ذا الزمان العجيب
 هاشمي أبوا أما وهـ * غاية الجرد للحسيد النسيب
 الذي كان للدارامل والاي * تام كفؤا وكان مأوى الغريب
 يا تاحي ويا أرامـ * ل ضجوا * واهطلوا عينكم بدمع سكوب
 واسألوا الله أن يسكنه الفر * دوس فضلا فآله خير محجيب
 والى مصر أن يجي قريبا * ابنه في هنا وعيش خصيب
 صـير الله روح والده في * خير روح بنشر بشر وطيب
 وكذا روح من رثاه بهذا * ان عيت مثله بأوفى نصيب
 وكذا قانصوه أبوه امتنا * منه ما صاح ذوبكا ونحيب
 قائلوا والعيون تجـري عيونا * رشق الموت في مراحي القلوب

ولما توفي الخليفة يعقوب لم يستطع ملك الامراء أن ينزل من القلعة ويصلى عليه فانه كان
 في غاية الضرر من تلك التساليك التي طلعت له في مشعره فحضر مشهد الخليفة يعقوب قضاة
 القضاة وبعض الامراء فصلوا عليه ودفن عندها قاربه بالمشهد الذي سي رحة الله عليه ودفن
 يوم الجمعة عشريه وتوفي بزردار الحاج علي في ذلك اليوم ودفن عقيب دفن أستاذه يعقوب
 وفي يوم السبت حادى عشريه خرج الامير قاسم العثماني كـرك بك الذي حضر صحبة
 الاصباهية فرجع الى اسطنبول وصحبته جماعة من العساكر العثمانية الذين كانوا بمصر
 فاختاروا عودهم الى بلادهم باسطنبول هــم وهؤلاء الذين حضروا صحبة الخلعة التي جاءت
 الى ملك الامراء من عند السلطان سليمان ابن عثمان وفيه حضر الى الديار المصرية القاضي
 بدر الدين محمد المسعودي ابن الوقاد وكان توجهه الى اسطنبول مع جملة من توجه من
 الاسارى فأقام في اسطنبول مدة طويلة الى أن مات السلطان سليم شاه وولى ابنه سليمان
 فاستأذن الوزراء في الحضور الى مصر لتفقد أحواله ثم يعود الى اسطنبول فأذنوا له في ذلك
 فحضر الى مصر وهو في الترسيم بشاويش مرسم عليه وحضر صحبته كمال الدين بزردار الامير
 طراباى وكمال الدين العاتق وكريم الدين المجولى ويوسف مناخير وبدر العادلى وهو معتوق
 الناصرى ومحمد بن فارس فلما حضروا الى مصر أقاموا بهامدة فلما انقضى الميعاد الذى
 قرره معهم الشاويش استحثهم على الخروج والسفر الى اسطنبول فلما كانت ليلة الرحيل
 اختفى القاضي بدر الدين بن الوقاد ولم يظهر فشق ذلك على الشاويش الذى كان مرسما
 عليهم وكان ابن الوقاد اختفى باذن ملك الامراء حتى قيل ان ابن الوقاد قدم لملك الامراء
 في هذه الحركة ألف دينار في الخفية وصار ملك الامراء يظهر الغيظ على ابن الوقاد ويشدد

في طلبه ورسم على أصحابه وجيرانه وأظهر للشاويش الذي حضر صحبتته أنه بحث في طلبه
 والامر بخلاف ذلك ثم ان ذلك الشاويش قبض على كمال الدين بزددار طراباي وعلى كمال
 الدين العائقي ويوسف مناخير و بدر العادلي ووضعهم في الحديد وأخرجهم من مصر
 على أقبح وجه وسافر وامن البحر الى اسطنبول وقاسوا شدا وثنا وفيه توفي المعلم عبد
 الرحمن بن طنبيلة المعامل في الدجاج والاوز وكان علامة عصره في هذا الفن وكان في سعة
 من المال لا بأس به وله بر ومعرفة وفي يوم الاثنين ثالث عشر به كان عيسى النصرى وهو
 أول يوم من الخمسين وكان ذلك اليوم رطباً وفي السماء غيم وهذا قال للنيل بأن يكون في تلك
 السنة عالياً جداً في الزيادة وفي يوم الثلاثاء رابع عشر به حضر أولاتي من عند السلطان
 سليمان ابن عثمان وعلى يده مراسم تتضمن أن كرك بك قائم الذي حضر وعلى يده خلعة
 الاستمرار للملك الامراء يستقر في نيابة حلب عوضاً عن كان بها وقيل ان كرك بك هذا
 رضع مع السلطان سليم شاه وقد صارت النيات كلها بيد جماعة ابن عثمان فكرك هذا
 قرر في نيابة حلب وشخص آخر يقال له اياس في نيابة الشام عوضاً عن الغزالي وقرر فرحات بك
 في نيابة طرابلس وقرر قراموسى في نيابة غزنة وقد اقسام العثمانية النيات التي كانت
 بيد اعيان المماليك المصرية وفيه توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن نابتة الحنفى
 وكان لا بأس به ولم يظهر القاضي بدر الدين بن الوقاد ولا كريم الدين المجولى فلما طال
 الامر على الشاويش الذي كان يوكّل به مائة لاق وخرج وسافر من البحر وصحبته كمال الدين
 بزددار الامير طراباي وكمال الدين العائقي مباشرة امير اخور والخواجا عمر بن عزوز المغربي
 وزين العابدين حامل المزة و بدر العادلي وحسين ويوسف مناخير فخرجوا من القاهرة
 على أقبح وجه من الشاويش الذي رسم عليهم فوضعهم في الحديد وكتف بعضهم بالحبال
 وساقهم مشاة قدامه حتى وصلوا الى بولاق فأنزاهم في المراكب وسافر وانحواس طنبول
 وحصل لهم الضرر الشامل من الشاويش وقد حنق من ابن الوقاد والمجولى وخط غبنه في
 هؤلاء ولم يتأخر بمصر عن حضر صحبتته سوى بدر الدين بن الوقاد والمجولى وزين الدين الجعفى
 شفع فيه ملك الامراء من التوجه الى اسطنبول وفيه أرسل الامير على بن عمر شيخ جهات
 الصعيد مقدمة حافلة للسلطان سليمان ابن عثمان قيل انه اقومت بستين ألف دينار
 وكان السلطان سليمان ابن عثمان أرسل الى الامير على بن عمر خلعة الاستمرار على حاله
 بمشيخة الصعيد وقد رأى الامير على بن عمر في دولة ابن عثمان ما لم يره أحد من أجداده ولا
 من أقاربه من العز والعظمة والمال والجاه انتهى ذلك واستهل شهر جمادى الاولى
 يوم الثلاثاء فطلع القضاة الاربعة وهؤلاء املك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم
 ولما طلعوا الى ملك الامراء وجدوه بالاشرفية التي بجوار الدهيشة فقام اليهم وكان له مدة

وهو متوعل في جسده بسبب طلوع التسالين التي في مشعره وقد أشرف على الشفاء ويرى
من ذلك العارض وفي ذلك يقول ابن قانصوه

الحمد لله ثغور الهنا * سرورنا منها أرتناش — فاه

لما لي نائنا شاه — دت * فابتسمت من فرح عن شفاء

وفي يوم الثلاثاء نامنه ركب ملك الامراء ونزل من القلعة وقد شقي من ذلك العارض الذي
كان قد اعتراه فلما نزل من القلعة توجه الى بيت الامير فرحات بك الذي قرر في نيابة
طرابلس فنزل اليه وودعه وأقام عنده الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة وشق من الصليبة
وقد اجمعا من الانكشارية مشاة يرمون بالنفوط وقد هتأ بالشفاء الأديب البارع
محمد بن قانصوه بقوله

الحمد لله زال الهم والالم * عنا البرئك والاعد الهاسقم

وقلعة الملك أخفى وجهها طلقا * من بعدما كان فيه قد بدا الكظم

وأصبحت مصر بعد الحزن في فرح * بكم وأمست بثغر البشر بتسم

وقد غدت بلسان الحال قائلة * الحمد لله زال الهم والالـم

وفي يوم الجمعة حادى عشره قدم الامير جاني بك وهو أخو الامير قايتباي الدوادار وقد تقدم
القول بأنه توجه الى كشف البلاد الشامية وأرسل ملك الامراء على يده مقدمة حافله الى
الامير اياس العثماني الذي استقر في نيابة الشام عوضا عن جان بردى الغزالي فلما قابل ملك
الامراء خلع عليه ونزل الى منزله وهو في غاية التعظيم وفي يوم الجمعة المقدم ذكره خرج ملك
الامراء وصلى صلاة الجمعة وكان له مدة وهو منقطع لم يصل الجمعة في جامع القلعة فلما خرج
من الصلاة خلع على المزينين والحكام وقيل دخل على المزينين والحكام ألف وخمسمائة دينار
من نساء ملك الامراء ومن سراريه ومن الامير جاني الخزاوي ومن الامير برسباي الخازندار
والمهمندار والمباشرين وأرباب الدولة قاطبة ومن الامراء العثمانية وغير ذلك من أعيان
الناس وفي يوم السبت ثاني عشره خلع ملك الامراء على الامير جاني الخزاوي وخلع على
الامير جاني كشف الفيوم وقرره في امر يه الحاج على عادته وخلع على الامير واصل بن
الاحدب شيخ جهات الصعيد وقرره على عادته في مشيخته وفيه قدمت الاخبار بأن الامير
فرحات الذي عين في نيابة طرابلس لما وصل الى الصالحية وجد العربان هناك مفتتنه فأرسل
يطلب من ملك الامراء نجدة فان العربان قد ناروا عليه في الطريق وكادوا يقتلونه فأرسل
اليه جماعة من الكمية والاصباية بسرعة على الفور حتى أدركوه واستمروا معه الى
طرابلس وكانت العربان في هذه الايام في غاية الفساد في البلاد الشامية من عربان بني عطاء
وبني عطية وفي يوم الاحد عشره توفي القاضي بدر الدين محمد المعروف بابن العبدى ناظر

ديوان الاجباس وكان رئيسا حشما حسن السيرة وكان لا بأس به وفي يوم الخميس رابع
عشر به وقع أن ملك الامراء تغير خاطره على شخص من الخدام يقال له مثقال فقطع أنفه
وأذنيه ورسم بنفيه الى مكة فنزل من القلعة والدم يقطر من أنفه وأذنيه ولم يكن له ذنب
كبير يوجب ذلك وفيه حضر جماعة كثيرة من اسطنبول عن كان السلطان سليم شاه أسرهم
وأخذهم من مصر فلما مات السلطان سليم شاه ابن عثمان واستقر سليمان ولده بعده رسم
بعود الاسرى قاطبة الى بلادهم ورأف بهم وأظهر العدل فيهم فحضر منهم جماعة في هذا الشهر
منهم شهاب الدين أحمد بن قريظ ومحيي الدين وزير الدين بن بهاء الدين أحد كتاب الممالك
والخواجا أبو الطيب بن الرئيس يحيى المزين وعبد الحفيظ بن الفار تاجر بالهرامزة وأبو الفضل
ابن بركات السمسار في البعلبك وتاج الدين بن ابراهيم ابن القاضي سالم وبدر الدين محمد مباشر
الامير انسابى حاجب الحجاب وآخرين لم تحضر في أسماؤهم الآن وفي يوم الاثنين ثامن
عشر به ظهر كريم الدين المجولى وبدر الدين السعدي بن الوقاد وقد تقدم القول في سبب
اختفائهما من الشاويش الذي كان مترسما عليهما وحثهما على الخروج الى الاسطنبول وفي
شهر رجب ادى الاخرة وكان مستهل يوم الاربعاء طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك
الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الخميس ثاني الشهر خرج الامير جاتم الجزاوى
وقصد التوجه الى اسطنبول وكان ملك الامراء عينه الى السفر الى السلطان سليمان بتقديمه
كما كان يرسله الى والده سليم شاه وقيل ان هذه التقديمة التي أرسلت على يد الامير جاتم
الجزاوى قومت بمائتي ألف دينار أو فوق ذلك فخرج الامير جاتم الجزاوى في موكب حافل
ولم يشق من القاهرة بل خرج من الترب وكان الامير جاتم الجزاوى يومئذ من أرباب الحل
والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه الكلمة ورأى من العز والعظمة في دولة ملك الامراء
خائبك ما لم يره غيره من الامراء وأشيع أن ملك الامراء رسم لكريم الدين المجولى بان
يسافر الى اسطنبول صحبة الامير جاتم الجزاوى وأما القاضي بدر الدين السعدي بن الوقاد
فأشيع أنه قد تم الملك الامراء ألف دينار حتى أقام بمصر وكان عنه ملك الامراء بأنه
لا يستطيع السفر الى اسطنبول وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد السمديسى الحنفى الذى
كان ولي قضاء الحنفية في دولة الغورى بحلب وكان السلطان سليم شاه ابن عثمان لما انكسر
الغورى ومات بحلب وملك سليم شاه حلب قبض على السمديسى وأرسله من هناك الى
اسطنبول فأقام به حتى رسم السلطان سليمان بعود الاسرى الى بلادهم فحضر السمديسى مع
جملة من حضر الى مصر وحضر صحبته محب الدين الحنبلى الذى كان مقبما بانقا الشيوخونية
وحضر أبو الفوز بن الحصانى وأفضل الدين موقع السلطان طومانباى وحضر شمس
الدين محمد المسمى أحد نواب الشافعية فحضر هؤلاء كلهم من البحر المالح من دمياط

وفيه دخل الأمير جاتم الجزاوى من الخانكاه وسافر وفيه حضر من اسطنبول المهتار محمد الخولى مهتار السلطان الغورى وحضر من التجار ابن أبى عوانة البرلسى وآخرون وفيه استقر فى نيابة جدة شخص من تجار الاروام يقال له عيسى قراقتر فى نيابة جدة عوضا عن حسين الذى كان بها وفى هذا الشهر ظهر شمس الدين محمد بن ابراهيم الشراييشى الذى كان متحدثا فى أوقاف الزمامية وكان له مدة من حين حضر من اسطنبول فى الخفية فظهر لما أفرج السلطان سليمان بن عثمان عن الاسرى الذين كانوا باسطنبول وفى يوم الاربعاء خامس عشره توفى القاضى محيى الدين النبراوى أحد نواب الخناينة وكان عالما فاضلا علامة فى مذهبه مات وله من العمر مائة سنة وستة أشهر وهو آخر نواب الخناينة من ولى عن قاضى القضاة عز الدين العسقلانى وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد المنوفى صاحب ملك الامراء وكان لا بأس به وكان له فيه اعتقاد عظيم بالصلاح وفيه توفى الشيخ عبد الصمد خطيب المدرسة الجيعانية وكان لا بأس به ومن الحوادث أنه فى يوم الجمعة سابع عشره ثارت فتنة عظيمة بين الاصباهية والانكشارية وغلقوا باب القلعة ومنعوا القاضى الشافعى أن يطلع القلعة ويصلى بملك الامراء صلاة الجمعة واستمرت هذه الفتنة عمالة بين الفريقين يومين وصارت الانكشارية ينزلون من القلعة مشاة ويقتتلون مع الاصباهية فى الرميلة ويطردونهم الى الصليبية فقتل من الاصباهية شخص من أعيانهم فلما تزايد الامر دخل بينهم أغواتهم والكيفية الكبيرة فاصلحوا بينهم فاصطالحوا على فساد وخذت هذه الفتنة ولله الحمد وفيه قدمت الاخبار بان عربان الشرقية قد خرجوا عن الطاعة وأظهروا العصيان ونهبوا ارض ياع فعند ذلك عين ملك الامراء قايتباى الدوادار وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة بأن يخرجوا الى العربان ويحاربوهم فخرج الأمير قايتباى من يوه على جرائد الخيل وتوجه الى بلبيس وأقام به اثم أشيع أن الأمير قايتباى قد وقع بينه وبين شيخ العرب يبيرس بن بقر واقعة وكبس عليه تحت الليل فهرب منه وأظهر العصيان فتوجه الى نحو الطور وأقام به فلما أظهر العصيان يبيرس بن بقر اضطربت أحوال الشرقية الى الغاية حتى أشيع أن ملك الامراء قصد أن يخرج الى العربان بنفسه فان سبغ طوائف من العربان كلهم تحالفوا على العصيان والخروج عن الطاعة منهم بنو عطية وبنو عطاء وبنو حرام وغير ذلك من طوائف العربان المفسدين ثم ان ملك الامراء خلع على الأمير أحمد بن بقر واستقر به فى مشيخة الشرقية عوضا عن أبيه يبيرس وفى شهر رجب وكان مستهل يوم الخميس اتفق أن ذلك اليوم كان عيد ميكائيل ونزلت النقطة بالليل مستهل الشهر فتفعل الناس بان النيل سيكون فى تلك السنة عاليا مباركا فى أوله طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهذه ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاحد رابعه قبض ملك

الامراء على شخص من الاصباهية قتل شخصاً من المماليك السلطانية في محل سكر
فغضب على قتله خير الدين بك نائب القاعة فربطوه في ذنب كديش وهو على ظهره ثم حبسوه
وظلموا به الى القاعة وشنقوه ومضى أمره وفيه نزل ملك الامراء من القاعة وتوجه
الى قصر ابن العيني الذي بالمشية واقام هناك الى قريب الظهر ثم عاد الى القاعة وكان
له مدة لم يتنزه في الروضة ولا غيرهما من المنتزهات وسبب ذلك العارض الذي طلع له ولم
يختم الى الآن وفيه قدم جماعة من اسطنبول بمن كانوا هناك من أهـل مصر وأشيع أن
السلطان سليمان نادى في اسطنبول بأن الجماعة الاسرى الذين من أهـل مصر يرجعون
الى بلادهم ولا يتأخر منهم أحد وكل من تأخر منهم شتى فلم يتأخر باسطنبول سوى سيدي
علي ابن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وابن السلطان الغوري والناصرى محمد بن
خاص بك ومن المباشرين محمد بن صلاح الدين بن الجيعان وعبد القادر بن الملكي
وعبد الكريم اخي الشهابي أحمد بن الجيعان وآخرين من أعيان الديار المصرية فحضر
من جملة من حضر من اسطنبول القاضي شمس الدين محمد الجلي أحد نواب الشافعية
وحضر القاضي شمس الدين محمد الدمياطي أحد نواب الشافعية بالديار المصرية وولى أمانة
الحكم أيضاً ومن العجائب أنه لما حضر الى القاهرة حصل له نوعك في جسده في مدة
اقامته في البحر المالح فلما وصل الى منزله أقام به ليلة واحدة ومات رجة الله عليه فكان
ترابه بمصر وحضر زين الدين المتوفى الموقع وابن عمه أفضل الدين وحضر نور الدين علي بن
عبد الغنى مباشر الديشة وحضر عبد العزيز المسماري البهار وحضر عبد العظيم بن
أبي غالب المباشر وحضر القاضي شهاب الدين أحمد بن الهيتمي أحد نواب الحناينة وحضر
شمس الدين محمد بن عبد العظيم أحد كتاب المماليك وحضر يحيى بن يحيى مقدم الخصاص
وحضر الخوجا أبو بكر الهاشمي وحضر عبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخانه وولده
زين الدين وحضر ابن الطنساوي يحيى مباشر الديوان المفرد وحضر ابن السيرجي وغير ذلك
وفيه قدم شخص من الامراء العثمانية يقال له نصوح بك فلما بلغ ملك الامراء قدومه نزل
اليه ولا قام من عند تربة العادى ودخل ضحيته وشق من القاهرة وهورا كب عن عيـنه
فانزله في بيت الامير ازدر الدوادار ورتب له في كل يوم ما يكفيه من دجاج وغنم واوز وسكر
ودقيق وغير ذلك وأشيع أنه يقيم بمصر عوضاً عن فرحات الذي قرر في نيابة حماه وفي
يوم الثلاثاء ثالث عشره نزل اليه ملك الامراء وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار برسم
النفقة على جماعته وفي يوم الخميس خامس عشره طلع ابن أبي الرداد بشارة النيل المبارك
فجاءت القاعة ستة أذرع وثمانية أصابع وفي يوم الجمعة سادس عشره حضر الامير
قايتباي الدوادار من الشرقية وقد تقدم القول على انه توجه الى الشرقية بسبب

العربان وفسادهم وعصيان بيرس بن بقر فلما رحلوا الى الطور رجع الامير قايتباي الدوادار الى القاهرة وحضر القاضي بركات بن موسى المحتسب صحبته فانه كان توجهه الى الشرقية أيضا وفيه توجه ملك الامراء الى الجزيرة الوسطى وسبب ذلك أن الامير تم الناظر على وقف الدشيشة كان قد صنع هناك حرا بكا عظيمة بسبب حمل مغل الدشيشة وكان طولها مائة وعشرين ذراعا وبها فرن وطاحون وصهر يجم الماء الحلو ومقعد ومبيت واسطبل للخيل فعرضها على ملك الامراء ثم فكأ خشابها وأرسلها على ظهور الجبال الى الطور ومن هناك يرسلها الى البحر المالح فلما نزل اليه ملك الامراء مثله مادة حافلة وأقام عنده الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة وفيه قدمت الاخبار من دمشق بأن جماعة من عربان دمشق ناروا على نائب الشام الامير اياس بك فلما خرج اليهم ووقع معهم انكسروا وجرح وردا الى الشام وهو مكسور ومن العرب وقتل من عساكر الشام ما لا يحصى ومن عربان جبل نابلس أيضا وكانت فتنة مهولة بدمشق وفيه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى تربة العادلي ثم دخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل والامير نصح صحبته فلما شق من القاهرة ارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وفي شهر شعبان وكان مستهله يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنأ ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى منازلهم وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بأن طائفة من طوائف الفرنج يقال لها انكرس قد تمحلقوا على قتال السلطان سليمان ابن عثمان فلما تحقق ذلك جمع العساكر من كبير وصغير وخرج من اسطنبول وتوجه الى قتالهم في الجبل الكثير من العساكر والفرسان وفيه تغير خاطر ملك الامراء على شخص من الاتراك يقال له جان قلي فسجنه بالعرقانة وأوعده بالتوسيط وكان سبب ذلك أنه كان ساكن في بيت شخص من أبناء الناس وهو ابن الامير شاهين الجاني الذي كان ناظر الحرم النبوي فانكسرت عليه أجرة المكان فطالبه ابن شاهين فلم يعطه شيئا وسببه سببا قافحا فاطلع ابن شاهين وشكاه الى ملك الامراء فأرسل خلف جان قلي فلم يطلع في ذلك اليوم وأساء على قاصد ملك الامراء فبلغ ملك الامراء ذلك ثم ان جان قلي طلع بعد ذلك الى ملك الامراء وقابله فقبض عليه وسجنه بالعرقانة وكان تقدم له مع ملك الامراء واقعة مهولة فاستقر في نفس ملك الامراء منه أشياء كينة وكان جان قلي عنده بادرة وكلامه يابس كثير الفجور ومن الحوادث المهولة أيضا واقعة سيدي عمر ابن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر بقمق وذلك أن سيدي عمر كان متزوجا بابنة الامير جانيه الاشرافي الذي كان نائب الشام وكانت زوجة عمر ارازا التمشي فكان له رزقة وقفها عليها وبها فلاحون فلما تزوج بها سيدي عمر تكلم على جهاتها فاقيل انه جار على فلاح تلك الرزقة ولم يعيش لهم أمر الشرافي في الحصة فتضرر الفلاحون لذلك فوقفوا الى ملك الامراء وشكوا له

من سيدي عمر بأنه قد جاز عليهم وأخذ منهم أزيد من الخراج عن المقطعين بالناحية فأرسل
إليه ملك الأمراء يقول له انظر في حالهم ولا تجزع عليهم - ثم فقال سيدي عمرو إيش كان ملك
الأمراء حتى يدخل بيني وبين فلاحيني في شئ ليس له فيه شغل فبلغ ملك الأمراء ذلك فتغير
خاطره على سيدي عمر فأرسل إليه قامدا فأغلظ عليه في القول ولم يطاع فخنق منه ملك
الأمراء وأرسل إليه جماعة من الانكشارية فتقبضوا عليه غصبا وبه دلوه وطلعوها به إلى
القلعة فلما دخلوا إلى الخوش قبضوا عليه وأدخلوه العرقانة فسجن بها وبات تلك الليلة
وأقام بها إلى ظهر اليوم الثاني حتى شفع فيه بعض الأمراء فضى إلى داره بعد أن قاسى
غاية البهدة من الانكشارية فاشكر أحد من الناس ملك الأمراء على هذه الفعلة الناحشة
لأنه لا يستحق ذلك كله وفي هذا الشهر كانت وفاة الشيخ زين الدين المغربي وكان
صالحا معتمدا دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان مقبلا بمقام الامام الشافعي رضي الله عنه
وكان لابأس به وفي يوم الخميس ثامن عشر هذا الشهر قدم شخص من عند السلطان
سليمان ابن عثمان يقال له محمد بن ادريس ويعرف بقلقسر الدفتردار وصحبته شخص يقال له
الامير كمال فلما وصل إلى تربة العادلي نزل إليه ملك الأمراء ولما قام من هناك ثم دخل هو ووايه
من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل وقدامه الانكشارية والكلية مشاة
يرمون بالنفوط فاستقر في ذلك الموكب حتى طلع إلى القلعة وأنزل الدفتردار في بيت الامير
يشبك الدوادار الذي في حجرة البقر ومد له هناك مادة حافلة وأنزل الامير كمال في مكان آخر
وأشيع أن الامير كمال حضر يروم الحج إلى بيت الله الحرام والدفتردار حضر بسبب ضبط مال
الثغور من الجهات المصرية وفي شهر رمضان وكان مستهل يوم السبت وكان الهلال عسر
الرؤية على خمس درج وقيل على أربع درج فراه بعض الناس وثبت عند القاضي زكرياء
أحد نواب الشافعية وركب القاضي بركات بن موسى من المدرسة المنصورية بعد المغرب
وقدامه المشاعل والفوانيس وشق من القاهرة في موكب حافل على العادة وفي يوم السبت
مستهل الشهر كان وفاة النيل المباركة أوفى الله تعالى الستة عشر ذراعا وست أصابع من
الذراع السابع عشر ثم فتح السديوم الاحد ثاني شهر رمضان الموافق لحادي عشر مسرى
ووقع في دولة الاشرف قايتباي أن السد فتح في أول يوم من رمضان فلما أوفى النيل نزل ملك
الأمراء إلى المقياس وخلق العامود ونزل في الحراقة وتوجه إلى السد ففتحه على جاري
العادة وكان ذلك اليوم مشهودا في الفرجة والقصف كما يقال في المعنى

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاره

والوفاء عود من أصابعهم * مخلوق تمسلا الدنيا بشائره

وفي يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان صعد الدفتردار محمد بن ادريس إلى القلعة واجتمع الأمراء

العثمانية بالقلعة وقرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان فكان من مضمونه التوصية بالرعية غاية الوصية وان ملك الامراء يتطرق في اصلاح المعاملة من الذهب والفضة فوقع في المجلس بعض تشاجر بين الدفتدار وبين ملك الامراء بسبب ذلك فقال ملك الامراء انما اغير معاملة السلطان سليم شاه ولا اخرج عما وقع في أيامه من أن الاشرف في الذهب يصرف في المعاملة بخمسين نصفا على العادة ثم ان ملك الامراء رسم باحضار التجار فلما طلعوا الى القلعة تكلموا معهم في أمر صرف الاشرف في الذهب الواسع بخمسين نصف فضة فتضرروا من ذلك وقالوا ما يوافقنا أحد من الناس على ذلك وانقض المجلس مانعا من ذلك ثم ان القاضي بركات بن موسى المحتسب تكلم مع ملك الامراء بأن يصرف الاشرف في الذهب بخمسة وأربعين نصفا وقليل بخمسة وأربعين عثمانيا وفي البيع والشراء بخمسة وأربعين نصفا فوقع الاتفاق على ذلك ونودي في القاهرة بذلك فسكن الاضطراب قليلا ثم ان القاضي بركات جعل القاضى حمزة العثماني متكلما على دار الضرب ثم بعد ذلك لم يتم أمر صرف الاشرف في الذهب الواسع بخمسة وأربعين نصفا وصار يصرف بأربعين نصفا وعز وجود الفضة جدا وصار الاشرف في الذهب يصرف بمشقة زائدة من السوقو يعطون فيه النصف فضة والنصف فلوسا جدا وحصل للناس الضرر الشامل وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بأنه وقع بهاطاء عظم وصاريوت بها في كل يوم ما لا يحصى وفيه توجه الدفتدار الذي حضر الى نغردمياط والبرلس ونغر الاسكندرية أيضا بسبب جبي الاموال التي اضيفت الى خزائن الخنكار بالروم فخرج الدفتدار وصحبته القاضي حمزة وفي أثناء هذا الشهر حضر جماعة من اسطنبول مع جملة من حضر منهم القاضي علاء الدين ابن الامام ناظر الخاص وأخوه وحضر القاضي أبو البقاء ناظر الاسطبل وأخوه يحيى وحضر من نواب القضاة القاضي شمس الدين محمد العبادى أحد نواب الشافعية والقاضى شمس الدين بن وحيش أحد نواب الشافعية وحضر القاضي شمس الدين محمد الابشادى أحد نواب المالكية وحضر بدر الدين بن الروى وحضر القاضي ابن عرفات أحد نواب الشافعية وحضر تقي الدين العزيرى الشافعى وحضر الشهابى أحمد بن نصر الله ناظر دار الضرب وحضر بدر الدين محمد بن خازوقه مباشر الامير علان الدوادار وحضر أحمد السكندرى الشطرنجى رفيق ابن الورد وحضر أبو البقاء بن السيرجى وحضر بدر الدين بن الهيصم وآخرون من المباشرين والقضاة والاعيان لم تحضر في أسماؤهم الآن وأشيع أن السلطان سليمان نصره الله تعالى أعتق جميع الاسرى الذى كانوا باسطنبول من أهل مصر ولم يبق فيها سوى أولاد السلاطين وجماعة من المباشرين ومن أولاد الجيعان ممن تقدم ذكرهم وجماعة من أعيان الديار المصرية وأما الامراء الجراكسة والمماليك الجراكسة الذين

كان السلطان سليم شاه نفاهم الى اسطنبول فلما ولي ابنه سليمان لم يأمر لهم بالعود الى مصر
 ولم يقبل فيهم شفاعاة واستمروا في بلاد الروم الى الآن وأشيع أن السلطان سليم شاه ابن عثمان
 كان أرسلهم الى مكان يحاصرون فيه الفرنج وقد خدت أخبارهم فلما حضر هؤلاء الجماعة
 من اسطنبول أشاعوا أن السلطان سليمان شاه ابن عثمان قد خرج الى القتال بسبب الفرنج
 ولم يرد من عنده خبر من حين توجه اليهم وأخبر الجماعة الذين قدموا من اسطنبول أن
 القاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص يوسف حصل له في عقله ذهول
 وحصل له ضيق معيشة وصار يشترى عشاء وغداء من الطباخ في زبديّة ويحمله لها بنفسه
 على يده وهو لا يس كنيك لباداً بيض وقامى شدة اندومحنا وأخذ يروا عن زين العابدين ابن
 قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل أنه تصعب من اسطنبول ولم يعلم له خبر من حين
 خرج وكانت جماعة من الشاويشية ينصبون على من هنالك من الاسرى من أهل مصر
 ويقولون نحن نساقر بكم من اسطنبول في الخفية ونتوجه بكم الى مصر فيخرجونهم من
 اسطنبول ويقتلونهم في الطريق ويأخذون ما معهم من مال وقاش وقد فعلوا مثل ذلك بكثير
 من أهل مصر ممن كان باسطنبول ولم يعلم لهم خبر الى الآن وفي يوم السبت خامس عشر شهر
 رمضان قدمت الملائكة خاتون عمّة السلطان سليمان بن عثمان وولدها مصطفى صبيتهما وأشيع
 أنها قدمت الى مصر تروم حج بيت الله الحرام فأكرمها ملك الامر اغاية الاكرام وأنزلها في
 مكان مطلق على بركة الفيل ورتب لها في كل يوم أسمة حافلة لها وجماعته الذين قدموا معها
 من بلاد الروم وفي يوم الخميس عشريه وقع فيه كائنة يحكي ظلام وكان يتجر في السكر وله
 مطبخ يعمل فيه السكر فاستمر على ذلك مدة طويلة ثم انه بعد ذلك انكسر وتجمد عليه جلة
 ديون كثيرة بحيث أشيع عنه انه تجمد عليه نحو أربعين ألف دينار فلما انكسر طالبه أصحاب
 الديون وكان المال لا قوام من تجار خان الخليلي وغيرهم فلما طال الامر عليهم شكوه الى ملك
 الامر افرسهم عليه ملك الامر اعمدة طويلة بجماعة من الانكشارية حتى يرضى أصحاب
 الديون فاستمر في الترسيم مدة طويلة وكان ملك الامر اقرر عليه وألزمه بأن يرد لأصحاب
 الديون في كل شهر خمسة آلاف دينار فاقدّر على ذلك وعجز عن ايراد ذلك القدر وكان ملك
 الامر اءحلف عينا برأس السلطان سليمان ابن عثمان ان لم يرض أصحاب الديون في حقوقها
 والاوسطه فلما ضاق عليه الامر خنق نفسه تحت الليل وأصبح ميتا ثم أشيع أن الانكشاري
 الذي كان مرصما عليه خنقه تحت الليل وأخذ ما كان معه من المال الذي كان يورده
 لأصحاب الديون على أول الشهر وأشاع عنه أنه قد خنق نفسه وأصبح ميتا ومضى أمره
 الى حال سبيله وفي يوم الخميس سابع عشري شهر رمضان كان يوم النوروز وهو أول يوم من
 السنة القبطية وهي سنة سبع وعشرين وتسعمائة قبطية خراجية ففي ذلك اليوم بلغ

النيل في الزيادة سبع عشرة اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً واستمر عمال في الزيادة وفي يوم السبت تاسع عشر شهر رمضان وقع فيه من الحوادث كائنة سيدي عمر ابن الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر حقه في ذلك ان القول تقدم بما وقع لسيدي عمر مع ملك الامراء بسبب امر الفلاحين فاستمر سيدي عمر تابع غلظه مع الفلاحين كما تقدم فوقفوا وشكوه الى ملك الامراء ثانياً فتغير خاطره على سيدي عمر واحتد منه فأرسل اليه نقيب الجيش فقال له رسم ملك الامراء بأن تقوم في هذه الساعة وتوجه الى دمياط فاستمر عنده حتى كتب وصيته وقام وركب من وقته وتوجه الى بولاق ونزل في مركب وسارت به الى نحو دمياط فهذا كله بسبب الفلاحين من صلابة سيدي عمر وقوة راسه وقلة درايته حتى اتسعت هذه الحادثة بينه وبين ملك الامراء على هذا الامر الفشروي الذي لم يستحق هذا كله ووقعت له هاتان السكائنتان في شهر واحد فشق ذلك على ملك الامراء وعلى الناس قاطبة فوقع له البهدة من ملك الامراء مرتين الاولى بسجنه في العرقانة والثانية بنفيه الى دمياط وركوبه على بغلة وهو متوجه الى بولاق فلما جرى ذلك توجه عيال سيدي عمر الى بيت الملكة خاتون عمة السلطان سليمان ابن عثمان وتراموا عليها في أن تشفع عندهم في سيدي عمر بأن يعود عمر من النفي فأرسلت الى ملك الامراء ولدها مصطفى بك فشفع عنده في سيدي عمر بأن يعود الى داره فقبل شفاعة الملكة خاتون ورسم يعود سيدي عمر الى منزله فعاد بعد ما سار في البحر يوماً وليلاً فلما عاد تخلقت عياله بالزعران ودقت له على بابها الطبلخانات والزمر وهنؤه بالسلامة وفي سلخ شهر رمضان حضر الدفتر دار محمد بن ادريس الذي كان توجه الى دمياط والبرلس وبقية الثغور بسبب جبي الاموال التي أضيفت الى خزائن مولانا السلطان سليمان فلما وصل الى بولاق نزل اليه ملك الامراء ولقاءه من هناك واستمر معه حتى أوصله الى منزله وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الاثنين وقد ثبتت رؤية الهلال بعسرقان هلال رمضان ثبت على يد القاضي زكريا أحد نواب الشافعية وشك الناس في ذلك وقالوا ان ذلك اليوم الذي صاموه كان آخر يوم من شعبان فوقع الشك بسبب ذلك ومالاق القاضي زكريا خيراً من الناس بسبب ان هلال رمضان ثبت عنده وكانت الميقاتية حكوا بأنه لا يرى في تلك الليلة أبداً فلما كان هلال شوال أرسل ملك الامراء يقول للقاضي الشافعي أنتم أثبتتم هلال رمضان على أربع درج وقد شك الناس في ذلك فما تفعلون في هلال شوال فأرسل يقول له قاضي القضاة الشافعي هلال رمضان قد ثبت حقا وقامت به اليئنة وزكيت وغدا من شوال محقق ثم ان قاضي القضاة الشافعي نادى في القاهرة أن غدا من شوال وهذا ما اتفق قط ان ينادى قبل رؤية الهلال أن غدا من شوال فعند ذلك من النوادر وكان موكب العيد حافلاً بالقلعة وفيه كان دخول المقر الشهابي احمد بن الجيعان على ابنة الامير خاير بك

كاشف الغربية أحد الامراء المقدسي الالوف وهي التي كانت زوجة الامير تاني بك
الخازندار أحد الامراء المقدمين وكانت غير محجودة السيرة في أفعالها وقبل ذلك عدة
يسيرة تزوج القاضي أبو بكر بن الملكى بامنة الامير قانصوه المعروف بابي سنة أحد الامراء
المقدمين ولا ينكر ذلك عليهم في هذا الزمان وفيه قدمت الاخبار بان السلطان سليمان
ابن عثمان لما توجه الى قتال الفرنج أوقع معهم وكان بينهم واقعة مهولة وقتل من عسكره
ما لا يحصى عدده وقتل في معركة الامير قانصوه العادلي الذي كان توجه الى اسطنبول
وقد انتصر السلطان سليمان على الفرنج نصرة عظيمة ثم خدت هذه الاشاعة من بعد
ذلك وكثر القتال والقتيل بين الناس بسبب ذلك وفي يوم الخميس ثامن عشره خرج المحمل
من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير ككب المحمل الامير جانم كاشف الفيوم على العادة
وخرجت صحبته الملكة خاتون عمة السلطان سليمان وولدها مصطفى بك فطلب الامير جانم
طلبا حافلا وكان به ست عجلات تسحبها الاكاديش وعليها عدة مكاحل نحاس ومدافع
حجر بسبب قتال العربان الذين في طريق الحجاز فانه كان في السنة الماضية في غاية
الاضطراب بسبب فساد العربان وفي يوم الاربعاء رابع عشره نودي في القاهرة عن
لسان ملك الامراء بانه لا يملوك ولا عثمانى يلبس زنطا أحمر ولا أولاد الناس أيضا ومن لبس
زنطا بعد المناداة شتم من غير معاودة في ذلك ثم أشيع أن ملك الامراء رأى عبدا
وعلمنا بجمعة قدارية وهم يرتو طحرفة قال امضوا بهم الى بيت الوالي يشنقهم فشفع فيهم
بعض الامراء ثم أشيع أن ملك الامراء رسم للامراء الجرا كسة بأنهم لا يلبسون
سر موجه تركية ولا يطالعون بها الى القلعة وهذا كله عين المقت للجر كسة وبغضا
فيهم قاطبة وفي يوم السبت سابع عشره الموافق لاول يوم من بابه من الشهر القبطية
ثبت النيل المبارك على ثلاث وعشرين اصبععا من عشرين ذراعا فكان منتهى الزيادة
عشرين ذراعا الا اصبععا واحدة وكان نيل اعظم الى الغاية وللناس مدة طويلة مارا وانبلا
مثل هذا فنتكت الناس في الفرجة والقصف وسكن غالب بيوت الجسر بعدما كان آل
الى الخراب وتم دمت بيوته وكاد أن يبقى مثل الجزيرة الوسطى في خرابها وفي شهر ذي
القعدة وكان مستهل يوم الاربعاء طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر
ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الجمعة ثالثه نودي في القاهرة عن لسان ملك الامراء بأن لا أمير
من الجرا كسة ولا خاص يركب وخاتنه بغل وعليه غلام راكب بل عيشى على طريقة
العثمانية في أفعالهم يأخذ الغلام الغاشية على كتفه وعيشى قدامه وفي يوم الاربعاء
ثامن الشهر أنفق ملك الامراء الجرام كية على المماليك الجرا كسة بعدما عوق حوامكهم
وعليهم ستة أشهر حتى عاينوا الموت من ضيق الحال بهم فصرف لهم ثلاثة أشهر وأخر

لهم ثلاثة أشهر ولم يصرف لهم العليق فقبض ذلك اليوم كل مملوك من الجرا كسة
 احد عشر اشرفيا ذهبا وثمانية انصاف من الذهب العثماني فأقاموا عليهم كل اشرفي
 ذهب بأشرفيين فضة نخسروا في صرف كل اشرفي عشرة انصاف فضة فكانت
 خسارتهم في العشرين اشرفيا خمسة اشرفية ونصف فضة فصل لهم الضرر الشامل
 بسبب ذلك بعدد صبرهم ستة أشهر وأخر العليق عنهم وأشيع أن الديوان مشحوت غاية
 الانتصحات وان ملك الامراء عليه ستون ألف دينار والمباشرون استخرجوا من البلاد
 القسط الاول أربعة أشهر مجحلا من مغل سنة سبعة وعشرين وتسعمائة قبطية خراجية
 قبل ان يفي النيل ويزرع الفلاحون وتروى الاراضي فصل للفلاحين غاية الضرر من
 ذلك ورحل بعض فلاحين بسبب ذلك الظلم والجور وقد انحط سعر الغلال عما كان أولا
 من الارتفاع وكان سبب انتصحات الديوان أن المال الذي يجبي صار ينقسم على سبع
 طوائف من العسكروهم المماليك الجرا كسة وأمرؤهم الذين تأخروا بمصر ثم الاصباهية
 وأمرؤهم الذين تأخروا بمصر ثم الصوباشية والانكشارية والكلية ثم مماليك ملك
 الامراء وذلك خارج عن كافة من يرد من المملكة الرومية من القصاد والمترددين من
 اسطنبول وغيره فكان ملك الامراء ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة وقد بلغني عن أثوبه انه
 كان متحصل خراج مصر في دولة ابن عثمان لما ملكوها ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار
 ومن المغل ستمائة ألف اردب منها ثلثمائة ألف اردب قمح وثلثمائة ألف اردب شعير وفول وغير
 ذلك وأين هذا القدر عما كان عليه خراج مصر في الزمن القديم نقل الشيخ تقي الدين المقرري
 في الخطط قد بلغ خراج مصر في زمن القبط عند تلاشي أحوال مصر مائة ألف ألف دينار
 وثمانين ألف ألف دينار وكان جملته خراجها في زمن الفراعنة ألف ألف دينار بالدينار
 الفرعوني وهو ثلاثة مناقيل من مناقيلنا الآن وكان مساحة أراضي مصر في زمن الفراعنة
 مائة ألف ألف فدان وثمانين ألف ألف فدان تزرع غير البور وجبي خراج مصر في زمن عمرو
 ابن العاص على عبدالله بن أبي سرح في صدر الاسلام اثني عشر ألف ألف دينار غير الدنانير
 المتعامل بها الآن وجبي خراج مصر في أيام الامير أحمد بن طولون مع وجود الرخاء أربعة آلاف
 ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار غير ما يحصل من المكوس والغلال وجبي خراج مصر في
 أيام الاخشيديه فكان ألفي ألف ألف دينار غير دنانير الآن وجبي خراج مصر في أيام الملك
 الظاهر بيبرس البندقداري فكان اثني عشر ألف ألف دينار مع تلاشي أحوال مصر
 وانحطاط خراجها الى ذلك وكان موجب انتصحات الديوان في أيام ملك الامراء خاير بك ان
 الاصباهية والانكشارية والكلية لما استقر وابعصر تب ملك الامراء جوامك في كل شهر
 فكان يعطى جماعة من الاصباهية في كل شهر ستمين دينارا وجماعة منهم خمسين دينارا

وجماعة منهم اربعين دينارا وجماعة منهم ثلاثين دينارا وباقيهم عشرين وأما الانكشارية
 فكان الغالب فيهم م من كانت جامكيتهم كل شهر خمسة عشر دينارا وباقيهم م اثني عشر
 دينارا وأما الصوباشية فلهم في كل شهر ثلاثون دينارا لكل واحد وأما الكملية فكان
 الغالب فيهم م كانت جامكيتهم في كل شهر اثني عشر دينارا وجماعة عشرة دنانير وجماعة
 منهم م ثمانية دنانير وهذا كله خارج عن جوامك ممالك الامراء وأما المماليك
 الجراكسة فان ممالك الامراء رتب لكل واحد منهم في كل شهر سبعة دنانير في نظير الجوامكية
 واللحم وذلك خارج عما رتب للامراء الجراكسة القاطنين بمصر وذلك خارج عن انعام
 ملك الامراء للمتدربين من المملكة الرومية وغـ يرها حتى قيل كان يصرف ملك الامراء على
 ما ذكرناه في كل سنة نحو ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار فبواسطة ذلك كله ضاق
 الحال عن صرف الجوامك في كل شهر وأما المال الذي كان يرد من ثغر الاسكندرية ودمياط
 والبرلس وجدة وغـ ير ذلك من الثغور فانه كان يحمل الى خزائن السلطان سليم شاه وولده
 السلطان سليمان نصره الله فلا يتعرض ملك الامراء لشي من ذلك وما كان يستخرج
 غير خراج الشرقية والغربية والبحيرة وجهات الصعيد فقط لا غير فان قال قائل ان
 السلطان الغوري كان يسد أمر الجوامك في كل شهر وكان العسكر أكثر من ذلك والامراء
 أربعة وعشرون مقدم ألف غير الامراء الطبختانات والعشراوات والخاصكية فوق الالف
 خاصكي أقول ان السلطان الغوري كان يستعين على ذلك بكثرة المصادرات للباشيرين
 وأعيان التجار وغير ذلك من مسانير الناس وكان يرد عليه أموال الثغور وأموال
 البلاد الشامية والحلبية والطرابلسية وغير ذلك من الجهات والآل البلاد الشامية
 والحلبية في غاية الاضطراب ولم يرد منها شيء من الاموال فيموجب ذلك ضاق الامر من
 المال على ملك الامراء ونرجو من الله اصلاح الحال وفي يوم الاثنين ثالث عشره خرج
 الدفتردار محمد بن ادريس وتوجه بحبته ملك الامراء الى تربة العادلي وكذلك
 الامراء قاطبة وخرج بحبته جماعة كثيرة من الاصباكية والانكشارية فتوجه طائفة
 منهم في البحر وأشيع انهم توجهوا الى اسطنبول بطلب من السلطان سليمان نصره الله
 وقد بلغه انهم يشوشون على أهـ لـ صرغاية التشويش فأرسل أخذ منهم م خمسة مائة
 انسان من الاصباكية والانكشارية وأراح الله المسلمين منهم فانهم كانوا من كبار المفسدين
 فخرج الدفتردار في ذلك اليوم في موكب حافل كما تقدم وفيه كانت وفاة الناصري محمد ابن
 الامير جاني بك كوهية وكان رئيسا حشما دينا خيرا من أولاد الناس حسن السيرة لا بأس
 به وفيه قدم من اسطنبول سيدي محمد بن الكويز وكان توجه الى نحو اسطنبول مع جملة
 من أسر من أهـ لـ مصر فلما أفرج السلطان سليمان عنهم حضر الى مصر وكان حسن

السيرة في التحدث في أمر المواريث وفي يوم الثلاثاء رابع عشره حضر أولا من عند السلطان سليمان وعلى يديه مراسيم تتضمن انه قد انتصر على الفرنج نصرة عظيمة وفتح عدة مدائن من مدائن الفرنج ومملك عدة قلاع من قلاعهم وصار كل ما يملك مدينة من مدائنهم يجعل كائسهم جوامع محاريب ومنابر وخطب باسمه فيها وكانت هذه النصرة على غير القياس فلما تحقق ملك الامر اذ لك رسم يدق البشائر في القلعة ونادى في القاهرة بالزينة فزينت سبعة أيام متوالية وقدك الناس في هذه الزينة فتكاذر بها حتى خرجوا في ذلك عن الحد وتجاهروا بالمعاصي ليلا ونهارا وفي هذه النصرة يقول الاديب البارع محمد بن قانصوه بن صادق وأجاد حيث قال

أفدى سليمان من مليك * ليس له في الورى مقاييس
انكر سهاد اسم او هدت * من دوسه وهو خير داييس
ومنه صارت الخايردين * مدارسا قد عمت كاييس
مذسلطت جنده عليها * ومفدت جنها الكاييس
من أجل ذا زينت سرورا * مصر وأضحت رجاء آيس
وأومأت وهي في رخاء * بشعر بشر لكل يائس
والناس في فرجة عليها * كفرحة العرس والعرائس
لكونهم نصرة شراها * سلطان ذا العصر بالنفائس
وبعد في دروس سبدو * وتم منها أولوا النجائس
وهو بسيف الاله نصر * في عنق المشركين مائس

ومن الحوادث الشيعة ما وقع يوم الجمعة سابع عشره وذلك أن القاضي بشرا أحمد نواب الحنفية أخذ تدريس في المدرسة القجماسية وسكن هناك فلما زينت القاهرة أتى الى بيته ثلاثة مباشرين من النصارى ليتفرجوا على الزينة فسكروا هناك سكرافاحشا وتجاهروا بالمعاصي حتى خرجوا في ذلك عن الحد فأرسل القاضي بشريتهاهم عن ذلك فاستمعوا له كلما ورايده منهم الحال فجاء بنفسه وأغلظ عليهم في القول وسبهم فسبوه وأخشوا في السب له وسبوا دين الاسلام على ما قيل فأرسل القاضي بشريتهم من قبض عليهم وتوجه بهم الى المدرسة الصالحية وحضر قضاة القضاة الاربعة وكان ذلك اليوم يوم الجمعة قبل الصلاة فلما حضر قاضي القضاة المالكي محيي الدين بن الدميري قامت عنده البيعة بما وقع من النصارى في حق القاضي بشرا الحنفى فتوقف القاضي المالكي في قتل النصارى ثم قال يجب عليهم الحد والتعزير فانهم كانوا سكارى وكذلك قال بقية القضاة فلما سمع القاضي بشريتهم بذلك ورضى الدين بن الدهانة الحنفى كبروا على القضاة وأغلظوا في القول على قاضي القضاة المالكي

واجتمع بالمدرسة الصالحية الجلم الكثير من العوام فهم موافقون لجو القضاة في ذلك اليوم
 وما حصل لقاضي القضاة المالك في ذلك اليوم خير من السنة العوام ثم ان بعض
 الانكشارية قبض على النصاري وأخرجهم من المدرسة الصالحية فلما خرجوا بهم
 قطعوهم بالاطبار قطعاً قطعاً ثم ان النصاري الثالث أسلم وجماعه بعض الانكشارية
 من القتل فلما قطعت النصاري اجتمع السواد الاعظم من العوام بباب المدرسة الصالحية
 وأخذوا رم النصاري وأطلقوا فيها النار وأخذوا السقائف التي على الدكاكين
 ووضعوها عليهم وأشعلوها بالنار فاحترقوا وصاروا كالرماد فاضطربت القاهرة في ذلك
 اليوم أشد اضطراب حتى كادت أن تخرب وقصد العوام أن يرجوا القضاة وقتلوا
 هؤلاء النصاري وأحرقوهم بغير حكم حاكم ولم يثبت عليهم في الشرع قتل وفعل ذلك
 العوام بيدهم جهلاً وعدواناً وفي يوم الخميس ثالث عشرية توجه ملك الامراء
 الى نحو الجزيرة التي تجمعا الجزيرة بالقرب من المقياس وأقام بها ذلك اليوم على سبيل التنزه
 فأرسل اليه القاضي بركات بن موسى المحتسب هنالك مدة حافلة فتغدى ملك الامراء
 هنالك ورسم بان الذي فضل من المدة يحمل الى القلعة وقد فضل منها أشياء كثيرة
 ثم ان ملك الامراء منع على القاضي بركات بن موسى المحتسب فقط انا مذهباً وشكر له
 ما صنعه من أمر تلك المدة وفي يوم الاحد سادس عشرية وقعت كائنة عظيمة للشيخ
 عبد المجيد بن الطريفي وذلك أن ملك الامراء تغير خاطره عليه بسبب انه كان تسلط
 عليه الدين الذي تقدم ذكره فلم يعط أصحاب الديون شيئاً مما قسطه عليه فشكوه الى ملك
 الامراء ثانياً فأرسل خلفه فلما حضر بين يديه قال له ألم أقسط عليك ذلك الدين في كل
 شهر وقررت معي أنك ترضى أصحاب الديون بما قسطته عليك فلم تفعل من ذلك شيئاً فلم
 ينطق في ذلك بحجة فخنق منه ملك الامراء ورسم بضربه فبطح على الارض وضرب ضرباً
 مبرحاً حتى قيل لضرب ست نوب تبدلت عليه حتى كاد أن يموت ثم وضعه في الحديد
 وأرسله الى بيت الوالي ليصرفه في كعبه بحضرة أصحاب الديون ففرقه الوالي وأرسله
 لسجن الديلم فسجن به والحديد في عنقه فاستمر في السجن بالحديد حتى كاد أن يموت وقد
 عجز عن وفاء ما عليه من الديون حتى قيل تجمد عليه من الديون نحو سبعين ألف دينار
 للتجار الاروام وغيرهم وقد ترايد غضب ملك الامراء على الشيخ عبد المجيد بن الطريفي
 حتى كاد أن يوسطه من شدة غضبه عليه وكان الشيخ عبد المجيد من أعيان الناس
 وله بروم معروف حتى قيل كان يصنع في كل يوم ستة أراذب دقيق يرسم الوارد عليه
 في المحلة ويعلق في كل يوم اثني عشر اردباً من الشعير والدسوت عمالة بالطعام لئلا يلاونهم ارا
 للوارد عليه من سائر البلاد فتجمدت عليه هذه الديون العظيمة وسبق كما سبق غيره من

الاكابر والسكنى بلطف الله به والكريم لا يضام أبدا فسكان الشيخ عبد المجيد أحق بقول
القائل حيث قال

لنا غنم تعرف وجوه ضيوفنا * تنجي من مراعيها تروم الذبايح
لنا خدم ما ينبت الشعر وروها * لحمل القرى من آخذات ورايح

وفيه رسم ملك الامراء بشـنق شخص من المماليك الجراكسة قيل هو من مماليك
أمير اخور كبير وقيل هو خازن داره وكان شابا حسنا فشـنقه على الاتراك قاطبة وشـنق في
ذلك اليوم معه أربعة من الجراكسة وقد ترايد شـره في هذه الايام وفيه أشيع بين الناس أن
الانكشارية الذين كانوا بالقاهرة وتوجهوا الى اسطنبول لما دخلوا الى نغرا الاسكندرية
وقع بينهم هناك فتنة عظيمة وقتل منهم جماعة فلما بلغ ملك الامراء ذلك تنكد لهذا الخبر
وعين اهل الكيخيه الكبير أغاثهم فسافروا الى الاسكندرية في ساعته حتى يصلح بينهم ويكشف
عن سبب هذه الفتنة ومن آثارها من الانكشارية أو من الكلمة الذين سافروا من القاهرة
فتوجه الكيخيه الى نغرا الاسكندرية بسبب ذلك واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة فطلع
القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم السبت
المبارك ثانيه حضر قاصد من مكة وصحبته رأسان في علية مقفولة زعموا أن الاولى رأس
شخص يقال له اسكندر وكان أصله من ممالك السلطان الغوري أرسله صحبة التجريدة
التي أرسلها الى بلاد الهند بسبب محاربة الشيخ عامر مملك زبيد وعدن وكرمان فلما توجه
العساكر الذين أرسلهم السلطان الغوري تحاربوا معه فأنكسر منهم وقتل في المعركة
فلكوا منه البلاد وأمواله ثم ان اسكندرا المذكور ملك بلاد الشيخ عامر وتسلطن بها وعصى
على السلطان الغوري وجعل له هناك أمراء وعسكرا وخطب باسمه على منابر بلاد الشيخ
عامر واستمر على ذلك ولم يدخل تحت طاعة الخنكار سليم شاه بن عثمان لما ملك الليار المصرية
ولم يخطب باسمه ولم يضرب السكة باسمه هناك فلم يزل نائب جدة يتحيل عليه حتى قتله وحز
رأسه وأرسلها الى القاهرة فعرضت على ملك الامراء وهو بالميدان ثم ان ملك الامراء
أشهر تلك الرأس في القاهرة ومعه رأس أخرى قيل انها رأس دوا داره أو خازن داره أو وزيره
ثم علقها على باب النصر وكان اسكندر هذا شجاعا بطلا مقداما في الحرب قوى القلب ملك
البلاد واحتوى على أموالها وفرقها على عسكره وجعل له أمراء وجبابرة وادارية ولولا
نهم احتالوا عليه حتى قتلوه لما كانوا يقدرون عليه من شجاعته وحياله وفيه وقعت نادرة
غريبة وهي أنه حضر قاصد من اسطنبول الى الشام ثم حضر الى القاهرة فلما استقر بها
أظهر مراسيم من عند السلطان سليمان وأحضر معه ذراعا من الحديد يز يد على الذراع
الهاشمي الذي تتعامل به أهل مصر بخمسة قراريط وأحضر معه سنج نحاس وأرطال على

طريقة اسطنبول وأشيع أن السلطان سليمان ابن عثمان رسم بإبطال الذراع والسنج التي
تتعامل بها أهل مصر وأن التجار وأرباب البضائع لا يتعاملون إلا بهذا الذراع وهذه السنج
فامتثل ملك الامراء ذلك وأجاب بالسمع والطاعة ورسم لاساخي بركات بن موسى المحتسب
بان ينادى في القاهرة حسب رسم الخنكار بإبطال الذراع الهاشمي من مصر واستعمال
الذراع الاسطنبولي فنزل المحتسب مع الوالي ونادى في القاهرة بذلك ثم ان القاضي بركات بن
موسى المحتسب كتب قسائم على التجار أنهم لا يبيعون ولا يشترون إلا بهذا الذراع
الاسطنبولي فشق ذلك على التجار وأرباب البضائع فلما أشهر المحتسب المناداة بذلك وأن كل
من خالف مرسوم الخنكار شق على دكانه من غير معاودة ثم صارت رسل المحتسب تطلع الى
دكاكين التجار الذين في الاسواق وتأخذ الاذرع الحديد وترميها في الطرقات فاضطربت
القاهرة في ذلك اليوم أشد الاضطراب ثم صاروا يكررون المناداة بذلك في أمر العام - لمة
بذلك الذراع الاسطنبولي واستمر ذلك في البيع والشراء الى الآن وفيه وقعت كائنة
عظيمة للوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية وكان سبب ذلك أن شخصاً من الوكلاء يقال له علي
الازهرى توكل عن شخص يهودى في شغل فاحذمته في ذلك الشغل أربعين ديناراً وقيل
خمسین ديناراً فلما بلغ المحضر الذى فى المدرسة الصالحية ذلك طلب على الازهرى وسأله
عن ذلك فانكر وقال ما أخذت منه هذا القدر أبداً وحلف وأقسم فحقق منه المحضر وأمر
بضربه بين يديه ثم ان المحضر طلع الى ملك الامراء وأخبره بأمر الوكلاء وما يصنعون فرسم
بأحضار سائر الوكلاء فاختلف منهم جماعة وقبضوا على أربعة منهم وهم علي الازهرى وسالم
ومسعود والحكرى فطلعوا بهم الى القلعة وعرضوه - م على ملك الامراء فاوعدهم
بكل سوء ثم أرسلهم الى بيت الوالى فأرسلهم الوالى الى سجن الديلم فسجنوا به الى أن تظهر
البقية وكان الذى رافع فى الوكلاء وأشلى فيهم بدر الدين بن الرومى وتغصب معه خير الدين
نائب القلعة وقال لملك الامراء هذه الافعال التى يشعلها الوكلاء فى المدرسة الصالحية
لا تحل ولا تجوز فاضطربت أحوال القضاة الى الغاية ثم ان الوكلاء الذين سجنوا بسجن
الديلم شفع فيهم القاضى حزة وقيل الامير على أحد الامراء الخنكارية ثم أقامت الوكلاء
فى السجن أياماً ثم أخرجوا منه وفيه نودى بالقاهرة عن لسان ملك الامراء بجمع الصيارف
الحجازيين قاطبة أن لا يصرفوا ديناراً ذهباً فانه قد أشيع عنهم أن جماعة منهم يصنعون
الزغل فى الذهب والنضة ويطيرونهم على الناس فى الصرف فتعوا من ذلك وفيه قدم قاصد
من عند السلطان سليمان ابن عثمان يقال له قاسم بك وعلى يده مرسوم شريف فكان من
مضمونه انه انتصر على القرى فنج نصرته ثانية وملك منهم - م عدة قلاع وقد ظفر بجماعة منهم
وقتلهم فلما تحقق ملك الامراء ذلك نادى فى القاهرة بالزينة فزينت ووافق ذلك يوم عيد

النهر فحصل للناس المشقة الزائدة بهذه الزينة واشتغلوا بذلك عن الاضحية والعيد ووقع
 في ذلك اليوم مطر غزير فاعدم فاش الناس الذي في الزينة وصاروا الى يسطح الناس على
 الارض ويضرب الذي مازين دكانه فما حصل لاحد من الناس خيرا واستمرت الزينة معلقة
 الى أن نزل ملك الامراء وتوجه الى بولاق بسبب ملاقاته القاصد الذي حضر من البحر فطلع
 من سوق مرجوش وشق القاهرة وهي مزينه والقاصد صحبته ومشي القاضي بركات بن
 موسى المحتسب قدما به بعصاه الى أن طلع الى القلعة فأوقدوا له الشموع بالنهار على الدكاكين
 فاستمر في ذلك الموكب الى أن طلع الى القلعة ثم فكت الزينة في ذلك اليوم وانقضى أمرها
 وفي يوم السبت سادس عشره جلس ملك الامراء بالمقعد الذي بالحوش السلطاني وطلب
 قضاة القضاة الاربعة فلما حضر واحضر القاضي حمزة قاضي ابن عثمان فلما تكامل
 المجلس تكلم ملك الامراء مع القضاة في أمر نوابهم وما يفعلون وفي أمر الوكلاء فوقع
 في ذلك المجلس غاية ما يكون من اللغط وكان القاضي حمزة في ذلك المجلس أشد ما يكون على
 القضاة وصار يقول لهم نوابكم يفعلون ما هو كيت وكيت فناء ملك الامراء على القضاة
 بكل ما فيه بسبب نوابهم وقد كثروا فسادهم فتكلم معهم ملك الامراء في ذلك فوقع الاتفاق في
 المجلس بأن كل قاض من القضاة الاربعة يقتصر على سبعة من النواب لا غير على عدد أيام
 الجمعة والقاضي من النواب يجلس في بيت قاضي القضاة في نوبته ويسمع الدعوى هناك
 بفردمه وان القاضي اذا عقد عقد نكاح يأخذ على من تزوج البكر ستين نصفاء وعلى من تزوج
 الثيب ثلاثين نصفاء يأخذ العاقد شيئا والشهود شيئا والباقي يحمل الى بيت الوالي ولا يتزوج
 أحد من الناس ولا يطلق الا في بيت قاض من القضاة الاربعة وان الوكلاء تبطل قاطبة من
 المدرسة الصالحية فانقض المجلس على ذلك وقامت القضاة فقبل لهم امشوا على اليسق
 العثماني فاضطربت احوال القضاة والشهود قاطبة وبطلت أسبابهم ومشوا على هذا الحكم
 وصار مقدم الوالي والحالية يأتون في كل يوم من أيام الجمعة ويجاسون في بيت كل قاض
 من القضاة الاربعة الى ما بعد العصر يأخذون ما يتحصل من عقود الانكحة ويعضون به
 الى بيت الوالي كما تقرر الحال على ذلك اليسق العثماني فصار الذي يتزوج أو يطلق تقع
 غرامته نحو أربعة أشرفية فامتنع الزواج والطلاق في تلك الايام وبطلت سنة النكاح
 والامر لله تعالى وفيه نزل من القلعة القاضي بركات بن موسى المحتسب وأشهر المناداة في
 القاهرة وصحبته الوالي بأن لا قاضي ولا شاهد يحكم في المدرسة الصالحية وان لكل قاض
 من القضاة سبعة من النواب لا غير يحكم كل نائب يوما في بيت قاض من القضاة الاربعة
 ويسمع الدعوى في بيت مستنبيه وان لكل نائب من النواب شاهدين لا غير وأن القاضي
 يأخذ على نكاح البنت البكر ستين نصفاء يأخذ على الثيب ثلاثين نصفاء وأن سائر

النواب والشهود بطلالة من الاحكام الشرعية وهذا حسب رسم به ملك الامراء والمشى
على اليسق العثماني فلما سمع ذلك الناس اضطربت أحوالهم غاية الاضطراب ولا سيما
النواب والشهود حصل لهم الضرر الشامل وصارت المدرسة الصالحية ليس يلوح بها
فاض ولا شاهد بعدما كانت قلعة العلماء وفي هذه الواقعة يقول البدرى بدر الدين محمد بن
محمد الزيتوني أحد نواب الشافعية وخليفة الحكم العزيز بالديار المصرية هذه القطعة وهى
من فن الزجل فى معنى هذه الواقعة

اسمعوا ما جرى فى مصر وابكوا بدموع غزار

كان شعار الدين ظاهر كمثل الشمس * والجالس من الناس فى جلوس
شبهه أقمار ترتاح اليها النفوس * هم جال الاسلام وقع النفوس

اختفت ذى الشمس بظلام النهار

وقضاة الاسلام محي رسمهم * والشهود اختفوا وضاع اسمهم

صار على العقد جالية رسمهم * وقضاة القضاة بترسيمهم

طول الايام مع الامين فى انحصار

قرر روا جاليه على المسلمين * فى العقودات صارت حقايقين

كل من راد الزواج فى الدين * يبق فى الوالى ويفرم مئين

اعتبروا يا أولى الابصار

قلعة الدين صالحية مصر * غلقوها وقد رأينا العبر

وفى هذى الامور تحير الفكر * كل هذا عبره لاهل النظر

يا الهى عجل بأخذ النار

علماء المسلمين بالازهر * خرجوا يسألوا لمن جبر

بمصحف وأعلام وجع اكبر * برفع المظلمة فائقه ر

عادوا يدعوا عليه بكارمع صغار

فى الاحاديث قد سطروا بالقلم * حاش يفلح من عاب ومن قد ظلم

عن قريب تسمع على ايش يقدم * من يعادى أهل العلم يندم

من بغضهم قد أبغض الجبار

يا حكيم حكما مناقد طغوا بالحدود * وأفسدوا علينا وتعدوا الحدود

صارت الناس مناعدم فى الوجود * بهم دلوا الدين سالت الدموع بالحدود

يا الهى لا تكشف الاستار

الحوائيت فيها المحرم جهار * وبنات الخطاة تف بالنهار

ويقروهم على ذا القرار * والمجالس تمنع من اهل الوفار
هذي ارضى مين من الكفار

من يبيع منكروه والى طاب * حالوا ماشي بسبب من الاسباب
والخشيش والنيبذ والطبطاب * ما يجيه الفقر لا من طاق ولا من باب
قوموا انتسبب نبيع لنا اضرار

ضجت الناس لما راوا ذى الحرق * والمغارم وما حدث في الغسق
واستباحوا النكاح بهذا اليسق * وفسد حالهم وزاد الخنق
قالوا ما نطبق هذا العيار

سادس العشر شهر ذي الحجة * عام سبعة وعشرين جرت فجيعة
ثاني عشر ينة حصل وهججه * للشهود والقضاة بلا حجة

ينصر الله الدين على الفجار

وهذه القطعة الزجل مطولة وهذا ما وقع عليه اختياري منها ومن الحوادث ما وقع في أواخر
الشهر وهو يوم الأحد خلع ملك الأمراء على شخص يسمى جمال الدين يوسف بن أبي الفرج
ويعرف بابن الجاكية وهو ابن محمد الذي كان نقيب الجيش من أولاد ابن أبي الفرج واستقر
به في وظيفة التفتيش عن الرزق فلما قرر في هذه الوظيفة أخذ حذر منه سائر الأعيان
ودخلت رأسهم منه الجراب فلما استقرأ امر ملك الأمراء بان ينادى له عن لسانه حسبا
رسم ملك الأمراء لأحد من الناس يحتمى على الأمير جمال الدين يوسف بن أبي الفرج ولا
يعارضه وأنه مسموع الكلمة وأفر الحرمة فلما جرى ذلك طغى الأمير يوسف بن أبي الفرج
وتجبر وصار معه الجمل الكثير من الرسل والبزددارية وصار يطلب أعيان الناس من رجال
ونساء بالرسل الغلاظ الشداد فاذا حضروا إلى بابهم ومعه مكاتيبهم ومربعاتهم يقرؤها
ثم ينجس لهم فيها نجاشا ويقول لهم أروني أصول هذا وأصول الأصول فاذا عجزوا عن ذلك
يرسلهم إلى بيت القاضي الخنقي ويشهد عليهم أن لا حق لهم في هذه المكاتيب ولا استحقاق
ويأخذ منهم ما معهم من المكاتيب والمربعات ويمضوا خائبين فيطلع بالمكاتيب والمربعات
إلى ملك الأمراء ففعل من هذا النمط بجماعة كثيرة من أعيان الناس فأخذ من الجمالي
يوسف نقيب الجيش بن الشرفي يونس نقيب الجيش سبع عشرة رزقة بمكاتيب شرعية
وحذف عليه ملك الأمراء ما عنده من المكاتيب جميعها فطلع له بها وفعل بجماعة كثيرة من
أعيان الناس والستات مثل ذلك والامر لله تعالى وفيه حضرت مركب من الأغربة التي
كان عمرها ملك الأمراء وأرسلها أصحابه إلى الروام والمغاربة البحارة فلما دخلوا إلى البحر المالح
وجدوا جماعة من الفرج يعمثون في سواحل البحر المالح فاوقعوا معهم وقاتلوهم فانكسر
الفرنج وقبضوا عليهم وأسروهم واحتوا على مرأى منهم فوجدوا فيها بضائع وجوفا

وأصنافا فاخرة فأخذوا جميع ما كان فيها وقبضوا على من كان فيها من الفرنج ووضعوه في الحديد وأرسلوهم إلى ملك الأمراء فلما عرضوا عليه رسم بتوسيطهم فوسطوا منهم تسعة عشر رجلا وسجنوا الباقين وأخذ ملك الأمراء جميع أموالهم ثم تبين بعد ذلك أن هؤلاء كانوا تجارا أتوا من بلاد الفرنج فلما رأوهم قاتلوهم فأنكسروا وأسرؤا وأخذت جميع أموالهم وأشيع أنهم كانوا يعيشون في سواحل البحر الملح وفيه قدم جماعة من اسطنبول عن كان أسرى من أهل مصر في أيام السلطان سليم شاه ابن عثمان فحضر علم الدين جلبي السلطان الغوري وحضر عقيب ذلك المقر الشهابي أحمد ناظر الجيش كان وهو ابن المقر الجمالي يوسف ناظر الخاص وحضر كمال الدين بزدار الأمير طراباي وحضر الرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكمال وحضر الناصري محمد بن العلائي علي بن خاص بك وحضر القاضي شمس الدين محمد الحجازي أحد نواب الشافعية وحضر آخرون من الأسرى ما تحضرني أسماؤهم الآن وفي يوم الخميس ثامن عشر يه قدم بمبشر الحاج من مكة وأخبر بالامن والسلامة عن الحجاج وأخبر أن الغلام معهم عمال في سائر الغلال والمأ كول قاطبة وأخبر بموت الجمال مع الحجاج فخلع عليه ملك الأمراء ونزل إلى منزله وقد خرجت هذه السنة على خير وسلامة وكانت سنة مباركة وقع فيها الرخاء في سائر الغلال قاطبة بعد ما كان تناهى سعر القمح إلى أربع أشرفيات ذهب كل أردب وكان النيل فيها عاليا بعم سائر أراضي مصر قاطبة وثبت ثباتا جيدا إلى أواخره ومن محاسن هذه السنة أنها خرجت عن الناس ولم يكن فيها الطاعون في الديار المصرية ولا في شيء من أعمالها قاطبة ولكن وقع في أواخر السنة حوادث مهولة منها عصيان الأمير جان بردى الغزالي نائب الشام وقتله وما وقع بالشام من الاضطراب فكان من ملخص واقعة الأمير جان بردى أنه لما استقر به السلطان سليم شاه نائب الشام أقام به أمة وهو تحت طاعة السلطان سليم شاه في الظاهر ولما ولى بعده ابنه سليمان على حماكة الروم أظهر جان بردى الغزالي العصيان بجملة واحدة ولم يدخل تحت طاعة السلطان سليمان ابن عثمان فقام معه أهل الشام من الأمراء والعسكري والعربان والعشيرة وقالوا له قم وتساقطن فبأبى قدامك أحد تخشى منه ونحن نقاتل ملك حتى نقتل فاستمال لقولهم وطاش وخف وكم بجملة أعقبت ندامة فتسلطن بالشام وتلقب بالملك الأشرف أبي الفتوحات وقبلوا له الأرض وخطب باسمه في جامع بني أمية وعلى بقية منابر دمشق فلما تسلطن قالوا له امض إلى مصر وحارب خيربك واملك منه مصر فقال لهم مصر في قبضة يدي ولكن أتوجه إلى حلب وأخلصها من أيدي العثمانية فما يبقى خلفي التفاته ثم أتوجه إلى مصر ولأتى إلى مصر لكان خير له وكان العسكري من الجراكسة وأهل مصر والعربان قاطبة يلقبوا على ملك الأمراء خيربك ويعضوا إليه فإنه كان محببا

للرعية فلما توجه الغزالي الى حلب ليملكها حاصراً أهلها وأحرق غالب الضياع التي
 حولها وحصل منه الضرر والشامل لأهل حلب فلما حاصرت مدينة حلب لم يقدروا عليها وعجز
 عن ذلك وكان الأمير جان بردي الغزالي أول ما توفي السلطان سليم شاه وتولى بعده ابنه
 سليمان أرسل يقول للملك الامراء خاير بك تسلطن أنت بمصر وأستمر أنا بالشام وأحكم من
 القرات الى غزة ونظر هذه العثمانية عن مملكة مصر فلما وقف خاير بك على مطالعة
 الغزالي أفشى سره وكان الغزالي أرسل يقول لخاير بك ان لم تتسلطن فعندي من يتسلطن
 فاراد خاير بك أن يتنصيح للسلطان سليمان فأرسل له مطالعة الغزالي التي أرسلها له في السر
 فلما وقف السلطان على مطالعة الغزالي أرسل يقول لخاير بك لا تخرج أنت من مصر
 للغزالي فنحن نكفيك شره ثم ان السلطان سليمان أرسل تجريدة الى الغزالي نائب الشام
 بجهازه من العساكر اثمانية نحو أربعة عشر ألف مقاتل نفروا من اسطنبول على
 حمية وتوجهوا من اسطنبول الى حلب فافقعوادع الغزالي على حلب فانكسر منهم فتوجه
 الى دمشق فكان بين الفريقين واقعة مهولة على القابون خارج مدينة دمشق فقتل من
 عسكر الغزالي هناك ما لا يحصى من عربان الكرك وأكراد وتركان ومماليك چراكسة
 ومن أهل دمشق حتى قيل قتل في المعركة من أهل دمشق شبوخ وشبان وأطفال ومن
 سوقة دمشق ما لا يحصى وكانت هذه الواقعة تقرب من واقعة تمرلنگ لما دخل الى دمشق وقد
 خرب في هذه الواقعة ثلث دمشق من ضياع وحارات وأسواق وبيوت وتمت الكسرة على
 الغزالي واختفى وقيل بل قتل على المعركة وحزت رأسه وأرسلت الى اسطنبول ومضى أمره
 والى الآن تشك جماعة من الناس في قتله ويقولون ما قتل وهو باق في قيد الحياة وأنه هرب
 عند الصوفي بعد وقوع المعركة والاصح انه قتل في الواقعة التي كانت على القابون ووقع
 الشك للناس في ذلك كما وقع لهم في قتل قانصوه خسمائة من الشك ومما وقع في هذه السنة
 من الحوادث حرق النصارى على باب المدرسة الصالحية ومنع الشهود من الجلوس
 في الحوانيت ومن الحوادث ما وقع للشيخ عبد المجيد الطريفي وقصته مشهورة ومن
 الحوادث منع الوكلاء من باب المدرسة الصالحية وعزل نواب القضاة الاربعة واقترعواهم
 على سبعة نواب لكل قاض من غير زيادة على ذلك ومنها واقعة العقود وما تقرر على تزويج
 البكرستين نصفاً والثيب ثلاثين نصفاً وقد تقدم ذلك فكان ذلك من أشد الكرب على
 المسلمين ومنها جلوس مقدم الوالي والجالية على أبواب القضاة من بكر النهار الى آخره
 ايأخذوا ما يتحصل من عقود الانكحة ويضعون به الى بيت الوالي ويسمون ذلك اليسق
 العثماني ولا يتزوج أحد من الناس ولا يطلق الا في بيت قاض من القضاة فضيحة واعي
 المسلمين غاية الضيق ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الامراء خلع على شخص يقال له

جمال الدين يوسف ابن أبي الفرج ويعرف بابن الجارية وقررده في وظيفة وسماه مفتش الرزق
 الجيشية فلما استقر في هذه الوظيفة أطلق في الناس النار ورافع الشهابي أحد بن الجيعان بأنه
 أخذ من ديوان الجيش أفاطيس سلطانية ورزق جيشية وصنع لها مكاتب شرعية بمشترى
 من بيت المال وباعها على الناس ورافع أيضا الزيني أبي بكر بن أبي بكر بن الملك بمثل ذلك حتى
 تكلم في حق الشهابي أحد بن الجيعان بأنه ابتاع من ديوان الجيش رزقا وأقطاعا وصنع لها
 مكاتب شرعية وباعها على الناس نحو عشرين ألف دينار وأظن هذا الكلام ليس له
 صحة وهذا باطل لا محالة فتغير خاطر ملك الأمراء على المقر الشهابي أحد بن الجيعان وصار إذا
 طلع إلى القلعة لا يخاطبه أصلا ورسم للزيني أبي الوفاء الحلبي موقع ملك الأمراء من حين كان
 يجلب أن يقرأ عليه القصص بدلا عن الشهابي أحد بن الجيعان فعظم أمر الزيني أبي الوفاء
 في هذه الأيام جدا حتى صار في مقام من تقدم من كتاب السرو صار من أعيان الرؤساء بالديار
 المصرية ثم إن الجمالي يوسف بن أبي الفرج أخذ من الناصري محمد بن خاص بك رزقتين
 بمكاتب شرعية قطع في هذه الرزق وقال له أصل هذه الرزق أفاطيس سلطانية فأخذ منه
 المكاتب وأشهد عليه بأن لاحق له فيها وطلع بهم إلى ملك الأمراء وصار يفعل من هذا النمط
 بجماعة كثيرة من رجال ونساء ويأخذ مكاتبهم من أيديهم ويشهد عليهم ثم أن لاحق لهم
 فيها وطلع بالمكاتب إلى ملك الأمراء فاطلق في الناس جرة نار وخرج منه الناس فاطية
 حتى قبل أخذ من أيدي الناس فوق الثمانين رزقة بمكاتب شرعية وطلع بهم إلى ملك الأمراء
 وحصل للناس منه الضرر الشامل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم وما أكتفى ملك الأمراء
 بيوسف بن أبي الفرج حيث جعله مفتش الرزق الجيشية فجعل الأمير على العثماني مفتش
 الأوقاف أيضا من بلاد دويوت وغير ذلك فاجتمع على بابه الرسل الغلاظ الشداد والبزددارية
 وصاروا يطلبون الناس أصحاب الأوقاف فإذا حضروا ومعه مكاتبهم ينحشون عليهم
 ويقولون لهم ائش على هذا الوقف مصاريف وايش متحصله في كل شهر فيدعون أصحاب
 الأوقاف في الترسيم ويقررون عليهم مبالغاثقلا للأمير على هو ووداداره والبزددارية
 والرسل ومن عنده من المباشرين ويكتبون له على مكاتبه عرض ثم يطلقونه بعد أن يلتمس
 من الغرامة فوق ما لا يطيق فصارا الأمير على يتكلم على فرع من أبواب المظالم المهولة فاطلق
 في الناس النار الموقدة وأقول أن أولاد ابن أبي الفرج طول عمرهم بيت ظلم وعسف وطمعهم
 الذي هم وأجدادهم من أيام الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق وقد تقدم القول على ذلك
 ومن الحوادث في أواخر هذه السنة أن ملك الأمراء جهز مراكب أغربة وفيها جماعة
 من المقاتلين فتوجهوا إلى البحر الملح وقد بلغه أن جماعة من الفرنج يعبثون في السواحل
 على المسافرين فلما توجهوا إلى البحر الملح وجدوا مراكب فيها تجار من الفرنج ومعهم

بضائع نحو وخسين ألف دينار فقتلوا معهم فكسروا الفريخ وقبضوا عليهم واحتاطوا على
 مامعهم من البضائع فلما حضر والى مصر وعرضوا على ملك الامراء رسم بتوسيط نحو
 تسعة عشر نفر من الفريخ فراحوا ظلموا وأخذت أموالهم وربعا يشور من هذه الحركة
 فتنة كبيرة بين الفريخ وبين أهل مصر بسبب ذلك ويعنعون التجار من المرور في البحر
 ويقتلونهم كما فعلوا بالفريخ المقدم ذكرهم وفي هذه السنة قتل ملك الامراء من الناس
 ما لا يحصى بتوسيط وشنق وخوزقة وأكثرهم راح ظلموا والامر لله تعالى انتهى ما أوردناه
 من حوادث سنة سبع وعشرين وتسعمائة

❦ (ثم دخلت سنة ست وتسعمائة) فيها في المحرم وكان مستهل يوم الاحد
 المبارك طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالعام الجديد ثم عادوا الى منازلهم وفي
 هذا الشهر تزايد ظلم الجالى يوسف بن أبى الفريخ وفنك في الناس فتكاذروا وكثر على باب
 الرسل والبزدارية وصار يطلب أعيان الناس من كبير وصغير فيحضرون ومعهم مكاتيبهم
 فلم يلتفت الى ما في المكاتيب ويأخذها من أيدي أصحابها غصبا ويشهد عليهم أنه لاحق لهم
 فيها ولا استحقاق ويطلع بها الى ملك الامراء واستمر على ذلك يتزايد ظلمه الشنيع كل يوم حتى
 ضج منه الناس والامر لله تعالى وفيه توفي الشهابي أحمد بن القمارى وكان من مشاهير
 أولاد الناس وكان أمير جكار وقد ترحل حاله في أواخر عمره ومات فقيرا وفي يوم الخميس
 خامسه حضر جماعة من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاه أسرهم وأرسلهم الى
 اسطنبول فحضر بها الدين بن البارزى وجلال الدين ابن الخواجا بدر الدين حسين الشبراوى
 وحضر الخواجا يحيى بن عبد الدائم اللبدي المغربي من تجار جامع طولون وحضر آخرون
 ممن كان باسطنبول وفي يوم السبت سابعه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى تربة
 العادلى التى بالريداية وجلس هناك على المصطبة القديمة وكان القاصد الذى حضر
 بالامس صحبته فذله هناك مدة حافلة وأحضر صقورا وكلا بلاسلوقية ورمى قدام
 القاصد رماية هناك وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية فينمها هو على ذلك واذا بجماعة من
 الاعيان حضروا بين يديه منهم الشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي والشيخ شمس الدين
 محمد المعروف بالديروطى الشافعى والشيخ شهاب الدين أحمد بن الحلبي وآخرون من العلماء فلما
 اجتمعوا قالوا يا ملك الامراء قد أبطلتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيرتم تأخذون على
 زواج البنت البكر ستمين نصفاً وعلى زواج المرأة ثلاثين نصفاً ويتبع ذلك أجرة الشهود ومقدمى
 الوالى وغير ذلك وهذا يخالف الشرع الشريف وقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 خاتم فضة وعلى ستة أنصاف فضة وعقد على آية من كتاب الله وقد ضعف الاسلام في هذه
 الايام وتجاهر الناس بالمعاصى والمنكرات وتزايد الامر في ذلك ثم ذكر واه آيات من كتاب

الله تعالى وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت ملك الأمراء إلى شيء من ذلك وقال للشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي اسمع ياسيدي الشيخ أيش كنت أنا الخنكار رسم بهذا وقال امشوا في مصر على اليسوق فقال له شخص من طلبه العلم يقال له عيسى المغربي هذا يسوق الكفر فخلق منه ملك الأمراء فرسم بتسليمه إلى الوالي ليعاقبه فتوجهوا به إلى بيت الوالي ثم شفع فيه بعض الأمراء فلما كان عقيب ذلك توجه إلى ملك الأمراء جماعة من التجارين والقلافطة وعلى رؤسهم مصاحف وهم يستغيثون الله ينصر السلطان سليمان فظن ملك الأمراء أنهم من الجامع الأزهر ثم تبين أنهم من تجارون وقلافطة أنوا يشتكون من الشاذ على المراكب التي عمرها ملك الأمراء في الروضة بأنه قد ظلمهم وجار عليهم فلما كثرت منهم الضجيج رسم ملك الأمراء لمن حوله من الانكشارية بضر بهم فشتقوا أجمعين ثم طال المجلس بين ملك الأمراء وبين مشايخ العلم الذين حضروا فكان من جوابه للشيخ شمس الدين اللقاني المالكي ياسيدي الشيخ أنا أخاف على رقبتي أكثر من رقابكم امضوا باسم الله فقاموا من عند دودهم في غاية القهر يتعترون في أذيالهم ولم يلتفت إلى أقوالهم فقال له بعض الفقهاء الذين حضروا ونحن نساقر إلى السلطان سليمان نصره الله تعالى ونخبره بما يفعل في مصر فتسكده ملك الأمراء في ذلك اليوم بعدما كان منشراحاً ثم قام من هناك وطلع إلى القلعة وخرج القاصد من هناك وتوجه من يومه وسافر إلى اسطنبول فلما رجع الفقهاء من عند ملك الأمراء قامت الأشلة والنائرة على ملك الأمراء وكثر الدعاء عليه بسبب عقود الانكحة وقصدوا يغلِقون أبواب الجوامع والمساجد فلما جرى ذلك أرسل ملك الأمراء الزيني أبا الوفاء الموقع بأخذ بخاطر الشيخ شمس الدين محمد اللقاني وقال له لا تؤاخذ ملك الأمراء فإنه لم يكن يعرفك وأرسل على يد الزيني أبي الوفاء الموقع مائتي دينار وأربع بقرات ففرقت على مجاورى الجامع الأزهر وأرسل مثل ذلك إلى مقام الامام الشافعي والامام الميث رضى الله عنهم وأرسل مثل ذلك إلى الزوايا التي بالقرافة وإلى مشهديات السيدة نفيسة رضى الله عنها وغير ذلك من الزوايا والمزارات والمساجد وقصد أن يستجلب نحو اطراف العلماء والفقهاء مما فاء له من الافعال الشنيعة ليحرقوا ذلك بذلك وهذا من المحال كما يقال في المعنى

جفاء جرى جهر الديق الناس وانبط * وعذرائى سرافاً كد ما فرط

ومن ظن أن يحوجلى جفائه * خفى اعتذارفه وفي غاية الفرط

وفي يوم الاثنين سادس عشره أنفق ملك الأمراء على المماليك الجرا كسة وكان لهم خمسة أشهر جامكية منكسرة وقد ضاع عليهم علق أربعة أشهر فأنفق ملك الأمراء عليهم في ذلك اليوم شهرين وأخر لهم ثلاثة أشهر فأضر ذلك بحالهم وفيه اجتمع العسكر ليقتبضوا

الجامكية في الميدان فنزل لهم المقر الشهابي أحمد بن الجيعان والقاضي بركات بن موسى
المحتسب وابن أبي اصبغ فقالوا للمماليك الجرا كسة ملك الامراء يقول لكم انه مسافر بعد
الربيع فالذي له قدرة يعمل برقه والذي ماله قدرة على السفر لا يأخذ جامكية ويقعد يستريح
فلما سمع العسكر ذلك اضطربت أحوالهم ثم ان ملك الامراء جلس في شباك الذهبية
وأرسل خلف المماليك الجرا كسة فلما طلعا ووقفوا بين يديه استدعاهم واحدا بعد واحد
وصار يختار من كل عشرة ممالك مملوكا واحدا الذي يجده شابا وله قدرة على السفر فيبقى
على جامكيتته والذي يجده من الشيوخ العواجر يوقف جامكيتته فابطل في ذلك اليوم ألف
مملوك من المماليك الجرا كسة والناس وغير ذلك وفيهم من هو من الاغوات من ممالك
الاشرف قايتباي فتزايدت قسوته في ذلك اليوم عليهم وعما وقع في ذلك اليوم من النوادر
الغريبة أن ملك الامراء لما عرض المماليك صار كل من رآه من المماليك ولحيته طويلة
يقص منها نصفها ويعطيها له في يده ويقول له امش على القانون العثماني في قص اللحا وتضييق
الاكمام وكل ما تفعله العثمانية فنزل المماليك الجرا كسة من القلعة في ذلك اليوم وهم
في غاية النكد مما جرى عليهم وكان سبب قطع جوامك جماعة من المماليك الجرا كسة أن
الديوان كان يومئذ في غاية الانشحات وقد كثرت العسكر وصار المال يقسم على سبعة طوائف
من العسكر ما بين أمراء عثمانية وطائفة من الاصباكية وطائفة من الانكشارية وطائفة
من الكلية وطائفة من الامراء الجرا كسة وطائفة من المماليك الجرا كسة ومماليك
ملك الامراء طائفة سابعة فكان يصرف في كل شهر لطائفة الاصباكية أحد عشر ألف
دينار ويصرف لطائفة الانكشارية في كل شهر ثلاثة عشر ألف دينار ويصرف لطائفة
الكلية في كل شهر أحد عشر ألف دينار ويصرف لطائفة المماليك الجرا كسة وأولاد
الناس أحد عشر ألف دينار ويصرف لمماليكه وخدامه وحاشيته وغير ذلك من الرواتب
في كل شهر ثلاثة عشر ألف دينار وذلك خارج عن جامكية الامراء الجرا كسة والامراء
العثمانية والمتريدين من القصاد لثمانية فموجب ذلك وقع الانشحات في تأخير الجوامك
وكسرهما الاشهر وكان السلطان الغوري لا يستعين على سد الجوامك في كل شهر الا بكثرة
المصادرات للتجار وغيرهم من مساتير الناس وأعيانهم وكان يستمد من مظالم العباد ويصير
اتم ذلك عليه وفيه أشيع أن ملك الامراء قد تغير خاطره على خوند مصر باي الجركسية
وأنزلهما من القلعة ورسم لهما بان تسكن ب مدرسته التي بناها بباب الوزير ورتب لهما في كل
شهر ما يكفيهما من النفقة وكان سبب ذلك أنه بلغ ملك الامراء قدوم زوجته أم أولاده من
اسطنبول وقد أتت صحبة الامير جانم الحزاوي من اسطنبول فاختران بان تكون صاحبة
القاعة عوضا عن خوند مصر باي فشق ذلك عليها وفي يوم الخميس التاسع عشر أكل ملك

الامراء تفرقة الجامكية على العسكر وأوقف جوامك كثير من المماليك الجرا كسة
ومن أولاد الناس ومن العواجز والشيوخ وقال للذين صرف لهم الجوامك كونوا على
يقظة واعملوا بركم فربما النكاري يرسل يطلبكم على حين غفلة فقالوا كلهم السمع والطاعة
ونزلوا على ذلك وفيه أشيع ان الامير فرحات العثماني نائب طرابلس استقر في نيابة
الشام عوضا عن اياس الذي كان بها وتوجه اياس الى اسطنبول فصار الامير فرحات بيده
نيابة طرابلس والشام وفي يوم الاربعاء خامس عشرية دخل الحاج الى القاهرة ودخل
الامير جانم أمير ركب المحمل وصحبته المحل الشريف ثم أشيع ان الحاج قد قاسى في هذه
السنة مشقة زائدة من الغلاء وموت الجمال ولما طلع الى العقبة اشتد عليه البرد هناك
والرياح العاصفة فأت من الحاج ما لا ينحصر حتى قيل مات منهم من العقبة حتى دخلوا
القاهرة فحسبوا ثمانين انسانا ودخل الباقون مرضى من شدة البرد العاصف المضرب بالاجساد
ولما دخل الحاج أشيع موت الامير باباي الذي كان ولي مشيخة الحرم النبوي وأشيع
موت شخص من الامراء العثمانية كان أغات الانكشارية توفي لما دخل المدينة
الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان من خيار العثمانية
وتوفي الامير مقرر أمير عربان بنى جبر مملك جزيرة بين النهرين الى بلاد هر من الاعلى وكان
أميرا عظيما جليل القدر مجللا في سعة من المال وكان مالكي المذهب سيد عربان الشرق
على الاطلاق وكان أتى الى مكة وحج في العام الماضي وكان يجلب الى مكة اللؤلؤ والمعادن
الفخرة والمسك والزعفران والعنبر الخام والعود القاري والحري الملون وغير ذلك من
الاشياء المتخفة قيل انه لما دخل الى مكة والمدينة تصدق على أهلها ما يخمسين ألف دينار
فلما حج ورجع الى بلاده لاقته الفرنج في الطريق وتحاربت معه فأنكسر الامير مقرر
منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم ان يشتري نفسه منهم بألف ألف دينار فأبى
الفرنج من ذلك وقتلوه بين أيديهم ولم يغن عنه ماله شيئا وملكوا منه جزيرة بين النهرين
وملكوا قلعته التي هناك واستولوا على أموال الامير مقرر وبلاده وكان ذلك أشد الحوادث
في الاسلام وأعظمها وقد ترايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندي والامر لله تعالى
ولما رجع الحاج أثنوا على الامير جانم أمير الحاج بكل جميل في حفظه للحجاج ومنع
الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وفي شهر صفر وكان مستهل يوم الاثنين طلع
القضاة الاربعة الى القاعة وهناك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الاربعاء
ناله خراج الامير قايتباي الدوادار وجماعة من الامراء الجرا كسة الى ملافاة الامير
جانم الجزاوى الذي كان توجه الى اسطنبول وصحبته تقدم حافلة الى السلطان سليمان
ابن عثمان أرسلها ملك الامر اختيار بك اليه على يد الامير جانم كما تقدم فأكرمه وأحسن

اليه وقبل منه تلك التقدمة فأقام باسطنبول مدة ثم رسم له بالعود الى مصر فلما بلغ
الامراء قدومه الى مصر خرجوا اليه قاطبة وخرجت اليه أعيان المباشرين قاطبة وجميع
مشايخ العربان والكشاف المدركين قاطبة فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر صفر وصل
الامير جاتم الجزاوى الى خانقاه سرياقوس فقبله القاضي بركات بن موسى المحتسب مدة حافلة
هذابعدان لاقاه من الصالحية وأشيع انه حضر صحبة الامير جاتم الجزاوى حريم ملك
الامراء الذي كان باسطنبول من حين ملك السلطان سليم شاه الديار المصرية فلما تولى
السلطنة ولده سليمان رسم بعود حريم ملك الامراء وأولاده اليه وفيه طلعت زوجة
ملك الامراء الى القلعة تحت الليل على المشاعل والفوانيس وهي في محفة فلما طلع
النهار طلع اليها جميع المغاني يهنئونهم بالسلامة ثم ان الامير جاتم الجزاوى رحل من
الخانكاه وتوجه الى تربة العادلي وبات بها فلما كان يوم السبت ثالث عشر صلى ملك
الامراء صلاة الفجر ونزل من القلعة وتوجه الى تربة العادلي التي بالريدانية بفلس على
المصطبة التي هناك وسلم على الامير جاتم الجزاوى ثم أحضر الخلعة التي أرسلها له
السلطان سليمان ابن عثمان باسـتمراره على نيابة مصر فقام ولبسها وقبل الارض نحو
القبلة وكانت الخلعة بتماسيح مذهب على حجر ثم قصد الدخول من باب النصر
وشق من القاهرة فاصطففت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وأوقدت له
الشموع على الدكاكين وعلقت له القناديل والثرىات ولم تزين له القاهرة في ذلك اليوم
وكان سبب ذلك انه بلغ ملك الامراء ان السلطان سليمان قد مات له ولد ذكر مرأى فنع
الزينة بسبب ذلك فلما وصل الى قبة الامير يشبك الدوادار لاقته الامراء الجراكسة
والعسكر من المماليك الجراكسة قاطبة ولاقته قضاة القضاة الاربعة وهم كمال الدين
الطويل الشافعي ونور الدين على الطرابلسي الحنفي ومحيي الدين الدميري المالكي وشهاب
الدين أحمد الفتوحى الحنبلي ولاقته الامراء العثمانية وهم الامير على والامير خير الدين
نائب القلعة والامير نصوح وغير ذلك من الامراء العثمانية وخرج اليه طائفة الاصباهية
وأمرأؤها والكواخي من أغوات الانكشارية ومشى قدماهم الانكشارية قاطبة
والكلية قاطبة وهم يرمون بالنفوط ولاقاه أعيان الشرقية وهم الامير أحمد بن بقر أمير
طائفة جذام وأمير الرايتين ومشايخ عربان الغربية وهم حسام الدين بن بغداد وشيخ
العرب واصل بن الاحدب أمير هواة وشيخ العرب اسمعيل ابن أخى الجويلي وشيخ العرب
جريدش وآخرون من عربان الشرقية والغربية ومشى قدماهم النصاري بالشموع الموقودة
ودخل الامير جاتم الجزاوى وعليه خلعة السلطان سليمان ابن عثمان وهي مخمل مذهب فلما
دخل من باب النصر نزل القاضي بركات بن موسى عن فرسه ومشى بالعصا قدما ملك الامراء

من باب النصر الى ان طلع الى القلعة وكذلك الجالى يوسف نقيب الجيش ولاقته
الشعراء بالدف والشبابية السلطانية فلما وصل مدرسة الناصر نثر عليه الخلواتى الذى
هنالك شيئا من القضة فقال له ملك الامراء كثر الله خيرك فلما وصل الى باب سوق الوراقين
أطلقوا له مجامر البخور بالعود القمارى وركز والده الطبول والزمرور والمغاني من النساء
والرجال فى عدة أما كن من القاهرة وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت وأوقدت
له الشموع على الدكاكين ولا سيما تجار الوراقين فانهم أوقدوا له موكبات شمع كبار مذهب
وصار ملك الامراء يسلم على الناس كلما مر عليهم عينا وشمالا فارتفعت له الاصوات
بالدعاء من الناس قاطبة وكان الامير جانم الجزاوى قد امهه وعليه خلعة السلطان
سليمان وعن يمينه الامير قايتباى الدوادار وعن يساره الامير ارزمك الناشف وأعيان
المباشرين قد امه ودخل صحبة الامير جانم الجزاوى جماعة من أعيان مصر ممن كان أسر
مع السلطان سليم شاه فلما مات وتولى ولده سليمان السلطنة رسم لهم بالعود الى مصر فعد
ذلك من جملة محاسنه وعدله وفعله الحسن فحضر صحبة الامير جانم الجزاوى الشريف يونس بن
التابكى سودون العجى والشمسى محمد بن القاضى صلاح الدين بن الجيعان والزينى عبد
القادر بن القاضى بركات بن قرييط أحمد كتاب الممالك والقاضى كريم الدين عبد
الكريم بن اسراييل والقاضى كريم الدين المجولى وسعد الدين بن جلال الدين أحمد كتاب
الممالك وأولاد المستوفى سعد الدين وأخوه بركات وكال الدين العاتق مباشر أمير اخور كبير
وشهاب الدين أحمد بن أخى الاستاد اريونس النابلسى والحاج بدر العادلى المهتار وآخرون ممن
كان باسطنبول وأسروا من أهل مصر واستمر ملك الامراء فى ذلك الموكب الحافل حتى دخل
الى الميدان الذى تحت القلعة وقد طلع من جهة التبانة الى مدرسة السلطان حسن
وقد شاهدت هذا الموكب بالمعاينة وكان من الموكب المشهوددة بالجليلة فلما استقر ملك
الامراء بالقلعة خلع على الامير على العثمانى والامير نصوح والامير خير الدين نائب القلعة
والامير شيخ وخلع على القاضى زين الدين بركات بن موسى المحتسب فقطانا مخملا لكونه
مشى بالعصا قد امه من باب النصر الى القلعة وليكونه مدلا لامير جانم الجزاوى عند
ملاقاته مدة حائله فى بلبليس ثم فى الخانكاه وغير ذلك من الاماكن وفى هذه الواقعة يقول
الاديب البارع الفاضل ناصر الدين محمد بن قانصوه بن صادق وأجاد حيث قال

أهلا بمن عنه التواضع راوى * شرفا ومنه الجود و جداراوى
شرفا تخزله الرأس لكونه * شرفا علوا لفرقدين يساوى
يامرجبا من قادم أعينى به * مولى المقتر هو جانم الجزاوى
من جاء مصر بخلعة غراحت * والعزم من ذى الملك فخر احوى

شرف من اسطنبول معها أتي * منه الخـ يريك وخيراناوى
 لله ذلك اليوم وهو بها يرى * وسلامه داء القلوب يداوى
 في موكب الملك العظيم وحوله * أسد سطاها الراسيات يقاوى
 والناس في فريج وفي فريج به * والبقوم مثل النحل منهم داوى
 وصياحهم بالنصر من عظم الدعا * وعدوه كالكلب خزيا عاوى
 ولبعضهم بعضاً أصابعهم غدت * تبدى الإشارة والرؤس تلاوى
 جانم المقدى ونائب في مصرنا * والعز في ذى الخلعتين سماوى
 لازال في منليهما مر قاهما * فيه على زحل بغيرتهاوى
 ببقاء ذى الملك الذى أضى له * شرف على كسرى وفيه صرحاوى
 أعنى سليمان المقيم بـدله * أمنا اليه من تروعاوى
 والمدح ممن قانصوه له أب * يبدى على كبد العدو مكاوى
 واسانه عن حال مصر قائل * ومقاله داء الغلام داوى
 ان فاخرت بالنيل مصر غيرها * فنواله لبـلاد مصر تـقاوى

انتمى ذلك ثم أشيع ان السلطان سليمان نصره الله تعالى أرسل سبع قفاطين حري الى
 مشايخ العربان الذين بالصعيد والذين بالغربية والذين بالشرقية والذين بالبحيرة وأرسل لكل
 واحد منهم مرسوماً شريفاً على انشراحه مع القفطان وأرسل على يد الامير جانم الجزاوى
 قفطاناً مخملاً مذهباً للسيد الشريف بركات أمير مكة المشرفة وأرسل قفطاناً مخملاً للامير
 على بن عمر شيخ عربان الصعيد وأرسل قفطاناً مخملاً لشيخ العرب واصل بن الاحدب أمير
 هواره وأرسل قفطاناً مخملاً الى الامير أحمد بن بقر أمير جدام وأمير الرايتين وأرسل قفطاناً
 مخملاً لشيخ العرب حسام الدين بن بغداد شيخ عربان الغربية وأرسل قفطاناً مخملاً لشيخ
 العرب اسمعيل ابن أخى الجوبلى شيخ عربان البحيرة فأرسلوا ذلك مع المراسيم ومن كان منهم
 حاضر فى القاهرة لبس قفطاناً بحضرة ملك الامراء وفى يوم الاحد رابع عشره حضر
 بين يدي ملك الامراء الامير على العثمانى وخير الدين نائب القلعة والامير نصوح والامير شيخ
 والقاضى حمزة وغير هؤلاء من السكواخى ثم حضر الامير جانم الجزاوى مرسوماً السلطان
 سليمان ابن عثمان نصره الله تعالى فقام اليه الامراء العثمانية قاطبة وملك الامراء ولم
 يحضر ذلك المجلس أحد من الامراء الجراكسة ثم قرئ عليهم ذلك المرسوم فكانت
 الفاظه باللغة التركية فأحضر وامن حله بالعرسية فكان من مضمونه ان السلطان سليمان
 نعت ملك الامراء انعتا عظيماً وقوض له التكلم على مصر وأعمالها يعزل به امن يختار
 ويولى من يختار من الثغور والبلاد الشرقية والغربية وبلاد الصعيد ومن مضمونه أنه

إذا قدم عليه قاصد من بلاد الروم لا ينعم عليه بأكثر من ألف دينار فإنه بلغ السلطان سليمان أنه ينعم على قصاده الواردة عليه من بلاد الروم بمال جزيل فنعمه من ذلك ومن مضمونه أن ملك الأمراء يتظر في أحوال الرعية ويصرف الجند جوامكهم في كل شهر على العادة وأن يتظر في أحوال المعاملة في الذهب والفضة ومن مضمونه أنه أرسل يطلب جماعة من الأصباية يرضون إلى اسطنبول ويحجى إلى مصر غيرههم وأرسل يقول لملك الأمراء أن يتظر في أمر تبخير البضائع كالقمح وغيره وأظهر رعاية العدل في مرسوم ملك الأمراء وأكف فيه النظر في أحوال الرعية قاطبة وفيه يقول الناصري محمد بن قانصوه بن صادق كعب سليمان كعب خير * أعنى ابن عثمان دام ملكه من كعبه مصري رخاء * ومن سطاء الملوك ملكه

وفيه أشيع أن السلطان رسم للأمير جانم الجزاوى أنه إذا دخل إلى حلب يطلع القلعة ويأخذ المال الذي كان السلطان الغورى أو دعه بمال خارج إلى ملاقات السلطان سليم شاه ابن عثمان وكان نحو ستمائة ألف دينار وكسور فرس السلطان سليمان يحمل ذلك إلى ملك الأمراء خاير بك وأنه يسبك الفضة ويضربها باسم السلطان سليمان بمصر وتمشى في المعاملة للناس والله أعلم بحقيقة ذلك هل له صحة أولا وفي يوم الاثنين ثاني عشرية نزل ملك الأمراء من القلعة وعدى إلى البراءة ونزل بشبرمنت على سبيل التنزه وكان صحبته الأمير قانصوه وآخرون من الأمراء الجراكسة والأمراء العثمانية والقاضى شرف الدين الصغير والشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى بركات بن موسى المحتسب وآخرون من المباشرين وأقام بشبرمنت إلى يوم الأربعاء رابع عشرية صفر وأرسل يطلب عليقا ودقيقا وغير ذلك من دجاج وأوز وأشيع أنه توجه من هنالك إلى نحو النجيلة يتصيد فتوجه إليه الأمير جانم الجزاوى ونقيب الجيش الجمالى يوسف والقاضى شرف الدين بن عوض ويوسف بن أبى الفرج المفتش وابن أبى اصبع وغير هؤلاء من الأعيان وأرباب الوظائف وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن حجاج الموقع وكان من الأعيان وخدم عدة أمراء مقدسى ألوف واستهل شهر ربيع الأول يوم الأربعاء وكان ملك الأمراء غائبا فلم تطلع القضاة إلى القلعة ولم يهتأ بالشهر فلما كان يوم الثلاثاء سابعه حضر ملك الأمراء من تلك السرحة فكانت مدة غيبته في هذه السرحة خمسة عشر يوما فتنزه هناك وانشرح إلى الغاية وتصيد عديم الكراكي والغزلان ودخل عليه جملة تقادم حافلة من مشايخ العربان الذين بالغربية والشرقية والكشاف المدركين ما بين ذهب وفضة وخيول وجمال وبقروا جاموس وغنم وأوز ودجاج وقدور عسل ونحل وسمن وغير ذلك أشياء فاخرة تهدي للولاء فلما رحل من النجيلة لم يتوجه إلى الاسكندرية ولم يدخلها في هذه المرة بل قصد العود إلى القاهرة فلما وصل

الى قرية قليب تسامع به الناس فخرجوا اليه فاضافه هناك شيخ العرب ابن أبي الشوارب
وبات بقلوب فلما أصبح رحل من هناك وتوجه الى تربة العادلي التي بالر يدانية فمدت هناك
مدة حافلة فتغدى هناك ورحل فخرجت اليه قضاة القضاة لتلقيه فلم يجتمعوا به ولم يكن معه
غير قاضي القضاة محيي الدين يحيى بن الدميري فقط ثم اصطف له الناس على الدكاكين
لاجل الفرجة فلم يشق من القاهرة في ذلك اليوم وطلع الى القلعة من بين التراب فلم يشعر به
أحد وفي يوم السبت حادى عشره عمل ملك الامراء المولد النبوى فاجتمعت القراء والوعاظ
بالدهيشة وأرسل يقول لقضاة القضاة لا تكلفوا خواطركم ولا تطلعوا القلعة فان ملك الامراء
حصل له نوعك في جسده فلم يحضر المولد ثم أرسل خلف قاضي القضاة المالكي على انفراده
وقال له اطلع واحضر المولد وكان قاضي القضاة المالكي من أنخصاء ملك الامراء وكان عنده
من المقرين ثمان ملك الامراء أرسل يقول للامراء الجرا كسة والامراء العثمانية لا تكلفوا
خواطركم ولا تطلعوا الى القلعة بسبب المولد فان ملك الامراء احتجب في ذلك اليوم
بالاشرفية التي بجوار الدهيشة ولم يجلس عند المقرئين ولا حضر السماط في ذلك اليوم بل
قعد على رأس السماط قاضي القضاة المالكي والامير برسباي والخازندار وآخرون من
الامراء العثمانية وانقضى ذلك وفيه خلع ملك الامراء على القاضي أبي السعود بن الشحنة
واستقر أمير جكار عوضا عن الناصري محمد بن أحمد بن اسد بن فاجمكم صرفه عنها وفيه تغير
خاطر ملك الامراء على الطواشي مسك فرسم بتوسيطه ثم شفع فيه الامراء العثمانية فرسم
بنفيه الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فخرج من يومه وسافر في
البحر المالح وكان سبب ذلك أن مسك هذا المالك السلطان سليم شاه ابن عثمان الديار
المصرية لم يقابله واختفى حتى رحل ابن عثمان عن مصر واستقر الامير جان بردى الغزالي في
نيابة الشام وسافر اليها فخرج مسك صحبته في الخفية وأقام عنده بالشام فلما جرى للغزالي
ما جرى وقتل حضر مسك الى القاهرة وقابل ملك الامراء وصار عنده من المقرين وكان
مسك هذا الطيف الذات يشتمل على بجلة من المحاسن منها الخط الجيد والقراءة الحسنة وغير
ذلك من المحاسن فانفق أن الطواشي الذي حضر من اسطنبول رأى مسك هذا الذي كان
يكرم السلطان سليم شاه ولما دخل الى مصر هرب وتوجه الى جان بردى الغزالي فتغير خاطره
عليه فرسم ملك الامراء بتوسيطه ثم شفع فيه من التوسيط فرسم بنفيه وكان مسك هذا من
أعيان خدام الاشرف قايتباي وفي يوم الجمعة سابع عشره خرجت الملكة خاتون عمة
السلطان سليمان وقد تقدم القول انها أتت الى مصر لتج فلما حجت قصدت العود الى بلادها
وعين معهما ملك الامراء جماعة من الكلية ومن الاصباكية يحفظونهم في الطريق اذا
سافرت فاشيع بعد سفرها بايام أن العربان خرجت عليها في العريش ونهبت أطراف بركها

من جبال وقاش وغير ذلك ومن النوادر الغربية ما وقع يوم الخميس ثالث عشر به وذلك أنه قد أشيع في القاهرة بين الناس أن الشهابي أحمد بن الجيعان قد شق نفسه فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم أشد الاضطراب ولم يشك أحد من الناس في ذلك لأن المقر الشهابي أحمد بن الجيعان حصل له في تلك الايام غاية الشدائد والمحن وصار ممقوتاً عند ملك الامراء وقد تقدم القول على سبب ذلك فلما قويت الاشاعات بذلك كان الشهابي أحمد بالقلعة فقال له الامير جاتم الجزاوي قم وانزل وشق من القاهرة حتى تخمد هذه الاشاعة فقام ونزل من القلعة وشق القاهرة فلما رآه الناس فرحوا به وهنؤوه بالسلامة وحدث تلك الاشاعة الباطلة التي ليس لها صحة فعد ذلك من النوادر الغربية وفي شهر ربيع الآخر وكان مستهل يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة وهنؤوا ملك الامراء بالشهر فلما تكامل المجلس حصل في ذلك اليوم تساجرين قاضي القضاة الحنفى على الطرابلسي وبين مستنبيه محب الدين سبط الشيخ بدر الدين محمد بن الدهانة وقد ناقضه قاضي القضاة الحنفى في القول وقال له حكك لا يجوز قد وليت بالرشوة واسمعه من هذه الالفاظ المنكرة أشياء كثيرة بحضرة ملك الامراء وبحضرة قضاة القضاة ومشايخ العلم فقال قاضي القضاة الشافعي لمحب الدين حكك الذي حكته باطل فقال له محب الدين ما هو صحيح منك واستمر المجلس يتزايد في اللغط بين الفقهاء بحضرة ملك الامراء وكان قاضي القضاة الحنفى أهوج رهاج وعنده صعصعة وبادرة حدة مع قلة دربة فلما رأى ملك الامراء المجلس قد انفض على غير طائل أصلح بين قاضي القضاة الحنفى وبين مستنبيه محب الدين سبط بن الدهانة فاصطالحا صالحا على فسادوا انفض ذلك المجلس ثم ان ملك الامراء قال لقاضي القضاة الحنفى لا تبقى تعارض محب الدين في أحكامه فتزل محب الدين وهو منتصف على قاضي القضاة وقد بهدله في ذلك اليوم غاية البهدة وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بانه قد وقع بهما زلزلة عظيمة فهدمت عدة بيوت سقطت على أهلها ورمت الاعمدة التي تحت الاماكن والقبب وكانت من الامور المهولة وذكروا انه وقع مثل هذه الزلزلة في أيام الخنكاري يزيد جدد السلطان سليمان جفري عقيب ذلك ماجرى مع السلطان قايتباي وكسر مرتين وقتل من عسكره ما لا يحصى عدده وفي يوم الخميس سابعه أشيع أن شخصاً من جنما قال انه في يوم الجمعة تشور على الناس رياح عاصفة وتقع زلزلة عظيمة حتى تسقط منها البيوت وتقبض الناس وهم في صلاة الجمعة فانتشرت هذه الاشاعة في القاهرة وانطلقت السنة الناس بذلك قاطبة فاضطربت القاهرة لهذه الاشاعة وصار الناس يودع بعضهم بعضاً وباتوا تلك الليلة على وجل فلما أصبحوا وجاء وقت صلاة الجمعة دخلوا الى الجوامع فصلاوا وعلى رؤسهم طيرة فلما قضيت الصلاة وخرجوا من الجوامع صار لهم ضجيج وهم يهنئون بعضهم بعضاً بالسلامة ويصافحون

بعضهم بعضا وخذت هذه الاشاعة التي لا أصل لها وقد اتفق مثل هذه الواقعة في أوائل
سلطنة الاشرف قايتباي وأشيع مثل ذلك ان الناس اذا صلوا الصلاة يقبضون وهم في
صلاة الجمعة فلما دخل الناس الى الجوامع صار على رؤسهم طيرة فاتفق ان خطيبا كان في
الجامع الذي عند ميدان القمح وكان يعتريه خلط مصرع فلما صعد المنبر عرض له ذلك
الخلط المصرع وهو على المنبر فاضطرب وسقط عن المنبر فلما عين الناس ذلك اضطربوا
وهربوا من الجامع ولم يصلوا وظنوا أن الذي أشيع حق فعند ذلك من النوادر وأهل مصر
ليس لهم عقول يصدقون بالمحالات الباطلة التي ليس لها صحة وفي يوم الاثنين حادي عشره
نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى بولاق وكشف على المراكب الاغربة التي عمرها هناك
فسيرت قدامه في البحر ذهابا وايابا وهو ينظر اليها والنفوط عمالة ثم عاد الى القلعة وفي يوم
السبت سادس عشره سقطت القبة العظيمة التي كانت على الايوان بأكبر النهار وهذه
القبة من انشاء الناصر محمد بن قلاوون فلما سقطت تفاعل الناس بزوال ملك ملك الامراء
عن قريب وهذه القبة لها نحو مائتي سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها
رصاص وكانت مغلفة بقيشاني أخضر ولم يعرف في مصر أكبر منها وكانت من نوادر
الزمان وفي يوم الاثنين ثامن عشره توجه الامير شيخ العثماني الى اسطنبول وأرسل صحبته
تقدمة حافلة الى السلطان سليمان ابن عثمان وأرسل يشاور السلطان في أمور كثيرة
من أحوال المملكة وينتظر الجواب عن ذلك وأشيع أن السلطان سليمان أرسل يطلب
من ملك الامراء تخيل بلح ليزرعها في اسطنبول فشرع ملك الامراء في تجهيز ذلك فقبل
انه أرسل اليه خمسة مائة نخلة من البلح الحياني وهي تخيل صغار تطرح بلحا حيانيا أحر
في غاية الحلاوة فأرسل تلك النخيل في صناديق خشب وهي في طينها وأرسلها في مراكب
الى البحر المالح وتوجه من هناك الى اسطنبول وأرسل صحبته اخولة تزرعها هناك وفيه
جهاز ملك الامراء الاغربة وبها مقاتلون من المغاربة وغيرهم وقد بلغه أن جماعة من
الفرنج تعبت في السواحل وتشوش على المسافرين في البحر ولما سافر بعض التجار من
الاروam في البحر وقصد يطلع من الاسكندرية ويتوجه من هناك الى اسطنبول أوسق
معه عدة مراكب بضائع وأصنافا كثيرة من قماش وغير ذلك بنحو مائة ألف
دينار وكان في ذلك المركب رجال ونساء وصغار وتجار من الاروam وعبيد وجوار فلما
سافروا من ساحل بولاق وأقاعوا ذلك اليوم نارت عليهم رياح عاصفة فلما وصلت المركب
الى شبرادارت في البحر وغرقت هناك بكل ما فيها من الخلائق والبضائع والأصناف
وكان فيها تجار مغاربة وبحارة وكانوا قبل سفرهم صاروا يشوشون على الناس ويمسكونهم
من الطرقات غصبا بسبب المراكب فكثرت الدعاء عليهم من الناس بظلمهم وحصل

لاهل مصر في ذلك اليوم غاية الضرر فلما سافرت المراكب غرق أكبرها في يومها
 حلت من بولاق وذلك بدعاء الناس عليهم وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن المعلم ابراهيم
 اليهودي معلم دار الضرب كان له جاريتان احدهما حبشية والاخرى سوداء فوطئ
 الجارية الحبشية فحبلت منه فوضعت بنتا فعاشت تلك البنت سبعة أشهر ثم ان الجارية
 الحبشية أظهرت انها تريد ان تدخل الحمام فلما وصلت الى الحمام هربت وتوجهت الى
 بيت قاضي القضاة محي الدين بن الدميري وقالت له ياسيدي القاضي أنا مسلمة وأبدت
 الشهادة بين يديه ثم قالت له أنا سيدى المعلم ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب وقد وطئنى
 وحملت منه بهذه البنت وأنا صرت مسلمة مابقيت أفعده عنده فحكم قاضي القضاة
 بالإسلامها في الحال وأرسل خلف اليهودي معلم دار الضرب بسبب ابنته فانها صارت مسلمة
 تابعة لامها فحكم قاضي القضاة بالإسلام البنت أيضا وأمرها فقبل ان المعلم ابراهيم دفع
 لقاضي القضاة خمسة مائة دينار على أن يجعل البنت تبعها لايها فأبى من ذلك واستمر مصمما
 على حكمه فطلع ابراهيم اليهودي الى ملك الامراء وكتب قصة بشرح الحال ووقف الى
 ملك الامراء فقال له قاضي القضاة حكمكم بالإسلام البنت وأمرها وصارت مسلمة
 أعيدها أنا الى دين اليهود فلم يطلع من يد ابراهيم اليهودي في هذه الواقعة شيئا ونزل من القلعة
 وهو مخزى وعنتت الجارية وابتهت على رغم أنفسه وفيه قدمت الاخبار من الغربية
 ان عربان عزالة قد نزلوا على البساط بالقرب من تروجة وصاروا ينهبون الجرون ويرعون
 الزروع فخارهم شيخ العرب اسمعيل ابن أخى الجويلي وكسرهم واحتوى على جمالهم
 وأغنامهم وخيولهم وغير ذلك ولم يترك لهم شيئا وهربوا ومضوا حيث شاؤا ثم ان اسمعيل
 أرسل تلك الغنمة الى ملك الامراء فشكره على ذلك وفي شهر جمادى الاولى وكان مستهله
 يوم السبت طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهرو عادوا الى منازلهم وفي ذلك اليوم
 خلع ملك الامراء على الامير جانم السيفي دولات باى الاتابكي كاشف الفيوم وقرره أمير ركب
 المحل على عادته وهذه ثالث مرة يسافر أمير الحاج في دولة ملك الامراء خاير بك وفي ذلك
 اليوم (١) نادى ملك الامراء في القاهرة بان الدينار السليم شاهي يصرف باربعين نصفا من
 الفضة العتيقة والدينار السليماني يصرف بخمسة وستين نصفا حسابا عن كل نصف فضة من
 الفضة الجديدة يقع بنصفين وربيع عبارة عن ان الدينار السليماني يقف في البيع والشراء
 بخمسة وعشرين نصفا فلما نودي في القاهرة بذلك اضطربت أحوال الناس في تلك
 المعاملة وصارت البضائع تباع بسعيرين سعر بالفضة الجديدة وسعر بالفضة العتيقة فضج
 الناس من ذلك وغلقت الاسواق والدكاكين وبطل البيع والشراء ووقف حال التجار
 والمسيكين وصار النصف العتيق يصرف بستة دراهم فلوس جدد والفضة الجديدة تصرف

(١) قوله نادى ملك الامراء الخ تأمل هذا

بنصفين وربيع وقد لعب ابراهيم اليهودي في أموال المسلمين من ذهب وفضة وفلوس جدد
وتحكم في أخذ ما يريد الناس من أموالهم بغير حق والامر الى الله تعالى وفي يوم الاربعاء
خامس الشهر اجتمع الجرم الكثير من السوق والمسيين وجماعة من القزازين من منية أبي
عبد الله وجماعة من المكاسة وغير ذلك وجملاوا على رؤسهم مصاحف وربعات وأعلاما
وظلعوا الى القلعة وزعموا أن محي الدين بن أبي أصبغ قد ظلمهم بسبب مكس الاطرون
وأخذ منهم على حكم المعاملة الجديدة كل نصف بنصفين وربيع وقد ظلمهم وصار يقيم
لهم النصف من الفضة العتيقة بستة نقرة فلما طلعوا الى القلعة لم يجتمعوا بل كل امرأ
واحتجب عنهم وأرسل اليهم الامير جانم الحزاوي والقاضي شرف الدين الصغير كاتب
المال بك فقال لهم ملك الامراء يقول لكم هذا امر السلطان في أمر المعاملة فكابروا
ووقفوا وشكوا وتحسبوا وخرج اليهم جماعة من الانكشارية فضربوهم بالعصى على
وجوههم فتشتوا وزلوا على أسوأ حال وهم في غاية الذل وفيه نزل ملك الامراء وتوجه
الى بركة الحبش على سبيل التنزه فجهز اليه القاني المحتسب هناك مدة حافلة وأقام الى
آخر النهار ثم عاد الى القلعة في يومه وفيه نودي في القاهرة بأن السنج والارطال القديمة
التي كانت تتعامل بها الناس من قديم الزمان تبطل جميعها من القاهرة وأخرجوا لهم
سنج نحاس وأرطال تسمى العثمانية وهي عبارة عن تسعة دراهم فتتقص كل مائة درهم
أربعة دراهم في سائر الاوران قاطبة في البضائع حتى في المسك والعود والعنبر وغير ذلك
فتصير كل مائة درهم ستة وتسعين درهما وعملوا مثل ذلك في القبان أيضا وخرجوا على
الناس في استعمال تلك السنج والارطال وأوعدوا السوق ان كل من خالف في ذلك
شنق من غير معاودة في ذلك وقد تقدم القول أنهم أبطلوا الذراع الهاشمي وأخرجوا
الذراع العثماني الذي يزيد على الهاشمي خمسة قراريط ونصف قيراط وكتبوا على التجار
قسانم ان لا يستعملوا الا الذراع العثماني فقط فشق ذلك على الناس قاطبة وفي يوم السبت
ثامن الشهر رسم ملك الامراء شنق أنفار منهم يهودي ونصراني وقد ظهر عليهم شيء من
الزغل في الذهب والفضة وقد نتم النصراني على اليهودي فكبسوا على اليهودي في بيته
فوجدوا عنده آلة الزغل وشخص آخر مقدم درك الازبكية أشيع انه قتل في دركة شخصا
من الانكشارية وشخص آخر قيل هو ابن أنس التي كانت في الازبكية وغرقوه قبل تاريخه
فخوزقوا الاربعة في يوم واحد فاما اليهودي فخوزقوه عند باب الصاغة والنصراني فخوزقوه
بالقرب من المارستان وأشيع عنه انه لما خوزقوه أسلم وتلفظ بالشهادتين فلم يلتفتوا الى
اسلامه فخوزقوه وأقام يوما ووليله وهو في قيد الحياة يتكلم حتى مات بعد ذلك وأمامه دم
درك الازبكية فخوزقوه في الازبكية عند الدكة بالقرب من بركة قرموط عند المكان الذي

قتل فيه الانكشارى وأما ابن أنس المعرصة التى غرقوها فخورقوه فى الازبكية قيل انه كان لهجرة فى الانكشارى الذى قتل ومن الحوادث الشنيعة فى ذلك اليوم أن جماعة من الانكشارية مرر وابتلك النصرانى الذى خورقوه عند باب المارستان فوجدوه يتلفظ بالشهادتين فطلب شربة ماء من الانكشارية الذين حولوه وكان أربعة مما يليك من ممالك الامير قايتباى الدوادار واقفين مع الانكشارية فرفقوا بذلك النصرانى وأنزلوه الى الارض وقلعوا الخازوق من بطنه وسقوه شربة ماء وأرقدوه على الارض فحصل بين الانكشارية وبين ممالك الامير قايتباى الدوادار تشاجر بسبب ذلك النصرانى فانزع الشريينهم فسحب بعض ممالك الامير قايتباى خنجر اوهاش به على الانكشارية فجرح منهم شخص وسال دمه وانقطعت جرحته فتكاثرت الانكشارية على الممالك فهربوا منهم ويتوجهوا الى بيت الدوادار الذى بين القصرين فتبعهم الانكشارية وهجموا عليهم فى بيت الدوادار فاغلقوا الباب فى وجوههم فخنقوا منهم وقصدوا أن يحرقوا الباب وثارت فتنة عظيمة كما يقال ومعظم النار من مستصغر الشرر فلما بلغ الوالى ذلك أرسل دواداره فأعاد النصرانى الى الخازوق ثانيا وفيه الروح فلما طلع النهار بلغ الملك الامراء أخبار هذه الواقعة فتغير خاطره على الامير قايتباى الدوادار بسبب ممالك فارسى يطلب منه ممالك الذين فعلوا هذه الفعل فطلع اليه الامير جاني بك أخو الدوادار فلما رآه ملك الامراء طفش فيه بالكلام وقال له ان لم تحضر هذه الممالك الذين أثاروا هذه الفتنة ما يحصل لك خير فتزل من عنده وهو فى غاية النكد ثم ان ملك الامراء نادى فى القاهرة كل من أخفى عنده مملوكا من ممالك الدوادار شتى على باب داره من غير معاودة والذى يحضر مملوكا منهم فله مائة دينار وقفطان مخمل فلما كان يوم الاثنين عاشر الشهر نزل ملك الامراء الى الميدان وأحضروا بين يديه مملوكين من ممالك الامير قايتباى الدوادار ممن فعل هذه الفعل وقد قبض عليهم الوالى ورسم بتوسطهما فوسطوهما على باب الميدان ووسط معهم ابواب الدوادار أيضا لكونه أغلق فى وجه الانكشارية الباب فراح البواب ظلما وكان عند ملك الامراء الامير قايتباى فقتله ملك الامراء غاية المقت فلما رسم ملك الامراء بتوسط البواب قام الامير خير الدين نائب القلعة والامير نصوح العثمانى وشفعا فى ابواب الدوادار فان له أولادا وأبا شيخا كبيرا فلم يلتفت الى شفاعتهما فقاما وقبل يدي ملك الامراء ثانى مرة وهو لا يزاد الا قسوة وحصل للامير قايتباى فى هذه الحركة غاية البهدة وانحطت كلمته عند الناس قاطبة وقيل ان الامير قايتباى الدوادار دفع للانكشارى الذى قالوا انه جرح مائة دينار وأعطاه جرحته كانت عليه وجبتي حرير بفرو وسجباب فى نظير جوحته التى شرطت وأعطاه خنجر اعوضا عن خنجره الذى زعم أنه سقط منه وأرضاه بكل

ما يمكن وهذه من أبشع الحوادث وأشنعها ومن هنا ترجع الى أخبار ذلك التصرف الذي
 أسلم لما خوزقوه فاستمر يتلفظ بالشهادتين حتى مات فشاووروا عليه قاضي القضاة كمال
 الدين الطويل الشافعي فرسم بان يغسلوه ويكفونه ويصلوا عليه ويدفنوه في مقابر المسلمين
 ففعلوا به ذلك وسار جماعة من العوام قدام نعشه حتى دفنوه بعد الصلاة عليه في جامع
 الحاكم وفي يوم الخميس ثالث عشره سافر القاصد الذي كان حضر وبشر بأن الامير مصطفى
 قد تزوج بباينة السلطان سليم شاه وهي أخت السلطان سليمان فأتم عليه ملك الامراء
 بماله صورة وكذلك سائر الامراء العثمانية وأرباب الدولة فدخل عليه فوق العشرة
 آلاف دينار ودخل عليه مثل ذلك بالشام وحلب وسائر النوايا وفي يوم الجمعة رابع عشره
 أشيع قدوم شيخ العرب الامير أحمد بن قاسم بن بقر ويعرف بأبي الشوارب وكان توجه
 الى الامير جان بردى الغزالي وطلب له من ملك الامراء الامان على نفسه فحضر الى القاهرة
 وقابل ملك الامراء فخلع عليه وصار عنده من المقربين فأقام مدة على ذلك ثم بد الملك
 الامراء قتله فأرسل الى جاني بك كاشف الشرقية بان يقطع رأسه فتوجه اليه جاني بك وهو
 في منية أبي الحارث بالدقهلية فهجم عليه وقطع رأسه وقتل معه شخصا آخر من مشايخ
 عربان العايد فلما قتل الامير أحمد بن قاسم بن بقر بن بداره وسبيت نساؤه وأولاده ولم يعلم
 أحدا ما سبب ذلك ثم ان الامير جاني بك الكاشف أرسل رأس الامير أحمد بن قاسم ورأس
 شيخ العايد فرسم ملك الامراء برفن الرأس وقد أخذ ملك الامراء به من أحمد بن قاسم
 وكان في قلبه منه شيء من حين توجه الى الغزالي نائب الشام فكان كما يقال في المعنى

قالت ترقب عيون الحي ان لها * عينا عليك اذا ما نمت لم تنم

وفيه توفي الامير عمر از الشمسي السيفي الاتابكي الذي كان كاشف البحيرة وكان لا بأس به وفي
 يوم الاثنين سابع عشره قبض ملك الامراء على المقر الشهابي أحمد بن الجيعان وسجنه بالقاهرة
 بالعرقانة وكان ملك الامراء متحما لامنه في الباطن غاية التحمل وكانت هذه أول كائنة
 وقعت له مع ملك الامراء وأمره الى الله تعالى فأقام أياما وهو في الترسيم ثم ان ملك الامراء
 خلع عليه بعدما أورد ماله صورة من التقسيط الذي كان عليه وقد تقدم منه جميع ما معه
 من المال ولم يبق على ملكه لا رزقة ولا اقطاع ولا بيوت ولا دكاكين وابتاع سائر قاعانه التي
 على بركة الرطلي فاشتراها الامير قاسم الشرواني الذي كان نائب جدة بابنخس الأثمان
 وجرى عليه شدائد ومحن دون أقاربه الذين مضوا ومالاق خيرا في هذه الدولة وسيأتي
 الكلام على ذلك في موضعه وفي يوم الاثنين كان عيد الفصح عيد النصراري وهو أول يوم من
 الخمسين وهو أكبر أعياد النصراري فحكى عن يونس النصراني مباشر ملك الامراء أنه صنع
 في ذلك اليوم خمسين بطة من الدقيق برسم الكعك والخشتان واثنى عشر قنطار شيرج

وعشر قناطير سكر وعشرين ألف بيضة برسم صباغ البيض الذي يفرق على الناس ودخل عليه تقادم من الاعيان وأشياء كثيرة من أغنام وأوز ودجاج وغير ذلك وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا يقال له ابن الشاطر حسن المصارع خرج من بيته بعد العصر وركب على حماره ثم جلس على مصطبة تحت بيت فى الجسر ليتفرج فاضطرب ساعة يسيرة ثم طلعت روحه فى الحال وصار ملقى على الطريق فضى الناس الى ولده وزوجته وأخبروهما بموته فأحضر والاه نعشا وحمله عليه بعد المغرب ومضوا به الى بيته وكان ذلك الرجل يبيع الورق فنعوذ بالله من موت الفجأة على حين غفلة وفى يوم السبت ثانى عشر به قدم أمير من أمراء السلطان سليمان وقد طلع من البحر من نغرا الاسكندرية فلما بلغ ملك الأمراء قدومه رسم للامير جانم الحزاوى والامير قايتباى الدوادار أن يخرجوا الى ملاقاته فخرجوا الى وردان ولاقوه من هناك ومدوا له هناك مدة حافلة وصارت الكشف ومشايخ العربان تمده المدة بطول الطريق فلما وصل الى بولاق نزل اليه ملك الأمراء ولاقاه من هناك فلما كان يوم الاربعاء سادس عشر به دخل الامير سنان بك الذى أرسله السلطان سليمان الى مصر ليقوم بها عوضا عن الامير نصوح ويسافر الامير نصوح الى اسطنبول قيل ان الامير سنان هذا كان عند السلطان سليم شاه بن عثمان من المقربين وكان عنده بوابا لم يدخل الى مصر وكان موكلا بحفظه ليلا ونهارا فلما رجع السلطان سليم الى اسطنبول جعله نائباً على بلد يقال لها انطاكية فلما تأسلطن ولده سليمان أرسله الى مصر ليكون أميناً على ملك الأمراء فلما توجه اليه ملك الأمراء أركبه فرساً يسرج ذهب وعريقة زركش وألبسه قفطاناً ذهباً فركب من بولاق وملك الأمراء صحبته فتوجهوا من باب البحر وعلى رأسه صحنق حرير أحمر وخلفه طبلان وزمران وكان معه نحو مائة مملوك مشترواته فلما دخل من باب البحر استقر فى ذلك الموكب حتى شق من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فانزلوه فى بيت الاتابكي قرقاس الذى عند حوض العظام ومدوا له هناك مدة حافلة ثم أشيع انه لما دخل الامير سنان أخبر ان السلطان سليمان بن عثمان جهز خمسمائة مركب وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج بنفسه الى قتال أهل رودس من الفرنج وقد جمع من العساكر ما لا يحصى عددهم وهو قاصد التوجه اليهم قيل ان الامير سنان لما مر على ضياع الشرقية التى على شاطئ البحر وقف اليه الجمل الكثير من الفلاحين واستغاثوا به ودعوا بالنصر للسلطان سليمان بن عثمان وقالوا قد خربنا من الظلم يأخذوا منا النصف من الفضة الجديدة بنصفين وربيع وعند الحساب يقيمونه علينا بنصف فضة ما يحل من الله سبحانه وتعالى فوعدهم بالنظر فى أحوالهم ولم يظهر لقوله نتيجة فيما بعد واستمر كل شئ على حاله وفى يوم الخميس سابع عشر به طلعت مقدمة الامير سنان بك الى ملك الأمراء فكان من جلستها أربعة مماليك صغار

مردجرا كسة وجلان مابين شربات وطاسات وغير ذلك وجلان شقق برصاوى مذهب
وأثواب مخمل ملون وعليها فروس وهوروشق وسنجاب وجلان اقواس وغير ذلك وفى يوم
السبت سلخ هذا الشهر طلع الامير سنان بك الى القلعة وحضر الامراء العثمانية ثم ان
الامير سنان أحضر مرسوم السلطان سليمان الذى حضر على يده فلما قرئ عليهم -م كان
من مضمونه الوصية بالرعية والنظر فى أحوال الناس فى أمر المعاملة وأرسل يقول للملك
الامراء انه لا يمكن أحد من الانكشارية من النزول الى المدينة حتى لا يشتكى أحد
من الناس منهم وان ملك الامراء لا يصرف لهم -م فى كل يوم أكثر من درهمين فضة كما
كانوا فى اسطنبول وأرسل يقول له أشياء كثيرة من تعلقات المملكة وفى شهر جمادى
الآخرة وكان مس -ته يوم الاحد طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا
الى منازلهم وقيل لما طلع القضاة الى القلعة للتهنئة نزل ملك الامراء لزيارة الامام الشافعى
والامام الليث فابطأ عليهم حتى اضحى النهار وهم جلوس بجامع القلعة فلما عاد جلوس
بالدهيشة وأرسل خلفهم فهنؤه بالشهر ونزلوا وفى ذلك اليوم حضر الشريف البردينى من
اسطنبول وعلى يده مرسوم من عند السلطان سليمان متوج بعلامته بانه استقر به ناظر
المدرسة الشيخونية وشيخها وكذلك مشيخة مدرسة الامير قانى باى الجركسى التى فى الرملة
والنظر على جهات السادة الاشراف قاطبة فلم يلتفت الى ما فى مراسيمه وعز ذلك عليه فانه
أخذ عدة أنظار ونزع أيدي المتحدثين عليها ومما وقع فى ذلك اليوم ان شخصا وقف الى ملك
الامراء بقصة واشتكى فيها المقر الشهابى أحمد بن الجيعان شكوى بالغة وكان ملك
الامراء متغيظا عليه فلما شكاه ذلك الرجل قبض عليه ملك الامراء وسجنه فى مخزن
عند بواب الحوش ورسم أن لا يدخل عليه أحد من جماعته ولا يفرش تحته شئ ولا حصر
ثم قبض على دوا داره محمد وضربه بين يديه وسجنه بالعرقانة داخل الحوش وقرر عليه
ألف دينار يوردها على الجامكية وفى يوم السبت سابعه دخل العسكر الذين أرسلهم
السلطان سليمان الى مصر يقيمون بها والذين كانوا ياتوجهون الى اسطنبول فلما وصل
العسكر الى الريدانية نزل ملك الامراء الى تربة العادلى ولاقى العسكر الذين حضروا من
اسطنبول وكان باشهم يسمى الامير خضر وكان ذلك العسكر كله من الاصباكية قيل انهم
فوق ألف انسان فدخل ملك الامراء من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب
حافل فلما دخلت الاصباكية الى مصر طفشوا فى المدينة بسبب البيوت التى ينزلون بها
فصاروا يشوشون على الناس ويخرجونهم من بيوتهم -م غصبا بالضرب ويسكنون بها ثم
أشيع انه حضر صحبة العسكر شخص من العثمانية يزعم انه قاض من قضاة ابن عثمان
وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليمان بأن يستقر فى وظيفة يقال لها القسم

وموضوع هذه الوظيفة أن يكون متحداً على جميع الترك قاطبة الاهلية وغير الاهلية ولا يعارضه أحد من الناس في ذلك ويأخذ مما يتحصل من كل تركة العشر لبيت المال الاهلية وغير الاهلية فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل ومن مضمون مراسيمه أن لا أحد من المماليك الجرا كسة وأولاد الاثران قاطبة وأرباب الدولة والاصباوية والانكشارية يعقد عدا على بكر أو ثيب الا عند ذلك القسم ويأخذ على عقد البنت ستين نصفاً والثيب ثلاثين نصفاً فأخذ قسمهم على قضاة القضاة بذلك فاضطربت أحوال الناس لذلك ولم يتعصب أحد من قضاة القضاة لمنع ذلك عن المسايين وقد خافوا على مناصبهم من العزل وتغافلوا حتى ضعفت شوكة الاسلام في أيامهم واستطاعت قضاة الروم عليهم وقد ترادفت الحوادث المنكرة والبدع الشنيعة المخالفة للشريعة في هذه الايام وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه فصار يوسف بن أبي الفرج مفتش الرزق والاقطاعات ونفخ الدين بن عوض مفتش الرزق الاحباسية التي بالصعيد والامير على العثماني مفتش الاوقاف قاطبة والقسم الذي حضر قسم الترك وملك الامراء يعينهم على ذلك فأين المهرب كما يقال في المعنى

رعاة الشاة تحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة هي الذئاب

وفي يوم الاحد خامس عشره خرج الامير على العثماني باش العسكر الاصباهية وتوجه الى خيامه بالريدانية ثم في يوم الخميس تاسع عشره خرج الامير بصوح العثماني وصحبته من كان تأخر من الاصباهية فلما سافروا سكن الامير سنان في بيت الامير ازدهر الدوادار عوضاً عن الامير نصوح وسكن الامير خضر في بيت الامير طراباي عوضاً عن الامير على الذي توجه الى اسطنبول وفي يوم الجمعة عشريه حضر القاضي بركات بن موسى المحتسب وكان مسافراً نحو المنزلة فأقام بهامدة ثم رجع فلما طلع الى القلعة وقابل ملك الامراء خلع عليه فنزل من القلعة وهو في موكب حافل ففي ذلك اليوم أشهر المناداة في القاهرة بأن النلوس الجدد كل فلسطين بدرهم فحصل للسوقة غاية الضرر بسبب ذلك ثم ان القاضي بركات بن موسى المحتسب ضمن الشهابي أحمد بن الجيعان وأفرج عنه من الترسيم ونزل الى منزله وكان له مدة وهو في الترسيم كما تقدم وفيه عزم الامير سنان على ملك الامراء فنزل اليه ملك الامراء فدخله مدة حافلة وحضر أيضاً الامير خضر فأقام ملك الامراء عنده الى قريب الظهر وركب من عنده وطلع الى القلعة وفيه رسم ملك الامراء بشنق ثلاثة أنفس وكان ذنبهم أنهم سرقوا شيئاً يسيراً من الخييار الشنبر فشنقوا بسبب ذلك وراحوا ظلماً وفي يوم الاثنين ثالث عشره أنفق ملك الامراء على العسكر جامكية ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة لانهم كان لهم ستة أشهر مكسورة لم تصرف وفي ذلك اليوم قطع ملك الامراء جوامك كثير من المماليك الجرا كسة وأولاد الناس وصرف لهم بحكم

النصف جعل لكل واحد ألف درهم ويصير طرخانا فشق ذلك على الممالك الجراكسة
وكان فيهم من هو كفو للأسفار والتجار يد وفيهم من هو شاب بطل وكذلك أولاد الناس وفي
أواخر هذا الشهر حضر أولاد من اسطنبول في البحر المالح إلى الاسكندرية ثم قدم إلى مصر
وطلع إلى ملك الأمراء وعلى يده مرسوم من عند السلطان سليمان ابن عثمان فكان من
مضمونه ان الواصل إلى الديار المصرية الذي يسمى سيدي جلابي هو أعظم قضاة السلطان
سليمان وأكبرهم وان السلطان سليمان رسم بإبطال القضاة الأربعة الذين بمصر ويصير قاضي
العسكر الذي هو قادم يتصرف في الأحكام الشرعية على المذاهب الأربعة وأن سائر
النواب والشهود تبطل قاطبة ويقتصر الأمر على أربعة نواب من كل مذهب نائب لا غير
وكل نائب يقتصر على اثنين من الشهود لا غير وان النواب الأربعة يكونون في الصالحية لا غير
وان لأحد يد عقد ولا يوقف وقف ولا يكتب وصية ولا اعتقا ولا اجارة ولا حجة ولا غير
ذلك من الأمور الشرعية حتى تعرض على قاضي العسكر بالمدرسة الصالحية دائماً فلما وقف
ملك الأمراء على مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان أرسل يقول للقضاة الأربعة اصرفوا
الرسل عن أبوابكم والنواب قاطبة والوكلاء والزمو أي وتكم إلى أن يحضر قاضي العسكر
حسب رسم به السلطان سليمان ابن عثمان فامتلأوا ذلك وصرفوا من كان على أبوابهم من الرسل
والوكلاء فاضطربت أحوال النواب والشهود والقضاة قاطبة وضاق الأمر على الناس
أجمعين وفي يوم الجمعة سابع عشرية وقعت حادثة مهولة وهي أن ملك الأمراء أرسل
خلف الشهابي أحمد بن الجيعان شاويشا فلما حضر بين يديه بطحه على الأرض وضربه
ضرباً مبرحاً حتى قيل تبديل عليه خمسة وعشرون نوبة يضربونه بالعصى ثم انه طلب
القاضي شرف الدين الصغير كاتب الممالك وكان مريضاً ملازم الفراش وعينه موجوعة
ولما أرسل خلفه اعتذر بأنه قد شرب دواء وهو مريض فخنق منه ملك الأمراء فأرسل إليه
أربعة شاويشية فحملوه من فراشه وأركبوه غصبا فلما طلع إلى القلعة ووقف بين يدي ملك
الأمراء بطحه إلى الأرض وضربه ضرباً مبرحاً حتى قيل تبديل عليه خمسة وعشرون نوبة
وهو يقول للممالك الذين يضربونه اضربوه قويا هذا عدوكم ألا كبر فضربوه حتى
كاد أن يموت ويهلك ثم طلب القاضي شرف الدين بن عوض فلما خصر بطحه على
الأرض وضربه ضرباً مبرحاً دون ضرب الشهابي أحمد بن الجيعان ثم طلب محي الدين بن أبي
أصبع وهم بضربه فشهد له الأمير برسيان الخازن دار أنه غلق ما عليه من التقييط فأقامه
ولم يضربه في ذلك اليوم ثم رسم ملك الأمراء بسجن الجميع في العرقانة فسجنوا فيها وقد
خرب بيت أولاد الجيعان عن آخره وقد اشتد غضب ملك الأمراء على المباشرين في
ذلك اليوم وكان يوماً مشهوداً بالنكد عليهم قاطبة وقيل لم يسجن بالمرقانة سوى القاضي
شرف الدين الصغير وسجن الشهابي أحمد بن الجيعان وابن عوض عند باب الخوش إلى

أن يكون من أمرهما ما يكون (أقول) أن أولاد الجيعة ان قد خدموا سبعة عشر سلطانا
وباشروا ديوان الجديش وكتابة الخزانة في أوائل دولة الاشرف برسباي وكان أول اشتهارهم
وظهورهم في دولة الملك المؤيد شيخ وذلك نحو مائة وعشرين سنة فأنهينوا فيها قط
ولا ضربوا ولا صودرا ولا جرى عليهم قط تشويش وهم في كل دولة معظمون مكرمون
وماتهم دلوا قط وما جرى عليهم مثل ما جرى على الشهابي أحدهم وكادت السلطين
تعظمهم غاية التعظيم الى غاية دولة الاشرف الغوري وفيه وقعت حادثة غريبة وهي أن
شخصا من تجار الروم بخان الخليلي يقال له الخواجا محمود العجمي التبريزي وهو في سعة
من المال وكان يقرض أعيان المباشرين المال بالفوائد الجزيلة ويأخذ ذالربا من الناس
على القرض ولا سيما المحتاج لذلك فاتفق انه سكر يوما وأتى الى منزله فوجه دجواريه
واقعات في بعضهم وتقاتلن قتالا مهولا فخنق منهن فضر به جارية حبشية منهن على
ضلعها فجاءت الضربة صائبة فماتت الجارية من وقتها وكان معه منها أولاد وكادت
الاشلة تقوم عليه من الناس من أهل الحارة لاجل ذلك فطلع الى ملك الامراء وقص عليه
القصة بأمر تلك الجارية واعترف بقتلها فغضب عليه ملك الامراء ورسم بمسكه ثم أرسله
عند الوالي فركب الوالي وتوجه الى بيت الخواجا محمود ليكشف عن أمر تلك الجارية كيف
قتلت فوجد الخواجا محمودا كان ظالما عليها وقد قتلها بغية ذنب وقد شهد أهل الحارة أنه
يسكر كل ليلة ويعربد في الجوار فطلع الوالي الى ملك الامراء وأخبره بسيرة القبيحة وأنه
ماش على غير الطريق وأنخن جراحاته عند ملك الامراء فرسم بسجن الخواجا محمود في
العرفانة وقيل انه سأل ملك الامراء أن يدفع اليه ألف دينار فأبى من ذلك ولو أن
الخواجا محمود أَرْضى الوالي بمائة دينار وستر عليه هذه الكائنة ما وصل الأمر الى ذلك ولكن
اتسعت هذه الواقعة الى الغاية وأشيع أن ملك الامراء طلب منه عشرة آلاف دينار وهذا
كاه آفة الر بالذي كان يأخذه من الناس فانه كان يقرض الالف دينار بألف وخمسة مائة
دينار والذي خبث لا يخرج الانكد انهم ملك الامراء على حواصله ثم شفع فيه بهض
الامراء العثمانية فأخذ ثلاثة آلاف دينار ثم ان ملك الامراء تتبع أصحابه الذين كان
يسكر معهم فأخذ من كل واحد منهم ألف دينار وكانت هذه السكر سكرة الشوم على
الخواجا محمود وأصحابه وفي يوم الاحد تاسع عشر به عرض ملك الامراء القاضي شرف
الدين الصغري والشهابي أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وقصده ضربهم ثم نأيا
ثم وضعهم في الحديد ورسم للوالي أن يشنق الثلاثة على أبواب بيوتهم واحتاط بهم
مقدمو الوالي فضعهم القاضي بركات بن موسى المحتسب الى بكر النهار حتى يسعوا في
سدا ما كان تأخر عليهم من التقاسيط التي تأخرت في البلاد فأخذ الشهابي أحمد بن الجيعان

في أسبـاب بيع بيوته ورزقه وأملا كه التي كانت على بركة الرطـلى فاشتراها الامير
 قاسم الشرواني بأجنس الاثمان ولم يبق بيد الشهابي أحد لملك ولا رزقة ولا بيت ولا ربع
 ولاد ~~كان~~ ولا شيء قل ولا جـل ثم ان أخـته باعت جميع ما تملكه من مصاغ وحلى
 حتى باعت البسطن تحتها والطرايح واللحف والمخدات وأثاث البيت وفعلوا من مثل ذلك
 بسراريه وجواريه الموزقات وغير ذلك من حاشيته وعبيده وعلمانه ثم ان القاضي
 عبد الجواد أخا القاضي شرف الدين الصغير أخذ في أسباب ما يؤخذ على أخيه من التقيـط
 فاقترض وتداين وقد أشرف على التغليق وكذلك القاضي شرف الدين بن عوض وفي يوم
 الاثنين سلخ هذا الشهر أشـيع أن ملك الامراء يقصد أن يعرض العسكر فطلع العسكر
 الى القلعة قاطبة فلم يخرج ملك الامراء في ذلك اليوم وأرسل يقول للعسكر ~~كر~~ العرض
 يوم السبت فانفضوا ونزلوا من القلعة ولم يعرضوا في ذلك اليوم وفيه جاءت الاخبار بوفاة
 الشريف علي بن هجارمـير اليـنبـع توفي هو ووزيره أحمد بن زحام في جمعة واحدة وكان
 من خيار من ولي امرية اليـنبـع وفي ذلك اليوم نودي في القاهرة بان الغريب يسافر لاهله
 وأن لا يقيم بمصر غريب وكان سبب ذلك انه أشيع أنهم قبضوا على شخصين من الاعمام زعموا
 أنهم جواسيس من عند اسمعيل شاه الصوفي وفي شهر رجب وكان مستهل يوم الثلاثاء
 أهل هذا الشهر والناس في أمر مررب بسبب ما وقع من الحوادث من عزل القضاة الاربعة
 وسائر نوابهم والشه ود قاطبة وما وقع للبشر من هذه الكائنة العظمى ومنها أمر
 المعاملة التي حصل للناس منها غاية الضرر ولا سيما الفلاحين يقبضون الخراج منهم على
 حكم الفضة الجديدة بنصفين وربع ويقيمونه عند الحساب بنصف واحد وقد تزايد
 الاضطراب في هذه الايام جدا من وجوه كثيرة وفي يوم الاربعاء ثابته أشيع هروب شيخ
 العرب بيبرس بن بقر وانه توجه الى نحو الطور وأخوه عبد الله بالبرج في القلعة وهو مقيـد
 وله نحو ثلاث سنين في البرج لم يفرج عنه وصار أبوهـم الامير أحمد بن بقر هو المـتـكلم في
 الشرقية قاطبة وفي هذا الشهر قدم الزيني عبد القادر بن الملكى الذي كان توجه الى
 اسطنبول مع من توجه من الاسرى فأفرج عنه السلطان سليمان ابن عثمان مع من أفرج
 عنه وفيه نزل ملك الامراء الى قصر ابر العيني الذي بالمنشـية على سبيل التنزه فأقام
 هناك الى ما بعد العصر فأرسل اليه القاضي بركات بن موسى المحتسب هناك لمدة حافلة على
 حكم ما تقدم له قبل ذلك وفي يوم الخميس ثالثه طلب ملك الامراء الشهابي أحمد بن الجيعان
 وشرف الدين بن عوض فلما ثابته يديه رسم بضربهم - حاضر بامير حافظ ريا حتى أشرفا
 على الموت وكانا في غاية الالم مما نالهـما من شدة الضرب الاول وجاء هذا الضرب الثاني زيادة
 على ذلك وأمرهم الى الله تعالى وفي يوم السبت خامسه نزل ملك الامراء الى الميدان

وجلس به وعرض العسكر قاطبة وعين منهم جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة نحو ألف وخمسمائة مملوك وقال لهم كونوا على برفان طلبكم السلطان من البحر توجهوا اليه وان طلبكم من البر توجهوا اليه وفي ذلك اليوم طلع ملك الامراء وقطع جوامك كثيرة من العسكر وصرف لهم بحكم النصف من الجسامكية وفي يوم الاحد سادس فودى في القاهرة بان كراي بيوت الاوقاف التي تحت نظر القضاة وغيرهم لا يقبضونه الا على حكم المعاملة الجديدة كل نصف بنصفين وربيع وان الاشراف في الذهب يصرف بسبعة عشر نصف فامن الفضة الجديدة فشق ذلك على الناس قاطبة وحصل لهم غاية الضرر وفي يوم الاثنين سابعة عرض ملك الامراء جماعة من امراء الجراكسة ما بين امراء طبخانات وعشراوات فقطع رواتبهم التي كانت تصرف لهم ثم رسم بان يصرف لهم بحكم النصف من ذلك كما فعل بالماليك الجراكسة فحصل لهم في ذلك اليوم كسر خاطر عظيم وكان فيه ممشوخ من القرائصة الاغوات وفي يوم الخميس عاشر الشهر قدم قاضي العسكر الموعود به المسمى بسيدى بحلي واستمر ملك الامراء بصحبته الى ان انزل في بيت الامير جاتم مصبغه الذي خلف المدرسة الغورية وأرسل اليه مدة حافلة فلما استقر هنالك أتى اليه قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة المالكي محيي الدين الدميري وقاضي القضاة شهاب الدين الفتيوحى الحنبلى وكان قاضي القضاة الحنفى مريضاً فلم يحضر اليه فقبل لمداخلوا عليه لم يقيم لهم ولم يعظمهم وكانت صفته انه شيخ هرم أبيض اللحية طويل القامة وعلى عينه اليمنى فص فلم ينظر الا بعين واحدة وهو فصيح اللسان باللغة العربية حسن المحاضرة ولكن قال القائل في المعنى

لا تشكرن امرأ حتى تجربه * ولا تذر منه من غير تجرب

فشكرت المرء ما لم تختبره خطا * وذهبه بعد شكر محض تكذيب

وفي يوم السبت ثاني عشره فودى في القاهرة بإبطال القضاة العتيقة قاطبة وانها تدخل الى دار الضرب وفي ذلك اليوم نزل ملك الامراء الى الميدان وجلس به وأحضر الامراء العثمانية والامير قايتباي الدوادار ثم حضر قاضي العسكر وأخرج مرسوم السلطان سليمان الواصل على يده فكانت ألفاظه باللغة التركية فاحضروا من قرأ ذلك فكان من مضعونه الوصية بالعربية قاطبة وانما المظلوم من ظالمه واصلاح المعاملة في الذهب والفضة بين الناس وقد تعاضم عليهم قاضي العسكر فلم يجلس بينهم ولا حضر قراءة مرسوم السلطان ومن جملة ألفاظه نعت قاضي العسكر فكان من نعته أوصاف جميلة تختص به وأن يكون له التكلم في الاحكام الشرعية على المذاهب الاربعة ويحكم في المدرسة الصالحية بين الناس ثم ان قاضي العسكر جعل شيخاً من العثمانية يقال له القاضي صالح أفندي نائباً عنه

يحكم في المدرسة الصالحية بين الناس وكان حنفياً ثم ان قاضي العسكر استناب شخصاً آخر
يقال له فتح الله وكان من العثمانية وكان شافعي المذهب ثم ان قاضي القضاة جعل تحت يد كل
قاض من الاروام قاضياً من أولاد مصر فجعل القاضي شهاب الدين بن شيرين الحنفي نائباً
عن القاضي صالح أفندي العثماني وجعل القاضي شمس الدين محمد الحلبي الشافعي نائباً
عن القاضي فتح الله العثماني وجعل القاضي أبا الفتح الوفائي أحد نواب المالكية يحكم بين
الناس على قاعدة مذهبه وجعل نظام الدين الحنبلي يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه
والمرجع في الاحكام الشرعية الى قاضي العسكر ثم رسم لكل نائب من النواب الاربعة
أن يقتصر على شاهدين لا غير وسائر النواب والشهود تبطل قاطبة ثم رسم قاضي العسكر
لرسله والوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية اذا وقفوا قدامه يأخذون في أيديهم العصي
فاجتمع بالصالحية من الرسل فوق الستين رسولا وصاروا على هذه الهيئة ثم ان قاضي
العسكر أقام من الاروام شخصاً وسماه قسام الترك فجعل على كل تركه الخمس لبيت المال مع
وجود الورثة من الاولاد الذكور والانات فحصل للناس بذلك الضرر الشامل وفي يوم الاحد
ثالث عشره نودي في القاهرة عن لسان قاضي العسكر بان الشهود قاطبة لا يعقد أحد منهم
عقداً ولا يكتب وصية ولا اجارة ولا مبايعة ولا شيئاً من الامور الا في المدرسة الصالحية عند
القاضي صالح نائب قاضي العسكر فحصل للناس بسبب التزويج في هذه الايام غاية المشقة
واختار كل منهم العزوبة على التزويج فكان الامر كما قال القائل في المعنى

اذ انكح الرجال بنات قوم * وصار المهر في أيدي الفريق

عمدت الى يدي فنكحت بكراً * وأمام مهرها عندى فريق

وفيه نزل ملاك الامراء الى قاضي العسكر وسلم عليه وقد باغوه أنه توقع في جسده فنزل اليه
وعاده ثم طلع الى القلعة وفي يوم الثلاثاء خامس عشره أنفق ملاك الامراء على المالك
الجزا كسرة جوامكهم وكان لهم سبعة أشهر منكسرة فأنفق عليهم في ذلك اليوم أربعة
أشهر حتى على الغلمان والمباشرين والفقهاء والمقرئين ومن له عادة وفيه منع قاضي العسكر
شمس الدين الحلبي من التكلم في المدرسة الصالحية وقرر عوضه القاضي شجاع العثماني
وجعله قاضي العسكر متحداً على أوقاف الجوامع والمدارس ومعالم الانتظار فطلب الجباة
وقال لهم ارفعوا الى حساب الاوقاف وقدر معالي الانتظار وما قدرها في كل شهر فشرعوا في
أسباب ذلك وفي عمل الحساب ثم ان قاضي العسكر رسم بأخذ الخلاوى التي في المدرسة
البروقية والاشرفية والغورية وغير ذلك من المدارس وأنزل فيها جماعة من الاروام
الاتفاقية ثم ان القاضي صالح نائب قاضي العسكر عرض الرسل الذين في المدرسة الصالحية
ورسم لهم أن لا يأخذ الرسل منهم في الشغل الذي يتوجه اليه أكثر من نصف فضة من

الفضة الجديدة بنصفين وربيع وجعل على من يتزوج بكرا ثلاثة وأربعين نصفاً ويتكاف
للشهود والعاقدة مثل هذا هذا ما تقرره على العوام وأما الرؤساء فشيء غير ذلك وقرر على كل
شهادة تقع في المدرسة الصالحية قدر ما يلزم بحسب كل شغل ثقيل أو خفيفاً ثم
أشيع عن قاضي العسكر أنه قال قصدي أمشي نساء مصر على قاعدة نساء اسطنبول مع
أزواجهن فإن عاداتنا إذا دخل الرجل على زوجته تعطيه نصف المهر الذي أعطاه لها وأن
الرجل لا يقرر لزوجه لا كسوة ولا نفقة بل يكسوها في كل سنة جوخة وقيصين
ويطعمها في كل يوم على ما يختار من قليل وكثير وتغزل وتكسي زوجها في كل سنة
فلما سمع العوام بذلك فرحوا ودعوا القاضي العسكر بسبب هذه الواقعة واغتم النساء بذلك
وظنوا أن ذلك الشيء واقع وأن قاضي العسكر أبطل كسوتهن ونفقتن فشق ذلك عليهم
فعدم من النوادر الغريبة ومن الحوادث أن شخصاً صليحاً ودياً وقف إلى القاضي صالح نائب
قاضي العسكر وكتب قصة واشتكى فيها الأمير ثم أحد الأمراء الأطباء الخانات ناظر الدشيشة
فارسل خلفه القاضي صالح رسولاً وانكشاً رايها فلما حضر إلى المدرسة الصالحية ادعى اليهودي
على الأمير ثم فأنصف القاضي صالح اليهودي من الأمير ثم واستقر الأمير ثم في الترسيم
حتى أرضى اليهودي ثم في عقيب ذلك اشكت الأمير جاني بك أخا الأمير قايتباي الدوادار
زوجته عند القاضي صالح فطلبه في المدرسة الصالحية ووضعها في الترسيم حتى أرضى
زوجته فيما ادعته ولم يلتفت إلى أخيه الأمير قايتباي الدوادار وفي يوم الخميس سابع عشر
نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء وقاضي العسكر بان لا امرأة تخرج إلى الأسواق إلا
بالحجاب وكل من خالف بعد ذلك من النساء نضرب وتربط من شعرها بذهب أكديش ويطاف
بها في القاهرة فحصل للنساء بسبب ذلك غاية الضرر ثم بعد ذلك بأيام اتفق أن قاضي العسكر
طلع إلى القلعة فوجد نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصباكية في وسط السوق فعز ذلك عليه
فلما طلع إلى القلعة قال للملك الأمراء ان نساء مصر أفسدت عسكر الخنكار ولا بقوا ينفعون
لقتال قط وقص عليه قصة النسوة مع الاصباكية فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء فاطبة
ورسم للوالي بان لا امرأة تخرج من بيتها مطلقاً ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً وكل مكارى
أركب امرأة شتى من يومه من غير ماودة في ذلك ثم في عقيب ذلك اليوم رأى امرأة راكبة مع
مكارى في طريق الصحراء فأنزلوها عن الحمار وهرب الحمار فضر بوها وقطعوا أزارها فأنزلت
الابعد جهد كبير وغرمت نحواً شرفيين فلما استقر ذلك الأمر باعت المكارية جبرها قاطبة
واشتروا عوضها أكديش وشدوها بنصف رجل وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارى
قائد لحام الأكديش واستمر وأعلى ذلك وبطل أمر الحمار المكارية من القاهرة وركبت الخوندات
والسلمات على الأكديش على طريقة أهل اسطنبول وفيهم من ركب على بغل ويقرب

من هذه الواقعة ما وقع في أيام الأشرف برسباي أنه منع النساء من الخروج إلى الأسواق مطلقا وكان الطعن بمصر عمالا وكانت الغاسلة إذا خرجت إلى ميتة لتغسلها تأخذ من المحتسب ورقة وتغزرها في أزارها حتى يعلم أنها غاسلة فاستمروا على ذلك مدة يسيرة ثم في عقيب ذلك مرض الأشرف برسباي ومات بعد ذلك وأعيد لكل شيء على ما كان عليه وفيه نزل القاضي بركات بن موسى المحتسب من القلعة بعد العصر ونادى بأن الأشرف في الذهب السليماني يصرف من الفضة الجديدة بخمسة وعشرين نصفا والأشرف في الذهب السليم شاهي والغوري يصرف من الفضة الجديدة بخمسة عشر نصفا وأن الفلوس الجدد كل أربع جدد بدرهم ثم إن المحتسب سعى سائر البضائع على ما كانت عليه في أيام يثبلك الجالي المحتسب فلما نودي بذلك ارتجبت القاهرة بسبب أمر المعاملة في الذهب والفضة ومحصل للناس غاية الضرر وخسروا أموالهم ولا سيما التجار فغلقت أسواق البلد والدكاكين قاطبة وتعطل الناس من البيع والشراء لاجل إبطال المعاملة وصرف النصف الفضة بنصفين وربيع وفي يوم الأحد عشر به نودي في القاهرة كل شيء على حكه كما كان أولا في صرف الذهب والفضة والفلوس الجدد كل اثنين بدرهم على ما كانت عليه أولا فستكن الاضطراب قليلا وفي يوم الأربعاء ثالث عشر به نزل ملك الأمراء وتوجه نحو قصر ابن العيني الذي في المنشية وكشف على المراكب التي أنشأها هنالك واستعجل الصنائع في سرعة العمل وفي يوم الجمعة خامس عشر به طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل وأخذ القاعة فغارت سبعة أذرع وعشرة أصابع وذلك أريج من العام الماضي وفي أواخر هذا الشهر قدم قاصد من البحر من عند السلطان سليمان ابن عثمان وعلى يده مرسوم شريف فكان من مضمونه أنه أرسل إلى ملك الأمراء خاير بك يطلب منه عسكر من الأمراء الجرا كسة فعين الأمير قاي تباي الرمضاني الدوادار الكبير بأن يكون باش العسكر ثم رسم له بأن يطلب الأمراء الجرا كسة إلى بيته ويعين منهم من يختاره فعرضهم عنده وكتب منهم جماعة نحو ثلاثة وأربعين أميراً منهم أمراء طبخانات وأمراء عشراوات بسبب غزاة رودس وأن السلطان سليمان قد جهز إلى أهل رودس ستمائة مركب وشحنهم بالسلاح والمقاتلين وخرج إلى الغزاة فيهم بنفسه وحجبه الجمل الكثير من العساكر الرومية في البحر المالح وفي يوم السبت سادس عشر به نزل ملك الأمراء إلى الميدان وجلس فيه وعرض جماعة من الكلية وكتب منهم أربع مائة إنسان وعرض طائفة الانكشارية وكتب منهم نحو مائة إنسان وفي يوم الأحد سابع عشر به نزل ملك الأمراء إلى الميدان وجلس به وعرض المماليك الجرا كسة وكتب منهم نحو خمسمائة مملوك وقيل ثمانمائة وكان الأمير قاي تباي الدوادار باش العسكر هو الذي يعين ويكتب منهم من يختاره فلما تكامل عرض المماليك الجرا كسة والأصباينة والانكشارية والكلية

كان مجموع ذلك ألفاً وخمسمائة إنسان ثم في يوم الاثنين ثامن عشر به أنفق ملك الأمراء
 على الجرا كسة جامعة أربعة أشهر كانت لهم منكسرة في الديوان ولم يعطهم زيادة
 على ذلك ثم إن ملك الأمراء عين الأمير قايتباي الدوادارباشا على الأمراء والمماليك
 الجرا كسة فقط ثم إن ملك الأمراء جهز صحيفة الأمير جانم الحزاوي بقسمها طواجن حلووم
 وبصلادوعلا اسود فجهر ذلك في المراكب برسم العسكرة ففرق عليهم بطول الطريق وقيل
 أرسل صحبته أربعين ألف دينار بسبب جوامك العسكر ومن الحوادث الشنيعة ما وقع في
 أواخر هذا الشهر وذلك أن ملك الأمراء رسم للوالي بأن يقبض على جماعة من الغلمان
 والفلاحين والمغاربة لأجل المراكب حتى يقذفون فيمبالعساكر فنزل الوالي وأطلق في
 الناس النار وشرع يقبض على كل من رآه في الرمي له وفي الطريق من الغلمان والفلاحين
 وكل من قبض عليه وضعه في الحديد وأرسله إلى السجن إلى أن يخرج العسكر فصار يقبض
 على جماعة من السوق والعبيد السود ثم تدرج جماعة الوالي حتى صاروا يقبضون على
 جماعة من التجار والفقهاء وغير ذلك فصاروا يشترون أنفسهم من جماعة الوالي بمبلغ
 له صورة حتى تحصل مع الجالية مال له صورة من الناس ثم صار الوالي يركب ويكبس على
 ساحل بولاق ومصر العتيقة ويقبض على النواتية والفلاحين فهرب الناس قاطبة من
 السواحل ثم رسم ملك الأمراء لكاشف الجزيرة وغيره أن يقبضوا على جماعة من الفلاحين
 من قلعة شندة وقلوب وسببك الثلاث ومن شبري والمنية وغير ذلك من الضياع فصار
 الفلاحون يخفون في المطامير وكادت مصر أن تخرب في هذه الحركة عن آخرها فقبل
 مجموع الذين قبضوا عليهم فحوأني إنسان وقيل أكثر من ذلك وحصل للناس غاية الضرر
 وقيل مات في سجن الديلم جماعة كثيرة ممن قبض عليهم ماؤا من الجوع وشدة الحر والوخم
 ونزل على أهل مصر نازلة عظيمة بسبب ذلك لم يسمع عن أهلها قط انتهى ما أوردناه من
 حوادث شهر رجب وكان كثير الحوادث فوقع فيه أمور غريبة ونوادير عجيبية والامر لله
 واستهل شهر شعبان يوم الأربعاء فلم يطالع أحد من القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر فأنهم
 استمروا في العزل المقدم ذكره وصار قاضي العسكر هو المتكلم على المذاهب الأربعة ووقع في
 هذا الشهر من الحوادث أن الأخبار قدمت من الصعيد بأن القاضي نخر الدين بن عوض لما
 توجه ليمسح جهات الصعيد أدخل سائر الرزق الاحباسية قاطبة في المساحة التي بالمكاتب
 الشرعية والمربعات والمناشير وقال لأصحابه ممن أراد الافراج عن رزقه يقف إلى ملك
 الأمراء ويحضر من سومه بالافراج عن رزقه ثم أنه منع الفلاحين من اعطاء خراج الرزق
 حتى يضرروا بالافراجات من عند ملك الأمراء فاضطربت أحوال الناس وتنكدوا غاية

النكد وصار كل من وقف الى ملك الامر بسبب رزقه وأحضر مكتوبه أو امر بعته يأخذ منه المكتوب أو المربعة ويقول له امض الى حال سيلاك فان الرزق قاطبة دخلت الذخيرة فيرجع وهو في غاية القهر (أقول) ان الرزق الاحباسية ما تعرض لها أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيئاً عن أصحابها ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك وقيل ان الامام الليث ابن سعد رضى الله عنه هو الذي دقن ديوان الاحباس في أيامه وأفرد للرزق الاحباسية ديواناً يختص به ادون ديوان الجيش واستقر ذلك باقيا من بعد الامام الليث الى الآن حتى جاء نضر الدين بن عوض فنقض ذلك الامر الذي كان على جهات البر والصدقات وأبطل أمر الرزق الاحباسية وأدخلها الذخيرة وأبطل ما كان صنعه الامام الليث بن سعد رضى الله عنه وفي يوم الاثنين سادس الشهر خرج الامير قايتباي الرضا في الدوادار وتوجه الى السفر بسبب غزاة رودس فخرج صحبته الامراء والعسكر قاطبة وخرج صحبته الامير جانم الحزاوي مشير المملكة وخرج الرئيس حامد القبطان رئيس المراكب وصحبته العسكر العثماني الذي تعين من الاصباحية والانكشارية والكلية وخرج العسكر من الممالك الجراكسة فكان معه من الامراء الجراكسة نحو ثلاثة وأربعين أميراً مابين أمراء طبخانات وعشراوات فلما طاع الى القلعة خلع عليه ملك الامراء قة طان حريز مذهب وخلع على الرئيس حامد القبطان قة طاناً أيضاً فخرج الامير قايتباي من الميدان وعلى رأسه صبحق حريز أحر وخرج ملك الامراء من الميدان صحبته ايودعه وخرج صحبته قاضي العسكر والامراء العثمانية قاطبة فشق من القاهرة في موكب حافل وليس قدامه جنائب وخلفه طبلان وزمران عثمانية ونزل وشق من القاهرة الى بولاق وكان يوماً مشهوداً ثم عاد ملك الامراء الى القلعة وحصل لاهل مصر بسبب خروج التجريدة غاية الضرر وفي يوم الثلاثاء سابع الشهر أرسل ملك الامراء يستعجل الامير قايتباي الدوادار في سرعة التوجه الى رودس والتزول في المراكب ثم نودي في القاهرة بان العسكر المعين للسفر يخرج في بقية ذلك اليوم وكل من تأخر عن الخروج في بقية هذا اليوم شتق من غير معاودة فخرج الممالك المعينون للسفر قاطبة ومن الحوادث أن شخصاً من نواب الخنفية يقال له شمس الدين محمد المناوي الخنفي في شهد شهادة حقابين شخصين في تماري بينهما بسبب دين فلما بلغ قاضي العسكر ذلك أرسل خاف القاضي شمس الدين محمد المناوي انكشاريين فلما حضر بهم له وهم بضربه وقال له أنا ما منعكم أن تشهدوا على أحد من الناس الا في المدرسة الصالحية ثم أرسله الى السجن فشق ذلك على القضاة والنواب فاضطربت القاهرة بسببه ثم شفع فيه عند قاضي العسكر القاضي شهاب الدين بن شيرين الخنفي فاطلعه من السجن في يومه هو والجملاوي وقد حصل لاهل مصر من قاضي العسكر رعاية الضرر للرجال والنساء

ووقع منه أمور شنيعة ما تقع من الجهال ولا من المجانين وتزايد حكمه بالجور بين الناس وقد ضيق عليهم غاية الضيق ثم تكلم الناس مع قاضى العسكر فى أمر النساء أن لا يمنعوا من طلوع التراب ودخول الحمام وزيارة الأقارب فاذن لهم فى ذلك وأن المرأة لا تخرج الى الطريق الا مع زوجها وأن لا يدخل الاسواق غير العجائز فقط فسمح لهم قاضى العسكر وأن النساء لا يركبن الا الخيول والبغال دائماً فاستمروا على ذلك وقد فتك قاضى العسكر بالناس فى هذه الايام فتكا ذريعا وقد جمع بين قبح الشئ وكل والفعل فانه كان أعور وبفرد عين بلحمة بيضاء وقد طعن فى السن وكان قليل الرمال فى العلم أجهل من حمار لا يدري شيئاً فى الاحكام الشرعية وقد مدت اليه عدة فتاوى فلم يجيب عنها بشئ وقد هجاءه الناس هجوا فاحشاً فى مدة اقامته بمصر وقالوا فيه عدة مقاطيع فمن جملة ذلك بعض كلام الشهود فيه وهو قوله رأينا شيخنا أعورا قبل موتنا * أتى من بلاد الروم يقطع رزقنا يقدم قانونا على شرع أحمد * فنسأل رب العرش يكشف كربة

﴿وقلت أنا﴾

رأيتك لا ترى الابعين * وعينك لا ترى الا قليلا
فانك قد أصبت بفرد عين * نخذ من عينك الاخرى كفيلا
وقد أيقنت أنك عن قريب * اذن بالكف تلتبس السبيلا

وفى يوم الجمعة عاشر الشهر قدم الامير شيخ الذى كان توجه الى اسطنبول فى بعض أشغال ملك الامراء فلما حضر أخبر بأن السلطان سليمان جهز عدة مرابط مشحونة بالسلاح والمقاتلين وجهز عساكر كثيرة بسبب غزاة رودس وخرج بنفسه وذلك فى خامس عشر رجب على ما أشيع بين الناس وأرسل على يده مراسيم شريفة تتضمن أن السلطان سليمان قد فوض أمر ملك مصر الى ملك الامراء خاير بك به زل من يختار ويولى من يختار والمرجع فى ذلك اليه فيما يراه من المصلحة وفى يوم السبت حادى عشره نودى فى القاهرة بأن الامير والى الجلبى العثمانى الذى حضر من اسطنبول قد استقرناظر على سائر الاوقاف قاطبة فلا يعصى عليه أحد من الناس فتجددت مظلمة أخرى وفى يوم الثلاثاء رابع عشره كانت ليلة النصف من شعبان فنزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى المقياس وأقرأ هناك نخبة ومد هناك مدة حافلة ورسم قراءة عدة نخبات فى تلك الليلة فى الجامع الازهر ومقام الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهم ما وغير ذلك فى أماكن متفرقة وفى يوم الخميس سادس عشره خلع ملك الامراء على القاضى بركات بن موسى المحتسب قفطانا مخملا مذهباً وقررهم فى التحدث على جهات الشرقية قاطبة من المطرية الى دمياط وقد التزم فى كل سنة باربع مائة ألف دينار يقوم بذلك على ثلاثة أقساط فنزل من القلعة فى موكب حافل

ومشا عليه قدومه تنادى ان القاضي بركات بن موسى ناظر الذخيرة الشريفة متحدث على الشرقية قاطبة فلا يحتمى عليه أحد من الناس ولا يشتكى أحد من الشرقية الا من بابه فتزايدت عظمة القاضي بركات بن موسى الى الغاية وفي يوم الاحد سادس عشر به خرج قاضى العسكر بقصد التوجه الى مكة المشرفة من البحر المالح فلما خرج نزل ملك الامراء وركب صحبته وكذلك خير الدين نائب القلعة وجماعة من الامراء العثمانية فودعوه من عند تربة العادلى ورجعوا فلما خرج قاضى العسكر من مصر اراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لاهل مصر خير فعزات القضاة الاربعة بسببه وأخرج عنهم الا نظار ومنع اليهود من الجملوس في المجالس قاطبة واستمرت دكا كينهم مغلوقة ومنع نواب القضاة الاربعة من الاحكام الشرعية ولم يبق منهم غير من تقدم ذكرهم وضيق على الناس في أمر عقود الانكحة وقرروا عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ وصار لا يعقد عقد الا في المدرسة الصالحية وضيق على النساء بما تقدم ذكره من الخروج الى الاسواق ومن ركوب الحير فلما خرج من مصر صفقت النساء ورقصت وقلن في كلامهن

قوموا بنا نقحب نسكر * فقد خرج قاضى العسكر

وضيق على أهل مصر في أمور كثيرة يطول شرحها ولما خرج قاضى العسكر توجه الى نحو الطور فقبل ان ملك الامراء انعم عليه بعشرة آلاف دينار غير المغل الذى أرسله اليه لما قدم من اسطنبول ولما توجه قاضى العسكر الى الحجاز أشيع أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار على يد شخص من العثمانية بسبب عمارة العين التي بمكة المشرفة لما تعطلت وهي التي بالحرم وعمارة المنارة التي بالحرم النبوى ولما خرج قاضى العسكر خرج صحبته جماعة كثيرة من الاصباكية ومن أهل مصر وخرجت صحبته زوجة الامير سنان في محفة فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثماني الخنفي نائباً عنه يحكم في المدرسة الصالحية الى أن يحضر من السفر من الحجاز وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاة الاربعة وجعل منهم من هو في بولاق وفي مصر العتيقة وفي جامع طولون وفي الحسينية وغير ذلك من الاماكن وجعل في كل مجلس اربعة نواب يقضون بين الناس بالحق وجعل على كل مجلس شيئاً معلوماً وعليهم شاو يش من العثمانية يضبط ما يتحصل في كل يوم من أجرة أشغال الناس فيقسم للقاضى من ذلك المتحصل شيئاً وللشهود شيئاً وله شئ ثم يأخذ الباقي ويضعه في صندوق برسم السلطان سليمان يودع بيت المال ومن الحوادث الشنيعة ما وقع لقاضى القضاة الخنفي على بن ياسين الطرابلسي بسبب وقف الخواجا شهاب الدين أحمد بن صالح السكندري وذلك انه طلع قاضى القضاة الخنفي الى ملك الامراء فلما رآه مقبلاً من بعيد قال

ايش طلع هذا الثقيل يعمل فلما اجلس وأخرج مكتوب الوقف الذي زوروه وثبت عليه
انتبذله بجاعة من القضاة وحضر أبو الفتح الوفاي المالكي الذي حكم لابن الخواجا شهاب
الدين السكندري وحضر ذلك المجلس القاضي صالح العثماني نائب قاضي العسكر ولما
أخرج قاضي القضاة الحنفى المكتوب الذي صنعه وه دفعه ملك الامراء الى القاضي صالح
العثماني وقال له انظر في هذا المكتوب فلما قرأه قال هذا الحكم الذي حكم به قاضي القضاة
الحنفى باطل لا تجوز قراءته فحصل لقاضي القضاة في ذلك المجلس غاية البهدة وأسمعتهم
الفقهاء الكلام المنكى وانتصف عليه أبو الفتح في ذلك الحكم الذي حكمه فقام قاضي
القضاة من ذلك المجلس وهو يتهتم في أذياله مما قاضي من البهدة من ملك الامراء ومن
القاضي صالح وغيره وكان قاضي القضاة الحنفى غير محب للناس وكان عنده صعوبة
وجنون وسوء تدبير ويبس طباع مع وهج وخفة زائدة مع عبوسة وجه وشناعة زائدة
وقد قلت فيه

رب قاض قد اعتراه جنون * شأنه الوهيج ما لديه سكون
لم يفده علمه اذا ضل شياً * فهو فينا مع لم يحنون

وقولى أيضا

كم ضاع للنعمان من مذهب * في عصرنا لما تولى فلان
تباه من حاكم أهوج * أحكامه مشهورة بالجنان

وفي يوم الاربعاء سلخ شهر شعبان كانت ليلة رؤية هلال رمضان فلم يحضر من قضاة القضاة
أحد الى المدرسة الصالحية على جارى العادة فانهم كانوا منفصلين عن القضاء فحضر بعض
نواب القضاة منهم شمس الدين الجحولى وشهاب الدين أحمد بن شيرين الحنفى وفتح الدين الوفاي
المالكي ونظام الدين الحلبي القاضي بركات بن موسى المحتسب فلما روى
الهلال ركب من هنالك القاضي بركات المحتسب وشق من بين القصرين في موكب حافل
وقد امه عدة قوائيس ومشاعل على جارى العادة في كل سنة فلما كانت ليلة الخميس أهل شهر
رمضان فلم يطلع من قضاة القضاة أحد للتهنئة بالشهر وكان الناس في غاية الاضطراب
بسبب المعاملة فان الدينار السليماني يصرف بخمسة وأربعين نصفاً من الفضة القديمة حساباً
عن كل نصف بنصفين وربيع من الفضة الجديدة فوقف الحال بسبب ذلك ولا سيما
حال الفلاحين في البلاد فان العمال يحاسبونهم في الدينار عند القبض بنصفين وربيع
من الفضة الجديدة وقيمونه عليهم وقت الحساب بنصف واحد فخرّب غالب البلاد بسبب
هذه المعاملة وغير ذلك وكانت أحوال الناس في غاية الاضطراب بسبب الرزق الاحباسية
التي أدخلها فخر الدين بن عوض في ديوان السلطان وصار ملك الامراء كل من طلع له

بمكتوبه أو امر بعته يأخذ ذلك منه ويقول له هذا دخل ديوان السلطان فصل للناس غاية
الضرر من كل وجه ومن الحوادث أن ملك الأمراء طلب التجار قاطبة وكتب عليهم قسائم أن
لا يتعاملوا إلا بالذراع العثماني في البيع والشراء وأبطل الذراع القديم الهاشمي وكتب
القسائم على التجار بذلك وهو يزيد عن الذراع القديم بخور ربع ذراع واستهل رمضان وقضاة
القضاة الأربعة منفصلون عن القضاء والمباشرون في الترسيم بالقلعة من حين جرى عليهم
ما جرى وفي يوم الخميس ثامن من ليلة الجمعة رأى الناس كوكبا عظيما جاء من نحو الغرب
وخلفه شرار كمثل عامود النار فاستمر ما شيا في السماء إلى نحو الشرق فانحرف وقد شاع خبره
بين الناس لمطالع النهار وفي يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان كان وفاة النيل المبارك
ووافق ذلك ثالث عشر مسرى وفتح السد في يوم الخميس خامس عشر رمضان الموافق لربيع
عشر مسرى فأوفى الله الستة عشر ذراعا وزاد ثلاث أصابع من الذراع السابع عشر فلما
أوفى نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى المقياس وخلق العمود ونزل في الحراقة
وصحبته الأمراء العثمانية ففتح السد الذي عند رأس المنشية ثم ركب من هنالك وتوجه
إلى ففتح السد الثاني الذي عند قنطرة السد وكان ذلك اليوم مشهودا وكان ذلك آخر فتح
ملك الأمراء للسد ومات بعد ذلك بشهرين وفي ذلك يقول الناصري محمد بن قانصوه

خلج السديوم الكسر جبر * بماء للعيون يرى بهيجا

وهذا اليوم يوم الجبر فاسرع * بناقطة انرى هذا الخليجا

وفيه قدم أولاق من البحر الملح وأخبر عن السلطان سليمان أنه في المحاصرة مع الفرنج
وكثر القتال والقتل بين الناس بسبب ذلك وفيه جاءت الأخبار بأن ابن سوار قد قتل وسبب
ذلك أنه قد بلغ السلطان سليمان ابن عثمان أن ابن سوار قد اتف على شاه اسمعيل الصوفي
وصار يكتبه في الدس فندب إليه الأمير فرحات الذي كان توجه إلى جانب بردى الغزالي نائب
الشام فتوجه إلى ابن سوار وأظهر أنه يقصد التوجه إلى ديار بكر بسبب عسكر الصوفي
فأضافه ابن سوار وركن إليه فلما جلس معه على مجلس الشراب في نفر قليل من أصحابه
وثب على ابن سوار جماعة من العثمانية من حاشية الأمير فرحات فقتلوا ابن سوار وهو على
سفرة الشراب على حين غفلة ولم يشعر به أحد من عسكره ولما أشيع قتله اضطربت
أحوال السوارية بقتله وقيل إن فرحات قتل بعد ذلك ثلاثة من أولاد ابن سوار وقتل
جماعة من أمرائه ثم مضى عنهم وقد تمت حياته على ابن سوار حتى قتله ومن الحوادث
أنه حضر إلى القاهرة شخص قيل إن أصله من الشرق وقيل كان بمكة وأقام بهامدة
فلما حضر ادعى أنه المهدي فلما طلع إلى ملك الأمراء وقال له أنا المهدي وكان حاضرا في
ذلك المجلس القاضي شهاب الدين أحمد بن شيرين فسأله عن مسائل في العلم فلم يجبه بشيء

وكانت صفته انه شيخ طاعن في السن قصير القامة جدا ولم يكن فيه من علامات المهدي شي
فلما أغلظ على ملك الامراء في الكلام رسم بالقبض عليه وأن يتوجهوا به الى المارستان
ويضعوه في الحديد ويسجنوه عند المجانين فقبضوا عليه وتوجهوا به الى نحو المارستان
فكشفوا رأسه ووضعوه في الحديد فلما بلغ الشيخ ابراهيم الذي في الجامع المؤيدي والشيخ
حسن العثماني طلعا الى ملك الامراء وشفعا فيه فرسم ملك الامراء باطلاقه من المارستان
فاتي اليه الشيخ حسن العثماني ووجهه على أكتافه وأخرجه من المارستان وكان هذا الرجل
معظما عند العثمانية وفي خدمته جماعة كثيرة من الاعجام نحو خنسين انسانا فلما خرج
من المارستان ازدحم عليه الناس ليروا المهدي وكان ذلك اليوم مشهودا بسبب الفرجة
عليه لما شق من القاهرة فاستمر على أكتاف الشيخ حسن حتى توجه به الى المدرسة
المؤيدية ثم بد الملك الامراء أن يرسل المهدي الى بيت الوالي فقبضوا عليه وتوجهوا به الى
بيت الوالي فاستمر به مدة ثم شفع فيه وفي يوم الاربعاء حادى عشر به قبض ملك الامراء
على يوسف بن أبي الفرج ابن الجاكية وسلمه الى القاضي بركات بن موسى ليقيم حسابه
مما دخل عليه من المال بسبب الرزق ولما نزل الى بيت المحتسب هم أن يعر به ويضربه
بالمقارع وقال له أقم حسابك من حين قررت في هذه الوظيفة فقبل انه أورد سبعمائة
دينار فقال له القاضي المحتسب جلبت الدعاء على ملك الامراء لاجل هذا القدر الهين
لاجرالك الله خيرا وفي يوم الجمعة ثالث عشر به نزل ملك الامراء وتوجه الى نحو الجامع
الازهر ليصلي هناك صلاة الجمعة وكان صحبته الامراء العثمانية الذين بمصر وجماعة من
الامراء الجراكسة منهم الامير أرزمك الناشف فلما انقضى أمر صلاة الجمعة وقصد أن
يركب وقف اليه رضى الدين بن الدهانة وجماعة من الفقهاء وقالوا له يا ملك الامراء انظر
في أحوال الرعية فقال نعم وركب بسرعة وخرج من باب الجامع وتوجه الى القلعة وقيل
ان ملك الامراء تصدق في ذلك اليوم على مجاوري الجامع الازهر بمخمسمائة دينار وكان
الذى تولى أمر الصدقة في ذلك اليوم شهاب الدين المحلى امام أميرا خور كبير فالاقى في
ذلك اليوم خيرا بسبب تفرقة الصدقة وحصل له غاية البهـدلة من الناس وفي يوم السبت
رابع عشر به نودى في القاهرة عن لسان ملك الامراء بأن جميع القضاة والشهود يحضرون
بدفاترهم الى المدرسة الصالحية ويسلمون ذلك الى القاضي صالح نائب قاضى العسكر فلم
يوافق أحد من الناس على ذلك وأبطلوا هذا الأمر وفيه أشيع أن العربان قطعوا جسر
الحلقاية فنقص البحر في تلك الليلة ثمان أصابع وكان في قوة الزيادة فاضطربت
أحوال الناس ثم في يوم الخميس زاد الله في النيل المبارك اصبعين من النقص فسكن ذلك
الاضطراب واستمرت الزيادة عمالة الى بابه وفي شهر شوال وكان مستهل يوم السبت وهو

عبد الفطر فكان أكثر العساكر مسافرا في غزوة رودس وكذلك الأمير قايتباي الدوادار
وجاعة من الأمراء فلما صلي ملك الأمراء صلاة العيد مدة حافلة وكانت الاصباحية
والانكشارية تتخاطفها وكان هذا العيد خامدا وفي يوم الاحد ثانيه حضر أولاد من
البحر وعلى يده كتاب من عند الأمير جانم الجزاوي الى ملك الأمراء فقرأ بحضرة القاضي
شهاب الدين بن شيرين فكان من مضمونه أن الأمير قايتباي الدوادار ومن معه من
العساكر والأمراء والمماليك الجرا كسة قد وصلوا الى رودس في ثالث عشر رمضان
فوجدوا السلطان سليمان في جزيرة تبجاه رودس فأقاموا ثلاثة أيام لم يجتمعوا بالسلطان
ثم في اليوم الثالث أوكب السلطان سليمان وجلس للعسكر جلوسا عما في ذلك اليوم فلما
نظر الأمير قايتباي الدوادار عظمه وأكرمه وكذلك الأمراء الذين صحبته ووقف
المماليك الجرا كسة قدامه فشكرهم وأثنى عليهم وقيل ان السلطان سليمان استقل
عقل والده سليم شاه الذي قتل المماليك الجرا كسة وقال مثل هذه المماليك كانت تقتل
وقيل انه أنزل العسكر المصري وطافه عند الوزير الاعظم وأخبر الأمير جانم في كتابه
أنه الى الآن لم يقع بين السلطان وبين أهل رودس قتال وانه مقيم بجزيرة تبجاه رودس
والميعاد بعد العيد وفي يوم الاثنين ثالث الشهر قدم الخوارج ابن عبد الله من اسطنبول
فنزل اليه ملك الأمراء ولاقاه من عند تربة العادلي وخلع عليه قفطان حرير فلما
حضر ابن عبد الله أشيع أن السلطان قرر منظر اعلی الاوقاف قاطبة وأنه يكشف
على سائر الاوقاف والجوامع والمدارس قاطبة فيعزل من يشاء ويبقى من يشاء
وأشيع عنه أنه يخرج الوظائف عن الفقهاء ولا يبقى بيد فقيهه وظيفتين في التصرف
وأن يقرر الوظائف لجماعة آفاقية من الاروام فلما أشيع ذلك اضطربت أحوال
فقهاء مصر وفيه قدمت الاخبار من دمشق بأن الأمير فرحات نائب الشام قبض على
جماعة من التجار أتوا من بلاد الشام اسمعيل الصوفي وزعم أنهم بحواسيس من عند
الصوفي فلما قبض عليهم أخذ جميع ماله من الاموال والبضائع والاصناف
التي أتوا بها ثم شرب أعناقهم أجمعين وورع بما يشور من هذه الواقعة فتنة عظيمة بين العثمانية
والصوفي ومن الحوادث الشنيعة أن جماعة من النصاري كانوا يسكرون في بيت عند
جامع المقسي على الخليج فلما قوى عليهم السمر كرترايد منهم الضحيج والتجاهر بالسكر
وكان في جامع المقسي ابن الشيخ محمد بن عنان مقيم به فتقل عليه أمرهم فأرسل اليهم
من بينهم عن ذلك فأغاظ عليهم في القول وقال لهم أما تستحون من الشيخ ابن عنان
فسموا الشيخ ابن عنان سباً قبيحاً فطلع الشيخ الى ملك الأمراء وشكا له من النصاري
فأرسل ملك الأمراء بالقبض على النصاري فهيروا وحبسوا على واحد منهم فرسم ملك

الامراء بحرقه فلما رأى النصراني عين الجسد أسلم لم خوفاً من الحرق فألبسوه عمامة بيضاء
 فلما جرى ذلك خاف بقية النصارى على أنفسهم واختفوا عند يونس النصراني حتى تخمد
 هذه الواقعة عنهم وفي يوم الجمعة قدم قاصد من عند الأمير جانيم الجزاوى وأخبر أن العسكر
 برز للقتال مع عسكر الفرنج الذين برودس وأشيح أنهم أشرفوا على أخذ السور الاول من
 مدينة رودس ولكن قتل في هذه المعركة من العساكر ما لا يحصى وفي يوم الجمعة المقدم
 ذكره كان يوم النوروز وهو أول نوت من الشهر والقبطية وأول سنة ثمان وعشرين
 وتسعمائة خراجية وكان النيل يومئذ في عشرين اصبعاً من ثمانية عشر ذراعاً وكان سائر المغل
 في غاية الرخص بعدما كان السعرة قد انشط لما توقف النيل عن الزيادة كما تقدم ومن
 الحوادث الشنيعة أن والى القاهرة شتى في يوم واحد أربعة عشر انساناً وخوزق منهم جماعة
 وعلقهم في أماكن متفرقة وكان أكثرهم حرامية وزغلية ومن عليه دم فاخرهم والى فى
 السجن الى آخر شهر رمضان وأتلفهم في يوم واحد وفي ليلة السبت خامس عشره خسف
 جرم القمر خسوفاً كاملاً حتى أظلم الجوق وصار القمر كالقحمة السوداء فأقام في ذلك الخسوف
 نحو خمسين درجة وكان ذلك نصف الليل وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره خرج المحمل
 من القاهرة في تجمل عظيم وكان يوماً مشهوداً وكان أمير ركب المحمل الشريف الأمير
 جانيم السيفي دولابى الاتابكي وهذه ثالث سفره الى الجواز سافر بها الأمير جانيم كاشف
 الغيوب فشقى من القاهرة في موكب حافل وطلب طلباً كاطلاب الامراء المقدمى الالوف
 وكان في موكبه ست عجلات وفي كل عجلة مكحلة ثمان برسم المدافع فان درب الجواز كان
 في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان ولم يركب قدام المحمل أحد من القضاة الاربعة
 غير قاضى المحمل شمس الدين محمد بن النقيب وأشيح أن كسوة الكعبة الشريفة أرسلها ملك
 الامراء من البحر المالح وسبب ذلك فساد العربان وكذلك المال الذى أرسله السلطان
 سليمان ابن عثمان الى مكة والمدينة النبوية لاجل الصدقة على مجاورى الحرمين الشريفين
 صعبة قاضى العسكر لما توجه من البحر المالح خوفاً من العربان واضطراب درب الجواز في
 هذه الايام المشقة وفي يوم الاثنين رابع عشره حضر قاصد من البحر وأخبر أن السلطان
 سليمان ابن عثمان في المحاصرة مع الفرنج الروادسة وأحضر كتاباً من عند الأمير جانيم
 الجزاوى يذكر فيه أن العسكر فى انشحات زائد من الغلاء بسبب القمح والدقيق وقد عزت
 الاقوات هناك فلما بلغ ملك الامراء ذلك نزل الى الشون التى بعصر العتيقة وأخرج ثلاثين
 ألف اردب وخمسمائة جل دقيق فاستمر ينزل الى الشون بسبب ذلك أربعة أيام متوالية حتى
 جهز في المراكب ثلاثين ألف اردب قم وخمسمائة جل دقيق وخمسمائة اردب أرز وقيل
 منها حص وبسلة وقيل أرسل مع ذلك أشياء كثيرة من البصل وغير ذلك مما استحسنته جهاز

ذلك بسرعة وأرسله من البحر إلى السلطان والعسكر الذين هناك وفي شهر ذي القعدة
 وكان مستعمله يوم الاثنين وكانت القضاة الأربعة منفصلين عن القضاء كما تقدم فلم يطلع
 منهم أحدا للتهنئة بالشهر في ذلك اليوم وفي يوم الثلاثاء ثانياً عزّل الأمير جان بك من
 كشف الشرقية واستقر بالأمير إينال السبكي طراباي وفي يوم الاثنين ثامناً توقفت
 أصيل القاعية وكانت من أعيان مغاني البلد وكان لها أنشاد لطيف وكانت بارعة في غناء
 الخفائف التي هي من فرح الزمان ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية الخطو والاحسان
 لها وفيه نودي في القاهرة بإبطال النضة العتيقة من المعاملة قاطبة وأن الفضة الجديدة
 تصرف كل نصف بنصفين وربيع فازداد ووقوف الحال على الناس ثانياً بإبطال القضاة العتيقة
 من المعاملة والفلوس الجدد كانت كل اثنين بدرهم فنادوا عليها كل واحد بدرهم فازداد
 الحال وقوفاً ثالثاً وفيه أشيع أن ملك الأمراء خاير بك قد مرض ولزم الفراش وتزايد به
 المرض من يومه وانقطع عن المحاكمات فلما قوى عليه المرض صار يصدق على الأطفال الذين
 بمكاتب القاهرة قاطبة لكل صغير نصف فضة كبير نصفين وربيع وصار أحد الخازنات
 وابن الظريف المقرئ يدفع لكل صغير النصف في يده ويعطى الفقير خمسة أنصاف
 كبار والعريف ثلاثة أنصاف كبار ويقولون لهم اقرأوا الفاتحة وادعوا بالشفاء والعافية
 لملك الأمراء وقد تكاثرت الأقوال بأن به ثلاثة أمراض منها فرخة بجرة طاعت له في
 مشعره ومنها حدار انصب له في جميع أعضائه وهو من أنواع النالج ومنها كتم البول فصارت
 الحكماء تبيت عنده في كل ليلة وقد أعياهم أمره في هذا العارض الذي به وقيل أنه مشغول
 من حين نزل إلى الشون وفي هذا الشهر ثبت النيل المبارك على إحدى وعشرين اصبعاً من
 تسعة عشر ذراعاً وكان نيلاً متوسطاً وكان في العام الماضي عشرين ذراعاً الاصبعا واحداً
 وفي يوم الثلاثاء تاسعه أفرج ملك الأمراء عن القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك
 وأفرج عن القاضي شرف الدين بن عوض وأأسس ما قفطانين حرير مذهب وأركبهما
 فرسين من الأسطبل السلطاني ونزلا من القلعة في موكب حافل وشقا من القاهرة وكان
 ذلك اليوم مشهوداً فتخلقت عيالهما بالزعران فأنهما خلصا من فم الموت وقد قاسوا شداً
 ومخناً وضرباً وبه دلة وسجناً في العرقانة وقد أقاموا في هذه الشدة نحو أربعة أشهر وقسا
 قلب ملك الأمراء عليهم وقد قال في ذلك الناصري محمد بن قانصوه

بالشرفي المقرر أخشى * ديوان ذا الملك في انضباط

لا زال فيه إلى المعالي * بالسعد يرقى بلا انضباط

فلما نزل القاضي شرف الدين الصغير إلى بيته لم يقيم به إلا ساعة يسيرة ثم ركب وتوجه إلى
 تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه فزاره ثم طلع إلى القلعة ثانياً هو والقاضي بركات بن موسى

المحتسب فاجتمعوا على ملك الامراء وتكلموا معه على المقر الشهابي أحمد بن الجيعان فان
ملك الامراء توقف في الافراج عنه وقد عول على شقه على باب زويلة فتجاه الله تعالى من
كيده ولولا اشتغال ملك الامراء بنفسه لكان شق الشهابي أحمد بن الجيعان لاشحالة فلما
تكلم القاضي شرف الدين الصغير والقاضي بركات المحتسب وقيل ساعدهما خير الدين
نائب القلعة في أمر الشهابي أحمد بن الجيعان رسم ملك الامراء بالافراج عنه بعد جهد
كبير وكان ملك الامراء على خطر وبات عليه لوائح الموت فلما أفرج عنه ألبسه
قفطان حرير وأركبه على فرس من الاصطبل السلطاني ونزل من القلعة وشق من القاهرة
فرجت له وانطلقت له النساء من الطيبة ان بالرغايات وارتفعت له الاصوات من الناس
بالدعاء فان الشهابي أحمد كان محبب للناس فشق من القاهرة بعد العصر فكان له موكب
حافل وكان ذلك اليوم مشهودا فتوجه الى منزله بعدما قاسى شداثا ودوخنا وأوعده بالشفق
من ملك الامراء فكفاه الله تعالى شره وفيه يقول الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوه

الحمد لله بكم عيننا * قررت بفرحة لناسي السرور

لما خلصتم ونزلتم الى * منازل العز وزال الشرور

وفي يوم الخميس حادى عشره أشيع بين الناس أن ملك الامراء بطلت شقيقته وعجز عن
القيام وتزايد به ألم الفرخة الجروا اشتد عليه مخرج البول والغائط من الورم من تلك
الجرة وهذا العارض بعينه قد وقع للخزكار سليم شاه ابن عثمان ومات به ثم ان قضاة
القضاة الاربعة ركبوا وطلعوا الى ملك الامراء وعادوه وسلموا عليه فلم يبع لهم ولم يلقفت
اليهم فقرؤا له الفاتحة ونزلوا الى منازلهم فلما تزايد الامر بملك الامراء أعنت جميع
جواربه وعبيده وعماليكه ثم انه دفع للقاضي بركات بن موسى المحتسب ألف دينار فضة
ورسم بعشرة آلاف اردب قمح من الشونة ورسم للمحتسب بأن يفرق ذلك كله على
مجاوري الجامع الازهر والمزارات والزوايا التي بالقراطين قاطبة ومجاوري مقام الامام
الشافعي والامام الليث رضى الله عنهما و يفرق باقى ذلك على الفقراء والمساكين ومن
عليه دين ففرق ذلك كما رسم له ملك الامراء ثم انه رسم باخراج مراسيم للقاضي شرف
الدين بن عوض بأن يفرج عن أصحاب الرزق الاجباسة التي كان أدخلها الى الديوان
السلطاني وكان قدرها نحو ألف وثمانمائة رزقة فأفرج عنها الاصحاب وأعاد مكاتب
الرزق الحديثية التي كان أخرجهما المفتش يوسف بن الجاكية الى أصحابها ثم صارية قول
للباشرين الذين شوش عليهم حالوني وأبرؤا ذمتي في اللوه غصبا وفي يوم الجمعة ثاني عشره
رسم باطلاق المحاييس رجالا ونساء فتوجه القاضي شرف الدين الصغير والقاضي

المحتسب الى بيت الوالى وعرضوا من فى سجن الديلم والرحبة فطلعوا بالمحايس فى زناجير
 مشاة وتوجهوا بهم الى بيت الوالى فلما عرضهم هناك صار للقاضى شرف الدين الصغير
 والقاضى المحتسب يصالحون أصحاب الديون الذين عليهم من أربعين أشرفيا ونازل فيقولون
 لأصحاب الديون اتركوا لاجل ملك الامراء الباقي فصالحوا أرباب الديون بقدر يسير
 وفعلوا ذلك بجماعة كثيرة من أرباب الديون وفيهم جماعة من أعيان الناس وأطلقوا
 جماعة كثيرة من الضمان وجماعة من الفلاحين فقبل اطلقوا من سجن الرحبة أربعين
 انسانا وأطلقوا من سجن الديلم دون ذلك ولم يتركوا بالسجنين غير الحرامية ومن عليه دم
 ولم ير الناس فى أيام ملك الامراء خير بك أحسن من هذه الايام فانه جاد مع الناس وبر
 الفقراء والمساكين ولم يعرف الله الا وهو تحت الحمل فلم يفده من ذلك شئ ويأبى الله الا ما أراد
 ويقرب من هذه الواقعة ما وقع للاشرف الغورى لما حصل له عارض فى عينيه فجاء على
 الناس الى الغاية وأفرج عن بالسجنين وعن جماعة من المباشرين ممن كان فى الترسيم بحال له
 صورة وكانت تلك الايام خيار دولته على الاطلاق ويقرب من ذلك ما وقع للاشرف
 قايتباى لما وقع عن الفرس وانكسر فخذه وأقام منة قطعها فى القاعة التى بجوار الدهيشة
 وجلس على سرير مقور وصارت الناس تدخل عليه وتسلم عليه فجاء على الناس وأفرج عن
 جماعة كثيرة من المباشرين كانوا فى السجن وتصدق بحال له صورة على الفقراء والمساكين
 وفعل أشياء كثيرة من أنواع البر والصدقات وكانت تلك الايام خيار دولته وغالب هؤلاء
 الملوك ما يعرفون الله الا وهم تحت الحمل اذا جرت عليهم مصيبة يجودون فى حق الناس
 ويفعلون الخير وفى يوم السبت ثالث عشره أشيع أن ملك الامراء قد نزل به النزاع وانه أرسل
 خلف الامير سنان بك العثماني فلما طلع اليه وجده فى حال التلف فدفع اليه خاتم الملك الذى
 كان السلطان سليم شاه أعطاه له ثم انه قال له على قدر الاموال التى فى الخزائن وقال الاموال
 ستمائة ألف دينار ذهب عين هذا خارج عما كان فى بيت المال من المال وخلف من الخيول
 والجمال والبغال والحير ما لا ينحصر ومن الغلال والاعنار والابقار أشياء كثيرة ومع وجود
 هذه الاموال التى تركها كان يكسر جوامك الممالك الجرا كسة ستة أشهر لم يعطهم شئاً
 ويشكى أن بيت المال مشحون من المال (أقول) وكان أصل ملك الامراء من ممالك الاشرف
 قايتباى وهو حركسى الجنس ابانطا وكان أبوه اسمه بلباى الجركسى ولهذا كان يدعى خير
 بك بلباى . الى الاشرف قايتباى ومات أيضاً أخوه خضريك وأما أخوه جان بلاط
 فانه بقى مقدم ألف ومات فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى مات بالطاعون وأما أخوه
 قانصوه فانه كان يعرف بقانصوه المسمى قانصوه حتى تولى نيابة الشام ومات فى دولة الاشرف
 الغورى وأما خير بك فانه أقام بالطبقة وصار من جملة المماليك السلطانية فخرج له

السلطان خيلا وقاشا وصار من جملة المالك الجدارية ثم بقي خاصكيا وادار سكين ثم بقي أمير
عشرة في سنة إحدى وتسعمائة في دولة الملك الناصر محمد ابن الأشرف قايتباي ثم بقي أمير
طبلخانات في دولته أيضا وأرسله قاصدا إلى الخنكار أبي يزيد ابن عثمان ملك الروم في
سنة ثلاث وتسعمائة ثم بقي مقدما ألف في دولة الأشرف جان بلاط وخرج صحبة العسكر
إلى الشام فلما حضر العادل إلى مصر أرسل بالافراج عنه فلما حضر أنتم عليه بتقدمة
ألف كما كان فلما تسلطن الأشرف الغوري جعله حاجبا للحجاب واستمر على ذلك حتى
توفي أخوه قانصوه المحمدي نائب الشام فنقل السلطان الأمير برسباي من نيابة حلب إلى
الشام عوضا عن قانصوه برج وخلق على الأمير خير بك وقرره في نيابة حلب عوضا عن
برسباي وذلك في سنة عشر وتسعمائة واستمر على ذلك حتى تحرك الخنكار سليم شاه ابن
عثمان على السلطان الغوري وانكسر وكان خير بك سيال لكسرة الغوري فلما ملك
سليم شاه الديار المصرية وجرى منه ما جرى وأراد التوجه إلى بلاده خلع على يونس باشا
وقرره نائبا على مصر ثم بدله أن يتولى خير بك نائب حلب على نيابة مصر عوضا عن يونس
باشا فخلع عليه في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفع
إليه خانم الملك فاستقر على نيابته بمصر إلى أن مات في يوم الاحد رابع عشر ذي القعدة سنة
ثمان وعشرين وتسعمائة فكانت مدة نيابته بمصر خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما
بما فهم من مدة انقطاعه عن المحاكمات وتوعد جسدته انتهى ذلك وأما ما عدم من مساويه
فانه كان جبارا عنيدا سفاكا للدماء قتل في مدة ولايته ما لا يحصى من الخلائق وشنق رجلا
على عود خيار شبرا أخذ من جنينته وشنق من الناس ووسط وخوزق جماعة كثيرة
واقترح لهم أشياء في عذابهم فكان يخوزقهم من أضلاعهم ويسمي به شك الباذنجان
فقتل بمصر وحلب فوق العشرة آلاف رجل وغالبهم راح ظمأ ومنها أنه أتلف معاملة
الديار المصرية من الذهب والفضة والفلس الجدد وسلط ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب
على أخذ أموال المسلمين ومنها أنه قرب شخص من النصارى يقال له يونس وجعله متحدثا
على الدواوين وصارت المسلمون تقف في خدمته ويخضعون له ومنها أنه كان يكره الفقهاء
وطلبة العلم والعلماء وعزل القضاة الأربعة ونوابهم قاطبة ومنع الشهود أن يجلسوا
في الخوانيت ويتقاضوا أشغال الناس ومنها أنه كان يكره الممالك الجراكسة ويعوق
جوامعهم ستة أشهر ثم يصرف لهم شهرين بألف جهد ومنها أنه شوش على جماعة
من أعيان المباشرين وضربهم وبيدهم وعوقهم في الترسيم نحو خمسة أشهر ولا سيما
ما جرى على الشهابي أحمد بن الجيعان فانه سلب نعمته وأخذ منه فوق السبعين ألف دينار
حتى باع جميع أملاكه وقاشه ورزقه وبقي على الأرض ومنها أنه نذب يوسف بن أبي الفرج

وقرره في وظيفة يقال لها مفتش الرزق الجيشية فحصل للناس منه غاية الضرر الشامل ومنها انه ارسل نحر الدين بن عوض الى بلاد الصعيد ومصر الرزق الاحباسية وأدخلها في الديوان ولم يفرج عنها وحصل للناس بسبب ذلك غاية الضرر فقبيل انه أخرج ألفا وثمانمائة رزقة منها ما كان على الزوايا والمساجد والترب وغير ذلك ومنها انه كان سييا للخراب الديار المصرية ودخول سليم شاه الى مصر وحسن له عبارة أخذ مصر وضمن له أخذها من غير مانع وعرفه كيف يصنع حتى ملكها وجرى منه ما جرى وقتل الامراء والمماليك الجراكسة وشنق السلطان طومان باي على باب زويلة وكل ذلك بترتيبه ودوليته وكان كثيرا للحيل والخداع والمكر وكان من دهاة العالم لا يعلم له حال ولو ذكرت مساويه كلها اطال الشرح في ذلك وقد قلت فيه هذه الابيات عن لسانه

أصبحت بقاع حفرة مرتها * لأملك من دنياي الا كفتا

يا من وسعت عبادته رجتة * من بعض عبيدك الميثين انا

فلما تحقق الناس موت ملك الامراء ارتجت القاهرة وأشيع ان التركمان ينهبون الاسواق فانتقل مكان الجسر من بركة الرطلي على لمح البصر ووزع الناس أمتعتهم في الخواصل ثم طلع الامير سنان بك الى القلعة وحضر الامير خير الدين بك نائب القلعة والامير خضر بك والكواخي أغوات الانكشارية فلما اجتمعوا ضربوا مشورة في أمر المملكة وما يكون من أمر جماعة العثمانية فالتزم الامير خير الدين بك نائب القلعة والكواخي بأمر الانكشارية والتزم الامير سنان بك والامير خضر بك بأمر الاصباكية وغير ذلك من الكليسة ثم حضر الامير ارزمكاش الناشف فالزموه بأمر المماليك الجراكسة وما يحصل منهم ثم ختم نائب القلعة والامير سنان بك على الخواصل التي بالقلعة ثم ان الوالي والقاضي بركات المحاسب نزلا من القلعة ونادوا في القاهرة بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان لا أحد يغلق له بابا ولا دكانا والدعاء للسلطان سليمان بالنصر فارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء قاطبة فكرر واهذه المناداة يوم الاحد ويوم الاثنين وكان عند العثمانية عادة اذامات صاحب المدينة ينهبون المدينة عن آخرها فغضبهم الامراء التركمان من ذلك وقالوا لهم متى نهبت المدينة تقتلكم عوام مصر ويحصل بينهم وبينكم فتنة عظيمة وتخرب مصر عن آخرها فسكن الاضطراب قليلا ثم في يوم الاثنين لما دفن خير بك تحول الامير سنان وطلع الى القلعة من يومه وسكن بها فوقع بين الامير سنان والامير خضر تشاجر بسبب النيابة فظهر الامير سنان مرسوما عليه علامة السلطان سليمان بانه اذا توفي ملك الامراء خير بك يكون عوضا عنه في نيابة مصر فوقع الاتفاق بينهم بان يستقر بالقلعة ويكتب السلطان بموت خير بك وينتظر الجواب بما تقتضيه الآراء الشريفة في ذلك ثم ان الامير سنان عرض ما في بيت المال من المال

فوجد خاير بك خلف من المال على ما قيل ستمائة ألف دينار خارجا عما كان في بيت المال ثم ان الامير سنان خلع على القاضي شرف الدين الصغير واستقر به متحدا على جهات الغربية وخلع على الشهابي أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وجعلهم متحدين على جهات الشرقية فامتنع الشهابي أحمد كل الامتناع من لبس القفطان وقال أنا أصبحت رجلا فتيرا لأملك من الدنيا شيئا وأنا ما بقيت أباشر شيئا فارسا لوني الى اسطنبول أو الى مكة المشرفة ورد على الامير سنان ذلك القفطان وخلع على القاضي بركات المحتسب وجهه له متحدا على جميع جهات الشرقية من دمياط الى المطرية على عادته وخلع على محيي الدين ابن أبي اصبع وجعله متحدا على ديوان الوزارة وديوان الخاص على عادته كما كان وفي ذلك اليوم نزل حريم خاير بك من القلعة على وجوههن وهن في غاية الذل وفي يوم الاربعاء سابع عشره رسم الامير سنان بتوسيط شخص من الاصباهية فوسطه في الرميلة وسبب ذلك انه خطف خرقة جوخ ثمنها مائة وعشرون دينارا فطاع صاحب الجوخه الى الامير سنان وشكا له ذلك الشخص الاصباهي فقال له الامير سنان لك عليه بينة يانه خطف منك الخرقة الجوخ فقال له نعم وأحضره من شهد عليه بذلك فارسا ل خلف الاصباهي وسأله عن ذلك فاعترف وأحضر الخرقة الجوخ وأعادها الى صاحبها ومضى بها ثم انه رسم بتوسيط الاصباهي فوسطوه في الرميلة عند باب الميدان وهذا أول حكم الامير سنان في القتل ثم ان الامير سنان رسم بان يعين جماعة من الانكشارية في بيت المحتسب يضبطون ما يتحصل من أموال الحسبة في كل يوم وجعل مثل ذلك في بيت الوالي وبيت محيي الدين بن أبي اصبع لكونه متحدا في ديوان الوزارة والخاص وجعل مثل ذلك في ديوان الوزراء يضبطون ما يتحصل في كل يوم وجعل مثل ذلك على المكاساة الذين في بولاق ومصر العتيقة وغير ذلك من القباض وفي يوم الخميس ثامن عشره سافر الامير اينال السيفي طراباي الذي ولي كشف الشرقية الى محل ولايتها وفي يوم الجمعة تاسع عشره حضر شخص من مماليك الامير قايتباي الدوادار في بعض أشغال استاذة وعلى يده كتب فكان من مضمونها ان السلطان سليمان نازل على رودس وانه يباب رودس يحاصرها أشد المحاصرة وقد قتل من العسكر العثماني ما لا يحصى من البندق الرصاص ومن المدافع التي عمالة نازلة في كل يوم من قلعة رودس وكما هدم من سورها شيئا تبنيه الفرنج تحت الليل بالجر الفص وقد أعياهم أمر الفرنج وقوة بأسهم وقد كتم موت من مات من الأمراء الجراكسة والمماليك وفي يوم السبت عشريه رسم الامير سنان لمماليك ملك الأمراء خاير بك أن ينزلوا من الطباق التي بالقلعة فشق ذلك عليهم فلما نزلوا من الطباق طلع اليها جماعة من الاصباهية ممن هم من جماعة الامير سنان والانكشارية من عصبة خير الدين فائب القلعة ثم أشيع أنه وقع بين الامير سنان والامير

خضر العثماني تشاجر بسبب النياية فوقع الاتفاق على ما يرد من جواب السلطان على ذلك وفيه أشيع أن الامير اينال السيفي الذي استقر كاشف الشرقية تحوّل عنها الى كشف الغربية وأعيد الامير جانبك الى كشف الشرقية كما كان أولا واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء فكان المحدث على الديار المصرية يومئذ الامير سنان بك العثماني نائبا على مصر عوضا عن خير بك بحكم وفاته وكان قضاة القضاة منقصلين عن القضاء كما تقدم فلم يطلع الى التهنئة بالشهر أحد وفي يوم السبت خامسه توفي الشيخ أمين الدين بن النجار خطيب جامع الغمري وكان ديناً خيراً من أهل العلم والدين من أعيان الشافعية وفي عقيب موته توفي القاضي جلال الدين بن محمد بن بدر الدين بن محمد بن كميل أحد نواب الشافعية وكان عالماً فاضلاً وله نظم جيد وكان من أعيان الشافعية وفي يوم الخميس عاشره كان عيد الحرف صنع الامير سنان مدة حافلة بالقلعة لاجل الاصباكية والانكشارية والكلية فتناهبوا تلك المدة على لمح البصر وقد ذاق الامير سنان طعم المملكة ودخلت حلاوتها في أسنانه وفي يوم الخميس سابع عشره نادى الامير سنان بعد العصر في القاهرة بان السلطان سليمان استقر بالوزير الاعظم مصطفى باشا نائبا على مصر عوضا عن خير بك بحكم وفاته وقد وصل ذلك النائب الى الاسكندرية ثم نادى في ذلك اليوم للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وأن لا أحد يكثر كلاما قيميا لا يعنيه فلما تحقق الناس ذلك خرج المبشرون وأعيان الناس الى ملاقاته ذلك النائب وأشيع أن الامير جانم الجزاوي قادم صحبة النائب وأنه قد وصل الى قليوب فخرج غالب العسكر العثماني الى ملاقاته فلما كان يوم الاربعاء ثالث عشر ذي الحجة وصل الوزير الاعظم مصطفى باشا الى ساحل بولاق فلما أشيع ذلك نزل الامير سنان من القلعة والامير خير الدين نائب القلعة وأتى اليهم الامير خضر العثماني وأتى اليهم الكواخي أغوات الانكشارية وأتى الامير أرزمك الناشف أغات المماليك الجراكسة وسائر الاصباكية والانكشارية والكلية فاطبة وتوجهوا الى بولاق لاجل ملاقاته النائب مصطفى باشا فلما وصلوا الى بولاق أحضر والنائب فرسان الخيول الخاص ولبس خلعة السلطان وهي بتاسيح على أجروا وحضر والجماعته نحو أربع مائة فرس فركب النائب من هناك هو وجماعته ومشت الانكشارية قدامه والكلية فاطبة يرمون بالنفوط وركب جميع الاصباكية وأمرأؤهم وجميع الامراء الجراكسة وأتباعهم وأعيان الناس فاطبة فدخل من باب البحر واستمر الى باب القنطرة فشق من سوق مرجوش ثم شق من القاهرة في موكب حافل مثل موكب ملك الامراء خير بك وكان الامير سنان عن يمينه والامير جانم الجزاوي عن يساره وعليه خلعة بتاسيح ذهب والامير خير الدين نائب القلعة والامير خضر قدامه وعلى رأسه صنجق بقع فضة ومن ورائه طبيلان وزمران عثمانية

ونخلفه جماعة بطرابطير جرب مصائب ذهب فلما شق من القاهرة ارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم مشهودا وكانت صفتة أنه أبيض اللون عربي الوجه حليق اللحية ليس له غير شاربين أصفرين معتدلين القامة وعليه حشمة ونحفر وقيل هـ ذا أعظم وزراء ابن عثمان حتى أطلق عليه أنه وزير الوزراء واستمر في موكب خافل حتى شق من الزميلة ودخل الى الميدان ثم صعد الى القلعة وفيه يقول الناصري محمد بن قانصوه بن صادق

لا تحزني مصر على * موت الامير خيربك

بل افرحي بمصطفى * ستنظر به خيربك

فلما قدم النائب مصطفى باشا الى مصر أشيع ان الاخبار وردت على السلطان سليمان ب وفاة ملك الامراء خيربك وهو على رودس في يوم الخميس ثالث ذى الحجة فلما تبين موته خلع على وزيره الاعظم مصطفى باشا وقرره في نيابة مصر عوضا عن خيربك بحكم وفاته فاستقر في النيابة يوم السبت خامس ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكانت ولايته في الخامس وهو يوم نحس مستمر وكان السلطان على رودس فكانت مدة ولايته من حين ولى برودس الى أن دخل الى ثغرا الاسكندرية تسعة عشر يوما وكانت مدة سفره في البحر أربعة أيام ودخل الى شاطئ بولاقي يوم الاربعاء ثالث عشرين ذى الحجة فتكون مدة ولايته من حين ولى برودس الى أن دخل الى الديار المصرية ثلاثة وعشرين يوما فلما طلع النائب مصطفى باشا الى القلعة يوم الاربعاء مدله الامير سنان هنالك مدة حافلة بالقلعة ثم مدله بساط الانس وسلمه مفاتيح بيت المال ودفع له خاتم الملك الذي كان السلطان سليم شاه أعطاه لملك الامراء ثم تحول الامير سنان ونزل الى منزله بدرب ابن البابا فكانت مدة نيابته بالقاهرة الى أن حضر مصطفى باشا ثمانية وثلاثين يوما كأنها أضغاث أحلام وفي يوم الخميس رابع عشرين نزل النائب مصطفى باشا الى الميدان وحضر الامير سنان والامير خضر والامير خير الدين نائب القلعة وحضرت الاغوات المتعلقة بالانكشارية وقرئ عليهم مرسوم السلطان الذي حضر على يد مصطفى باشا فكانت براعة استهلال ذلك المرسوم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قويا ثم نعت النائب مصطفى باشا بنعوت عظيمة بانه وزير الوزراء وأمير الامراء وما أشبه ذلك من النعوت الحسنة ثم رسم له بان يعطى في كل سنة من خراج أراضى مصر مائة ألف دينار له ولما اليكه وحاشيته ومن مضمون ذلك المرسوم انه لا يصرف اطائف الانكشارية والاصباهية أكثر من أربعة أنصاف في كل يوم فشق عليهم ذلك وكان ملك الامراء خيربك رتب الجماعة من الاصباهية أنشرفيين في كل يوم جماعة وأشرف في كل يوم وكان في طائفة الانكشارية من كان له في كل يوم

عشرون نصفاً وثني عشرة أنصاف وثني ثمانية فبطل ذلك جميعه واستقرت على أربعة أنصاف كل يوم ومن مضمون المرسوم الوصية بالرعية قاطبة والمماليك الجراكسة واصلاح المعاملة والنظر في أحوال الرعية والمسلمين بما فيه اصلاحهم وكان من مضمونه أشياء كثيرة يطول شرحها وفي ذلك اليوم طلعت القضاة الأربعة يسلمون عليه فوجدوه بالاشرفية التي بالقلعة فلم يكتنوه من الدخول اليه حتى شاوروه فأذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه ملقى على ظهره فلم يلتفت اليهم ولا قام لهم ولم يعتد بهم من البشر ثم قال لهم على لسان الترجمان النائب يقول لكم لولا أنه ضعيف لقام لكم فقرؤا الفاتحة وانصرفوا وفي يوم الجمعة خامس عشرية نزل النائب مصطفى باشا إلى الميدان وجلس به وعرض موجود ملك الأمراء خير بك من الجمال والخيول والبغال فوجد له من ذلك أشياء كثيرة لا تنحصر ثم طلع إلى الخوش السلطاني وعرض بماليك خير بك ثم عرض الحواصل التي فيها الموجودات من قماش ونحاس وصيني وغير ذلك فوجد له أشياء كثيرة أعظم من موجود الاشرف قايتباي ووجد له من الذهب العين على ما قيل ستمائة ألف دينار وقد حاز هذا الموجود العظيم في هذه المدة اليسيرة وفي يوم السبت سادس عشرية نزل مصطفى باشا إلى الميدان وجلس به وحوله الأمير سنان والأمير خضر والأمير خير الدين نائب القلعة والأمير أرزمك الناشف وجماعة آخرون من الأمراء فأظهر التعاضد في ذلك اليوم ومشى على طريقة الخنكار سليم شاه وصار كواحدة منهم وكان النائب مصطفى هذا مترجماً بابنة الخنكار سليم شاه وهي أخت السلطان سليمان فوقف إلى قدامه بالعصا وكذلك نقيب الجيش أيضاً واصطفت قدامه الانكشارية والاصباهية والكلابية وبأيديهم العصي ثم ترادفت عليه القصص بجوائح الناس فلم يفهم منها شيئاً وصار الترجمان يقول له معنى ما في القصص بالتركي وهو كالخشبة ثم رسم بالناداة في القاهرة بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وأن كل من ظلم من بعد ملك الأمراء خير بك فعليه بالابواب العالية ثم أشيع انه فادى أن العمال يتقبضون الخراج من الفلاحين النصف الفضة بنصفين ويقام لهم عند الحساب بنصفين وربيع ففرح الفلاحون بذلك ثم من بعد ذلك تبين أن هذه الاشاعة ليس لها صحة وكل شيء على حكمة في المعاملة ثم ان النائب قام وطلع إلى القلعة وهذا أول ديوان في أيامه وأول محامياته بين الناس وأول جلوسه للناس عامة وفي يوم الاحد سابع عشرية أشيع في القاهرة أن القاضي بركات بن موسى قد انفصل عن الحسبة واستقر بمناقص من العثمانية من أقارب النائب مصطفى يقال له قاسم باشا فاضطربت القاهرة بسبب ذلك وشق على الناس عزله وفي ذلك اليوم أشيع أن النائب قد أخذ مفااتيح الحواصل كلها جميعاً التي في القلعة

من البوابين وسلمها لجماعة من الاروام من حاشيته وطرده البوابين والغلمان والر كابة
والبابية وأبطل الشواش والر كبدارية والفراشين وغلمان السلطان قاطبة حتى أبطل
الطباخين من المطبخ وأقام جماعة من الاروام عوضهم وأبطل المقرئين الذين كانوا
يقرؤون بالقلعة قاطبة حتى أبطل من كان بالقلعة من المؤذنين وجعل لجامع الحوش
مؤذنا واحدا وأبطل جميع نظام القلعة الذي كانت عليه قديما ومشى على القانون
العثماني وهو أشأم قانون ثم انه شرع في بيع موجودات ملك الامراء خاير بك فطلب التجار
قاطبة فطلعوا الى القلعة بسبب المبيع وفي يوم الاثنين ثامن عشرية طلع أعيان
المباشرين الى القلعة وتوجهوا الى بيت الدفتر دار فاجتمعوا هنالك وشرعوا في أمر تقسيط
البلاد وأشيع أنهم قد أقرروا للنائب مصطفى باشا في كل شهر ثمانية آلاف دينار له
ولماليكة خاصة ولجماعته وحاشيته ومطبخه وانعاماته وغير ذلك مما حكم به الزمان الخبيث
على الناس ثم ان المعلم الحلواني العجبي الذي كان دكانه تجارة المدرسة الناصرية التي بين
القصرين صار من خواص النائب مصطفى باشا وصار من المقربين عنده ويتقاضى
حوادثه وحوادث الناس عنده واجتمعت فيه الكلمة وصار المرجع اليه في الامور في
تلك الايام حتى بقي كنز الدوادار الكبير فكان كما يقال في المعنى

ما كنت أحسب أن يمتدني زمني * حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرية قدم مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وان الغلاء وموت
الجمال موجود مع الحجاج ولم يكن لما قالوه من أمر الفتن التي وقعت بمكة صحة والله
الحمد والشكر على ذلك وفي ذلك اليوم خلع مصطفى باشا على القاضي شرف الدين
الصغير وأقره على ما كان عليه من التحدث على جهات الغربية وخلع على القاضي نضر
الدين بن عوض وأقره على ما كان عليه من التحدث على جهات الصعيد وخلع على
القاضي بركات بن موسى والقاضي شريف الدين بن عوض واستقر بهم ما في التحدث على
جهات الشرقية قاطبة كما كانا في الأول فنزلوا من القلعة وشقوا من القاهرة في موكب
حافل ثم أشيع أن القاضي بركات بن موسى لم يعد الى الحسبة فتشوش الناس لذلك وفي
يوم الاربعاء سلك الشهر ترشح أمر القاضي بركات بن موسى المحتسب له ووده الى الحسبة
وقيل انه رتب لذلك الشخص العثماني أشرفيين كل يوم فنادى في القاهرة بعد العصر حسبا
رسم الزيني بركات بن موسى كل شيء على حاله وأن السوق والمقاسم بين يحضرون باكر
النهار الى بيت القاضي بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة وناظر الذخيرة الشريفة فهو
على حاله في الحسبة ففرح غالب الناس بذلك انتهى ما أوردناه في هذا التاريخ من الاخبار
العجيبة والوقائع الغربية وقد اشتهل على أخبار أربع دول كانت بالديار المصرية

وقد تقدم ذكرها من الاول الى هنا وقد وقع لي من المحاسن في هذا التاريخ ما لم يقع لغيري
من المؤرخين فيما أوردوه من تواريخهم القديمة وقد أعان الله تعالى على انتهائه على خير والله
المجد والمنة على ذلك وفيه أقول

اغفر لمنشيه واصفح * عما جنى بالنهاي
أحسن لي في ابتداء * يارب أحسن ختام
﴿وقولي أيضا﴾

تاريخنا بحجة المجالس * يطرب من لفظه المجالس
سماعه للورى سرور * يشرح صدر الكل عابس
﴿وغیره أيضاً﴾

الفتنه نعم الجليد * س اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * أبدا ويقنع بالنظر

تم طبع تاريخ مصر لابن اياس على ذمة الكتبخانة الخديوية بمطبعة بولاق الاميرية
في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة الدورية العلية من بلغت به رعيته
غاية الاماني حضرة أفندينا المعظم ﴿عباس باشا حلي الثاني﴾ ملحوظا هذا
الطبع الجميل ينظر من عاينه أخلاقه ثنى حضرة وكيل المطبعة الاميرية

محمد بك حسنى في يوم الاثنين الحادى والعشرين من جادى

الاولى سنة ١٣١٢ الموافق ١٩ نوفمبر

سنة ١٨٩٤ ميلادية



To: www.al-mostafa.com